الفوائد السامية

في

تاريخ اللغات السامية

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع
طباعة - نشر - توزيع
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة
شارع الفيصليَّة - خلف الجامعة الإسلاميَّة
00966532627111
00966590960002
daremslm@gmail.com
daremslm

مركز سطور للبحث العلمي
Sutor.center@gmail.com
بحث علمي - صفّ - تنسيق - تصميم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
سلمان، أبي عبيدة مشهور حسن آل
الفوائد السامية في تاريخ اللغات السامية ويليه مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) ويليه دروس العبرانية.. / أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان.
- المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٨٧-٩٢-٧

١- اللغات السامية أ- العنوان
ديوي ٤٩٢ ١٤٤٣/١٨٦٩

رقم الإيداع: ١٤٤٣/١٨٦٩
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٨٧-٩٢-٧

الطبعة الأولى
١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢م

تُنشَرُ لأوّلِ مرّةٍ

الفوائدُ السّامِيّة

في

تاريخ اللغاتِ السّامِيّة

وَيليه

مباحثُ في علمِ اللُّغاتِ (فيلولوجي)

وَيليه

دُرُوسُ العِبرانيّة

للعلّامة محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله

قدّم لها وشرحها

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

مركز سطور للبحث العلمي

دار الإمام مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة المجموع

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، **أما بعد:**

فهذا مجموع يشتمل على ثلاث رسائل للعلَّامة تقي الدين الهلالي؛ تتعلَّق باللغات السامية، اثنتان -منها- أَلَّفهما أثناء تدريسه في جامعة محمد الخامس بالرباط، والثالثة سلسلة مقالات كتبها في جريدة «الأخبار» التطوانية؛ بعد عودته إلى المغرب من ألمانيا، وحصل -فيها- على شهادة الدكتوراه في الفلسفة، وتعلَّم -هناك- (اللغات السامية).

وهذه الرسائل هي:

الأولى: «الفوائد السامية في تاريخ اللغات السامية».

الثانية: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (المقالات).

الثالثة: دروس العبرانية.

وسيأتي التعريف بها، وبيان صحة نسبتها، ومباحث تخصُّها، مع عملي فيها.

وراعيتُ في خدمتي لهذه الرسائل: شرحها وتوسيع مباحثها؛ إذ عرضتها على تراث الهلالي، ولا سيما «جمهرة مقالاته»، وسردتُ مجموعة من المقالات التي لها صلة قوية بها؛ فأصبحت -على ما فيها من فوائد فرائد- مفيدة غايةً.

ولا يخفى على باحثٍ الصلة العميقة بين مباحث هذه الرسائل؛ فهي مكمِّلة لبعضها بعضًا، وجمعها وشرحها يزيد وضوحها، ويظهر قوامها على وجه لا غموض فيه، ولا لبس، والله من وراء القصد.

وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

في شوال ١٤٤٢هـ

الأردن - عمان

الفَوَائِدُ السَّامِيَةُ

فِي

تَارِيخِ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ

تَصنِيفُ

العَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الدِّينِ الهِلَالِيِّ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قَدَّمَ لَهَا وشَرَحَهَا

أبو عُبَيدَةَ مَشهُورُ بنُ حَسَنٍ آلُ سَلمان

مقدِّمة المحقِّق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، **أما بعد:**

فهذا كتاب جديد لتقي الدين الهلالي، يُنشر لأول مرة، صوَّرتُه في مدينة مكناس؛ إثر زيارتي للمملكة المغربية -حرسها الله وسائر بلاد الإسلام-، في جمادى الآخرة سنة (١٤٤١هـ)، ودرَّس الهلالي هذا الكتاب في جامعة محمد الخامس بالرباط لمدة خمس سنوات (١٩٥٩ - ١٩٦٤م)، لطلاب مادة الحضارة وفقه اللغة.

۞ ندم الهلالي على عدم معرفته باللغات الساميَّة

ندم الهلالي على عدم اقتنائه مصوَّرة من نسخة خطية بلغة فصيحة من «شرح التوراة» رآها في الهند، ولم يهتم بها؛ لعدم معرفته -آنذاك- باللغات السامية، قال:

«رأيت في الهند في خزانة كتب دار العلوم لندوة العلماء بلكناو: ترجمة للتوراة مخطوطة قديمة بلغة فصيحة، **ولم أكن -في ذلك الوقت- أعرف شيئًا من اللغات السامية؛ فلم أهتم بها!**

والآن؛ أتمنى أن أراها! وقد كتبت إلى بعض تلاميذي -وهو علي أبو الحسن الندوي[١]-؛ فمنعه مرض المسلمين في هذا الزمان؛ وهو الكسل والتهاون والحيرة»[٢].

◄ تأريخ تعلُّم الهلالي للغات الساميَّة

يقول الهلالي في ترجمته الذاتية[٣] رقم (١٠):

«تقرَّرتُ محاضرًا للغة العربية في جامعة بون بألمانيا، **وفي هذه الفترة أردت تعلم اللغة الألمانية؛ فتعلمت، ومع مرور الزمن؛ زاد شغفي بها**، حتى قمت بترجمة بعض الكتب العلمية والطبية من اللغة العربية إلى اللغة الألمانية، ومحمد بن الفقيه العراقي كان من كبار العلماء في القرن الثاني الهجري، وألف كتابًا باسم «البلدان»، وذكر فيه جغرافية بريطانيا وألمانيا بالتفصيل، فترجمتُه إلى اللغة الألمانية، ومحمد بن دانيال الموصلي كان طبيبًا ماهرًا للعيون في القرن السابع الهجري؛ ترجمتُ كتابه «طيف الخيال» إلى اللغة الألمانية[٤]، ثم تركتُ الجامعة في ١٩٣٩م، وأردت أن أتعلم في جامعة برلين؛ فدخلت فيها، **وتعلَّمتُ فيها فنون اللغات السامية**».

---

(١) انظر ترجمتي له مع استفادته من الهلالي: في قسم «صفحات مجهولة من حياة تقي الدين الهلالي من خلال إجازاته وتلاميذه» من ترجمتي المطوَّلة له.

(٢) كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٧١٣ - ط الأولى).

(٣) ظفرتُ -ولله الحمد- بإحدى عشرة ترجمة ذاتية للهلالي، ووضعتها في مطلع ترجمتي المطوَّلة له.

(٤) كان عمله في تحقيق هذين الكتابين -«البلدان» و«طيف الخيال»- مشتركًا مع أستاذه باول كاله، وستأتي ترجمته، وما زال هذان الكتابان محفوظين في مكتبة كاله بخط الهلالي، انظر عنهما: ما دوَّناه في ترجمة الهلالي المطوَّلة.

ملامح من ترجمة تقي الدين الهلالي من خلال كتابه هذا

من خلال الكتاب تتضح جليًّا بعض المعالم العلمية -اللغوية خاصة- المتعلقة بالهلالي، وأنه كان على دراية ببعض اللغات؛ فمن ذلك:

- أنه كان أستاذًا لمادة تاريخ اللغات السامية في جامعة محمد الخامس[(١)]، وهذا التكليف لا يناط إلا بعليم.

- أنه كان على صلة ببعض المهتمين باللغات السامية ومباحثتهم؛ كملاقاته المستشرق الألماني باول كالي[(٢)].

- اطلاعه على التراث السامي، خاصة العبري منه؛ حيث أفاض في تاريخه وأدبه القديم والحديث.

عنوان الكتاب

جاء عنوان الكتاب بصيغة «الفوائد الساميَة في تاريخ اللغات الساميَّة»، إلا أن عنوان الفهرس اتخذ صيغة مغايرة؛ وهي «فهرست كتاب **تاريخ اللغات السامية**»، وصنع ذلك بغية الاختصار.

وذكره له جماعة بعنوان «تاريخ اللغات السامية»؛ وسيأتي بيانه في مبحث (صحة النسبة).

---

(١) انظر: (ص٢٣٧).

(٢) انظر: (ص٣٠٣).
وباول كالي هو هو باول إرنست كالي **Paul Ernst Kahle**؛ مستشرق ألماني، اختص بتحقيق النص العبري للكتاب المقدس، وستأتي ترجمته مطوَّلة.

المصادر التي نقل منها الهلالي

اعتمد الهلالي مصادر متعددة في كتابه: منها ما له صلة مباشرة باللغات السامية، ومنها ما ليس له علاقة مباشرة بها، ومنها مصادر الفنون المختلفة التي لم يصرح بها.

ويمكن تقسيمها -من أجل التقريب- إلى ثلاثة أصناف:

أ - وطيدة: وهي التي تتصل بموضوع اللغات السامية مباشرة؛ وهما: مصدران كتابيان، ومصدر شفوي؛ وهو مستشرق متخصص، وها هي ذي:

- كتاب «تاريخ اللغات السامية» لإسرائيل ولفنسون.

- كتاب «دروس اللغة العبرية» لربحي كمال.

وقد اعتمد ذين الكتابين؛ خاصة فيما يتعلق بأطوار اللغة العبرية وآدابها الحديثة.

- أما المستشرق الألماني باول كالي؛ فقد استدل به لبيان أن النطق العبري الحديث مخالف للنطق القديم، يقول: «أخبرني المستشرق الكبير باول كالي أنه وجد بعض النقوش؛ لغتها عبرانية، وحروفها يونانية، يخالف نطقها النطق الشائع باللغة العبرانية في هذا الزَّمان، واستدلَّ بذلك على أن نطق هذا الزمان باللغة العبرانية يُخالِفُ ما كانت عليه في الزمان الأول»[1].

ب - بعيدة: وهي التي لا تتصل مباشرة بموضوع اللغات السامية، وإنما جاء بها عرضًا، ولم يكثر النقل عنها، **وهي ثلاثة مصادر:**

(١) انظر: (ص٣٠٣)، مع تعليقي عليه.

– كتاب «حاشية الصبان على الأشموني»؛ تعرض له حين توجيه قاعدة صرفية، وذلك في ثنايا حديثه عن انتقال بعض ألفاظ اللغة القحطانية إلى اللغة العدنانية[١].

– كتاب «المقدمة» لابن خلدون؛ حيث استشهد بنظريته التي تزعم أن «حملة هذا العلم أكثرهم من العجم»[٢]!

– ياقوت الحموي؛ أورد كلامه من أجل توضيحه، وفيه: قال ياقوت: «إن الكتابات التدمرية لم يصل العلماء إلى تفسيرها»، وهذا في زمانه، وأما الآن؛ فهي مُفسَّرةٌ واضحةٌ[٣].

ج - متضمنة: والمقصود بها تلك المصادر التي وإن لم يرد ذكرها طي الكتاب؛ فإن أثر الاستمداد منها لائح واضح، وقد أسفر البحث عن بعض تجلياتها؛ وذلك بعرض أشباهها ونظائرها؛ إذ من العسير تحديد عينها.

وتدور هذه المصادر في فلك الدواوين الأدبية، والكتب التاريخية، وكتب التراجم والبلدان، التي جاء التأليف زاخرًا بها.

طريقة المؤلِّف مع مصادره

تراوحت الطريقة التي تعامل به الهلالي مع مصادره –أقصد: الوطيدة– بين أمرين؛ وهما: العزو إليها وعدمه.

(١) انظر: (ص٢٦٥).
(٢) انظر: (ص٣٧١-٣٧٢) (اللسان الآرامي).
(٣) انظر: (ص٣٨١) (اللسان الآرامي).

١- العزو إلى المصادر.

يتعلق الأمر بمصدرين هما عمدة الكتاب؛ **وهما:**

أ- «تاريخ اللغات السامية» لإسرائيل ولفنسون، **وقد صرح بالنقل عنه في موضعين:**

أولهما: في جواب السؤال (٣٤)؛ حين حديثه عن أطوار اللغة العبرية، يقول: قال ولفنسن في (ص٨١): «ينقسم تاريخ اللغة العبرانية منذ نشأتها عند بني إسرائيل إلى طورين مختلفين»[(١)].

ثانيهما: في جواب السؤال (٣٨) يقول -في معرض الحديث عن تفشي الآرامية بين اليهود-: قال الدكتور ولفنسون بعد كلامٍ مماثلٍ لما ذكرنا (ص٩٧): «ولكن الآرامية رسخت قدمها برغم هذه الجهود»[(٢)].

ب - «دروس اللغة العبرية» لربحي كمال؛ **حيث صرح بالنقل عنه في موضعين- أيضًا -:**

الأول: في جواب السؤال (٤١)؛ الذي هو ملخص لنشأة اللغة العبرية... يقول فيه: «قال الأستاذ ربحي كمال في كتابه «دروس اللغة العبرية» ما نصُّه (ص ٣٣): «دلَّ الاستقراء العلمي على أن اللغة العبرية القديمة قد نشأت في أرض كنعان»[(٣)].

---

(١) انظر: (ص٢٨٥).
(٢) انظر: (ص٢٨٨).
(٣) انظر: (ص٣٠١).

الثاني: في جواب السؤال (٤٣)؛ وهو جواب عن كيف تطورت اللغة العبرية، وفيه قال: «جواب هذا السؤال أنقله من كتاب «قواعد اللغة العبرية»[(١)]؛ لأنه قد استوفى القول فيه وأجاده أحسن الإجادة، ثم رأيته طويلًا؛ فقرَّرت اختصاره، وإحالة من سمت همَّته من الطلبة على قراءة الأصل، قال ما نصُّه...»[(٢)].

والعجيب أنَّ الهلالي قد تابعه في وهم[(٣)] وقع له، ولم يتفطَّن لذلك!

٢ - عدم العزو إلى المصادر.

أ -كتاب «تاريخ اللغات السامية»، لم يتم العزو إليه إلا في موضع واحد؛ وهو جواب السؤال (٦)، حيث جيء فيه بجدول يبين مقدار التشابه بين اللغات السامية، وهذا الجدول مأخوذ من كتاب ولوفنسون[(٤)]، يقول الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... ما هو مقدار تشابه اللغات السامية وتقارب ألفاظها وتباعدها؟

ج: دونك جدولًا يشتمل على مائة واثنتي عشرة كلمةً بأشهر اللغات السامية...»[(٥)].

ب - كتاب «دروس اللغة العبرية»، أُغفِلَ العزو إليه إلا في موضع واحد -أيضًا-؛ وهو جواب السؤال (٤٤)، وقد جاء الحديث فيه عن تطور اللغة العبرية في العصر الحديث، يقول:

---

(١) أصل عنوان الكتاب هو «دروس اللغة العبرية».
(٢) انظر: (ص٣٠٣-٣٠٤).
(٣) انظره (ص٣٢٨).
(٤) انظر: «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣).
(٥) انظر: (ص٢٤٧-٢٤٨).

«...قد علمنا تطور اللغة العبرانية من أول نشأتها إلى العصر الحديث، فهل لك أن تحدِّثَنا عن تطورها في العصر الحديث؟

ج: ازدادت عناية اليهود باللغة العبرية منذ القرن التاسع عشر؛ فوسَّعوا نطاق استعمالها في الشؤون العلمية والأدبية»[١].

والملاحظ أن الهلالي لم يعتمد مصادر كثيرة؛ وذلك لسلوك سبيل الإيجاز، أضف إلى ذلك: اطلاعه الواسع الذي مكَّنه من تنزيل المعرفة وليدة فكره.

أما عدم الإحالة في السؤال (٤٤)؛ فذلك آيل -ربما- لاستغنائه بالعزو في السؤال (٤٣)؛ لأن بين السؤالين تداخل وترابط كبير.

تراجم أصحاب المصادر التي نقل منها الهلالي

- **ربحي كمال**[٢].

من المتخصصين في الدراسات اللغوية العربية والسامية، ولد في القدس سنة ١٣٣١هـ- ١٩١٢م، ويعتبر من الدارسين البارزين للغة العبرية والآرامية، قضى حياته في دراسة علوم اللغة، وأتقن العبرية أكثر من اليهود، وخاصة في تلاوة «التوراة» والمزامير؛ فحاولوا إغراءه بالعمل معهم؛ فرفض!

لجأ مع أسرته إلى دمشق إثر النكبة؛ فاشتغل بالتدريس في ثانوياتها، وانتقل

(١) انظر: (ص ٣٢٥).

(٢) ترجمته في: «أعلام فلسطين» (٣/ ١١٤-١١٧)، جريدة «الدستور» الأردنية ٢٧/ ١/ ١٩٧٩م، مجلة «الفيصل»، عدد (٢٣)، جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ، وأعدَّتْ (سيما أوستر) أطروحةً للدكتوراه في كتابه «دروس اللغة العبرية» بجامعة تكساس - الولايات المتحدة الأمريكية.

مدرسًا للعبرية والسُّريانية والآرامية في كلية الآداب بجامعتها، ونفذ برنامجًا بالعبرية في إذاعتها، كما درَّس العبرية بوزارة الدفاع السورية منذ عام ١٩٤٨م، ولما بلغ الستين حصل على درجة الدكتوراه من جامعة مدريد، عمل محاضرًا للعبرية في جامعة بيروت العربية، ومحاضرًا لها وللسريانية واللغات المقارنة في الجامعة الأردنية، ومحاضرًا للغات القديمة وآدابها بالجامعة الأردنية، انتخب عضوًا في الاتحاد العام للكتَّاب والصحفيين - فرع سوريا، توفي في عمان سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.

له عدد كبير من المؤلفات والأبحاث والكتب المدرسية، ومما وقفتُ عليه من عناوين كتبه: «دروس اللغة العبرية» دمشق - مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٨هـ، (٥٩٩ ص)، ط٣، دمشق - جامعة دمشق، «المعجم الحديث، عبري - عربي، للمترجم وللطالب الجامعي» بيروت - دار العلم للملايين، ١٣٩٥هـ، (٥٦٧ ص)، «التضاد في ضوء اللغات السامية» بيروت - دار النهضة العربية، ١٣٩٥هـ، (١٢٢ ص)، «العبرية من غير معلم، طريقة سهلة لتعليم اللغة العبرية»، بيروت - دار العلم للملايين، وكان قد بدأ بإعداد «معجم مقارن للغات السامية (العربية والعبرية والسُّريانية والآرامية)».

- إسرائيل ولفنسون[(١)].

(١) مصادر ترجمته في: «المستشرقون» (٢/ ٧٦٢ ط. دار المعارف -مصر) لنجيب العقيقي، «بنو إسرائيل في القرآن» (ص٢٦٤) للبهي الخولي، «اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي ١٩٤٨ - ١٩٥٦م» (ص٢٧، ٢١٠) للدكتور نبيل عبدالحميد سيد أحمد، «أعلام وأقزام» (١/ ٢٥١ - ٢٥٢)، «فساد نظرية الجنس السامي واللغة السامية» (١٦ - ١٧)، مجلة «المجمع العلمي العربي»، مجلد (٧)، =

أبو ذؤيب إسرائيل ولفنسون (١٨٩٩ - ١٩٨٠م)؛ مستشرق يهودي أشكينازي، وباحث ومؤرخ، اشتهر بمؤلفاته عن تاريخ اليهود في بلاد العرب، واللغات السامية، وعدَّ من أعلام التراث العربي والإسلامي، وقد كتب مؤلفاته -تلك- بالعربية إبان الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي.

أهميته تتمثل في أمرين:

الأول: له علاقة بما ألَّفه من كتب ودراسات باللغة العربية؛ لأنها ما زالت المراجع الأولية فيما يتعلق بتاريخ اليهود في التراث العربي والإسلامي.

أمَّا الأمر الآخر: فيتعلق بشخصه؛ فهو شخصية مُلْبِسة، غامضة، يتعسَّر على المطَّلع عليها الوقوف على كنهها، إلَّا بفض مغلق وحيد من مغاليق شخصيته تلك؛ وهو اعتزازه بيهوديته.

وإسرائيل ولفنسون شخصية محيِّرة، تقلَّبت في أدوار منفصلة بعضها عن بعض، وإن كان يجمع بينها -جميعًا- خيط واحد، شديد الرهافة في أوله، سميك بادي المعالم في وسطه وأخراه، وهو ما يتمثل في يهوديته، واعتزازه الشديد بها، ثم -من بعد ذلك- تأثره ببواعث الحركة الصهيونية، لا بفضل ما كانت تطمح إليه -وما زالت- من ظفر سياسي، وغلبة القوة والسطوة،

= الجزء (١١، ١٢)، كانون أول ١٩٢٧م، (ص٥٥٤ - ٥٧٣)، ومجلد (١٧)، جزء (٥، ٦)، سنة ١٩٤٢م، (ص٢٦٥-٢٨١)، ومجلد (٨١)، الجزء الأول، يناير ٢٠٠٦م، (ص١٨٥ - ١٩٦)، بحث الأستاذ رامي الجمل (إسرائيل ولفنسون: اليهودي التائه والمستشرق الأريب) المنشور على الشبكة العالمية، مجلة «أكتوبر»، مجلد (٢٨)، الأعداد (١٤٢٨ - ١٤٣٥).

ولكن؛ بفضل ما سيعقب ذلك من إحياءٍ لأوصال ديانته الأثيرة لديه، ونفخٍ في روحها يضمن عودتها إلى الحياة مستأسدة غير وانية.

وُلد إسرائيل ولفنسون عام ١٨٩٩م لأسرة يهودية أشكينازية من المهاجرين القدامى، ودرس بفلسطين، وتعلَّم اللغة العربية والعلوم الإسلامية واليهودية، ثم سافر إلى مصر، والتحق -هناك- بالجامعة المصرية، وصار أول طالبٍ يهودي يحصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية، بإشراف أستاذه الدكتور طه حسين(١)، ألَّف عددًا من الدراسات الهامَّة فيما يتعلق بالتراث اليهودي والإسلامي المشترك؛ نذكر منها: «تاريخ اليهود في بلاد العرب» (١٩٢٧)، «تاريخ اللغات السامية» (١٩٢٩)، «موسى بن ميمون» (١٩٣٦)، وقد كتب عددًا من المقالات والأبحاث في عدد من الصحف والدوريات المصرية، ثمَّ سافر -من بعد- إلى ألمانيا، وحصل -هناك- على درجة الدكتوراه من جامعة يوهان فولفجانج جوته عام ١٩٣٣م، وأطروحته عن «كعب الأحبار وأثره في كتب الحديث والقصص الإسلامية»، ثمَّ عاد -بعد ذلك- إلى مصر أستاذًا للغات السامية بكلية دار العلوم العليا؛ التي يبدو أنه كان يعمل بها أستاذًا حتى قبل سفره إلى ألمانيا.

وعلى الرغم من استقراره بمصر، وعلوِّ مكانته بها، ومشاركته في الأنشطة الأكاديمية والثقافية في زمنه؛ نجده قد اعتراه تحوُّل فجائي دفعه إلى ترك ذلك -كلِّه-، والرجوع إلى فلسطين أواخر عام ١٩٣٤م؛ تلبية لنداء الواجب الذي شعر به -آنذاك-، فاشتغل قليلًا بالجامعة العبرية بالقدس، ثم عيِّن عام

---

(١) انظر -لزامًا-: ما سيأتي (ص٧٧).

١٩٤١م موجِّهًا عامًّا لتدريس اللغة العربية بالمدارس اليهودية، وفي أثناء ذلك ألَّف كتبًا تعليمية في اللغة العربية؛ تيسيرًا على التلامذة والأساتذة، وكان -إذ ذاك- يسعى -بكل ما أوتي من قوة- إلى نشر اللغة العربية بين مهاجري اليهود؛ لأنه كان يشعر بأهمية هذه اللغة، وأن الثقافة العبرية اليهودية لا يمكن فصلها عن الثقافة العربية الإسلامية.

المتتبع لأعمال إسرائيل ولفنسون العربية يلاحظ تغيرًا مستمرًّا يعتري أسلوب تفكيره، والوجهة التي يتناول بها أبحاثه؛ فهو في «تاريخ اليهود في بلاد العرب» -المنشور سنة ١٩٢٧م- أقل حظًّا من ناحية التوثيق العلمي، والرصانة الأكاديمية، ولكنه موفور الحماس، متَّقد الذهن فيما يعرضه من قضايا، إلَّا أنه بالغ في اعتماده على أعمال المستشرقين، وكان -في أغلب الأحيان- تبعًا لهم، لا يكاد يخرج عن أفلاكهم حتى يعود إليها، كما أنه يعمل جاهدًا في طيَّات كتابه من أجل توكيد أمرين: علوُّ مكانة اليهودية في الجزيرة العربية قبيل الإسلام، وأثرها في الإسلام كعقيدة وفي العرب المسلمين، والأمر الآخر يتمثل في محاولته إثبات قرابة اليهودية للإسلام أكثر من غيرها من الديانات، وقرابة بني إسرائيل للعرب أكثر من غيرهم من الشعوب، وهذا أمر له ما يسوغه، فهو من موقعه كطالب، ثمَّ أستاذ للدراسات السامية داخل أهم معقل من معاقل العلم، والدراسة الأكاديمية في العالم العربي -آنذاك-؛ **يحاول أن يطرح صيغة من صيغ التعايش ما بين العرب واليهود، مبرزًا ما كان لليهود من فضائل ومزايا، فالكتاب -إذن- ليس كتابًا خالصًا للعلم؛ بل هو في**

منزلة بين منزلتين: منزلة العلم، ومنزلة السياسة والمداورة، وقد نجح في بلوغ مآربه إلى حدٍّ بعيد.

ثم يخرج علينا بعد ذلك بكتاب «تاريخ اللغات السامية» المنشور ١٩٢٩م -وهو الذي نقل منه المصنف التقي الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ-؛ فنجد أن أسلوبه ومنهجه قد مسَّهُما شيء من النضج الفكري، فقد حاول أن يثبت في هذا المصنف بعض آرائه الخاصَّة بتاريخ تطور اللغة العربية ولهجاتها، وقد عرض الكتاب على المستشرق الألماني الكبير إنُّو لِتمان[١] (الذي كان يعمل أستاذًا بالجامعة المصرية -في ذلك الوقت-)، وقد مدحه لِتمان على ما بذله من جهد، إلَّا أنه انتقد آراءه الجديدة الخاصَّة بتاريخ اللغة العربية ولهجاتها،

(١) ولد سنة ١٨٧٥م، كان أستاذ اللغات الشرقية في توبنجين، وفي الجامعة المصرية عند إنشائها، ثم في جامعات ألمانيا، والولايات المتحدة، وقد اشترك في بعثات التنقيب إلى سوريا وفلسطين والحبشة، وفي تحرير دائرة المعارف الإسلامية، وفي مؤتمرات المستشرقين وحلقات الدراسات الشرقية، وأنشأ «المكتبة الحبشية لدراسة لغات الحبشة وأدبها وتاريخها»؛ فأصدرتها مكتبة جامعة برنستون عن دار بريل في ليدن سنة ١٩٠٤م، وانتخب عضوًا في جمعيات ومجامع علمية؛ منها: المجمع اللغوي بمصر؛ فأسهم في أعماله بما كان يقدمه له من المباحث الطريفة في اللغات الشرقية، ولا سيما في العربية ولهجاتها، وكان يكتب بها كتابة أبنائها، وقد وُضِع كتاب لتكريمه بعنوان «الدراسات الشرقية» (ليدن ١٩٣٥م)، وتوفي سنة ١٩٥٨م.
وآثاره تربو على (٥٥٠) بين مصنَّف ومحقَّق ومترجَم، وبين تراجم وفهارس ودراسات تناولت علاقة الشرق بالغرب، وتراجم المستشرقين، والتعليق على منشوراتهم، واللغات السامية وكتابتها، والشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، والحبشة، في جغرافيتها وتاريخها وحضارتها.
ترجمته في: «معجم أسماء المستشرقين» (٦٢٨).

وقد أثبت ولفنسون تلك الملاحظات والنقود -جميعًا- في ذيل الكتاب بعد أن ترجمها من الألمانية إلى العربية، وقد ظلَّ كتابه هذا هو المرجع الوحيد بالمكتبة العربية الذي يتناول هذا الموضوع **على وجه متقن**، وذلك؛ حتى ظهور ترجمات كتب برجشتريسر، بروكلمان، وموسكاتي، ولابد -هنا- من الإشارة إلى أن معارف ولفنسون في هذا المجال كانت قاصرة بمقاييس الحاضر، ولا يمكننا أن نعدَّ ذلك تقصيرًا من قبل ولفنسون؛ لأن المعارف والدراسات الخاصَّة بهذا الحقل تطورت تطورًا كبيرًا بُعيد نشر الكتاب، وتم الكشف عن كثير من النقوش والآثار التي غيَّرت مسار هذا الحقل وأثرته إثراءً عظيمًا، لا سيما اكتشافُ النقوش الأوجاريتية في رأس شمر شمال اللاذقية عام ١٩٢٨م، وفكُّ رموزها على أيدي باور H. Bauer، وفيرولو C. Virolleaud، ودورم E. Dhorme عام ١٩٣٠م.

قال الهلالي في مقالته (دروس في التفسير)(١):

«اعترف مؤلِّف «تاريخ يهود الحجاز» (ولفنسون) أستاذ اللغات السامية في الجامعة المصرية بأن النبي ﷺ سلك مع يهود الحجاز مسلك العدل والإحسان والتسامح، ولم يلجأ إلى قتالهم إلا بعد أن تكرر غدرهم واشتد عداؤهم له، هذا معنى كلامه، والفضل ما شهدت به الأعداء».

وقال في مقالته (من مآثر الرسول)(٢):

(١) المنشورة في مجلة «الثقافة الاسلامية» البغدادية، السنة الثانية، العدد (٣٥)، السبت ٦ جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ يوافق ٢٨ كانون الأول ١٩٥٧م، (ص٣ - ٤).
(٢) المنشورة في مجلة «الإرشاد» المغربية، السنة الثانية، العدد الأول، جمادى الثانية ١٣٨٨هـ - شتنبر ١٩٦٨م، (ص١١ - ١٤).

«لا تخفى على أحد له إلمام ومعرفة بتاريخ الدَّعوة المحمَّدية؛ شدَّةُ عداوة اليهود لهذه الدَّعوة المحمَّدية، وما بذلوه من الجهود للقضاء عليها من أوَّل هجرة النَّبي ﷺ إلى المدينة، إلى وفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وعلى قدر ما كان النَّبي ﷺ يبذُل من الجهود في مسالمتهم، والصَّبر الجميل على مكايدهم؛ كانوا هم على عكس ذلك، لا يَدَّخرون وُسعًا في القضاء على دعوته.

ولمن كانت العاقبة يا تُرى؟

كانت لمحمَّد رسول الله ﷺ، ولمَن اتَّبعه من أصحابه فمَن بعدهم، ومَن ارتاب فيما ذكرته؛ فليقرأ كتاب «تاريخ يهود الحجاز» لإسرائيل وِيلْ فنانْ، أستاذ اللُّغات السامية -سابقًا- في جامعة القاهرة، وهو أستاذ في الجامعة العبرية في بيت المَقدِس -في الوقت الحاضر-، فقد شهد هذا العالِمُ اليهودي بأنَّ كلَّ ما أصاب يهود الحجاز في حروبهم مع النَّبي ﷺ؛ كانوا هم السبب في ذلك، قال: وقد بذل محمَّد كلَّ جُهدٍ لمسالمتهم؛ فأبوا إلَّا محاربته، فليس لهم إلَّا أن يلوموا أنفسهم».

قال أبو عبيدة: يضاف إلى كلام العلَّامة التقي الهلالي: أنَّ **منطلق ولفنسون اليهودي في تخطئته يهود الحجاز؛ ليس حبًّا للنبي ﷺ ودينه، وإنما هو شيء آخر**، أفصح عنه في كتابه «تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام»، وقال فيه(١):

---

(١) (ص١٤٢ - ١٤٣).

«لكنَّ الذي يلامون عليه -بحق-، والذي يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين -على السواء-: إنما هو تلك المحادثة التي جرت بين قريش الوثنيين؛ حيث فضَّل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية، كان من واجب هؤلاء اليهود ألَّا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش، وألَّا يصرِّحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي، ولو أدَّى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم؛ لأنَّ بني إسرائيل الذين كانوا مدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين، والذين نُكِبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد في عصور شتَّى من الأدوار التاريخية؛ كان من واجبهم أن يضحُّوا بحياتهم وبكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين، هذا؛ فضلًا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم، ويناقضون تعاليم «التوراة» التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام، والوقوف منهم موقف الخصومة».

ذلك أنَّ ولفنسون يرى أنَّ الإسلام فرع من اليهودية، وتفرَّع عنها! فهو -أولًا وآخرًا- يمدح اليهودية، وإن جاء ذكر النبي ﷺ في هذا السياق؛ فهو لا يريده أصالة، وإنما يريد ديانته اليهودية، فتأمَّل ولا تعجب(١)!

وقال تقي الدين الهلالي في رسالة إلى صديقه ربحي كمال:

«وقد صدق ولفنسون في انتقاده اللغويين من العرب حيث قال في كتابه «تاريخ اللغات السامية» (ص٢١٧):

(١) انظر -لزامًا-: ما سيأتي (ص٧٨-٧٩) بهذا الخصوص؛ فهو (مهم).

«ولكن مما يؤسف له أشد الأسف! أن جميع علماء اللغة من المسلمين لم يكونوا يعرفون شيئًا من اللغات السامية كالعبرية والسُّريانية معرفة صحيحة؛ فنشأ عن ذلك أنهم لم يوفَّقوا إلى بيان المعاني الدقيقة التي يؤديها كثير من الكلمات العربية في أصل وضعها، ونشأ عن ذلك -أيضًا- وقوعهم في أغلاط فاحشة فيما يتعلق بفهم اشتقاق الكلمات؛ لأنه ليس من الممكن في كل الأحوال أن يهتدي الباحث إلى أصل اشتقاق الكلمة إذا اقتصر في بحثه على لغة سامية واحدة»»[١].

- **باول كاله**[٢].

ابتدأت علاقة الهلالي مع أستاذه باول كاله من خلال الدبلوماسي الألماني كيرت بروفر (١٨٨١ - ١٩٥٩م) الذي كان -آنذاك- مديرًا لشعبة الموظفين في وزارة الخارجية الألمانية، وقد اتصل به شكيب أرسلان[٣] عما إذا كان من الممكن إرسال باحث عربي إلى ألمانيا لبضع سنوات، للانخراط في منحة دراسية، وكان هذا الباحث العربي تقي الدين الهلالي، ونقل بروفر الرسالة إلى كاله ورحَّب كاله بانضمام الهلالي إلى شرقيين آخرين، كانوا يدرسون معه.

(١) انظر: كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٧١١ - ط الأولى)، وستأتيك أمثلة على هذا في (ص١٩٣)؛ ففيه تفصيل الهلالي لهذا الإجمال.

(٢) يثبته الهلالي (كالي) -أحيانًا-؛ فرسمناها (كاله)، وهو مشهور هكذا في الكتب التي اعتنت بالمستشرقين وتراجمهم.

(٣) انظر تفصيل علاقة الهلالي به: في رحلته المسماة «رحلة من الزبير إلى جنيف» (٥٣ - ٨٦، بتحقيقي)، يسَّر الله نشرها بخير وعافية.

وأصبحت العلاقة بين الهلالي وأستاذه الألماني كاله متينة وعميقة وبقيت مستمرة فترة طويلة من الزمن(١)؛ إذ بقيت إلى أن رجع الهلالي إلى المغرب واستقر فيها، وكان يرسل إليه مجلته «لسان الدين»(٢)، وكان الهلالي يذيع أخلاق أستاذه؛ فها هو يكتب لصديقه العلامة محمد بهجة البيطار وهو في (بون) في ٣ رمضان المعظم عام ١٣٥٥هـ ما رسمه:

«كتبتُ ما تقدَّم ثم ذهبتُ إلى الجامعة على عادتي في المساء، واشتغلتُ مع الأستاذ كاله مدير شعبة المشرقيات حتى الساعة الثامنة، ولما أردنا الانصراف سبقني؛ فلبس ثم دعاني، فوجدتُ جُبَّتي -أعني: باردسي- بيديه، فألبسني إياه كما يفعل الخادم أو الحلاق أو الرجل بضيفه العزيز، وقال لي: (لقد تأخرنا! فإن كنتَ تظن أنك لا تجد طعامًا في محلِّك؛ فتعال معي)، وكان قد تلفن(٣) لزوجته قبل ذلك، وفهمتُ من كلامه أنه يسألها عن الطعام، وأن العشاء فيه سمك، ولم أدرِ لِمَ؟! إِذْ ليست له عادة أن يسألها؛ فعلمتُ أنه سألها لأجلي، ثم أخذ حقيبتي وناولني إياها!

هذا وهو رئيسي! فقد حيَّرتني أخلاق هؤلاء القوم، وإنْ كنا من قبل لفي ضلال مبين؛ إذ كنا نظن أن الكرم وحسن الأخلاق والمروءة وَقْفٌ على بعض قومنا؛ فهذا شيء يحيِّر الألباب من جميع الناس لا من واحد أو مئة أو ألف، **ومن ذلك تعلم أن قومنا إنما أُتوا من قبل الأخلاق!**

(١) انظر عنه: كتابنا «رسائل العلامة الهلالي» (١/ ٣٦١، ٤٠٠ - ط الأولى).

(٢) ومع ذلك؛ ردَّ عليه ضمن ردِّه على منكري الإعراب في كتابه «تقويم اللسانين» (ص١٨٦ - بتحقيقي)، وردَّ عليه -أيضًا- العلَّامة اللغوي القدير رمضان عبدالتواب في كتابه «فصول في فقه العربية» (ص٣٧٩ - ٣٨٠).

(٣) أي: اتصل بها بالهاتف.

والحاصل: لا أقدر أن أصف لك مقدار حسن أخلاق هؤلاء القوم، والغريب بينهم لا يحس بغربة أبدًا، وحسبي أن أقول: إنهم وأهل نَجْد على طرفَيْ نقيض»(١).

ويكتب -أيضًا- في ١٦ أكتوبر ١٩٣٦م- ١٣٥٥هـ للعلَّامة نفسه:

«واليوم بدأتُ العمل مع البروفسور كاله مدير شعبة المشرقيات، ونحن نترجم شيئًا من «خطط المقريزي»، وذلك وصفه لانقراض دولة العبيديين، وما نهب من خزائنهم(٢).

وقد فرح بي الأستاذ كاله، ودعاني أمس للنزهة في سيارته مع زوجته وأولاده، واليوم دعاني للعشاء، وقال لي: (الليلة تطهي زوجتي أرزًّا بيدها؛ فأريد أن نتعشى جميعًا)»(٣).

وقال: «وأنا جادٌّ في تعلم اللغة الألمانية عند أحد رفقائي الدكتور باولي -وهو نائب مديرنا- مبادلة: أعلِّمه درسًا بالعربية، وهو يعلمني آخر بالألمانية»(٤).

---

(١) «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٨٢٦ - ط الأولى).

(٢) لم يذكره العلَّامة أيمن فؤاد السيد في كتابه «المقريزي وكتابه المواعظ والاعتبار»، وقد جوَّده واستوعب فيه الدراسات حول المقريزي وتعرض لكتابات المستشرقين عنه!

(٣) «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٨٣٥ - ط الأولى).

(٤) «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٨٣٥ - ط الأولى)، ثم تطوَّر الأمر؛ فدرَّس الهلالي ولد أستاذه كاله -واسمه (هانز)- دروسًا في العربية؛ استفدته من مراسلة لتقي الدين الهلالي بالألمانية، وهي مؤرَّخة بتأريخ ٣ يونيو ١٩٥٨م.

وكان الهلالي هو الواسطة بين كاله والعلَّامة شكيب أرسلان، فها هو يكتب للأخير:

«التمس مني البروفسور باول كاله أن أكتب إليكم، وألتمس منكم أن تكتبوا إلى بعض الإخوان في فاس أن يبحث في المدرسة العنانية عن أوراق من رق الغزال تتضمن تاريخ القوط؛ هل هي موجودة أم لا؟ وإن كانت موجودة؛ فهل يمكن أخذ صورة عنها بفوتوجراف أم لا؟»(١).

وأشاد كاله بالهلالي في مؤتمر المستشرقين في سبتمبر سنة ١٩٣٨م في بروكسل(٢)، بقوله في عمله معه في ترجمة «المسرحيات الثلاث» لابن دانيال: **«لقد استمتع الباحث العربي المتميز البروفسور تقي الدين الهلالي بالعمل معي، فكانت هذه المساهمة الهامة، ونأمل في نشر النص العربي(٣) مع ترجمة له قريبًا»**.

(١) «رسائل الهلالي الشخصية» (٣/ ١١١٧ - ط الأولى).

(٢) انظر عنه: مجلة «الرسالة» المصرية، السنة السادسة، العدد (٢٧٤) بتأريخ ٩ شعبان ١٣٥٧هـ - ٣ أكتوبر ١٩٣٨م (ص١٦١٠ - ١٦١٣) مقالة الدكتور مراد كامل بعنوان (مؤتمر المستشرقين العشرون) المنعقد في مدينة بروكسل من ٥ إلى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨م.

(٣) للأسف! لم ينشر العمل المشترك في «خيال الظل» لابن دانيال، وقد يسر الله -تعالى- لي تحصيل أصوله من مكتبة تورينو في شمال إيطاليا، برقم (ABC - ٥٨١)؛ حيث آلت مكتبة باول كاله، وهو غير مشروع الترجمة الذي نشره الهلالي بالعربية في بغداد عن مطبع الاعتماد؛ وهو تعريف بهذا الكتاب، ونبذ تعريفية بـ«المسرحيات الثلاث» لابن دانيال؛ إذ ظفرتُ -بعد نشر الهلالي لهذا التعريف- بمراسلات له كثيرة مع باول كاله، وما من مراسلة إلا ولها ذكر لهذا الكتاب، وكانا يسمِّيان تحقيق هذا الكتاب بـ(أعمال ابن دانيال).

ولا أكتم القارئ أني لولا هذه المراسلات؛ ما استطعت التمييز بين تحقيق «طيف =

ووصف كاله العمل الذي استمر مع الهلالي أربعة عشر يومًا بأنه لا ينسى!

واعتبر كاله أنه كان أكثر حظًّا من أستاذه وصديقه جورج يعقوب[(١)] (ت ١٩٣٧م) الذي قد بدأ بالفعل في تحرير العمل نفسه، وحاول فهم هذه النصوص بمساعدة من حين لآخر من المستشرقين البارزين، مثل: نويلديكي، غولد زيهير، دي غويجي، سنوك هوب غرونجي، وغيرهم، ولكن ما استطاع الاستمرار في ترجمة هذا الكتاب.

= الخيال» -بكماله وتمامه من قبل الهلالي وأستاذه كاله-، وبين ما نشره كلٌّ منهما -الهلالي بالعربية، وكاله بالألمانية والإنجليزية-.

وكانت هذه المراسلات بعدة لغات: الجرمانية والإنجليزية والفرنسية والعربية، وامتدت فترة طويلة من الزمن؛ فأول رسالة وقفتُ عليها في ٣/ ٤/ ١٩٣٩م، وآخر رسالة فيما بعد سنة ١٩٥٥م، وهي غنية ومهمة، وستظهر -إن شاء الله- في الطبعة الثانية لكتابي «رسائل الهلالي الشخصية»، وفيها زيادات كثيرة.

(١) ويقال له: ياكوب جورج (١٨٦٢ - ١٩٣٧م) G. Jacob، ولد في كوينسبرج، وفقد أباه صغيرًا؛ فكفلته أمه، وتعلَّم في ليبزيج، وستراسبورج، وبرسلاو، وإرلنجين، وبرلين، ثم نال الدكتوراه من ليبزيج (١٨٨٧م)، وكان لإدوارد رويس من جامعة ستراسبورج أثر عميق في توجيه دراساته عن علاقة العربية -لغة وحضارة- بلغات أوربا الشمالية وحضارتها، توجيهًا علميًّا حديثًا، وقد عمل مدة في مكتبة برلين ونال شهادة الأستاذية من جرايفسفالد (١٨٩٢م)، وزار الأستانة (١٨٩٥م)، وتعلَّم التركية وأسس دراساتها في ألمانيا، وعيِّن أستاذًا في هاله (١٨٩٦م)، وفي إرلنجين (١٩٠١م)، وفي كييل (١٩١١م)، وعني بالسنسكريتية، والصينية، وشكسبير، وعلم الحيوان والنبات حتى أصبح مديرًا لحديقة الحيوامن الشرقية في ألمانيا، وقد صنف كتاب باسمه لتكريمه (ليبزيج ١٩٣٢م).

ترجمته بقلم ليتمان في «المجلة الشرقية» الألمانية ١٩٣٧م، وله ترجمة في: «معجم أسماء المستشرقين» (٧٣٠)، «طبقات المستشرقين» (٢١٧).

وهذه ترجمة تفصيلية[١] له؛ يتبين من خلالها تأثر الهلالي وعنايته باهتمامات رفيقه كاله[٢]:

هو باول إيرنست كاله Paul Ernst Kahle، مستشرق ألماني، اختص بتحقيق النص العبري للكتاب المقدس.

ولد في ٢١ يناير ١٨٧٥م في هوهنشتين Hohenstein (في بيروسيا الشرقية)،

(١) معذرة أخي القارئ على التطويل، ولكني أردت (البرهنة) من خلاله على تأثر العلامة الهلالي بصديقه هذا في تتبع تأريخ «التوراة»، وترجماتها، ولغتها، وسبق ظهور هذا جليًّا على قلم الهلالي لما كان يكتب لصديقه العلَّامة محمد ربحي كمال، وقد سبق بعضها، وشتَّان بين قصدَيْ الهلالي وكاله!!
ومن الجدير بالذكر أن الدراسات التي تخص الترجمات العبرية، والعلاقات بين المسلمين والنصارى واليهود لها جذور قديمة عند جمع من الألمان، بل حاول مجلس «الجمعية الألمانية الشرقية» جمع جميع ما طبع من نصوص عربية في أوروبا حتى سنة ١٨١٠م، إلا أنه توقَّف بسبب الحرب العالمية الأولى، انظر ما كتبه يوهان فوك: في «الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين» (ص٣٩٠-٣٩٥).

(٢) مصادر ترجمته: «موسوعة المستشرقين» (٣١٦-٣٢٠)، «طبقات المستشرقين» (١٦٩ - ١٧٠) «معجم أسماء المستشرقين» (ص٥٥٥)، «آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية» (١٢١، ١٩٩)، «الاستشراق الألماني، تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية» (٥٨)، «المستشرقون» (٢/ ٧٨٩ - ٧٩٠) لنجيب العقيقي، «التراث العربي والمستشرقون» (٣٧)، «المستشرقون والتنصير» (١٣١-١٣٢).
Johann Fuck: Paul Ernst Kahle, in ZMG bd116 (1966) s. 1-7.
والرسائل المتبادلة بين كاله وتقي الدين الهلالي: غنية جدًّا في بيان علاقات كاله الواسعة مع عدد كبير من المستشرقين، وموقفه من بعض المسائل، كما أنها ثرية في حياته الشخصية، ومؤلفاته وأبحاثه، وأطوارها، مع أسفاره، وبيان المؤتمرات التي شارك فيها، وهذه «الرسائل» وغيرها كثير من **الزيادات المهمة** على (الطبعة الأولى) من كتابي «رسائل تقي الدين الهلالي الشخصية».

وكان أبوه مدرِّسًا في المدارس الثانوية، ثم مفتِّشًا للتعليم، وبدأ دراسته في مدارس ألنشتين Allenstein وتلست Tilsit ودانتسج Danzig، ثم دخل جامعة ماربورج Marburg في الفصل الدراسي الثاني في ١٨٩٤م ليتخصص في اللاهوت (المسيحي)، وابتدأ من الفصل الدراسي الأول ١٨٩٤-١٨٩٥م، بدأ في تعلم اللغة العربية، وواصل هذه الدراسات منذ أكتوبر ١٨٩٦م في جامعة هلَّه Halle، حيث درس على يد بريتوريوس اللغة العربية والحبشية والعبرية والآرامية، وعلى يد مايسنر Meissner درس السُّريانية، وعلى يد جورج يعقوب الشعر العربي القديم.

وحصل على الدكتوراه الأولى في ٢٣/ ٤/ ١٨٩٨م برسالة عنوانها «ملاحظات تتعلق بنقد النصوص وألفاظ اللغة في الترجوم السامري لأسفار موسى الخمس»، وسيعنى كاله في مستقبل حياته بالتوفر على الدراسات المتعلقة بالنص العبري للكتاب المقدس وترجماته ورواياته، واجتاز في أكتوبر ١٨٩٨م أول امتحان في اللاهوت.

ومن مارس حتى سبتمبر ١٨٩٩م أقام في إنجلترة، يشتغل في مكتبات لندن (المتحف البريطاني) وكمبردج وأكسفورد على مخطوطات الكتاب المقدس العبرية، واهتم خصوصًا بشذرات المخطوطات العبرية للكتاب المقدس المزوَّدة بعلامات القراءة فوق الحروف.

ومن أكتوبر ١٨٩٩م حتى سبتمبر ١٩٠١م اشتغل كطالب منحة دراسية في معهد الوعَّاظ في فتنبرج Wittenberg، ثم اجتاز الامتحان الثاني في اللاهوت، وتابع الدراسة لمدة عام في برلين.

وفي ٢ أغسطس ١٩٠٢م اجتاز في جامعة هلَّه امتحان الإجازة Liezentiatem Examen ببحث بعنوان: «النص الماسوري للعهد القديم من الكتاب المقدس»، وفي هذا البحث كشف أن مخطوط برلين الشرقي رقم qu.680 يحتوي على قطعة من مخطوط بابلي للكتاب المقدس جرى عليه -بقلم يمني متأخِّر على أساس الطريقة اليمنية في المخطوطات العبرية- ترقيم لضبط القراءة.

وأُلحق بخدمة الكنيسة؛ فأمضى أولًا ثمانية أشهر بوصفه نائب قسيس في مدينة برايل Braila (في رومانيا)، ومن سبتمبر ١٩٠٣م حتى نوفمبر ١٩٠٨م أقام في القاهرة بوصفه قسيسًا ومديرًا للمدرسة الألمانية، **وهنا في القاهرة اتَّجه اهتمامه إلى دراسة الإسلام**؛ فعنى أولًا بالعادات الدينية الشعبية المتعلقة بالأولياء وبالخدمات الدينية، وما يتعلق بالزار واستحضار الجن، وكذلك بخيال الظل.

وفي الوقت نفسه واصل اتجاهه الرئيسي وهو الدراسات المتعلِّقة بنص الكتاب المقدس العبري، فسافر إلى نابلس في فلسطين في عامي ١٩٠٦م و١٩٠٨م لدراسة أحوال السامريين المقيمين هناك؛ فدرس خصوصًا كيفية نطقهم للغة العبرية وقراءتهم للكتاب المقدس[(١)].

ثم عاد إلى ألمانيا في ١٩٠٨م، وفي ربيع ١٩٠٩م حصل على دكتوراه التأهيل للتدريس تحت إشراف الأستاذ بريتوريوس Praetorius في جامعة

(١) تمعَّن فيما كتبه تقي الدين الهلالي وهو في مكناس بعد التأريخ المذكور بست وخمسين سنة إلى صديقه محمد ربحي كمال يسأله: هل يوجد عند السامريين في نابلس ترجمة للتوراة بلغة فصيحة؟

هلَّه، وذلك في ميدان تخصص (فيلولوجيا اللغات السامية)، برسالة عنوانها «من تاريخ مسرح خيال الظل العربي»(١)، وفيها درس نص مسرحية من نوع خيال الظل(٢)؛ مكتوبة باللهجة المصرية العامية.

وفي خريف ١٩٠٩م اشترك في دروس بالمعهد الإنجيلي الألماني بالقدس يدور حول الآثار.

وسافر إلى إنجلترة مرة ثانية في ١٩١١م.

وفي أثناء إقامته في القاهرة عني بالمخطوطات -أو بالأحرى: المكتوبات- التي اكتشفت قبل ذلك بأعوام قليلة في «جنيزة» (سرداب أو كهف يحفظ فيه اليهود الأوراق التي يستغنون عنها) مصر القديمة، جنوبي القاهرة، واهتم خصوصًا بشذرات مخطوطة من الكتاب المقدس مزوَّدة بعلامات قراءة فوق الحروف، وبمعونتها ومعونة شذرات كانت موجودة في بطرسبرج، نشر نتائجَ

---

(١) ساعده التقي الهلالي، بل لولاه ما استطاع باول كاله أن يترجمها.
قال الهلالي: «وكان المستشرقون الألمانيون قد جمعوا مؤلَّفًا يشتمل على قصص تمثيلية لجميع شعوب العالم، فلما ظفروا بـ«طيف الخيال» ولم يجدوا للعرب غيره فرحوا فرحًا عظيمًا، ورأوه الحلقة المفقودة، ولكن عجزوا عن ترجمته؛ لأن التمثيليات بعضها بالفصحى وبعضها باللغة العامية المصرية في القرن السابع الهجري، ما بين منظوم ومنثور...».

(٢) لابن دانيال، وقد نشر الهلالي كتيِّبًا في التعريف بها.
وفي مجلة «الفتح» العدد (٦٣٩) بتأريخ ١٣ ذي الحجة ١٣٥٧هـ (ص١٢): «أتم الأستاذ الجليل صديقنا الشيخ محمد تقي الدين الهلالي هو والأستاذ الكبير باول كاله، نقل وتصحيح وترجمة المجلد الأول من كتاب «البلدان» لابن الفقيه الهمداني، وكتاب «طيف الخيال» لمحمد بن دانيال الموصلي، وفي النية تقديمه للطبع قريبًا».

بحثه في كتاب بعنوان «ماسوريات من الشرق» Masoretendes Ostens سنة (١٩١٣م)، وبيَّن فيه ما للطريقة البابلية في كتابة علامات القراءة من تأثير على نطق اللغة العبرية كما استقر فيما بعد.

وألقى محاضرات في جامعة هلَّه في عام ١٩١٣م تتناول (التلمود)، كما ألقى دروسًا في اللغة السُّريانية.

وفي صيف ١٩١٤م دُعي إلى جامعة جيسن Giessen أستاذًا للغات السامية، وفي أثناء العطلة الصيفية سافر إلى مصر، وقامت الحرب العالمية في يوليو ١٩١٤م وهو في مصر؛ فارتحل عائدًا إلى بلاده، لكنه في أثناء رحلة العودة وقع أسيرًا في أيدي الفرنسيين، ثم ما لبث أن أطلق سراحه بعد قليل، وعاد إلى جيسن في أكتوبر ١٩١٤م؛ فاستأنف التدريس، ونظَّم قسم الدراسات الشرقية في جامعة جيسن.

وفي ١٩٢٣م دعي كاله إلى جامعة بون Bonn ليخلف (لتمن)؛ فاهتم بتوسيع المعهد الشرقي Das Orientalische Seminar في جامعة بون، وصار من المراكز الرئيسية للدراسات الشرقية، وحرص على تعيين مدرِّسي لغة من جنسيات اللغات: العربية، والتركية، والأرمنية، والجورجية؛ ليستفاد منهم في النطق وفي قراءة النصوص، ونذكر من بين مدرِّسي اللغة هؤلاء:

محمد مصطفى[١]، وقد اشترك معه في نشر «تاريخ ابن إياس» المسمى

(١) هو محمد مصطفى أحمد العجمي، الشهير باسم محمد مصطفى، ولد في الإسكندرية سنة ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م، درس الطبَّ في ألمانيا، ثم تحول عنه إلى دراسة الفنِّ الإسلامي بعد تعرُّفه على أستاذه باول كاله مدير معهد الدراسات الشرقية بجامعة =

بـ«بدائع الزهور في وقائع الدهور»[(١)] عن الفترة من ٨٧٢-٩٢٨هـ بحسب المخطوط الذي كتبه ابن إياس بيده.

= بون، وعاد إلى مصر بعد أن حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي حول الفترة التي سبقت الفتح العثماني لمصر، التحق بقسم الآثار الإسلامية الذي أنشئ بجامعة القاهرة، وحصل على دبلوم الآثار الإسلامية عام ١٣٥٩هـ، وكان عضوًا بستة مجامع علمية عالمية، وحاضر في الفنون أستاذًا زائرًا في عدد من الجامعات بأوربا وأمريكا، وأصبح أول مدير للمتحف الإسلامي بالقاهرة خلفًا لمديره جاستون فيتب الفرنسي، حتى انتهت خدمته عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م)، وقد حظي بتقدير المجتمع الدولي أكثر من مرة، ومات في ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٤٠٨هـ - ١٤ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٨٧م.

من أبرز مؤلفاته تحقيق كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور» لابن إياس الحنفي، بالاشتراك مع أستاذه باول كاله، الذي استمرَّ قرابة نصف قرن (١٩٢٨ - ١٩٧٦م)، وكان سبق أن أصدر «صفحات لم تنشر من بدائع الزهور» عام ١٣٧١هـ عن دار المعارف بمصر، وله -أيضًا- دليل عن المتحف المصري باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة إلى سلسلة كتب بعنوان «مجموعات متحف الفن الإسلامي».

ترجمته في: «تتمة الأعلام» (٨/ ٣١٨)، جريدة «الجمهورية» (١٦/ ١٢/ ١٩٨٨م)، «أعلام مصر من القرن العشرين» (ص٤٤٥) (ووفاته فيه ١٩٩٠م).

(١) كتب على الغلاف في (المجلد الأول): «في ذكرى أستاذي الجليل المغفور له!! الأستاذ الدكتور باول كاله، ورمزًا للوفاء والشكر، والعرفان بالجميل، أختم بهذا القسم الأول من الجزء الأول تحقيق (نشر جميع الأجزاء الخمسة) من كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور»».

وصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٧٥م ضمن (سلسلة النشرات الإسلامية التي تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية) ثم صدرت عنها الطبعة الثانية ضمن مطبوعات مركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب، ثم أصدرته الجمعية الألمانية في دار نشرها ببيروت (فرانتس شتاينر شتوتغارت) عام ١٤١٢هـ.

كذلك دعا زكي وليدي طوغان[١] -وهو أستاذ تركي- للتدريس فترة من

(١) ولد في Koedhoen -وهي قرية من Sterlitamak uyezd سترليتاماك- في ١٠ ديسمبر ١٨٩٠م، ثم انتقل إلى باشكورستان Bashkortostan، من عام ١٩١٢م وحتى ١٩١٥م، قام وليدي طوكان بالتدريس في مدرسة في قازان، ومن عام ١٩١٥م وحتى ١٩١٧م كان عضوًا في منظمة لدعم المسلمين ونائبًا في مجلس الولاية، وفي عام ١٩١٧م انتخب إلى المجلس الوطني القومي، ومع ش ماناتوف Ş. Manatov تم تنظيم مجلس شورى بشكورستان (مجلس الشورى في أورنبورغ Orenburg) في تشرين الثاني وكانون الأول ١٩١٧م حيث كان زكي وليدي رئيس المجلس صرح باستقلال باشكورستان.

وفي ١٩١٨م و١٩١٩م قامت جماعات زكي وليدي بالحرب تحت قيادة آتامان ألكسندر دوتوف Ataman Alexander Dutov ثم تحت قيادة الأدميرال Kolchak ضد القوى البلشفية، وبعد تشكيل الجمهورية الاشتراكية الاتحادية السوفيتية الروسية (RSFSR) وُعد باستقلال باشكورستان؛ فقلب زكي وليدي الولاء مقاتلًا مع البلاشفة، ومن شباط ١٩١٩م وحتى كانون الأول ١٩٢٠م كان رئيس مجلس ثورة باشكيريا Bashrevkom، وبشعوره أن البلاشفة قد أخلفوا وعودهم؛ تحرر من كذبهم وانتقل إلى آسيا الوسطى، وفي تركستان أصبح قائدًا لحركة القومية الليبرالية، وسميت حركة معاداة السوفييت بـ(بصمجي حركت Basmachi Movement (وهي انتفاضة تركية كبيرة ضد الروس) باكسوي ١٩٩٢م (Paksoy ١٩٩٢م)، ومن ١٩٢٠م إلى ١٩٢٣م استلم رئيس الاتحاد القومي لتركستان، وفي سنة ١٩٢٣م هاجر بعد اكتشاف المخطوطات الأصلية لأحمد بن فضلان في إيران، ومن عام ١٩٢٥م عاش وليدي في تركيا، وأصبح مدرسًا وأستاذ دكتور في جامعة إستانبول، وحصل على دكتوراه دولة في ١٩٣٥م، وأصبح برفيسورًا في جامعة Bonn ما بين ١٩٣٥م و١٩٣٧م، وجامعة Göttingen ١٩٣٨ - ١٩٣٩م، وفي ١٩٥٣م أصبح زكي وليدي المنظم لمعهد الدراسات الإسلامية في العالم في جامعة إستانبول، وفي ١٩٦٧م حصل على دكتوراه شرفية من جامعة مانشستر University of Manchester، وساهم زكي وليدي في موسوعة الشعوب التركية Encyclopedia of Turkic Peoples، وكانت مقالاته عن الثقافة واللغة والتاريخ للشعوب التركية، وترجمت إلى لغات عديدة. =

الوقت، وقد نشر زكي وليدي «رحلة ابن فضلان»[(١)]، **وهي ماتعة**، وهي في وصوله إلى الدنمارك أيام المأمون.

وفي بون -أيضًا- اتجه اهتمام كاله الرئيسي إلى ميدانه الأساسي، وهو النص العبري للكتاب المقدس وترجيحاته وقراءاته، وواصل تردده على إنجلترة لدراسات وثائق جنيزة مصر القديمة، وكان معظمها قد نقل إلى إنجلترة.

وفي ١٩٢٧م أصدر (الجزء الأول) من كتابه «ماسوريات الغرب»، وهو المناظر لكتابه السابق: «ماسوريات الشرق»، وكان قد زار مكتبة لننجراد في خريف ١٩٢٦م، وهي تضم مجموعة ثمينة جدًّا من مخطوطات الكتاب المقدس المزوَّدة بعلامات القراءة، وعاونته الهيئة القائمة على هذه المكتبة بكرم فائق؛ إذ سمحت له باستعارة كل ما يحتاج إليه من مخطوطات في دراساته؛ وكان من بينها المخطوط الفريد رقم B19A، وهو قد كتب في سنة ٣٩٩هـ - يصادف ١٠٠٨ أو ١٠٠٩م، ويشمل على كل الكتاب المقدس باللغة العبرية، كما جمعه ابن أشير، وقد أصبح الأساس في النشرة النقدية المحققة للكتاب المقدس العبري التي قام بتحقيقها كاله بوصفها طبعة ثالثة

= توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في إستانبول سنة ١٩٧٠م.

وحاول الهلالي زيارته في إستانبول، فلم يستطع، ثم التقى به في ألمانيا.

(١) طبعت أكثر من مرة، انظرها في مقدمة تحقيق الدكتور حيدر محمد غيبة لـ«رسالة ابن فضلان، مبعوث الخليفة العباسي المقتدر إلى بلاد الصقالبة، عن رحلته إلى بلاد الترهك والخزر والصقالبة والروس وإسكندينافيا في القرن العاشر الميلادي (٩٢١ - ٩٢٤م)» (ص٧-٢١).

من نشرة كِتل(R. Kittels Biblia Hebraica1929–1937)، وهذه النشرة صارت المعتمدة بدلًا من النشرة الربانية الثانية للنص الذي جمعه به حاييم وساد منذ سنة ١٥٢٤م.

عرف الدكتور أحمد محمود هويدي بجهود كاله في هذا المضمار، فقال:

«وساهم بحماس كبير في بحث المخطوطات العبرية التي تعد ذات أهمية بالنسبة لتاريخ نص الكتاب المقدس، فنشر ب.كاله (P. Kahle) عن مخطوطات الكتاب المقدس العبرية وقدم صورًا طبق الأصل من سبعين مخطوطة في:

«Die hebraischen Bibelhandschriften aus Babylonien»، وأعاد العالم نفسه النظر في ملاحظات النقد النصي والملاحظات اللغوية لتفاسير الكتاب المقدس بالعبرية مستخدمًا نص الماسورا، وذلك في كتاب «Die Masoreten des Ostens» أي: «الماسورا الشرقية» «Die Masoreten des Westens» أي: الماسورا الغربية»[١].

ومن الأبحاث الأُخرى التي قام بها كاله -وهو أستاذ في جامعة بون- دراسة عن الأواني الصينية في البلاد الإسلامية؛ فدرس ما أورده المقريزي من أخبار عن كنوز الفاطميين، وأداه ذلك إلى دراسة كتاب «الجماهر في معرفة الجواهر»[٢] للبيروني، واهتم بالبحرية العثمانية، وبيَّن أن الخريطة البحرية

(١) «الاستشراق الألماني: تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية» (ص٥٨).
(٢) كانت أطروحة الهلالي بالألمانية ترجمة ودراسة مقدمة «الجماهر»، وكانت من اقتراحات هذا الأستاذ، وسيأتي -لاحقًا- ما يدلُّ عليه.

التي اكتشفت في إستانبول ١٩٢٩م-وكانت للبحَّار العثماني بيري ريِّس[(١)] في

(١) بلغت الجغرافيا البحرية ذروتها عند العثمانيين في القرن السادس عشر الميلادي؛ إذ استطاع البحارة العثمانيون -آنذاك- أن يصلوا إلى المحيط الأطلسي ويبلغوا بحر الهند، وتطورت عندهم الجغرافيا البحرية ورسم خرائط البورتلان -أي الخرائط التي تظهر السواحل-، وأول من برز في ذلك المجال هو بيري رئيس -أي: ذي اللحية الصهباء أو الحمراء- (ت ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤ - ١٥٥٥م)، وإذا علمنا أنه كان ربَّانًا على إحدى السفن في معركة مودان البحرية عام ١٥٠٠م، وكان عمره -آنذاك- بين ٣٠-٣٥ عامًا لأمكننا أن نتوقع أنه وُلد خلال ١٤٦٥ - ١٤٧٠م، وأصل اسمه بيري محيي الدين، نشأ بحارًا، واشترك مع عمه كمال رئيس (توفي في ١٦ شوال ٩١٦هـ/ ١٦ يناير ١٥١١م) في بعض المعارك البحرية، ثم جرى تعيينه قائدًا على أسطول السويس، واستطاع الاستيلاء على مسقط عام ١٥٥١م، واشتبك في البصرة مع الأسطول البرتغالي وهُزم في تلك المعركة، ثم عاد إلى مصر، ونتيجة لدسائس والي البصرة قُباد باشا تم إعدامه في مصر عام ٩٦٠هـ (١٥٥٢ - ١٥٥٣م) أو عام ٩٦٢هـ (١٥٥٤ - ١٥٥٥م) في بعض المصادر الأخرى.

والخريطة الأولى التي رسمها بيري رئيس للعالم وانتهى منها عام ١٥١٣م، ثم قدمها للسلطان سليم الأول في مصر عام ١٥١٧م تضم -في الجزء الذي وصلنا منها- إسبانيا وشرق أفريقيا والبحر الأطلسي والأقسام التي عُرفت -آنذاك- من أمريكا وجزر الأنتيل، ويدلنا ضياع قسم منها على أنها كانت خريطة للعالم، ويشار في القسم الموجود منها إلى أن الجزء الخاص بأمريكا تم نسخه من الخريطة الضائعة التي رسمها كريستوف كولومبس عام ١٤٨٩م، ومن أكثر الملاحظات المدونة إثارة للانتباه تلك الملحوظة الخامسة الخاصة باكتشاف أمريكا.

أمَّا الخريطة الثانية فهي الأخرى خريطة للعالم تحمل تاريخ عام ١٥٢٨م، ويضم القسم الذي وصلنا منها الجزء الشمالي من المحيط الأطلسي وشواطئ الشمال في أمريكا الشمالية من غرونلاند حتى شبه جزيرة فلوريدا، وأهم ما يميز تلك الخريطة أن الجزر وبعض الشواطئ رسمت بشكل يقرب للواقع بالنظر للخريطة الأولى.

ولا شك أن أهم ما وضعه بيري رئيس هو (كتاب بحريه)، وهو كتاب ألَّفه عام ٩٢٧هـ (١٥٢٠ - ١٥٢١م)، ثم قام بتوسيعه بعد ذلك (٩٣٢هـ/ ١٥٢٥ - ١٥٢٦م)، ثم =

١٥١٣م، وقد رسم فيها المحيط الأطلسي وأمريكا- قد استندت إلى خريطة كولمبس المفقودة[1] التي رسمت في ١٤٩٨م، وفي المجال نفسه نشر كاله في ١٩٣٣م: «أبحاثًا في الآلات البحرية التي استخدمها العرب في الملاحة في المحيط الهندي».

= قدمه للسلطان سليمان القانوني، ويضم الكتاب أهم نماذج الخرائط البحري من نوع البورتلان، ويحتوي في الوقت نفسه معلومات مهمة عن الفلك البحري والجغرافيا البحرية، كما يتحدث پيري رئيس في مقدمته لأول مرة عند العثمانيين عن اكتشاف كريستوف كولومب للقارة الأمريكية، فقد كان پيري رئيس شغوفًا بالتعرف على الكشوف التي وقعت في خريطته الأولى، فأثبتها في الخريطة الثانية مستعينًا في ذلك على خريطة كولومب، ورسم الأماكن التي تم اكتشافها، أما الأماكن التي لم تكتشف فقد ترك مواضعها بيضاء على الخريطة، مما يدلنا على أنه كان يسلك مسلكًا يقتضيه المنهج العلمي.

ويوجد اليوم في مكتبة متحف سراي طوپ قاپي مجموع يضم سبع خرائط تحت رقم (١٥٧٧/ ٣٥٩٤)، وقام فوزي قورت أوغلى عام ١٩٣٥م بنشره تحت عنوان Ali Maccar Reis Atlasi أي: أطلس علي مجار رئيس، وهذا النوع من الخرائط التي يعتمد على مثل هذه المرتسمات نراه -أيضًا- في كتاب «تاريخ هند غربي».

انظر: «الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة» (٢/ ٦٥٠ - ٦٥٢)، «تاريخ الدولة العلية العثمانية» (٢٣٠)، «أضواء على تاريخ البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الأول» لمحمود سيد الدغيم، «فضل العرب والمسلمين في اكتشاف العالم الجديد (أمريكا)» للأستاذ الدكتور فهمي توفيق محمد مقبل، كتابي «رحلة تقي الدين الهلالي إلى الهند» -يسَّر الله نشره بخير وعافية-، مقالة منشورة في مجلة «المؤرخ العربي»، ونشرت ضمن مجموعة بحوث بعنوان «الحضارة الإسلامية وعالم البحار»، في الندوة التي عقدها المؤرخون العرب بالقاهرة في ٦ - ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٩٣م.

(١) انظر: ما كتبته في «رحلة تقي الدين الهلالي إلى الهند»؛ فقد فصَّلتُ في هذا الموضوع.

وفي أثناء هذا النشاط العلمي، وقع كاله في نزاع مع السلطات النازية؛ ما هي أسباب هذا النزاع؟

لقد كان كاله نصرانيًّا، وكان قسيسًا إنجيليًّا كما رأينا، وكان منقطعًا للعلم، لم ينضم إلى أية حركة سياسية طوال حياته؛ وكان ألمانيًّا صادق الوطنية، أما أنه كان بين تلاميذه يهود؛ فهذا أمر طبيعي؛ لأن تخصصه كان العبرية والكتاب المقدس العبري، وفي نشرته للكتاب المقدس كان أحد معاونيه يهوديًّا، لكن هذا لا يسوِّغ أبدًا اصطدامه بالسلطة، لكن يوهان فوك[1] (في مقالة في ZDMG) يقول: إن **أول مناسبة** لهذا الاصطدام كانت هي: أن زوجته[2] -وهي نصرانية متعصبة- قد منعت أبناءها من كل تأثير للحزب النازي.

ومن اللطيف: أن الهلالي قد نظم أولاد أستاذه كاله:

وِلْيَمٌ ثُمَّ إوَزٌّ بَعْدَهُ هِبَةُ اللهِ وعيسى وَرَزِينْ

هُمْ بَنُو الأَقْرَعِ شيخِ العِلْمِ مَنْ قدْ غَدَا في الفضْلِ كالبَدْرِ المُبِينْ[3]

والمناسبة الثانية: هي أنها ساعدت هي وأولادها الخمسة أحد اليهود

(١) له في خاتمة كتابه «الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين» (ص٤٩٥-٤٩٩) بيان لجهود أستاذ كاله (جورج المقدسي) -وهو ممن كتب عن الحنابلة ونصر مذهبهم وأيَّد معتقدهم-، ومنه تعلم مدى تأثُّر التلميذ بأستاذه.

(٢) اسمها: ماري كاهل، وكانت عضوًا في الكنيسة الذهبية، ولها «مذكرات» مطبوعة باللغة الإنجليزية والإيطالية، وأوردت فيها زيارات الهلالي المتعددة لبيتهم في ألمانيا، وسيأتي الإيماء لذلك.

(٣) من رسالة للهلالي كتبها لأستاذه باول كاله، وهو في لندن، في ٢٦/ ٤/ ١٩٣٩م، وهذان البيتان من «فائت ديوانه».

المعروفين الذين دمَّر حانوتهم في ١٠ نوفمبر ١٩٣٨م، لأسباب إنسانية صرفة؛ فيقال: إن هذا الفعل أعطى الفرصة لأعضاء الحزب المحليين لاتخاذ إجراءات ضد كاله وأسرته؛ فأوقف كاله عن عمله، وطرد من الجامعة ابنه الأكبر، وسافر كاله إلى برلين لمعالجة الأمر مع السلطات الوزارية، ولكن دون جدوى، وصدر قرار بإحالته إلى التقاعد عقب انتهاء الفصل الدراسي الصيف ١٩٣٩م، وكان -آنذاك- مشرفًا على أطروحة الهلالي، وانزعج الهلالي بسبب ذلك، ولا سيما أن عملًا مشتركًا كان بينهما عن ابن دانيال.

لكن كاله قد أحسَّ بخطورة بقائه في ألمانيا؛ فهاجر إلى إنجلترة في ربيع ١٩٣٩م هو وزوجته وأولاده الخمسة، وكان عليه أن يرتب حياته ومعاشه في إنجلترة، وهنا أنجدته شهامة السير ألفرد تشيستر بيتي Sir Alfred Chester Beatty صاحب مجموعة «المخطوطات العربية الثمينة» في إيرلندا - دبلن؛ إذ طلب إليه أن يقوم بفهرسة مجموعة مخطوطاته مقابل مرتَّب عيَّنه له[(١)]، ودَعَتْهُ الأكاديمية البريطانية إلى إلقاء سلسلة محاضرات في عام ١٩٤١م، ظهرت في ١٩٤٧م تحت عنوان: «جنيزة القاهرة» The Cairo Geniza (باللغة الإنجليزية).

ولما انتهت الحرب العالمية في ١٩٤٥م، أعيدت إلى كاله كل حقوقه في جامعة بون بوصفه أستاذًا فيها، وكذلك أعيدت إليه مكتبته، وكانت قد نجت من الحرب، وكان قد حصل قُبيل ذلك على الجنسية الإنجليزية، غير أنه آثر البقاء في إنجلترة، مع زيارة ألمانيا بين الحين والحين.

(١) أتم فهرسة نصف مجموعة تشستربتي، انظر: «فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربتي» (١/ ٧ - طبعة المجمع الملكي) باللغة العربية.

ففي الفترة ما بين عام ١٩٤٨م وعام ١٩٦٠م عاد لزيارة جامعته القديمة في مدينة هلَّه Halle، وكانت قد أصبحت ضمن ألمانيا الشرقية، وفي بداية ١٩٥٠م دعته جامعة مونستر Munstr (في ألمانيا الغربية) إلى إلقاء محاضرات عن «المخطوطات العبرية المكتشفة في كهف قمران»، وكرر هذه المحاضرات في هامبورج وكييل Keil وبون، وهي المخطوطات المعروفة باسم «مخطوطات البحر الميت»، والتي اكتشفت في خربة قمران بالأردن ١٩٤٧م، وتحتوي على مخطوطات للكتاب المقدس وكثير من الأسفار الدينية، أحدث اكتشافها ثورة كبرى في البحث في الكتاب المقدس وأصول المسيحية، ومن بينها مخطوطات لسفر إشعيا يحتويان على قراءات أيَّدت اقتراحات سبق لكاله أن أبداها.

وانكبَّ كاله في أخريات عمره على «مخطوطات البحر الميت» هذه، ومن ثمار ذلك ما أدخله من تعديلات في الطبعة الثانية من كتابه «جنيزة القاهرة» في ١٩٥٩م، وقد ظهرت له ترجمة ألمانية في ١٩٦١م.

وفي ١٩٦٣م انتقل كاله إلى دوسلدورف (في ألمانيا الغربية)، حيث توفي في ٢٤ سبتمبر ١٩٦٤م إثر إصابة في المخ.

وقد جمعت مقالاته الصغيرة في مجموعة بعنوان: Opera Minora قدِّمت إليه هدية في ٢١ يناير ١٩٥٦ بمناسبة عيد ميلاده الحادي والثمانين، وتحتوي -أيضًا- على ثَبَت بمؤلَّفاته.

بين كاله والهلالي

من أخلاق الهلالي الوفاء، ولا سيما لمن استفاد منه، وإن خالفه في

المذهب والمشرب، وكذلك في الديانة، فبقي وفيًّا لأستاذه كاله الذي كان صديقه وأستاذه إبان دراسته في جرمانية.

رسالة من الدكتور باول كاله إلى العلَّامة الهلالي[١]

قال الهلالي: وكتب إلينا العالم الكبير، المستشرق الشهير؛ الأستاذ الدكتور باول كاله رئيس القسم الشرقي في جامعة (بن) الألمانية سابقًا، كتب إلينا هذا الأستاذ من جامعة أوكسفورد ببريطانية باللغة الألمانية ما ترجمته:

حبيبي الدكتور الهلالي! لقد كانت مفاجأة سارة حين طلع عليَّ (الجزء الأول) من مجلتكم الثقافية «لسان الدين» بمنزلي بلندن؛ وإني لأتمنى لكم غاية النجاح في هذا العمل المبرور، وأرجو أن نعود إلى الاتصال والأعمال العلمية النافعة كما كنا قبل الحرب في ألمانية. اهـ.

أقول (التقي الهلالي): لخروج هذا الأستاذ من ألمانية قصة طريفة[٢] لعلنا نلم بها فيما يأتي من مجلتنا -إن شاء الله-.

فلم ينسَ كلٌّ من الهلالي وباول الآخر، على الرغم من مرور الزمان، وبُعد المكان، وتعدد المشرب والمذهب والمعتقد، وتباين الغاية والمقصد.

وبقي الهلالي يذكر صديقه وأستاذه باول، مع التركيز على النقاط التي يخالفه فيها، إذ الوفاء سمة راسخة في نفس الهلالي، وهذه أمثلة مما وقع

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الرابع، بتأريخ ذي القعدة ١٣٦٥هـ - أكتوبر ١٩٤٦م، (ص٣٩).
(٢) سبقت -قريبًا- عند ترجمتنا له.

له من ذلك في «مقالاته»، **وكشفت لنا عن مدى عمق صلة الهلالي مع أستاذه وصديقه:**

١- ذكر الهلالي قصة طريفة لما كان في مدينة أكسفورد ببريطانية؛ في (الحلقة التاسعة) من مقاله (من مآثر الرسول ﷺ)، والشاهد منها: أنه دعا أحمد بولوك إلى بيت كاله -حيث كان يقيم الهلالي- دون أن يستأذن كاله، لكن كاله رحب به، واستحسن زيارته، ودعاه للعشاء .

٢- أخبرنا الهلالي في تقديمه لكتاب «الفتوة» لابن المعمار (ص١٠٣ - ١١٢) وهو يتكلم عن (قصة هذا الكتاب) عن علاقته مع باول كاله، وكيف تطوَّرت، حتى أنه سافر إليه لبريطانيا؛ فقال بعد كلام:

«ولما كنتُ منتدبًا للتدريس في جامعة بُن سنة ١٩٥٣م اجتمعتُ هناك بالعالم المستشرق الكبير الأستاذ الدكتور باول كاله (Dr.Paul Kahle) عضو الأكاديمية العلمية في برلين وسكرتير مجلة «المستشرقين» الألمانية، ومدير القسم الشرقي في جامعة (بُن) سابقًا، وكان في جولة قام بها لإلقاء المحاضرات في عواصم أوروبا، كعادته بعد تقاعده، وفي هذه الجولة كان يلقي محاضرات في وصف نسخة «التوراة» المكتشفة منذ بضع سنين في فلسطين، وقد أخبرني الأستاذ كاله أن عنده كتابًا في «الفتوة ونظامها وآدابها» لابن المعمار، المعروف بأبي عبدالله محمد بن أبي المكارم الفقيه الحنبلي البغدادي، ألَّفه للخليفة الناصر لدين الله العباسي، وأنه يريد أن يترجم فصولًا منه إلى الألمانية لينشرها بمناسبة بلوغه الثمانين في أواخر سنة ١٩٥٤م، والتمس مني أن أساعده في ترجمة هذه الفصول، ولما كان ذلك لا يمكنني إلا بعد انتهاء

فصل الصيف الدراسي في الجامعة، وعدته بأن أسافر إليه في أوكسفورد، في بريطانيا، في شهر آب، من السنة المذكورة، فنقوم معًا بهذا العمل، وكذلك فعلت، فترجمنا الفصول التي أراد ترجمتها، ولم أكن قد اطلعتُ قبل ذلك على تأليف في هذا الموضوع، فالتمستُ منه نسخة فوتوغرافية لعله يتيسر لي نشره بعد العودة إلى الوطن، فوعدني بذلك، ولما عدتُ إلى بغداد في أواخر السنة المذكورة؛ طلبتُ منه النسخة الفوتوغرافية فبعث بها إلي...».

إلى قوله في توصيف (النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق):

«أما مخطوطة كتاب «الفتوة» التي أعددناها للنشر؛ فهي نسخة (فريدة) لم نجد ذكرًا لأخت لها فيما بين أيدينا من فهارس خزائن الكتب، وهي من مخطوطات جامعة (توبنكن) في ألمانيا رقمها (١٨٤).

وقد تكلَّم عليها وروى قصتها المستشرق الألماني (كاله) في الصفحات (٢١٥ - ٢٦٤) من كتابه: «Minora. E. J. Brill, Leiden,1956» في مقدمة الترجمة الألمانية للفصلين (السادس) و(السابع) من كتاب ابن المعمار، تلك الترجمة التي كنت قد شاركته فيها سنة ١٩٥٤»، ثم ترجم كلامه الذي يبيِّن قيمة الكتاب، واهتمام المستشرقين به في أوروبا، ومما قال فيه على لسان باول كاله -وهو يعاني من صعوبة الترجمة في مثل هذه الأعمال-:

«إن صعوبة النص ناتجة عن الصيغة الفقهية للبحوث في الفتوة، وهذه الصيغ ليست من السهولة بمكان قريب، كما أنها ناتجة عن عدم فهم ناسخ مخطوط توبنكن لما نسخه في مواضع كثيرة، لذلك كان من الضروري أن

أعيد النظر في مقالي الذي نشرته في «مجموعة الاحتفال بيعقوب»، وكانت رسالة ريتر أساس هذا العمل، ولقد سررتُ بأن هذه الرسالة عادت إلى ملكي مع كتبي سنة ١٩٤٨م، وأمكنني أن أبحث مرة أخرى في هذا النص مع تقي الدين الهلالي صديقي القديم من عهد (بُن).

وكان أول شيء شُغلنا به عند حلول الهلالي في (بُن) في خريف سنة ١٩٣٦م نص يتعلق بالفتوة وهو (باب الفتوة والمروءة) من كتاب البيروني المسمى بـ«كتاب الجماهر في معرفة الجواهر» اعتمادًا على المخطوطات الآتية: مخطوط قيسرية، ومخطوط راشد أفندي ذي الرقم (٤٧٦)، ومخطوط إستنبول سراي ذي الرقم (٢٠٤٥)، وهذه المخطوطات لا يُستغنى عنها في الأعمال العلمية المتعلقة بهذا النص بعد أن قام كرينكو[(١)] بطبع الكتاب في حيدر آباد سنة ١٣٥٥هـ(١٩٣٦م)، ولم تذهب سدى الأيام الأربعة عشر التي صرفناها في الحصول على فهم صحيح لهذا النص القصير الصعب.

أما ترجمة نص البيروني التي قمنا بها في ذلك الوقت إلى الألمانية؛ فنشره فرانس تشنر مع الأصل العربي في الجزء (الرابع والعشرين) من مجلة «دير[(٢)] إسلام» سنة ١٩٣٧م (الصفحة ٦٩ - ٧٤)، وقد وضعنا النص والترجمة تحت تصرفه؛ لأنه كان يريد أن ينتفع بما كتبه البيروني في مقالة في (الصوفية

(١) هو صديق الهلالي، وبينهما مراسلات متبادلة، وترجمت له في كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ١٠٩٢ - ط الثانية).
(٢) كذا في الأصل، والصواب: «عالَم».

والفتوة)، وكان عملنا المشترك يَهُمُّ (الهلالي) **لأنه حفَّزه للبحث في مقدمة كتاب البيروني في «الجواهر»، فاشتغل بتحقيقها على النحو الذي ابتدأنا به، وبهذا العمل نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة على يد ريجارد هرتمن في برلين سنة ١٩٤١م، واسم رسالته «ترجمة مقدمة كتاب «الجماهر في الجواهر» للبيروني مع تعليقات عليها»، وهو عمل علمي جليل من الطراز الأول، ثم زارني الدكتور الهلالي في بريطانيا في شهر آب سنة ١٩٥٤م وبحثنا -معًا- بحثًا دقيقًا في متن كتاب «الفتوة» المصوَّر المأخوذ من نسخة (توبنكن)**، وإن ترجمتنا للبابين (السادس) و(السابع) من كتاب «الفتوة» (أعني الأوراق ٣١ - ٦٠) من المخطوطة إنما هي ثمرة أخرى لعملنا المشترك».

٣- وكشف الهلالي في مقالته (دواء الشاكين وقامع المشككين)[(١)] (الحلقة السابعة) المنشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، العدد العاشر، السنة الثالثة، صفر الخير ١٣٨٠هـ - يوليوز ١٩٦٠م (ص٩-١١) عن عمل آخر في الترجمة بينهما، فمِمَّا جاء فيها:

«كنتُ جالسًا أشتغل مع الأستاذ الدكتور باول كاله في مكتبه بترجمة كتاب «البلدان في الجغرافية العالمية» تأليف محمد ابن الفقيه البغدادي المتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري، كان ذلك في المعهد الشرقي في جامعة بون سنة ١٩٣٧م؛ فجاءته امرأة ألمانية وقالت له: إنها عثرت في جامعة بو آمنة من

(١) ثم طبع على هيئة كتاب.

مدينة فاس على «تاريخ للقوط الذين غزوا إسبانية والمغرب»، مكتوبًا على رق غزال، وما منعها من اقتنائه إلا قلة المال، ثم قالت له: إن هذا التاريخ لم تقع عليه عين شخص أبيض قبلها؛ فإن كانت الجامعة مستعدة أن تزودها بنفقات السفر؛ فإنها متأهبة لتسافر مرة أخرى إلى فاس، وتشتري ذلك الكتاب على نفقة الجامعة.

فقال لها: إن هذا الرجل -وأشار إليَّ- مغربي، وهو يعرف فاس؛ فأخبرتني باللغة الإنكليزية بما أخبرته به باللغة الألمانية، ولم أكن أعرفها إذ ذاك؛ فقلت لها: لا توجد في فاس جامعة بهذا الاسم؛ فهل تعنين المدرسة العنانية؟ فقالت: نعم.

فقلت للأستاذ كاله: لا حاجة إلى سفر هذه المرأة، يمكننا أن نعلم الخبر اليقين بالمكاتبة؛ فكتبتُ إلى الأمير شكيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتب هو إلى أحد أصدقائه بفاس؛ فأخبره أن لا وجود لمثل هذا الكتاب.

وقلت للأستاذ كاله: إن هذه المرأة محتالة كاذبة؛ بدليل قولها:(لم تقع عليه عين شخص أبيض قبلها)، مع أن أهل فاس الأصليين كلهم بيض!

فقال لي: (إنما هو اصطلاح يجري على ألسنة الأوربيين)، وإنما قال ذلك تلطفًا لقطع النزاع، وإلا فإنَّه كان يعتقد هو -أيضًا- أن أهل المغرب لا يوجد فيهم شخص أبيض.

ثم جاء محمد بن عبد الجليل الفاسي المتنصِّر من باريس إلى بون؛ فأخذته إلى الأستاذ كاله، وأخبره أنه مغربي من مدينة فاس، فلما رأى عليه

ثياب الرهبان، وقد سمَّى نفسه يوحنا[١]؛ ظن أنه فرنسي استوطن فاسًا، فلم أقدر على إقناعه.

---

(١) ولد محمد بن عبدالجليل في ١٧ إبريل ١٩٠٤ ميلادية بمدينة فاس، ونشأ في أُسرة مسلمة محافظة، وكان والده خليفة باشا مدينة فاس، وعمُّه وكيل الملك في المدينة، وأخوه عمر من زعماء حزب الاستقلال، وصار وزيرًا للتربية الوطنية سنة ١٩٥٨م، ودرس محمد في جامعة القرويين، وحفظ القرآن وهو طفل، وفي التاسعة حجَّ مع والده.
درس في مدرسة شارل دوفوكو بالرباط، وقضى المرحلة الثانية في ثانوية غورو عام ١٩٢٢م، ونجح في البكالوريا سنة ١٩٢٥م، وهي السنة التي انتقل فيها للدراسة في جامعة السوربون بفرنسا رفقة أخيه عمر؛ ليكون هذا الانتقال نقلة كبرى في حياته.
قرر أن يدرس مواد أُخرى في المدرسة الكاثوليكية تتعلق بالديانة المسيحية موازاة مع دراسته للفلسفة، وبعد ثلاث سنوات من دراسة الديانة الجديدة؛ اعتنقها وتم تعميده من طرف الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٩٢٨م، وكان المستشرق الفرنسي المعروف لويس ماسينيون بمثابة الوالد الروحي له، وبينهما مراسلات عديدة؛ استطاع إقناعه باعتناق المسيحية!
وبعد ست سنوات -أي: في سنة ١٩٣٥م- وسَمته الكنيسة في مرتبة كاهن، واختار اسم جون أو يوحنا، وصار ينعت به.
وكان يتقن خمس لغات: العربية، والفرنسية، والإسبانية، والألمانية، والإنجليزية، وظلَّ يدرِّس العربية والأدب وتاريخ الأديان والإسلاميات، وبعد ثمانٍ وعشرين سنة من التعليم -أي: في سنة ١٩٦٤م- قدم استقالته؛ بسبب عجزه عن إكمال التعليم، إذ أُصيب بالسرطان.
أُشيع عنه رجوعه إلى الإسلام، ونَفى (جون) ذلك، ونشره في الصحافة، وقد ذكر ذلك في كتابه «جوزني مارتيان، مراسلات ١٩٥٨ - ١٩٦٤» و«ماسينيون - عبدالجليل الراعي وابن المعمودية، مراسلات» لماسينيون.
صار جون مستشارًا للبابا بولس السادس، ثم مات في نوفمبر سنة ١٩٧٩م بعد معاناة من سرطان اللسان عن خمسة وسبعين عامًا.
انظر: جريدة «المساء» ١٤/ ٤/ ٢٠٠٩م، جريدة «العلم» ١٥/ ٥/ ٢٠٠٩م.

ثم عزم الأستاذ الدكتور كرن على زيارة المغرب ليدرُس فن البناء المغربي، وطلب مني توصيةً إلى صديق يرشده في المغرب؛ فكتبتُ له توصية إلى الأستاذ السيد أحمد سُكَيرج[1]؛ فقام بإرشاده خير قيام.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل المروءة والشهامة، فلما رجع الأستاذ كرن إلى بون، قلت للأستاذ كاله: اسأله عن لون أهل المغرب وخصوصًا أهل فاس؛ فسأله وقصَّ عليه قصة المرأة؛ فضحك، وقال: ذلك حديث خرافة، ليس في فاس ولا في المغرب -أعني: سكانه الأصليين- سواد.

ثم قال الأستاذ كرن: وأزيدك على ذلك؛ أني كنت أَلَّفْتُ كتابًا في خصائص الجنس الشمالي في أوربا، وما كنت أظن أني أجد في المغرب شخصًا واحدًا تنطبق عليه تلك الخصائص؛ فلما وصلتُ إلى المغرب وجدتُ خلقًا كثيرًا من الناس لا يختلفون في جماجمهم، وسائر ملامحهم عن شمالي أوربا، وقد عزمتُ أن آخذ إجازة أخرى من الجامعة؛ فأسافر إلى المغرب؛ لأدرس الأجسام البشرية المطابقة لأجسام أهل الشمال تكملة لذلك الكتاب.

ولا ينبغي أن يظن ظان أن ذلك الجهد الذي بذَلْتُهُ في إقناع الأستاذ كاله أن أهل المغرب بيض الألوان أو سمر؛ اعتقادًا مني أن اللون الأبيض أو الأسمر

(١) هو أستاذ تقي الدين الهلالي، وأخذ التيجانية على يديه، وله معه مذكرات ومراسلات كثيرة، وترجمته له في تعليقي على «ديوان الهلالي» (ص٤٤٩)، ثم ظفرتُ بإجازته للهلالي، وهو ممن كتب ترجمة موجزة للهلالي، وكان -حينذاك- شابًّا، ولعلها أول ترجمة كتبت له، ثم كتب له ولده عبدالكريم -وكان تلميذًا للهلالي- ترجمة مفردة بعنوان «معجزة المغرب محمد بن عبدالقادر الفلالي».

أفضل من الأسود! معاذ الله! ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٦].

وإنما أردتُ أن أثبت له أن أهل أوربة يجهلون كل شيء من أحوال أهل أفريقية، مع أنها أقرب القارات إلى بلادهم؛ فإنَّ الذي وقف على سطح من بيوت طنجة يرى مدينة طريفة، وقلعة جبل طارق بوضوح، وهما من القارة الأوربية، ولو كان هذا الجهل خاصًّا بعامتهم لهان الأمر، ولكنه عام حتى في أساتذة الجامعة...» إلى آخر كلامه.

٤- ومما يؤكد ذلك ما جاء -أيضًا- في (الحلقة العشرين) من المقالة نفسها المنشورة -أيضًا- في مجلة «دعوة الحق» المغربية، العدد السابع، السنة الخامسة، بتأريخ ذي القعدة ١٣٨١هـ - إبريل ١٩٦١م، (ص٨-١١):

«ولمَّا كنتُ في جامعة بون مدرسًا وطالبًا سنة ١٩٣٦م؛ اقترح رئيس القسم الشرقي في الجامعة الأستاذ باول كاله أن أترجم معه كتاب «البلدان في الجغرافية العالمية» لمحمد ابن الفقيه البغدادي، المتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري؛ فأخذنا في الترجمة، وقال لي أتحفظ القرآن؟ قلت: نعم. قال: إذا جاء شيء من القرآن في أثناء الكتاب؛ فأخبرني به.

فصرتُ كلما ذكر المصنِّف شيئًا من آيات القرآن أخبره به؛ فيقول: هل تستطيع أن تجد ذلك في المصحف إذا جئتك به؟ فأقول: نعم؛ فآخذ المصحف وأوقفه على الآية في الحين؛ فيقهقه ضاحكًا إعجابًا واستغرابًا!».

وورد ذلك في «تقويم اللسانين»[(١)] (ص ٣٩ - بتحقيقي)، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ومن ذلك قولهم: ألماني وألمان، والصواب: جرماني وجرمانيون، لأن البلاد التي تسمى في هذا الزمان (ألمانية)؛ كانت العرب تسميها: (جرمانية)، هكذا سماها ابن الفقيه البغدادي المتوفى في أواخر المئة الثالثة للهجرة في كتابه الذي سماه: «كتاب البلدان»، وذكر فيه جغرافية العالم، وقد ترجمته مع الأستاذ باول كاله باللغة الجرمانية».

٥- وقال -أيضًا- في (الحلقة الثامنة) من المقالة نفسها المنشورة في «دعوة الحق» العدد الأول، السنة الرابعة، بتأريخ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ - أكتوبر ١٩٦٠م، (ص١٠-١١)، ومما جاء فيها عن مؤلِّف كتاب «مدنية المسلمين في إسبانيا»:

«وكان الأستاذ باول كاله قد اقترح عليَّ ترجمة مقدمة كتاب «الجماهر في الجواهر» للبيروني مع التعليق عليها؛ ليكون ذلك موضوعًا لرسالة امتحان شهادة الدكتوراه التحريري؛ فترجمتُ المقدمة، وعلقتُ عليها.

ولما فرَّ الأستاذ باول كاله من حكومة هتلر إلى بريطانية في أول سنة ١٩٣٩م، انتقلتُ من جامعة بون إلى جامعة برلين، وأتممتُ دراستي على يدِ الأستاذ رتشارد هارتمان، لم أجد في تلك المقدمة شيئًا أولى بالتعليق من

(١) أول ما نشره في مجلة «دعوة الحق» المغربية، والكلام المزبور في (الحلقة الثانية) المنشورة في العدد الخامس، السنة العاشرة، بتأريخ ذي الحجة ١٣٨٦هـ - إبريل ١٩٦٧م، (ص٤٠-٤٤).

تلك المفتريات التي اختلقها عدو الإسلام والعرب مارتين هارتمان، وأقرَّها وزاد فيها بروكلمان!

فتجردتُ لردِّها، وقضيتُ عليها بالبراهين القاطعة من كلام البيروني نفسه في تآليفه، فغضب عليَّ بروكلمان؛ لأنه ظن أن الجو خلا له؛ فأخذ يبيض ويصفِّر، وينقِّر ما شاء أن ينقِّر، وحسب أن المسلمين والعرب نائمون في غفلة عن مكايده، ومكايد أستاذه الذي نقل عنه ذلك الهراء، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ولهما الويل مما يصفان.

ويحق للعلماء الألمانيين العشر الذين ناقشوا رسالتي، وحكموا لي على أشهر مؤلِّف في هذا العصر من المستشرقين؛ لا في ألمانية -وحدها-، بل في سائر البلاد الأوربية؛ يحق لهم أن يفخروا بحرية الفكر، ونصر الحق، بقطع النظر عن قائله، وهو طالب عربي غريب».

ومن هذا يعلم أن باول كاله هو مشرفه الأول، ثم للظروف المذكورة تحول إلى (هفنينك) -أستاذ كاثوليكي- ثم نقل الهلالي إلى برلين بواسطة مدير إذاعة كولونيا، للاستشارة في تأسيس إذاعة عربية ألمانية فنقل إلى برلين طالبًا ومحاضرًا، وأتم دراسته على يد الأستاذ رتشارد هارثمن، قال الهلالي بعد قصة طويلة: «وكفاني الله شر (هفنينك) وصاحبه (يعقوبي)».

ومن الجدير بالذكر أن الفترة الأخيرة من وجود باول كاله في ألمانيا (قبل مارس سنة ١٩٣٩م[1])، كانت وقتًا عصيبًا عليه، إذ أدانته محكمة ألمانية

(١) هو تأريخ مغادرة كاله إلى بريطانيا.

نازية، وانقطع عن جامعة (بون) التي كان يدرس فيها، وكان الهلالي وغيره من الطلاب يزورونه بانتظام في منزله، وكانت تتم المساعدة والمباحثة والدراسة بينهما في بعض الأعمال المشتركة، وكتبت ماري كهل -زوجة كاله- في «مذكراتها» عن زيارة الهلالي اليومية لمنزلهما: «كل صباح كان البروفسور التقي الهلالي -وهو عالم عربي شهير- يأتي للدراسة مع زوجي»[١].

ولا بد أخيرًا من الإشارة إلى أن تراث كاله محفوظ في جامعة تورينتو في شمال إيطاليا، وهو عبارة عن الكتب والوثائق التي له، ويحتوي الأرشيف العلمي (قسم Archive لقاعدة البيانات) على مخطوطات ووثائق مكتوبة على الآلة الكاتبة تتعلق بجميع أنشطة البحث لباول كاله.

وبالإضافة إلى الأرشيف العلمي يتضمن المخزون قسمًا غنيًّا خاصًّا بالمراسلة: يضم أكثر من (٢٥٠٠) رسالة كان باول كاله قد توصَّل بها، ويضم -أيضًا- في كثير من الحالات نسخًا من الرسائل التي بعث بها إلى مراسليه.

ومنها (٦٣) رسالة متبادلة بينه وبين تقي الدين الهلالي؛ وهي باللغات: الألمانية والإنجليزية والفرنسية والعربية.

يحفظ الأرشيف -أيضًا- موادًّا رسومية، صورًا، ميكروفيلم، ولوحات

---

(١) من مقالة بعنوان (طالب سلفي منحة مستشرقة، وإذاعة برلين في ألمانيا النازية: تقي الدين الهلالي وتجاربه في المغرب) للباحث عمر رياض، وهي ضمن كتاب «الإسلام العابر للحدود الوطنية فيما بين الحربين الأوروبية» (ص١٠٧ - ١٥٥)، نشر باللغة الإنجليزية في عام ٢٠١٤م من قبل بالجريف ماكميلان - نيويورك.

فوتوغرافية، وتجدر الإشارة إلى وجود مخزونات أخرى تمت إضافتها؛ مثل مخزون غيورك ياكوب، ومخزونات أربعة من أبناء باول كاله الخمسة -فيلهلم، هانس، ثيودور، باول، إيريك (Wilhelm, Hans, Theodor, Paul, Eric)-، إضافة إلى مخزون زوجته ماري غيزفيوس كاله (Marie Gisevius Kahle)[١].

تتكون المكتبة من حوالي (١١٠٠٠) مجلد مطبوع (من البحوث الدراسية المتخصصة، النسخ المطبوعة المستخرجة من تآليف متعددة المؤلفين والمجلات) ومن (٣٠٠) مخطوط، في الوقت الحالي تعرضت مجموعة المجلدات المطبوعة لعملية المراجعة والجرد، ومع ذلك؛ فقد تم تحليل العديد من الوثائق لباول كاله المضمومة داخل تلك المجلدات، وتم وصفها في قسم «وثائق محفوظة في الكتب» (Documents Preserved inside

(١) لها كتاب بعنوان:

«what would you have done? the story of the escape of the kahle family from Nazy-Germany»

أي: «ماذا كنتِ ستفعلين؟ قصة هروب عائلة كاله من ألمانيا النازية».

نشر في لندن سنة ١٩٤٥م، وترجمتْه إلى الإيطالية: ماريا لويزا روسُّو بعنوان: «ليس كزوجة لوط، هروب عائلة كاله من ألمانيا النازية»، ونشر سنة ٢٠١٣م.

وذكرت مؤلفة الكتاب (زوجة كاله) الشيخ تقي الدين الهلالي في (ص١٩)، في آخر فقرة من هذه الصفحة، وهذا ترجمة ما ذكرَتْ:

«كلُّ صباح كان البروفيسور تقي الهلالي يأتي للعمل مع زوجي، كان يعطي دروسًا بانتظام لبعض الطلبة الهنود: أختر إمام خان، البروفيسور بيهاف، وطالب من بغداد: محمد شريف، كان يحاول استغلال هذا الوقت على أحسن وجه، مثلما كنا نفعل نحن -أيضًا-».

والوقت الذي تتحدث عنه زوجة كاله: هو وقت حكم النازيين؛ حيث ضُيق على عائلة كاله وكل من لم يوال النازيين.

Books) في قاعدة البيانات[١].

ومن بين هذه المخطوطات: الأعمال المشتركة بينه وبين تقي الدين الهلالي؛ ففيها نسخة متقنة بخط الهلالي[٢] من «خيال الظل» الذي لم ينشر لغاية تدوين هذه السطور.

طريقة عرض كتاب «الفوائد السامية» (منهجه)

- هيكل الكتاب

لقد نحى الهلالي في تأليفه هذا منحى **السؤال والجواب تسهيلًا واختصارًا**، فلذلك بدت معالم الكتاب متداخلة بعضها من بعض؛ فتجد السؤال الأول في تسمية الشعوب السامية، والثاني في أقسامهم، والثالث في تاريخ البابليين والآشوريين، والرابع في أشهر ملوك البابليين وصنيعه بالعبرانيين، والخامس فيما حدث للعبرانيين في بابل... وهكذا ترى أن جميع هذه الأسئلة لها عُلْقٌ بالأحداث التاريخية المرتبطة بالشعوب السامية، وكذلك الحال مع باقي أسئلة الكتاب؛ كل مجموعة منها تدور في فلك واحد، وهو ما يحتاج معه الناظر إلى عناوين فاصلة ناظمة؛ ترصف مباحثه، وتقرب مأخذه، وقد بدا لي أن أرتبه؛ **فجاء على النحو الآتي**[٣]:

---

(١) الموقع الرسمي لجامعة تورينو الإيطالية، وقد تبنَّت الجامعة في ١٠ و١١ نيسان ٢٠١٤م مؤتمرًا بعنوان (احفظ التاريخ - أرشيفات الشرق) بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة كاله، ويهدف إلى تعميق المعرفة بمجالات البحث التي تناولها وبحثها كاله.

(٢) انظر: وثيقة رقم (١) آخر الكتاب.

(٣) الظاهر أن المؤلِّف (الهلالي) رام وضع عناوين لمباحث الكتاب، دل عليه وضعه =

- ترتيب هيكل الكتاب.

الفصل الأول: الشعوب السامية (نبذة تاريخية)[١].

- الشعوب السامية؛ أقسامها وتاريخ بعض شعوبها.

- مقدار التشابه بين بعض اللغات السامية.

الفصل الثاني: الكنعانية وفروعها (العبرية خاصة)[٢].

- الأحداث التاريخية للأمة العبرانية، وعلاقتها بالأمة العربية.

- تاريخ اللغة العبرية والأطوار التي قامت عليها.

- تطور اللغة العبرية؛ من النشأة إلى العصر الحديث (عصر المؤلف).

- اللغة المؤابية والفينيقية.

الفصل الثالث: الآرامية وفروعها (السُّريانية خاصة)[٣].

- اللسان الآرامي تعريف بأهم فروعه.

= عنوانًا بعد المقدمة عند الشروع في الأسئلة؛ وهو (الفصل الأول: الشعوب السامية)، لكن هذه العناوين لم تنتظم بقية الكتاب، وإنما جاءت بعض العناوين الفرعية متناثرة بين ثناياه؛ مثل: «المشنا»، و«اعتراف علماء اليهود بفضل الأدب العربي»، و«اللغة المؤابية والفينيقية»، و«اللسان الآرامي والمتكلمون به»، و«فهرست كتاب تاريخ اللغات السامية».

(١) يبتدئ هذا الفصل بالسؤال (١) وينتهي بالسؤال (١٣).

(٢) يبتدئ هذا الفصل بالسؤال (١٤) وينتهي بالسؤال (٤٣)، إضافة إلى ثلاثة أسئلة عن اللغة المؤابية والفينيقية.

(٣) تضمن هذا الفصل الإجابة عن سؤالات ثلاثة -فقط-.

- اللغة السُّريانية؛ أهم مدارسها، وجهود علمائها في الترجمة.

- اللغة التدمرية؛ تاريخ تدمر، ونقوشها.

- اللغة النبطية وقلمها.

وآخره: فهرست كتاب «تاريخ اللغات السامية».

- المنهج المتبع.

لقد اتبع الهلالي في عرضه مادة الكتاب **النَّفَس التاريخي**؛ وذلك ظاهر من عنوان الكتاب «...تاريخ اللغات السامية»، **وطريقته في ذلك:**

١ - يمهد بذكر **الأحداث والوقائع التاريخية** المرتبطة بالشعوب السامية(١)؛ لما في ذلك من بيان الصيرورة اللغوية من جهة القوة والضعف.

٢ - يلقي الضوء على **تاريخ اللغة (نظرات عامة)**(٢)، ومنه يعرِّف ببعض الشعراء والأدباء اليهود(٣)، كما يبيِّن الأسس التي تعتمدها اللغة العبرانية (الأساس الديني خاصة)(٤).

٣- **يربط التسلسل التاريخي بين اللغة العبرانية القديمة والحديثة**(٥)، وكيف تطورت هذه اللغة.

---

(١) انظر أجوبة الأسئلة: في الفصل الأول (من ١ إلى ٢٧).
(٢) انظر: أجوبة الأسئلة (٢٨ و٢٩ و٣٠).
(٣) انظر: أجوبة الأسئلة (٣٠ و٣١ و٣٣).
(٤) انظر: أجوبة الأسئلة (و٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٣٩).
(٥) انظر: أجوبة الأسئلة (٤١ و٤٢ و٤٣).

٤- يعرج -في الأخير- على **تاريخ الترجمة السُّريانية**، **وبعض أعلامها**، وشيء من تاريخ التدمريين والأنباط(١).

وقد تراوح عرض مادة الكتاب بين الإفاضة والتوسط والاختصار:

فأما **الإفاضة**؛ فقد طالَتِ اللغة العبرانية، إذ أطال النفس فيها، واحتفل بها منذ نشأتها إلى زمن المؤلف، وذلك راجع لأهميتها؛ سواء من الجهة التاريخية أو السياسة، ثم هي من اللغات الحية التي لايزال الحديث بها قائمًا، كما أن الهلالي له تهمم بها؛ فهو يجيد الحديث بها.

وقد **توسط** في حديثه عن اللغة السُّريانية؛ فتعرض لأهل العلم بها، ودورهم في ترجمة العلوم الأجنبية إلى العربية.

ثم لجأ إلى **الاختصار** في الكلام عن اللغة المؤابية، واللغة الفينيقية، واللغة الآرامية اليهودية، واللغة السامرية، واللغة النبطية، وقد يكون ذلك -الاختصار- بسبب أن جُلَّ هذه اللغات هي -الآن- في عداد الموات، أو أنها لم تكن بالغة الأثر كأخواتها، ولم تكن على صلة وثقى بأشد هذه اللغات وأقواهم؛ وهي العربية(٢).

وقد تخلل هذا المنهجَ التاريخيَّ جانب مهم في العرض؛ وهو التنوع المعرفي -ما يشي **بالاطلاع الواسع- الذي أثرى به الهلالي هذا البحث؛ ربطًا بين العلوم، ودفعًا للسآمة، وإمتاعًا للقارئ**، وقد تجلى ذلك في:

(١) انظر: اللسان الآرامي والمتكلمون به (ص٣٥٩ وما بعدها).
(٢) تجدر الإشارة إلى أنه بقدر اقتراب هذه اللغات من العربية تكتسب الحياة.

- **الطابع الأدبي** الذي كان لائحًا كالوشم في ظاهر اليد، خاصة من جهة **الاستشهادات الشعرية**، خاصة وأن البحث متعلق بتاريخ اللغات السامية غير العربية؛ **فيكون مجال الشعر العربي بمعزل عنه إلا قليلًا**، كما في البيتين اللذين أوردهما في قصة أسارى العبرانين عند البابليين، وكيف فكَّ أسرهم الفرس، وفي هذين البيتين إيماء إلى **الظلم الذي يتعرض له الفلسطينيون اليوم على يد اليهود**[١].

وكذلك استشهاده بمجموعة أبيات؛ تدليلًا على التداخل بين اللغة القحطانية والعدنانية[٢].

واستشهد ببيت يُعَرِّفُ به مدينة تيماء[٣].

وعند التعريف بالشعراء العرب من اليهود؛ استشهد بنتف من أشعار السموءل بن عاديا، وشريح بن عمران، وسعية بن العريض، وأوس القرظي[٤].

واستشهد ببيتين عن بعض النقوش التدمرية[٥].

- **العناية بتراجم الأعلام والبلدان:** حيث جاء الكتاب ريانًا بذكر الملوك والعلماء والشعراء والأدباء والصِّحَفِيين، وغيرهم ممن له علاقة بموضوع اللغات السامية، وكذلك الأماكن والشعوب التي احتضنت هذه اللغات.

(١) انظر: جواب السؤال (٥).
(٢) انظر: جواب السؤال (١٢).
(٣) انظر: جواب السؤال (٣٠).
(٤) انظر: جواب السؤال (٣١).
(٥) انظر: جواب السؤال (٢) من اللسان الآرامي.

- **إثارة بعض القضايا المعرفية** التي لا زالت مناط بحث ونقاش؛ مثل: مصطلح (اللغات السامية)، وتقسيم اللغة العربية إلى قحطانية وعدنانية (العاربة والمستعربة)، وقضية حملة علوم الشريعة بين العرب والعجم، ومسألة النحو بين الأصالة العربية والمنطق الأرسطي، وكذلك الترجمة السُّريانية وأثرها في الفكر العربي[١].

وقد برز **شخص المؤلف وظِلُّه** من خلال تعليقاته[٢]، وتعليلاته[٣]، وتعريفاته[٤]، ومخالفته لبعض من نقل عنه[٥]، كل ذلك؛ مع **مراعاة السهولة والاختصار والقصد في المعلومة**.

مما يلاحظ على التأليف:

١ - انعدام العناوين الناظمة[٦].

٢ - الخلط في القصص -وهو قليل جدًّا؛ حيث ورد مرة واحدة- بين ما هو صحيح لا ريب فيه (القصص القرآني)، وبين ما أصابه التحريف والكذب

(١) سيأتي الحديث بشيء من التفصيل عن كل واحدة من هذه القضايا في مبحث مفرد.
(٢) مثل تعليقه على الانتقال اللغوي لبعض لغة طيئ إلى لبنان والمغرب، انظر: جواب السؤال (١٢).
(٣) كما في جواب السؤال (٣٥)؛ إذ يقول: «وهذا يدلُّ على ما قلناه -قبلًا-: وهو أنَّ العبرانيين -في زمانهم الأخير- كانوا يتكلَّمون باللغة الآرامية لا بالعبرانية».
(٤) مثل تعريفه لبعض المذاهب اليهودية، انظر: جواب السؤال (٣٦) و(٣٧) وتعريفه لأسفارهم، وانظر: جواب السؤال (٣٨) و(٣٩) و(٤٠).
(٥) كمخالفته لولفنسون حين ذهب الشيخ إلى أن الأنباط شعب عربي الأصل.
(٦) وقد سبقت الإشارة إلى ذلك (ص٥٧).

(التوراة)، يقول: «وقصة طالوت من تولِّيه المُلك، إلى المعركة الحاسمة التي وقعت بينه وبين الكنعانيين، وفيها قتَل داوودُ جالوتَ ملك الكنعانيين، وكان داوود -حينئذٍ- شابًّا من جنود طالوت؛ كلُّها مذكورةٌ في القرآن الكريم في سورة البقرة من الآية (٢٤٦) إلى (٢٥١)»[١].

والمرجح أن فعل الهلالي -هنا- لا يخرج عن أمرين:

الأول: قد يكون مقصوده من إدراج هذا الكلام: أن المخاطَب به عالم بالفروق بين الحق والباطل، لذلك؛ تجد الهلالي قد تجنب الاستشهاد القرآني[٢] في هذا الموضوع، لعلمه بالتجاذبات الحافة به، والقرآن الكريم منزه عنها.

الثاني: قد يكون من باب السهو الجبلي في الإنسان.

القضايا التي أثارها العلَّامة الهلالي

لقد احتجن هذا الكتاب بين تضاعيفه بعضًا من قضايا العلم والفكر التي كانت -ولا تزال- مثار جدل بين علماء الأمة ومفكريها وبعض كتَّابها، وهذه القضايا -حسب ورودها في الكتاب- هي: **(مصطلح اللغات السامية)**، **(تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة)**، **(استفادة العرب من السُّريان)**، **(علماء**

---

(١) انظر: (ص٢٦٩)، وفيها تعليق على هذه القضية.

(٢) إلا مرة واحدة عند التعريف بمدينة بابل؛ حيث يقول: «وهي مدينةٌ مشهورةٌ على نهر الفرات، جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة البقرة، في قوله -تعالى- (١٠٢): ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾»، انظر: (ص٢٤٣).

الإسلام بين العرب والعجم)، (تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي).

فأما مصطلح **(اللغات السامية)**؛ فقد ارتضاه الهلالي حين جعله ناصية الكتاب وسِمة له، وأخبر أنه كان يدرِّس مادة بهذا العنوان «تاريخ اللغات السامية»[(١)]، ثم ذكر سبب تسمية هذه الشعوب بالسامية، وإلى كم تنقسم[(٢)].

وفي جوابه عن الأسئلة (٩) و(١٠) و(١١) و(١٢)؛ اختار **تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة**[(٣)].

وأما قضية **(استفادة العرب من السُّريان)**؛ فسيأتي بحث مفصَّل في (الحلقة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة) من سلسلة مقالات الهلالي **(مَباحِثُ في عِلمِ اللُّغاتِ «فيلولوجي»)**، **وهذه مقتطفات منها:**

قال في أول (السابعة):

«مِن المسائِلِ الَّتي تَعنِينا وتُهِمُّنا في المباحِثِ؛ هذه المسأَلَةُ:

إِذا تحقَّقَ لَدى أهلِ المدرسةِ الأَندلسيَّةِ قَبْلنا بنَحوِ عشرةِ قُرونٍ -كَما مَرَّ بك في المقالِ الَّذي قبلَ هذا- أَنَّ اللُّغاتِ العربيَّةَ والسُّريانيَّةَ والعبرانيَّةَ في الأَصلِ لغةٌ واحدةٌ، ولم يَزِد هذه الحقيقةَ مرورُ الزَّمانِ ومباحِثُ العلماءِ إلَّا ثُبوتًا وتأَكُّدًا؛ فأَيُّ هاتِه اللُّغاتِ أَصلٌ، وأَيُّها فَرعٌ؟

ونَبدَأُ في جوابِ هذه **المسألةِ المهمَّةِ**؛ بالاستماعِ إلى جوابِ المدرسةِ

---

(١) انظر: (ص٢٣٧).
(٢) انظر: (ص٢٣٩-٢٤٢).
(٣) انظر: (ص٢٦١-٢٦٣).

الأندلسيَّةِ العظيمةِ، ثمَّ نُعقِبُه بما تَقرَّر في هذا العصرِ ممَّا يُوافِقُه أو يُخالِفُه.

قال[(١)] في «الإحكام» (ص٣٢ مِن الجزءِ الأوَّل): «وَإِذَا قَد تيقَّنَّا ذَلك -أي: إنَّ أَصْلَ اللُّغاتِ السَّامِيَةِ الثَّلاثَ واحدٌ-؛ فالسُّريانيَّةُ أصلٌ للعربيَّةِ والعِبرانيَّةِ -معًا-، والمستفيضُ أَنَّ أَوَّلَ مَن تكلَّم بهذه العربيَّة: إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي لغةُ ولدِه، والعبرانيَّةُ لغَةُ إسحاقَ ولغَةُ ولدِه»».

وقال في (العاشرة):

«الخَطُّ العربيُّ مَأْخوذٌ مِن الخَطِّ السُّريانيِّ الغَربيِّ بدونِ أَدنى رَيْبٍ، فكثيرٌ مِن الكلماتِ نَكتُبها بالسُّريانيَّةِ، فَيقرؤُها كُلُّ قارئٍ عربيٍّ؛ كلَفظِ الجَلالةِ (الله)، و(لا) النَّافية، وغير ذلك»، ثم قال:

«ولمَّا كانَتِ العَربُ أُمَّةً أُمِّيَّةً؛ كما صرَّحَ بذلك القُرآنُ الكريمُ بِقَولِه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]، وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكتُبُ وَلَا نَحْسِبُ**...»[(٢)] الحديث، ولم نَجِدْ كِتَابَةً عربيَّةً قديمَةً، ووَجَدْنَا خَزائِنَ ذاتَ بالٍ مِن الكِتَابَاتِ السُّريانِيَّةِ بأَنْواعِهَا الثَّلاثَةِ؛ قُلْنا: إنَّ الكِتَابَةَ العربيَّةَ هي المَأْخوذَةُ مِن السُّريانِيَّةِ لا العَكْس»!!

وقد أثار الهلالي قضية (**علماء الإسلام بين العرب والعجم**)؛ حين حديثه عن جهود السُّريانيين في ترجمتهم علوم يونان للعرب المسلمين، واستشهد بفكرة ابن خلدون قائلًا: «وقد ذكر ابن خلدون في «المقدمة» أنَّ جلَّ المؤلفين

(١) أي: ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.
(٢) سيأتي تخريجه.

في النَّحو هم من الأعاجم؛ كسيبويه والفارسي والزجاج، تثقَّفوا بالثقافة العربية بمخالطة العرب، ودانوا بالإسلام؛ فصاروا من علماء اللغة العربية»(١).

وبُعَيد حديثه عن القضية السابقة؛ أورد (**تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي**)، وأن العلماء الأعاجم قد «سلكوا في تصانيفهم مسلكًا فلسفيًّا، وقد قال أرسطو: إنَّ الزمان والمكان هما كالوعاء للأشياء والأعمال؛ إذ لا بدَّ لكلِّ شيءٍ مخلوقٍ أن يكون واقعًا في زمانٍ ومكانٍ، ومن ذلك: أخذ النُّحاة اسم المكان والزمان فسمَّوه (ظرفًا) و(مفعولًا فيه)، وكذلك قسَّم أرسطو الكلماتِ إلى اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ، وكذلك تعريف الكلام: أنَّه اللَّفظُ المركبُ المفيدُ فائدةً تامةً؛ قد أخذ معناه من كلام أرسطو»(٢).

ورغم أن الهلالي نقل رأي ابن خلدون ورأي غيره في قضيَّتَي (**علماء الإسلام بين العرب والعجم**) و(**تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي**)؛ فإنه لم يُبد ميولًا إليهما، وقد يكون هذا النقل من باب الإثراء المعرفي؛ فـ«ناقل الكفر ليس بكافر»، فما بالك بناقل الآراء والمعارف؟

۞ دراسة القضايا التي تعرَّض لها الهلالي

وبعد هذا العرض الموجز لهذه القضايا الخمس؛ سأقوم بعرضها، ودراستها، وفحصها -واحدة واحدة-، في محاولة؛ **مُغيًّاها بيان أنظار العلماء فيها:**

---

(١) انظر: (ص٣٧١-٣٧٣).
(٢) انظر: (ص٣٧٣).

١ - مصطلح (اللغات السامية).

يعتبر المستشرق الألماني (اليهودي) أوغوست شلوزرAugust ludwing von Schlözer أول من أطلق مصطلح (السامية) -نهاية القرن الثامن عشر- على هذه المجموعة من اللغات، وقد استخرج هذه التسمية من جدول الشعوب -المكتوب في (الإصحاح العاشر) من «سفر التكوين»- الذي ينسب الساميين إلى سام بن نوح.

ومن أجل هذا المصطلح؛ وقع خلاف بين الدارسين لهذه اللغات، فانشطروا -بين النفي والإثبات- **إلى فريقين:**

فأما النافون لمصطلح (السامية): فالعلة عندهم: أن التقسيم العرقي في «التوراة»؛ فيه خلط في النسبة وفي الوقائع التاريخية؛ لأن هذا التقسيم التوراتي قد أثَّرت فيه صراعات سياسية حول الأرض ومصادر المياه(١).

وليس لهذا التقسيم أي مستند علمي، بل حتى علماء الأجناس البشرية في العصر الحديث؛ يقرُّون باختلاط السلالات البشرية بعضها ببعض، عبر تاريخ البشر الطويل، نتيجة الهجرات المستمرة.

ثم إنَّ الاختلافات الجوهرية التي يذكرها هؤلاء العلماء لهذه السلالات اللغوية؛ لا تخلو من استثناءات كثيرة، والتي تبيِّن -بجلاء- أنَّ هذا التقسيم ما هو إلا ضرب من التعنُّت والإقحام، وأنَّ اتصال الشعوب بعضها ببعض لأغراض التجارة والهجرة؛ هي التي تسبَّبت في وجود هذا التشابه بين اللغات(٢).

---

(١) «مجمع البحرين» (٨) بتصرف.

(٢) مقال (أصل العرب وأصل اللغة العربية) على الموقع الإلكتروني (dec18.kaica.org.sa) بدون توثيق، بتصرف.

ومصطلح (اللغات السامية) مصطلح تداولي، غلب على ما سواه من المصطلحات التي حاول العلماء العرب أن يردوا بها على هذا المصطلح؛ كمصطلح (اللغات الجزرية) نسبة إلى الجزيرة العربية التي يُعتقد أنها موطن هذه المجموع من الشعوب، ومصطلح (اللغات العربية) الذي يجعل العربية هي اللغة الوحيدة، وسائر اللهجات الأخرى فروعًا عليها[(١)].

ومن اعترض على مصطلح (السامية) -من المستشرقين-: الألماني نولدكه في كتابه «اللغات السامية»، فمن جملة اعتراضاته:

- هناك أقوام ساميون -على ما ذكرته «التوراة»- لا يتكلمون بلغة سامية؛ كالعيلاميين والليديين، فهم ساميون بنص «التوراة»، ولغاتهم ليست من اللغات السامية.

- هناك لغات سامية، والناطقون بها غير ساميين، ولا يجمعهم بالأمم السامية أصل قريب؛ مثل الأحباش...[(٢)].

وأما المثبتون لهذا المصطلح: فقد حاولوا دفع بعض اعتراضات نولدكه؛ **فتجد ولفنسون يقول[(٣)] -ما مختصره-:**

- إن هذا الجدول من أقدم ما وصل إلينا عن أنساب الأمم السامية.

- ثم إن السبب في عدم ذكر الكنعانيين بين أبناء سام بن نوح: هو أن

(١) «النحو العربي المقارن في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة» (١٩ - ٢٠).

(٢) «دروس اللغة العبرية» (٧) بتصرف.

(٣) «تاريخ اللغات السامية» (٢ - ٣) بتصرف.

الرابطة التي كانت تربط العبرانيين بالكنعانيين؛ كانت قد تفككت عراها، وانمحت آثارها منذ عهد بعيد، قبل خروج بني إسرائيل من الجزيرة العربية؛ التي كانت وطنًا مشتركًا لجميع الأمم العبرية والكنعانية، وهذا هو السبب في عد الكنعانيين من بني حام.

وبكلامه هذا يرد -أيضًا- على بروكلمان الذي مال -في هذه الجزئية- بالقول: إن «بني إسرائيل هم الذين أقصوا الكنعانيين عن جدول بني سام؛ لأسباب سياسية ودينية، مع أنهم كانوا يعلمون ما بينهم وبين الكنعانيين من الصلات العنصرية واللغوية المتينة».

- أما إدخال هذا الجدول آل عيلم وليديا في الساميين، مع أن لغتهم غير سامية؛ فقد يقال: إن «التوراة» كانت تعتقدهم ساميين رغم مخالفة اللغة، أو يقال: إن «التوراة» عدتهم من الساميين؛ لأنها وجدتهم خاضعين لدولة آشور السامية.

وفي الختام يقول: ليس لدينا ما يساعدنا على ترجيح أحد هذين الاحتماليين، ومهما يكن من شيء؛ فهذا الاصطلاح أصلح وأوفق ما اهتدى إليه العلماء.

ويرى بروكلمان أن «هذه التسمية -في الحقيقة- مختصرة ومناسبة؛ كما هو الواجب في الأسماء الاصطلاحية، ولا يعارضها أن يفهم منه العلم الحديث شيئًا آخر، غير ما فهمه منها مؤلف الإصحاح العاشر من سفر التكوين»[(١)].

---

(١) «فقه اللغات السامية» (١١).

أما ربحي كمال؛ فقد أثبت المصطلح على سبيل الاضطرار، فقال: «وقد حاول علماء اللغات إيجاد تسمية للغات الجنس السامي تكون نصًّا في مسماهم؛ فلم يوفقوا إلى ذلك، وظلت تسمية شلوتزر لهذه اللغات حتى الآن، ونرى -أنفسنا- مضطرين إلى قبول هذه التسمية -(ساميين) و(لغات سامية)-؛ لأن الجميع ارتضاها»[(١)].

وقد يكون الهلالي على هذا السبيل سار؛ حين اصطفى مصطلح (السامية) للاضطرار والاشتهار.

وجِمَاعُ القول: «**إن تسمية هذه اللغات لا يعتبر فيها التاريخ فاصلًا محددًا؛ وإنما المعتبر في هذا الشأن هو اللغات -نفسها- من جهة التركيب والمعجم والمُتَحَدِّثِ بها وبيئته، ثم مقارنتها التاريخية**، آنئذ؛ يمكن الوصول إلى التسمية المرتبطة بالنسب الموصل إلى اللغة الأم.

و**اللغة العربية** في المجموعة السامية؛ **هي اللغة الوحيدة التي ما زالت محتفظة بأقرب صورة إلى اللغة الأصل (الأم)، تركيبًا ومعجمًا وبلاغة وموروثًا فكريًّا حضاريًّا، ما يجعل اشتقاق المصطلح العائلي منها؛ فيكون وسمها (اللغات العُرُوبِيَّةُ)؛ لأن في ذلك خضوعًا لمعيار العدل والعلم**، وهو أوضح من مصطلح (الأفرو- آسيوية) الملتبس الذي أطلقه بعض المهتمين»[(٢)].

لماذا أنشئت نظرية الجنس السامي واللغة السامية؟

منطلق هذه البحث خطير ومهم، ولا تُعرف كثير من الحقائق التي تجري

(١) انظر: «دروس اللغة العبرية» (٧).
(٢) «مجمع البحرين» (٦ - ٩) بتصرف.

حولنا إلا بالإلمام به، إذ نبعت فكرة نظرية الجنس السامي متزامنة مع فكرة الصهيونية في العصر الحديث لمخطط متجدد، ومبتعث عن «التوراة» التي كتبها حكماء اليهود إبان السبي البابلي، و«التلمود» التي جاء بعد تدمير الرومان للقدس، هذا المخطط هو (بروتوكولات صهيون) التي عرفت لأول مرة عام ١٨٩٧م، وفي خلال إعداد هذه المخطط؛ كانت هناك محاولات جبَّارة تعمل على وضع مفهوم الصهيونية التلمودية في داخل كتب التاريخ والموسوعات العالمية، وإدخالها في مناهج المدارس والجامعات الغربية ومعاهد الإرساليات في العالم الإسلامي.

وقد تمت هذه المحاولة الخطيرة بواسطة مجموعة ضخمة من المفكِّرين الغربيِّين الذين احتوتهم الصهيونية: (شلوسر، بروكلمان، رينان، دوركايم، دوزي... إلخ).

وذلك بالإضافة إلى الاستشراق اليهودي الصهيوني: (مارجليوث، جولدسيهر، برنارد لويس... إلخ).

وقد حاولت هذه الخطة تحقيق عدة أهداف:

أولًا: ابتكار فكرة (السامية) التي نسبت إليها كل أمجاد التاريخ العربي القديمة، وسلبه من أصحابه الحقيقيين، وخاصَّة إسماعيل بن إبراهيم وأبناءه وأحفاده، وأضافت هذا كله إلى مصدر غامض ليس له سند علمي، ويستمد مصدره الأساسي من «التوراة» التي كتبها اليهود بأيديهم، وليست «التوراة» الحقيقية المنزلة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك بهدف إشراك اليهود مع العرب

في هذه الأمجاد، بينما لا يوجد لليهود أي اتصال بإنشاء هذه الحضارة.

ويستتبع هذه الخطر: إيجاد صلة ما بين العربية والعبرية، على النحو الذي حاوله الكتَّاب الذين كتبوا ما أسموه «تاريخ اللغات السامية»، وقاموا بتدريسه في الجامعات، وهم: إسرائيل ولفنسون، وشاخت، ثم الدكتور مراد كامل.

ثانيًا: محاولة التشكيك في رحلة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الحجاز، وإقامة ابنه إسماعيل وزوجته هاجر بمكة(١)، وهذا يبدو واضحًا من تجاهل «التوراة» لهذه الواقعة التاريخية، ومحاولة إثارة الشبهات فيها، وقد ردد الدكتور طه حسين هذا القول في كتابه «في الشعر الجاهلي».

ثالثًا: محاولة اعتبار «التوراة» مرجعًا للبحث العلمي، مع أن شهادات كل علماء الغرب تؤكد أنَّ «التوراة» الموجودة الآن كتبها علماء اليهود، منها ما كتب أيام المملكة الإسرائيلية، ومنها ما كتب في المنفى بين النهرين، ومنها ما كتب قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون.

رابعًا: محاولة خلق تصوّر زائف بأثر اليهود في الجزيرة العربية، وفي الأدب العربي.

خامسًا: محاولة إيجاد ترابط بين العرب واليهود، والقول بأنهما أبناء عمومة، وذلك كله يستهدف التمهيد للدعوة إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

---

(١) انظر -لزامًا-: ما كتبناه عن هذا الموضوع الخطير في دراستنا المضمنة عن (البيت الإبراهيمي) في كتابنا «الكنائس بين الأحكام الفقهية والوقائع التاريخية» أو «البخائس والنفائس في أمر الكنائس»، وهو مهم.

سادسًا: إعلاء شأن إسحاق على إسماعيل، وهما ابنا إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وأكبرهما إسماعيل الذي هاجر به وأمه إلى مكة، والذي أقام معه القواعد من البيت الحرام، والذي امتحن بذبحه وجاءه الفداء من السماء.

والهدف هو إخراج أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذي تلقَّاه إبراهيم من ربه، وقصر الوعد على أبناء إسحاق تحت اسم أسطورة «شعب الله المختار».

هذه هي أهم أطراف المؤامرة الخطيرة لتزييف تاريخ الإسلام والعرب قبل الإسلام لحساب الصهيونية التلمودية، وقد جرى تطعيم دوائر المعارف وكتب التاريخ ومناهج المدارس والجامعات بهذه المفاهيم، واستكتاب عشرات الكتَّاب لبحوث متعددة منوَّعة تدور حول هذه الشبهات؛ لخلق أدلَّة مضلِّلة لتثبتها في الأذهان.

وتكاد تكون فكرة (السامية) أخطر هذه الشبهات.

وهي عبارة أو مصطلح لم يرد مطلقًا في كتابات العرب والمسلمين على مدى التاريخ، وقد استمد أساسًا من نص من نصوص «التوراة» المكتوبة بأيدي الأحبار، وفي ظل تقسيم وهمي للأجناس البشرية مستمد من أسماء أبناء آدم أبي البشر(١): «سام وحام ويافث».

وقد برز هذا المعنى في ظل تقسيم مستحدث ظهر في أوربا إبان استعلاء

(١) هذا خطأ! والصواب أنهم أبناء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نزعة العنصرية الأوربية التي قسَّمت العالم إلى ساميِّين[١] وآريِّين[٢] لتضع العرب والمسلمين في قائمة موازية للجنس الآري صانع الحضارة، الذي وصف بكل أوصاف العبقرية والعظمة والاستعلاء على البشر، وخضوع الأجناس الأخرى إليه.

وكان هذا التنظير الذي ألبس ثوب العلم إنما يستهدف إعطاء الاستعمار مسوِّغًا علميًّا لسيطرته على الأمم الملونة غير الآرية الأوربية.

غير أنَّ المحاولة التي حاولت أن تضع عبارة (السامي) و(السامية) بديلًا للإبراهيمية الحنيفية وللعرب والعربية، كانت محاولة ماكرة خطيرة، استهدفت حجب أمجاد التاريخ القديم عن العرب، ونسبتها إلى اسم قديم لا يعرف التاريخ الصحيح له مصدرًا واضحًا.

والغربيّون يعرفون أنَّ «التوراة» التي بين أيدي الناس اليوم، هي «توراة» مكتوبة بأيدي الأحبار، وأنَّ صلتها بـ«التوراة» الصحيحة مشكوك فيها، ولذلك فإنّ الاعتماد عليها في إقامة نظرية تعطى كل هذا القدر من التوسّع والنمو والسيطرة في دوائر الثقافة والعلم والجامعات، هو أمر لا أساس له من منهج العلم الصحيح، ولقد كانت اليهودية الصهيونية من وراء هذه النظرية في سبيل

(١) سيأتي الكلام مفصَّلًا عن (الساميين) عند تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.
(٢) يردُّون اللغات الآرية إلى ثلاثة أصول -أيضًا-؛ وهي: اللاتينية، واليونانية، والسنسكريتية، وكلٌّ من هذين النوعين بأصوله يُرَدُّ عندهم في الاشتقاق إلى لغة مفقودة؛ يتوهمونها انفصلت عنها هذه اللغات، فكانت متشابهة في أول عهدها، ثمَّ جعلت تتنوَّع وتتباين حتى قلَّتْ وجوه المشابهة، إلَّا ما يكون من قبيل الدلالة التاريخية على وحدة الأصل؛ قاله مصطفى صادق الرافعي في «تاريخ آداب العرب» (١/ ٦٥).

طمس التاريخ العربي السابق للإسلام وتزييفه، بفرض دور وهمي لليهود في الحضارة وفي الجزيرة العربية قبل الإسلام، وإحياء اللغة العبرية، وإعطائها رصيدًا زائفًا من الصلة باللغة العربية هو أكبر بكثير من حجمها الطبيعي.

وفكرة (السامية) تدور حول القول بأنّ هناك أصلًا واحدًا مشتركًا للعرب واليهود، ومحاولة إعطاء العربية أثرًا ومكانة غير صحيحة في حضارات الشرق القديم.

وقد كان شلوسر هو أول كاتب غربي استعمل مصطلح (السامية) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، واعتمد في هذه التسمية على نص من «التوراة»، وقد كانت الصهيونية وراء هذه الفكرة، ومن ثم فقد اتسع نطاق هذه المقولة، وأقام عليها الكتَّاب الموالون للصهيونية والاستعمار ما أطلق عليه اسم (علم الأجناس)، ولغياب الفكر الإسلامي في هذه المرحلة؛ فقد اتسع نطاق الفكرة الإسرائيلية، وسيطرت على مناهج الجامعات ودراسات الثقافة جميعًا.

وفي كلية الآداب بالجامعة المصرية تقررت دراسات اللغات السامية، وقام على هذه الدراسات مستشرقون يهود، في مقدمتهم يوسف شاخت وإسرائيل ولفنسون، اللذان أخذا يخدعون شباب المسلمين والعرب بقولهم: إنَّ العربية ليست سوى عبرية مقلوبة، وأنَّ العرب إنما اتخذوا اسمهم من (عربة) التي هي في العبرية بمعنى الصحراء، وكان الهدف هو خلق مفهوم زائف للصلة بين العرب واليهود من ناحية، وبإعطاء اليهود مكانًا زائفًا في مجال الآداب والعلوم.

ومن ذلك: القول بأنّ اليهود هم الذين وضعوا شريعة حمورابي إبان

نفيهم في بابل، وكل وثائق التاريخ تكذب ذلك، وتثبت أنّ اليهود إبان المنفى كانوا يبحثون في حضارات الأمم عن خيوط يضمونها إلى نسيجهم المهلهل؛ ليتمكنوا من القول بأن لهم فلسفة معينة، وقد كانت فلسفتهم ومنهجهم الفكري جماع الفلسفة البابلية القديمة والهلينية، ومدرسة الأفلاطونية المحدثة، وبقايا المجوسية والغنوصية الشرقية، وذلك بعد أن فقدوا أصلهم الأصيل وهو «توراة موسى».

كذلك فقد كان هدف هذه المحاولات هو القول **بأنّ اليهود والعرب أبناء عمومة، تربطهم أواصر الرحم والقربى، وتاريخ اليهود بعد الإسلام في المدينة يكشف عن هذه الرحم والقربى** في محاولاتهم وجرأتهم وغدرهم، الذي امتد طوال تاريخهم، ولقد حاول دوزي ومرجليوث ادعاء هذه الصلات، واختلاق مشابه بين قريش واليهود، والقول بأنّ موطن اليهود هو بلاد اليمن؛ اعتمادًا على ألفاظ ملتقطة من لغة سبأ البائدة تشبه ألفاظًا عبرية.

ولقد اتسع نطاق هذه الكتابات في الفكر الغربي في هذه الفترة المبكرة تمهيدًا للفكرة الصهيونية، وإن كان بعض العلماء الغربيّين لم تخدعهم هذه التلفيقات؛ فكشف زيفها أمثال: جوستاف لوبون الذي قال: «لا جرم أنّ الشبه قليل بين العربي أيام حضارته واليهودي الذي عرف منذ قرون بالنفاق والبخل والجبن، وأن من الإهانة للعربي أن يقاس باليهودي، ولا ننسى أن طرق الحياة الخاصة التي خضع اليهود لحكمها منذ قرون كثيرة هي التي أنشأت فيهم عرفًا ذليلًا غير محترم، وعندي أن كل أمة تكون عرضة لمثل ما

أصاب اليهود، ولا يعرف عمل لها غير التجارة والربا، وتحتقر في كل مكان تنتقل إليها تلك الغرائز المنحطة بالوراثة المتتابعة مدة عشرين قرنًا وأكثر، فتتأصل فيها، وتصير إلى ما صار إليه اليهود لا محالة».

ولقد كانت مؤامرة (السامية) هذه موضع نظر الباحثين العرب والمسلمين منذ وقت طويل، فلم تفتهم تلك الخطة الماكرة التي استهدفت اعتبارها منهجًا من مناهج الدراسة الجامعية، وإعطاء شبهاتها صبغة المسلمات.

وقد جاء ذلك في الوقت الذي حمل فيه الدكتور طه حسين لواء الدعوة إلى تجديد دراسة الأدب وفق المناهج الحديثة والبحث في الشعر الجاهلي، فقد كان الهدف من ذلك هو القول بأنَّ اللغة العربية لم تكن لغة واحدة في الجزيرة العربية، وأنّ هناك لغة في الجنوب ولغة في الشمال، وهي محاولة مضللة تستهدف التشكيك في وحدة اللغة العربية قبل الإسلام، وإثارة الشبهات حول نموها واتجاهها إلى اتخاذ مكانها الذي أهلها لتكون لغة القرآن ولسان الإسلام.

كذلك فإن الدكتور طه حسين قد هيَّأ لشاب يهودي استقدمه من فرنسا لإعداد دراستين: إحداهما عن اليهود في جزيرة العرب، والأخرى عن تاريخ اللغات السامية؛ ليحشد فيهما كل تلك المخططات التي أعدتها الصهيونية لتزييف التاريخ الإسلامي، وقد قدمت إحدى هذه الدراسات على أنها أطروحة دكتوراه قدمها إسرائيل ولفنسون، وكان ذلك مقدمة لتكون هذه السموم (مسلمات) تدرس في الجامعات المصرية والعربية وما تزال.

وبذلك استطاعت الصهيونية العالمية أن تدخل نظريتها إلى قلب الفكر

الإسلامي والأدب العربي؛ لتضرب به ذلك المفهوم الأصيل الذي عرفه المسلمون، واستوعبته آثارهم وتراثهم.

كذلك فقد عاش الدكتور طه حسين حياته كلها يحاول إقناع المسلمين والعرب بأن لليهود فضلًا على أدبهم وتاريخهم وتراثهم، فهو يعرض لليهود واليهودية كلما عرض للغة العربية وأدبها.

ولقد عمل باكرًا لتحقيق هذا الهدف حين أعلن بأن وجود إبراهيم وإسماعيل لا تثبته المصادر العلمية والتاريخية، وأنكر أن ورود اسميهما في القرآن يعد سندًا صحيحًا، ومن العجب أن تتخذ نظرية (السامية) هذا الاتساع والشهرة والاستمرار، وهي تعتمد على نص من «التوراة» التي كتبها أحبار اليهود، ويقرها طه حسين على ذلك، ولكنه لا يقر القرآن على وجود إبراهيم وإسماعيل، والقرآن هو النص الموثق الذي نزل من السماء، والذي لم يصبه أي تحريف.

كذلك فقد تحدث الدكتور طه عمَّا أسماه أثر اليهود في الحياة العربية والأدب العربي (ومحاضراته متعددة في هذا الصدد، وأهمّها محاضرته التي سجلتها له مجلة «الجامعة المصرية» في عددها الأول في سنتها الثالثة ١٩٢٥)،

والتي خلص منها إلى ثلاث نتائج خطيرة من أثر اليهود:

أولًا: أنَّ اليهود أثروا في الأدب العربي أثرًا كبيرًا جنى على ظهوره ما كان بين العرب واليهود.

ثانيًا: أنَّ اليهود قالوا كثيرًا من الشعر في الدين وهجاء العرب، وقد أضاعه

مؤلِّفو العرب.

ثالثًا: أنَّ اليهود انتحلوا شعرًا لإثبات سابقتهم في الجاهلية على لسان شعرائهم وشعراء العرب.

وفي مقدمة كتاب إسرائيل ولفنسون (الذي يشرف الآن على البعوث الإسرائيلية في إفريقيا) يقول الدكتور طه حسين:

«ليس من شك أن المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيرًا قويًّا في الحياة العقلية والأدبية للجاهليين من أهل الحجاز، وليس من شك في أنَّ الخصومة كانت عنيفة أشد العنف بين الإسلام ويهودية هؤلاء اليهود، وفي أنها قد استحالت من المحاجة والمحاولة إلى حرب بالسيف، انتهت بإجلاء اليهود عن البلاد العربية»(١).

ويعلن الدكتور طه اغتباطه إلى أن إسرائيل ولفنسون: «قد وفق إلى تحقيق أشياء كثيرة لم تكن قد حققت من قبل»، ولكن هل هذه هي الحقيقة؟

إن الدكتور فؤاد حسنين علي أكبر المتخصصين في مصر في اللغة العبرية وتاريخ اليهود يقول: «إنّ هذا البحث حلقة من حلقات كتب الدعاية الصهيونية التي كانت الشعبة الثقافية للمؤتمر الصهيوني بإشراف مارتن بوبر تدعو إلى نشرها، وما نقله إسرائيل ولفنسون في رسالته من آراء؛ كان القصد منه اطلاع اليهود الشرقيين وقرَّاء العربية على ما جاء في المصادر الأجنبية، وأن هذه الرسالة -التي ما زالت في أيدي المثقفين والباحثين- مشحونة

---

(١) انظر: ما نقلناه (ص٢٢-٢٣) عن (إجلاء اليهود) عند ولفنسون!

بالأخطاء، وهي بعيدة عن المراجع العبرية التي أشير إليها، وأنّ الدكتور طه حسين لا يعرف العبرية، وقد أخذ بالنتائج التي وصل إليها الباحث دون التحقق منها ببعض الذين يجيدون هذا النوع من الدراسات، والأمانة العلمية كانت تقتضي غير هذا، ذلك أنّ البحث العلمي يجب ألَّا يصبغ بصبغة القومية المتعصِّبة، كما لا يتخذ وسيلة من وسائل الدعاية السياسية أو الكسب المادي الرخيص».

ولا ريب أنَّ هذا مقتل من مقاتل طه حسين الكثيرة![١] التي فنَّدها كثير من الباحثين والمطَّلعين، ولهم ردود قوية جدًّا عليه، وليس همِّي هنا إلَّا الإشارة إليها دون تعدادها.

الهدف الأساسي من نظرية الجنس السامي

إنَّ الهدف الأساسي هو طمس الرابطة بين الإسلام الذي جاء به محمد ابن عبدالله رسول الله في القرن السادس الميلادي، وبين دعوة إبراهيم التي بدأت منذ عام ١٧٥٠ قبل الميلاد، ذلك أنَّ إقامة إبراهيم ابنه إسماعيل في قلب الجزيرة العربية في مكة، وإسماعيل هو جد العرب وجد محمد ﷺ، وبناء البيت الحرام الكعبة، ودعوة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النبي ﷺ إلى اتباع ملَّة إبراهيم ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، كل هذا ممَّا يريد اليهود والصهيونية طمسه وتزييفه، وقد أثبتت الأحافير التي كشف عنها أخيرًا أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان يتكلَّم العربية، وإن لم تكن العربية التي نزل بها القرآن

(١) «فساد نظرية الجنس السامي» (ص٨ – ١٧) للأستاذ أنور الجندي.

أو التي نتكلَّمها اليوم، كما أثبتت الأحافير أنَّ اللغة التي كانت مستعملة في اليمن والعراق والشام والحجاز لغة واحدة، وإن اختلفت لهجاتها كما تختلف لهجات الأمم العربية في هذه الأيام، وقد استشهد عبدالحميد السحار الذي أورد هذا في كتابه «محمد رسول الله والذين معه» بالآية الكريمة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقد جاء في كتاب العلَّامة أُلبرايت عن أحافير فلسطين قوله: «تتقارب اللغات العربية القديمة -عدا الأكادية- في الأجرومية والنطق، بحيث تشترك كل لهجة وما جاورها، ولا يلحظ الانتقال من لهجة إلى لهجة إلَّا كما يلحظ مثل هذا الانتقال اليوم بين اللهجات الفرنسية والجرمانية».

والملاحظ أنَّ «التوراة» لم تورد ذكر ذهاب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الحجاز، وسكتت هذه المصادر سكوتًا متعمَّدًا عن علاقة إبراهيم بالجزيرة العربية ومكة وبناء الكعبة[1]، بل وسكتت -أيضًا- عن ذكر هود وصالح من أبناء العرب كأنَّما لم تكن عاد وثمود على مقربة من فلسطين، وقد حدد بطليموس في «أطلسه» موقع ثمود وعاد، وكشفت الحفريات عن مدائن صالح، وعثر على بعض الخطوط الثمودية في ثمود وفي الطائف، وقد كان اليهود ينفسون على العرب أن صار لهم بيت محرم منذ أيام إبراهيم، بينما لم يصبح لهم هيكل في بيت المقدس إلا في أيام سليمان بن داود، فكان هذا السكوت المتعمد.

(١) ما زالت محاولة اليهود مستمرة في صرف الأنظار عن (البيت الإبراهيمي) الحقيقي -وهو مكة المكرمة- بإحداث بيت آخر له!

وقد عمد اليهود إلى طمس حقيقة وعد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لإبراهيم، فجعلوه قاصرًا على إسحاق[١]، ولذلك تجاهلوا ابنه الأكبر إسماعيل، وحاولوا إخراجه وإخراج أبنائه من حقوق الوعد الذي تلقَّاه إبراهيم من ربه، وابتكروا الأكذوبة التي تقول: إنَّ بني إسرائيل وحدهم هم شعب الله المختار.

يقول الأستاذ السحار: «حرم اليهود أبناء إسماعيل حقوق الوعد الذي تلقَّاه إبراهيم من ربه، وأرادوا أن يسلبوا إسماعيل كل فضل، فزعموا أنَّ الذبيح هو إسحاق، مع أن التقاليد تقضي بتقديم الابن الأكبر قربانًا لله».

ولا ريب أنَّ إنكار إسماعيل وأبنائه يحرّف تاريخ العرب قبل الإسلام تحريفًا شديدًا؛ فإن أبناء إسماعيل الاثني عشر قد انبثوا في هذه المنطقة.

وقد أعلنت ألواح الطين التي كتبت بالخط المسماري، والتي وجدت في أطلال بابل ونينوى وبلاد ما بين النهرين، أنَّ بني إسماعيل كانوا حقيقة واقعة، وأنَّ أبناءه الاثني عشر صاروا قبائل قوية تناوئ بابل وآشور ومصر والإغريق والرومان.

والواقع أنَّ تاريخ هذه المنطقة منذ عهد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (١٧٥٠ قبل الميلاد) هو تاريخ العرب الذين كانت تطلقهم الجزيرة العربية في موجات مهاجرة، امتدت من حدود الفرات إلى المغرب وشملت هذه المنطقة كلّها، وأن فكرة السامية الزائفة لم تكن شيئًا معروفًا أو مقرَّرًا، ولا توجد أي إشارة إليها في أي من الكتب أو الحفريات أو الأسانيد المكتوبة على الأعمدة أو الآثار القديمة.

---

(١) انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٧) (طور).

يقول العلَّامة محمد عزة دروزة في كتابه البديع «تاريخ الجنس العربي»:

«لقد أصبح أمر انسياح الموجات من جزيرة العرب إلى الأقطار المجاورة لها منذ أقدم الأزمنة، وكون الكلد والآشور والآكديين في العراق، والكنعانيين والعمور والآراميين والعبرانيين في جزيرة الفرات وبلاد الشام، ومعظم سكان وادي النيل شماله وجنوبه، ومعظم سكان أثيوبيا والصومال من هؤلاء المنساحين في القرون التاريخية من الحقائق التي لا تحتمل جدلًا، ولا سيما أنّ جزيرة العرب ظلّت ترسل بموجاتها إلى هذه الأقطار بدون انقطاع قبل دور العروبة الصريحة، أي: قبل أن تغدو اللغة العربية الصريحة لغة العرب، واسم العرب اسمًا لهم، ثم في دور العروبة الصريحة قبل الإسلام، ثم منذ الإسلام إلى اليوم مما سجلت أحداثه القديمة نقوش المصريين والآشوريين والكلدان، وكتب اليونان والرومان القديمة، وما قرره علماء الآثار والتاريخ».

ومن خلال بحثه الواسع نصل إلى الحقائق الآتية:

أولًا: إنَّ جزيرة العرب أخذت تسمى باسم العروبة الصريحة في كتب اليونان والرومان وأسفار العهد القديم منذ (ألفين وخمس مئة سنة)، واسم العرب الصريح أخذ يطلق على أهلها المستعربين في داخلها وتخومها الشمالية جزئيًّا ثم كليًّا منذ ألفين وخمس مئة سنة كذلك، بل قبل ذلك مما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة واللغة العربية التي تكلَّم بها سكان الجزيرة والنازحون منذ ألفين وخمس مئة سنة كذلك هي اللغة العربية الصريحة، بقطع النظر عن تعدد لهجاتها وبعدها قليلًا أو كثيرًا عن اللغة الفصحى، على ما تدل

عليه آثار وأسماء وأعلاء ونقوش السبئيين والحجريين والنبطيين والتدمريين واللحيايين والثموديين والصفويين، العائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الخامس بعده، وقد ساعدت عوامل متنوعة على سرعة تطورها بعد ذلك حتى بلغت ذروتها باللغة الفصحى قبل البعثة المحمدية بأمد ما.

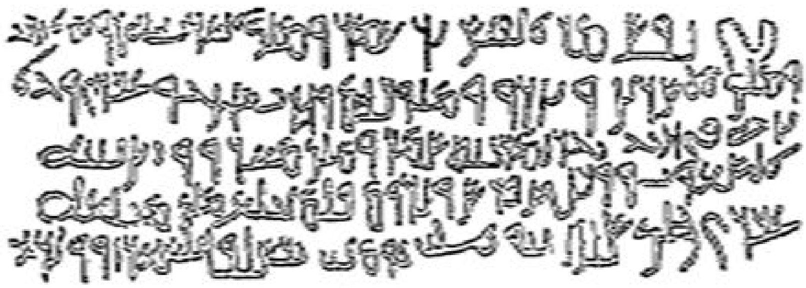
ثانيًا: أنَّ هناك نصوصًا قاطعة بأنَّ اللغة العربية هي اللسان الأول، وهي لسان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلَّا أنها حرِّفت ومسخت بتطاول الزمن عليها، فظهرت منها السُّريانية ثم سائر اللغات، وفي «المزهر» (١/ ٢٠) أن اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة كان عربيًّا، إلى أن بعد العهد وطال فحرّف وصار سريانيًّا، وهو يشاكل اللسان العربي إلَّا أنه محرَّف.

وقد ثبتت القرابة بين العربية والسُّريانية، فقال المسعودي في كتابه «التنبيه» (ص ٦٨): وإنما تختلف لغات هذه الشعوب -أي: شعوب الجزيرة العربية- عن السُّريانيين اختلافًا يسيرًا، وأكد المرحوم أحمد كمال باشا في «قاموسه» الذي أعدَّه للمقارنة بين اللغة الفرعونية واللغة العربية، أن ثلاثة أرباعها تمت إلى العربية بصلة.

ويقول الأستاذ دروزة: إنَّ علماء العربية أخذوا نظريتهم في القرابة بين العربية والسُّريانية من أهل الكتاب؛ فقد كانت السُّريانية هي لغة الثقافة والمثقفين، ولغة يهود العراق، وأكثر أهل الكتاب في جزيرة العرب في ذلك العهد.

ثالثًا: مما وجد في الحفريات ما كتب على قبر امرئ القيس عبارة (ملك العرب كلهم)؛ مما يسوِّغ أن كلمة (العرب) كانت معروفة في ذلك الوقت، وتطلق على العرب الصرحاء، وأنَّ التسمية العربية كانت تطلق -أولًا- على بعض أجزاء من الجزيرة وتخومها وقبائلها وملوكها قبل ذلك بعدة قرون.

والكتابة بالحرف النبطي، ويؤخذ منها أنها كتبت سنة ٣٢٨ للميلاد، وهي لغة عربية تشوبها صبغة آرامية، وهذه صورتها:



وهذا نصها بالحرف العربي:

(١) تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر التاج.

(٢) وملك الأسدين ونزور وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وحاء.

(٣) يزجو في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.

(٤) الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

(٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسول بلسعد ذو ولده.

وترجمتها هذا:

(١) هذا قبر امرئ القيس ملك العرب -كلهم- الذي تقلَّد التاج.

(٢) وأخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم، وهزم مذحج إلى اليوم، وقاد.

(٣) الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر، وأخضع معدًا، واستعمل بنيه.

(٤) على القبائل، وأنابهم عنه لدى الفرس والروم؛ فلم يبلغ مَلِكٌ مبلَغه.

(٥) إلى اليوم، هلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من أيلول، وفِّق بنوه للسعادة[(١)].

وهذه اللغة تكاد تكون الحلقة المتوسطة بين الآرامية والعربية، أو هي أقدم ما يمكن أن يسمَّى (عربية) في اللغات الشمالية، أمَّا البادية لذلك العهد؛ فلا شك في أنَّ لغتها كانت أخلص منطقًا، وأعذب بيانًا، وأدنى إلى عهد الجاهلية التي أدركها التاريخ، والفرق في ذلك بين اللغتين: طبيعة الفرق بين الجهتين[(٢)].

وترجع كلمات (أرابا، وعربانا، وعرابا، وعريبى) إلى مدونات قديمة في القرن التاسع قبل الميلاد المسيحي، وأن أقدم أثر عربي هو أثر الملك الآشوري (٨٢٥ - ٨٦٠) قبل الميلاد.

وقد أضاف إلى هذا الأستاذ عبدالحميد السحار: أن الحفريات أكدت أنَّ حضارة بابل عربية، وحضارة العموريين عربية، وحضارة الكنعانيين عربية، وحضارة سيناء عربية، وحضارة ثمود عربية، وقد اكتشفت هذه الحضارات

---

(١) كان أهل الشام وحوران في ذلك العهد يؤرخون من دخول بصرى عاصمة حوران في حوزة الروم سنة ١٠٥ للميلاد، فإذا أضيف هذا التأريخ إلى سنة ٢٢٣ المذكورة في الكتابة؛ كانت وفاة ذلك الملك سنة ٣٢٨م.

(٢) «تاريخ آداب العرب» (١/ ٧٧ - ٧٨).

وعرف أنها حضارات عربية خالصة، ولكن بعض العلماء أرادوا أن ينسبوها إلى جد أعلى حتى لا يلقوا أضواء على مجد أقوام نافسوا بني إسرائيل منذ أيام خليل الرحمن إبراهيم، فأطلق العالم سلوتيسر اسم (السامية) نسبة إلى سام بن نوح، وصادف ذلك هوى في نفوس الآخرين؛ فأخذوا يتحدثون عن الأقوام السامية والحضارات السامية، ويتبعهم الكتَّاب العرب.

والمعروف أنَّ سيدنا إبراهيم قد أقام القواعد من البيت وابنه إسماعيل عام ١٧٠٠ قبل الميلاد، وتلك هي أولى خطوات هذه الأمة الحقيقية، ومن ثم فإن أصلح اسم لها هو (الملة الحنيفية)، هذه الأمة التي امتدت حتى جاء محمد ﷺ فأكمل لها الدين.

ونصل من هذا كله إلى عدة حقائق:

أولًا: أنَّ اليهود لم يكن لهم دور صريح أو وضع صريح أو أثر صحيح في أي نهضة من نهضات هذا التاريخ الطويل، وأنهم زيفوا تاريخهم وتاريخ العرب، وعمدوا إلى حجب إسماعيل حتى يقصروا الوعد على أبناء إسحاق.

ثانيًا: أنَّ هذه الجزيرة العربية منذ بعثة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونشأة إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبناء الكعبة وهي عربية، واللغة العربية ولغة الموجات المهاجرة المتصلة التي شملت كل البلاد العربية من بعد، والتي كانت قبل الإسلام، عربية وموحدة؛ لأنها كانت تعرف دين إبراهيم (الحنيفية).

ثالثًا: أنَّ أحقاد الصهيونية العالمية هي التي حرضت المستشرقين وكتَّاب الغرب على تغيير هذه الاسم وإنكاره، واصطناع اسم آخر أقدم منه، ولا صلة

له بهذا التاريخ، فضلًا عن أن مصدره ليس سليمًا ولا موثقًا، وهو «التوراة» التي كتبها الأحبار بأيديهم، وليست من عند الله.

رابعًا: استهدف اليهود أن يجمعوا بين العرب واليهود في كيان تاريخي زائف، من خلال الترابط بين العبرية والعربية، محرِّفين بذلك حقائق التاريخ الأصيلة.

خامسًا: أنَّ كلمة (السامية) هو تعبير اصطنعه اليهود؛ ليحصلوا من عمومه دورًا لهم أكثر وضوحًا من دور العرب أصحاب الشأن الحقيقي، وأن يجعلوا منه تكأة لمعارضة خصومهم باسم (معاداة السامية).

سادسًا: أنَّ السامية إحدى شبهات الاستشراق اليهودي والغزو الفكري، وتجديد دعاوى «الإسرائيليات القديمة»[(١)].

عودة إلى القضايا التي تعرَّض لها الهلالي

٢ - اللغة القحطانية والعدنانية (العاربة والمستعربة).

إن تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة؛ من الأمور التي اختلف حولها علماء الأمة قديمًا، ولا يزال الجدل حولها قائمًا بين الدارسين المحدثين؛ لتفرق القالة والحجة فيما بينهم، ولأن المسألة لها عُلْقٌ بأحاديث عن النبي ﷺ في الباب، ولم تبق حكرًا على علم الأنساب[(٢)].

(١) «فساد نظرية الجنس السامي» (ص٢٢ – ٢٩)، وأنصح بقراءة كتاب الدكتور عابد طه ناصف المطبوع باسم «بنو إسرائيل وأكذوبة السامية»؛ فهو (**مهم**).

(٢) مما ينبغي الإشارة إليه بهذا الصدد: تشكيك طه حسين في أصل وجود العرب العاربة =

وحاصل الخلاف: أن فريقًا من هؤلاء العلماء ذهب إلى أن قحطان من ولد إسماعيل(١)، فممن اختاره: الإمام البخاري، والزبير بن بكار، ورجحه

= والمستعربة، في كتابه «في الشعر الجاهلي» (٣٦ - ٣٨)، بناءً على ما تلقَّفه من أفواه المبشرين والمستشرقين، وقد انبرى في الرد عليه جمع من العلماء والباحثين، وعلى رأسهم: الدكتور ناصر الدين الأسد في «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية» (٣٨٤ - ٣٨٩)، ومحمد الخضر حسين في «نقض كتاب في الشعر الجاهلي» (٦٦ - ٧٩)، ومحمد فريد وجدي في «نقد كتاب الشعر الجاهلي» (٥١ - ٥٦)، ومحمد رشيد رضا في مجلته «المنار»، المجلد الثامن والعشرون، الجزء الأول، بتأريخ ٢٩ شعبان ١٣٤٥هـ - ٣ مارس ١٩٢٧م، (٣٦٨ - ٣٨٠)، وأنور الجندي في كتابه «طه حسين: حياته وفكره في ضوء الإسلام» (٣٤ - ٣٧، ١٦٣ - ١٦٥)، وغيرهم كثير.

(١) نقل ياقوت في «معجم البلدان» (٤/ ٩٦) في (مادة عربة) قال:

«قال أبو منصور: اختلف الناس في العرب؛ لم سموا عربًا؟

فقال بعضهم: أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب: يعرب بن قحطان؛ وهو أبو اليمن، وهم العرب العاربة، وفي قول النبي ﷺ: «**خمسة من الأنبياء من العرب؛ وهم: إسماعيل، وشعيب، وصالح، وهود، ومحمد** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

وهو دليل على قدم العربية؛ لأن فيهم من كان قبل إسماعيل، إلَّا أنهم -وكلهم- كانوا ينزلون بلاد العرب؛ فكان شعيب وقومه بأرض مدين، وكان صالح وقومه ينزلون ناحية الحجر، وكان هود وقومه عاد ينزلون الأحقاف، وكان إسماعيل ومحمد ﷺ من سكان الحرم.

والذي يتبين ويصح من هذا: أن كل من سكن جزيرة العرب ونطق بلسان أهلها العرب؛ سموا (عربًا) باسم بلدهم العربات».

قال أبو عبيدة: أمَّا حديث «**خمسة من الأنبياء من العرب**» فلم أجده، ويسدُّ مسدَّه ما ورد في حديث أبي ذر الطويل؛ وفيه عن الأنبياء:

«قُلت: يا رسول الله! من كان أولهم؟ قال: «**آدم**»، قلت: يا رسول الله! أنبيٌّ مُرسل؟ قال: «**نعم؛ خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلَّمه قِبَلًا**»، ثمَّ قال: «**يا أبا ذرٍّ! أربعةٌ سُرْيَانِيُّون: آدمُ، وشِيثُ، وأَخْنوخُ -وهو إدريس، وهو أوَّل من خطَّ بالقلم-، ونوحٌ، وأربعةٌ من العرب: هود، وشُعيب، وصالح، ونبيُّك محمد** ﷺ »». =

ابن حجر.

أما الفريق الثاني؛ فنفى أن يكون قحطان من ولد إسماعيل، ومن ثَم؛ فالعرب منقسمة إلى عاربة ومستعربة، وقد اصطفاه -من بينهم-: ابن حزم، وابن عبد البر، وابن كثير.

أ - نسبة قحطان إلى إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ترجم البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح الجامع» بقوله: «(باب: نسبة اليمن إلى إسماعيل)»[١]؛ منهم أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، من خزاعة.

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن يزيد بن أبي عبيد، حدثنا سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق؛ فقال: «**ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان راميًا، وأنا مع بني فلان** -لأحد الفريقين-»، فأمسكوا بأيديهم، فقال: **ما لهم**؟ قالوا: وكيف نرمي وأنت مع بني فلان؟ قال: «**ارموا وأنا معكم -كلِّكم-**»[٢].

ومراد البخاري: أن نسب حارثة بن عمرو متصل بأهل اليمن؛ لأن

= أخرجه أحمد (٤/ ٥٠) وابن ماجه (٤٢١٨) وابن حبان (٣٦١) والطبراني (١٦٥١) والبيهقي في «الشعب» (٤٣٢٥، ٧٦٦٨) وأبو نعيم (١/ ١٦٦ - ١٦٨)، وفي إسناده إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال أبو حاتم وغيره: «كذَّاب»، وتابعه إسماعيل ابن أبي زياد -وهو متروك- عند الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٨)، **وإسناده ضعيف جدًّا.**

(١) «الجامع الصحيح» (٤/ ١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٠٧)، وأطرافه في (٢٨٩٩، ٣٣٧٣).

«خزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم، وكانت الأوس والخزرج منهم»[(١)].

قال ابن حجر معلقًا: «ونسبة مضر وربيعة إلى إسماعيل؛ متفق عليها، وأما اليمن فجُمَّاعُ نسبهم ينتهي إلى قحطان، **واختلف في نسبه؛ فالأكثر** أنه ابن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، وقيل: هو من ولد هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل: ابن أخيه، ويقال: إن قحطان أول من تكلم بالعربية، وهو والد **العرب المتعربة**، وأما إسماعيل؛ فهو والد **العرب المستعربة**، وأما **العرب العاربة**؛ فكانوا قبل ذلك؛ كعاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وغيرهم»[(٢)].

وذهب الزبير بن بكار[(٣)] **إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل**، وأنه قحطان ابن الهميسع بن تيم بن نبت بن إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقد رجح ابن حجر هذا القول بأنه «ظاهر قول أبي هريرة المتقدم في قصة هاجر[(٤)]؛ حيث قال -وهو يخاطب الأنصار-: «فتلك أمكم يا بني ماء السماء»، **هذا هو الذي**

---

(١) «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠٢).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٣٥٠)، والملاحظ أن ابن حجر قسم العرب إلى ثلاثة أقسام، وأطلق عليها: عاربة ومتعربة ومستعربة، وهذا الاصطلاح -منه- غير جارٍ على السَّنن المعهود؛ حيث يطلقون العاربة على القحطانية، والمستعربة على العدنانية، والبائدة على عاد وثمود وطسم وجديس.
وقد يقسمونهم إلى قسمين كبيرين؛ فيطلقون العاربة ويريدون البائدة، ويطلقون المستعربة ويريدون العدنانية والقحطانية؛ كذا قال القلقشندي في «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» (١١ - ١٢).

(٣) في كتابه «جمهرة نسب قريش وأخبارها»، القسم المفقود منه.

(٤) انظر: «الجامع الصحيح» (٤/ ١٤٠ -١٤١)، «فتح الباري» (١٠/ ٦٠).

يترجح في ذهني، وذلك؛ أن عدد الآباء بين المشهورين من الصحابة وغيرهم وبين قحطان، متقارب من عدد الآباء بين المشهورين من الصحابة وغيرهم وبين عدنان، فلو كان قحطان هو هودا أو ابن أخيه أو قريبًا من عصره؛ لكان في عداد عاشرِ جدٍّ لعدنان، على المشهور أن بين عدنان وبين إسماعيل أربعة آباء أو خمسة»(١).

أما ابن حجر؛ **فرغم اعتراضه على استدلال البخاري بحديث سلمة**(٢)، **فقد رجح -مرة أخرى- أن قد يكون قحطان من ولد إسماعيل؛ لعلة تقارب الآباء** بين كلٍّ من عدنان وقحطان، وبين إسماعيل.

يقول: «**والذي ترجح في نظري**: أن الاعتماد على ما قاله ابن إسحاق **أولى، وأولى منه**: ما أخرجه الحاكم(٣) والطبراني(٤) من حديث أم سلمة؛

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٣٥٠ - ٣٥١).
(٢) يقول: «وفي هذا الاستدلال نظر! لأنه لا يلزم من كون بني أسلم من بني إسماعيل؛ أن يكون جميع من ينسب إلى قحطان من بني إسماعيل؛ لاحتمال أن يكون وقع في أسلم ما وقع في إخوتهم خزاعة من الخلاف: هل هم من بني قحطان أو من بني إسماعيل؟ وقد ذكر ابن عبد البر من طريق القعقاع بن أبي حَدرَد في حديث الباب: أن النبي ﷺ مر بناس من أسلم وخزاعة وهم يتناضلون؛ فقال: «**ارموا بني إسماعيل**»، فعلى هذا؛ فلعل من كان هناك من خزاعة كانوا أكثر، فقال ذلك على سبيل التغليب. وأجاب الهمداني النسابة عن ذلك: بأن قوله لهم: «**يا بني إسماعيل**» لا يدل على أنهم من ولد إسماعيل من جهة الآباء؛ بل يحتمل أن يكون ذلك لكونهم من بني إسماعيل من جهة الأمهات؛ لأن القحطانية والعدنانية قد اختلطوا بالصَّهارة»، انظر: «الفتح» (١٠/ ٣٥٤).
(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤١٦) رقم (٣٧٧٥).
(٤) انظر: «المعجم الصغير» (٢/ ٦٢).

قالت: عدنان هو ابن أُدٍّ بن زيد بن برِّي بن أعراق الثَّرى، وأعراق الثرى: هو إسماعيل... وهو **موافق من يقول: إن قحطان من ذرية إسماعيل؛ لأنه -والحالة هذه- يتقارب عدد الآباء بين كلٍّ من قحطان وعدنان وبين إسماعيل**»[١].

ب - قحطان ليس من ولد إسماعيل.

أرجع **ابن حزم** العرب إلى ثلاثة رجال؛ وهم: عدنان[٢]، وقحطان، وقضاعة[٣].

ثم نفى أن يكون قحطان من ولد إسماعيل، وقال بأن هذا القول «باطل بلا شك»، ودليله على ذلك: تخصيص رسول الله ﷺ بني العنبر بن عمرو ابن تميم -وهم من ولد عدنان- بأن تُعتِق منهم عائشة؛ لنذرها عتق رقبة من بني إسماعيل، فصح -بهذا- أن في العرب من ليس من ولد إسماعيل، وإذ بنو العنبر من وُلْده؛ فلم يبق إلا قحطان وقضاعة[٤].

ونفى أن يكون من ولد هود عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن هذا باطل بيقين قوله -تعالى-: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨]، وهود عَلَيْهِ السَّلَامُ من عاد، ولا ترى باقية لعاد[٥].

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٣٥٣).
(٢) قال ابن حزم: «عدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك»، «جمهرة أنساب العرب» (٧).
(٣) قال ابن حزم: «قضاعة مختلف في نسبه بين عدنان وبين حمير، والله أعلم»، «جمهرة أنساب العرب» (٨) بتصرف.
(٤) «جمهرة أنساب العرب» (٧) بتصرف.
(٥) «جمهرة أنساب العرب» (٧) بتصرف.

ونفى أن يكون ابن أرفخشد بن سام بن نوح على ما جاء في «التوراة» من أنه قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن «التوراة» لا يعتمد عليها لفساد نقلها؛ **فهي مكذوبة ومصنوعة مولدة،** ليست التي أنزل الله -تعالى- على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ البتة[(١)].

واختار التوقف في نسب قحطان عند سام بن نوح دون ترجيح؛ فقال: «وقد قيل: إن قحطان من ولد سام بن نوح، والله أعلم»[(٢)].

أما **ابن عبد البر؛ فالعرب عنده** -مثل ابن حزم- **لا تخرج عن ثلاثة أصول؛** وهي: **عدنان، وقضاعة**[(٣)]**، وقحطان.**

وقد حصر الخلاف الحاصل بين النسابين -في نسبة قحطان- في ثلاث مقالات[(٤)]، وأشار إلى أن نسبة قحطان إلى إسماعيل لها ما يزكيها -عكس مقالة ابن حزم- حديثًا وشعرًا.

وذلك قوله: «يشهد لقول من جعل قحطان وسائر العرب من ولد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قول رسول الله ﷺ لقوم من أسلم والأنصار: «**ارْمُوا بَنِي**

(١) «جمهرة أنساب العرب» (٨) بتصرف.

(٢) «جمهرة أنساب العرب» (٧).

(٣) أشار ابن عبد البر إلى أن أكثر النسابين يجعلون قضاعة من ولد عدنان، وذهب بعضهم إلى أنه من حمير بن سبأ، «الإنباه على قبائل الرواة» (٣١- ٣٢) بتصرف.

(٤) نسبته طائفة إلى إرم بن سام بن نوح، ونسبته أخرى إلى عابر؛ وهو هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونسبته غيرهما إلى إسماعيل بن إبراهيم، ولكل واحدة من هذه الطوائف ثلاثة طرق في النسب.
«الإنباه على قبائل الرواة» (٢٦) بتصرف.

إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا»(١)، وقول المنذر بن حرام -جد حسان بن ثابت-؛ حيث يقول:

ورِثْنا من البُهْلول(٢) عمرو بن عامر وحارثة الغِطْرِيفِ(٣) مجدا مؤثلا(٤)

مآثر من نبت بن نبت بن مالك ونبت بن إسماعيل ما إن تحولا»(٥)

إلا أنه اختار **نسبة قحطان إلى العرب العاربة**؛ للأثر المروي عن ابن عباس.

قال: «ورأيت بخط أبي جعفر العقيلي؛ قال: نا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا سلام بن مسكين؛ قال: نا عون بن ربيعة، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس؛ قال: العرب العاربة: قحطان بن الهَمَيْسَع، والأمداد، والسالفات، وحضرموت(٦).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البهلول: العزيز الجامع لكل خير، «لسان العرب» (١١/ ٧٣).

(٣) الغِطْريف: السيد يغشى بكرمه وإحسانه، وهو مما زيدت فيه الراء؛ فأصله من (الغَطَفِ) وهو أن ينثني الشيء على الشيء حتى يغشاه، «مقاييس اللغة» (٤/ ٤٣١) بتصرف.

(٤) المؤثل: الأصيل، قال ابن فارس: «الهمزة والثاء واللام يدل على أصل الشيء وتجمعه»، «مقاييس اللغة» (١/ ٥٩).

(٥) «الإنباه على قبائل الرواة» (٢٦) بتصرف.

(٦) أخرجه خليفة بن خياط في «الطبقات» (٦٧) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٣٢٠) رقم (١٦٩٧) من طريق سليمان بن حرب، ثنا سلام بن مسكين به، ولفظه: «العرب العارب ولد قحطان بن الهليسع اليمن والسالفات وحضرموت والأمداد»، قال سليمان: «هو الهميسع»؛ هذا لفظ ابن أبي عاصم، ولفظ خليفة: «العرب الأعاربة ولد قحطان بن الهَمَيْسَع».

وهذا حديث حسن الإسناد، وهو أعلى ما روي في هذا الباب، وأولى بالصواب، والله أعلم»[(١)].

وأكَّد هذا ابن الكلبي؛ فقال: «قحطان بن الهَمَيْسَع بن تَيمَن بن نَبْت بن إسماعيل بن إبراهيم -صلوات الله عليه-»، وهو الذي اعتمده ابن المبرد في رسالة «نسب عدنان وقحطان»[(٢)] وخليفة بن خياط في «الطبقات»[(٣)].

وعند ابن كثير تنقسم العرب إلى:

- **عاربة:** كانوا قبل إسماعيل؛ ومنهم: عاد، وثمود، وطسم، وأمم آخرون لا يعلمهم إلا الله، كانوا قبل الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفي زمانه -أيضًا-.

- **ومستعربة:** وهم عرب الحجاز من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

- **وعرب اليمن:** وهم حمير، فالمشهور أنهم من قحطان؛ هذا هو الصحيح المشهور[(٤)].

ومما سبق؛ يتضح تشعب الخلاف بين العلماء في الأصول التي يرجع إليها النسب العربي بين عدنان وقحطان وقضاعة.

أما القضاعيون؛ فأكثرُ الخلاف فيهم بين أن يكونوا عدنانيين أو قحطانيين،

(١) «الإنباه على قبائل الرواة» (٢٩).
(٢) (ص٣٩) تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي، أو (٢/ ٣٤٧ - ٣٤٨، ضمن «بحوث وتحقيقات») أعدها للنشر محمد عزير شمس، وانظر: «جمهرة النسب» (٣/ ٣٦١) تحقيق محمود فردوس العظم.
(٣) (ص٦٧).
(٤) «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠١) بتصرف.

وهذا لا يقتضي تباعد الشُّقة في النسب العربي؛ فهو متفرع عن خلاف العرب الأكبر -العدنانية والقحطانية-، والذي عليه الأكثرون: أن قضاعة من ولد عدنان(١).

يقول ابن كثير: «والجمهور على أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين: قحطانية وعدنانية؛ فالقحطانية شعبان: سبأ وحضرموت، والعدنانية شعبان -أيضًا-: ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان»(٢).

أما خلاف النسابين في العدنانيين والقحطانيين؛ فمكمنه في نسبة قحطان إلى إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فاحتج البخاري -إثباتًا لنسبة قحطان إلى إسماعيل- بالحديث الذي يُدْخل بني أسلم الخزاعيين في بني إسماعيل؛ فاعتُرِض عليه باحتمالات قد سبق ذكرها(٣).

ومثل ذلك: فعل ابن حزم -نافيًا نسبة قحطان إلى إسماعيل-؛ فاحتج بحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنه كان عليها رقبة من ولد إسماعيل، فجاء سبي من خولان، فأرادت أن تعتق منهم؛ فنهاها، ثم جاء سبي من مضر من بني العنبر؛

(١) قاله ابن عبد البر، ويروى -هذا- عن ابن عباس وابن عمر وجُبير بن مُطْعِم، وهو اختيار الزبير بن بكار وعمه مصعب الزبيري، وابن هشام، ويقال: إنهم لم يزالوا في جاهليتهم وصدر من الإسلام ينتسبون إلى عدنان، فلما كان في زمن خالد بن يزيد ابن معاوية؛ كانوا أخواله انتسبوا إلى قحطان، «الإنباه على قبائل الرواة» (٣١ - ٣٢) و«البداية والنهاية» (٢/ ٤٠٢) بتصرف.

(٢) «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠٢) بتصرف.

(٣) انظر: (ص٩١ وما بعدها).

فأمرها النبي ﷺ أن تعتق منهم».[(١)]

ويمكن القول: إن هذا الحديث ليس نصًّا في نفي نسب قحطان إلى إسماعيل؛ فإن الاحتمالات واردة عليه -كما فُعِلَ بحديث المثبتين-، فيقال: إن المقصود من (ولد إسماعيل) الأصالة العربية التامة وعدم الاختلاط؛ فقد يسبق في علمه ﷺ أن سبي خولان مختلط، وأن بني العنبر لم تشبهم شائبة.

واحتمال أن يكون المقصود: من ولد إسماعيل العربي، دون غيره من الأعاجم، وإنما وقع الأمر على بني العنبر؛ لغاية أخرى دون النسب.

ومن ثَم؛ فإن قوة الخلاف دائرة بين استدلال ابن عبد البر وبين ترجيح ابن حجر، فإن تمت صحة الأثر -وهو ليس كذلك- الذي رواه ابن عبد البر؛ كان أولى بالصواب، وارتفع الاحتمال عن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصار نصًّا في الدلالة على انقسام العرب إلى عدنانية وقحطانية، وإن كانت الأخرى ولم

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٦٣) من طريق مسْعر عن عُبيد بن حسن -وقيل: «ابن جبير»؛ كما في «أطراف المسند» (٩/ ٨٦)- عن ابن مَعقِل عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ورجالهما رجال الصحيح؛ قاله العراقي في «محجة القرب إلى محبة العرب» (٣٨٨ - ٣٨٩).
قلت: فيه ابن معقل؛ وهو عبدالله بن معقل المحاربي، ذكره المزي في «تهذيب الكمال» (١٦/ ١٧١) تمييزًا، وقال الذهبي: «محله الصدق»، وفي «التقريب» (٣٢٤): «مجهول».
وأخرجه ابن راهويه في «المسند» (١٧٦٨) والبزار في «مسنده» (٢٨٢٧ - «زوائده») والحاكم (٢/ ٢١٦) عن ابن معقل مرسلًا، **وإسناده أصح**.
وله شواهد من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني (١٠٤٠٠) والبزار (٢٨٢٥ - «الزوائد»)، ومن حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البزار (٢٨٢٦ - «الزوائد»)، وأرجو أن يكون الحديث **حسنًا لغيره** بهذه الشواهد.
وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٥٥٤٨، ٥٧٣١).

تكتمل صحة الأثر؛ استمسك بترجيح ابن حجر، لما يعضده من الاجتهاد والنظر؛ فتكون العرب راجعة إلى إسماعيل -كلُّها-.

٣ - علماء الإسلام بين العرب والعجم.

يرجع أصل هذه القضية إلى الفكرة التي أثارها ابن خلدون[١]؛ وهي:

«أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية، إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته؛ فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي»[٢].

وقد أرجع السبب في ذلك إلى:

أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة؛ لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة، وإنما كان معتمدها على **النقل في الصدور**؛ تلقيًا عن صاحب الشرع وأصحابه، فهم -يومئذ- **لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين**؛ لأن الحاجة لم تدعهم إليه، وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين.

ولما بعد النقل -من لدن دولة الرشيد فما بعد-؛ احتيج إلى وضع العلوم، وتقييدها، وإحكام قوانينها، **وصارت العلوم الشرعية -كلُّها- ذات ملكات محتاجة إلى التعليم؛ فاندرجت في جملة الصنائع، والصنائع من منتحل الحضر**

---

(١) أخذها عنه: أبو عبدالله بن الأزرق (ت ٨٩٦هـ) في «بدائع السلك في طبائع الملك» (ص٥٣١) وصديق حسن خان (ت١٣٠٧هـ) في «أبجد العلوم» (١/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٧٤٧).

الذين هم العجم أو من في معناهم من الموالي، وأهل الحواضر الذين هم -يومئذ- تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف؛ لأنهم أقوم على ذلك، للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس، فكان صاحب صناعة **النحو: سيبويه، والفارسي** من بعده، **والزجاج** من بعدهما، وكلُّهم عجم في أنسابهم، وإنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه، وصيروه قوانين وفنًّا لمن بعدهم، **وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم** أو مستعجمون باللغة والمَرْبَى، **وكان علماء أصول الفقه -كلُّهم- عجمًا** -كما يعرف-، **وكذا حملة علم الكلام، وكذا أكثر المفسِّرين، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم**، وظهر مصداق قوله ﷺ: «**لو تعلق العلم بأكناف السماء؛ لناله قوم من أهل فارس**»[١].

وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها، وخرجوا إليها عن البداوة؛ **فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية، وما دُفعوا إليه من القيام بالمُلك عن القيام بالعلم والنظر فيه**؛ فإنهم كانوا أهل الدولة وحاميتها، وأولي سياستها، مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم -حينئذ- بما صار من جملة الصنائع، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولَّدين، وما زالوا يرون لهم حق القيام به؛ فإنه دينهم وعلومهم، **ولا يحتقرون حملتها كل الاحتقار**[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٦) بسنده إلى أبي هريرة مرفوعًا: «**لو كان الدين عند الثريَّا؛ لذهب به رجل من فارس** -أو قال: **من أبناء فارس- حتى يتناوله**»، وفي لفظ له: «**لو كان الإيمان عند الثريَّا؛ لناله رجال من هؤلاء**».

(٢) «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٧٤٧ - ٧٤٩) بتصرف.

يفهم من كلام ابن خلدون: أن بداوةَ العرب وسذاجتَهم نَأَتْ بهم عن الصنائع، عكس تحضر العجم؛ جعلهم أهل صناعة، فكان العرب أهل رياسة، وكان العجم أهل علم.

والظاهر أن هذا الإطلاق من العلَّامة ابن خلدون؛ لم يأت فيه بدليل استقصائي يُعْتَمَدُ عليه، ولعل الحمية البربرية هي التي اشتطت بحكمه.

وقد تصدى الدكتور ناجي معروف لدحض هذا الرأي؛ فألف كتاب «عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية»، **ومما جاء فيه**[١]:

أ -إن السبب الكامن وراء هذا الرأي: هو عدم اطلاع ابن خلدون على كثير من المراجع والمؤلفات التي تثبت خلاف نظريته.

ب -ثم إن كثيرًا من العلماء المنسوبين إلى المواطن الأعجمية؛ يرجع إلى أصول وأنساب عربية -وقد جرد الدكتور ناجي معروف عددًا كبيرًا منهم-، وقد وضعوا مؤلفاتهم الكثيرة بالعربية.

ج -كما أن المَرْبَى الذي وجد فيه هؤلاء العلماء؛ إنما كان بسبب استيطان العرب المشاركين في الفتح الإسلامي لتلك البلاد، وكذلك هجرتهم إليها، وحِلِّهم بها، هذا في المشرق، أما في المغرب؛ فلم تكن الأندلس إلا بلادًا عربية.

د -أما العلماء العرب بالولاء؛ فلم يكونوا إلا كالعلماء العرب الصرحاء من حيث كثرة مؤلفاتهم العربية، وهم وإن لم يكونوا عرباء في أرومتهم؛ فقد كانوا عربًا في لغتهم، ومشيختهم، وبيئتهم.

(١) «عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية» (٦٣) بتصرف.

ج -وكذلك الانتساب إلى المدن الأعجمية هو مما يتوهم فيه الناس ويلتبس عليهم، حتى صاروا يعدُّون علماء العرب من الأعاجم؛ كالإمام مسلم ابن الحجاج النيسابوري، وأبي داود السجستاني، وأبي عيسى الترمذي، وأبي حاتم الرازي، والنضر بن شميل المروزي، والفخر الرازي، والمرغيناني، والفيروز آبادي، وغيرهم من العرب الصرحاء الذين طمس الانتساب على عربيتهم.

ويقول الهلالي في تقريظه لكتاب «الأدب الأندلسي»[١]:

«وقد سَلك الشُّعوبيَّة في الهندِ وفارس مسلكًا ناكبًا عن الجادَّة مُعْوَجًّا كاذبًا؛ فزَعموا أنَّ العربَ لم يكن لهم في الأدبِ العربيِّ إلَّا نصيب ضَئيل، وكذلك في العلوم؛ لأنَّ عقولَهم كانت أَدنى مِن أَنْ تُدرِك منزلةً عاليةً في ذلك، ويُشاغِبون بعلماءِ العجم وأدبائِهم النَّاشئين في حجورِ العربِ، الرَّاضعين لبان العربيَّة، وقد يجدون في بعضِ المستشرقين المتعصِّبين نصيرًا».

٤ - النحو بين الأصالة العربية والمنطق الأرسطي.

يعتبر **المستشرقون** -مثل: ميركس، ودي بور، وفرستيغ- **أول من أثار قضية تأثر النحو العربي بالمنطق والنحو اليونانيُّون**[٢].

(١) طبع الجزء الأول منه بمطبعة الوحدة المغربية، سنة ١٩٤١ م، في (١٨٨) صفحة.

(٢) ومما تجدر الإشارة إليه: أن بعض المستشرقين أكد أصالة النحو العربي عمومًا، وأصالة ما أنتجه سيبويه خصوصًا، وعلى رأسهم الإنجليزي مايكل كارتر والفرنسي جيرار تروبو، انظر: «سيبويه وأطروحة التأثير اليوناني»، مجلة دراسات استشراقية، العدد الرابع عشر، «بين المنطق الأرسطي والنحو العربي»، المجلد التاسع، العدد الأول، (١٩).

وقد نزع هذا المنزع بعض الكتَّاب العرب؛ فكان من أوائلهم: الدكتور طه حسين في تقدمته الطويلة لكتاب «نقد النثر» -المنسوب لقدامة بن جعفر، الذي حققه عبد الحميد العبادي-؛ دلف إلى القضية من خلال تأثر قدامة بالمنطق، وليس الأمر متعلقًا بالجانب النحوي -فحسب-؛ وإنما بالجانب البلاغي -كذلك-[(١)].

ومن أبرز العرب المرددين لأطروحة (تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني): إبراهيم مدكور؛ حين مقارنته بين منطق أرسطو ونحو سيبويه، وبين منطق أرسطو والنحو العربي[(٢)].

وقد أورد الدكتور محمد خير الحلواني بعضًا من هذه الآراء المؤيدة لتأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني، وفصَّل فيها، ودحضها واحدًا بعد آخر[(٣)].

ومهما يكن من أمر؛ فإن هذه الآراء قد درأها -قدمًا- أبو سعيد السيرافي؛ وذلك في مناظرته يونسَ بن متَّى؛ حيث جمع فأوعى -بما لا ريب فيه- أن لا علاقة للنحو العربي بالمنطق اليوناني، **فالنحو منطق، ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو، ولكنه مفهوم باللغة**[(٤)].

كما تباحثها عدد من الباحثين المختصين؛ فكتب فيها الدكتور إبراهيم

---

(١) «تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر» لطه حسين، وهو بحث ترجمه عبد الحميد العبادي عن الأصل الفرنسي، «نقد النثر أو كتاب البيان» (١).

(٢) انظر: «مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة»، ١٩٥٣، (ص٣٣٨ - ٣٤٦).

(٣) انظر: «بين المنطق الأرسطي والنحو العربي»، المجلد التاسع، العدد الأول، (٢٠).

(٤) انظر: «الإمتاع والمؤانسة» (١٢٥).

عبد الله مقالًا[١]؛ انتهى فيه إلى أن النحويين الأوائل -كابن أبي إسحاق، والخليل، وسيبويه- لم تتأثر عقليتهم بالمنطق، وقد جاءت أبحاثهم لغوية لا يشوبها أي دخيل، وإنما بدت آثار المنطق على النحو العربي في القرن الرابع الهجري على يد السراج، والرماني، ثم استمرت على يد من خلفهما من النحويين.

وإلى قريب من هذا القول: ذهب الدكتور أحمد غنيم؛ حيث فرَّق بين القواعد والصناعة، فالقواعد هي الأسس الدائمة المستقرة، والمبادئ العامة المجردة التي قام عليها النحو منذ النشأة الأولى، والتي لا تتغير ولا تطاوع على التغيير، والتي نشأت عربية خالصة، تستمد منهجها المستقل من التراث الأصيل الذي أساسه القرآن الكريم، ثم الرصد للنص العربي الخالص، وفي مقدمته الحديث النبوي الشريف، ومن بعده ما ورد عن العرب الأقحاح من قبل الإسلام وفي صدره الأول.

أما التسلل الفكري -المنطق الأرسطي خاصة-؛ فقد استساغه العلماء المتأخرون في جانب الصناعة النحوية، وهي تلك الإضافات الجاهدة الممتدة -التي لا تدور إلا في فلك تلك القواعد الأولى- في تبصُّر مُقتصِد حينًا، وفي تعسُّف مسرف أحيانًا، ومن ثَم؛ فهي اصطناع محدود بحدود (الصناعة) العلمية من صياغة لفظية، وتقسيمات شكلية، وافتراضات نظرية، ومنازعات جدلية، دون مساس بجوهر العلم وأصله، إلا أن من أخطر الغَمَرات التي تردى فيها أولئك المتأخرون من النحويين بمنزلق المنطق الأرسطي الشكلي:

(١) «نظرات في كتاب معاني القرآن»، «مجلة مجمع اللغة بدمشق»، المجلد ٧٨، ج٢.

هي أنهم ذهبوا إلى الإسراف في القياس -حتى بلغوا فيه حد الوهم-، وفي التقسيم، بدلًا من منهج الالتزام السلفي بالواقع اللغوي كما ورد[١].

وفي الجملة: فإن القائلين بتأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني؛ قد وقعوا في اضطراب، «ولا شك أن هذا دليل على غموض الرؤية عند هؤلاء الباحثين؛ بل أكاد أجزم بأن كثيرًا منهم أطلقوا أحكامهم دون أن يرجعوا إلى المصادر الصحيحة التي تصل بهم إلى الحقيقية»[٢].

٥ - الترجمة السُّريانية وأثرها في الفكر العربي.

سبق -في العرض الموجز للقضايا الخمس- وأحلنا على (الحلقة السابعة والثامنة والتاسعة) من سلسلة مقالات الهلالي (مَباحِثُ في عِلمِ اللُّغاتِ «فيلولوجي»).

قال الهلالي في رسالة إلى صديقه محمد بهجة البيطار[٣]:

«وأما السُّريانية؛ ففي تعلُّمها فوائد كثيرة؛ أهمها: معرفة اشتقاق اللغة العربية الكبير المسمى (فيلولوجي)[٤]؛ فقد ثبت بالبرهان القطعي أن كل لغة

(١) «قواعد النحو العربي وصناعته بين الأصالة العربية، وتأثير المنطق الأرسطي» (٦٠ - ٦١) بتصرف.

(٢) انظر: «بين المنطق الأرسطي والنحو العربي»، المجلد التاسع، العدد الأول، (١٩) بتصرف.

(٣) انظر: كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٨٤٩ - ٨٥١، ط الأولى).

(٤) للهلالي مقالة بعنوان (مباحث في علم اللغات - فيلولوجي) نشرها على اثنتي عشرة حلقة في جريدة «الأخبار» التطوانية، السنة الأولى، الأعداد (١٤، ١٥، ٣١، ٣٢، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٧٢، ٧٦، ٨٤، ١٠٤، ١١٣)، سنة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م، وستأتي -برمتها- على إثر هذا الكتاب.

هي غصن من شجرة لغات، لا بد لمن يريد معرفة ألفاظها من درس أخواتها، وثبت -أيضًا- أن اللغة العربية[1] هي أصل اللغات السامية، وأعظمها وأحسنها وأقيسها وأسلمها من الخلط، مع أن أهلها كانوا جهلة ولم يكتبوها، وأخواتها -كالسُّريانية والآشوريَّة والعبرانية والحبشية- أهلها أهل كتابة وعلم قديم؛ وهذا من العجائب!».

موقع العربية من اللغات السامية

نعم؛ وقع تردد من الهلالي في أصل اللغات، فتارة جزم -كما هنا-، وأكد في كتابه «تقويم اللسانين» على أن العربية هي أصل اللغات السامية؛ فقال:

«الرأي الصَّحيح -الَّذي عليه المحقِّقون مِن علماءِ هذا الشَّأن- أنَّ اللُّغةَ العربيَّة هي الأصلُ، وسائرُ اللُّغاتِ السَّامية تفرَّعت عنها، كما تفرَّعت العامِّيَّة عن الفُصحى، ومِن العجبِ أنَّ التَّطوُّرَ الَّذي وقعَ في اللُّغة العِبرانيَّة واللُّغةِ السُّريانيَّة هو بعينِهِ الَّذي وقعَ في اللُّغةِ العامِّيَّة؛ فإنَّ العبرانيَّة والسُّريانيَّة كان فيهما إعرابٌ في الأَصل، ولا تزالُ بقاياه في اللُّغة العبرانيَّة، ولمَّا كَثُرَ الجهلُ بالقواعدِ فيهما؛ أَخذ الإِعرابُ يَزول شيئًا فشيئًا، حتَّى صارَ معدومًا بالمرَّة.

وَلْنضربْ لذلك مثلًا: المرأةُ في اللُّغةِ العبرانيَّة اسمُها (اشه)، وأَصلها (اسة)؛ فتقول -مثلًا-: (ما اشه طوبه) فمعناه: المرأةُ الطيبة، و(ها) هي أداةُ التَّعريفِ بمنزلةِ الألفِ واللَّامِ في العربيَّة، فالأصْلُ: (ها اشة طوبة)، فلمَّا وقعَ الفسادُ، وتغيَّرت اللُّغةُ عن أَصلها، وانحرفَتْ عنه؛ حُذِفت هاءُ التَّأنيث في

---

(١) لابن حزم في أول كتابه «الإحكام» (١/ ٣١-٣٢) **كلمة مهمة جدًّا**؛ ستأتي في آخر (الحلقة الخامسة) من «مباحث في علم اللغات - فيلولوجي».

الكلمتَين وأُبدلَتْ بألفِ مَدٍّ، كما يُقال في العامِّيَّة: (الغُرْفا العاليا)، وعربيَّتُها في الأصل: (الغُرفةُ العاليَةُ)، والدَّليل على ذلك أنَّك إذا أضفْتَ كلمةَ (اشه) يظهر الأصل، فتقول: (اشه خاطوبة) معناه: امرأتُك طيِّبة، ولذلك اشتدَّ أَلمي، وعظُمَت حَسْرتي! لأنَّنا إذا سِرْنا في هذا الطَّريق؛ يَزول الإِعرابُ -كلُّه- مِن لغةِ القُرآن، وتَبعُد عن أَصلِها كلَّ البُعْد، كَما بعِدَتْ أُختَاها»[1].

⮱ قول قديم له

سيأتي في «فيلولوجي»[2] قول الهلالي:

«اللُّغةُ العربيَّةُ قديمَةٌ جدًّا، لا تَقِلُّ في القِدَمِ عَن أَخواتِها -إنْ لم تَزِدْ عليهِنَّ-، ومَعَ أنَّه ليس لَدَيْنا آثارٌ قديمَةٌ مِن هذه العربيَّةِ القرشيَّةِ؛ فإنَّنا **نَتجرَّأُ وندَّعي أَنَّها كالأُمِّ لِلُّغاتِ السَّامِيَّة**، وَإِنْ كُنَّا لا نَجزِمُ أَنَّها أَقدمهنَّ»، وفصَّل ذلك في (الحلقة التاسعة والعاشرة)، وأجاب عن الإشكالات الواردة على إدعائه -هذا-.

فهو يجزم بأن العربية (أصل)، ثم يتردد في ذلك، ويكتفي بأنها كـ(الأم للغات)، والمسألة تحتاج إلى بحث عميق، وستأتيك أسباب التردد -عنده- لاحقًا، وإن كان قد استقر -فيما يبدو- على الجزم بأن اللغة العربية هي أصل اللغات -كلها-، والأدلة عليه لائحة.

وهنالك صلة قوية بين العربية والإنجليزية، وهاك الدليل:

أثبت مونتجومري وات في آخر كتابه «فضل الإسلام على الحضارة

(١) «تقويم اللسانين» (ص١٨٦ - بتحقيقي) للهلالي.
(٢) انظر: (ص٤٩٨).

الغربية» (ص١١٥-١٢٥) تذييلًا بعنوان (قائمة بالكلمات الإنجليزية المشتقة من أصل عربي)، وذكر أنه مسبوق بذلك؛ إذ نشر كارل لوكوتش قائمة أكثر شمولًا منها في هايدلبرج، عام ١٩٢٧م، ووجدتُ قوائم طويلة في كتاب «اللغة العربية أصل اللغات كلها» (ص٩٥-٩٦، ٩٩-١٦١) للأستاذ عبدالرحمن البوريني، فيها الأصل العربي للكلمة ومعناها والكلمة بالإنجليزية؛ وانظر: «معجم الفردوس، قاموس الكلمات الإنجليزية ذوات الأصول العربية» للأستاذ الدكتور مهند عبدالرزاق الفلوجي الهاشمي، ومقالة «الكلمات العربية الشائعة في اللغة الإنجليزية» المنشورة في مجلة «المجمع العلمي العراقي» لجرجيس فتح الله (المجلد الرابع، الجزء الأول، سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، ص٢٢٠-٢٣١).

بل ألَّف جمع أنَّ «اللغة العربية أم اللغات ولغة البشرية» -وهذا عنوان كتاب للأستاذ إسماعيل العرفي-، وجزم به الهلالي في رسالته الشخصية لصديقه العلَّامة محمد بهجة البيطار.

ومن الأدلَّة القوية على أنَّ اللغة العربية هي أصل اللغات: أن فيها أكبر عدد للكلمات، ففيها (١٢, ٣٠٢, ٩١٢) من غير تكرار، بينما اللغة الإنجليزية فيها (٦٠٠,٠٠٠) كلمة، واللغة الفرنسية فيها (١٥٠,٠٠٠) كلمة، واللغة الروسية فيها (١٣٠,٠٠٠) كلمة، وتداول هذا[1] رواد مواقع

(١) ذكر مصطفى صادق الرافعي في «تاريخ آداب العرب» (١/ ٦٠) إحصائية تختلف عن هذه، وعبارته: «أحصى بعضهم عدد الكلمات في بعض اللغات المعروفة؛ فذكروا أن كلمات اللغة الإنجليزية لا تقل -في عهدها الحديث- عن (٢٥٠ ألف كلمة)، وتليها =

التواصل الاجتماعي بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية، الذي يحتفلون به في كل عام في الثامن عشر من ديسمبر، ففي أكتوبر ٢٠١٢م أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم (٣١٩٠) الذي يقر إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الأمم المتحدة، بعد اقتراح قدمته المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية خلال انعقاد الدورة (١٩٠) للمجلس التنفيذي لمنظمة اليونيسكو.

وفضل جنس العرب على غيرهم[١] تعدَّى لهم من لغتهم وأخلاقهم بتفضيل الله لهم بذلك.

قال العلَّامة عبدالحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

«**خلتان فضلت بهما العرب على سائر الناس:**

١- الصدق.

٢- والجود.

= الألمانية (٨٠ ألفًا)، فالإيطالية (٤٥ ألفًا)، فالفرنساوية (٣٠ ألفًا)، ثم الإسبانيولية (٢٠ ألفًا)، أمَّا اللغات الشرقية؛ فأوسعها العربية، وهي تتألف من (٨٠ ألف كلمة)، ثم الصينية ويستعمل فيها عشرة آلاف علامة يتألف منها (٤٩ ألف كلمة مركبة)، ثم التركية وهي تحتوي نحو (٢٣ ألف كلمة)، ثم لغة هاواي وفيها زهاء (١٦ ألف كلمة)، ثم لغة الكَفْر، وذكروا أنه ليس فيها إلَّا (٨ آلاف كلمة)، ثم لغة غالَّا الجديدة، وقالوا إنها تتألف من ألفي كلمة لا غير، **على أن ذلك -كلَّه- إنما يقال وينقل تشقيقًا للبيان، لا تحقيقًا للبرهان**».

(١) انظر -لزامًا-: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٤١٩)، «مسبوك الذهب في فضل العرب» (٢١) للشيخ مرعي الكرمي -وهو مختصر من الأول-، «فضل العرب والتنبيه على علومها» لابن قتيبة (**وهو مهم**)، «محجة القرب» للعراقي، وغيرها كثير.

فالصدق بناء العبادات، والجود بناء المعاملات، ويعبر عن الأصلين بالصلاة والزكاة، ألا ترى كيف كانوا يمدحون بهاتين الصفتين؟ قال صخر[١] أخو الخنساء يرثى أخًا له:

وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ ... كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ عَلَيْه بمَالِيا»[٢]

يستطيع دارس اللغات السامية أن يلاحظ التقارب الشديد بين كلماتها وكلمات اللغة العربية، مما جعل بعض اللغويين يجزمون بانتساب العربية إلى اللغات السامية، والصحيح أن اللغات السامية متفرعة من العربية، لأن العربية هي هبة الله –تعالى– لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبي الساميين وأبي البشر أجمعين.

وعندما لاحظ اللغويون التقارب بين العربية والحبشية ولغات وادي النيل كالنوبية، قالوا بوجود أسرة اللغات السامية الحامية، وانتسابها إلى أصل واحد.

اللغة العربية بناء على ما افترضنا هي لغة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأم اللغات جميعًا، هي اللغة وما عداها لهجات منبثقة منها. ولعل المؤرخين الذين قالوا إنَّ العربية متولدة من النبطية، قد لاحظوا تقاربًا بين النبطية والعربية أكثر مما بين العربية واللهجات الأخرى.

لقد احتار المتخصصون في تاريخ اللغات في أمر العرب ولغتهم، وظلت

(١) «شرح ديوان الحماسة» (٣/ ١٠٩٤) للمرزوقي، «الكامل» (١٢٢٢)، «الممتع» (٣٦٠)، «نشوة الطرب» (٢/ ١٥٤).
(٢) «القائد إلى عيون العقائد» (١٨٣).

جزيرة العرب لغزًا يلفُّه الغموض في طريق الباحث عن بداية تاريخ العرب فيها، أو بداية نشوء اللغة العربية[١].

يقول الدكتور حسن ظاظا[٢] في كتابه «الساميون ولغاتهم» حول أقدمية العرب في شبه الجزيرة: «ولو أننا ركزنا اهتمامنا على بحث الجانب الحضاري كله، من خلال دراسة مقارنة بين اللغة العربية واللغات القديمة، وهو بحث لم ينجز إلى الآن على جهة الاستقصاء والإحصاء، لرأينا العجب العجيب من حيث أقدمية العرب في منطقتهم هذه، ولو أننا إلى جانب ذلك عكفنا على عاداتهم وتقاليدهم في الجاهلية وعلى أسماء أصنامهم ومقدساتهم؛ وعلى أمثالهم وأساطيرهم وخرافاتهم، لتبين لنا أن الجاهلية الأخيرة لم تكن إلَّا مرحلة ضئيلة جدًّا من حياة العرب في أميتهم هذه قبل الإسلام بزمن سحيق، يصعب علينا الحدس ببدايته، ولو أننا بالإضافة إلى ذلك كله عُنينا بجس باطن الأرض لأغراض غير التي ينشدها الباحثون عن النفط، فلربما أسفر ذلك عن كشوف تصحح معرفتنا بتاريخ العرب القدماء، وتزيدها دقة وتفصيلًا»[٣].

وينقل الدكتور حسن ظاظا في الكتاب نفسه رأيًا للمستشرق الفرنسي

---

(١) «اللغة العربية أصل اللغات كلها» (٤٨ - ٤٩).

(٢) هو حسن بن محمد توفيق ظاظا، من مواليد القاهرة سنة ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م، مفكر لغوي وباحث أكاديمي، وهو صديق تقي الدين الهلالي، ودرَّس معه مادة اللغة العبرية في الرباط، وهو من عمالقة الفكر والأدب، ودرس اثني عشر عامًا في آخر حياته في جامعة الملك سعود بالرياض، يُنظر: حوار معه في مجلة «الفيصل»، عدد (٢٧٣)، (ص٨١)، وترجمته في: «تتمة الأعلام» (٣/ ١٦).

(٣) «الساميون ولغاتهم» (ص١٦٢).

آرنست رينان حول رأيه في العرب واللغة العربية، يقول رينان: «إن وسط شبه الجزيرة العربية وهو موطن العرب الأصلي، لم يظهر في تاريخ الشرق القديم إلَّا متأخرًا، ومع ذلك فإنه هنالك بالتحديد تستمر بفضل الحياة البدوية الميزات الأصلية للجنس السامي.

ففي القرن السادس بعد الميلاد يتراءى هناك عالم زاخر بالحياة وبالشعر وبالرقي الفكري، في بلاد لم تعط حتى هذا التاريخ أية علامة على وجودها، فبدون سابقة ولا تمهيد نلتقي فجأة بفترة «المعلقات» وغيرها من الشعر الذي احتواه كتاب «الأغاني»؛ شعر فطري في مضمونه، بينما هو من حيث الشكل في غاية الأناقة، ولغة منذ البداية تفوق في لطائفها أشد أنواع الكلام إمعانًا في الثقافة، وألوان من الحصافة في النقد الأدبي، وفي البيان تشبه ما تجده في أشد عصور الإنسانية إعمالًا للفكر، فإذا ما وجدنا هذه الحركة تنتهي بعد قرن من الزمان بدين جديد، وبفتح نصف العالم، ثم تعود من جديد فتنطوي في النسيان، أفليس من حقنا إزاء ذلك أن نقول: إن بلاد العرب، دون جميع البلاد، تشذ أكثر الشذوذ عن كل القوانين التي نحاول بمقتضاها تفسير تطور الفكر الإنساني؟

ومن بين الظواهر التي اقترن بها هذا الانبثاق غير المنتظر لوعي جديد في الجنس البشري، ربما كانت اللغة العربية نفسها هي الظاهرة الأشد غرابة والأكثر استعصاء على الشرح والتعليل، **فهذه اللغة المجهولة قبل هذا التاريخ، تبدو لنا فجأة بكل كمالها ومرونتها وثروتها التي لا تنتهي**، لقد

كانت من الكمال منذ بدايتها بدرجة تدفعنا إلى القول بإيجاز: إنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحديث لم تتعرض لأي تعديل ذي بال، **اللغة العربية لا طفولة لها، وليست لها شيخوخة -أيضًا-**، ولست أدري! إذا كان يوجد مثل آخر للغة جاءت إلى الدنيا مثل هذه اللغة، من غير مرحلة بدائية، ولا فترات انتقالية، ولا تجارب تتلمس فيها معالم الطريق»[(١)].

وسر كمال العربية الذي حيَّر آرنست رينان وغيره من المؤرخين والدارسين **يرجع إلى كمال مصدرها، فكمال المظهر يدل على كمال المصدر، فهي إلهية المصدر، هي هبة الله -تعالى- لعبده الذي استخلفه في الأرض؛ ألهمه فتكلَّم، وعلَّمه بها فتعلَّم، ووهبه البيان بها، فأفصح وأبان.**

كما افترضنا؛ فإنَّ الناس الذين كانوا يسكنون مكة وما حولها من بعد سيدنا إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ظلوا دومًا يحافظون على اللغة العربية الفصحى، ولا يتركون مجالًا لتشويه ألفاظها، وهكذا كان الحال دائمًا إلى أن كان العصر الذي بعث فيه سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وأنزل فيه القرآن باللغة العربية.

وكانت مكة تمثل بؤرة التجمع العربي، وكانت تتاجر في رحلتين في السنة، إحداهما في الشتاء: وتذهب جنوبًا إلى اليمن، والأخرى في الصيف: وتذهب إلى الشمال، وباستمرار اتصال القبائل العربية ببعضها؛ فقد تمت المحافظة على اللغة العربية إلى أن حان موعد الدين الجديد (الإسلام).

وبعد ظهور الإسلام خرج العرب لنشره في العالم، وارتحل عدد من

(١) «الساميون ولغاتهم» (ص١٦٢ - ١٦٤).

القبائل ليسكن في العراق والشام، وأخذ الموالي من غير العرب يختلطون مع العرب، وتوافد الناس من الشعوب الأخرى المسلمة على الجزيرة العربية، فبدأ اللحن يظهر على اللغة؛ مما حمل العرب على القيام بخطوات للمحافظة على لغتهم، ومن ذلك: جمع القرآن، وقيام أبي الأسود الدؤلي بجمع اللغة، فيما سمي منْ بعدُ بـ(النحو)، وظهور (المعاجم) التي حوت كلام العرب[(١)].

والناظر بأناة يجد في العربية ميزات وسمات لا توجد في غيرها، وهي لغة فيها من الدقة والشمول والمرونة ما يمكنها أن تستوعب كل حادث، إذ أصولها مكتملة، ورد الحادث إلى أصوله واسع وعميق ومتشعِّب.

نعم؛ «تنتمي اللغة العربية إلى أسرة للغات الحامية السامية (أو اللغات الأفروآسيوية أو اللغات الجزيرية -ونفضل هذا المصطلح الأخير-)، وتتكون هذه الأسرة اللغوية الكبيرة من لغات استعملتها مجموعات كثيرة من البشر منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد حتى اليوم، وفي منطقة امتدت وتمتد من الجزيرة العربية حتى المغرب، ومن جنوب تركيا حتى إثيوبيا، أشهر تلك اللغات: العربية والآكادية والأوغاريتية والفينيقية والآرامية والعبرية والحبشية والمصرية القديمة والأمازيغية، **ولا تزال اللغة العربية** تفتقر إلى معجم تأثيلي[(٢)] يعالج أصولها معالجة تأثيلية، ويبين ما تشترك العربية فيه مع

(١) «اللغة العربية أصل اللغات كلها» (٥١).

(٢) يقصد به: معجمًا تاريخيًّا للغة العربية، وعلى الأخص في الشق التأثيلي للمعجم التاريخي المنشود؛ حيث يتم التأصيل للجذور العربية، بمقارنتها مع الجذور المجانسة لها في اللغات الجزيرية، التي ترتبط العربية بها بقرابة لغوية، على مستوى الأصوات والصرف والنحو والمفردات.

أخواتها من اللغات الجزيرية، وما تنفرد به -وحدها- من الألفاظ التي طورتها بمعزل عن التراث اللغوي الجزيري المشترك، وما اشتقته من جذورها خلال مراحل تطورها الكثيرة، وما استعارته من لغات أخرى، وطوعته لينسجم مع أوزانها وأبنيتها؛ مثل: أُسْقُف = المعرب عن اليوناني episkopos، أو لم تطوعه تاركة إياه على حاله؛ مثل: تلفزيون = الدخيل، وما دخلها من تعابير اصطلاحية تغلغلت في تراكيبها من خلال الترجمة العشوائية، ولغة الصحافة الأجنبية، وغيرهما من قنوات الاتصال الحديثة بالغرب.

إن خلو المكتبة العربية من معجم تأثيلي يؤرخ لألفاظها، ويضبط التطور الدلالي للمدلولات والمفاهيم عبر الزمن؛ ثغرة كبيرة في الثقافة العربية، خصوصًا؛ وأن علم صناعة المعجم علم عربي أصيل، وضعه العرب منذ أيام الخليل بن أحمد الفراهيدي، وطوروه -فيما بعد- تطويرًا كبيرًا؛ فسبقوا -بوضعه وتطويره- سائر الأمم التي أخذت عنهم هذا العلم الذي لم يتجاوزهم فيه أحد حتى القرن الثامن عشر الميلادي، عندما بدأ الأوربيون -متأثرين بعلم صناعة المعجم العربي- ينسجون على منوال المعاجم العربية، ويضعون معاجم للغاتهم بلغت في جودتها الغاية.

إن توظيف علم اللغة المقارن وعلم التأثيل في الدراسات اللغوية العربية؛ أمر لا بد منه إذا أردنا أن نؤرخ للمفردة العربية تأريخًا تأثيليًّا دقيقًا، بتوظيف علم اللغة المقارن.

يقوم علم اللغة المقارن على أربعة أصول؛ هي: الصوتيات والصرف

والنحو والمعجم، والقرابة اللغوية التي لا تثبت على أساس هذه الأصول الأربعة، ولا تحكمها قوانين صوتية مطردة؛ لا تكون قرابة لغوية، بل محض صدفة.

وأسرة اللغات الجزيرية أسرة لغوية قديمة، تتكون من فرعين: الفرع الشرقي (ومنه الآكادية والأوغاريتية والآرامية والعبرية والفينيقية والحبشية والعربية وغيرها)، والفرع الغربي (ومنه المصرية القديمة والأمازيغية وغيرهما)، وقد ذهب أكثر الباحثين إلى أن أصل هذه اللغات كان في الجزيرة العربية.

ترتبط لغات هذه الأسرة اللغوية الكبيرة بقرابة لغوية ثابتة صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا ومعجميًّا، مما يفترض انحدارها من لغة أُم كانت تستعمل في الجزيرة العربية، قبل تفرق القبائل المتحدِّثة بها، وهجرتها إلى العراق والشام ومصر والمغرب، وقد اهتدى الباحثون إلى تصوُّر هذه اللغة الأم المفترضة؛ بمقارنة اللغات الجزيرية ببعضها على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي، وأطلقوا عليها اسم (اللغة السامية الحامية الأم) (Proto-Hamito-Semitic)، ونصطلح نحن على تسميتها بـ(اللغة الجزيرية الأم).

ويعتقد -في بعض الأوساط العلمية- أن هنالك قرابة بعيدة بين أسرة اللغات الجزيرية من جهة، وأسرة اللغات الهندية الأوربية من جهة أخرى؛ إذ توجد نظرية لغوية مفادها: أن اللغات الجزيرية من جهة، واللغات الهندية الأوربية من جهة أخرى؛ تعود -كلُّها- إلى أصل لغوي واحد هو لغة افتراضية، اصطلح على تسميتها بـ(اللغة النوصطراطية) أو(The Nostratic Language).

وقد جمع مولر في كتابه «قاموس مقارن للغات الهندية الأوربية والسامية» معظم الجذور المشتركة بين هذه اللغات، واهتدى إلى القوانين الصوتية التي تحدد القرابة اللغوية بينها، وقد طور هذه النظرية وهذبها برونر في كتابه القيِّم «الجذور المشتركة للمفردات الجزيرية والهندية الأوربية»، ويبدو من هذين الكتابين أن القرابة اللغوية (أي: المعجمية) ثابتة بين اللغات الجزيرية واللغات الهندية، وقد اهتدى الباحثان -أعلاه- إلى بعض القوانين الصوتية التي تحكم التطور الحاصل في مفردات تلك اللغات»[(١)].

و«كتب بعض علماء الغرب من المتوغلين في المباحث اللغوية، وأسرارها، ومقابلة بعضها ببعض: أن لا علاقة للغات السامية -على اختلاف أنواعها- باللغات الغربية القديمة؛ كاليونانية، والرومية (اللاتينية)، والأنكلو صكصونية، وكاد يتفق جميعهم على هذا الرأي، إلَّا أن بعضهم -وهم النفر القليل- قال بأن هناك واشجة تمت إلى اللغة العبرية ببعض ألفاظ، وما كاد أصحاب هذا المذهب ينطقون به؛ حتى قام عليهم خصومهم فأسكتوهم بلا أدلة قوية.

على أننا قد استقرينا ألفاظًا كثيرة في اليونانية والرومية؛ فرأينا أنها لا تؤول تأويلًا حسنًا إلَّا بالنظر إلى لغتنا الشريفة، وقد رأينا هذه المشابهة عظيمة بين اليونانية والعربية في مفردات تقارب الألفين، ورأينا مثل هذه المشابهة بين

(١) من مطلع بحث الأستاذ الدكتور عبدالرحمن السليمان بعنوان (في ضرورة توظيف علم اللغة المقارن في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية)، منشور في مجلة «ترجمان»، مجلد (٢١)، عدد (٢)، أكتوبر ٢٠١٢م، (ص١١ - ٦٤).

الرومية والعربية في نحو ألف لفظة»[١].

قدرة العربية على الوفاء بمتطلبات العصر[٢]

ينبغي أن ننظر إلى اللغة العربية على أنها إحدى اللغات العظمى في العالم اليوم؛ فقد استوعبت التراثين العربي والإسلامي، كما استوعبت ما نقل إليها من تراث الأمم والشعوب ذات الحضارات الضاربة في القدم؛ كالفارسية، واليونانية، والرومانية، والمصرية... إلخ.

ولقد كان نزول القرآن الكريم باللغة العربية هو أعظم عوامل الحفاظ عليها وانتشارها؛ «فلقد انتشرت العربية عن طريق القرآن الكريم انتشارًا واسعًا، كما لم تنتشر أية لغة أخرى من لغات العالم؛ فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة، ولهذا السبب؛ تفوقت العربية تفوقًا كبيرًا على كل اللغات التي يتكلَّمها المسلمون»[٣].

«حقًّا؛ إنَّ العربية وعاء لحضارة واسعة النطاق، عميقة الأثر، ممتدة التاريخ، لقد نقلت إلى البشرية في فترةٍ ما أُسُس الحضارة، وعوامل التقدُّم في كل العلوم الطبيعية، والرياضيات، والطب، والفلك، والموسيقى...»[٤].

ولقد اعترفت الأمم المتحدة باللغة العربية كلغة رسمية سادسة في العالم

---

(١) مجلة «لغة العرب»، السنة (٦)، الجزء (٥)، أيار ١٩٢٨م، (ص٣٢١).
(٢) ما تحته من «تدريس فنون اللغة العربية» (ص٥٠ – ٥٥) للدكتور علي أحمد مدكور.
(٣) «فقه اللغات السامية» (ص٣٠) لكارل بروكلمان.
(٤) «الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها» (ص١٦ – ١٧) لرشدي أحمد طعيمة.

إلى جانب الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية، فهل يكافح العرب لتكون لغتهم من لغات الحضارة العلمية والتقنية المعاصرة؟

اللغة العربية بين التعبير الأدبي والتعبير العلمي[١]

اللغة العربية لغة مرنة طيعة، فيها الأسلوب الأدبي الإنساني ذو الدلالة الواسعة، وفيها الأسلوب العلمي ذو الدلالة المحددة الصارمة.

إنَّ لغة المجال الأدبي الإنساني ينبغي أن تكون مرنة غامضة، مطاطية غير محددة؛ لأنها أداة للتعبير عن الشعور المتباين من فرد إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، ومن شاعر إلى آخر، فللاستعمال الفردي للغة أهداف تتجاوز الدلالة الظاهرة للفظ إلى دَلَالتُه المجازية أو الإيحائية، ولهذا؛ فليس من الضروري أن يكون للكلمات معنًى واضح؛ بل ربما كان أعظم ما فيها أنها ذات غموض مقدس[٢].

واللغة في هذا المجال هي التعبير الموحي عن التجربة الشعورية؛ فهي لون من ألوان التعبير الفني المبدع عن الأفكار الكلية والمعاني الإنسانية؛ أي: إنها لغة الأدب، وهو مجموع الآثار النثرية والشعرية المتميزة بجمال الشكل أو الصياغة، والمعبرة عن أفكار ذات قيمة باقية، والأدب -بهذا المعنى الخاص- من الفنون الجميلة التي تبعث في النفس متعة وسرورًا؛ كالقصيدة الرائعة، والمقالة البارعة، والقصة المؤثرة.

---

(١) تابع لما قبله من «تدريس فنون اللغة العربية».

(٢) «العربية لغة العلوم والتقنية» (ص١٢ - ١٣) لعبدالصبور شاهين.

وربما كانت العربية -في هذا المجال- من اللغات التي يصعب أن تضاهيها لغات أخرى، وقد عبَّر عن هذا بعض المفكِّرين؛ فقال: «إنني أشهد -من خبرتي الذاتية- أنه ليس ثمة من بين اللغات التي أعرفها (وهي ٩ لغات) لغة تكاد تقترب من العربية؛ سواء في طاقتها البيانية أم في قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك، وأن تنفذ وبشكل مباشر إلى المشاعر والأحاسيس، تاركة أعمق الأثر فيها، وفي هذا الصدد؛ فليس للعربية أن تقارن إلَّا بالموسيقى»[١].

أمَّا اللغة العلمية؛ فهي لا تعرف الغموض، ولا تعترف به سبيلًا إلى تحقيق أهدافها التعبيرية، وإذا كانت العربية قد عاشت قرونًا طويلة لغة طبيعية إنسانية، بلغت قمة التعبير الأدبي؛ فإنها لم تقصر عن مجاراة الحاجة إلى التعبير العلمي، فقد عاشت العربية اللغة العلمية حين بدأت جهود الترجمة للعلوم المختلفة من الحضارات القديمة، كما عاشتها على يد مجموعة من العلماء المسلمين المبرزين في مختلف العلوم؛ مثل: حنين بن إسحاق (١٩٤ - ٢٦٤هـ)، وأبي بكر الرازي (٢٤٠ - ٣٢٠هـ)، وأبي عبدالله الخوارزمي (ت٣٨٠هـ)، وابن سيناء (٣٧٠ - ٤٢٨هـ)[٢]، وغيرهم كثيرين في العصرين القديم والحديث، وعلى أي حال؛ **فإنَّ اللغة العلمية يجب أن تتسم بالسمات التالية:**

---

(١) Hitti, P.K, «History of the Arabs», 6th Ed. London, McMillan & Co. Ltd. p.90-91.

(٢) انظر إلى جهود هؤلاء العلماء وأثرهم على مسيرة المصطلح العلمي: في كتاب الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين «العربية لغة العلوم والتقنية».

١- استخدام الألفاظ الحسِّيَّة لا التجريديَّة.

٢- تفضيل الجملة القصيرة دون الطويلة.

٣- الاقتصار على الضروري من الألفاظ.

٤- تفضيل المألوف من الألفاظ.

٥- تفضيل الأفعال المتعدية.

٦- عدم الإسراف في الصفات.

٧- تفضيل البناء للمعلوم على البناء للمجهول.

٨- عدم استخدام الألفاظ التي لها أكثر من معنًى؛ لغموض دلالاتها[(١)].

ولا شك أنَّ اللغة العربية قادرة على إنتاج الأساليب العلمية والمصطلحات اللغوية التي تتسم بالسمات السابقة؛ ففي طبيعة العربية ما يقدرها على ذلك، فهي لغة الاشتقاق من الجذور، وتغير الدلالات بتغير بنية الكلمات، والنحت... إلى آخره.

العربية لغة كاملة[(٢)]

لقد كال أعداء الإسلام والعروبة الكثير من الاتهامات للغة العربية، قديمًا وحديثًا، في الخارج وفي الداخل؛ فقالوا: إنها لغة جامدة، وقاصرة عن مواكبة الحضارة، ومستحدثات العصر ومخترعاته، وشجعوا على استخدام لغاتهم

(١) المرجع السابق (ص١٤ - ١٥).
(٢) تابع لما قبله من «تدريس فنون اللغة العربية».

الخاصة، كما شجعوا على استخدام العاميَّة بدلًا منها، وقد بدأت الحرب ضد العربية منذ أمد بعيد، ولكنها لم تنته بعد، فهل العربية لغة جامدة، غير متطورة، أو بدائية؟

إنَّ الكثير من الباحثين اللغويين يرى أنه لا توجد لغة جامدة أو قاصرة أو بدائية، وإنما يوجد قوم بدائيون أو جامدون، فاللغة -أية لغة، فضلًا عن أن تكون العربية- قادرة -دائمًا- على التطور والنمو واستنباط المفردات والتراكيب التي تلائم الحاجات الجديدة والمخترعات الجديدة لدى أهلها، فإذا لم يكن لدى أهلها حاجة إلى اختراعات جديدة أو استعمالات جديدة؛ فإن اللغة تبقى كما هي، وعلى هذا؛ فعدم نمو اللغة -أية لغة- ليس لقصور في طبيعتها أو ذاتها؛ وإنما لقصور وجمود أهلها.

يقول القاسمي: إنَّ هناك افتراضًا خاطئًا «بوجود لغات متطورة وأخرى بدائية، ويثار هذا الادعاء كلما دار الحديث عن بعض القبائل في إفريقيا أو أمريكا اللاتينية؛ فبعضهم يزعمون بأنها ما زالت في المراحل الأولى من تطورها الحضاري، وإذا اتخذنا المستوى التكنولوجي مقياسًا للتطور الحضاري؛ فمن الممكن القول إنَّ هذه القبيلة أو تلك بدائية من وجهة نظر أنثروبولوجية، ولكن هذا القول لا يصدق من الناحية اللغوية، لأنه إذا كان المقصود ببدائية لغة إحدى القبائل هو خلوها من المفردات الخاصة بالمخترعات الحديثة -مثلًا-؛ فإن ذلك يرجع إلى عدم تعامل القبيلة بتلك المخترعات، وبالتالي؛ عدم حاجتها إلى ذلك النوع من المفردات، ولكن إذا استدعى تطور القبيلة

الاقتصادي استيراد تلك المخترعات؛ فإن لغتها سرعان ما تقوم بسد الحاجة عن طريق استنباط المفردات اللازمة، فاللغة قادرة -دومًا- على مواكبة النمو الاجتماعي لجمهور الناطقين بها، وهذا ما يسمى بمبدأ (كمال اللغة)(١).

لقد أثبت التحليل العلمي لكثير من اللغات أن اللغة تتصف دائمًا بالكمال، ويعني كمال اللغة: قدرتها على مواكبة التطور الحضاري بما يستحدثه من رموز تعبر عن كافة أوجه التطور الاقتصادي والتقني والفني والاجتماعي، ولكل لغة طرقها الخاصة في استحداث الرموز الجديدة؛ مثل: التوسع في معاني مفردات موجودة فعلًا، أو إضفاء معانٍ جديدة على كلمات قائمة، أو اشتقاق كلمات جديدة، أو نحتها، أو ترجمة المعاني الوافدة، أو استخدام كلمات دخيلة، أو غير ذلك من الوسائل الصرفية، فليس هناك مفهوم لا تستطيع أن تعبِّر عنه اللغة بأي من الأساليب السابقة(٢).

لقد كانت اللغة العربية في ظلال العصر العثماني تعيش أشد فتراتها ضعفًا، لا لأنها ضعيفة في ذاتها وطبيعتها؛ بل لأن العرب ضعف شأنهم في ذلك الوقت كما ضعف شأن الدراسة والبحث والعلم في جميع المجالات، ومن يقارن بينها في ذلك الوقت وبينها الآن؛ يجد أنها طفرت طفرة قوية، مستخدمة مرونتها وخصبها على التطور، مع الحفاظ على شخصيتها، واستجابة لمتطلبات أهلها.

(١) «اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى» (ص٧-٨) لعلي محمد القاسمي.

(٢) المرجع السابق (ص١٤).

ففي مطلع العصر الحديث: قامت حركة تهدف إلى إحياء الماضي العظيم من حضارة هذه الأمَّة وثقافتها، كما أعلنت عن بداية بعث لغوي جديد شامل؛ فاشتدت العناية بالبحث اللغوي، والبحث في مسائل الاستعمال اللغوي، وصواب التعبير العربي، وأسست المجامع العلمية في عدد من العواصم العربية؛ كالقاهرة، ودمشق، وبغداد وغيرها، وكانت النتيجة الكثير من المعاجم اللغوية والعلمية، وإيجاد ألفاظ كثيرة مناسبة للعدد الوفير من المدلولات، لا سيما في دائرة الشؤون الهندسية، والآلية، والطبية، والكيميائية، وغيرها مما أنشأته الحضارة الحديثة، وإذا كانت العربية قد قامت فيما مضى -كما يقول يوهان فك- رمزًا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والحضارة، وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل؛ فإنها ستحتفظ بهذا المقام العتيد -من حيث هي لغة الحضارة الإسلامية- ما بقيت هناك حضارة إسلامية(١).

ومحاولة إعادة كلمات اللغات -كلها- إلى العربية عملية شاقَّة ولكنها مفيدة، وهي ميزان في معرفة اللحن والدخيل، وتحتاج إلى توظيف اللهجات العربية، ودراسة التغييرات الحادثة في كثير من الكلمات في كثير من اللغات، ولا سيما الدينية كالأردية والفارسية وغيرها من لغات الشعوب المسلمة.

ومحاولة دراسة اللغة الإنجليزية -وهي الأكثر شيوعًا في العالم اليوم- وردِّ لفظ كلماتها إلى جذور العربية مهمَّة، وقامت حولها دراسات جادة، وأكَّدت نجاح هذه النظرية، وتقوم الآن دراسات عديدة حول اللغة العربية

(١) «كتاب العربية» (ص٢٣١ - ٢٣٤) ليوهان فك، وإلى هنا انتهى النقل من «تدريس فنون اللغة العربية».

وأنها أصل اللغات، وتواجهها مشاكل وعقبات، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ لها النضج ثم النشر ثم التقويم، وعقد المؤتمرات لتظهر المقررات، وتأتي بثمارها وأُكلها على أحسن حال.

فوائد أخرى لتعلم اللغات من كلام الهلالي

يتابع الهلالي كلامه السابق في رسالته لصديقه محمد بهجة البيطار؛ فيقول:

«وفيها -أي: تعلم اللغات- فوائد أُخرى؛ مثلًا: كتب عالم بريطاني مقالة؛ زعم أن كل ما ذكر ابن القيم[١] وغيره من المسلمين من البشائر الموجودة عند أهل الكتاب بالنبي محمد ﷺ فهي مأخوذة من كتاب علي الطبري[٢]؛ وكان

(١) في كتابه «هداية الحيارى» (ص٥٢٥ وما بعد - ط دار القلم).

(٢) عرَّف به العلَّامة محمد كرد علي في كتابه «كنوز الأجداد» (ص٧١-٧٣)، وألقى الضوء على مؤلفاته الدكتور سامي حداد في مقالة له نشرت في مجلة «العروة»، عدد تموز سنة ١٩٣٦م بعنوان (مؤلفات العرب ومصنفاتهم).

ولعلي بن سهل بن ربَّن الطبري (كان حيًّا قبل سنة ٢٤٧هـ - ٨٦١م) ترجمة في: «أخبار العلماء» (٢٣١ - ط ليبزج) للقفطي، «عيون الأنباء» (٢٥٨-٢٥٩) لحنين ابن إسحاق، وكتابه المومأ إليه «الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ» نشره عادل نويهض في بيروت سنة ١٩٧٩م.

ومما طُبع حديثًا في هذا الباب: «أعلام رسول الله ﷺ المنزَّلة على رسله ﷺ في «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» والقرآن، وغير ذلك، ودلائل نبوَّته من البراهين النيِّرة والدلائل الواضحة» لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، نشره سنة ١٤٤١هـ الأستاذ محمد بن دليم القحطاني، وكان قد نشر قسمًا منه سابين شميكته سنة ٢٠١٢م بعنوان «تلقي المسلمين للمواد العرفية التوراتية: ابن قتيبة وكتابه أعلام النبوَّة» في مجلة «التفاهم» السنة العاشرة (ص١- ٤٩)، ونشره في دورية «الإسلام والعلاقات =

سريانيًّا فأسلم، وألَّف كتابًا للخليفة العباسي المتوكل، وتزلف إليه بتحريف «التوراة» و«الإنجيل»؛ ليصحِّح بذلك اعتقاد المسلمين!! واحتجَّ على ذلك بأنه لم يوجد أحد من علماء الإسلام يعرف السُّريانية[١]؛ فوجب أن يكون كل ما ذكروه مأخوذًا من كتاب علي بن ربَّن السُّرياني... إلخ، ولهذا البريطاني مقال طويل نشره مع طائفة من القرآن، وترجمته بالسُّريانية، وقد أتعبتُ نفسي، وتركتُ المهمَّ من أشغالي، وترجمتُ ملخَّصًا من هذا المقال، وأتحفت به «التمدن الإسلامي» خدمة للإسلام والأدب، وتلبية لطلب محرر المجلة؛ فكان جزائي أنه أهمل المقال ونام عليه؛ فلا كتب إليَّ يعتذر عن نشره، ويقول: إنه يخالف مذهب المجلة -مثلًا- ويردَّه إليَّ، ولا نشره، وهذه هي المرة الثانية التي ضيعني فيها صاحب هذه المجلة من مقال أتعبتُ فيه نفسي تعبًا كبيرًا، مع أني لو أردت أن أكتب مقالًا ساذجًا؛ لكتبتُه في ساعة واحدة ومجلسٍ واحد بلا مراجعة كتب ولا معاجم، ولا ترجمة من الإنكليزية والسُّريانية»[٢].

ولمزيد الفائدة؛ أُتحف القارئ بهذه المقالة للشيخ تقي الدين الهلالي، بعنوان (**حديثٌ معَ زائرٍ كريمٍ**)[٣]:

= المسيحية» جامعة موناش – أستراليا، وبرمنجهام –بريطانيا، ونقل منه ابن القيم، وصرَّح بذلك في مواطن من «هداية الحيارى»، وهذا يَردُّ على ذاك البريطاني الذي أومأ الهلاليُّ إلى كلامه!

(١) هذا ليس بصحيح -البتة-، وعدم معرفته لا يدل على عدم الوجود!

(٢) هذا الخبر وغيره؛ جعلني أغيِّر عنوان كتابي «مقالات الهلالي» إلى «جمهرة مقالات الهلالي»، والله الموفق.

(٣) نشرت في مجلة «الجامعة الإسلامية» بالمدينة النبوية، العدد الرابع والعشرون، ربيع الثاني، سنة ١٣٩٤هـ، (ص١٩-٢٤).

زارَنا جماعةٌ من أساتذةِ الأزهرِ، وكنْتُ ألقِي درسًا في الأديانِ، موضوعُه «**التلمود**»، فرجعتُ إلى أوَّلِ الدَّرسِ؛ ليكونَ الكلامُ مُفهومًا، فبدأْتُ بذكرِ معنى «تلمود» لُغةً واصطلاحًا، وبعدَ ذلكَ شرعتُ في ذكرِ بعضِ ما تضمَّنَه «التلمود»، فقالَ لي أحدُ الأساتذةِ الضُّيوفِ: حسبُكَ.

وبَدَا لي أَنَّ له كلمةً يريدُ أَنْ يقولَها قبلَ الانصرافِ، وكنْتُ أظنُّ أنَّه يريدُ أَنْ يوجِّهَ نصيحةً للطلبةِ؛ لأنِّي التمسْتُ منه ذلكَ من قبلُ، فإذا به يريدُ أَنْ يستدرِكَ عليَّ شيئًا؛ ظنَّ أنِّي أغفَلْتُه وكانَ ينبَغي أَنْ أذكرَه، وسأذكُرُ -هنا- معنى ما قلْتُه، ثمَّ أذكرُ استدراكَه، وجوابي عنه:

قلتُ: إنَّ كلمة «تلموذ» -بالذَّالِ المُعجمةِ- في اللغةِ العبرانيَّةِ: مشتقَّةٌ من المصدرِ (لاموذ)، وهو مصدرُ الفعلِ الثلاثيِّ المعروفِ عندَ علماءِ هذا الشَّأنِ باسم (قال)، وذكرتُ بعضَ مشتقَّاتِه من الثلاثي اسمِ الفاعلِ (لومذ)؛ أي: متعلِّم، (يِلْمَذ) بكسرِ أوَّلِه وسكونِ ثانِيهِ وفتحِ ثالثِهِ، ومعناه: يتعلَّمُ، والفعل الرُّباعي (لِـمَّذ) بكسرِ اللامِ والميمِ المشدَّدةِ، ومعناه: عَلَّم من التَّعليمِ، ومضارعه (يلَمَّذْ)، واسمُ الفاعلِ (مِلَمَّذْ)؛ فهو (تفعول) بزيادةِ التَّاءِ والواوِ، ومعناه في اللغةِ: التَّعليم.

وذكرتُ أنَّ (الذَّال) المعجمةَ لا وجودَ لها في اللغةِ العبرانيَّةِ -أصالةً-، وإنَّما توجَدُ (الدال) المهملةُ، ويعرض لها الإعجامُ إذا جاءَتْ بعدَ حركةٍ ممدودَةٍ أو غير ممدودَةٍ أو سكونٍ ناقصٍ، ثمَّ قلْتُ: ومشتقَّاتُ مادَّةِ (ل م د) في اللغةِ العبرانيَّةِ كثيرةٌ.

وأمَّا في اللغةِ العربيَّةِ -**الَّتي هي أصلُها على الصَّحيحِ، وقيل: هي أختُها الكبرى، والأصلُ ضائعٌ**[١]-؛ فلم يُستعمَلْ من هذه المادَّةِ إلَّا (تلميذ)، وهذا شأنُ اللغاتِ الَّتي تكونُ فروعًا لأصلٍ واحدٍ؛ كالإيطاليَّةِ والإسبانيَّةِ -مثلًا-، وهما فرعانِ من فروعِ اللُّغةِ اللاتينيَّةِ، بعضُ الكلماتِ تهمَلُ في إحداهما وتوجَدُ في الأخرى، وبعضُها تقلُّ فروعُها ومشتقَّاتُها في إحدى الأُختَينِ وتكثُرُ في الأخرى.

وأزيدُ -هنا- أنَّ بعضَ المؤلِّفينَ من المُحدَثينَ استعمَلُوا من هذهِ المادَّةِ فعلًا؛ فقالوا: «**فلانٌ تتلمَذَ لفلانٍ**»، **ولا يوجدُ هذا في كتبِ اللُّغةِ**.

أمَّا في الاصطلاحِ؛ فمعناه: كتابُ فقهِ اليهودِ الَّذي استنبَطَه أحبارُهم من «التوراة».

ثمَّ بيَّنْتُ أنَّ الطائفَتَينِ الباقيَتَينِ إلى هذا الزَّمانِ من طوائفِ اليهودِ -وهما: الرَّبَّانيُّونَ والقرَّاؤون- لا تتَّفقانِ على الإيمانِ بـ«التَّلمودِ»؛ فالرَّبانيُّونَ يؤمنونَ به، ويحكمونَ به، وأمَّا القرَّاؤون؛ فإنَّهم ينكرونَه، ولا يؤمنونَ إلَّا بـ«التوراة»، ثمَّ لا يؤمنونَ إلَّا بنسخَتِهم الخاصَّةِ، ويطعنونَ في نسخةِ الرَّبانيِّينَ، وأكثرُ اليهودِ في هذا الزَّمانِ ربانيُّونَ، وهمُ الَّذينَ أنشؤُوا الحركةَ الصُّهيونيَّةَ.

أمَّا القرَّاؤون؛ فإنَّهم يسكنونَ في نابلس من الضِّفَّةِ الغربيَّةِ لنهرِ الأردن، وبينهم وبينَ الرَّبانيينَ عداوَةٌ دينيَّةٌ، لذلكَ؛ بقَوا معَ العربِ إلى الحربِ الأخيرةِ

(١) الهلالي يتردد في أصل اللغات؛ فتارة يجزم أنها العربية، وتارة يتردد، وتارة يقول: «الأصل ضائع»، وسبق بيان ذلك (ص١٠٦-١٠٧).

الَّتي وَقَعَتْ بينَ العربِ واليهودِ؛ فاستولى اليهودُ على مدينة نابلس[١]، والظَّاهر من أحوالِهم أنَّهم -معَ ذلك- محافظونَ على عقيدَتِهم.

وحاصلُ ما استدرَكَه عليَّ فضيلةُ الأستاذِ؛ أنَّه قالَ: إنَّك ذكرْتَ الفعلَ (لَامَذْ)، ولم تذكُرْ ضميرًا قبلَه نحوَ: «أنِي لَامَذْ».

فقلْتُ له: أيُّها الأستاذُ! أنا أتكلَّمُ في معنى الفعلِ وتصريفِه، ولا أريدُ أَنْ أُنشِئَ جملةً.

فوافَقَ على ذلكَ.

ولم أُرِدْ أَنْ أذكرَ له أمامَ الطَّلبةِ والزَّائرين: أنَّ اللفظَ الذي قالَه فاسدٌ؛ لأنَّ قولَنا بالعبرانية: «أنِي لَامَذْ» كقولِنا: «أنا تعلَّمَ» أو «أنا قامَ»، والعربيَّةُ والعبرانيَّةُ كِلْتاهُمَا تبدأُ الجملةُ الفعليَّةُ فيهما بالفعلِ، ولا يلزَمُ أَنْ نذكرَ اسمًا قبلَ الفعلِ؛ لا ضميرًا ولا ظاهرًا؛ فنقولُ: «طلعَتِ الشَّمسُ» و«ظهرَ الحقُّ»، ولو ذكرْنَا ضمير (أنا) قبلَ الفعلِ الماضي؛ لم يصحَّ إسنادُ الفعلِ إليه؛ بل[٢] تتَّصلُ به وجوبًا تاءُ متكلِّمٍ؛ فنقولُ في العربيَّةِ: «أنا تعلَّمْتُ»، وفي العبرانيَّةِ: «أنِي لَاملذْتِ» بكسرِ التَّاءِ؛ لأنَّ تاءَ المتكلِّمِ في العبرانيَّةِ مكسورةٌ، وإنَّما يتحتَّمُ ذكرُ اسمٍ ظاهرٍ -أو ضميرٍ- في اللغةِ العبرانيَّةِ قبلَ الفعلِ الحاضرِ؛ وهو (لُومِذْ) بكسرِ الميمِ؛ فنقولُ: «أني لُومِذْ»؛ أي: أنا متعلِّمٌ، أو أتعلَّمُ الآنَ؛ لأنَّ الفعلَ

(١) قال ياقوت في مادة (نابلس) من «معجم البلدان» (٥/ ٢٤٨): «بظاهر نابلس جبل ذكروا أنَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ سجد فيه، وبها الجبل الذي تعتقد اليهود أن المذبح كان عليه، وعندهم أن الذبيح إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ»!! وانظر بخصوص الذبيح: (ص٧٣،٨٢).

(٢) في مجلة «الجامعة الإسلامية»: «بلى»، والتصويب من برنامج المجلة.

المضارعَ المبدوءَ بحرفٍ من حروفِ (أنيت) -عندَهم- في الأزمنةِ المتأخِّرةِ يختصُّ بالمستقبلِ.

وربَّ قائلٍ يقولُ: ما حاجَتُك إلى بيانِ معنى هذه الكلمةِ في لغتِها الأصليَّةِ؛ فإنَّ لغةَ اليهودِ لا تستحقُّ كلَّ هذهِ العنايةِ؟

فأقولُ: على رسلِكِ، إنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ زيدَ بنَ ثابتٍ أَنْ يتعلَّمَ لغةَ اليهودِ؛ فقالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لزيدٍ: «**تَعَلَّمِ السُّرْيَانِيَّةَ؛ فَإِنَّـهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ مِن يَـهُود، وَلَا آمَنُ يَـهُودَ عَلَى كِتَابِي**»، قالَ زيدٌ: «فتعلَّمْتُها في نصفِ شهرٍ»[1]، رواه أحمد

(١) أخرجه علي بن المديني في «العلل» وإسحاق بن راهويه وأبو يعلى في «مسنديهما» -كما في «تغليق التعليق» (٥/ ٣٠٨)- وابن سعد (٢/ ٣٥٨) وأحمد في «المسند» (٥/ ١٨٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٨٠) وأبو داود (٣٦٤٥) ويعقوب بن سفيان في «تاريخه» (١/ ٤٨٣ - ٤٨٤) وابن أبي عاصم في «العلم» -كما في «التغليق» (٥/ ٣٠٨)- والحافظ فيه -أيضًا- (٥/ ٣٠٨) وابن أبي داود في «المصاحف» (ص٧) والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٠٣٨) وابن حبان (٧١٣٦ والطبراني (٤٩٢٧، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩) والحاكم (٣/ ٤٢٢) والحافظ في «تغليق التعليق» (٥/ ٣٠٧ - ٣٠٨) من طرق عن الأعمش عن ثابت بن عبيد الأنصاري عن زيد بن ثابت به.

وإسناده منقطع، ثابت بن عبيد لا يعرف بالرواية عن مولاه زيد بن ثابت، لذا؛ لما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٢٢) قال: «صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمعه من زيد بن ثابت»، وقال الذهبي في ترجمته من «تاريخ الإسلام» (٣/ ٢١٥): «وأظن روايته عن مولاه زيد بن ثابت منقطعة».

قال أبو عبيدة: ويقويه أني لم أجد له رواية عنه إلا هذه!

وأخرجه الطبراني (٤٩٣٠) من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عدي بن ثابت، عن زيد بن ثابت، وقال: «هكذا رواه أبو بكر بن عياش، عن عدي بن ثابت؛ فخالف أصحاب الأعمش في الإسناد، فإن كان حفظه؛ فهو غريب من حديث عدي ابن ثابت، وإلا؛ فالحديث كما رواه الناس عن الأعمش عن ثابت بن عبيد. =

والبخاري في «صحيحه» تعليقًا[(١)].

ولمَّا قرأتُ «صحيح البخاري» لأوَّلِ مرَّةٍ، ورأيْتُ هذا الحديثَ **استشكلْتُه**؛ لأنَّ المعروفَ أنَّ لغةَ اليهودِ هي العبرانيَّةُ لا السُّريانيَّةُ، فكيفَ يأمرُه النَّبيُّ ﷺ بتعلُّمِ السُّريانيَّةِ؛ لِيقرَأَ له كتبَ اليهودِ ويكتبَ الأجوبَةَ؟!

ولم أجدْ مَن يحلُّ لي هذا الإشكالَ حتَّى شرعْتُ أدرسُ تاريخَ اللُّغاتِ السَّاميَّةِ في البلادِ الجرمانيَّةِ -ألمانيا-؛ فانكشفَ لي أنَّ اللغةَ العبرانيَّةَ ماتَتْ منذُ تشتُّتِ اليهودِ وخروجِهم من فلسطينَ؛ بل ماتَتْ قبلَ ذلك بمدَّةٍ طويلةٍ، فإنَّ بني إسرائيلَ في زمانِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانُوا يتكلَّمونَ باللُّغةِ السُّريانيَّةِ في أمورِ دينِهم ودنياهم، ولم يبقَ عندَهم من العبرانيَّةِ إلَّا أدعيةُ الصَّلواتِ، وباللغةِ السُّريانيَّةِ أُلِّفَ «التلمود»، ونزلَ «الإنجيل».

قال -تعالى- في سورة إبراهيم [٤]: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

والإشكالُ الثاني: كيفَ استطاعَ زيدٌ أَنْ يتعلَّمَ هذه اللغةَ في نصفِ شهرٍ؟

= وأخرجه ابن سعد (٢/ ٣٥٨ - ٣٥٩) وأحمد في «المسند» (٥/ ١٨٦) والبخاري في «تاريخه» (٣/ ٣٨٠ - ٣٨١) وأبو داود (٣٦٤٥) والترمذي (٢٧١٥) والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٠٣٩) والطبراني (٤٨٥٦، ٤٨٥٧) والحافظ في «تغليق التعليق» (٥/ ٣٠٧) من طرق عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد بن ثابت به.

وابن أبي الزناد فيه ضعف من قبل حفظه، لا سيما فيما يرويه عن أبيه -كما هنا-، وتفرد به عن خارجة.

وعلَّقه البخاري في «صحيحه» (٧١٩٥) بصيغة الجزم.

(١) برقم (٧١٩٥).

والجوابُ عن هذا الإشكالِ -حسبَمَا يظهَرُ لي-: أنَّ زيدًا لم يتعلَّمِ اللغةَ السُّريانيَّةَ في نصفِ شهرٍ، وإنَّما تعلَّمَ كتابَتَها وقراءَتَها؛ لأنَّ هذهِ اللغاتِ الثلاثَ -العربيَّةَ والعبرانيَّةَ والسُّريانيَّةَ- مُتقاربةٌ جدًّا في جملِها ومفرداتِها، حتَّى في هذا الزَّمانِ الَّذي ضعفَتْ فيه اللغةُ العربيَّةُ، وقد قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتاوى الكبرى»[١] -التي طُبِعَتْ أخيرًا-: «إنَّ اللغةَ العبرانيَّةَ قريبةٌ جدًّا من اللغةِ العربيَّةِ، حتى إنَّ بعضَ مسلمةِ أهلِ الكتابِ كانَ يقرَأُ عليَّ «التوراة»؛ فأَفْهَمُ ما يقرؤُه دونَ أَنْ أحتاجَ إلى ترجمةٍ»، فإذا كانَ هذا في شيخِ الإسلامِ ابن تيمية؛ فما بالُكَ بزمانِ النَّبيِّ ﷺ؟!

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ١١٠): «وَالألفَاظُ العِبرِيَّةُ تُقَارِبُ العَرَبِيَّةَ بَعضَ المُقَارَبَةِ كَمَا تَتَقَارَبُ الأَسماءُ فِي الاشتِقَاقِ الأَكبَرِ، وَقَد سَمِعْتُ أَلفَاظَ «التوراة» بِالعِبرِيَّةِ مِنْ مُسلِمَةِ أَهلِ الكِتَابِ؛ فَوَجَدت اللُّغَتَينِ مُتَقَارِبَتَينِ غَايَةَ التَّقَارُبِ، **حَتَّى صِرت أَفهَمُ كَثِيرًا مِن كَلَامِهِم العِبرِيِّ بِمُجَرَّدِ المَعرِفَةِ بِالعَرَبِيَّةِ**».

وقال ابن القيم في «جلاء الأفهام» (٣٠٨ - ٣٠٩، بتحقيقي) -بعد كلام-: ««التوراة» هِيَ باللغة العبرية، وَهِي قريبَة من العَرَبيَّة؛ بل هِيَ أقرب لُغَات الأُمَم إِلَى اللُّغَة العَرَبيَّة، وَكَثِيرًا مَا يكون الاختِلَاف بَينهمَا فِي كَيفيَّة أَدَاء الحُرُوف، والنطق بهَا من التفخيم والترقيق، وَالضَّم وَالفَتح، وَغير ذَلِك، وَاعتبر هَذَا بتقارب مَا بَين مُفردَات اللغتين...» وأخذ في التمثيل، وذكر من بين ذلك: «فَإِذا أَرَادوا يَقُولُونَ: «لَا تَأكُل الجدي فِي حليب أمه»؛ قَالُوا: «لَو توكل حالوب أمو»».

ويفهم من كلامه هذا وكلامه في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٣٢٥ وما بعدها): معرفته الجيدة بالعبرية، وينظر: «ابن القيم من آثاره العلمية» (٢٢٦ - ٢٢٧) لأحمد ماهر البقري.

وانظر للتفصيل الدقيق بين العربية والعبرية: «الخصائص» (١/ ١١ - ١٢) و(٤/ ١٥، ٥٢٥ - ٥٣١) لابن جني، وشرحه في: «الإبدال في ضوء اللغات السامية» (٩٧ - ٩٨)، «دراسات في فقه اللغة» (٢٠٦ - ٢٦٣) لصبحي الصالح، «فقه اللغة» (١٤٧ - ١٤٩) لعلي عبدالواحد وافي.

وإلى يومِنا هذا: لو أنَّ شخصًا تكلَّمَ باللغةِ العبرانيَّةِ الفصحى القديمةِ، وتمهَّل في كلامِهِ؛ لَفُهِمَ أكثرُ ما يقولُ -أو كثيرٌ منه-، ودونَكَ جملةً تسهِّلُ عليكَ فَهْمَ ما تقدَّمَ: «أِنِي قُورِي بَسَّفَّرْ هَزِي»؛ معناه: «أنا أقرأُ في هذا الكتابِ»، جملة أخرى: «أِنِي لُومِذ هلْ لاشون ها عَرْبيت»؛ معناه: «أنا أتعلَّمُ اللسانَ العربيَّ».

فموسى أرسلَهَ الله إلى بني إسرائيلَ بلغتِهم العبرانيَّةِ، وأنزلَ عليه «التَّوراةَ» بها، وعيسى أرسلَه الله إلى بني إسرائيلَ باللغةِ السُّريانيَّةِ -الَّتي هي لسانُهم في زمانِهِ[1]-، وأنزلَ عليه «الإنجيلَ» بها، وهذا قولُ أكثرِ المؤرِّخينَ، **وهو صحيحٌ**[2].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٥٩ - ٦٠):

«المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كان لسانه عبريًّا، وكذلك ألسنة الحواريين الذين اتبعوه -أولًا، ثم إنه أرسلهم إلى الأمم يخاطبونهم ويترجمون لهم ما قاله المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن قالوا: إن رسل المسيح حولت ألسنتهم إلى ألسنة من أرسل إليهم.

قيل: هذا منقول في رسل المسيح وفي رسل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين أرسلهم إلى الأمم، ولا ريب أن رسل رسل الله كرسل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الأمم؛ لا بد أن يعرفوا لسان من أرسلهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، أو أن يكون عند أولئك من يفهم لسانهم ولسان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليترجم لهم، فإذا لم يكن عند من أرسل المسيح إليهم من يعرف بالعربية، فلا بد أن يكون رسوله ينطق بلسانهم».

(٢) قال الهلالي عن ورقة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان يكتب «الإنجيل» -وهو باللغة السِّريانية- يكتبه بحروف عِبرانية، وكذلك كان النَّصارى يفعلون في ذلك الزمان، وهذا أمرٌ معلومٌ في تاريخ اللغات السَّامية».

من مقالة بعنوان (من مآثر الرسول) المنشورة في مجلة «الإرشاد» المغربية، السنة الثالثة، العدد الثالث، محرم ١٣٩٠هـ - مارس ١٩٧٠م، (ص١٢ - ١٧)، وانظر: «الزند الواري والبدر الساري» (١/ ٢٦، ٤٥ - بتحقيقي) للهلالي.

وبهذه المناسبةِ: أذكُرُ أنِّي قرأْتُ في كتابِ «الإبريز» -المنسوبِ إلى الشَّيخِ عبدالعزيز الدَّبَّاغ، ومؤلِّفُه هو أحمد بن المبارك السجلماسي، وكلاهما من المغرب- كلامًا يتعلَّقُ باللغةِ السُّريانيَّةِ، أريدُ أَنْ أُتحِفَ القُرَّاءَ بذكرِهِ بمناسبةِ ذكرِ اللُّغةِ السُّريانيَّةِ، وهو من المُضحكاتِ المُبكياتِ؛ كما قالَ الشاعر:

أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّفَهَاءُ مِنْهَا   وَيَبْكِي مِنْ عَوَاقِبِهَا اللَّبِيبُ[١]

فمن ذلكَ: أنَّه زعمَ أنَّ شيخَه عبدالعزيز الدباغ أخبَرَه بالأمورِ التَّاليةِ:

١- قال المؤلِّفُ المذكورُ في كتابِ «الإبريز» (ص ٢١٧): «وسمعتُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ: من تأمَّل كلامَ الصِّبيانِ الصِّغارِ؛ وجدَ السُّريانيَّةَ كثيرًا في كلامِهم، فكانَ آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحدِّثُ أولادَه في الصِّغرِ، ويُسكِّتُهم بها، ويسمِّي لهم أنواعَ المآكلِ والمشاربِ بها؛ فنشؤُوا عليها، وعلَّموها أولادَهم، وهلمَّ جرًّا»، ثمَّ مضى إلى أَنْ قال: «وقد سبقَ أَنَّ لغةَ الأرواحِ هي السُّريانيَّةُ»، ثمَّ قالَ: «ومن أسمائِهِ -تعالى- لفظةُ (أغ) الَّتي ينطِقُ بها الصَّبيُّ الرَّضيعُ، وهو اسمٌ يدلُّ على الرِّفعةِ، والعلوِّ، واللطفِ، والحنانِ؛ فهو بمنزلةِ مَن يقول: (يا عليُّ! يا رفيع! يا حنَّان! يا لطيف!)».

قال محمَّد تقي الدين: أقولُ في هذا: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]!

وقد كُنْتُ نشرْتُ في صحيفةِ «الأخبار»[٢] -الَّتي كانَتْ تصدرُ في تطوان-

(١) انظر: «طبقات الشافعية» (٨/ ٢٦٣) و«تاريخ ابن الوردي» (٢/ ١٩٠) و«مورد اللطافة» (١/ ٢٦٤).

(٢) لعله يريد ما في (الحلقة العاشرة) من مقالات (فيلولوجي)؛ فقد ذكر في آخرها (٢١) كلمة سريانية وما يقابلها في العربية، والمدة بين هذه المقالة وتلك: اثنتان وعشرون سنة.

منذُ سبعٍ وعشرينَ سنةً مقالًا كَذَّبْتُ فيه ما ادَّعاه مُؤلفُ كتابِ «الإبريز»؛ من أنَّ الحرفَ الواحدَ من السُّريانيَّةِ يُساوي كلمةً من اللغاتِ الأُخرى كالعربيَّةِ -مثلًا-، وذكرْتُ أربعينَ كلمةً من السُّريانيَّةِ، وقابلْتُها بالكلماتِ العربيَّةِ؛ فكانَتْ إمَّا مُساويةً للكلماتِ العربيَّةِ في عددِ الحروفِ، أو تزيدُ عليها، وبيَّنْتُ أنَّ السُّريانيَّةَ والعربيَّةَ والعبرانيَّةَ أخواتٌ مشتركاتٌ في الضَّمائرِ وأغلبِ القواعدِ الَّتي يُعتَمَدُ عليها في تركيبِ الجملِ، وأنَّ آلافًا من الكلماتِ مشتركةٌ بينَ اللغاتِ الثلاثِ.

فتحيَّر في ذلك مُقدَّمُ التِّيجانيَّةِ أحمدُ الرهوني! وأجابَ مَن سألَه وأحرجَه: بأنَّ السُّريانيَّةَ الَّتي تتكلَّمُ بها الأرواحُ ويتكلَّمُ بها الأولياءُ في ديوانِهم -الَّذي يجتمعونَ فيه كلَّ يومٍ قبلَ طلوعِ الفجرِ بـ«غارِ حراءَ»؛ ليدبِّروا شؤونَ العالَمِ!- هي سريانيَّةٌ أُخرى خاصَّةٌ بالأولياءِ! وليسَتْ هي السُّريانيَّةَ المعروفةَ الَّتي يتكلَّمُ بها السُّريانيُّونَ إلى يومِنا هذا! والَّتي تكلَّمَ بها اليهودُ -كما تقدَّمَ- في أزمنَتِهم المتأخِّرةِ!

وهذا الجوابُ في غايةِ الوقاحةِ!!!

فالسُّريانيَّةُ شعبٌ من الشعوبِ ولهم لغتُهم، كما أنَّ العربَ شعبٌ ولهم لغتُهم، والعبرانيُّونَ شعبٌ[١] ولهم لغتُهم، فلمَّا خَنَقَتْهُ الحجَّةُ؛ اخترعَ سُريانيَّةً جديدةً لم يذكُرْها أحدٌ من النَّاسِ قبلَه!

أمَّا ما زعمَه مؤلِّفُ كتابِ «الإبريز» أنَّه نقلَه عن شيخِه من أنَّ اسمَ الله

(١) في برنامج مجلَّة «الجامعة الإسلامية» زيادة: «من الشعوب»، وهي ليست في مطبوعِ المجلَّة.

بالسُّريانيَّةِ (أغ)، وأنَّه من بقايا لغةِ الرُّوحِ يجري على لسانِ الصِّبيانِ الرُّضَّعِ؛ فهو من أعظمِ الكذبِ والبهتانِ! فإنَّ اسمَ الله بالسُّريانيَّةِ (الاها)؛ هذا عندَ السُّريانيِّينَ الغربيِّينَ، وعندَ السُّريانيِّينَ الشرقيِّينَ (ألاهو).

والسَّببُ في ذلكَ: أنَّ جميعَ الأسماءِ عندَ السُّريانيِّينَ الغربيِّينَ تختَمُ بألفٍ مثل (بيتا: بيت)، (ماي: ماء)، (شمايا: سماء)، (عليما: غلام)، وهكذا.

أمَّا السُّريانيُّونَ الشرقيُّونَ؛ فإنَّ الأسماءَ تُختَمُ عندهم بواوٍ قبلَها ضمَّةٌ، واسمُه -تعالى- باللغةِ العبرانيَّةِ (إلوهم)، ولا تختلفُ الشُّعوبُ الساميَّةُ -فيما نعلَمُ- في اسمِ اللهِ -تعالى- إلَّا فيما رأيتَ من تغييرِ الحركاتِ.

ثمَّ قالَ: «وإذا أرادَ الصَّبيُّ أَنْ يتغوَّطَ؛ أعلَمَ أمَّه، وقالَ: «ع ع»، وهو موضوعٌ في السُّريانيَّةِ لإخراجِ خبثِ ذاتِ الصَّبيِّ».

قالَ محمَّد تقي الدين: يا أسَفًا على العقولِ الَّتي تُصدِّقُ مثلَ هذا الهَذَيانِ! ومن سوءِ الحظِّ أنَّ كثيرًا ممَّن يدَّعونَ -أو يُدَّعَى لهم- أنَّهم علماءُ في المغرب وفي مصر؛ يُصدِّقونَ هذا البهتانَ!

فنقولُ لهذا المخبولِ: إذا كانَتِ السُّريانيَّةُ -بزعمِك!- لغةُ الأرواحِ -أي: أرواحِ بني آدمَ- كلِّهم، وأنَّ الصِّبيانَ الرُّضَّعَ لقربِ عهدِهم بعالَمِ الأرواحِ بَقِيَتْ على ألسنَتِهم هذه الكلمةُ السُّريانيَّةُ؛ فما بالُ صبيانِ العالمِ الرُّضَّعِ لا يتكلَّمونَ بها في أَيِّ شعبٍ من الشُّعوبِ، إلَّا في المغربِ الأقصى؟! فلعلَّ صبيانَ المغاربةِ حفظُوا ما نسيَه جميعُ صبيانِ العالَمِ! وصدَقَ رسولُ الله ﷺ الَّذي قالَ: «إنَّ

مِمَّا بَقِيَ مِن كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَم تَستَحِ؛ فَاصنَع مَا شِئتَ»[١].

على أنَّ حرفَ العينِ خاصٌّ بالشعوبِ الساميَّةِ الَّتي خرجَتْ من جزيرةِ العربِ، ولا يوجدُ عندَ غيرِهم، فالشُّعوبُ الَّتي ليسَ في لغتِها (عين) -كالأوروبيينَ -مثلًا-؛ لا يستطيعُ الشَّخصُ الَّذي لم يسمَع (العين)، ولم يتدرَّبْ عليها مدَّةً طويلةً، لا يستطيعُ أَنْ ينطِقَ بها -أبدًا-، إلَّا إذا خالَطَ شعبًا ساميًّا -كالعربِ، والسُّريانيِّينَ، والآشوريِّينَ، والعبرانيِّينَ، والقبطِ، والبربرِ- مدَّةً طويلةً، وقد يخالِطُهم زمانًا طويلًا ولا يستطيعُ أَنْ ينطِقَ بها.

والحقُّ: أنَّ الكلماتِ المختصرةَ الَّتي ينطقُ بها الصِّبيانُ في بعضِ البلدانِ؛ إنَّما تلقَّنُوها من أمَّهاتِهم، يضعْنَها لهم مختصرَةً؛ ليسهُلَ نطقُهم بها في بعضِ البلدانِ، فيسمُّونَ (الخبزَ: بابّ)، و(الماء: أمبو)، و(التمر: نينى، أو نان)، و(الطِّفلُ الصَّغيرُ -الَّذي هو مثلهم-: موم)، وهنا -في المدينةِ[٢]- يقلبونَ الميم نونًا؛ فيقولونَ: (نون)، وقد جمعَ بعضُ المستشرقينَ لغةَ صبيانِ العربِ من مثلِ ما تقدَّم؛ فاجتمعَ عنده مئةٌ وخمسونَ كلمةً، وهذا -كما تقدَّم- من تلقينِ الآباءِ والأمَّهاتِ، ولا علاقةَ له بالسُّريانيَّةِ، ولا بلغةِ الأرواحِ، وذكرَ المؤلِّفُ كلماتٍ أُخرى من هذا القبيلِ لا نطيلُ بذكرِها، ومن أرادَ الاطِّلاعَ عليها؛ فلينظُرْها في الكتابِ المذكورِ.

ثمَّ قالَ مؤلِّفُ كتابِ «الإبريز»: «وسألْتُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن سؤالِ القبرِ: هل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٣) من حديث أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وطوَّلتُ في تخريجه في كتابي «بهجة المنتفع» (ص٣١٥ - ٣٣٢).

(٢) يريد: المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

يكونُ بالسُّريانيَّةِ أم بغيرِها؟ وقد قالَ الحافظُ السيوطي[١] في منظومتِه:

وَمِـنْ غَـرِيـبِ مَـا تَـرَى العَيْنَـانِ ... أَنَّ سُـؤَالَ القَبْـرِ بالسُّـريَانِي

قالَ شارحُ هذه المنظومةِ -نقلًا عن كتابٍ للسيوطي؛ سمَّاه «شرحُ الصُّدورِ في أحوالِ الموتى والقبورِ»[٢]-: «وقعَ في فتاوى شيخِ الإسلامِ عَلَمِ الدِّين البُلْقَيني: أنَّ الميِّتَ يجيبُ السُّؤالَ بالسُّريانِ، قالَ النَّاظمُ: ولم أقفْ له على سندٍ».

قالَ محمد تقي الدين: عفا الله عن السيوطي؛ كيف ينقلُ شيئًا لا يعتقِدُ صحَّتَه ولم يجدْ له دليلًا -وهو من أمورِ الغيبِ-، ثمَّ لا يردُّه؛ بل يكتفي باستغرابِهِ؟

وقوله: «ومن غريبِ ما تقرؤُه العينانِ من الآراءِ في الكتبِ: قولُ البُلْقَيني: إنَّ سؤالَ القبرِ بالسُّريانيِّ»؛ يدلُّ عليه قولهُ في البيتِ الَّذي يلي البيتَ السابقَ:

كـذا يـقولُ شيـخُنَا البلقيـني ... ولـم أَرَهُ لِغيـرِهِ بِعَيْنِـي

فيه تكلُّفٌ؛ لأنَّ العينينِ لا تريَانِ سؤالَ القبرِ.

ثمَّ قالَ: «وقد سُئِلَ الحافظ ابن حجر عن ذلك؟ فقالَ: «ظاهرُ الحديثِ أنَّه باللسانِ العربيِّ[٣]، ويحتملُ -مع ذلكَ- أَنْ يكونَ خطابُ كلِّ واحدٍ

(١) «أرجوزة التثبيت في ليلة التبييت»، وانظر: فتوى (رقم ١) من «ذيلي على فتاوى صالح البلقيني» (ص٣٥٥ - ٣٥٦).

(٢) (ص١٤٦ - ط المدني).

(٣) بعدها في «الإمتاع»: «لأن فيه أنهما يقولان له: «**ما علمك بهذا الرجل**...» إلى آخر=

بلسانِه»[(١)]؛ وهو متَّجهٌ. اهـ.

فقالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -يعني: شيخه عبد العزيز الدباغ-: نعم؛ سؤالُ القبرِ بالسُّريانيَّةِ؛ لأنَّها لغةُ الملائكةِ والأرواحِ، ومن جُملةِ الملائكةِ ملائكةُ السُّؤالِ، وإنَّما يجيبُ الميِّتَ عن سؤالِهما روحُه، وهي تتكلَّمُ بالسُّريانيَّةِ كسائرِ الأرواحِ، لأنَّ الرُّوحَ إذا زالَ عنها حجابُ الذَّاتِ؛ عادَتْ إلى الميِّتِ حالتُها الأولى.

قالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والوليُّ المفتوح عليه فتحًا كبيرًا يتكلَّم بها من غيرِ تعلُّمٍ أصلًا؛ لأنَّ الحُكْمَ لروحِه، فما ظنُّكَ بالميِّتِ؟ فلا صعوبةَ عليه في التَّكلُّمِ بها.

فقلْتُ: يا سيِّدي! نريدُ من الله ثمَّ منكم أَنْ تمنُّوا علينا بذكرِ كيفيَّةِ السُّؤالِ، وكيفيَّةِ الجوابِ باللغةِ السُّريانيَّةِ؟

= الحديث»، ونقله السخاوي في «رسالة في أحوال الموتى والمحشر وأحوال يوم القيامة» المنشورة في مجلة «كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية»، المجلد التاسع، العدد (٣٦)، (ص٣٥٩ - ٤٤٠)، وقال على إثره:
«قلت: ويشهد له ما رويناه من طريق يزيد بن طريف؛ قال: مات أخي؛ فلم ألحد، وانصرف الناس عنه، وضعتُ رأسي على قبره؛ فسمعتُ صوتًا ضعيفًا -أعرف أنه صوت أخي- وهو يقول: «الله»، فقال له الآخر: ما دينك؟ قال: الإسلام.
وفي طريق العلاء بن عبدالكريم؛ قال: مات رجل، وكان له أخ ضعيف البصر، قال أخوه: فدفنَّاه، فلما انصرف الناس عنه؛ وضعتُ رأسي على القبر، فإذا أنا بصوت من داخل القبر يقول: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فسمعتُ صوت أخي وهو يقول: «الله»، قال الآخر: فما دينك؟ قال: الإسلام.
إلى غير ذلك مما يستأنس به لكونه عربيًّا».

(١) نقله السخاوي في رسالته السابقة، وقال على إثره: «التآنس له بإرسال الرسل بلسان قومها».

فقالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أمَّا السُّؤالُ؛ فإنَّ الملَكَينِ يقولانِ له بلفظِ السُّريانيَّةِ: «مرازهو»، وضبطُه: بفتحِ الميمِ وبها تشديدٌ ضعيفٌ، وبفتحِ الرَّاء المهملةِ، وبعدَها ألفٌ، وبعدَ الألفِ زايٌ مُسكَّنةٌ، وبعدَ الزَّاي هاءٌ مضمومةٌ، بعدَها واوٌ ساكنةٌ سكونًا ميتًا، فله ذلكَ.

ومعنى هذه الحروفِ -المسؤولِ بها- يُعرفُ بأصلِ وضعِ الحروفِ في اللغةِ السُّريانيَّةِ:

فأمَّا الميمُ المفتوحَةُ -وهي الحرفُ الأوَّلُ-؛ فإنَّها وُضِعَتْ لِتدلَّ على المكوِّناتِ كلِّها والمخلوقاتِ بأسرِها، وأمَّا الحرفُ الثَّاني -وهو الرَّاء-؛ فإنَّه وُضِعَ للخيراتِ الَّتي في تلكَ المكوِّناتِ، وأمَّا الزَّايُ؛ فإنَّها وضعَتْ للشَّرِّ الَّذي فيها، وأمَّا الهاءُ الَّتي بعدَها صلةٌ؛ فإنَّها وُضِعَتْ لِتدلَّ على الذَّاتِ المقدَّسةِ الخالقةِ للعوالِمِ كلِّها -سبحانه لا إله إلَّا هو-.

ثمَّ قالَ: وأمَّا الجوابُ، فإنَّ الميِّتَ إذا كانَ مؤمنًا؛ فإنَّه يجيبُهما بقولِهِ: «مراد أزيرهو»، وضبطُه: بفتحِ الميمِ وفيها تشديدٌ ضعيفٌ، وبعدَها راءٌ مفتوحَةٌ، بعدَها ألفٌ ساكنةٌ، بعدَ الألفِ دالٌ ساكنَةٌ، وبعدَ الدَّالِ همزَةٌ مفتوحَةٌ، وبعدَ الهمزةِ زايٌ مكسورَةٌ، بعدَها ياءٌ ساكنةٌ سكونًا ميتًا، وبعدَ الياءِ راءٌ ساكنَةٌ، وبعدَ الرَّاء هاءٌ موصولَةٌ بواوٍ ساكنةٍ سكونًا ميتًا.

ومعنى هذهِ الحروفِ: أنَّ الحرفَ الأوَّلَ أُشيرَ به -كما سَبَقَ- إلى المكوِّناتِ كلِّها والمخلوقاتِ بأسرِها، وأُشيرَ بالحرفِ الثَّاني إلى نورِ محمَّدٍ ﷺ، وإلى جميعِ الأنوارِ الَّتي ترَّعَتْ منه؛ كأنوارِ الملائكةِ، والأنبياءِ، والرُّسلِ

-عليهم الصلاة والسلام-، وأنوارِ اللَّوحِ والقلمِ، والبرزخِ، وكلِّ ما فيه نورٌ، وأُشيرَ بالحرفِ الثَّالثِ -وهو الدَّالُ المسكَّنةُ- إلى حقيقةِ جميعِ ما دَخَلَ تحتَ الحرفِ الَّذي قبلَه؛ فكأنَّه يقولُ: «نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ حقٌّ، وسائرُ الأنبياءِ حقٌّ، وسائرُ الملائكةِ حقٌّ، لا شكَّ في جميعِ ذلك، وجميعِ ما دخلَ تحتَ الحرفِ السَّابقِ»، وأُشيرَ بالحرفِ الرَّابعِ -وهو الهمزَةُ المفتوحةُ- إلى مدلولِ ما بعدَها، فالهمزةُ المفتوحةُ في لغةِ السُّريانيَّةِ من أدواتِ الإشارَةِ؛ كلفظةِ (هذا) أو (هذه) في العربيَّةِ، والزَّاي -الَّتي بعدَها- وُضِعَتْ لِتدُلَّ على الشِّركِ -كما سبق-؛ فيدخُلُ فيها جهنَّمُ، وكلُّ ما فيه ظلامٌ وشرٌّ، وأشارَ بالرَّاءِ المسكَّنةِ إلى حقيقةِ كلِّ ما يدخلُ تحتَ الحرفِ الَّذي قبلَه؛ وهي الزَّايُ المكسورَةُ المُشْبَعَةُ بالياءِ السَّاكنةِ، وأُشيرَ بالهاءِ الموصولَةِ إلى الذَّاتِ العليَّةِ؛ من حيثُ إنَّها خالقةٌ، ومالكةٌ، ومتصرِّفةٌ، وقاهرةٌ، ومختارَةٌ.

فحاصلُ معنى الجوابِ: أنَّه قيلَ: جميعُ المكوِّناتِ، ونبيُّنا الَّذي هو حقٌّ، وسائرُ الأنبياءِ الَّذين هم حقٌّ، وكافَّةُ الملائكةِ الَّذين هم حقٌّ، وجميعُ الأنوارِ الَّتي هي حقٌّ، وعذابُ جهنَّمَ الَّذي هو حقٌّ، وكلُّ الشَّرِّ الَّذي هو حقٌّ؛ هو -سبحانه- خالقُها، ومالِكُها، ومتصرِّفٌ فيها، المختارُ فيها، وحدَه لا معاندَ له، ولا شريكَ، ولا رادَّ لحكمِه.

قالَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فإذا أجابَ الميِّتُ بهذا الجوابِ الحقِّ؛ قالَ له المَلَكانِ -عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ-: «نَاصِر»، وضبطُه: بفتحِ النُّونِ في أوَّلِه، بعدَها ألفٌ، وبعدَ الألفِ صادٌ مكسورَةٌ، وبعدَ الصَّادِ راءٌ ساكنةٌ.

ومعناه يُعلَمُ ممَّا وُضِعَتْ له حروفٌ في السُّريانيَّةِ؛ فالحرفُ الأوَّلُ -وهو (نا) بالنُّونِ المفتوحةِ بعدَها ألفٌ- للنُّورِ السَّاكنِ في الذَّاتِ المشتعلِ فيها، والحرفُ الثَّاني -وهو الصَّادُ المكسورَةُ- وُضِعَتْ لتدلَّ على التُّرابِ، والرَّاءُ السَّاكنةُ تدلُّ على حقيقةِ المعنى السَّابقِ، فمعنى هذا الكلامِ -حينئذٍ-: (نورُ إيمانِكَ السَّاكنُ في ذاتِكَ التُّرابيَّةِ -أي: الَّتي أصلُها من التُّرابِ- صحيحٌ حقٌّ مطابِقٌ لا شكَّ فيه)؛ فهو قريبٌ من قولِهِ في الحديثِ: «**نَمْ صَالِحًا قدْ عَلِمْنَا إنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا**»[١].

وسألْتُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن كلماتٍ من القرآنِ اختلفَ العلماءُ فيها: هل هي سريانيَّةٌ أم لا؟ فمنها: ﴿أَسۡفَارًاۚ﴾ [الجمعة: ٥]، قالَ الواسطيُّ في «الإرشاد»: «هي (الكتب) بالسُّريانيَّةِ، وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن الضَّحاكِ، قالَ: هي (الكتب) بالقبطيَّةِ[٢]؛ قالَه في «الإتقان في علوم القرآن»[٣]».

فقالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي سريانيَّةٌ، وهي (الكتبُ) كما قالَ الواسطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، ومعنى الكلمةِ: تلكَ محاسنُ الأشياءِ الَّتي ليسَتْ طوقَ البشرِ؛ لأنَّ الهمزةَ المفتوحةَ إشارَةٌ لما يَلِيها -كما سبقَ-، والسِّينُ المسكَّنةُ وُضِعَتْ لمحاسنِ الأشياءِ، والفاءُ المفتوحَةُ اسمٌ لِمَا ليسَ في طوقِ البشرِ، والرَّاءُ المفتوحةُ إشارةٌ أخرى إلى تلكَ المحاسنِ؛ فكأنَّه يقولُ: «إنَّ الكتبَ فيها هذه المحاسنُ الَّتي لا تُطاقُ»، واللهُ أعلمُ».

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٤) ومسلم (٩٠٥) من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) في «الإتقان»: بالنَّبطيَّة.
(٣) (٢/ ١٣٠).

قالَ محمَّد تقي الدين: كلمةُ (سِفْر) -بكسرِ السِّينِ، وسكونِ الفاءِ- من الكلماتِ المشتركةِ بينَ اللُّغاتِ الساميَّةِ الَّتي نعرِفُها، ففي السُّريانيَّةِ (سفرا) سواءٌ أكَانَ نكرةً أم معرفَةً؛ لأنَّ كلَّ اسمٍ في السُّريانيَّةِ ينتهي بالألفِ، وليسَ فيها أداةُ تعريفٍ، وبالعبرانيَّةِ -إذا لم تضفْ هذه الكلمةُ- تلفَظُ (سِفِر) بكسرِ السِّينِ والفاءِ، وهكذا الأسماءُ الثلاثيَّةُ في اللغةِ العبرانيَّةِ؛ كثيرٌ منها يكونُ بكسرِ أوَّلِه وثانيهِ، وإذا أضيفَ إليه ياءُ المتكلِّمِ؛ تقولُ (سِفْري) بكسرٍ فسكونٍ كما في العربيَّةِ.

أمَّا الجمعُ فيختَلِفُ؛ ففي العربيَّةِ وحدَها -لا في أختَيْهَا!- يُجمَعُ على (أسفار)، ومؤلِّفُ كتابِ «الإبريز» توهَّمَ أنَّ (السِّفْر) يجمَعُ على (أسفارٍ) في اللغةِ السُّريانيَّةِ؛ فاخترعَ لكلِّ حرفٍ معنًى حسْبَمَا تقدَّم من زعمِه أنَّ كلَّ حرفٍ في السُّريانيَّةِ له معانٍ! وهو باطلٌ -كما أشرْتُ إليه سابقًا-! فحرفُ التَّهجِّي في السُّريانيَّةِ -كغيرِها- ليسَ له معنًى، ومن المعلومِ أنَّ أكثرَ الكلماتِ في اللغاتِ الساميَّةِ -سواءٌ أكانَتْ فعلًا أم اسمًا- لا يقلُّ عددُها في الكلمةِ الواحدةِ عن ثلاثةِ أحرفٍ، وما جاء ناقصًا -كـ(يَدٍ) و(دَمٍ)- فالحرفُ الثَّالثُ فيه مُقدَّرٌ، يظهَرُ في الجمعِ نحوَ (اغسِلُوا أيديَكم) و(سالَتْ دماءُ الأعداءِ)؛ فهمزة (دماء) منقلبَةٌ عن ياءٍ، والأصلُ (دماي)، وعلماءُ اللغاتِ الساميَّةِ مُتَّفقونَ على هذا.

ولكن أحمد بن المبارك اللمطي ظنَّ أنَّ اللغةَ السُّريانيَّةَ ماتَتْ موتًا تامًّا، وانقرضَ أهلُها، ولم يبقَ أحدٌ يعرفُها على وجهِ الأرضِ؛ **فافترى ما شاءَ له الخيالُ أَنْ يفتريَ!** ولم يدرِ أنَّ قُرًى كثيرةً في شمالِ العراقِ لا تزالُ تتكلَّمُ بالسُّريانيَّةِ، وقُرًى أُخرى هناكَ تتكلَّمُ بالآشوريَّةِ الَّتي أختُها الشَّقيقةُ.

وما أحسنَ ما قالَ الشَّاعرُ في مثلِ هذا المفتري -يحقُّ إنشادُه!-:

يَا لَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ
خَلالكِ الجَوُّ فبيضِي واصْفِرِي
ونَقِّرِي ما شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي
قَدْ ذَهَبَ الصَّيَّادُ عَنْكِ فَابْشِرِي
لا بُدَّ من أخذِكِ يومًا فاحْذرِي[1]

وقد رأيتُ في خزانةِ الكتبِ ببرلين مجلَّدينِ ضخمَينِ يشتملانِ على أسماءِ الكتبِ السُّريانيَّةِ المخطوطةِ الموجودةِ في هذه الدَّارِ -وحدَها-؛ فما بالُكَ بخزائنِ الكتبِ الَّتي توجدُ عندَ السُّريانيِّينَ في الشامِ والعراقِ، وقد زرْتُ[2] مدرستَهم في الموصلِ، والتَّدريسُ فيها باللغةِ السُّريانيَّةِ، وهي مؤسَّسةٌ لتخريجِ القسِّيسينَ، ولمَّا قالَ لي مديرُ المدرسةِ -وهو قسِّيسٌ-: اسألِ التَّلاميذَ عمَّا تريدُ. فقلْتُ: لا أريدُ أَنْ أُخجِّلَهُم. فقالَ: لا؛ بل اسألْهم. فأشرْتُ إلى تلميذٍ عمرُه خمس عشرةَ سنةً -تقريبًا-، يلبسُ لباسَ الرُّهبانِ كسائرِ التَّلاميذِ، وقلتُ له: تستطيعُ أَنْ تترجمَ أبياتًا عربيَّةً بالسُّريانيَّةِ؟ فقالَ: نعم. فقلْتُ له: ترجِمِ الأبيات التالية:

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ المَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أخو[3] عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

---

(١) انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ٢٣٩)، «أمثال العرب» (٣٤)، «الشعر والشعراء» (١/ ١٨٤)، «الحيوان» (٥/ ١٢٥)، «إصلاح المنطق» (١٧٨).

(٢) في مارس سنة ١٩٤٩م؛ أفاده في رسالة كتبها لأستاذه باول كاله.

(٣) في الأصل: «أخ»، والصواب المثبت.

وَإِنَّ كَبِيـرُ القَـوْمِ لَا عِـلْـمَ عِـنْـدَهُ صَغِيـرٌ إِذَا الْتَفَّـتْ عِلَيهِ المَحَافِلُ
وَإِنَّ صَغِيرَ القَـوْمِ وَالعِلْـمُ عِـنْـدَهُ كَبِيـرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيـهِ المَسَـائِلُ(١)

فترجمَها شِعرًا بالسُّريانيَّةِ أحسنَ ترجمةٍ.

ثمَّ قالَ: «ومنها: (شهر)؛ ذكرَ الجواليقيُّ(٢) أنَّ بعضَ أهلِ اللغةِ ذكرَ أنَّه سريانِيٌّ.

فقالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليسَ بسريانِيٍّ، و(الشهر) في لغةِ السُّريانيِّينَ: اسمٌ للماءِ.

قلت: ومَن عرفَ تفسيرَ حروفِه؛ لم يشكَّ في ذلك».

قالَ محمَّد تقي الدين: وهذا -أيضًا- افتراءٌ! فإنَّ (الشهر) موجودٌ في السُّريانيَّةِ بلفظ (سهرا)، ومعناه: الهلالُ والقمرُ(٣).

أمَّا الماءُ الَّذي زعمَ أنَّه في السُّريانيَّةِ (شهر)؛ فقد كذبَ! فـ(الماء) في السُّريانيَّةِ (ماي)، وجمعه (مايي)؛ أي: مياه.

وأَقْتَصِرُ في الرَّدِّ على هذا المفتَرِي على هذا القدرِ.

وهذا الرَّجلُ أحمدُ بنُ المباركِ اللَّمطيُّ السجلماسيُّ: من كبارِ علماءِ وقتِهِ

(١) البيت الأول في «العقد الفريد» (٢/ ٨٠)، والبيتان الأول والثاني في: «تاريخ ابن عساكر» (٦٨/ ١٩٥)، «الحماسة البصرية» (٢/ ٧٦)، «البيان والتبيين» (١/ ١٨٦)، «المستطرف» (٥٦).

(٢) قال الجواليقي في «المعرَّب» (٤١٠): «فأمَّا (الشَّهرُ)؛ فقالَ بعضُ أهلِ اللغةِ: أصله بالسريانيَّةِ (سهر)؛ فعُرِّبَ».

(٣) انظر: «المعرَّب» (٣٨٣) للجواليقي.

في مدينةِ فاس في القرنِ الثَّاني عشرَ للهجرَةِ، وقد حملَه حبُّ الشُّهرةِ أَن اتَّخذَ رجلًا من آلِ البيتِ، اسمُه (عبد العزيز الدباغ)، كانَ يُعدُّ من الصَّالحينَ، وهو أُمِّيٌّ؛ لا يقرَأُ ولا يكتبُ، اتَّخذَه شيخًا، ونسبَ إليه أجوبةً كثيرةً عن معاني الآياتِ والأحاديثِ، لا يتَّسعُ المقامُ لذكرِها، وزعمَ أنَّه كانَ يقرَأُ اللَّوحَ المحفوظَ، ويجيبُ عن كلِّ ما يُسأَلُ عنه، وهذا يدلُّ على ذهابِ العلمِ والعلماءِ، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقبِضُ العِلمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ بَعدَ أَن أَعطَاهُمُوهُ، وَإِنَّمَا يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبقَ عَالِمٌ؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا؛ فَأَفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[١].

وإذا أردْتَ -أيُّها القارئ- أَنْ تزدادَ علمًا بما يُنسَبُ من كلماتِ القرآنِ إلى غيرِ لغةِ العربِ؛ فعليكَ بقراءةِ مقالي المنشورِ في مجلَّةِ «الجامعة الإسلامية»، في الجزء الثالث، من السَّنة الثالثة (محرم ١٣٩١هـ)، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

ست مقالات مهمة للهلالي في صلة تعلم غير العربية بالعلوم الشرعية وضرورة الاكتفاء باللغة الفصيحة دون العامية الدارجة:

المقالة الأولى: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب[٢].

(١) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) نشرت بهذا العنوان في كلٍّ من: مجلة «الإيمان» المغربية، السنة الرابعة، العدد التاسع والعاشر، ذي القَعدة وذي الحجة ١٣٨٧هـ - فبراير ومارس ١٩٦٨م، (ص٣١-٤٣)، ومجلة «الجامعة الإسلامية» بالمدينة النبوية، السنة الثالثة، العدد الثالث، محرم ١٣٩١هـ- مارس ١٩٧١م، (ص٢٠-٣٥). =

اعلم أن علماء اللغة اتفقوا على أن كل لغة عظيمة تنسب إلى أمة عظيمة؛ لا بد أن توجد في مفرداتها كلمات وردت عليها من أمة أخرى؛ لأن الأمة العظيمة لا بد أن تخالط غيرها من الأمم، وتتبادل معها المنافع من أغذية، وأدوية ومصنوعات، وتعلم وتعليم، فلا بد -حينئذٍ- من تداخل اللغات، ولا يمكن أن تستقل وتستغني عن جميع الأمم، فلا تستورد منها شيئًا ولا تورد عليها شيئًا، والقرآن -نفسه- يثبت هذا، قال -تعالى- [في سورة إبراهيم][(١)] (٣٧): ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

= ونشرت -أيضًا- لكن بعنوان (هل توجد في القرآن كلمات معربة؟) في مجلة «البحوث الإسلامية»، العدد الثامن، ذو القعدة - ذو الحجة عام ١٤٠٣هـ/ محرم - صفر عام ١٤٠٤هـ، (ص٢٠٧-٢٢٢)، ومدح الشيخ عبد العزيز القاري في مقالة له نشرت في مجلة «الجامعة الإسلامية» (العدد ٢٣) بتأريخ محرم ١٣٩٤هـ، (ص١١٥-١٣٨)، بعنوان (دراسات في أصول اللغة العربية)، جاء فيها ما نصه: «في عدد سابق من مجلة «الجامعة الإسلامية» أتحفنا فضيلة شيخنا الجليل الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ببحث قيِّم عن ما وقع في القرآن بغير اللغة العربية، وكانت آراؤه التي أودعها بحثه وتعليقاته على كلام من سبقه من علماء الإسلام مهمة، ولقد استفدتُ منها كثيرًا، وكنتُ أتتبع هذا الموضوع منذ زمن في غمرة تتبعي ودراستي لحديث «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف...**».

ومما أعطى البحث المذكور أهمية خاصة إلمام فضيلة كاتبه بعدد من اللغات؛ منها: (العبرانية)، وهذا مما يسهل مهمة المقارنة بين اللغات المعنيَّة في هذا البحث، فأحببتُ أن أسهم فيه بحلقة أخرى تُضم إلى حلقاته، يَتأمل فيها شيخنا الدكتور ويزوِّدنا بمزيد من آرائه، ويستفيد منها القارئ، وخاصة من أشكل عليه هذا الأمر ولم يفهم سرَّه».

(١) سقطت من مجلة «البحوث الإسلامية».

ذكر إبراهيم في دعائه أنه أسكن ذريته -يعنى: إسماعيل وآله- بوادٍ غير ذي زرع وهو وادي مكة، وإذا لم يكن فيه زرع؛ لم تكن فيه ثمرات، وذكر في[1] أثناء دعائه ومناجاته لربه: أنه أسكن ذريته بذلك الوادي المقفر ليقيموا الصلاة؛ أي: يؤدوها قائمة كاملة عند بيت الله، ويعبدوه، فسأل الله أن يجعل قلوب الناس تهوي إلى ذريته؛ أي: تسرع إليهم شوقًا ومحبة، وتمدهم بما يحتاجون إليه، وأن يرزقهم من الثمرات التي تجلب إليهم من الآفاق والأقطار المختلفة؛ ليشكروا الله على ذلك فيزيدهم، وقد استجاب الله دعوته، فصارت أنواع الحبوب والثمرات والتوابل والأدوات والثياب والتحف والطرائف تجلب إلى مكة من جميع أنحاء المعمُورِ.

وهذه الأمور التي تجلب إليها؛ كثير منها وضعت أسماؤها في البلدان التي تصدر منها، فإذا جاءت إلى أهل مكة؛ يسمونها بالاسم الذي جاءت به، فتندمج في لغتهم وتصير جزءًا منها، والأصل في اللغات: أن الأشياء العامة توجد لها أسماء في كل لغة، أما الأشياء الخاصة التي خص الله بها قطرًا بعينه؛ فإن الاسم الذي سماها به أهل ذلك القطر -الذي خلقت فيه- يبقى -في الغالب- ملازمًا.

ولنضرب لذلك مثلًا: الجوز الهندي، والنخيل الذي يثمره وهو (نارجيل)، ويسمى بالهندية (ناريل)؛ فهو يجلب إلى غير الهند، دون أن يبدل اسمه، وثمر (الأمبة)[2] -وهو أحسن الفواكه في الهند، وقد يكون أحسن الفواكه مطلقًا-

(١) سقطت من مجلة «البحوث الإسلامية».
(٢) في «البحوث الإسلامية»: «الأنبة».

يوجد دائمًا في مكة -شرفها الله- في أحقاق[١]، إذا أكلته تظن أنك أكلته تحت شجرته، وهذه الفاكهة موجودة في مصر وتسمى (مانكة)، وتنقل إلى بلدان أخرى ويبقى اسمها ملازمًا لها، وكذلك ثمر (أناناس) يجلب من أندونيسيا ويبقى اسمه ملازمًا له، وقس على ذلك.

وقد قال أحد علماء الفيلولوجيين -أي: علماء[٢] اللغات-: إن لغة سكان أوستراليا الأصليين لا تزيد مفرداتها على مئة؛ لأنهم أبعد الناس على[٣] المدنية التي تستلزم مخالطة الأمم الأخرى وتبادل المنافع معها، فكلما عظُمت اللغة؛ دلَّت عظمتها وثروتها ووفرة ألفاظها على مخالطة أهلها لشعوب أخرى واقتباسها منهم، فهي تعطي وتأخذ.

وقد أخبرنا القرآن أن قريشًا كانت لهم رحلتان: رحلة في الشتاء إلى جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، ورحلة في الصيف إلى الشام، وكانوا تجارًا ينقلون البضائع من بلد إلى بلد، وكانت مكة -شرفها الله تعالى- مركزًا عظيمًا للتجارة قبل الإسلام؛ فكانت تنقل إليها البضائع من الشرق والغرب والجنوب والشمال، **فكيف يُتصور أن لغة العرب تبقى مغلقة مختومًا عليها، لا تخرج منها كلمة ولا تدخلها كلمة؟!**

والأئمة الذين أنكروا وجود كلمات غير عربية في القرآن؛ تمسكوا بظاهر قوله -تعالى- [في سورة يوسف][٤] (٢): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ

---

(١) في «البحوث الإسلامية»: «أحقاقه».

(٢) في «البحوث الإسلامية»: «علماء الفيلولوجيا أعني».

(٣) في «البحوث الإسلامية» و«الإيمان»: «عن».

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البحوث الإسلامية».

تَعۡقِلُونَ﴾، وقوله -تعالى- [في سورة النحل][(١)] (١٠٣): ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾، وما أشبه ذلك، وهم على حق فيما قالوا، فليس في القرآن كلمة أعجمية باقية على عجمتها -البتة-، فكل ما في القرآن من الكلمات كانت تنطق به العرب وتفهمه، وهو جارٍ على سنن كلامها، لا خلاف في ذلك نعلمه، إنما الخلاف في المعرب: هل هو موجود في القرآن أم لا؟

قال السيوطي في «الإتقان»[(٢)]: «قد أفردتُ في هذا النوع كتابًا سميته «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب»، وأنا ألخص هنا فوائد[(٣)] فأقول: اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن، فالأكثرون -ومنهم[(٤)]: الإمام الشافعي[(٥)] وابن جرير[(٦)] وأبو عبيدة[(٧)] والقاضي أبو بكر[(٨)] وابن فارس[(٩)]-

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البحوث الإسلامية».

(٢) (٣/ ٩٣٤-٩٣٥)، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب».

(٣) في «البحوث الإسلامية»: «فوائده».

(٤) في «البحوث الإسلامية»: «منهم».

(٥) «الرسالة» (ص٥٠)، «أحكام القرآن» (١/ ٢٢).

وبحث المسألة الشاطبي في «الموافقات» (٢/ ١٠١ - ١٠٤ بتحقيقي)، وقال في آخره: «والذي نبَّه على هذا المأخذ في المسألة هو الشافعي الإمام، في «رسالته» الموضوعة في أصول الفقه، وكثير ممن أتى بعده لم يأخذها هذا المأخذ؛ فيجب التنبُّه لذلك، وبالله التوفيق».

(٦) «التفسير» (١/ ١١- ط هجر).

(٧) «مجاز القرآن» (١/ ٨).

(٨) «التقريب والإرشاد» (١/ ٣٩٩).

(٩) «الصاحبي في فقه اللغة» (ص١٢ ط السلفية).

على عدم وقوعه فيه؛ لقوله -تعالى-: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وقوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك.

وقال أبو عبيدة[١]: «إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية؛ فقد أعظم القول، ومن زعم أن ﴿لُدًّا﴾ [مريم:٩٧] بالنبطية؛ فقد أكبر القول».

وقال ابن فارس[٢]: «لو كان فيه من لغة غير العرب شيء[٣] لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها»» اهـ.

قال محمد تقي الدين: إنما يمكن أن يقال ذلك إذا كان في القرآن تراكيب أعجمية، أو كلمات باقية على عجمتها، أما وجود كلمات قد صقلتها العرب بألسنتها، ونحت بها مناحي كلماتها، ودخلت في أوزانها؛ فلا يمكن أحدًا أن يدَّعي ذلك فيها، وقد رد القرآن نفسه على من زعم ذلك من أعداء الإسلام الأولين؛ فقال -تعالى- [في سورة النحل][٤] (١٠٣): ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾، وتحداهم أن يأتوا بسورة مثله بأشد أساليب التحدي وأعنفها[٥]؛ فقال

(١) «مجاز القرآن» (١/ ١٧).
(٢) «الصاحبي» (ص٢٩-٣٠).
(٣) في «البحوث الإسلامية»: «شيئًا».
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من «البحوث الإسلامية».
(٥) زيادة من مجلة «الإيمان».

-تعالى- [في سورة البقرة](١) (٢٣-٢٤): ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، وقال -تعالى- [في سورة الإسراء](٢) (٨٨): ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، فأيُّ عدو يسمع مثل هذا التحدِّي، ثم لا يبذل قصارى جهده في معارضة عدوه وإبطال تحدِّيه؟! ولو أن إحدى الدولتين المتعارضتين اليوم -وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي(٣)- صنعت إحداهما سفينة فضائية -مثلًا- وقالت للأخرى: «إنك لن تستطيعي أن تصنعي مثلها»؛ لغضبت الدولة المتحدة، ولم يقر لها قرار حتى تصنع سفينةً مماثلةً أو فائقةً لما صنعته الدولة المتحدِّية لها(٤).

وها(٥) نحن -اليوم- نرى الصين الشيوعية لما رأت عدوتها الولايات المتحدة متفوِّقة في صنع القنابل(٦) الذرية والهايدروجينية؛ فقدت عقلها حنقًا وغيظًا! وهي جادة في صنع هاتين القنبلتين، وزادها(٧) غيظًا أن أختها في الشيوعية دولة الاتحاد السوفياتي(٨) ضنت عليها بالمساعدة(٩) على التوصل

(١) ما بين المعقوفتين سقط من «البحوث الإسلامية».

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من «البحوث الإسلامية».

(٣) في «البحوث الإسلامية»: «السوفييتي».

(٤) زيادة من مجلة «الإيمان».

(٥) في مجلة «البحوث»: «وهنا».

(٦) في مجلة «الإيمان»: «القنبال».

(٧) في مجلة «الإيمان»: «وازادها».

(٨) في مجلة «البحوث»: «السوفييتي».

(٩) في مجلة «البحوث»: «في المساعدة».

إلى هذا الغرض، مع أن الولايات المتحدة لم تتحدَّ الصين إلا بلسان الحال؛ بل هذه فرنسة[١] قلبت ظهر المجن لحليفتها[٢] الولايات المتحدة وبريطانيا؛ لأنهما لم يشركاها فيما وصلتا إليه من صنع القنبلتين المذكورتين إلا بقدر ضئيل لا يشبع نهمتها[٣].

ولم يقل أحد من العرب المعادين للإسلام[٤]: «إن الذي منعهم من معارضة القرآن هو وجود كلمات فيه غير عربية»؛ بل سلَّموا أنه -كله- عربي.

أما كتاب السيوطي الذي سماه «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب»؛ فلا نعلم أنه موجود في هذا الزمان[٥]، لكن الملخص الذي نقله منه مؤلفه في كتاب «الإتقان» لا يدل على أن المؤلف -مع غزارة علمه- كان أهلًا أن يؤلف في هذا الباب؛ لأنه -فيما يظهر- لم يكن يعرف إلا اللغة العربية، والمؤلف في هذا الموضوع يحتاج إلى إلمام باللغات التي قيل: إن بعض مفرداتها قد عرِّب ودخل في القرآن، فإن لم يعلم[٦] بها -كلها-؛ فلا أقل

(١) في مجلة «البحوث»: «فرنسا».

(٢) في مجلة «الإيمان»: «لحليفتيها».

(٣) في مجلة «البحوث»: «فهمها».

(٤) في مجلة «البحوث»: «لم يكن أحد من العرب المعادين للإسلام يقول».

(٥) بل موجود ومطبوع -كما سبق-، وله عدة طبعات؛ أجودها التي بتحقيق الدكتور التهامي الهاشمي.
وطبع له -قديمًا- بعنوان «المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية»؛ وهو جزء منه، لكنه مرتب على اللغات، ويليه له «رسالة في أصول الكلمات».

(٦) في مجلة «الإيمان»: «يلمم».

من الإلمام ببعضها، وأكثر علماء العرب مقصِّرون في علم اللغات، والذين يعرفون شيئًا من اللغات الأخرى -منهم- قليل، وقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعرف اللغة العبراني، ويقرأ «التوراة» ويفهمها[١].

وقال الترمذي في «جامعه»[٢]: (باب تعليم[٣] السُّريانية)، ثم روى بسنده إلى زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أتعلم كلمات [من كتاب][٤] يهود، وقال: «**إني**[٥] **-والله!- ما آمن يهود على كتابي**»، قال: فما مر بي نصف شهر؛ حتى تعلمته له. قال: فلما تعلمته؛ كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم. هذا حديث حسن صحيح.

قال العالم الرباني أستاذي عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري[٦] الهندي[٧] -رحمه الله رحمة واسعة- في شرح هذا الحديث من كتابه «تحفة الأحوذي في شرح جامع[٨] الترمذي» (ج٣ ص٣٩٢) ما نصه: «قال القاري[٩]:

(١) يشير إلى ما روي أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنسخة من «التوراة»، فقال: يا رسول الله! هذه نسخة من «التوراة». فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتغيَّر... الحديث.

والشاهد أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقرأ «التوراة».

وسيأتي تخريجه.

(٢) برقم (٢٧١٥)، وسبق تخريجه.

(٣) في مجلة «البحوث»: «تعلم».

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البحوث».

(٥) في مجلة «البحوث»: «بأني».

(٦) في مجلة «الإيمان»: «المباركبوري».

(٧) زيادة من مجلة «البحوث» ومجلة «الإيمان».

(٨) من مجلة «البحوث».

(٩) في «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٢٩٥١).

قيل: فيه دليل على جواز تعلم ما هو حرام في شرعنا؛ للتوقي[(١)] والحذر عن الوقوع في الشر، كذا ذكره الطيبي[(٢)] في ذيل كلام مظهري[(٣)]، وهو غير ظاهر! إذ لا يعرف في الشرع تحريم تعلم شيء[(٤)] من اللغات -سريانية أو عبرانية أو[(٥)] هندية أو تركية أو فارسية-، وقد[(٦)] قال -تعالى- (٢٢: ٣٠)[(٧)]: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ [وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ][(٨)]﴾ أي: لغاتكم؛ بل هو من جملة المباحات» اهـ.

وهذا الحديث رواه -أيضًا- أحمد وأبو داود والبخاري في «تاريخه»[(٩)]، وذكره في «صحيحه» تعليقًا[(١٠)]، ومعنى الحديث أن النبي ﷺ أمر الصحابي الجليل كاتب الوحي زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود، وفي رواية: «أمره أن

(١) في مجلة «البحوث»: «بالتوقي».
(٢) في «شرحه على المشكاة» (١٠/ ٣٠٤٩).
(٣) في مجلة «الإيمان»: «المظهر»، وهي كذلك في «المرقاة».
وهو العلَّامة الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني، مظهر الدين الكوفي، المعروف بـ(المُظْهِري)، الحنفي الشيرازي الضَّرير، المتوفى سنة ٧٢٧هـ.
ترجمته في: «سلم الوصول» (٢/ ٥٧)، «كشف الظنون» (٢/ ١٦٩٨)، «معجم المؤلفين» (٤/ ٦٠ - ٦١)، «الأعلام» (٢/ ٢٥٩).
(٤) سقطت من مجلة «البحوث»، وفي مجلة «الإيمان»: «لغة».
(٥) سقطت من مجلة «البحوث»، ومجلة «الإيمان».
(٦) سقطت «قد» من مجلة «البحوث».
(٧) في مجلة «البحوث»: «في سورة الروم (٢٢)».
(٨) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البحوث» ومجلة «الإيمان».
(٩) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٨٠) وأبو داود (٣٦٤٥)، وسبق الكلام عليه.
(١٠) برقم (٧١٩٥).

يتعلم السُّريانية»، وعلل ذلك بأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يأمن اليهود أن يكتبوا له إذا أراد أن يكتب إليهم، أو يقرؤوا له كتابًا يأتيه منهم؛ لئلَّا يزيدوا فيه وَينقصوا أو يبدلوا ويغيِّروا، فتعلم زيد ما أمره به النبي ﷺ في نصف شهر.

وقد يُشكل فهم هذا من وجهين:

الأول: أن المعهود من اليهود أن يتكلموا ويكتبوا بالعبرانية لا بالسُّريانية.

الثاني: كيف يستطيع متعلم أن يتعلم لغة أجنبية في نصف شهر؟

والجواب عن الأول: إن اليهود في زمان النبي ﷺ -بل في زمان عيسى ابن مريم وقبله بزمن(١)- لم يكونوا يتكلمون ويكتبون بالعبرانية؛ لأنها كانت قد انقرضت، ولم يبق منها إلا كلمات قليلة تردد في الصلوات، وكان اليهود يكتبون علومهم الدينية والدنيوية ويتخاطبون بالسُّريانية، وإنما جددوا العبرانية وأحيوها، وبذلوا في ذلك جهودًا عظيمة؛ في هذا العصر الأخير(٢).

(١) في مجلة «الإيمان»: «بزمان».

(٢) وأجاب الهلالي عن هذا الإشكال بتفصيل أكثر؛ فقال:

«إنَّ هذا الإشكالَ لازَمني سنين، ولم أجد له حلًّا عند من لقيتهم من علماء الإسلام. فلمَّا كنْتُ في أَلْمَانيا، وشرعْتُ في تعلُّمِ اللُّغاتِ السَّامِية؛ وَصلتُ إلى حلِّ هذا الإِشكال، وذلك؛ أنَّ اليهودَ بعدَما أَجلَاهم بُخْتنصَّر مِن فلسطين، وجاءَ ببعضِهم إلى بابل؛ تَشتَّتَ سائرُهم في كلِّ صُقْع، وتحتَ كلِّ نَجم، فماتَتْ لغتُهم العبرانيَّة، ولم يبقَ فيها إلَّا شيءٌ يَسير يردِّدونه في الصَّلوات، ومنذُ ذلك العهدِ إلى زمانِ الرَّسولِ ﷺ صارتِ اللُّغةُ الَّتي يتكلَّمون ويَكتُبون بها -في الغالبِ- هي السُّريانيَّة، وعلماءُ اليهودِ لا يَعترفون بهذه الحقيقةِ -كلِّها-؛ بل يدَّعون أنَّه لم يزَلْ فيهم طائفةٌ يَعرفون العبرانيَّة، لكن يُسلِّمون أنَّ جمهورَهم كانوا جاهِلين باللُّغة العِبرانيَّة».

من مقالة بعنوان (تعلُّم اللغات؛ حكمُه وفائدتُه [الحلقة الأولى]) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الثالثة، الجزء العاشر، ذو الحجة ١٣٦٨هـ - أكتوبر ١٩٤٩م، (ص٧ - ٩).

والجواب عن الثاني: أن زيدًا لم يتعلم اللغة في نصف شهر؛ وإنما تعلم الكتابة والقراءة، أما معاني لغة اليهود فكان يفهمها؛ لأنها كانت لا تزال قريبة جدًّا من لغة العرب، ولأن قبائل من اليهود كانت مساكنة للأنصار.

وتعلُّم اللغات الأجنبية للانتفاع بها في أمور الدين والدنيا أمر محمود إذا لم يكن على حساب لغة القرآن؛ كما يفعل سكان المستعمرات المتهوِّكون في زمان الاستعمار وبعده، فيحقرون[1] لغة القرآن، وهي لغة دينهم وتاريخهم ومجدهم، ويتعلمون لغة المستعمر، ويتطاولون بها، ويشمخون بأنوفهم، ويتراطنون بها بغير ضرورة، ويحتقرون شعوبهم لعدم استعمال تلك اللغة الأجنبية، فهؤلاء أعضاء مجذومة في جسم الأمة يجب قطعها، وهم يعلمون أن جميع الأمم تحتقرهم، لأنه لا يكون لهم فضل بتعلمهم تلك اللغة الأجنبية؛ إلا إذا أتقنوا لغتهم، وكانوا أعضاء نافعين في أمتهم، ولكن:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوانُ عَلَيْهِ ... ما لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إيْلَامُ[2]

ثم قال السيوطي[3]: «قال ابن جرير[4]: ما ورد عن ابن عباس -وغيره- من تفسير ألفاظٍ من[5] القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك؛ إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد» اهـ.

(١) في مجلة «البحوث»: «فيهملون».
(٢) البيت للمتنبي في «ديوانه» (٤/ ٢١٧- «شرح البرقوقي»).
(٣) «الإتقان» (٣/ ٩٣٥).
(٤) «التفسير» (١/ ١٥) بتصرف.
(٥) زيادة من «البحوث» و«الإيمان».

قال محمد تقي الدين[١]: ابن جرير إمام المفسرين في زمانه وما بعده، وقد أخطأ في هذا الرأي؛ إذ لا يمكن أن تتكلم هذه الشعوب -المتباينة في أنسابها ولغاتها، المتباعدة في أوطانها، على سبيل المصادفة والاتفاق وتوارد الخواطر- بتلك الكلمات الكثيرة العدد، على أن الذين قالوا: «إن[٢] في القرآن كلمات كانت في الأصل غير عربية، ثم صارت بالاستعمال عربية»؛ لم يقل أحد منهم: «إن الكلمة التي أصلها فارسي؛ قد اتفق فيها الفرس مع العرب والنبط والحبشة»، بل إذا كانت الكلمة فارسية كـ(الأباريق) -مثلًا-؛ لم تكن حبشية ولا نبطية، والكلمة التي قيل إنها حبشية كـ﴿ٱبْلَعِى﴾ من قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤] لم يقل أحد[٣]: «إنها توافق الفارسية والنبطية»، وهكذا يقال في سائر الكلمات -كما سيأتي في ذكر الكلمات التي نُسب أصلها إلى غير العربية-.

ثم قال السيوطي[٤]: «وقال غيره[٥]: بل كان للعرب العاربة -التي نزل القرآن بلغتهم- بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم؛ فعلَّقت من لغاتهم ألفاظًا[٦] غيَّرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربي الفصيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن» انتهى.

(١) في مجلة «الإيمان»: «أقول».
(٢) زيادة من مجلة «الإيمان».
(٣) سقطت من مجلة «البحوث».
(٤) «الإتقان» (٣/ ٩٣٦).
(٥) هو القاضي ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٥١).
(٦) في مجلة «البحوث»: «ألفاظ».

هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، **ثم ذكر السيوطي آراءً أخرى يظهر زَيفها عند الامتحان**؛ فأعرضتُ عن نقلها[(١)]، ثم نقل عن الجويني[(٢)] ما معناه: في القرآن (وعد ووعيد)، و(الوعد) يُذكر فيه ثواب المطيعين وما أعد الله لهم في الدارين مما تشتهيه أنفسهم، ويرغِّبهم في فعل الطاعات، وذلك؛ يتضمن مآكلَ ومشاربَ وثيابًا ومساكنَ طيبةً وحورًا عينًا وفُرُشًا طيبةً وغلمانًا للخدمة، وبعض تلك الأمور صنعته أمم غير عربية، وسمَّته بكلمات من لغاتها؛ فنقله العرب عنها، فصار ذِكره في وصف النعيم والعيشة الراضية لا بد منه[(٣)]، وضرب لذلك كلمة[(٤)] (إستبرق) -مثلًا-؛ وهو ما غلظ من ثياب الحرير، والسندس ما رقَّ منها، قال البيضاوي[(٥)]: «وهو[(٦)] معرب (إستبره) بالفارسية، فلو أُريد؛ لتجنب[(٧)] استعمال كلمة (إستبرق)، فأما أن يترك ذكر هذا النوع من

(١) للدكتور محمد جلاء إدريسي **مقالة مهمة** منشورة في مجلة «الدراسات الشرقية» بالقاهرة، العدد (٧٣)، يوليو ٢٠٠٦م، بعنوان (الاستدراك على السيوطي فيما نسبه من المعرب في القرآن الكريم إلى العبرية والسريانية)، ولمحمد يوسف الشربجي مقالة بعنوان (الألفاظ المعربة في القرآن الكريم وموقف السيوطي منها) منشورة في مجلة «التراث العربي» بدمشق، العدد (١٥)، إبريل ١٩٩٣م، ولوحيد أحمد صفية رسالة دكتوراه بعنوان «الألفاظ القرآنية التي قيل بأعجميتها، دراسة مقارنة في ضوء اللغات السامية»، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠٢م.

(٢) كلامه في كتابه «التلخيص في أصول الفقه» (١/ ٢٥٦)، وكذا في «الجامعة» و«البحوث»: «الجويني» بالجيم، وفي «الإيمان»: «الخويني» بالخاء المعجمة!!

(٣) بعدها في مجلة «الجامعة»: «وهو ما غلظ من ثياب الحرير»، فلعله تكرار.

(٤) سقطت من مجلة «الإيمان».

(٥) «التفسير» (٥/ ١٠٤).

(٦) في مجلة «الإيمان»: «هو».

(٧) في مجلة «الجامعة» ومجلة «الإيمان»: «التجنب».

الثياب -أصلًا- فلا يتم المقصود[(١)]؛ وهو وصف العيشة الراضية، وأما أن يعبر عنه بكلمتين أو أكثر -كثياب الحرير الغليظة-؛ فتفوت البلاغة، إذن؛ فلا بد من التعبير به ليكون الكلام بليغًا».

ثم قال السيوطي[(٢)]: «قال أبو عبيد[(٣)] القاسم بن سلام بعد أن حكى هذا[(٤)] القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية: «والصواب -عندي- مذهب فيه [تصديق القولين -جميعًا-][(٥)]، وذلك؛ أن هذه الأحرف أصولها أعجمية -كما قال الفقهاء-، لكنها وقعت للعرب؛ فعرَّبتها بألسنتها، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن بها[(٦)]، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: «إنها عربية»؛ فهو صادق، ومن قال: «أعجمية»؛ فصادق»، ومال[(٧)] إلى هذا القول الجواليقي[(٨)] وابن الجوزي[(٩)] وآخرون». اهـ

- الكلمات المشتركة

أول القرآن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ اشتملت على أربع كلمات: اسم، الله، الرحمن، الرحيم.

---

(١) في مجلة «البحوث»: «المطلوب».
(٢) «الإتقان» (٣/ ٩٤٠).
(٣) في مجلة «الإيمان»: «عبيدة»!
(٤) سقطت من مجلة «الإيمان».
(٥) بدل ما بين المعقوفتين في مجلة «البحوث»: «تطبيق القولين مجتمعين».
(٦) سقطت من مجلة «الإيمان».
(٧) في مجلة «الإيمان»: «وما».
(٨) «المعرَّب» (ص٥٣)، وفي «البحوث» و«الإيمان»: «الجوالقي».
(٩) «فنون الأفنان» (ص٣٤٣).

أبدأ بالكلام على (الرحمن):

قال السيوطي في كتاب «الإتقان»[١]: «ذهب المبرد وثعلب[٢] إلى أنه عبراني وأصله بالخاء المعجمة».

قال البيضاوي[٣] في تفسير قوله -تعالى- في سورة الفرقان (٦٠): ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ...﴾ الآية: «لأنهم ما كانوا يطلقون على الله، أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره[٤]، ولذلك قالوا: ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ [الفرقان:٦٠] أي: للذي تأمرنا؛ يعني: تأمرنا بسجوده[٥] أو لأمرك لنا من غير عرفان؟ وقيل: لأنه كان معربًا لم يسمعوه» اهـ.

وهذا يدل[٦] على ما قلته سابقًا من جهل أكثر[٧] علماء العرب باللغات، حتى أخوات لغتهم؛ كالعبرانية والسُّريانية، فـ(الرحمن) كلمة عربية خالصة من (الرحمة) بزيادة الألف والنون؛ كـ(ظمآن) و(عطشان)، وكانت العرب تعرفه وتفهم معناه، وقد سَمُّوا به مسيلمة الكذاب؛ فكانوا يدعونه (رحمان اليمامة)، ولكنهم -لجهلهم- لم يكونوا يعلمون أنه من أسماء الله.

---

(١) (٣/ ٩٥٠).
(٢) «الزاهر» (١/ ١٥٣) للأنباري، وهذا القول نسبه القرطبي في «التفسير» (١/ ١٠٤) للمبرد، وقلَّده من نقل عبارته، وليس الأمر كذلك! وإنما هو من قول ثعلب -وحده-.
(٣) في مجلة «البحوث»: «السيوطي»! وانظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٢٩).
(٤) في مجلة «البحوث»: «غيرهم».
(٥) في مجلة «البحوث»: «بالسجود له».
(٦) في مجلة «الإيمان»: «يدلك».
(٧) زيادة من «البحوث».

ومن أعجب العجب قولهم: إنه عبراني، وأن أصله بالخاء المعجمة! والخاء المعجمة لا وجود لها في العبرانية استقلالًا؛ وإنما تُنطق الكاف بها إذا جاءت قبلها حركة مثل: (هبراخا)[1] البركة، ومثل: (باروخ) أي: مبارك، ومعناه بالعبرانية هو معناه بالعربية، إلا أنه في اللغة العبرانية صفة عامة[2] لكل من في قلبه رحمة، ليس خاصًّا بالله -تعالى-، إذن فهو من الكلمات المشتركة بين العبرانية والعربية، وهي كثيرة تعد بالآلاف، وهذه الكلمات الأربع التي في البسملة[3] كلها مشتركة بين اللغتين؛ فالاسم: (شم) بإبدال السين شينًا، وذلك كثير في العبرانية، والله: (إلوهيم)، والرحمن: [(الرحمن) لفظه بالعبرانية كلفظه بالعربية، إلا أداة التعريف؛ فإنها بالعبرانية: (هارحمان)، والرحيم بالعبرانية: (هارحوم)][4]، وهذه الكلمات الكثيرة المشتركة بين اللغات السامية هي أصيلة في كل واحدة منها، لا يقال: «إن إحداهن أخذتها من الأخرى»، وهذا هو الشأن في كل مجموعة من اللغات ترجع إلى أصل واحد؛ كاللغات اللاتينية[5]: كالإيطالية والإسبانية والفرنسية والرومانية

(١) في مجلة «البحوث»: «ها براخا».

(٢) في مجلة «الإيمان»: «عمة».

(٣) في مجلة «الإيمان»: «البسلمة».

(٤) بدل ما بين المعقوفتين في «البحوث»: «هلرحمن».

(٥) من المعلوم أن الكتلونية، والبروفنسية، والقشتالية، والبرتغالية؛ كلها مشتقة من اللغة اللاتينية التي هي الأم، وذلك؛ بفساد طرأ على اللغة اللاتينية في القرون الوسطى، فما زال يعمل عمله فيها حتى تكونت منها عدة فروع، يقال لها -عند الإفرنج-: (لغات الأوك Langues d'Oc)، وقد أصبحت اللغة الكتلونية لغة متميزة عن غيرها، منفصلة عن القشتالية والغالية في القرن الثاني عشر للمسيح، ولكنها -إلى ذلك الوقت- لم تكن لغة أدب وتأليف، وما ابتدئ التأليف في اللغة الكتلونية إلَّا في القرن =

والبرتكالية، ومجموعة اللغات الجرمانية: كالألمانية والهولاندية والفلمنكية والسويدية والنرويجية والدانماركية.

- **لفظ الجلالة (الله): هل هو مشتق أو مرتجل؟**

ومن ذلك المعركة الكبرى التي خاضها علماء العربية في لفظ الجلالة (الله): أهو مرتجل أم مشتق؟ وإن كان مشتقًّا: فهل اشتقاقه من (أَلِهَ)(١) أو من

= الثالث عشر؛ فظهرت فيها دواوين شعرية، ومعجمات لغوية، وكتب نحو وصرف، وأخذت تنمو وتنتشر، ولمَّا استولى ملوك برشلونة وأراغون على جزر الباليار؛ امتدت اللغة الكتلونية إلى ميورقة ومينورقة ويابسة، وإلى بلنسية والقنت، وصارت هي اللغة السائدة في شرقي إسبانية، وكانت الملاحة في سواحل إسبانية الشرقية في أيدي الكتلان؛ فصارت اللغة الكتلونية هي أداة التفاهم عند جميع البحرية في هذه القطعة من البحر المتوسط، وقد انقسمت اللغة الكتلونية -هي أيضًا- إلى لهجتين: **إحداهما** الميورقية، **والثانية** البلنسية، وأكثر ما كان التباين هو في اللفظ، وفي تركيب بعض الجمل، ولما اتَّحدت مملكتا أراغون وقشتالة؛ تقلَّصت اللغة الكتلونية من أراغون، ولكنها بقيت هي اللغة المعروفة في كتلونية، وجزر الباليار، وبلنسية والقنت.

أفاده العلامة شكيب أرسلان؛ وقال:

«ولما كنتُ في ميورقة جرى التعارف بيني وبين قسيس كبير طاعن في السن، قيل لي: «إنه من كبار العلماء، وإنه صنف كتابًا بالغًا عدَّة مجلدات في فرائد اللغة الكتلونية».

وهذه اللغة وإن كانت لاتينية محضة في أصلها؛ فقد دخل فيها ألفاظ كثيرة جرمانية، وألفاظ كثيرة بروفنسية، وألفاظ كثيرة عربية، وهي -**في كثرة الداخل عليها من العربي**- أشبه بالإسبانيولية القشتالية»، وانظر عنها بالتفصيل: «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية» (٢/ ٢٢٢ - ٢٢٨).

(١) قال في هامش مجلة «البحوث الإسلامية» تعليقًا عليه: «وفي «القاموس» لمجد الدين الفيروزآبادي ما نصه: «أله ألاهة، وألوهة، وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، واختُلف فيه على عشرين قولًا؛ ذكرتُها في «المباسيط»، وأصحها أنه علَم غير مشتق»».

(وله) أو من (لاه)؟ وما هو أصله على كل من هذه الأوجه؟ وماذا جرى عليه من الحذف والإدغام حتى بلغ صورته التي هو عليها؟ **ومن تعلم شيئًا من اللغات السامية أخوات اللغة العربية؛ لا ينقضي عجبه من الخائضين في تلك المعركة، ويرى جهودهم ضائعة، ويحكم -يقينًا- أن الاسم الكريم مرتجل بلا مرية، وهو بعيد كل البعد من الاشتقاق**، فإنه ثابت بهذا اللفظ في جميع اللغات السامية؛ ففي السُّريانية: (ألاها)، والشرقيون منهم ينطقون به: (ألاهو)[(١)]، وهو كذلك في الأشورية: (ألاه)[(٢)] بفتح الهمزة في اللغات الثلاث، وبالعبرانية: (إلوهيم).

ولا تختلف الشعوب السامية -فيما أعلم- في هذا الاسم الكريم، وكذلك في مجموعة اللغات اللاتينية، وفي مجموعة اللغات الجرمانية؛ الاسم الكريم عندهم واحد، مهما اختلفت لغاتهم في الكلمات الأخرى لا تختلف فيه.

- مثال يدل على تقارب اللغتين: العربية والعبرانية

جاء في ترجمة يوسف روفلين[(٣)] للقرآن الكريم بالعبرانية في أول سورة

---

(١) في مجلة «البحوث»: «ألاه».

(٢) زيادة من «البحوث»، وفي «الإيمان»: «ألاهو».

(٣) هو يوسف يوئيل ريفلين، المترجِم اليهودي، ترجم معاني القرآن الكريم إلى العبرية سنة ١٩٣٦م، ونشرته دار (دفير)، وهو والد رئيس الكنيست السابق: رؤوفين ريفلين، وللهلالي نقدات لترجمته، ذكرتُ طرفًا منها في كتابي «جهود العلَّامة محمد تقي الدين الهلالي في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية وبيانه أغلاط الترجمات السابقة»، وسعى ريفلين في «ترجمته» إلى تفادي الأخطاء التي وقع فيها سابقه ريكندورف، كما أن تعمُّق ريفلين في قراءة الأدب العربي؛ ساعده على إنجاز «ترجمته لمعاني القرآن» بصورة أفضل من الترجمة السابقة، حيث صاغها بلغة عبرية أكثر تطورًا وفصاحة وقبولًا من جانب القارئ العبري في ذلك الوقت، وبنفس المستوى اللغوي اللغوي الذي كُتب به الأدب العبري في فلسطين المحتلة -أعادها الله إلى حظيرة الإسلام والمسلمين-؛ لخدمة المهاجرين الجدد، ومخاطبتهم بأسلوب يمكن أن يفهمه قطاع واسع منهم.

الصف[١] ما نصه -مع استبدال الحروف العبرانية بحروف عربية [تسهيلًا على المطبعة التي تطبع مجلة «الإيمان»][٢]-: (با را ششت[٣] همعراخا)[٤] سورة[٥] المعركة (بشم الوهيم هارحمان هارحوم[٦]) (يشبح اث[٧] ألوهيم كل أشر بشاميم وغل[٨] أشر باآرص[٩] وهو [هكبور وهحاخام همأمنيم][١٠] لا [ماتو مرواث أثر][١١] لو تعسوا).

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ١-٢].

فأنت ترى أن الألفاظ كلها مشتركة من أول البسملة إلى قوله -تعالى-:

(١) أخبرنا محمد بن الطيب الهلالي -قريب تقي الدين الهلالي وكاتبه- في لقاء معه في بيته، في مدينة (سطات) بالمغرب، بتأريخ ٩ ربيع الأول ١٤٣٠هـ يوافق ٦ آذار ٢٠٠٩م؛ أن للهلالي ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالعبري، من سورة الصف إلى آخر المصحف، وللأسف! لا أعلم عنها شيئًا.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من مجلة «الإيمان».

(٣) في مجلة «الإيمان»: «فاراشت».

(٤) في مجلة «البحوث»: «ها معرخا».

(٥) في مجلة «البحوث»: «سمرة».

(٦) في مجلة «البحوث»: «وهاد حوم»، وفي مجلة «الإيمان»: «وهارحوم».

(٧) في مجلة «البحوث»: «يات».

(٨) في مجلة «البحوث» ومجلة «الإيمان»: «وخل».

(٩) في مجلة «البحوث»: «يا آرص»، وفي مجلة «الإيمان»: «باأرص».

(١٠) في مجلة «البحوث»: «وهو هكبور واهلحخام هما أستيم»، وفي مجلة «الإيمان»: «همأنيم» بدل «همأمنيم».

(١١) في مجلة «البحوث»: «ماتومرووات أشر»، وفي مجلة «الإيمان»: «ما تومرو أث أشر».

﴿لِمَ﴾، إلا أن لفظ ﴿سَبَّحَ﴾ أُبدلت سينه شينًا، وحلَّ المضارع محل الماضي، وهذا الفعل في العبرانية متعدٍّ بنفسه، وكذلك في العربية؛ قال -تعالى- في سورة ق (٤٠): ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾، وإلا ترجمة (ما) الموصولة بـ(أَشِرْ) وزيادة (كل)؛ لأن الترجمة إنما هي تفسير، وإبدال سين السماوات شينًا وجمعها بالياء والميم، واستعمال (باء) الجر في موضع (في)، وهو جائز في العربية؛ قال -تعالى- في سورة الصافات (١٣٧-١٣٨): ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، وإبدال ضاد الأرض صادًا، وإبدال العزيز بالجبار (هكبور)، وهما متقاربان في المعنى، وإبدال الحكيم (هحاخام)[1]، وهما شيء واحد، إلا أن الكاف أبدلت خاء.

وترجمت[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بـ(همأمينيم)[3] يعني: المؤمنين، وترجمت[2] ﴿لِمَ﴾ بـ(لَامَّا)، و﴿تَقُولُونَ﴾ بـ(تومرو)، وترجمت[2] ﴿لَا﴾ بـ(لو) وهما شيء واحد بإمالة الألف إلى الواو، وترجمت[2] ﴿تَفۡعَلُونَ﴾ بـ[4](تعسوا)[5]، الواو في (تومرو)[6] و(تعسو) واو الجماعة، وحذفت النون فيهما[7] بلا ناصب ولا[8] جازم كما تحذف في العاميات العربية، وهذه النون

(١) في مجلة «البحوث»: «ها حا خام».
(٢) في مجلة «البحوث»: «وترجمة».
(٣) في مجلة «البحوث»: «همهاء نييم».
(٤) سقطت من مجلة «الإيمان».
(٥) في مجلة «الإيمان»: «تعسو».
(٦) في مجلة «البحوث»: «تؤمروا».
(٧) في مجلة «الإيمان»: «فيها».
(٨) في مجلة «الإيمان»: «لا».

هي نون الرفع وهي ثابتة في «التوراة» في مواضع تفوق الحصر، وليس كما قال بعض المستشرقين: في خمسة مواضع -فقط-!

- أمثلة من الكلمات التي قيل: إنها وقعت في القرآن من غير[(١)] العربية

١. أباريق

قال السيوطي في «الإتقان»[(٢)]: «حكى الثعالبي في «فقه اللغة»[(٣)] أنها فارسية، وقال الجوالقي[(٤)]: (الإبريق) فارسي معرب، ومعناه: طريق الماء، أو: صَبُّ الماء على هِيْنَة».

قال في «لسان العرب»[(٥)]: «والإبريق: إناء، وجمعه (أباريق)، فارسي معرب، قال ابن بري: شاهده قول عدي بن زيد[(٦)]:

ودَعا بالصَّبُوحِ يَومًا فجاءت قَيْنَةٌ في يَمِينِها إبْرِيقُ

وقال كراع[(٧)]: هو الكوز. وقال أبو حنيفة مرة: هو الكوز. وقال مرة: هو مثل الكوز. وهو في كل ذلك فارسي معرب[(٨)]، وفي التنزيل: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ

---

(١) في مجلة «الإيمان»: «غيط».

(٢) (٣/ ٩٤١).

(٣) (ص٢٠٨).

(٤) «المعرَّب» (ص٧١).

(٥) (١٠/ ١٧).

(٦) انظر: «ديوان عدي بن زيد» (٨٧)، «الفرج بعد الشدة» (٤/ ٢٨٨)، «التذكرة الحمدونية» (٨/ ٣٥٤)، «خزانة الأدب» (٩/ ٤٤٨)، «لسان العرب» مادة (برق) و(طرق)، «تاج العروس» مادة (برق)، وبلا نسبة في «العقد الفريد» (٥/ ٢٠٣).

(٧) في مجلة «البحوث»: «كرع».

(٨) زيادة من مجلة «البحوث».

مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨]، وأنشد أبو حنيفة لشبرمة الضبي[١]:

كــأنَّ أباريــقَ الشُّــمُولِ عَشِــيَّةً   إوزٌّ بأَعْلَى الطَّفِّ عُوجُ الحَناجِرِ

وقال الفيروزآبادي في «القاموس»[٢]: «(الإبريق) معرب (ا ب ر ي)[٣]، جمع (أباريق)» اهـ.

قال بعض العلماء: هو مركب من كلمتين: (آب) وهو الماء و(راه) وهو الطريق، وقيل: مركب من (آب) وهو الماء و(ريختن)[٤] وهو الصب على مهل. قاله آرثر جفري [by Arthur Jeffery في كتابه «الألفاظ الأجنبية في القرآن» «The foreign vocabulary of the Quran»][٥].

٢. الأب

قال[٦] السيوطي[٧]: «(آب)[٨] قال بعضهم: وهو[٩] الحشيش بلغة أهل

(١) شبرمة بن الطفيل، انظر: «شرح ديوان الحماسة» (١/ ٨٩٠)، «شرح الفارسي للحماسة» (٢/ ٥٦)، «تعليق من أمالي ابن دريد» (١٣٥)، «التذكرة الحمدونية» (٨/ ٣٨٣)، «لسان العرب» (٩/ ٢١١)، ولبعض الضبيين في: «الشعر والشعراء» (١/ ٢٧٦) و«عيون الأخبار» (٢/ ٢٠٦)، ونسب إلى عامر بن الطفيل في «الدر الفريد» (٨/ ٤٠٩)، وبلا نسبة في: «المخصص» (١١/ ٨٥) و«محاضرات الأدباء» (١/ ٨١٣).

(٢) (ص١١١٩).

(٣) في مجلة «البحوث»: «أبرى».

(٤) في مجلة «البحوث»: «ريخش».

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البحوث»، والكتاب المشار إليه مطبوع في (٣١١) صفحة في معهد الشرق سنة (١٩٣٨م)، وانظر كلامه فيه (ص٤٧).

(٦) في مجلة «البحوث»: «وقال».

(٧) «الإتقان» (٣/ ٩٤١).

(٨) في مجلة «الإيمان»: «أب».

(٩) في مجلة «الإيمان»: «هو».

الغرب؛ حكاه شَيْدَلَة[(١)]» اهـ.

ونقله عنه جفري، وفسَّر لغة أهل الغرب بالبربرية.

أقول: وهذا من أعجب العجب، ولا نعلم أن العرب كانت لهم علاقة بالبربر قبل الإسلام حتى تقتبس العربية من لغتهم، ثم إن هذه الكلمة يبعد كل البعد أن تكون بربرية؛ لأنها لا تشبه الكلمات البربرية، وإنما تشبه العربية والسُّريانية والعبرانية. وقال جفري: «إنه مأخوذ من (أبا) الآرامية، ومعناه: الخضرة».

وقال في «لسان العرب»[(٢)]: «الأبُّ: الكلأ، وعبَّر بعضهم عنه بأنه[(٣)] المرعى، وقال الزجاج: الأب جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، قال أبو حنيفة: سمى الله -تعالى- المرعى -كله- أبًّا. قال الفراء: الأبُّ ما يأكله[(٤)] الأنعام. وقال مجاهد: الفاكهة ما أكله الناس، والأب ما أكلت الأنعام، فالأب من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان. [وقال الشاعر[(٥)]:

(١) كذا بالدال المهملة في «الجامعة الإسلامية» و«البحوث» و«الإيمان»، وفي «الإتقان» بالمعجمة، وكذا في مصادر ترجمته، وهو لقب عزيزي بن عبدالملك الفقيه الشافعي (ت٤٩٤هـ)، وترجمه ابن السبكي في «طبقات الشافعية» (٥/ ٢٣٥)، وضبطه بفتح الشين المعجمة وسكون آخر الحروف وفتح الذال واللام بعدها.

(٢) (١/ ٢٤٠).

(٣) في مجلة «البحوث»: «أنه».

(٤) في مجلة «البحوث»: «تأكله»، وفي «الإيمان»: «أكله».

(٥) البيت بلا نسبة في: «لسان العرب» و«تاج العروس» (أبب)، «جمهرة اللغة» (٥٣)، «مقاييس اللغة» (١/ ٦).

جِذْمُنــا[١] قَيــسٌ ونَجْــدٌ دَارُنـا ولنـا الأَبُّ بــه والمَكْــرَعُ][٢]

قال ثعلب: الأب: كل ما أخرجت الأرض من النبات. وقال عطاء: كل شيء ينبت على وجه الأرض فهو الأب. وفي حديث [أنس][٣]: أن عمر بن الخطاب قرأ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، وقال: فما الأب؟ ثم قال: ما كُلِّفنا وما أُمرنا بهذا» اهـ.

وقال[٤] ابن كثير[٥]: «عن ابن جرير[٦] بسنده إلى أنس قال: «قرأ عمر ابن الخطاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال: قد عرفناها[٧] الفاكهة؛ فما[٨] الأب؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب! إن هذا لهو التكلُّف»[٩]، فهو **إسناد صحيح** رواه غير واحد عن أنس به، وهذا محمول

(١) في الأصل: «جذ منا»، والمثبت من مجلة «الإيمان».
(٢) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البحوث».
(٣) زيادة من مجلة «الإيمان».
(٤) في مجلة «الإيمان»: «وقل».
(٥) في «التفسير» (١٤/ ٢٥٣)، والأثر **صحيح**، وسيأتي تخريجه.
(٦) في «التفسير» (٢٤/ ١٢٠) من طرق عن أنس به **بأسانيد صحيحة**.
(٧) في مجلة «البحوث» ومجلة «الإيمان»: «عرفنا».
(٨) في مجلة «البحوث»: «وما».
(٩) أخرج البخاري في «صحيحه» بسنده إلى أنس؛ قال: «كنا عند عمر؛ فقال: «نهينا عن التكلف»».
وأخرج الإسماعيلي وأبو نعيم في «مستخرجيهما» وعبد بن حميد في «التفسير» -كما في «فتح الباري» (١٣/ ٢٧١) وأورد ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٧٢) إسناد عبد بن حميد- وعبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٣٤٨) وسعيد بن منصور في «سننه» (١/ ١٨١/ رقم ٤٣) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٢٧) وأبو عبيد =

على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا؛ فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض[(١)]؛ لقوله -تعالى-:﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ [عبس: ٢٧-٣١]» اهـ[(٢)].

٣. ابلعي

قال السيوطي في «الإتقان»[(٣)]: «أخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عن وهب بن منبه في قوله -تعالى- (١١: ٤٤)[(٥)]: ﴿ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤] قال بالحبشية: ازدرديه.

وأخرج أبو الشيخ[(٦)] من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال: (اشربي) بلغة الهند» اهـ.

= في «فضائل القرآن» (رقم ٨٢٥، ٢٢٧- ط غاوجي) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٥١٢-٥١٣) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٤) والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٢٩-٢٣٠/ رقم ٢٠٨٤) وابن جرير في «التفسير» (٣٠/ ٥٩) والهروي في «ذم الكلام» (ص١٣٣) من طرق عن عمر؛ **بعضها صحيح** نحو ما هنا مِن ذِكر الأب.
وعزاه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ١٥٩) للثعلبي وابن مردويه والطبراني في «مسند الشاميين».

(١) وكذا قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٧٢): «وهذا محمول على أنه إنما أراد استكشاف علم كيفية الأب، وإلا؛ فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يُجهل».
قلت: ويستشكل هذا بما أخرجه الحاكم -مختصرًا- في (كتاب الصوم) من «المستدرك» عن عمر بن الخطاب؛ أنه سأل ابن عباس عن الأب؟ فقال: «هو نبت الأرض مما يأكله الدواب والأنعام، ولا يأكله الناس»، وقال: «صحيح على شرط مسلم».

(٢) زيادة من مجلة «الإيمان».

(٣) (٣/ ٩٤٢).

(٤) في «التفسير» (٦/ ٢٠٣٦)، **وإسناده صحيح**، وفيه: «ازدرديه».

(٥) في مجلة «البحوث»: «هود: ٤٤».

(٦) عزاه له السيوطي -أيضًا- في «الدر المنثور» (٨/ ٧٣).

وإن تعجب فعجب قولهم: أن[١] (ابلعي) بلغة أهل الهند، وهذا القول إلى الهزل أقرب منه إلى الجد، وقائله ليس أهلًا أن يؤخذ عنه العلم[٢]؛ وإنما هو يهرف بما لا يعرف، وأهل الهند أجناس كثيرة لهم مئات من اللغات، ولا تكاد تسير مسافة يوم؛ إلا وجدت جنسًا آخر له لغة أخرى.

وفي زماننا -هذا- نرى الدماء تسفك بينهم بسبب اللغات، فلا يرضى جنس أن تكون لغة الدولة لغة أخرى غير لغته، وفي زمان الاستعمار؛ لم تكن في الهند لغة يستطيع المسافر أن يتكلم بها، ويجد من يفهم كلامه في جميع أنحاء الهند؛ إلا لغتين: **إحداهما** الإنكليزية[٣]؛ وهي لغة الدولة الحاكمة، **والثانية** لغة المسلمين؛ وهي لغة أوردو، على أن (بلع) كلمة عربية سامية أصيلة عريقة في عروبتها وساميتها، وترفع[٤] راية اللغات السامية؛ وهي حرف العين.

ومن المعلوم عند علماء اللغات أن العين والحاء لا توجدان[٥] إلا في اللغات السامية، فإن وجدت إحداهما في كلمة من لغة غير سامية؛ فتلك الكلمة طارئة واردة على تلك اللغة، وبهذا يستدل الفيلولوجيون على أن البربر من الشعوب السامية، وأنهم خرجوا من جزيرة العرب قبل خروج

(١) سقطت من «البحوث».
(٢) في مجلة «الإيمان»: «العالم».
(٣) في مجلة «البحوث»: «الإنجليزية».
(٤) في مجلة «الإيمان»: «ترفع».
(٥) في مجلة «الإيمان»: «توجد».

البابليين والأشوريين والكنعانيين والفينيقيين -كما هو مبيَّن في موضعه-[١].

ونحن نرى عامة إخواننا المسلمين من أهل الهند يبذلون جهودهم في النطق بقوله -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ فلا يُتمُّون النطق بالعينين حتى تغفر ذنوبهم من مشقة النطق بهما، ولذلك؛ نرى السيوطي في كتاب «الإتقان» كحاطب ليل، وليس عنده[٢] تحقيق ولا إتقان، وهذا شأنه في علوم المنقول، أما في علوم المعقول -كعلوم العربية- فهو فارس لا يشق له غبار[٣]، وقد تحامل عليه الحافظ السخاوي في كتابه «الضوء اللامع في أعيان

(١) أكثر الهلالي من التعرض لعروبة البربر، وله براهين كثيرة على ذلك، أوردها في مقالته (البربر وأحوالهم) المنشورة في مجلة «الجامعة» الهندية، المجلد الثاني، الجزء الثاني والثالث، شوال وذو القعدة ١٣٤٢ هـ -مايو ويونيو ١٩٢٤ م، (ص٧ - ١٠)، قال في أولها:

«قرأت في جريدة «الإقبال» التي تصدر من بيروت في جزئها (٢٠٢٢) مقالة منقولة من جريدة «السِّياسية» (المصرية)، ملخَّصةً مِن مقالةٍ للكاتِب (دجي) الإنكليزي، تحت عنوان «أمَّةٌ بيضاءُ في إفريقيا دينُها الإسلام»؛ فرأيتُ فيها ما يخالف الواقعَ، معَ ما فيها من القُصور في بيان أحوالِ بربر إفريقيا، فذاكرْتُ في ذلك مدير «الجامعة»؛ فَالْتَمس منِّي أن أكتبَ شيئًا ممَّا أعلمُ عن تلك الأمَّةِ البربريَّة التي لا يزالُ أكثرُ الكتَّاب يَجهلون تفاصيلَ أحوالِها، وحيثُ إنَّ مسقطَ رأسي ومَنشئي هو إفريقيا على مقربةٍ مِن الأمَّة البربريَّة، وقد سافرْتُ إلى بلاد البربرِ، وأتقنْتُ لغتَهم، وعاشرْتُهم سنتَين؛ فإنِّي أبيِّن أحوالَهم -في هذه المقالةِ- عن مشاهدةٍ عيانيَّة، ولا أنقل شيئًا مِن كتابٍ تاريخيٍّ؛ لأنَّ كتبَ التَّاريخ بين أَيدي القرَّاء الكرام، لا يَخفى عليهم ما في بطونها».

(٢) سقطت من «البحوث».

(٣) تعقب الباحث الأستاذ محمد بن عبدالله بن موسى آل حسين في أطروحته للماجستير «جهود الشيخ محمد تقي الدين الهلالي (ت١٤٠٧هـ) في التفسير وعلوم القرآن ومنهجه فيهما» (ص١١٧ - مرقومة)، تعقب الهلالي في كلامه هذا؛ فقال: «قلت: =

القرن التاسع»[(١)]، فالله يغفر لهما -جميعًا-.

٤. أخلد

قال السيوطي في «الإتقان»[(٢)]: «قال الواسطي في «الإرشاد»: أخلد إلى الأرض رَكَن بالعبرية[(٣)]». اهـ.

أقول: هذا القول لا يقوله إلا جاهل باللغات السامية! فإن (أخلد) و(خلد) موجودتان في اللغتين -كلتيهما-، ومتفقتان في معانيهما في الجملة، فمن قال: إنهما عبريتان وليستا عربيتين؛ فقد قَفَا ما لا علم له به، ومن قال العكس؛ فهو مثله، غير أن (أخلد) في العبرانية بالحاء المهملة، [وكذلك (خلد)، وقد تقدم أن الخاء المعجمة لا توجد بالأصالة في العبرانية][(٤)]، وإنما توجد بالعرض في

= سامحه الله -تعالى-؛ فالإمام السيوطي من أجلِّ علماء المسلمين، وكُتبه شاهدة بتبحُّره في علم المنقول والمعقول، ومن اتَّهمه في علمه بالمنقول؛ فليطالع كتابه «الدر المنثور في التفسير» أو «ألفيته في الحديث» أو «تدريبه للراوي»، وغيرها كثير، فكيف يجوز للشيخ الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يطلق الكلام فيه هكذا على عواهنه؟!

والذي لا يشك فيه أحد: أن العلَّامة الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يمكن أن يقارنه أحد بالسيوطي؛ لا في علوم المنقول، ولا في علم المعقول، والفرق بينهما في التحصيل العلمي كبير جدًّا»!!

قال أبو عبيدة: كلام الباحث بعيد، ومراد الهلالي بنقده: معرفة السيوطي بالمنقول عن الأمم السابقة، ونقدات الهلالي صحيحة، ولم يبدِ الباحث رأيًا في نقداته؛ فأخذ يعمم الكلام، والسياق لا يسمح له بهذا التعميم، والإنصاف عزيز!

(١) (٤/ ٦٥)، وينظر -لزامًا-: ما زبرناه بهذا الخصوص في مقدمة تحقيقنا لكتاب السيوطي «تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش» (ص٣٦ - ٦٧).

(٢) (٣/ ٩٤٢).

(٣) في مجلة «البحوث»: «بالعبرانية».

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البحوث».

حرف الكاف إذا جاءت بعد حركة، ولم نر أحدًا من علماء اللغة العربية أشار إلى أن (أخلد) عبرانية كما ادعى هذا المدعي.

قال في «لسان العرب»[١]: «وخلد إلى الأرض وأخلد: أقام فيها، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦] أي: ركن إليها وسكن، وأخلد إلى الأرض وإلى فلان؛ أي: ركن إليه ومال إليه ورضي به، ويقال: خلد إلى الأرض بغير ألف؛ وهي قليلة» اهـ.

وقال البيضاوي في «تفسيره»[٢]: «﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا أو إلى السفالة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إيثار الدنيا واسترضاء قومه، وأعرض عن مقتضى الآيات» اهـ.

٥. الأرائك

قال السيوطي في «الإتقان»[٣]: «حكى ابن الجوزي في «فنون الأفنان»[٤] أنها السرر بالحبشية» اهـ.

قال الراغب[٥]: «الأريكة: حجلة على سرير، جمعها (أرائك)، وتسميتها بذلك: إما لكونها في الأرض متخذة من أراك وهو شجرة، أو لكونها مكانًا للإقامة[٦] من قولهم: أرك بالمكان أروكًا، وأصل الأروك: الإقامة على رعي

(١) (٣/ ١٦٤).
(٢) (٣/ ٤٢).
(٣) (٣/ ٩٤٢).
(٤) (ص٣٥١).
(٥) في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٦).
(٦) في مجلة «البحوث»: «للعامة».

الأراك، ثم تجَّوز به في غيره من الإقامات» اهـ.

وقال في «لسان العرب»[(١)]: «والأريكة: سرير في حجلة، والجمع (أريك) و(أرائك)، وفي التنزيل: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦] قال المفسرون[(٢)]: «الأرائك: السرر في الحجال»، وقال الزجاج[(٣)]: «الأرائك: الفرش في الحجال»، وقيل: هي الأسرة، وهي -في الحقيقة- الفرش كانت في الحجال أو في غير الحجال، وقيل: الأريكة: سرير منجد مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير؛ فهو حجلة، وفي الحديث: «**ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ**[(٤)] **على أريكته؛ فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله؟!**»[(٥)]، الأريكة: السرير في الحجلة من دونه ستر، ولا يسمى منفردًا (أريكة)» اهـ.

قال في «اللسان»[(٦)]: «والحجلة مثل القبة، وحجلة العروس معروفة؛ وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور».

فقد رأيتَ أن (الأرائك) كلمة عربية خالصة، وبطل ما ادعاه السيوطي ومن نقل[(٧)] عنه.

---

(١) (١٠/ ٣٨٩).

(٢) وهو قول ابن عباس وجماعة من التابعين، انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٥٦).

(٣) «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٤).

(٤) في مجلة «الإيمان»: «متك».

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ١٠) وأبو داود (٤٦٠٥) والترمذي (٢٦٦٣) وابن ماجه (١٣) وغيرهم، من حديث أبي رافع القبطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وإسناده صحيح**، وللحديث شواهد، انظر تخريجها: في تعليقي على «الموافقات» (٤/ ١٩٠).

(٦) (١١/ ١٤٤).

(٧) في مجلة «الإيمان»: «نقله».

٦. أسباط

قال السيوطي في «الإتقان»[١]: «حكى أبو الليث في «تفسيره»[٢] أنها بلغتِهم كالقبائل بلغة العرب» اهـ.

وفي[٣] هذا الكلام شيء ساقط؛ لأن الضمير في (لغتهم) لم يذكروا[٤] ما يعود عليه، وهذا الساقط يحتمل أن يكون يدل على بني إسرائيل، وكلام جفري[٥] يؤيد هذا الاحتمال، وهذا نص ترجمته بالعربية[٦]:

«اضطر أبو الليث أن يعترف أنه -أي: السبط- لفظ عبراني مستعار؛ قاله[٧] السيوطي في «الإتقان»[٨]».

وقد أطال جفري البحث في هذا اللفظ، وادعى أنه لم يُستعمل في كلام العرب قبل استعماله في القرآن، وربما يكون أول من استعمله محمد[٩].

ونحن نقول لجفري وأمثاله من الذين أعمى التعصب بصائرهم، وأفقدهم صوابهم: إن الله الذي أنزل «التوراة» و«الإنجيل» -اللذين تؤمن بهما

---

(١) (٣/ ٩٤٣).
(٢) «تفسير أبي الليث السمرقندي» المسمى «بحر العلوم» (١/ ١٢٣).
(٣) في مجلة «الإيمان»: «في».
(٤) في مجلة «البحوث» ومجلة «الإيمان»: «يذكر».
(٥) في مجلة «البحوث»: «الجفري».
(٦) في مجلة «البحوث»: «العربية».
(٧) في مجلة «البحوث»: «قال».
(٨) لم أجده في المطبوع.
(٩) في مجلة «الإيمان»: «محمدا».

أنت- هو الذي أنزل القرآن على عبده ورسوله محمد بن عبدالله خاتم النبيين -على رغم أنفك-، ولا ضير على القرآن أن يوجد فيه لفظ شاع استعماله في العبرانية؛ لأن هاتين اللغتين نشأتا من أصل واحد، وإذا جاز أن يكون في القرآن ألفاظ هي في الأصل فارسية -مع أن لغة الفرس بعيدة من[١] لغة العرب-؛ فما المانع أن توجد فيه ألفاظ عبرانية أو سريانية؟!

وإذا اعتبرنا (السبط) اسمًا لقبيلة من قبائل بني إسرائيل؛ فالتعبير به طبيعي[٢]، وهو أولى من التعبير عنه بـ(القبيلة)؛ لأنه صار شبيهًا بالأعلام التي يجب ذكرها بلفظها.

قال في «لسان العرب»[٣]: «والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب؛ وهم الذين يرجعون إلى أب واحد، سُمِّي (سبطًا)؛ ليُفرَّق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق، وجمعه (أسباط)، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، ليس ﴿أَسْبَاطًا﴾ بتمييز؛ لأن المميز إنما يكون واحدًا، لكنه بدل من قوله ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾، كأنه قال: (جعلناهم أسباطًا)، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب» اهـ.

وأصله بالعبرانية (شبط) على وزن (إبل)، ومعناه: القضيب والعصا والقبيلة.

(١) في مجلة «الإيمان»: «مـ» سقطت منها النون.
(٢) في مجلة «الإيمان»: «طبعي».
(٣) (٧/ ٣١٠).

٧. إستبرق

قال السيوطي في «الإتقان»[١]: «أخرج ابن أبي حاتم[٢] [عن الضحاك] أنه الديباج [الغليظ] بلغة العجم» اهـ.

وقال البيضاوي[٣] في قوله -تعالى- في سورة الدخان (٥٣): ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: «السندس[٤]: ما رَقَّ من الحرير، والإستبرق: ما غلظ منه، معرب (إستبره)» اهـ.

قال جفري[٥]: «وهذا من الألفاظ القليلة التي اعترف المسلمون أنها مأخوذة من الفارسية»، وعزاه إلى السيوطي في «الإتقان»[٦]، وفي «المزهر»[٧] حكاه فيه عن[٨] الأصمعي، وإلى السجستاني في «غريب القرآن»[٩]، وإلى الجوهري في «الصحاح»[١٠]، وإلى كتاب «الرسالة» للكندي، وإلى ابن

(١) (٣/ ٩٤٣)، وما بين المعقوفتين منه.
(٢) في القسم المفقود من «التفسير»، وأورد إسناده السيوطي في «المهذب» (ص٧١)، **وإسناده ضعيف جدًّا**، فيه جويبر البلخي؛ متروك.
(٣) في «التفسير» (٥/ ١٠٤).
(٤) في مجلة «الإيمان»: «اسندس».
(٥) «الألفاظ الأجنبية في القرآن» «The foreign vocabulary of the Quran» (ص٥٨)، مع التنبيه إلى أن الكلام فيه باللغة الإنجليزية، والمُتَرجم لها هو الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٦) (٣/ ٩٤٣).
(٧) (١/ ٢٠٩)، عن أبي عبيدة لا عن الأصمعي.
(٨) في مجلة «الإيمان»: «بن».
(٩) (ص١٣٣).
(١٠) (٤/ ١٤٥٠).

الأثير في «النهاية»[(١)]، قال: «وبعضهم يقول: إنه لفظ عربي مأخوذ من البرق» اهـ.

٨. السندس

قال في «القاموس»[(٢)]: «ضرب من رقيق الديباج معرب بلا خلاف» اهـ.

وقال في «لسان العرب»[(٣)]: «السندس: البُزْيُون»، «وفي الحديث: «أن النبي ﷺ بعث إلى عمر بِجُبَّةِ سُنْدُس»[(٤)]، قال المفسرون في السندس: إنه رقيق الديباج ورفيعه، وفي تفسير الإستبرق: إنه غليظ الديباج، ولم يختلفوا فيه، الليث: السندس ضرب من البزيون يتخذ من المِرْعِزَّى[(٥)]، ولم يختلف أهل اللغة فيهما أنهما معربان» اهـ.

٩. أسفار

قال السيوطي في «الإتقان»[(٦)]: «قال الواسطي في «الإرشاد»: هي الكتب بالسُّريانية. وأخرج ابن أبي حاتم[(٧)] عن الضحاك؛ قال: هي الكتب بالنبطية» اهـ.

---

(١) (١/ ٤٧).
(٢) (ص٧١٠).
(٣) (٦/ ١٠٧).
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٧٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) في مجلة «البحوث»: «المرتزى».
(٦) (٣/ ٩٤٣).
(٧) في القسم المفقود من «التفسير»، وأورد إسناده السيوطي في «المهذب» (ص٧٢)، وإسناده لا بأس به.

قال محمد تقي الدين: يا لله! يا[١] للعجب! كيف يقال: إن (الأسفار) جمع (سفر)-بكسر فسكون- ليس بعربي؛ وإنما هو سرياني أو نبطي؟! لا جرم لا يقول ذلك إلا جاهل باللغات السامية، والحق -الذي لا شك فيه- أن (السفر) كلمة عربية خالصة، وهي -في الوقت نفسه- عبرانية وسريانية ونبطية؛ فهي من الألفاظ المشتركة بين اللغات السامية، ليست واحدة منها أولى بها من غيرها.

[وقد آن لي أن أمسك عنان القلم، وأختم هذا المقال، ولو تركته؛ لجرى أشواطًا أخرى، ولكن المقام لا يحتمل الاستقصاء، ولْيُقَس ما لم يُقَل.

وحَقُّ هذا الموضوع أن[٢] يؤلَّف فيه جزء مستقل، ولعل الله ييسر لي ذلك[٣]، فهو المُيسِّر والهادي إلى سواء السبيل][٤].

المقالة الثانية: لطيفة في تفسير البسملة[٥].

في الشهر الماضي كنتُ في برلين، واجتمعتُ بالمستشرق الكبير الأستاذ ب. موريس[٦]؛ فأطلعني على مجموعة الخطوط العربية التي أخذ صورها

(١) زيادة من مجلة «البحوث الإسلامية».
(٢) في الأصل: «ن» سقطت منها الألف.
(٣) لا أعلم للهلالي جزءًا مستقلًّا في هذا الموضوع!
(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من مجلة «الإيمان».
(٥) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الرابع عشر، العدد (٦٥٤)، بتأريخ ٢٨ ربيع الأول ١٣٥٨هـ، (ص١٤).
(٦) مورتس برنهارد (١٨٥٩ - ١٩٣٩م) MORITZ BERNHARD، مستشرق ألماني، ولد في عام ١٨٥٩م، عمل أمين مكتبة لسمينار برلين فترة طويلة، وصار في ١٨٩٦م مديرًا =

من بلدان مختلفة ونواحي كثيرة؛ من القرن الأول للهجرة إلى العصر الحاضر -وهي مجموعة نفيسة يعزُّ نظيرها!-، ثم جلسنا نتحدث، فسألني عن معنى آيات قرآنية؛ فأجبته بما عندي فيها.

ثم وصل البحث إلى (البسملة)؛ فقال لي: ما معنى (الرحيم) من البسملة؟

فقلت له: معناه كذا وكذا. وذكرتُ له ما قاله المفسرون: أنه من الرحمة، وأنه يدل على الرحمة الخاصة، و(الرحمان) يدل على الرحمة العامة.

فقال: هذا رأي ضعيف، لا يدل عليه دليل صحيح، ولا يثبت أمام البحث!

فقلت له: فهل تعرف له معنى آخر؟

فقال: نعم!

فقلت: أُحبُّ أن أسمعه.

فقال: معناه (المحب)؛ من (رحم) بمعنى: أحب.

فقلت: وما برهان ذلك؟

= لدار الكتب المصرية بالقاهرة، واستخرج من مخطوطاتها (١٨٨) لوحة فوتوغرافية تمثل مختلف الخطوط، وأصدرها في مجلد بعنوان «الخطوط العربية» (١٩٠٦) Arabic Palaeography.

وتجول في العالم العربي -كله- من العراق حتى مراكش، واهتم بالجغرافيا التاريخية، ومن ثمار هذا الاهتمام: أنه أصدر في سنة ١٩٢٣م كتابًا عن «جزيرة العرب» Arabien؛ فيه دراسات ثمينة عن الجغرافيا الطبيعية، وأصدر مورتس في سنة ١٨٩٢م «مجموعة من الكتابات العربية المأخوذة من عُمان وزنزبار».

توفي مورتس سنة ١٩٣٩م.

ترجمته في «طبقات المستشرقين» (٢٠٢).

فقال: أتعرف السُّريانية؟

فقلت: **أنا أدرسها -الآن-، وأعرف منها شيئًا.**

فقال: فما معنى (رحم) بالسُّريانية؟

فقلت: **لها معنيان:**

أحدهما مثل العربية، **والثاني:** المحبة.

فقال: فهو ذاك؛ فالسُّريانية والعربية هما في الأصل لغة واحدة، و(رحم) تدل فيهما على الرأفة والمحبة، إلا أن المعنى الأخير تُرِكَ استعماله بأخرة في العربية حين دُوِّنت المعاجم؛ فنُسي، وقد كانت العرب تعرفه وتستعمله.

فقلت: وما الدليل على ذلك؟

فأخرج لي صحيفة، وقال: أتعرف الفارسية؟

قلت: لا.

فقرأ عليَّ من الصحيفة، وقال: هذه ترجمة للبسملة وسورة من القرآن بالفارسية، كُتبت في القرن الأول للهجرة، وقد تُرجم (الرحيم) بمعنى (المحب)؛ فلا شكَّ أنَّ العرب في الزمان الذي كُتبت فيه هذه الترجمة كانوا يفهمون من معنى (الرحيم): (المحب)، وبذلك تسلَم الآية من تكرار معنى الرحمة، وتكون دالة على اتِّصاف الله -تعالى- بالرحمة والمحبة.

ولطرافة هذا البحث وغرابته أوردته هنا؛ ليشاركني فيه مَن يحبُّ الاطلاع

عليه من القرَّاء[١].

(١) كتب الأستاذ عبد اللطيف أبو السمح مقالةً نُشرت في مجلة «الفتح» -نفسها-، العدد (٦٥٧)، المجلد الرابع عشر، بتأريخ ٢٠ ربيع الآخرة، (ص١٩-٢١)، هذا ما جاء فيها:

فلسفة في البسملة

في العدد (٦٥٤) ذَكَرَ أستاذُنَا تقي الدين الهلالي «لطيفة في تفسير البسملة» عن الأستاذ المستشرق ب.موريس؛ فسَّر (الرحيم) فيها بـ(المحب)، مستظهرًا بدليلٍ لُغوي، ونصٍّ تاريخي.

ولكنني لم أَجِدِ ارتياحًا من نفسي إلى ذلك مع وجود الدليل والنص؛ لضعفهما -في نظري-، وعدم ثباتهما أمام البحث!

ومع هذا؛ فقد بَدَتْ لي معانٍ أُخرى في البسملة -عمومًا-، رأيت أن أقيدها في هذا المقال، وقد جاء في تضاعيفه ما ينقض رأي الأستاذ المستشرق، وإن كان النقض غير مباشر، ولعل القارئ يجد -هنا- (لطيفًا) من المعاني؛ كما وجد -هناك- (لطيفة) من الخواطر.

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا تأملتَ في البسملة أدركتَ فيها ترتيبًا تنازليًّا غريبًا في ألفاظ الجلالة الثلاثة المتوالية:

مرَّة من جهة ما تشتمل عليه من المعاني.

ومرَّة أُخرى من جهة التناسب بين هذه المعاني.

ومرَّة ثالثة من جهة مدلولات هذه المعاني وكثرتها.

ومرَّة رابعة من جهة وضوح هذه المدلولات.

ومرَّة خامسة من جهة مميزاتها في الرسم الصوتي والحركات.

ومرَّة سادسة من جهة مميزاتها في الرسم الكتابي.

فأما ما تشتمل عليه من المعاني وترتيب ذلك؛ فإن كلمة (الله): عَلَم على الذات الإلهية، تفسرها: أسماؤه -تعالى- وصفاته، كما تدل هي على كل ذلك.

وكلمة (الرحمن): تشرح معنًى من معاني ذلك العَلَم، مع ما يلازم ذلك المعنى من مدلولات الأسماء الأُخرى؛ فهي على وجه العموم تشرح الرحمة، مع ما يلازمها من =

= سائر الصفات التي تلازم كل معنى(أ).

ولكنها على وجوه الخصوص تشرح الرحمة، مع ما يلازمها من صفتَي العِلْم والحكمة العاليتين على مستوى الأفهام، وبذلك يدخل فيها ما لا ينطبق عليه شيء من الرحمة في النظر السطحي، حينما يَدِق العِلْم وتسمو الحكمة(ب).

وهذه هي الرحمة التي نسميها نحن بالعليا -لا العامة كما يقول الشراح-؛ لأن الأفهام لا تدركها إلا بمحض الإيمان والتسليم المطلق، واعتقاد الدقة والسمو في صفتَي العِلْم والحكمة العاليتين اللتين بنى عليهما ذلك النوع من الرحمة.

وكلمة (الرحيم): تشرح الرحمة الظاهرة في إغداق النعم، ودفع النقم(ج).

ومن النقم كثير من النعم، كما إنَّ من النعم كثيرًا من النقم(د).

وحيثما تُعرف النعمة ولو كانت نقمة، أو النقمة ولو كانت نعمة؛ تدخل في معنى (الرحيم)، ولكنها إذا لم تُعرف؛ تدخل في معنى (الرحمن).

والرحمة الظاهرة أساسها الحب إذا كانت لمؤمن، وقد تكون مع الكره إذا كان لكافر، وقد تكون لمجرد الرحمة، وحفظ النظام الكوني(هـ). =

(أ) مثال ذلك: العِظَم والمقدرة والقوة؛ كلها صفات، ولكنها يلازم كل واحدة منها مدلول العزة في العزيز -مثلًا-، والكرم في الكريم، واللطف في اللطيف، مع العلم بأن كل ذلك يترادف، ويأتي بعضه مكان الآخر. **(منه)**

(ب) مثال ذلك: افتقار فلان الذكي أو المؤمن، واغتناء فلان الأبله أو الكافر، والذي تبديه الطبيعة من مظاهر الهلاك والتدمير في ثورة البراكين وطغيان البحار، وغضب السماء، والذي حدث من الخضر بعد أن اتبعه موسى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ قبل أن يُنبِّه بتأويل ما لم يسطع عليه صبرًا، مع ضعف التمثيل، وقرب المأخذ. **(منه)**

(ج) ومن النعم: هذه الحواس، وهذه الغرائز، وما سخره الله للإنسان في البر والبحر.

ومن النقم: زوال هذه النعم، أو إبطالها بما هو أقوى منها؛ كإبطال الغنى في المال بالفقر في النفس، والقوة في الجسم بالضعف في الروح. **(منه)**

(د) نرجو أن نشرح هذه المعاني -أو هذه الفلسفة- في مقال خاص. **(منه)**

(هـ) مثال ذلك: ما يبدو من عطف الناس على الضعيف، وخوفهم من السلطان، وانتظام الكواكب في سيرها وجاذبيَّتها، وانتظام الأرض في دورانها وانتقالها، وانتظام الجو في تحوله وتقلبه. **(منه)**

....

= فأنت ترى أن تفسير (الرحيم) بـ(المحب) تضييق لدائرة الاسم الكريم وحصر له، وهذه هي الرحمة العامة -لا الخاصة كما يقول الشراح-، وكل ذي فهم بسيط يدرك آثارها.
وأما ما في معاني هذه الأسماء من التناسب وترتيب ذلك؛ فقد علمتَ أن كلمة (الله) أعم الأسماء التي تدل على الذات الكريمة.
وقد علمتَ أن رحمته سبقت غضبه؛ فمن المعقول أن تكون أسماء الرحمة أكثر من غيرها، وأن يكون ما يدل على ذلك الأكثر -وهو (الرحمن)- بعد الأعم -وهو (الله)-.
وقد علمتَ أن (الرحيم) تدخل في معنى (الرحمن)، وهي أول مدلول يفسِّرها؛ فمن المعقول أن تأتي بعدها، فتكون كالتفصيل بعد الإجمال بأظهر معاني التفصيل، ولو بُحث عن مثل ذلك في اللغة؛ لوُجد، وإن لم يحضرني منه شيء -الآن-؛ لِقلَّة الكتب عندي، والرغبة عنها بما في المجتمع.
وأما ما في معاني هذه الأسماء من كثرة المدلولات وترتيب ذلك؛ فإن كلمة (الله) تدل على كل الصفات -كما مرَّ بك-.
وكلمة (الرحمن) تدل على القسم الأعظم المقدَّم من هذه الصفات.
وكلمة (الرحيم) تدل على أوضح شيء في ذلك الأعظم المقدَّم.
وأما وضوح المعاني في هذه الأسماء وترتيب ذلك؛ فقد علمتَ أن كلمة (الله) عَلَم على الذات الإلهية العظيمة، بالمعنى الذي يدل عليه كل اسم آخر وكل صفة.
وقد علمتَ أن كلمة (الرحمن) معناها: صاحب الرحمة العليا، فهي واضحة من جهة؛ لأنها حدَّدت معنًى من المعاني، ولكنها غامضة؛ لأن ذلك المعنى مما يتدخل الإيمان فيه مع الفهم لسُمُوِّ هذه الرحمة وسُمُوِّها.
وهذا بخلاف كلمة (الرحيم)؛ فإنها أوضح الكل، وأكثر تحديدًا لمعناها؛ فالترتيب هنا تصاعدي ما دام الوضوح هو المقصود.
وأما مميزات الرسم الصوتي، والحركات في هذه الأسماء، وترتيب ذلك؛ فأنت على بيِّنة من أنه لا توجد -إلا في لفظ الجلالة- لام شمسية مفخمة في اللغة العربية، ولا قمرية، ولا غير ذلك[أ]. =

(أ) إلا في مواضع خاصة في بعض القراءات كاللام -فيما أظن- إذا جاءت بعد حرف من حروف الاستعلاء (خ.ص.ض.ط.ظ.غ.ق) عند ورش المصري، وأستاذنا الهلالي أعلم بذلك؛ لأنه يحفظ القرآن على هذه القراءة. (منه)

= وهذا التفخيم لا يليق إلا مع الفتح، فلو كانت اللام مضمومة لما ظهر قصد التفخيم فيها؛ لفخامة الضمة في الأصل، ولو كانت اللام مكسورة لما أمكن تفخيمها؛ لرقة الكسرة في الأصل، فهذه ميِّزة لها، ثم إنه يمتد بها النفس -بلا تكلُّف- إذا علمنا بأن الفتح هو أخف الحركات؛ كما استدل على ذلك الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» بأقوى الحجج، مما جعلني أميل إلى رأيه، وأخالف الذين قالوا بخفة السكون.

ثم إن في هذا الاسم الكريم معنى السهولة واليسر على كل لسان؛ فليس فيه إلا مقطعان اثنان، ولو تمشَّينا مع الخيال قليلًا؛ لقلنا: مقطع ساكن (ألْ)، ومقطع متحرك؛ ليدل على أنه -تعالى- مالك السكون والحركة.

ومما يساعد على هذه السهولة في النطق: تفخيم اللام؛ لأن الترقيق يقتضي فتح الفم قليلًا، وتحريك الشفة السفلى إلى الداخل بعض التحريك، وإدخال اللسان وتعليقه في سقف الحلق، أكثر مما لو كان مفخمًا؛ فإن الفم واللسان والشفتين لا يحدث لهما تغيير كهذا.

وهنا ملحوظة ترِد علينا: وذلك أن اللام في لفظ الجلالة مرققة، ولكن هذا ترقيق عارض للكسر الذي في الميم قبلها، وهذا هو الفن الرفيع، والذوق العالي اللذين تفخر بهما العربية على سائر اللغات.

ثم تأتي كلمة (الرحمن) وليس في حركاتها الكسر الذي فيه معنى الرقة، والذي لا يتناسب مع جلال معناها؛ فالراء مفتوحة للمشاكلة بينها وبين الميم الممدودة بالألف بعد الحاء، والحاء ساكنة بعد ذلك الفتح ليظهر جيدًا، وليكون هناك شبه استعداد للنطق بهذه الميم العظيمة الممدودة بالألف إلى أعلى، وهذا مما يدل على قولنا بأن (الرحمن) تدل على الرحمة العالية التي لا يدركها إلا الله؛ فكأن هذا المد يشير إشارة خفيفة إلى مركزها الأول.

بخلاف (الرحيم)؛ فإن المد فيها بالكسر، مما يشير إلى أنها الرحمة العامة القريبة من الخلق، والتي يفهمها كل إنسان؛ لقربها من إدراكه، وإذا رجعنا إلى (الرحمن)؛ وجدنا حاءها في وسط الكلمة -إذا اعتبرنا التجريد، أو إذا أسقطنا النون من حسابنا-؛ لأن حركتها عارضة بالإعراب، ثم ننظر إلى السكون؛ فنجده أقوى الحركات ما دامت الفتحة أخفها، ولا أدري! أقال بذلك الأستاذ إبراهيم مصطفى أم لم يقل؟ وقد جاءت =

= قوته من أنه لا ينطق به الناطق إلا بحركة قبله يَعتمد بها عليه في النطق به؛ فكأنه مكوَّن من شيئين: الحركة التي قبله، وهو بنفسه، وهذا بخلاف (الحركة)؛ فإنها مكوَّنة من نفسها -فقط-، وبذلك أكسَب السكونُ هذه الكلمة قوة في الجرس، ووضوحًا في الصوت(أ).

ثم تأتي بعد ذلك كلمة (الرحيم)؛ وهي عادية بكل معنى الكلمة، وليس فيها إلا كسر الحاء الذي يزيدها رقة، ويزيدها المد عذوبة، وتحلِّيها -بعد ذلك- الميم بغنَّتها ورنينها، وانضمام الشفتين بها ورقَّتها، ولا يُنسينا ذلك رقَّة الحاء وخروجها من الحلق بضعف مع التنفس، يساعدها في ذلك مدها بالياء مما يدل على الرحمة حقًّا في الرحيم، ولذلك؛ لما كانت الحاء في (الرحمن) النوع العالي؛ جاءت الحاء فيها ساكنة؛ ليجبر السكون رقَّتها بشدته، وضعفها بقوته.

وأما مميزات الرسم الكتابي، وترتيب ذلك؛ فقد خُص لفظ الجلالة (الله) بشيئين من المميزات؛ هما: قصر اللام في الخط الثلث والفارسي والنسخ، ثم حَذْف المد كأنه أمر طبيعي فيها لا يحتاج إلى علامة.

وقد خُصَّت كلمة (الرحمن) بشيء واحد: هو حَذْف المد، ولم تُخص (الرحيم) بشيء؛ فجاءت عاديَّة في الكتابة، كما هي عاديَّة في المعنى، وهذا؛ مما ألهم الله به الكُتَّاب والعلماء -بلا شك- من غير استناد إلى سبب، ومما ألهمني إدراكه بعد مئات السنين؛ فأحمده -تعالى- على ما أنعم.

وعلى ذكر البسملة والرسم الكتابي؛ نذكر أنها الجملة الوحيدة التي تفانى الكُتَّاب من قديم الزمن والخطاطون الأولون في وضعها بأشكال مختلفة مُراعى فيها الجمال والهندسة، وللأستاذ محمد حسني المشهور غرائب في ذلك وعجائب لم يُسبق إليها، بأنواع من الخطوط ربما فاقت ما قبلها!

وقد غِرْتُ منه في يوم من الأيام؛ **فابتكرت لها ثلاثة تركيبات لم أُسبق إليها:** =

(أ) أردت أن أشبِّه هذه الكلمة مع هذه الحركات التي عليها بشيء محسوس؛ فخيِّل إليَّ أنها كالخيمة العظيمة، لها ثلاثة أعمدة: أوسطها ضخم طويل مثبت بالحبال، والآخران أقل منه في كل ذلك، إلا أن الأمامي -يعني: الميم- أكثر من أخيه امتدادًا -يعني: الراء-. (منه)

المقالة الثالثة: لطيفة في معنى «الرحيم»[1].

كتبتُ -قبلًا- كلمة في معنى «الرحيم» من البسملة -نُشرت في جزء (٦٥٤) من «الفتح»-، فلمَّا لقيت الأستاذ موريس الذي سمعت منه تلك اللطيفة؛ قرأتُ عليه الكلمة -كما نُشرت في «الفتح»-.

= **واحدها:** ذلك الذي تُوِّج به هذا المقال.

والثاني: كَوَّنت فيه الألِفَات ثمانية مربعات تامة؛ في الوسط أربعة منها فوق أربعة.

والثالث: كَوَّنت فيه الحاءان دائرتين.

الحقوق محفوظة -يا خطاطون!- والسرقة حرام!

وقد أُعجب بها الأستاذ حسني كل الإعجاب، وأشار بوضع (بسم) فوق (حيم) من (الرحيم)؛ حتى يكون نصف الكلمة الأخير قريبًا من نصفها الأول؛ لأنه يُعنى كثيرًا بسهولة القراءة، ويقول: خير الخط ما قرئ ولم يكن كالرموز!

بقي شيء -بل أشياء!-، ولكنها تريد كتابًا مستقلًّا لا مقالًا صغيرًا كهذا، وتريد التفرُّغ لها، وهدوء البال... أما ذلك الشيء؛ فموعدي به في المائة الكلمة -إن شاء الله-.

فهل يَستمسك الرأي الجديد أمام رأينا هذا؟! أم يتلاشى ويضعف؟! أم ماذا؟! وهل يَنتظر مني أن أكون في العربية كواحد من أولئك المستشرقين؟! أم أن ذلك مُحرَّم على الشرقيين؟!

مراجع هذه الفلسفة:

١- حديقة الأرمان بالجيزة، من الساعة ١٠-١١ صباحًا، إلى ربع المقال -تقريبًا-، وذلك في يوم الاثنين العاشر من ربيع الآخر.

٢- غرفة السنترال بكلية الحقوق، من ١١-٢ مساءً، فيما بعد ذلك.

٣- روح الهدم والتجديد -المتسلطة عليَّ منذ الطفولة- يراها القارئ شائعة في المقال. (منه)

(١) نُشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الرابع عشر، العدد (٦٦٢)، بتأريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٨هـ، (ص١٠-١١).

فقال لي: هذا خطأ؛ فقد سهوتَ فيما قلتُه لك! وإنما قلتُ لك: إنني وجدت رقعة من البردى في مصر، مكتوبًا عليها البسملة بالعربية، وترجمتها باليونانية لا بالفارسية، وأن (الرحيم) ترجم بمعنى (محب الناس).

فقلت للأستاذ موريس: وكيف علمتَ أن هذه الرقعة كُتبت في القرن الأول للهجرة؟

فقال: عرفتُ ذلك من رقعة أُخرى وجدتُها معها مكتوبة بالخط نفسه، وفيها ما نصه: «أَمَرَ به الأميرُ الوليد»؛ فاستنتجتُ من ذلك: أن الرقعة التي فيها ترجمة (الرحيم) كُتِبَتْ في خلافة الوليد.

ويسرُّني -هنا- أن أعترف بسهوي وخطئي فيما نقلته عن الأستاذ المذكور، وأنا لم أنقله للتقرير، وأنا سمعتُ شيئًا طريفًا؛ فأحببت مشاركة القراء لي فيه، والباب مفتوح على مصراعيه للباحثين، ويسرُّني أن يتقدم الأخ العزيز الأستاذ عبد اللطيف إلى البحث.

بَيد أني أحببتُ أَنْ يكون بحثه في مثل هذا جاريًا على منهاج علمي، يمكن فهمه، ووزنه بميزان المناظرة طبق الأصول، لا بما يشبه التفسير على طريق الإشارة؛ فإن ذلك لا ضابط له.

والاعتراض الوارد فيما نقلته عن الأستاذ موريس: وهو أن تفسير (الرحيم) بـ(الرحمة) فيه تكرار باقٍ على حاله؛ فإن الشرح الذي ذكره الأخ لا يخالف ما قرره المفسرون إلا في اللفظ -فقط-، وقد أجاب بعض الشراح

عن هذا الإيراد بالحديث: «**يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهَا**»[١]؛ فدل على أن (الرحيم) خاص برحمته المؤمنين، و(الرحمن) أعم.

وأورد عليه: أن للحديث رواية جاء فيها: «**يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا**»[٢]؛ فبطل الاستدلال.

وقال بعضهم: إن (الرحمن) أبلغ من (الرحيم)، ولذلك؛ قُدِّمَ في الذكر، معللًا قوله: بأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، ونظمه بعضهم[٣]؛ فقال:

وَخَصِّصِ الرَّحْمَنَ بِالتَّقْدِيمِ لأَنَّهُ أَبْلَغُ مِنْ رَحِيمِ

وقيل: إن (الرحمن) اسم عبراني، ولمَّا راجعتُ المعاجم العبرانية؛ تبيَّن لي أن (رحم) تدل على المحبة، والرحمة -أيضًا- فيها كما في السُّريانية[٤]، وأن (رحمان) ليس باسمٍ كما ذكره بعض علمائنا؛ بل هو صفة في اللغة العبرانية كما في العربية -سواء-.

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٦٩٦) عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «هذا حديث صحيح»، وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي؛ متروك! **فإسناده ضعيف جدًّا**.

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٣٠-١٣١)، وهذا حديث لا يشك في وضعه، وفيه جماعة لا يعرفون -أصلًا-.

(٣) البيت مجهول القائل بلفظ: (قَدْ خُصِّصَ...)، انظر: كتاب «السلسلة الذهبية من الحديث المسلسل بالأولية» (٩١)، منشور بعد كتاب «الأقوال الحسان الراقية في الأجوبة المختارة السامية» في نفس المجلدة، جمع محمد بن علي الرباطي (ت ١٣٥٨هـ).

(٤) ثم رأيتُ -الآن- أنها كذلك في الآشورية -أيضًا-. (منه)

ولا نريد -الآن- أن ندخل في بحثٍ أنه لا يُطلق إلا على الله، وأن إطلاقه على مسيلمة كان من ضلال المشركين؛ فذلك بحث آخر.

ومَن عرف شيئًا من اللغتين السُّريانية والعبرانية؛ تَيقَّن -بلا ريب- أنهما أختان شقيقتان، أو ابنتان للغة العربية، ولا يرتاب أن هذه اللغات الثلاث كانت -في يوم من الأيام الخالية- لغة واحدة، وسواء أكان ذلك اليوم قبل عشرة آلاف سنة أم أقل أم أكثر.

واحتمال أن اللغة العربية أصل لهما؛ له دلائل قوية جدًّا -لها موضع آخر-.

وإذا علمنا أن (رحم) -وما اشتق منها- تدل في اللغتين العبرانية والسُّريانية على المحبة والرأفة، وعرفتَ ما في تأويلات الشراح من الضعف؛ تبيَّن لك أن التكرار الذي أورده بعض الباحثين في الاسمين الشريفين؛ لا يزال بلا جواب مقنع من الوجهة اللغوية.

فإما أن يُسلَّم ويجاب بأن المقصود به زيادة التوكيد؛ كما في الحديث الصحيح: «**إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ**»[1]، وهذا جوابٌ سالمٌ من الإيراد المذكور، وليس فيه خلاف لما فَسَّرَ به الأئمةُ، ولا افتيات عليهم، والتكرار ليس دائمًا معيبًا؛ بل هو -كغيره مما يَعرِض للألفاظ- تابعٌ لمقتضى المقام، ويهوِّن ذلك: أن اللفظين مختلفان في البِنْية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٩٦، ٦١٤٨، ٦٨٩١) ومسلم (١٨٠٢) في قصة عامر بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما أن يُتجاسر على خلاف المفسرين، ويُقال: إنهم لم يحيطوا بكل معاني القرآن عِلْمًا، ولا يستحيل أن ينكشف بعدهم من المعاني -ولا سيما اللغوية- ما لم يعلموه، كما انكشف أن تأويلاتهم في اشتقاق لفظ الجلالة (الله) -على القول به- كلها مدخولة[1]، لأن مَن يعرف ولو قليلًا من اللغات السامية؛ يعلم يقينًا أن هذا الاسم هو عَلَم على الخَالِق جَلَّ وَعَلَا في جميع اللغات السامية، التي هي أخوات -أو بنات- اللغة العربية.

فإنه في العبرانية (ألوهيم) بصيغة الجمع فيها، وإن كان المعنى به واحدًا، وربما دلَّ ذلك على أن اليهود كانوا يعبدون آلهة كثيرة، وأن التوحيد عندهم عارض؛ فبقي اسم الجمع يطلق على المعبود.

وهذا اللفظ جمع (إله)؛ أُبدلت ألفه واوًا، وهو كثير في العبرانية مثل (لسان): (لشون)، و(ذراع): (ذروع)، والياء والميم للجمع.

وفي اللغة السُّريانية (إلاها)، والألف الأخيرة عوض عن (الـ) التعريفية؛ فهو مثل العربية -تمامًا-.

وجميع كلمات البسملة تدل على معاني لا تختلف في اللغات الثلاث؛ وهي: (الباء)، و(اسم)، و(الله)، و(الرحمن)، و(الرحيم).

وأرى أن الباحث لا يمنعه من تلقي ما ذكره الأستاذ موريس بالقبول إلا هَيبة مخالفة السلف، فمَن تسامح في ذلك؛ وجد في هذا التأويل جوابًا شافيًا عن إيراد التكرار، وكانت له حجة قائمة في الحقيقة من حيث

(١) هل يجب علينا أن نتعلم اللغات الأخرى كي نعرف اشتقاق كلمة في لغتنا؟!

اللغة[١]، وإن كان علماؤنا لم يألفوا هذا النوع من البحث؛ لأن تعلم اللغات مع أنه كان شائعًا على عهد النبي ﷺ، حتى إن النبي ﷺ أمر زيد ابن ثابت بتعلم العبرانية أو السُّريانية -الشك مني-، قال زيد: «فتعلمتها في شهر»، وكان يقرأ للنبي ﷺ كتب يهود بعد تعلمها[٢]، وكونه تعلمها في شهر: دليل على أنها إلى ذلك لم تكن بعيدة جدًّا من العربية[٣]، وكان عمر يقرأ العبرانية في الحديث الذي ذكر فيه أن النبي ﷺ أنكر عليه ذلك بتمعُّر وجهه[٤]، فلم يفطن؛ فنبَّهه أبو بكر.

---

(١) كتب الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد هذه المقالة بنحو ثمانية عشر عامًا: مقالات في التفسير، واختار المنهج الصواب لتفسير آي الكتاب، والذي عليه المحققون من أهل العلم، والله الموفِّق.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) وكان العرب -ولا سيما أهل الحرم المكي منهم- واقفين على اختلاف قبائل العرب -نفسها- في لهجاتهم، وإمالاتهم، وإبدالهم بعض الحروف من بعض، فكان اختلاف ما بين العربية والسريانية -أو العبرية- في الإمالة والقلب والإبدال -وما أشبهه-؛ لا يأتي عليهم غريبًا، زد على ذلك: ترددهم على أوطان الشقيقات الساميات في الشمال وفي الحبشة، كل ذلك يسهل عليهم سرعة الاقتباس، كما هي الحال -الآن- في تقارب الإيطالية والفرنسية، أو الجرمانية وبعض لغات شمال أوربا.

وانظر: رسالتنا «اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب»؛ فإنها تحوم حول هذه المواضيع. «**الفتح**»

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٨، ٣٨٧) والدارمي (١/ ١١٥) وابن أبي شيبة (٢٦٨٢٨ - ط الرشد) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠) والبزار (١٢٤ - «زوائده») وأبو يعلى (٢١٣٥) وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٤٩٧) والهروي في «ذم الكلام» (٣/ ٢٦٥-٢٦٦) والبيهقي (٢/ ١٠) وفي «الشعب» (١٧٥، ١٧٦) والضياء المقدسي في «المنتقى من مسموعاته بمرو» (١/ ٣٠٦ - ٣٠٧، رقم ٢٢٢).

والحديث فيه مجالد؛ وهو ضعيف، إلَّا أن له شواهد يصير بها **حسنًا**؛ بيَّنها شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بتتبع- في «الإرواء» (١٥٨٩).

إن تعلم اللغات بعد النبوة أخذ يَقِل، ثم عُدِم بالمرة، وكان العلامة أبو الريحان البيروني لغويًّا كبيرًا عالمًا باللغتين العبرانية والسُّريانية في لغات أخرى.

- استدراك

ما ذكرتُه -أولًا- من أن (الرحمن الرحيم) وصفان؛ صحيح من الوجهة اللغوية، وما ذكرتُه -بعدُ- من أنهما اسمان؛ صحيح -أيضًا-؛ لورود النص أنهما من أسماء الله الحسنى، ومعنى هذا النقل: أن الله يُدْعى بها، ولا ينافي ذلك أن معنى الوصفية لا يزال موجودًا فيها، وأن الاسم العَلَم على الخَالِق الذي لا يدل على شيء سواه -تعالى- هو لفظ الجلالة (الله).

هذا؛ وأعتذر لقراء «الفتح» ممن لا يلذُّ لهم مثل هذا البحث؛ لأني شَغلتُ مكانًا من «الفتح»، ربما يكون بودِّهم أن يُشغل بشيء أهم عندهم من هذا، وأَعِدُهم أني لا أكثر من أمثاله؛ فإنَّ مكانه المجلات الخاصة بالمباحث العلمية، إلا أنه يوجد من قراء «الفتح» طائفة من العلماء الذين يفهمون هذا ويهُمُّهم، وإن كان فيه فضل؛ فهو للأخ العزيز الأستاذ عبد اللطيف بن أبي السمح -وفقه الله للخير-.

المقالة الرابعة: سانحٌ في اللُّغة العربيَّة وما اقتُبِسَتْ مِن غيرِها[1].

إنْ كانَتْ هناك لغَةٌ يصحُّ أَنْ يُقال: إنَّها غنيَّةٌ بثَرْوتِها الوَاسعةِ وتَصاريفِها

(١) نشرها الهلالي في مجلته «الضياء» الهندية، المجلد الثاني، الجزء الأول، محرم ١٣٥٢هـ - مايو ١٩٣٣م، (ص١٠-١٢).

المتنوِّعةِ عنِ الاقتباسِ؛ فتلك هي اللُّغةُ العربيَّة، البحرُ الزَّاخرُ الَّذي لا تُكدِّرُه المواخِر، وقَطْرُ السَّحابِ الَّذي ليسَ له حِساب، فاضَ قاموسُها فَيْضةً، فمَلأَ كلَّ وادٍ، وَجرى سَلسبيلُه في كلِّ نادٍ، فانظُرْ إلى لغاتِ الأممِ المفتوحةِ، انظر الفارسيَّةَ كيفَ ذابَتْ أمامَ لُغةِ القُرآن، معَ أنَّ اللُّغةَ الفارسيَّة هي كالأمِّ لِلُغاتِ المشرقيَّة -ما عدا العربيَّة-، فما أَشرقَتْ شَمسُ اللِّسانِ العَذب الضَّادي؛ حتَّى اضْمَحلَّت اللُّغةُ الكُسرويَّة، وهجرَها أهلُها؛ إِذْ لم تَفِ بِحاجتِهم، وإذا طلعَتِ الشَّمسُ؛ فما بقاءُ السِّراج؟ وإذا جاءَ نَهرُ اللهِ؛ بطَل نهرُ مَعْقِل(١).

بعدَ ظهورِ العَربيَّةِ على البلادِ الفارسيَّة؛ استَوْلَتْ على جميعِ الأمورِ كمَا استولى أَهلُها على جميعِ الأُمور، استَوْلَتْ على الأَدبِ وعلى السِّياسةِ؛ بَلْهَ الدِّين الَّذي جاء بها، وهو مِنها وإِليها، فصارَتْ تَرجمانَ الأَفكارِ في المساجِدِ والمدارِس والنَّوادم والـمَحافِلِ والمحاكِم ومجالسِ الـمُلوكِ والوُزراءِ وسائرِ الكُبَراء، وهي لسانُ الأَجنادِ والأَطبَّاء والقائِمين بِتَدوينِ العُلومِ وخِدْمتِها، وهي لسانُ الضَّارِبين في البَرِّ والبَحْر، أمَّا الفارسيَّة؛ فضاعَ أكثرُها وبقيَتْ منها ثُمَالةٌ في بعضِ القُرى، ولـمَّا أَخذ نَجْمُ العرَبِ في الأُفول -ولكلِّ أجلٍ

(١) «مجمع الأمثال» (١/ ٨٧)، «ربيع الأبرار» (١/ ١٩٠)، «الدر الفريد» (٢/ ٤٠٢).

وفي رواية: «إذا جاء نهر الله؛ بطل نهر عيسى»، انظر: «خاص الخاص» (٢٩)، «ثمار القلوب» (٣٠- ٣١)، «الأمثال المولدة» (١٢٨)، «دمية القصر» (٢/ ١١٧٠).

ونهر معقل -كما في «معجم البلدان»-: «نهر معروف بالبصرة، منسوب إلى معقل بن يسار المزني، صحب النَّبيَّ ﷺ، ذكر الواقديُّ أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يحفرَ نهرًا بالبصرة، وأن يجريه على يدِ معقل بن يسار المزني؛ فنسب إليه»، والمراد بنهر الله -كما في «ثمار القلوب»-: «البحر، والمطر، والسيل؛ فإنها تغلب سائر المياه، وتطمُّ عليها».

كِتَاب، وسُبحان مَن يُغيِّرُ ولا يَتغيَّر-؛ قامَ الشُّعوبيَّةُ -خصومُ اللُّغةِ العربيَّةِ، وكافِرُو نِعمَتِها- بلَمِّ شَعْثِ الفارسيَّة، وبَذلوا في ذلك غايةَ وُسْعِهم، وكانَتْ لهم دُوَيْلاتٌ جعَلتْ هذا الغرَضَ نُصْبَ أَعيُنِها، فجمَعوها ولفَّقُوها، وما كادُوا يفعلون، وكيفَ جمعوها؟!

بِطَرَائِقَ بِيْضٍ وَسُوْدٍ لُفِّقَتْ فَكَأَنَّهُ فِيْهَا غُرَابٌ أَبْقَعُ

أُشبِّهُها -وعسيتُ أَنْ لا أخطِئَ- بمرقعة صوفي أَكَلَ عليها الدَّهرُ وشَرِب، وكَثُرت زوائدُها؛ حتَّى لم يَبْقَ مِن أصلِ الثَّوبِ إلَّا اليَسير، فكذلك هذه الفارسيَّة الـمُولَّدة تِسْعُ كلماتٍ بالعربيَّة والعاشرةُ فارسيَّة، فبعدَ اللُّتيَّا والَّتي؛ لم يقضِ الشُّعوبيُّون مِن أُمنِيتهم وَطرًا، بل أَقاموا دليلًا جديدًا على ما يَكرهون مِن فَضْل لُغةِ يَعْربَ وغَزارةِ مادَّتِها، وأنَّهم لا يَزالون عِيالًا عليها، وأَنَّهم -في صَنِيعهم ذلك- ما زَادوا على أَنْ حَرَّفوا اللِّسانَ العربيَّ، وشوَّهوا محاسِنَه، وأَضافوا إليهِ إضافاتٍ يسيرةً وسمَّوه بـ(اللُّغةِ الفارسيَّة).

هِيَ العَنْقَاءُ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا فَعَانِدْ مَنْ تُطِيْقُ لَهُ عِنَادَا(١)

***

وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُوْرَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِي لَهَا بِضَرِيْبِ(٢)

---

(١) هذا من شعر أبي العلاء المعري، انظر: «ديوانه» (سقط الزند) (١٩٧) -وفيه: «أرى العنقاء...»-، «شرح سقط الزند» (٥٥٣) لصدر الأفاضل، «خزانة الأدب» (٧/ ١٣٧)، «الدر الفريد» (٣/ ٣١٠)، «حياة الحيوان الكبرى» (٢/ ١٧٣)، والعنقاء: طائر وهمي، لذلك؛ لا يصطاد.

(٢) البيت من شعر المتنبي؛ مطلعها: «لا يحزن الله الأمير إنني...». =

وَكذلك مرَّت رواقها، وضربَت أطنابَها في البلادِ الهنديَّة، فكان لها إلى زمانِ ابنِ بطُّوطَة دولةٌ ورِجال، وإِن كان ذلك دونَ ما حصَل لها في فارسَ؛ بسببِ أنَّ الفَاتحين للهِنْدِ كانوا مِن الـمُقلِّدين للعَرب مِن الفُرسِ والتُّرك، لا مِن العربِ الأَصليِّين، ثمَّ خبَتْ نارُها في الهنْدِ -أَيضًا- إِلَّا أَنَّها أبقَتْ آثارًا وشواهِدَ.

تِلْــكَ آثَارُنَــــا تَــدُلُّ عَلَيْنَــا فَـانْظُـرُوا بَعْدَنَــا إِلَى الآثَــارِ(١)

مِن أعظمِ تلك الشَّواهِدِ: شاهدٌ لا يَزال -أَحيانًا- ناطقًا؛ وهو لسانُ أُردو الَّذي كان -أوَّلًا- لسانَ الجنودِ الإسلاميَّة خاصَّةً، ثمَّ صارَ لسانَ المسلمين عامَّة، ثمَّ زادَ على ذلك فصارَ -تَقريبًا- لسانَ أهلِ الهنْدِ عامَّة -يعني: لسان ٣٥٠ مليونًا-، فهو اللِّسانُ الَّذي يُخاطِبُ به البِنغاليُّ في الشَّرقِ السِّنديَّ في الغَرب، والمدارسيَّ في الجنوبِ، والبشاوريَّ في الشِّمال.

وسائرُ الأممِ الهنديَّةِ المختلفةِ الألسنةِ والخُطوط؛ ليس هنالك لسانٌ يربطُها فيما بينَها خطابةً وكتابةً ومحاورةً إلَّا هذا اللِّسانُ الَّذي ثُلثاه أو ثلاثةُ أرباعِه عربيَّة، ولا يَزال أهلُه إلى الآن مُقتدين بالعربِ حتَّى في زمانِ انحطاطِهم،

= انظر: «اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي» (١/ ٥٨)، «شرح معاني شعر المتنبي» (٢/ ١٥) لابن الإفليلي، «الأمثال السائرة من شعر المتنبي» (٤٤)، «الدر الفريد» (١٠/ ٢٧٩، ٢٩٢).

وبلا نسبة في: «التمثيل والمحاضرة» (٢٥٧)، «عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح» (١/ ٢٦)، «كنز الكُتَّاب ومنتخب الأدب» (١/ ٣١٨)، «نفح الطيب» (٢/ ٤٠٦)، (٤/ ١٤٨)، «المحكم والمحيط الأعظم» (١/ ٥)، وغيرها كثير.

(١) البيت بلا نسبة في: «اللطائف والظرائف» (٨٠)، «الدر الفريد» (٤/ ٣٩٩).

فإنَّ الألفاظَ الـمُولَّدة العربيَّةَ الَّتي أحدَثتْ في هذا العصرِ للتَّعبير عمَّا حدَث مِن الأمور؛ هي نفسُها المستعملةُ في تآليفِ الهنديِّين وصُحفِهم، والشَّواهدُ كثيرةٌ، خُذْ صحيفةً مِن صحفِ أُردو أو مجلَّةً أو معجمًا؛ فإنَّك لا تَقرأ فيه إلَّا قليلًا حتَّى يزولَ ما خامَرك مِن الرَّيب.

ومثلُ هذا يقال في التُّركِ الصِّينيِّين والغربيِّين وبرابرةِ المغربِ والأَفغان، وغيرِهم مِن أممِ العَجم الَّتي استولَتْ عليها اللُّغةُ العربيَّةُ استيلاءً تامًّا أو ناقصًا، ومعَ ذلك؛ فقلَّ مَن يشكرُ لهذه الأمِّ الـمُحسنةِ نعمةً أو يَعترفُ لها بفضلٍ؛ بل جلُّهم كَنُودٌ حَقودٌ حَسُودٌ، وقد بلَغَ مِن كُفرِهم لإحسانها وشَنآنِهم لها: أَنْ حاولَ كثيرٌ منهم تَنظيفَ لُغاتِهم منها بوسائلَ شَتَّى؛ فقامَ بعضُ أدباءِ الفُرْس -ومَن يتعصَّبُ للفارسيَّة مِن الهنديِّين- بنَظْمِ قصائدَ مُطوَّلةٍ ليسَتْ فيها لفظَةٌ عربيَّةٌ، على أَمل أَن تَنتشرَ هذه القَصائدُ في الجُمهور، ويحذو حَذْوها الكُتَّاب والخُطباء، ولأَجلِ أَنْ يُقيموا شُبهةً على أنَّ الفارسيَّةَ غنيَّةٌ عن العربيَّة؛ فلم يُفلحوا في هذا ولا ذاك، أمَّا الأوَّلُ فلم يَزِدْ على أَنْ كان كالـمقاماتِ والقَصائدِ الـمُهمَلة في اللُّغةِ العربيَّة؛ أَعني: الَّتي ليس فيها حرفُ معجَمْ، أو الـمُعجمة الَّتي ليس فيها حرفٌ مُهْمَل، أو الرَّقطاء الَّتي هي مُتركِّبةٌ مِن حرفِ مُعجمٍ فمُهمَلٍ، وهلمَّ جَرًّا، وهذا تكلُّفٌ يُراد بهِ إِظهارُ التَّفنُّن، ولا يُمكن أَن يكونَ شيئًا طبيعيًّا عامًّا يَستعملُه الفلَّاحُ والتَّاجرُ والعاملُ والجنديُّ وغيرُهم مِن طبقاتِ الأمَّة؛، إنَّما هو مِن البَديعيَّات الخاصَّة بالأُدباءِ يتفكَّهون بها في بعضِ المجالِس، وأمَّا الثَّاني؛ فبُطلانُه وفسادُه واضحٌ يُعلَمُ مِن الجَواب عن الأوَّل.

وهذا وقدِ انتحَلوا للُّغةِ العربيَّة عُيوبًا ولهجوا بها، وهي -فيما زَعموا- كَثْرةُ تصاريفِها، وكثرةُ المترادِف فيها، وهذا جَهْلٌ منهم أو تَجاهلٌ؛ لأنَّ ذلك مِن أَحسنِ مَحاسنِها الَّتي فاقَتْ بها سائرَ اللُّغاتِ، وجاءَ أُدباؤُها مِن أجلِ ذلك بالمعجزاتِ البيِّنات.

إِذَا مَحَاسِـنِي الَّتِـي أَصُـولُ بِهَـا عُدَّتْ ذُنُوبًا فَقُلْ لي كَيْفَ أَعْتَذِر[1]

ومَن نظرَ إلى شعْرِ العَرب وشِعْرِ غيرِهم، وكان مُنصفًا سالمًا مِن داءِ الحسدِ؛ اعترَف لا محالةَ بذلك.

ومِن الشُّبهاتِ: ما يُقال إنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ لم يتَّسعْ نطاقُها إلَّا بعدَ استيلاءِ أَهلِها على الأُممِ واقْتباسِهم مِن لُغاتِهم، واستدلَّ على ذلك بأَنَّ العربَ كانوا في جَزيرتِهم لا يَعرفون إلَّا الأَنعامَ وما تُنبِتُ أرضُهم -وهو تافهٌ-، وآلات الحربِ والخيلِ والصَّيدِ والسباع، ولم يكونوا يَعرفون أدواتِ الحضارةِ وثيابها وأَلوانِ طعامِها ودواوينِ أحكامِها وتجارتِها وزراعتِها وصناعتِها وما يُضافُ إلى ذلك، وربَّما استدلُّوا على ذلك بأَشعارِ الجاهليِّين، فالمَشهورُ منها أَلَّا يَخرج عمَّا ذكرناه مِن أحوالِ البَداوة.

---

(١) البيت للبحتري، وهو بهذه الرواية:

إِذَا مَحَاسِـنِي الَّتِـي اللَّائِـي أُدِلُّ بِهَـا كَانَتْ ذُنُوبِـي فَقُلْ لِـي كَيْـفَ أَعْتَذِرُ
عَلَـيَّ نَحْـتُ القَوَافِـي مِـنْ مَقَاطِعِهَـا وَمَـا عَلَـيَّ بِـأَنْ تَفْهَـمَ البَقَـرُ

انظر: «ديوان البحتري» (٢/ ٤٣)، «الأوراق» (٢/ ٩٧)، «الموزانة بين شعر أبي تمام والبحتري» (٢/ ٢٥٩)، «محاضرات الأدباء» (١/ ٢٩٦)، «الذخائر والعبقريات» (٢/ ١٢٧).

وجوابًا عن ذلك؛ نقول:

أوَّلًا: انظر إلى القرآنِ ووصفِه لنعيمِ الجنَّة، ولملوكِ الأوائلِ ووزرائِهم؛ كفرعونَ وهامانَ وقارون، ففي سورةِ الرَّحمن ذكرَ اللُّؤلؤَ والـمُرجانَ، والسُّفنَ الجَواري في البحرِ كالأَعلام -أي: الجبال-، والفُرشَ الَّتي بطائنُها مِن إستبرقَ، والرَّفرفَ الخُضْرَ، والعَبقريَّ الحِسانَ، وفي سورةِ الإنسانِ لباسَ الحريرِ، والاتِّكاءَ على الأرائكِ، وآنيةَ الفِضَّةِ، وأكوابَ القواريرِ، وتشبيهَ الوِلْدانِ باللُّؤلؤ، وثيابَ السُّندسِ الخُضرِ، وأَساوِرَ الفِضَّة، وفي مواضِعَ كثيرةٍ ذكرَ أساويرَ الذَّهب واللُّؤلؤِ والحريرَ، وفي الغاشيةِ ذكرَ سررًا مرفوعةً، وأكوابًا موضوعةً، ونمارقَ مصفوفةً، وزرابيَّ مبثوثةً، وفي النَّمل ذكَرَ صَرْحًا مُمرَّدًا مِن قواريرَ، وذكرَ عرشَ بلقيس، وفي سورةِ الزُّمر ذكرَ غُرفًا مِن فوقِها غُرَفٌ، وفي الزُّخرفِ سُقُفَ الفِضَّةِ، والمعارجَ -أي: المراقي- مِن الفِضَّةِ، والزُّخرفِ، وصِحَافِ الذَّهبِ وأكوابِه، وفي سورة آل عِمْران [١٤]: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾، وفي سورة المطفِّفين [٢٣ - ٢٦]: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، ووَصفَ الخَمْرَ وكاسَاتِها في غيرِ موضِعٍ.

فذِكْرُ هذه الأشياءِ وأَمثالها في القرآنِ؛ تدلُّ على أنَّ العربَ تَعرِفُها، وتَعرِفُ ما شَاكَلَها، وما أَبعدَ مِن ذلك عن أحوالِ أهلِ البادِيَة.

ثمَّ انظُر في الحديثِ وما وردَ في وصفِ الجنَّةِ وتاريخِ الأُممِ السَّالفةِ؛ تعلَمْ

أنَّ العربَ كانوا يَعرفون جميعَ ما يُحيط بهم مِن أُمورِ الحَضارة، ولهم ألفاظٌ وافيةُ التَّعبيرِ عن ذلك.

ثمَّ انظُرْ في هذه الذَّخيرةِ مِن كُتبِ اللُّغةِ وما حوَتْ مِن أَسماءِ الأَدواتِ والزِّينةِ والصَّنائع؛ تَرَ أنَّ مَعاجِمَ الأُممِ الأُخرى لا يُوجَدُ فيها مِن أَوصافِ الحَضارةِ ما يُوجَدُ في مَعاجِمِ العَربِ، بألفاظٍ لا يَشُكُّ مَن له معرفةٌ باللُّغةِ العربيَّةِ أنَّها عربيَّةٌ خالِصَةٌ، لا تَشوبُها عُجْمَةٌ، وذلك ما حَمل بعضَ المفكِّرين مِن الأُدباءِ إلى القَولِ بأنَّ العرَبَ كانَتْ لهم مَدَنيَّةٌ قديمَةٌ راقيَةٌ، لا تَقْصُرُ عن مَدَنيَّةِ جيرانِهم الآشُوريِّين والفُرْسِ والرُّومِ والحبَشة، فلمَّا درسَتْ مدنِيَّتُهم وحَضارَتُهم؛ بقِيَتْ أَسماءُ أَدواتِها وأَحوالِها مَعروفَةً عندَهم، والقَولُ بأَنَّ جميعَ ما في مَعاجمِ العَربِ مِن أَدواتِ الحضارةِ لم يَعْرِفْه العَربُ إلَّا في أَيدِي غيرِها مِن الأُمَم؛ قَولٌ ضَعيفٌ لا يُعْقَل.

وأمَّا ما ذَكر ذلك القائلُ مِن وجوبِ مُسايرَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ للعَصْرِ الحاضِرِ، بإيجادِ الأَلْفاظِ الكافيَةِ للتَّعبيرِ عمَّا يُوجَدُ -الآنَ- مِن الحِسِّيَّاتِ والـمَعنويات الَّتي لم تكُنْ مِن قبْلُ، وشَرحُه لطريقةِ إِيجاد ذلك؛ فكلُّه حَقٌّ وصَوَاب.

المقالة الخامسة: بين العامِّيَّةِ والفَصيحة.

هل اللُّغة حائلةٌ أم ثابِتَة؟ هل للإنسانِ يدٌ في إفنائِها وتغييرِها؟[1]

وأَجبنا: هذا بَحْثٌ واسِعٌ، تناوَلَته أَقلامُ اللُّغويِّين مِن زمان، ولمَّا يَقضوا

(١) نشرت في مجلة «الضياء» الهندية، المجلد الثاني، الجزء العاشر، شوال ١٣٥٢هـ، (ص٣٦٢-٣٦٦).

منه إلى الآنِ وَطَرًا؛ لِسَعتِه، وكَثْرةِ شُعبِه، وضَربِ الأهواءِ فيه بسَهْمٍ وافرٍ، تَعبت الغربان في مصرَ منذ سِنين بإطفاءِ مِصباحِ اللُّغةِ العربيَّةِ العَبقريَّة الجبَّارةِ، وإحلالِ أَمْشاجِ العامِّيَّة مَحلَّها، وأُرْهِفَتْ لذلك أقلامٌ وأَفهامٌ، وكان أوَّلُ ناعبٍ بذلك مِن أهلِ الغَرب، وذَلك شأنُ أَغلبِ الفِتَنِ القَائمةِ في الشَّرق -كلِّها أو جُلِّها- جاءَتْه مِن الغَربِ لأنَّ الغَربَ هو الـمُتصرِّف الـمُطلَقُ في عُقولِ الشَّرقيِّين وأَبدانهم وأموالِهم وأَرواحِهم، وهم يَنتفضون بين يَدي هذا الطَّاغوت القاسي العَنيد كمَا انْتفَض العُصفور بلَّله القَطر؛ بل ذَلَّـلَهُ القَهْرُ وأَضْناه الأَسى، ويَهِمُّون أَن يَكسروا القَفص ويَخرجوا إلى الدُّنيا فَيطيروا في جَوِّها أَحرارًا طُلَقاءَ، وهَيْهات هَيهات!

فَهَيْهَـاتَ هَيْهَـاتَ العَقِيْـقُ وَأَهْلُـهُ وَهَيْهَاتَ خِـلٌّ بِالعَقِيْـقِ نُجَـاوِرُهْ[1]

قامَ بعضُ الفَاتحين ودَعا دَعوةً لإلغاءِ اللُّغةِ العربيَّة واسْتِبدالِ العامِّيَّةِ بها، وَتابعَه على ذلك أَذنابُه ومقلِّدُوه، وأَذنابهم ومُقلِّدوهم.

فَصاحَ بهم أهلُ العِلْم والغيرَةِ والعَقل: أَين تَذهبون؟! أَتَستبدِلون الَّذي هو أَدْنى بالَّذي هُو خَير؟! اهبطوا مِن مِصْرَ وَافْعَلوا مَا بَدا لَكُم، أَصلِحوا

(١) البيت لجرير في: «ديوانه» (٩٦٥)، «الخصائص» (٣/ ٤٢)، «شرح التَّصريح» (١/ ٣١٨) و(٢/ ١٩٩)، «الدرر» (٥/ ٣٢٤)، «شرح شواهد الإيضاح» (١٤٣)، «شرح المفصل» (٤/ ٣٥)، «الأشباه والنظائر» (٨/ ١٣٣)، «لسان العرب» (١٥/ ١٨٥) مادة (هيه)، «كتاب العين» (١/ ٦٤)، «المقاصد النَّحوية» (٣/ ٧)، (٤/ ٣١١).
وبلا نسبة في: «أوضح المسالك» (٢/ ١٩٣)، (٤/ ٨٧)، «سمط اللآلي» (٣٦٩)، «شرح ديوان الحماسة» (١٠٠١) للمرزوقي، «شرح شذور الذهب» (٥١٦)، «شرح قطر النَّدى» (٢٥٦)، «المقرب» (١/ ١٣٤)، «همع الهوامع» (٢/ ١١١).

الإِنكليزيَّةَ ووَفِّقوا بين نُطقِها وكتابَتِها، وقَعِّدوا لها قواعدَ للصَّرفِ والاشْتِقاق، وَاجْعلوا لَها أَوزانًا صَرفيَّة لا تُغادِرُ صغيرةً ولا كَبيرةً إلَّا أَحصَتْها، وأَصلِحوا أَوْزان عُروضِها؛ فإِنَّ فيها خمسةَ أحرفٍ تُقابِل حَرفًا واحدًا، وإِن نَجحْتُم في ذَلِكم؛ فهَلُمُّوا للنَّظر في اللُّغة العربيَّة.

وكان مِن أوَّل مَن صاحَ عَليهم: الشَّاعرُ الشَّهيرُ حافِظ إبراهيم، وقصيدتُه في ذلك مَشهورَةٌ مُتدَاوَلةٌ.

- حججُ الوَائِدين

قالوا: إِنَّ سنَّةَ اللهِ في اللُّغاتِ كَسُنَّتِه في أَهلها النَّاطِقين بها؛ فإِنَّه لم يدُمْ منهم جيلٌ -قطُّ-، ولا يَدومُ عِوَضهَم، وهكذا كُلُّ مَا عَلى وَجْهِ الأَرْضِ يُكتَبُ عليهِ الفَناءُ؛ فلا يدومُ منه شيءٌ، ثمَّ إنَّ الهرمَ مَتى دخلَ شيئًا؛ عَزلَه عن العملِ، وأَحالَه على التَّقاعد عندَما يقِلُّ غَناؤُه، وَلا يقدِرُ أَنْ يَقومَ خيرَ القِيام بوَظيفتِه؛ لِيَخْلُفَه شَابٌّ ممتلئٌ قوَّةً وحَماسًا ونَشاطًا، تَضْطرِمُ فيه نارُ الحياةِ، وتَزْدهرُ فيه فَيْعَةُ الشَّباب.

وأَنتم -أَيُّها الجامِدون الـمُحافِظُون!- إذا أَنصفْتُم؛ لَا يَسعُكم إلَّا أَنْ تَعترفوا بهرمِ هذه اللُّغة وَضعْفِها وعَجزِها، حتَّى أُصيبَ أَهلُها بالبَكَم، واضْطروا أَن يَتكفَّفوا أَهْلَ اللُّغاتِ الحيَّةِ الشَّابَّة القَويَّة.

وإِنْ أَبَيتُم إلَّا اللَّجاج؛ فالعَربُ بالبابِ، فأَيُّكم يَقدِرُ أَنْ يُسمِّي لَنا أَعضاءَ جسمِه ووَظائِفَها وتدبيرَ صِحَّتِها ومَرضِها دونَ أن يكونَ نصفُ أَلفاظِه -تقريبًا- مِن لغةٍ أجنبيَّةٍ؟ ثمَّ أَيُّكم يَدخلُ مَطعمًا ويَقدِرُ أَن يُسمِّي لَنا ما يُؤكَلُ

ويُشرَبُ فيهِ مِن غيرِ أَنْ يَلجأَ إلى الكَلِماتِ الأجنبيَّة؟ وأيُّكم يَدخُل سُوقَ الفواكهِ والأزهارِ أَو روضِ الرَّياحين وأشجارِ الجنَّات وأنواعِ نباتِها وأطيارِها ولا يَستعين باللُّغات الأجنبيَّة؟ وأيُّكم يحلُّ سيَّارة أو طيَّارةً أو باخرةً ويُسمِّي أجزاءَها بغيرِ اللُّغة الأجنبيَّة؟ إلى غيرِ ذلك ممَّا هو كثيرٌ.

حتَّى إِنَّ الإِنسانَ لا يكونُ مُغاليًا إِذا أَجابَكم، وقال: إنَّ أَكثَرَ ما يحتاجُ النَّاسُ إِليه مِن الأسماءِ وبعضِ الأفعالِ وبعضِ الأوصافِ؛ لا يجدُ إلى التَّعبير عنه سبيلًا مَن يَلتزِمُ الفُصْحى، ثمَّ إِنَّنا نَجدُكم في مَوقفِ الدِّفاعِ تَتبجَّحون بِسَعةِ اللُّغةِ وثَروتِها، لكِن نَراكم لم تَنتفعوا بهذه الثَّروةِ الوَهميَّة، ولم تُغْنِ عنكم شيئًا، والمواضيعُ الَّتي تَكتبون فيها قليلةٌ محدودةٌ، ولو طُولِبْتُم بالكتابةِ في غيرِها؛ لوَقف حمارِ الشَّيخِ في العَقبة! فدَعُونا مِن الأَوهامِ ولا تُحاوِلوا تَغييرَ السُّننِ الكَونيَّةِ؛ وتَكونوا عقَبةً كَؤُودًا في طريقِ رقيِّ اللُّغة.

قال المحافِظون: لَقد أَسرفْتُم في القَولِ أيَّما إِسراف، وأَجْحفتُم بخَصمِكم أيَّ إِجْحاف، ولم تَأتوا البيتَ مِن بابِه، فحُرِمْتم الوُصولَ إلى الحقائقِ، ومَوَّهتم ما شِئْتُم وشاءَتْ أهواؤُكم، ولَقد صدقَ عَليكم المثَلُ السَّائر:

إِذَا مَا أَتَيْتَ الأَمْرَ مِن غَيْرِ بَابِهِ ... ضَلَلْتَ وَإِنْ تَدْخُلْ مِنَ البَابِ تَهْتَدِي(١)

وانطبَقَ عليكُم قولُ القائلِ: «إِنَّما حُرِمُوا الوُصولَ لِتَضْييعِ الأُصُول».

---

(١) البيت من شعر قيس بن الحطيم في: «ديوانه» (٧٣)، «الدر الفريد وبيت القصيد» (٣/ ١٥١)، «التذكرة الحمدونية» (١/ ٢٤٨)، (١٠/ ٣٥٩).
وبلا نسبة في «المستطرف» (الأمثال من الشعر المنظوم) (٣٨).

ونحنُ مُحاكِمُوكم إلى أنفسِكم؛ فأَنصِفونا مِنكم، وأَجِيبُونا بجوابِ حقٍّ عمَّا سَنسأَلُكم، فنَقول: إنَّنا نُخالِفُكم في كونِ لُغتِنا مُنحطَّةً وقاصرةً، ولا في وجوبِ إِصلاحِها؛ حتَّى تَأخُذوا في التَّحدِّي والتَّعريضِ بالعَجزِ الَّذي أَنتم به مُتَّصفون وفيه قاعِدون، وإنَّما خَالَفْناكم في طريقِ الإِصلاح؛ فنحنُ نَقول: يجبُ إِصلاحُ اللُّغةِ العربيَّة مِن اللُّغة العربيَّة، وَأَنتُم تَقولون: يجبُ قَتْلُ اللُّغة العربيَّة؛ لِتَحِلَّ محَلَّها اللُّغَيَّاتُ السُّوقيَّة الفَوضويَّة الـمُهملة.

أوَّلُ سُؤالٍ نُقدِّمه لكم هو: ما سببُ ارتقاءِ اللُّغاتِ وانحطاطِها وسَعتِها وضِيقِها وعَجزِها وقُدرتِها؟ أَهو مِن ذاتِها أم خارجٍ عنها؟

فإِنْ قُلتم: هو مِن ذاتِها؛ قُلنا لكم: وكيفَ ذلك! وهي لا تمرضُ ولا تهرمُ ضرورةً؟ إنَّها أَلفاظٌ ليس لها وجودٌ مُستقلٌّ حتَّى يَعتريه الضَّعفُ أو الزَّوال، إذن لم يَبْقَ إلَّا أَنْ يُقال -وهوَ الحَقُّ-: إنَّ اللُّغةَ إنَّما تَقْوَى بقوَّةِ أهلِها، وَتَضعُفُ بضَعْفِهم، وتَحيا بحَياتِهم، وتموتُ بمَوتِهم، فإِنْ كان مَوتُهم مَعنويًّا؛ فإمَّا أَن يكون كُلِّيًّا أو جزئيًّا، واللُّغة في ذلك تابعةٌ لأهلِها، وإمَّا أَنْ يكون حِسِّيًّا؛ فمَعلومٌ أنَّ الأمواتَ لا يَتكلَّمون، وكلُّ لغةٍ لا يُتكلَّمُ بها؛ فقَد ماتَتْ، وإِن ملأَتْ مُجلَّداتُها الخزائِنَ والحَوانيت؛ لأنَّ الكُتبَ لا تَنطقُ ولا تُعرِبُ بذاتِها.

ونحن لا نُطيلُ عليكم بكَثْرةِ الأَمثلةِ -كما فَعلْتُم معنا-؛ بل نَكتفي بمثالٍ واحدٍ، وحَسْبُك مِن المثالِ ما اتَّضحَ به الـمَقال، فنقولُ: انظُروا إلى اللُّغة العِبرانيَّة؛ فإنَّ أَحدًا لا يَقدرُ أَن يجحدُ سَعتَها وارتقاءَها تَبعًا لِمَا كان عليه أَهلُها في الزَّمان القَديم، وما ظنُّك بلغةٍ نَزلَ بها «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور»،

وهي لغةُ داوُد وسُليمان الَّذي آتاهُ اللهُ مُلكًا لا يَنبغي لأَحدٍ مِن بعدِه، ودانَتْ له عفاريتُ الإِنسِ والجِنِّ، وسُخِّرَتْ لهُ الرِّياحُ والجِبالُ والوَحشُ والطَّيرُ، وأُسِيلَتْ له عينُ القِطر، وارتقَتْ في ممالكِه الصِّناعاتُ؛ فكانتِ الجِنُّ تَعملُ له ما يَشاءُ مِن محاريبَ وتماثيلَ وجفانٍ كالجَوابي وقدورٍ رَاسياتٍ، وعَلَّمَه اللهُ مَنطِقَ الطَّيرِ، وآتاهُ مِن كلِّ شيءٍ؛ إِنَّ ذلك لهو الفَضْل المُبين، قُلُّ ذلك -بَلْه جُلَّه- يشرحُ لك ما وَصلتْ إليهِ لغةُ بَني إسرائيلَ مِن الرُّقيِّ التَّامِّ.

ثمَّ ماذا صارَتْ إليه بعْدُ؟

طغَى بنو إسرائيلَ، واستكبروا في أنفسِهم، وعَتَوا عُتوًّا كبيرًا؛ قَتلوا الأنبياءَ، وعَبدوا العُجولَ، عَصوا رُسلَ ربِّهم، وقَلَّدوا المُشركين مِن آل فرعَون أَعدائِهم وأَعداءِ ربِّهم وأَعداءِ أَنبيائِهم، احتَقروا المنَّ والسَّلْوى وطَلبوا الفُومَ والعَدسَ والبَصلَ والقِثَّاءَ، اعتَدَوا في السَّبتِ بعْدَ أَخذِ الميثاقِ عليهم أَنْ لا يَفعلوا، قِيل لهم: ادخلوا البابَ سُجَّدًا شُكرًا للهِ؛ فدَخلوا يَزحفون على أَستاهِهم، قيل لهم: «قولُوا: حِطَّةٌ» أي: احطُطْ عنَّا خَطايَانا؛ فقالوا: «حِنْطةٌ حَبَّةٌ حَمراء»، أَمرَهم اللهُ بقتالِ عدوِّهم؛ فقالوا لِنبيِّهم: «اذهَبْ أنتَ ورَبُّك فقاتِلا إِنَّا ههنا قاعدون»، أَكلوا الرِّبَى وقَد نُهُوا عنه، فلمَّا آسَفُوا اللهَ؛ انْتقَم منهم، وسَلَّط عليهم عِبادًا له أُولي بَأْسٍ شَديدٍ؛ فجَاسوا خِلالَ دِيارِهم وتَبَّروهم تَتْبيرًا، لَعلَّهم يَتذكَّرون، ثُمَّ رَدَّ اللهُ لهم الكَرَّةَ لعلَّهم يتَّقون، فلمَّا تمرَّدوا وعَتَوا عمَّا نُهوا عَنْه، وأَبَوا إِلَّا رَعْيَ شَجرِ الخِلافِ في كلِّ شيءٍ؛ ضَربَ اللهُ عَليهم الذِّلَّةَ والمَسكنَةَ، وباؤُوا بغَضبٍ مِن اللهِ؛ فماتوا مَوتًا مَعنويًّا تامًّا، وماتَتْ معهمُ العِبرانيَّةُ، وعَفَّتْ

مَعالِـمُها، وامَّحَتْ آياتُها، ولم يَبْقَ منها إلَّا كَباقي الوَشم في ظاهِرِ اليدِ، لم يَبْقَ منها إلَّا كَلمـاتٌ أَدعِيةٌ وصَلَواتٌ يَتغنَّى بها الرِّبِّيُّ في المدارسِ يومَ السَّبتِ أو في الصَّلاة[1] في أوقاتِ الصَّلواتِ، ومَضتْ على ذلك آلافُ السِّنين، وصارَ بَعْثُها مِن أجداثِها مُحالًا قَطعيًّا.

ثمَّ ماذا حَدث؟

قامَ بَنُو صهيون فأَحْيَوها في بِضْعِ سِنين بجهادِهم وأموالِهم، فحَيِيَتْ بحَياتِهم كمَا ماتَتْ بمَماتِهم، وهُناك أَمثلةٌ كثيرةٌ، وحَسْبُك مِن السِّوارِ ما أَحاطَ بالـمِعْصَم، ومِن القلادةِ مَا أَحاطَ بالعُنُق.

إذا عُلِم ذلك؛ فمُحاوَلتُكم تَرقيَةَ اللُّغةِ بإلغائِها، وإحداثِ لُغةٍ جديدةٍ لا قَواعِدَ لها ولا ضَوابِطَ ولا أُصولَ ولا فُروعَ، وليسَ فيها مِن الأَلفاظِ عُشْرُ ما يُحاوِلُه الإنسانُ ويُزاوِلُه في حياتِه؛ فلا تُصوِّرُ فِكرًا، ولا تُؤدِّي شُكرًا، ولا تَشرحُ عِلمًا، وَلا تَحوي حُكمًا، إنَّما هي أَضغاثُ أحلامٍ، وخَطراتُ أَوْهامٍ، وَلو تَحدَّيناكم -كما فَعلتُم معنا- وسَألْنا أَحدَكم أَنْ يُلقِي بها درسًا، أو يَخطبُ خطبةً، أو يوجِّه مَوعظةً، أو يؤلِّفَ كتابًا في فنٍّ من الفنونِ، أو ينظمَ قصيدةً بديعةً؛ لصارَ أحصرَ مِن باقِلٍ، إلَّا أن يفزعَ إلى لُغتِنا العربيَّةِ الجميلةِ فيُصيبَ مِن خيرِها، ويَشكُرَ غيرَها؛ شأْنَ الكَنُود الجَاحِد، أَلم يأْنِ لكم أَنْ تَعلَموا أنَّ الشَّأنَ ليسَ في استبدالِ لغةٍ بلغةٍ أو لهجةٍ بلَهجةٍ، وإنَّما الشَّأن في استبدالِ حالٍ بحالٍ، وسَعْيٍ حثيثٍ لِدَرْكِ ما أَدركَتِ الرِّجال؛ بِبَذْلِ الجُهودِ والأَموالِ، والتَّجافي عنِ الاستهتارِ في الشَّهواتِ كدَأْبِ الأَنْذال.

(١) الصلاة: معبد اليهود. (منه)

- لُغَتُكم تُسايِرُكم

إنَّ لُغتكم مُسايرةٌ لكم، شَعرْتُم أم لم تَشعروا؛ فلا تَتقدَّمون في ميدانِ الرُّقيِّ قِيْدَ شَعْرة إلَّا تَقدَّمت معكم، ولا تتأخَّرون مثْلَ ذلكم إلَّا ارْتَدَّت معكم، وإنْ قُلْتُم لها: «اطَّيَّرنا بكِ وبفصاحتِك وبلاغتك»، قالَتْ: «طائِرُكم مَعكُم؛ بل أَنتم قومٌ تَجهلون»، أوَليسَ مِن السَّفْسَطة قولُكم في وَصفِ المَطعمِ والرَّوضِ والجنَّةِ وأَعضاءِ الجسمِ وما إلى ذلك؟! ونحن نَقلبُ عليكم هذا السُّؤالَ فنَقولُ: هل أَحطْتُم عِلمًا بما في اللُّغةِ القرآنيَّة مِن وَصْفِ ذَلكم؟ فإنْ قُلتم: «نعَم»؛ أَخذْنا «كتاب المخصَّص» لابنِ سِيدَه، وسأَلْنَاكم عمَّا احْتَواه مِن الأسماءِ والأَفعالِ والأَوصافِ الَّتي نحنُ لها مُحتاجون وفيها مُتخاصِمون، فإنْ وَجدْنَاكم منه على ذِكْرٍ؛ سَلَّمنا لكم سائِرَ ما تَزعُمون، وإلَّا انكشفَتْ مُؤاربَتُكم، وبَرزَتْ مُخاتَلتُكم، وبَدا ما تَكتمون، وتجلَّى ما تَدرُسون، وما أَجدُ لَكم مثلًا إلَّا عامَّةَ مُسلِمي العصرِ الحاضِر؛ فإنَّهم لم يَترُكوا شَيئًا أَمَرَهم به رَبُّهم إلَّا نَبذوه وراءَ ظُهورِهم، ولم يُغادروا أَمرًا نهاهم عنه إلهُهُم إلَّا أَتوه يَنسِلون، فَلمَّا أَدْركَتْهم نَتيجةُ أعمالِهم وإهمالِهم؛ جَعلوا التَّبِعةَ على ربِّهم، وظَنُّوا بِهِ السُّوءَ، وقالُوا له مُتذمِّرين: أين وَعدُك الَّذي وَعدْتَنا؟ فأجابَهم اللهُ بلسانِ كتابِه: هذا ما وَعدْتُكم، هذا ما كَسبْتُم لأَنفسِكم ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٩]، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فكذَلك أَنتم تُرِيدون أَن تُحمِّلوا اللُّغةَ تَبِعةَ قُصورِكم وتَقصيرِكم.

- تغيُّر اللُّغاتِ مِن شأنِ الزَّمان

دَعوا تَغييرَ اللُّغةِ لِعَامِلِه الوَحيدِ وهو الدَّهرُ؛ فإنَّ اللُّغةَ -كما قُلْنا- تَحيا بحياةِ الأُمَّة أو الجِيل، وتموتُ بموتِه، وتَرقى بارتقائِه، وتَستفِلُ بِاستفالِه، ولكنَّها لا تَتبدَّل بتبدُّلِه؛ لأنَّ عُمرَها أَطولُ مِن عمرِه، كالجبالِ والجزائرِ والأنهارِ ونحوِها؛ فإنَّها لا تُفْني حتَّى تَفْنى أَجيالًا، ومَا سمِعْنا -قطُّ- أَنَّ أمَّةً استَبْدلَتْ لغةً بلُغةٍ بمُجرَّدِ التَّشهِّي والتَّحكُّم.

- تَغيُّر الإِنشاءِ

أمَّا الإنشاءُ فعُمْرُه قَصيرٌ جدًّا؛ كعُمْرِ بعضِ أَنواعِ الوَرْدِ الَّتي تَستمِرُّ طوالَ السَّنةِ في نتاجٍ وفَناء، ولكنَّ أشجارَه لا تَخلُو ساعةً مِن وَرداتِها؛ هذه تتفتَّحُ فتُطِلُّ على الوجودِ وتَستقبِلُه بوجهٍ بَاسِمٍ، وهذه في عُنفُوانِ شَبابِها، وهذه في طَوْرِ الهَرم ذَابلةٌ، وأُخرى تُودِّعُ الحياةَ سَاقطَةً، فكذلك الإِنشاءُ؛ لكلِّ زمانٍ إِنشاء، واللُّغةُ هِيَ هي.

- واجبُنا

إذا عُلِمَ ما تَقدَّمَ؛ فواجبُنا هو إتلافُ الأموالِ والقِوَى مِن غيرِ إِبقاءٍ في تَرقيةِ حياتِنا الاجتماعيَّة في جميعِ شؤونِها، ومِن ذلك: محاربَةُ الأمِّيَّة، والاستهتارُ في الشَّهواتِ البهميَّةِ، والشُّحُّ القاتلُ، والقَسوةُ، والجدلُ، وحبُّ الخِلاف، ونحوُ ذلك مِن الرَّذائلِ، فإنَّ هذه -كلَّها- مؤثِّرةٌ في رُقيِّ اللُّغةِ وانْحطاطِها.

- طبْعُ الكُتبِ وتأسيسُ المدارِس

هذان عَاملان قويَّان في ترقيةِ اللُّغةِ ونَشرِها، ولكنَّ النَّتائِجَ الحَسنةَ لا تَأتي

مِنهما إلَّا إذا كان النَّاسُ يَقرؤُون ما طُبِع، والـمَدارسُ تُدَارُ بغايةِ الحكمَةِ والعنايةِ وَفْقَ الأُصولِ الصَّحيحةِ مِن حيثُ العِلْمُ والعَمَلُ والأَخلاقُ، فرُبَّ كتابٍ كَلَّفَ طابِعَه أموالًا طائلَةً نقصَتْ مِن ثروةِ الأمَّةِ أو أَفقرَتْها، ثمَّ هو بعدَ طبْعِه محكومٌ عليه بالسِّجنِ الـمُؤبَّدِ في المخازِنِ والخزائِنِ، لا يَنتفِعُ بِهِ إلَّا العُثُّ، ولا يَقرؤُه إلَّا الجِرذان، ورُبَّ مَدرسةٍ عاليةِ البُنيانِ، جميلةِ الجُدرانِ، مُؤثَّثةِ الحُجُراتِ، ترِنُّ فيها الأجراسُ والأَصوات، وتُعقَدُ فيها احتفالاتٌ، وتُخطَبُ فيها خُطَبٌ، وتُنشَدُ فيها قصائدُ يُلقَّنُها الطَّلبةُ تَلقينًا كالحاكيةِ (الفوتوغراف)، وتُكتَبُ في ذلكَ المقالاتِ الطِّوالُ في الصُّحفِ، وتُنفَقُ على كلِّ ذلك أموالٌ، وتُنمَّقُ الشَّهاداتُ للمُتخرِّجين، ويكونُ هؤلاءِ مَهرَةً في كُرةِ القَدم وكُرةِ الـمَحاجن (الهوكي) والقفزِ والتَّسلُّقِ وغيرِها مِن الحركاتِ، ولكنْ؛ إذا رَجَعْنا إلى الحقائقِ نجدُ الخدمةَ الَّتي تؤدِّيها هذه المدرسةُ أحدَ النَّوائبِ، فالرُّقِيُّ والنَّفعُ لازمٌ لطَبْعِ الكُتبِ وتأسيسِ المدارسِ -في الجُملة-، لا لكلِّ كتابٍ وكلِّ مدرسةٍ، في كلِّ حالٍ وفي كلِّ حينٍ، كما أَنَّ الرِّبحَ لازِمٌ للتِّجارةِ على العمومِ، لا لِكلِّ تاجرٍ، وهكذا يُقالُ في الزِّراعةِ والصِّناعاتِ وغَيرِها، فالعاقِلُ إنَّما يَنظُرُ -في ذلك- إلى النَّتائجِ لا إلى الصُّور.

المقالة السادسة: لُغَتُنا العربيَّة لِلبقاءِ لا لِلفناء.

إِنْ شِئْنا وَفَتِ العربيَّةُ بحاجاتِ الزَّمَنِ الجَدِيد.

العَودةُ إلى العَامِيَّاتِ والدَّوارجِ؛ بترٌللماضي، وتَفتيتٌ للوَحْدة[1].

(١) نشرت في مجلة «العربي» الكويتية، العدد الثالث، رجب ١٣٧٨هـ - شباط ١٩٥٩م، (ص٢٧ - ٣٠)، ثم نشرتها عنها جريدة «الفجر الجديد»، السنة الأولى، العدد (٩)، الاثنين ١ شعبان ١٣٧٨هـ - ٩ شباط ١٩٥٩م.

قامَتْ فِئاتٌ مِن الشَّبابِ تَحسبُ أنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ -وهي وعاءُ الثَّقافةِ في الأُمَّة- ليسَ بها الكفايةُ لسَدِّ حاجةِ الزَّمنِ الجديدِ، وقامَتْ فِئاتٌ أُخْرى مِن شبابٍ وكُهُول تَرُدُّ أَسْبابَ الفَشَلِ إلى فَشَلٍ في تَدريسِ اللُّغة، وضَعْفٍ في النَّشْءِ الجَديدِ مِن المدرِّسِين.

والدكتور تقيُّ الدِّين -وله حياةٌ ثائِرةٌ جَوَّالةٌ في رُبوعِ الوَطنِ العَربيِّ، والأوطانِ الغربيَّة- يذكرُ في هذا المقالِ مَا أخذَ الآخِذُون على اللُّغةِ العربيَّة، ويحاوِلُ أَنْ يَردَّ الأمورَ فيها إلى نِصَابها.

«**العربي**»

لا أَظنُّ أَحدًا يَجمَعُ بينَ العِلْمِ والإِنصافِ يَرْضى عن تعليمِ هذِه اللُّغةِ في مدارسِ الشَّرقِ العربيِّ؛ بل كُلُّ مَن يحبُّ لها الحياةَ والتَّقدُّمَ يَأْسَى ويَأْسَفُ على حالِـها السَّيِّئ.

وقدِ اختلفَ الـمُفكِّرون في تَعليلِ ذلك، وذَهبوا فيه مذاهبَ شَتَّى.

منهم: مَن زَعم أنَّها لُغَةٌ هَرِمةٌ أَكلَ عليها الدَّهرُ وشَرِب، و:

أَخْنى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ[١]

---

(١) هذا عجز بيت للنابغة الذبياني، وصدره:

أَمْسَتْ خَلَاءُ وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا

(أمستْ خلاءُ) أي: أصبحت مقفرة خالية من الإنس، (احتملوا): ارتحلوا، (أخنى عليها): أتى عليها وأفسدها، (لُبَد): اسم نسر، زعموا أنه آخر نسور لقمان السبعة، وقد عاش طويلًا.

أي: إن ديار أمية قد أمست خرابًا وخاليةً من أهلها، وقد عبث بها الدهر وأتى عليها كما أتى على لُبَد. =

وَقد جَاءَ فِي الخَبرِ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ إِلَّا الهَرَم**»[(١)]؛ فلا فائدَةَ تُرْجَى مِن محاولَةِ إِحيائِها، وَتَجديدِها، وتَشييدِ صَرْحِها تَارةً أُخرى، أَلَا تَرَى أَنَّ أَتْرَابها ولِداتَها -كُلَّهنَّ- أتى عليهنَّ الفَناءُ، وأَصبحْنَ في خَبرِ كان؟!

فأينَ السِّنسكريتيَّة؟! وأينَ أَخواتها السَّامية؛ كالعبرانيَّة والسُّريانيَّة والآشوريَّة؟! وأين اللُّغة اليونانيَّةُ القديمَة؟! وأَين الجرَمانيَّة؟!

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

فالصَّوابُ: العدولُ عَنها إلى إحياءِ ما تولَّدَ عنها مِن العامِّيَّات الدَّوارج.

- حروفُ كتابتِها

ومنهم مَن قالَ: إِنَّ العِلَّةَ ترجعُ إلى كتابتِها النَّاقصة، الَّتي إِنْ كانَتْ كافيةً للأَجيالِ المتقدِّمةِ -لكونِهم سَليقيِّين يتكلَّمون بها بالطَّبع-؛ فهي غيرُ كافيةٍ لأَبناءِ هذا الجيلِ، فإنَّها في النُّطقِ ثَمانية وعشرون حرفًا؛ بل تَزيد على ذلك بإضافةِ الغُنَّةِ والإِدغامِ بنَوْعَيه، والمدِّ، والقَلْبِ، والإِخفاءِ، والإِظهارِ، والإِمالةِ، والتَّفخيمِ، والتَّرقيق، إلى غيرِ ذلك ممَّا يحتاجُ إلى أَشكالٍ تدلُّ عليه، وكذلك الحركاتُ والتَّنوين بأَنواعِه.

أمَّا في الكتابةِ؛ فهي خمسةَ عشرَ حرفًا إذا حَذَفْتَ المُكرَّر الَّذي لا يَتميَّزُ

= انظر: «ديوان النابغة» (١٦)، «جمهرة اللغة» (١٠٥٧)، «خزانة الأدب» (٤/ ٥)، «الدرر» (٢/ ٥٧)، «لسان العرب» (٣/ ٣٨٦) مادة (لبد) و(١٤/ ٢٤٥) مادة (خنا).
وبلا نسبة في: «همع الهوامع» (١/ ١١٤)، «شرح الأشموني» (١/ ٢٢٧).

(١) خرَّجته في تعليقي على «إعلام الموقعين» (٦/ ٣٨٥)، **وإسناده صحيح**.

عَن نظيرِه في الشَّكلِ إلَّا بالنَّقط[1]، وهو فارِقٌ ضعيفٌ، كم وقعَ بسببِه مِن تحريفٍ وتَصحيفٍ، حتَّى في عصورِ ازدهارِ اللُّغة العربيَّة -راجِعْ كتابَ «التَّصحيف» لأبي هلالٍ العَسْكريِّ-، فكيفَ بزمانِنا هذا الَّذي تَفاقَمَ فيه أَمْرُ الجهلِ باللُّغةِ العربيَّة؟!

فالصَّوابُ: تَغييرُ أَشكالِها؛ حتَّى تكونَ شاملةً لجميعِ ما يُلفَظُ مِن حروفٍ وحرَكاتٍ، وسائرِ الأحكامِ الصَّوتية المعروفة عندَنا بـ(التجويد)، وعندَ الغربيِّين بـ(فونِتِك).

- علَّةُ لُغَتنا

ومنهم مَن زعمَ أَنَّ علَّةَ العِلَلِ في عدَمِ مُسايرَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ ومُجاراتِها لِلُّغاتِ الرَّاقيةِ في هذا العَصْرِ: هي التزامُ الإعرابِ؛ الَّذي هو عِبْءٌ ثقيلٌ بغيضٌ، يوقِعُ الخُطَباءَ والمتكلِّمين في الأَخطاءِ الَّتي لا يَكادُ يَسْلَمُ مِنْهَا إلَّا النَّادِر، وقواعِدُ هذا الإعرابِ مُعقَّدةٌ صَعبةُ الإدراكِ، ومَن أَدركَها لا يَستطيعُ تطبيقَها، فلو حَذفْنا الإعرابَ وجَعَلْنا الكَلِمَاتِ كُلَّها مَبنيَّةً على السُّكون؛ لوفَّرْنا على المتكلِّمين كثيرًا مِن العَناء، وصارَ كلُّ متكلِّمٍ يتكلَّم بحرِّيَّةٍ، مُطمئِنَّ البالِ، لا يَخافُ لَومةَ لائِم، وَلا نَقْدَ ناقِد.

وكيفَ نشتغلُ بتحقيقِ الإعرابِ، فَضْلًا عنِ العُلومِ النَّافعةِ الأُخرى، وهذه اللُّغة الإنجليزيَّة -مثلًا- تُفكِّر بها، وتُعبِّر بها عن حاجاتِها دولٌ عظيمةٌ، بلغَتْ في الحضارةِ شَأْوًا بَعِيدًا، وليسَ فيها إعرابٌ، فالمرفوعُ والمنصوبُ والمجرورُ فيها سواءٌ؟!

---

(١) في جريدة «الفجر الجديد»: «بالنِّقاط».

فيجبُ أَنْ نَنصرِفَ إلى ما هو أَهمُّ مِن الإعرابِ، وخُصوصًا المشتغلين منَّا بالعلومِ -كالكيمياءِ والطِّبِّ-، والمتعاطين لعلْمِ الحَيوان والنَّبات، وعِلْمِ الفَلَكِ، وأَكثَرُ هذهِ العُلومِ مؤلَّفاتُها بِلُغاتٍ غيرِ عربيَّةٍ، إلى غيرِ ذلك مِن أقوالِـهم.

- وَالآن نُجيبُ عن هذهِ الحُجَج

أمَّا قولُهم: إِنَّ اللُّغةَ هَرِمَتْ، ومَا بعْدَ الهرَمِ إلَّا الفَناء، وقَد فَنِي أَتْرابُها وَلِدَاتُها، فالصَّوابُ: العُدولُ عنها إلى العَامِّيَّاتِ الدَّوارج.

فنَقولُ: إِنَّ اللُّغةَ عَرَضٌ لا يَقُومُ بنفسِه؛ وإِنَّما تَقومُ اللُّغةُ وتَحيا وتَقْوى بحياةِ المُتكلِّمين بها وقُوَّتِهم، فإِنْ كَانوا أَقوياءَ مُتقدِّمين مُنافِسين لِلأُممِ الرَّاقيةِ في العُلومِ وَالأَعمالِ؛ كانَتْ لُغتُهم مِثْلَهم، وَإِنْ كَانُوا ضُعفاءَ عاجزين مُتأَخِّرين عَن رَكْبِ المدنيَّةِ والحَضارةِ ومُتواكِلين ميِّتي الهِمَمِ؛ كانَتْ لُغتُهم مِثْلَهم.

فَلا يُمكِنُ لأمَّةٍ أَنْ تكونَ مُتقدِّمةً قويَّةً في جميعِ الميادين؛ إلَّا وَلُغَتُها غَنيَّةٌ، [راقِيةٌ، ثابِتةُ][(١)] الأَركانِ، مُحْكَمةُ القَواعِد، والشَّواهِدُ على ذلكَ كثيرةٌ:

فاللُّغةُ الإِنجليزيَّةُ واللُّغةُ الأَلمانيَّةُ قبْلَ أربعِ مئةِ سنةٍ لم يكُنْ لها وُجودٌ حقيقيٌّ في الأَدبِ العالميِّ والعلومِ؛ فَقد كان الأُوروبِّيُّون يكتُبون ويُؤَلِّفُون باللُّغةِ اللَّاتينيَّة، ولا يَكادون يَستعملون لُغاتِهم الخاصَّةَ، ثمَّ نَشأتِ اللُّغةُ الفرنسيَّةُ؛ فحَلَّتْ محَلَّ اللُّغةِ اللَّاتينيَّةِ رَدْحًا مِن الزَّمانِ، ثمَّ أخذَتِ اللُّغاتُ الحديثةُ الأُخرى تتقوَّى، إلى أَنْ صارَتِ اللُّغة الإنجليزيَّةُ والألمانيَّةُ -في

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من جريدة «الفجر الجديد».

هذا العصرِ- مِن أَعظمِ اللُّغات انتشارًا وجزالةً، ودُوِّنَتْ بها العُلومُ والآدَبُ، وتأَخَّرَتْ عنهما اللُّغةُ الفَرنسيَّةُ؛ لتَأَخُّرِ أَهلِها بعضَ الشَّيءِ.

أمَّا قولُهم: إنَّ لُغاتٍ قديمَةً قَد ماتَتْ، والعَربيَّةُ يجبُ كذلك أَن تموت.

فحُجَّةٌ مِن الحُججِ الوَاهيةِ؛ لأَنَّ مُعظَمَ اللُّغاتِ الَّتي ذَكَرْتُم فَنِي أَهْلُها فَفَنِيتْ معَهم، فلا تُوجَدُ اليومَ أُمَّةٌ سِنْسِكريتيَّة، ولا أُمَّة لاتينيَّة، ولا أُمَّةٌ سريانيَّة، ولا أُمَّةٌ آشوريَّة، فهل تَقولون: إِنَّ الأُمَّةَ العربيَّةَ -أيضًا- قدِ انقرَضَتْ كانقِراضِ هذه الأُممِ، ونشأَتْ على إِثْرِ انقراضِها أُمَمٌ جديدةٌ؛ فتُسمُّونَ الشُّعوبَ العربيَّة: (أُممًا مُتباينةً)، لا تَجمَعُ بينَها جامعَةٌ، ولا تُوحِّدُ أفكارَها لُغَةٌ ولا أَدَبٌ؟!

وَكيفَ خَفِي عَليكم أَنَّ لِلُّغةِ العربيَّةِ مَزيَّةً امتازَتْ بها عَن لِدَاتِها، وضمِنَتْ لها البَقاءَ؛ أَلَا وهيَ: القُرآنُ والشَّريعةُ الإِسلاميَّةُ، الَّتي لا يَدِين بها العَرَبُ -فَقَط-؛ بل تَدِينُ بها وتُقدِّسُها أُمَمٌ كثيرةٌ غيرُ عربيَّةٍ، لا يَقومُ دِينُها إِلَّا بالقُرآنِ والسُّنَّة، وَلا يَقومُ القُرآنُ والسُّنَّةِ إِلَّا باللُّغةِ العربيَّةِ؟!

وَهُنالِكُم مَثَلٌ هو[1] أَوْضَحُ وأَظْهَرُ مِن كُلِّ مَا تَقدَّم؛ وهو اللُّغةُ الصُّهيونيَّةُ الَّتي نَشأَتْ في غايةِ الضَّعْفِ مُنْذُ نحوِ خَمسين سنةً على أَيْدي المُستشرِقين والصُّهيونيِّين، وبشدَّةِ العَصبيَّةِ والجهودِ الَّتي يَبذلُها هؤلاء لها، لا في فلسطينَ المحتلَّةِ -فقَط-؛ بل إِنَّه في جَميعِ أَنحاءِ العالَـم، حيثُ يوجَدُ جماعةٌ مِن الصُّهيونيِّين -وإِن كان عدَدُهم قليلًا- تُوجِدُ مدارسَ تَبذُلُ كلَّ جُهْدٍ في تَنميةِ هذه اللُّغةِ الجديدةِ، الَّتي استَخرجَتْ مِن اللُّغةِ العِبرانيَّةِ القديمةِ، الَّتي مَضى

(١) سقطت من جريدة «الفجر الجديد».

على فَنائِها أَكثرُ مِن خمسةِ آلافِ سنَةٍ، ولم يَبْقَ مِن أَدَبِها إِلَّا «التوراة» وآثَارٌ أُخرَى قَليلةٌ جِدًّا.

وقَد قَرَأْتُ في مجلَّةٍ أَمريكيَّةٍ أَنَّه بلَغَ مِن تعصُّبِ الصُّهيونيِّين لهذه اللُّغةِ الجديدةِ: أَنَّهم لا يُوَلُّون أَحدًا مِن أَعمالِ الحُكوماتِ -صَغيرًا كان أو كَبيرًا- إلَّا إِذَا كان يُجِيد هذه اللُّغةَ.

- أمَّا الرُّجوعُ إلى العامِّيَّاتِ الدَّوارِجِ

وأمَّا العُدولُ إلى العامِّيَّاتِ؛ فهو الحالِقَةُ والقَاصمَةُ؛ لأَنَّه يَحُول بين العربِ وبينَ ما بَقِي مِن تُراثِهم المقدَّس، ويَقطَعُ الصِّلةَ بينهم وبينَ ماضِيهم، ويُصيبُهم بالإِفلاسِ التَّامِّ بزَوالِ البَقيَّةِ الباقيةِ مِن عُلومِهم وآدابِهم، وهُنا نُنشِد:

مَا يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ   مَا يَبْلُغُ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ[1]

وَالرَّأْيُ السَّديدُ -إِذَن-: هو بَذْلُ الجُهودِ، يَبذُلُها جميعُ المتكلِّمين بالعربيَّة -دولًا وشعوبًا-؛ لإِنعاشِها، والنُّهوضِ بها، وإِعادةِ ازْدهارِها وقُوَّتِها، معَ التَّطوُّرِ الَّذي لا يَخدِشُ محاسِنَها، ويُشوِّهُ وَجْهَها.

- أمَّا أَنَّ اللُّغةَ صَعبةٌ كِتَابتُها

وأَمَّا الحجَّةُ الثَّانيةُ: وهي أَنَّ صعوبةَ اللُّغةِ العربيَّةِ جاءَتْ مِن جهةِ كتابتِها؛ لِنَقصِها وعدَمِ كفايَتِها لأَهلِ العَصرِ الحاضِرِ.

(١) البيت لصالح بن عبد القدوس، انظر: «العقد الفريد» (٢/ ٢٧٢)، ونسب لعبدالملك ابن عبدالرحيم الحلاج في «الإعجاز والإيجاز» (١٦١).

فنحنُ لا نريدُ -هنا- أَنْ نُصدِرَ حُكمَنا على هذا الرَّأْيِ، ولكِنْ؛ على فَرْضِ صِحَّتِه؛ لا يَصِحُّ أَنْ يكونَ عِلَّةً كامِلةً لانحطاطِ اللُّغةِ العربيَّة، وتأَخُّرِها عن مُجاراةِ اللُّغاتِ الرَّاقيةِ، وإنَّما هو جُزْءُ عِلَّة؛ لأنَّه إنَّما يتعلَّقُ بتسهيلِ القراءةِ -فقط-، ونحن لا نَشتكي مِن صعوبةِ القراءةِ؛ بل نَشتكي كذلك مِن قِلَّة الأَلفاظِ، وعدمِ كفايَتِها للتَّعبيرِ عَن كلِّ ما نَحتاجُ إلى التَّعبيرِ عنه، سواءٌ أَكان مَاديًّا أَو أَدبيًّا.

- نحنُ عِيالٌ على مَاضِينا

ونَشتكِي مِن اختلالِ القَواعدِ عندَ بَعضِنا جَهلًا بها، وعندَ بَعضِنا عَجْزًا عن تَطبيقِها عندَ النُّطق، ونَشتكي -أَيضًا- مِن ضَعْفِ الأُسلوبِ؛ بل مِن فسادِه، حتَّى إنَّ الأَساليبَ الأجنبيَّةَ غزَتْ إنشاءَنَا فشوَّهَتْه، حتَّى صارَت المفرداتُ فيهِ على الجملةِ عربيَّةً، والتَّركيبِ أَجنبيًّا، وَصارَ الإِنشاءُ فاقدًا للبَلاغةِ والسِّحْر الَّذي يجدُه القارِئُ في كلامِ أَسلافِنا نَظمًا ونَثْرًا، ونَشتكي مِن الفَقْر في النَّتاجِ.

والحقُّ أَنَّ الأُمَّةَ النَّاطقةَ بالعربيَّةِ عقيمةٌ منذُ خمسِ مئةِ سنةٍ، تعيشُ على كتبِ الماضي ومعارفِ الأَجيالِ السَّابقة في مُفرداتِ اللُّغة، وعُلومِها، وآدابِها، وهذه الأُمَّة تُعَدُّ بعشراتِ الملايين، وَليس لها معاجِمُ، إلَّا ما أَلَّفه أَهلُ القَرنِ الثَّامن الهجريِّ وما بعدَه بقَليلٍ.

فنحنُ في مُفرداتِ اللُّغةِ عِيالٌ عَلى الفِيروزآبادي وابن المنظور، وفي تراجمِ الأُدباءِ وسِيَرِهم عيالٌ على ياقوتِ الحَمَوي، أو بروكلمان، أو «دائرة المعارف الإسلاميَّة».

و«دائرةُ المعارفِ الإسلاميَّة» الَّتي ألَّفها الأجانبُ -أيضًا- عيالٌ على ياقوت؛ فقَد أَخبرني الأستاذُ باول كالي[١] -وهو مِن كِبارِ المُستشرقين- وغيرُه مِن المشتركين في تَأليفِها: أَنَّهم في أَوَّلِ الأَمْرِ أرادوا تَرجمةَ «مُعجمِ البُلدانِ» لياقوت، ثمَّ بَدَا لهم أَنْ يَجعلُوه على شَكْلِ (دائرةِ معارف)، ويضمُّوا إليه ملتقطاتٍ مِن الكُتب الإسلاميَّة.

وفي «دائرةِ المعارف الإسلاميَّة» أَخطاءٌ ودسائِسُ ناشئةٌ عن التَّعصُّب الأوروبِّي، وفي «بروكلمان»[٢] مثلُ ذلك وأَقبَحُ!

فإذا أَرادَ طالبٌ أو باحثٌ مراجعةَ سِيرةِ مسلمٍ نابهٍ، أو عربيٍّ ثَقِفٍ؛ لم يجِدْ بينَ يدَيْه إلَّا ما ذَكَرْناه، وهو لا يُسْمِنُ ولا يُغني مِن جوعٍ.

وإذا سلَّمنا أَنَّ المفرداتِ الموجودةَ في المعاجمِ المؤلَّفةِ في القَرنِ الثَّامنِ الهجريِّ كافيةٌ لأَهْلِ ذلك الزَّمانِ؛ فأَينَ تقَعُ مِن أهلِ هذا الزَّمان، وقد حدثَتْ فيه آلافٌ كثيرةٌ مِن المعاني والأدواتِ، واكتُشِفَتْ فيه آلافٌ[٣] مِن الحيواناتِ وأَنواعِ النَّبات؟!

- اللُّغات لا تُلقَّنُ قواعِدَ

ونَشتكي -أيضًا- مِن عَدمِ وجودِ مَن يَقْدِر على التَّخاطبِ المستمرِّ في جميعِ الشُّؤونِ بالعربيَّة، لا نَستثني أُستاذًا ولا أَديبًا، وهذه أعظَمُ العِلَل؛ إِذْ لا

(١) سبقت ترجمته.
(٢) في جريدة «الفجر الجديد»: «بروكمان».
(٣) في الأصلين: «آلافًا».

يستطيعُ التَّعليمُ النَّظَريُّ -وإنْ بلغَ كلَّ مَبلغٍ في الكَمال- أَن يُكَوِّن عندَ الطَّالبِ مَلَكةً في اللُّغةِ، إلَّا إِذا كان الأُستاذ قادرًا على تَطبيقِ تلك القَواعدِ النَّظريَّة، ويتكلَّم بكلامٍ بليغٍ يتلقَّنُه الطَّالبُ منه، ويَتكرَّرُ قرعُه لِصِماخِ أُذنِه؛ فَينطلِقُ بمثلِه وَإِنْ لم يَتعلَّم صرفًا ولا نَحْوًا ولا بلاغةً، ولو صارَ في هذهِ العلومِ كابنِ مالكٍ، وأَبي حيَّان، وابنِ الحاجِب، والجُرجانيِّ، ولم يَتكرَّرْ سَماعُه للكلامِ البليغِ؛ لم يَنطقْ به -أبدًا-.

ومِن البَديهي -عند علماءِ اللُّغات- أَنَّ طريقَ تَعلُّمِها إنَّما هو السَّمع، وضربوا لذلك مثلًا: تَعلُّم الطِّفلِ لُغةَ أُمِّه مع صِغَره، وضَعْفِ إدراكِه، وعَدمِ دراستِه لِقَواعدِ اللُّغةِ.

وليسَ مُرادُنا أَنَّ القَواعدَ لا يُحْتَاجُ إليها؛ بل مُرادُنا يتلخَّصُ في العبارةِ التَّالية:

مَن عرفَ قَواعِدَ اللُّغةِ العربيَّةِ وعُلومَها، وحَصلَتْ له الملَكةُ في التَّكلُّم بها ببلاغةٍ، وكان قادرًا على تعليمِها؛ فهو أَديبٌ مُعلِّمٌ.

ومَن حصلَتْ له الملكَةُ الَّتي تُمكِّنُه مِن النُّطقِ بالكلامِ البليغِ، وفهْمِ الكلامِ البَليغِ، ولم يَعرِفْ علومَ اللُّغةِ، ولا لَهُ قُدرَةٌ على تَعليمِها؛ فهو أَديبٌ وليسَ بمُعلِّمٍ.

ومَن عرفَ علومَ اللُّغةِ، ولم تَحصُلْ له الملَكةُ الَّتي تُمَكِّنُه مِن القَولِ البليغِ وفَهمِه؛ فهو ليسَ مُعلِّمًا ولا أَديبًا.

وعلى هَذا الأَساسِ: كُلُّ معلِّمٍ أديبٍ، ولا عَكْسَ.

- صُعوبَةُ الإِعرابِ

وأمَّا الحُجَّةُ الثَّالثَةُ: وهي أَنَّ العِلَّةَ في ركودِ اللُّغةِ العَربيَّةِ هيَ وُجودُ الإعرابِ فِيْها، وَلَوْ تُرِكَ هذا الإعرابُ، وسُكِّنَتْ أَواخِرُ الكَلِمِ؛ لَسَهُلَتْ دراسَةُ اللُّغةِ، وخَفَّ استعمالُها.

فالجوابُ: إنَّ اللُّغاتِ مَوضوعَةٌ على أُسُسٍ وقَواعِدَ لا يُمْكِنُ تَغييرُها، معَ المحافظةِ على مَزايَاها وجَمالِها.

- اللُّغةُ الأَلمانيَّةُ كاللُّغةِ العربيَّة

وليسَتْ صعوبَةُ اللُّغةِ العربيَّةِ آتيةٌ مِن وُجودِ الإعرابِ في أَواخرِ بعضِ كَلِماتِها، وَلا مِن تَصريفِها، وكَوْنِ كثيرٍ مِن جُموعِ التَّكسيرِ فيها، وأَبنيةِ مصدرِها، وأَسماءِ الفاعِلين والمفعولين، والصِّفاتِ المشبَّهةِ؛ غيرَ جاريَةٍ على القياس؛ لأنَّ هذه الأمورَ موجودةٌ في بعضِ اللُّغاتِ الرَّاقيةِ بصورةٍ أَشدَّ ممَّا هي عليه في اللُّغة العربيَّةُ.

فاللُّغةُ الألمانيَّة -مثلًا-: فيها إِعرابٌ، وتَصريفٌ، وثَلاثُ أَدواتٍ للتَّعريفِ، ومِثْلُها للتَّنكيرِ، وجموعُ تَكسيرٍ، وغَالِبُ هذه الأُمورِ خارجَةٌ عَن القياسِ، ولا تُدرَكُ إلَّا بالحِفْظِ، وإِعرابُهَا أَشدُّ مِن إِعراب اللُّغةِ العربيَّة؛ لأنَّ القارِئَ والخَطيبَ باللُّغةِ العربيَّةِ لا يُسَكِّنُ كلَّ كَلِمةٍ يَقِفُ عليها، فيَستريحُ مِن إعرابِها، ولا يجوزُ له ذلك في اللُّغة الألمانيَّة؛ بل يَنطق بالمرفوعِ، والمُضافِ إليه، والمجرورِ، والمنصوب، وَقْفًا ووَصْلًا.

وحرفُ الجرِّ -مثلًا- يعمَلُ في ثلاثِ كَلِماتٍ أَعمالًا مُختلفةً، فإذا دخلَ على أَداةِ تَعريفٍ أَو تنكيرٍ يَليها وَصْفٌ فَمَوصوفٌ؛ يعمل في الأداة عملًا، ويعمَلُ في الصِّفةِ عَمَلًا آخَرَ، ويَعمَلُ في الاسْمِ عمَلًا مُغايرًا لِعَمَلِه في سابِقَيه.

والأَسماءُ فيها ثلاثَةُ أَقسامٍ: مُذكَّرٌ، ومُؤنَّثٌ، ومَا ليسَ بمُذَكَّرٍ ولا مؤنَّثٍ.

ولها قاعدَةٌ تضبطُ هذه الأنواعَ؛ فعَلى الطَّالبِ والمتكلِّمِ أَنْ يعرِفَ كلَّ اسمٍ على حِدَةٍ مِن أَيِّ الأَنواعِ هو، ولكُلِّ واحدٍ مِن هذه الأجناسِ أداةُ تعريفٍ وأداةُ تنكيرٍ، تَتغيَّران بدخولِ العَوامِلِ عَلَيها.

وجموعُ التَّكسيرِ فيها كَثيرةٌ، وفيها نحوُ ثلاثِ مئةٍ مِن الأَفعالِ غيرُ قياسيَّةٍ يجبُ أَنْ تُحفَظَ تَصارِيفُ كلٍّ منها على حِدَةٍ، وهذا قَليلٌ مِن كَثيرٍ مِن صعوباتِها.

- الألمانيَّة الفُصحى لُغَةُ الجَميعِ

ويتكلَّمُ بهذه اللُّغةِ دَولتَان؛ هما: أَلمانيا والنِّمسا، ونَحوُ الثُّلثَين مِن سويسرا، ولم يُفكِّر أحَدٌ منهم في تَسهيلِها بتَرْك الإِعرابِ وغيرِه مِن الصُّعوباتِ، ولا يَتبرَّمُ أَحدٌ منهم بهذِهِ اللُّغةِ؛ بل يحبُّونها ويَفتخرون بها، واللُّغة الفُصحَى في هذه الأممِ الثَّلاث واحدةٌ.

أمَّا العامِّيَّاتُ الدَّوارج؛ فهي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، وهذه العامِّيَّات محرَّمٌ عليها أَن تَدخُلَ المدرسةَ -كَيفما كانَت- مِن الابتدائيَّةِ إلى الجامعَةِ، ومُحرَّمٌ عليها أَنْ تَدخُلَ المحكمَةَ، والبَريدَ، ودَوائرَ الحكومةِ الأُخرى، والنَّوادي الأدبيَّة، والصَّحافة، والإذاعة، وفي المدنِ لا تُستعمَلُ إلَّا في النُّكتِ المضحكةِ.

أمَّا في القُرى والفَلَّاحِين فيما بينهم؛ فإنَّهم يَتكلَّمون باللُّغات العامِّيَّة في مَزارعِهم وأَسواقِهم، ولكِنَّهم كلُّهم قادِرون على التَّكلُّم بالفُصحى، وكلُّهم مُتعلِّمون ليس بَينهم أُمِّيٌّ واحدٌ.

- كيفَ تُحيَى اللُّغة العربيَّة؟

والحقُّ أَنَّ صعوبةَ اللُّغةِ العربيَّةِ إنَّما جاءَتْ مِن عدمِ التَّكلُّمِ بها، وعَدمِ سماعِها، مِن القَرنِ الثَّالثِ الهِجريِّ إلى يَومِنا هذا، ولا يُوجَدُ شَعبٌ يَتكلَّم بها باستمرارٍ؛ بل الأساتذةُ والأُدَباءُ في الجامعاتِ والنَّوادي الأدبيَّة يتكلَّمون باللُّغة العامِّيَّةِ الَّتي يتكلَّم بها أَجهلُ الجاهِلين الأُمِّيِّين، فلا وُجودَ لها في بيتٍ، ولا في مدرسةٍ، ولا محكمَةٍ، ولا سُوقٍ.

اللهمَّ إلَّا في بعضِ الاحتفالاتِ، وفي الإذاعةِ، وخطبةِ الجمعة، معَ اللَّحنِ الكثيرِ والأَخطاءِ الفاحشةِ؛ فأَيْنَ يَسمَعُ الطَّالِبُ الكلامَ البَليغَ لينطِقَ لسانُه به؟!

فإذا أَرَدْنا إِحياءَ اللُّغةِ العربيَّة، وإِعادةَ نُضْرَتِها وَجمالِها وكَمالِها؛ فعَلَيْنا بإِيجادِ المعلِّمين المتكلِّمين بها!

يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّآلِي وَمَنْ طَلَبَ العُلَى سَهِرَ اللَّيَالِي(١)

(١) بهذا السياق نسب للشافعي في «مرآة الجنان» (ص٩٩٢).
وبلا نسبة في: «الغيث المسجم» (٢/ ١٦ ب) و«شرح لامية العجم» (٨٤) للدميري.
وفي سياق آخر:

بِقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ العُلا سَهِرَ اللَّيَالِي
تَرُومُ المَجْدَ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوصُ البَحرَ مَن طَلَبَ اللَّآلي

والبيتان في: «صيد الأفكار» (٢٢) و«الدر الفريد» (٥/ ٣٢٦).

صحة نسبة «الفوائد السامية» لتقي الدين الهلالي

نسب الهلالي الكتاب لنفسه في مقدمته؛ حيث بين سبب تأليفه، وأنه رام التسهيل في شكل سؤال وجواب؛ إذ التأليف مأخوذ من كتاب هو أصل له، ولا نعلم -للأسف!- عنه شيئًا.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما بعد: فيقول الفقير إلى عفو الله ورحمته محمَّد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي -عفا الله عنه-: لمَّا أُسند إليَّ تدريس تاريخ اللغات السامية لطلاب شهادة فقه اللغة في جامعة محمد الخامس؛ أَلَّفْتُ كتابًا وجيزًا مناسبًا للساعات المخصَّصة لهذا العلم، ودرَّستُه للطلبة خمس سنين، واليوم بدا لي أن أصوغَه في شكل أسئلة وأجوبة؛ تسهيلًا على الطالب والأستاذ الممتحن، فأقول -وبالله التوفيق-»[(١)].

أضف إلى ذلك: الإشارات الدالة في ثنايا الكتاب؛ مثل: استشهاده بلغة أهل تطوان؛ وهي المدينة التي كان فيها مقامه مدة من الزمن، يقول: «ولغةُ أهل تطوان في المغرب جاريةٌ على ذلك إلى يومنا هذا، ولا شكَّ أنَّهم جاؤوا بها من الأندلس، وعرب الأندلس جاؤوا بها من الشرق»[(٢)].

وذكره الهلالي بعنوان «الفوائد السامية في تاريخ اللغات السامية» في ترجمته الذاتية رقم (١) ضمن (مؤلفاته - رقم ١٥)، وترجمته الذاتية رقم (٥) ضمن (مؤلفاته - رقم ٢٣)، وترجمته الذاتية رقم (١١) ضمن (مؤلفاته

(١) انظر: (ص٢٣٧).
(٢) انظر: (ص٢٦٦).

- رقم ٩)، ونقل منه في مقالة بعنوان (تعلم اللغات)؛ وهي في أوراقه الخاصة، مرقومة على الآلة الكاتبة.

وذكره له مترجموه؛ مثل:

الدكتور نزار أباظة ومحمد رياض المالح في «إتمام الأعلام» (ص٣٤٦)، ومحمد خير رمضان في «تتمة الأعلام» (٥/ ٢٤٩)، وعبدالله عقيل في «من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة» (٤٩٨)، وأحمد علاونة في «ذيل الأعلام» (ص١٧١)، وبَدر العمراني في «مَظاهِرُ الشرَف والعِزَّة المتجَلِّيَة في فهرسة الشَّيخ محمَّد بُوخبزَة» (ص١٧٨)، وعبد الله بن أحمد آل علاف في «أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي» (ص٣٢٦)، وبوشتى الزفزوفي وعزيز الخطيب وعبدالله بن رقية في «الإتحافات السَّنِيَّة بتراجم من درَّس بدار الحديث الحَسَنِيَّة (١٣٨٣ - ١٤٣٦هـ / ١٩٦٤ - ٢٠١٤م)» (ص٨٢)، ومحمد منظور علم وآخرون في «١٠٠ من كبار القادة المسلمين في القرن العشرين» (ص٣٢٦)، جميعهم ذكروه بعنوان «تاريخ اللغة السامية».

وذكرته له مجلة «الإصلاح» المغربية، في عددها الصادر يوم الجمعة ١١ ذو الحجة ١٤٠٧ هـ - ٧ غشت ١٩٨٧ م، (ص ٦ - ٧)، ضمن مقالتها (الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الداعية المجاهد في ذمة الله).

توصيف النسخة المعتمدة في التحقيق

النسخة المعتمدة من كتاب «الفوائد الساميَة في تاريخ اللغات الساميَّة»؛

هي من محفوظات مكتبة العلَّامة تقي الدين الهلالي، وقد جاءت هذه النسخة في أربع وثلاثين صفحة، مرقومة على الآلة الكاتبة.

الصفحة الأولى -منها- كُتِب في وسطها بخط تلميذه رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عنوان الكتاب «الفوائد الساميَة في تاريخ اللغات الساميَّة».

وفي الصفحة الثانية أعيد كتابة العنوان في ناصيتها، ومن تحته -يسار الصفحة- كُتِب: «الدكتور تقي الدين الهلالي»، وبعده -في الوسط- جاءت البسملة، ثم الحمدلة -من تحتها- في مفتتح المقدمة... وهكذا توالت الصفحات إلى أن ختمت بفهرس لمواضيعها، وقد عنون بـ«فهرست كتاب تاريخ اللغات السامية».

وقد ضربت هذه النسخة على الآلة الكاتبة، وأغلبها واضح، وقد اعترتها سقوط كثيرة -خاصة في جدول ألفاظ اللغات[(٢)]-.

كما اشتملت على بعض الهوامش الجانبية؛ إما من أجل التصحيح أو التوضيح أو الحذف.

عملي في التحقيق

يتلخص عملي في تحقيق هذا الكتاب: بدراسته، وذكر أهم مباحثه، مع تجليتها، والتركيز عليها، مع تباين الآراء فيها.

(١) ترجمتُ له في «صفحات مجهولة من حياة تقي الدين الهلالي من خلال إجازاته وتلاميذه»، يسر الله نشره بخير وعافية.
(٢) انظر: (ص٢٤٨).

ثم إيراد كتاب الهلالي، مع مقارنة ما فيه بمصادره التي نقل منها، مع التعريف بالأعلام، والأماكن، والشعوب، والكتب، واللغات التي لها صلة وثيقة بمباحث الكتاب.

وخرَّجتُ الأشعار التي فيه، وعلَّقتُ على بعض مباحثه بمزيد بيان.

والمرجو من الله -تعالى- أن يجعل له القبول في الدنيا والآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

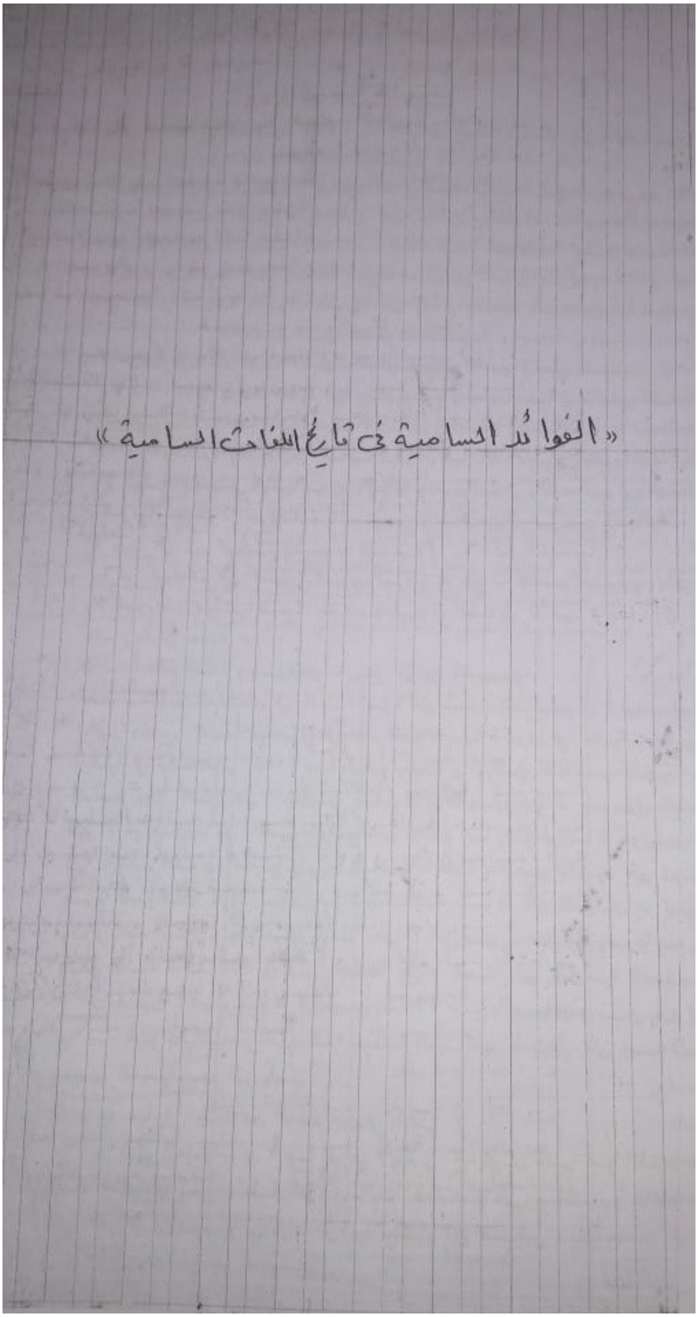
وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

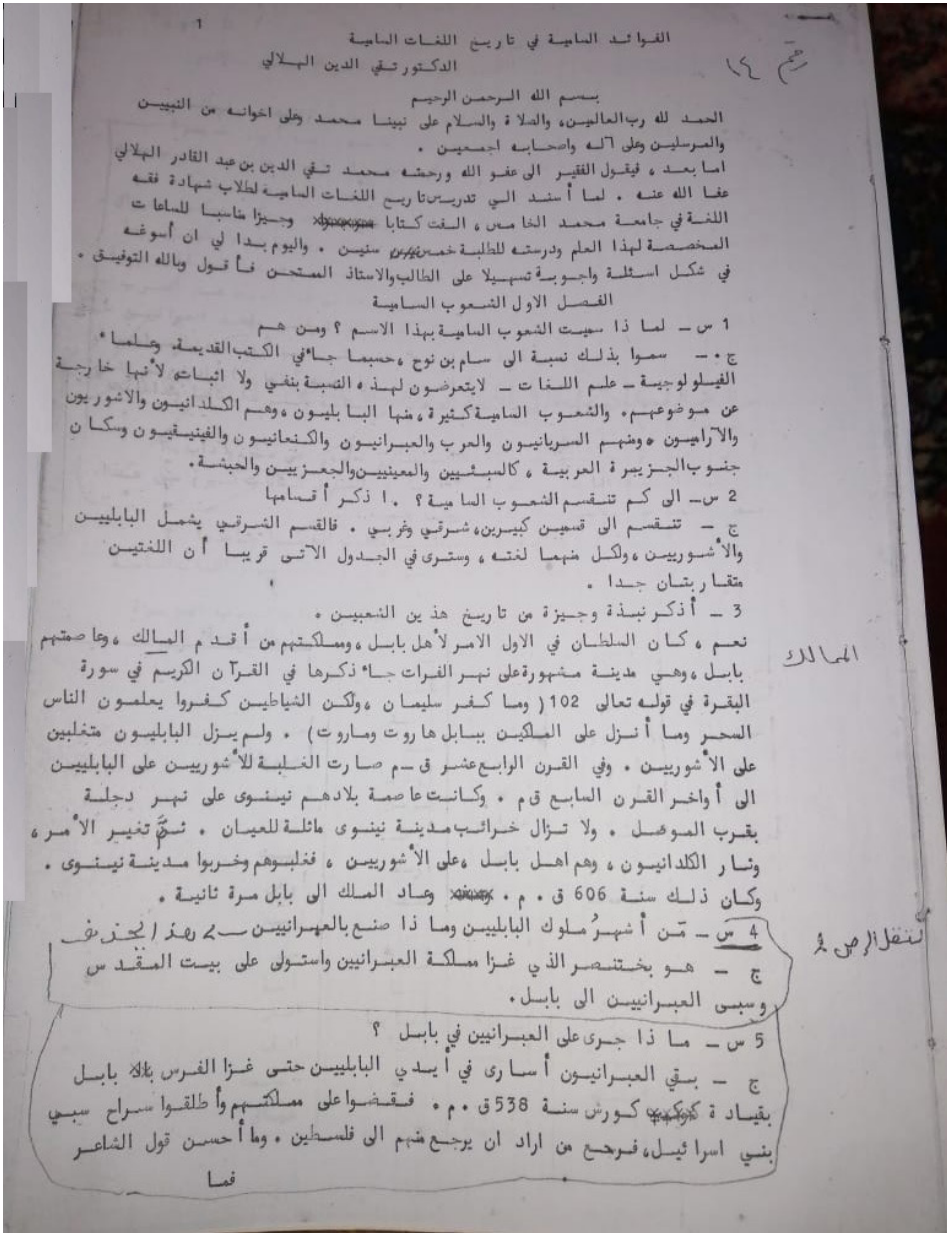
الأردن - عمَّان

شوال ١٤٤٢هـ

نماذج من
النسخة المعتمدة في التحقيق


«الفوائد السامية في تاريخ اللغات السامية»

صورة الغلاف



1

الفوائد السامية في تاريخ اللغات السامية

الدكتور تقي الدين الهلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اخوانه من النبيين والمرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين .

اما بعد ، فيقول الفقير الى عفو الله ورحمته محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي عفا الله عنه . لما أسند الي تدريس تاريخ اللغات السامية لطلاب شهادة فقه اللغة في جامعة محمد الخامس ، ألفت كتابا وجيزا مناسبا للساعات المخصصة لهذا العلم ودرسته للطلبة خمس سنين . واليوم بدا لي ان أسوغه في شكل اسئلة واجوبة تسهيلا على الطالب والاستاذ الممتحن فأقول وبالله التوفيق .

الفصل الاول الشعوب السامية

1 س — لماذا سميت الشعوب السامية بهذا الاسم ؟ ومن هم

ج . — سموا بذلك نسبة الى سام بن نوح ، حسبما جاء في الكتب القديمة. وعلماء الفيلولوجية — علم اللغات — لايتعرضون لهذه النسبة بنفي ولا اثبات لأنها خارجة عن موضوعهم. والشعوب السامية كثيرة ، منها البابليون ، وهم الكلدانيون والاشوريون والآراميون ، ومنهم السريانيون والعرب والعبرانيون والكنعانيون والفينيقيون وسكان جنوب الجزيرة العربية ، كالسبئيين والمعينيين والجعزيين والحبشة .

2 س — الى كم تنقسم الشعوب السامية ؟ . اذكر أقسامها

ج — تنقسم الى قسمين كبيرين، شرقي وغربي . فالقسم الشرقي يشمل البابليين والأشوريين ، ولكل منهما لغته ، وسترى في الجدول الآتي قريبا أن اللغتين متقاربتان جدا .

3 — أذكر نبذة وجيزة من تاريخ هذين الشعبين .

نعم ، كان السلطان في الاول الامر لأهل بابل ، ومملكتهم من أقدم الممالك ، وعاصمتهم بابل ، وهي مدينة مشهورة على نهر الفرات جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة البقرة في قوله تعالى 102 (وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) . ولم يزل البابليون متغلبين على الأشوريين . وفي القرن الرابع عشر ق — م صارت الغلبة للأشوريين على البابليين الى أواخر القرن السابع ق م . وكانت عاصمة بلادهم نينوى على نهر دجلة بقرب الموصل . ولا تزال خرائب مدينة نينوى ماثلة للعيان . ثمّ تغير الأمر ، وثار الكلدانيون ، وهم اهل بابل ، على الأشوريين ، فغلبوهم وخربوا مدينة نينوى . وكان ذلك سنة 606 ق . م . وعاد الملك الى بابل مرة ثانية .

الممالك

4 س — مَن أشهرُ ملوك البابليين وما ذا صنع بالعبرانيين

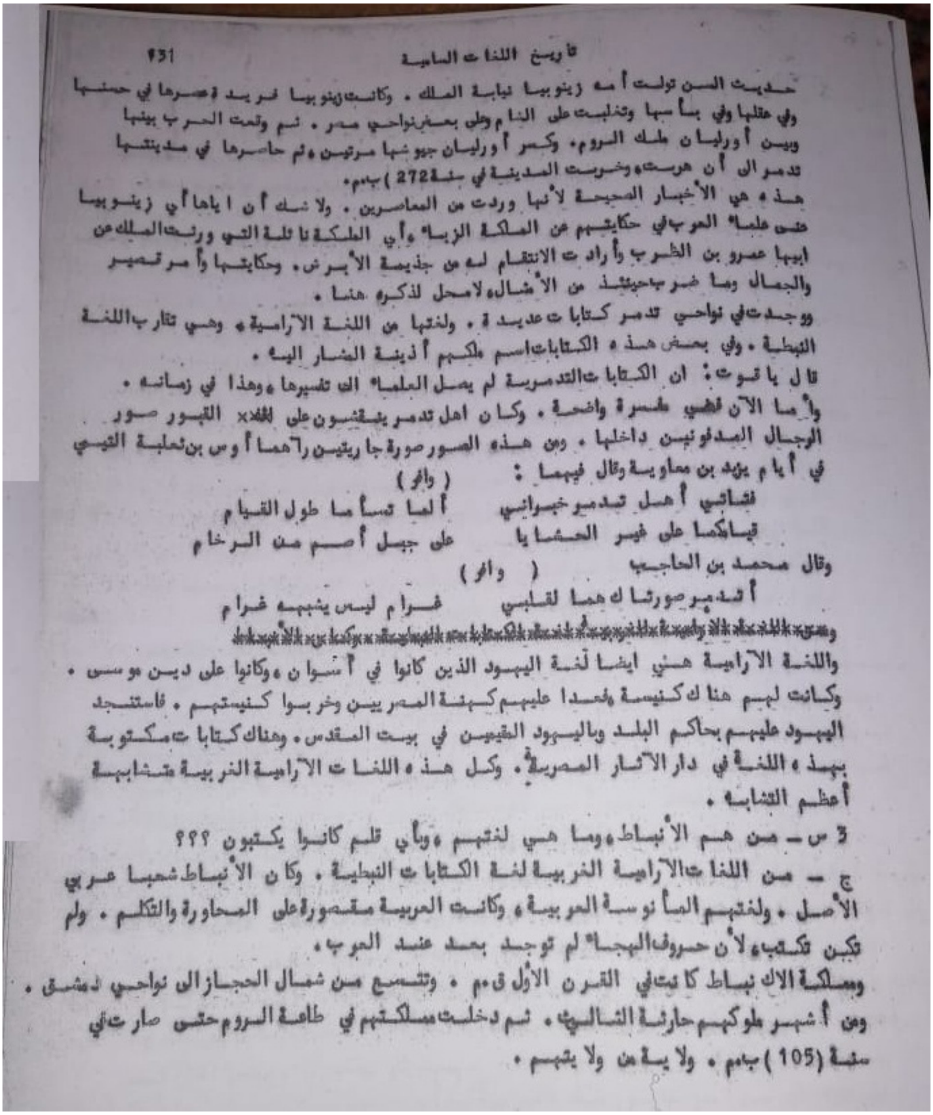
ج — هو بختنصر الذي غزا مملكة العبرانيين واستولى على بيت المقدس وسبى العبرانيين الى بابل .

5 س — ما ذا جرى على العبرانيين في بابل ؟

ج — بقي العبرانيون أسارى في أيدي البابليين حتى غزا الفرس بابل بقيادة كورش سنة 538 ق . م . فقضوا على مملكتهم وأطلقوا سراح سبي بني اسرائيل، فرجع من اراد ان يرجع منهم الى فلسطين . وما أحسن قول الشاعر

فما

صورة الورقة الأولى



حديث السن تولت أمه زينوبيا نيابة الملك . وكانت زينوبيا فريدة عصرها في حسنها وفي عقلها وفي بأسها وتغلبت على الشام وعلى بعض نواحي مصر . ثم وقعت الحرب بينها وبين أورليان ملك الروم . وكسر أورليان جيوشها مرتين ، ثم حاصرها في مدينتها تدمر الى أن هربت ، وخربت المدينة في سنة (272) ب.م .

هذه هي الأخبار الصحيحة لأنها وردت من المعاصرين . ولا شك أن اياها أي زينوبيا عنى علماء العرب في حكايتهم عن الملكة الزباء وأي الملكة نائلة التي ورثت الملك عن ابيها عمرو بن الظرب وأرادت الانتقام له من جذيمة الأبرش . وحكايتها وأمر قصير والجمال وما ضرب حينئذ من الأمثال ، لا محل لذكره هنا .

ووجدت في نواحي تدمر كتابات عديدة . ولغتها من اللغة الآرامية ، وهي تقارب اللغة النبطية . وفي بعض هذه الكتابات اسم ملكهم أذينة المشار اليه .

قال ياقوت : ان الكتابات التدمرية لم يصل العلماء الى تفسيرها ، وهذا في زمانه . وأما الآن فهي مفسرة واضحة . وكان اهل تدمر ينقشون على القبور صور الرجال المدفونين داخلها . ومن هذه الصور صورة جاريتين رآهما أوس بن ثعلبة التيمي في أيام يزيد بن معاوية وقال فيهما : (وافر)

فتاتي أهل تدمر خبراني ... ألما تسأما طول القيام

قيامكما على غير الحشايا ... على جبل أصم من الرخام

وقال محمد بن الحاجب (وافر)

أتدمر صورتاك هما لقلبي ... غرام ليس يشبهه غرام

~~[illegible]~~

واللغة الآرامية هي ايضا لغة اليهود الذين كانوا في آسوان ، وكانوا على دين موسى . وكانت لهم هناك كنيسة فعدا عليهم كهنة المصريين وخربوا كنيستهم . فاستنجد اليهود عليهم بحاكم البلد وباليهود المقيمين في بيت المقدس . وهناك كتابات مكتوبة بهذه اللغة في دار الآثار المصرية . وكل هذه اللغات الآرامية الغربية متشابهة أعظم التشابه .

3 س - من هم الأنباط ، وما هي لغتهم ، وبأي قلم كانوا يكتبون ؟؟؟

ج - من اللغات الآرامية الغربية لغة الكتابات النبطية . وكان الأنباط شعبا عربي الأصل . ولغتهم المأنوسة العربية ، وكانت العربية مقصورة على المحاورة والتكلم . ولم تكن تكتب ، لأن حروف الهجاء لم توجد بعد عند العرب .

ومملكة الانباط كانت في القرن الأول ق.م . وتتسع من شمال الحجاز الى نواحي دمشق . ومن أشهر ملوكهم حارثة الثالث . ثم دخلت مملكتهم في طاعة الروم حتى صارت في سنة (105) ب.م . ولاية من ولاياتهم .

صورة الورقة الأخيرة

الفَوَائِدُ السَّامِيَةُ

فِي

تَارِيخِ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ

تَصنِيفُ

العَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الدِّينِ الهِلَالِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد، وعلى إخوانه من النَّبيِّين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فيقول الفقير إلى عفو الله ورحمته محمَّد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي -عفا الله عنه-:

لمَّا أُسند إليَّ تدريس تاريخ اللغات الساميَّة لطلاب شهادة فقه اللغة في جامعة محمد الخامس؛ أَلَّفْتُ كتابًا وجيزًا مناسبًا للساعات المخصَّصة لهذا العلم، ودرَّستُه للطلبة خمس سنين، واليوم؛ بدا لي أن أصوغَه[1] في شكل أسئلة وأجوبة تسهيلًا على الطالب والأستاذ الممتحن؛ فأقول -وبالله التوفيق-:

(١) في الأصل: «أسوغه».

الفصل الأول

الشعوب السَّاميَّة[١]

١ س: لماذا سميت الشعوب الساميَّة بهذا الاسم؟ ومن هم؟

ج: سُمُّوا بذلك نسبةً إلى سام بن نوح[٢]؛ حسبما جاء في الكتب القديمة، وعلماء الفُيلولوجية[٣] -علم اللغات- لا يتعرَّضون لهذه النسبة بنفي ولا إثبات؛ لأنَّها خارجة عن موضوعهم.

(١) لقد تُنُوزع مصطلح (اللغات السامية) -الذي عنون به الهلالي- بين المتخصصين في فقه هذه اللغات، وذلك لأمور؛ أهمها:

- أنه مصطلح ناتج عن التقسيم العرقي في «التوراة»؛ وهو تقسيم فيه خلط آيل إلى الصراعات السياسية.

- أن اللغة العربية -في هذه العائلة اللغوية- هي اللغة المحتفظة بالصورة الأقرب إلى اللغة الأصل (الأم)؛ فكان الأجدى أن تشتق التسمية منها، فيطلق عليها (اللغات العروبية)، وقد سبق تفصيل هذه المسألة في المقدمة (ص١٠٦ وما بعدها).

(٢) عند اليهود في «سفر التكوين»: هو الابن البكر لنوح، أنجبه وهو ابن خمس مئة سنة، وأخذ بركته، عكس حام الذي أخذ لعنته، وأبناء سام هم: عيلام، أشور، أر فكشاد، لود، أرام.

انظر: «معجم الحضارات السامية» (٤٥٤).

(٣) سيأتي التعريف بها في مقدمة «مباحث في علم اللغات (فيلولوجي)».

والشُّعوب السامية كثيرةٌ:

منها: البابليون[١]؛ وهم: الكلدانيون[٢] والآشوريون[٣] والآراميون[٤].

ومنهم: السُّريانيون[٥]، والعرب، والعبرانيون[٦]،.......................

(١) نسبة إلى مدينة بابل القديمة؛ تقع على بعد تسعين (كم) جنوب بغداد، ومن المرجح أن يكون أسسها الأكديون الذين كانوا في الحقبة (٢٣٥٠ - ٢١٥٠ ق.م).
انظر: «معجم الحضارات السامية» (١٩١ - ١٩٤).

(٢) نسبة إلى كلديا؛ وهي تسمية قديمة لقسم من سومر في بلاد ما بين النهرين السفلي، ومن ثَم أطلقت على كامل بلاد بابل.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٧٢٠).

(٣) نسبة إلى مملكة أشور-وأشور: هو كبير آلهة الأشوريين، خلعوا اسمه على مملكتهم-؛ التي تقع في القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين، بين نهري دجلة والفرات، ممتدة على كامل حوض الموصل شمالًا حتى الحدود الإيرانية شرقًا.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٩٠).

(٤) نسبة إلى آرام؛ وهو -حسب «سفر التكوين»- من أبناء سام، والآراميون: شعب سامي متَرحل، كان منذ الألف الثاني ق.م ينتقل ما بين الصحراء السورية والفرات، ويتدرج من البداوة إلى التحضر، وهم من أسس مملكة دمشق في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (١٥-١٦)، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» (٤/ ٩٨) للمسيري.

(٥) تطلق هذه التسمية على نصارى سورية، وعلى الطوائف ذات الطقس السرياني، أما لغتهم؛ فتنحدر من الآرامية الشرقية، وهي اللهجة الخاصة بمدينة الرُّها.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٤٧٤-٤٧٥).

(٦) حسب العهد القديم: هم شعب سام، ينسبون إلى عابر أحد أحفاد سام بن نوح، ويعرفون باسم (بني إسرائيل) نسبة إلى إسرائيل -النبي يعقوب- الذي ترأس أبناؤه قبائل أو أسباط إسرائيل الاثني عشر، ومنشأ الشعب العبراني كان في بلاد ما بين النهرين السفلي، وكانوا بدوًا رُحَّلًا، بعد ذلك انتقلوا إلى بلاد كنعان.
«معجم الحضارات السامية» (٥٨٢-٥٨٤) بتصرف.

والكنعانيون[١]، والفينيقيون[٢]، وسكان جنوب الجزيرة العربية؛ كالسبئيين[٣]

(١) نسبة إلى كنعان بن حام -الملعون- بن نوح -كما جاء في العهد القديم-، وبلاد كنعان في منطقة آسيا الغربية، يحدها البحر الأبيض المتوسط غربًا، ونهر الأردن شرقًا، وتمتد من ترسوس وأدنة شمالًا حتى غزة جنوبًا، وكانت تضم فينيقيا وفلسطين.
«معجم الحضارات السامية» (٧٢٢- ٧٢٤)، «موسوعة اليهود» (٤/ ١٠١) بتصرف.

(٢) نسبة إلى فينيقية؛ وهي بلاد في آسيا الغربية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، تمتد طوال الساحل السوري، ابتداء من مشارف رأس الناقورة إلى مصب العاصي شمالًا، وتقع بين سلسلة جبال لبنان والبحر، وقد سكن الساميون الكنعانيون منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، ومنبت هذا الشعب غير محدد بالتدقيق.
«معجم الحضارات السامية» (٦٥٦ -٦٥٧)، «موسوعة اليهود» (٤/ ١٠٦) بتصرف.
والفينيقيون: من القبائل الكنعانية التي نزحت من الجزيرة العربية، وهم شديدو الصلة بالأموريين أصحاب أول هجرة من الجزيرة العربية، وفينيقيا وكنعان كلمتان مترادفتان؛ فكلمة (كناجي) في اللغة الحورية تعني (الأحمر)، وتلفظ في الأكادية (كناخي)، وفي الفينيقية (كنع)، وفي العبرية (كنعان)، وقد أطلق اليونان على هذه القبائل لفظ (فونكس phoenix)، ومعناها -أيضًا- (الأحمر)، وإن كانت هذه الكلمة تطلق على نوع من النخيل ينمو على شواطئ المنطقة، ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة فينيقيا، وهم الذين ابتكروا (الأبجدية السامية) أو -على الأقل- الذين ساعدوا في ابتكارها، ويؤيد ذلك: أنَّ أسماء الحروف الأبجدية (أبجد هوز) هي أسماء سامية فينيقية، ولقد سادت الصورة الفينيقية للأبجدية في العالم السامي، وانتشرت فيما جاور المنطقة من دول، حتى كانت الأصل في الأبجديتين اليونانية واللاتينية، وليس من المؤكد -تمامًا- أن الفينيقيين هم الذين اخترعوا الأبجدية، وإن كان كثير من الباحثين يؤكِّد هذا، إلَّا أنَّ بروكلمان يرجِّح -في مجلة «الساميات» (ص٤٢) (Semitistik)- أنَّ الفينيقيين نقلوا مبدأ كتابة الحروف عن المصريين؛ الذين استعملوا طريقة قصر القيم الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأول، وإن هذا هو الذي أوحى باختراع الأبجدية.
«الأمم السامية، مصادر تاريخها، وحضارتها» (١٠١ - ١٠٢) والتعليق عليه.

(٣) نسبة إلى مملكة سبأ القديمة التي سبقت الإسلام، وتقع في الجنوب الغربي من =

والمعينيين[(١)] والجعزيين[(٢)] والحبشة[(٣)].

٢ س: إلى كم تنقسم الشعوب السامية؟ اذكر أقسامها.

ج: تنقسم إلى قسمين كبيرين: شرقي وغربي؛ فالقسم الشرقي يشمل البابليين والآشوريين، ولكلٍّ منهما لغته، وسترى في الجدول -الآتي قريبًا- أنَّ اللُّغتين متقاربتانِ جدًّا.

٣ س: اذكر نبذةً وجيزة من تاريخ هذين الشعبين.

ج[(٤)]: نعم؛ كان السلطان -في أول[(٥)] الأمر- لأهل بابل، ومملكتهم من

= جزيرة العرب، وتشكل قسمًا من اليمن، وقد بلغت ذروة مجدها قبيل التاريخ الميلادي، وكانت عاصمتها مأرب، ثم ظفر.
«معجم الحضارات السامية» (٤٦٥) بتصرف.

(١) نسبة إلى مملكة معين القديمة؛ وهي إحدى الممالك اليمنية القديمة، يرى بعض المتخصصين أنها كانت قبل المملكة السبئية؛ فيكون تاريخها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وقال آخرون: إن أول عهدها لا يتجاوز القرن السادس بل الرابع ق.م، أما نهايتها؛ ففي القرن الأول ق.م.
«معجم الحضارات السامية» (٨٠٠- ٧٩٩) بتصرف.

(٢) يقول ولفنسون بأن الجعزية هي أقدم لغة سامية في بلاد الحبشة، وقد حافظت هذه اللغة على كيانها في منطقة التِّجري (Tigrè)، وكانت عاصمتها أقسوم، ومعنى كلمة (جعز): أحرار؛ أي: لغة القبائل الحرة، وقد سمى اليونان هذه اللغة باسم اللغة الأثيوبية، وقد شاع هذا الاسم عند علماء الأحباش.
انظر: «تاريخ اللغات السامية» (٢٥٤).

(٣) نسبة إلى المنطقة الإفريقية الشرقية الواقعة بين البحر الأحمر ونهر النيل، وأصل هذا الاسم لإحدى القبائل اليمنية التي استوطنت المكان وحكمته.
«معجم الحضارات السامية» (٣٤٠) بتصرف، وانظر: «المدخل إلى تاريخ الحبشة واللغة الحبشية» لمحمد خليفة حسن.

(٤) ليست في الأصل.

(٥) في الأصل: «الأول».

أقدم الممالك، وعاصمتهم بابل؛ وهي مدينةٌ مشهورةٌ على نهر الفرات، جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة البقرة؛ في قوله -تعالى- (١٠٢): ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾، ولم يزل البابليون متغلِّبين على الآشوريين.

وفي القرن الرابع عشر ق.م؛ صارت الغلبة للآشوريين على البابليين إلى أواخر القرن السابع ق.م، وكانت عاصمة بلادهم (نينوى)[(١)] على نهر دجلة بقرب الموصل[(٢)]، ولا تزال خرائبُ مدينة نينوى ماثلةً للعيان.

ثم تغيَّر الأمر، وثار الكلدانيون -وهم أهل بابل- على الآشوريين؛ فغلبوهم وخرَّبوا مدينة نينوى، وكان ذلك سنة ٦٠٦ ق.م، وعاد المُلك إلى بابل مرَّةً ثانيةً.

٤ س[(٣)]: من أشهر ملوك البابليين؟ وماذا صنع بالعبرانيين؟

(١) هي عاصمة مملكة أشور، تقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة، بلغت أوجها في عهد سنحريب (٧٠٥- ٦٨١ ق.م)؛ حيث بنى قصرا فيها وسَوَّرَها، وقد دمرت سنة (٦١٢ ق.م)، وموقع المدينة كان مجهولًا حتى القرن الثامن الميلادي وقد عثر فيه على آثار جمة. «معجم الحضارات السامية» (٨٧٤ - ٨٧٥) بتصرف.

(٢) مدينة على الضفة اليمنى من نهر دجلة تقابل مدينة نينوى القديمة، وقد شكلت الموصل قاعدة نصرانية إلى أن جاء الفتح الإسلامي. «معجم الحضارات السامية» (٨٢٢) بتصرف.

(٣) جاء في الأصل تحويق للسؤال (٤) والسؤال (٥) - الذي بعده - بخط يدوي، وكُتِبَ: «هذا يحذف»، وفي الهامش كتب: «انتقل إلى ص ٢».
ولعل سبب هذا الحذف: هو قصد الاختصار وتجنب التكرار؛ لأن الهلالي سيجيب قريبًا عن هذين السؤالين برقمي (١٨) و(١٩). =

= أما السؤال (٦) و (٧) -حسب نسخة الأصل- فقد ضُرِب عليهما، ونصهما:

«٦ س: بأي خط كان البابليون والآشريون يكتبون؟ وما أصل خطهم؟

ج: من المعلوم أن البابليين والآشوريين نزحوا إلى العراق من جزيرة العرب مهد الشعوب السامية، ووجدوا في العراق قومًا يسمون (السومريين)، وكانت لهم مدنية وحضارة ودولة عظيمة؛ فتغلب عليهم الساميون، وقضوا على دولتهم، وحكموا العراق.

ولما كانوا أمِّيين؛ اقتبسوا الخط السومري [في الأصل: الشومري] واللغة السومرية [في الأصل: الشومرية]، وأخذوا يكتبون بها وينظِّمون بها شؤون دولتهم، حتى استقروا وثبتت أقدامهم؛ فنبذوا اللغة السومرية [في الأصل: الشومرية]، وأخذوا يكتبون لغتهم، لكن بالخط السومري [في الأصل: الشومري]، ويسمى هذا الخط عند العرب (الخط المسماري)، وعند الأوربيين (الخط المثلث) أو (الأسفيني)، وعند العبرانيين (خط الأوتاد)، وسبب هذه التسمية: مشابهة الأجزاء التي تتركب منها أشكاله بالمسامير أو الأسافين أو الأوتاد، وأصل نشأة هذا الخط: أن واضعيه كانوا إذا أرادوا رَقْم شيء من الأشياء؛ صوَّروا صورته، ثم تطوَّرت هذه الكتابة، وكثرت أشكالها، وتداخلت حتى بلغت مئات [في الأصل: مآت].

قال أبو عبيدة: انظر دراسة الأستاذ عبدالمنعم المحجوب بعنوان «ما قبل اللغة، الجذور السومرية لنشأة اللغة العربية واللغات الأفرو آسيوية».

٧ س: هل توجد كتب اليوم بالخط المسماري تحتوي على علوم وآداب؟

ج: اكتشف الباحثون من علماء الآثار في العراق كتابات كثيرة من هذا النوع، تشتمل على قوانين وأخبار تاريخية وعلمية» اهـ.

قال أبو عبيدة: لي هنا ملاحظتان:

الأولى: بينما كان علماء الآثار جادين في طريق الكشف عن الآثار الباقية التي خلفها البابليون والآشوريون؛ كان علماء اللغات يسايرونهم في جدهم، ويفيدون من جهودهم ونتائج أبحاثهم في حل الرموز اللغوية؛ التي تمثلت في النقوش القديمة التي عثر عليها آشور وبابل، وكان الألماني جورج فردريك جروتفند واكتشف أنَّ النقوش الفارسية تحتوي ثلاثة أنواع من الكتابات المسمارية، بحيث إن اكتشاف أحد هذه الأنواع الثلاثة يؤدي إلى اكتشاف النوعين الآخرين، وأنَّ الكتابة الفارسية أبجدية، =

= وليست مقطعية، وأنه يجب أن تقرأ من اليسار إلى اليمين، وأنَّ هذه الأبجدية مكونة من (٤٠) حرفًا تشتمل على رموز الحركات الطويلة والقصيرة، ومن كتبه:

Neue Beitrage zur Erläutrung der persopolitanischen Keilschrift 1837.

Neue Beitrage zur Erläunung der babylonischen Keilschrift 1840.

وهو أول من طرق باب البحث في هذا الميدان؛ فقد نشر في سنة ١٨١٥م ترجمة لبعض نقوش قصيرة خلفها ملوك فارس من الدولة الأخمينية، وقد كان هذا العمل سببًا مباشرًا حفز السير هنري روالنسون -أبرز فحول هذا الميدان- إلى أن يقوم ببحوث كثيرة، وقد تم على يديه الكشف عن أسرار لغة آشور وبابل ولغة الفرس في العهد الوسيط، وبعد أن قضى ١٥ عامًا في البحث والتنقيب -متذرعًا بالصبر والأناة وقوة الإرادة وصدق العزيمة-؛ وصل إلى نتائج هامة في هذا الصدد؛ فقد نشر سنة ١٨٥١م مذكراته القيمة عن النقوش البابلية والآشورية، وكانت هذه المذكرات تشمل نقش الجزء الخاص ببابل من نقش بهستون، الذي يسجل انتصارات دارا الأول على أعدائه، وقد كتب هذا النص بحروف لاتينية، وترجمه إلى الإنجليزية.

وفي أثناء هذه المدة -نفسها- قام ثلاثة من العلماء الأعلام بأعمال مدهشة لحل هذه المشكلة، وهؤلاء الثلاثة هم: جونز أوبرت Junes oppert، والعلامة الإيرلندي إدوارد هنكس، والبحاثة الإنجليزي فوكس تلبت، وفي سنة ١٨٥٧م تأكد العلماء من دقة أعمال هؤلاء الفرسان الثلاثة إلى أقصى حد، وقد قام التأكد من صحة النتائج التي وصل إليها هؤلاء العلماء الثلاثة على أساس علمي واضح، ذلك؛ أن علماء اللغات عرضوا هذه النتائج لاختبار دقيق؛ بأن جمعوا بعض نسخ من نقش منسوب إلى تجلت بل عزرا الأول الآشوري، عثر عليه حديثًا، وقدمت هذه النسخ لعلماء اللغة الأربعة -الآنف ذكرهم (روالنسون، وأوبرت، وهنكس، وفوكس)-، وطلب إليهم أن يحاولوا حل رموزها؛ بحيث يعمل كل واحد منهم على حدة.

وقد قام هؤلاء بحل الرموز وترجمتها على هذا الأساس، وبمراجعة ترجماتهم، ومقارنة بعضها ببعض؛ وجد أنها تكاد تكون متحدة -تمامًا-، ومن ثم أذاع علماء اللغة أن لغة قديمة كانت تعد لغة ميتة قد بعثت وحلت رموزها، وأنه قد كشف عن صفحة جديدة من صفحات التاريخ القديم للنوع الإنساني، وأن هذا الكشف العظيم =

ج: هو بختنصر[١] الَّذي غزا مملكة العبرانيين، واستولى على بيت المقدس، وسبى العبرانيين إلى بابل.

٥ س: ماذا جرى على العبرانيين في بابل؟

ج: بقي العبرانيون أسارى في أيدي البابليين، حتى غزا الفرس بابل بقيادة

= قد فتح الباب أمام الباحثين من علماء اللغة وعلماء التاريخ لدراسة تاريخ بابل وآشور على أسس علمية دقيقة.

ومنذ ذلك الحين؛ أخذ العلماء في أوربة ينمون الدراسات اللغوية والتاريخية وغيرها، الخاصة بدولتي آشور وبابل، وكان في مقدمة هؤلاء الباحثين -بجانب العلماء الأربعة السابق ذكرهم-: شريدر الألماني، وفردريك ديلتش، وبول هوبت، وسايكس الإنجليزي، وقد نهض هؤلاء العلماء بتنظيم هذه الدراسات، وتسجيل النتائج التي أمكن الوصول إليها حتى عصرهم، وبذلك نشأ علم حديث قيم هو علم الآشوريات Assyriology؛ الذي يشمل المعلومات المنظمة الخاصة بلغة بابل وآشور وآدابهما وتاريخهما السياسي والاجتماعي، وعلى مر الزمان دخلت هذه الدراسة في نطاق العلوم، وتبوأت مكانتها اللائقة بها بين العلوم الاجتماعية التي يعتد بها.

«الأمم السامية، مصادر تاريخها وحضارتها» (٢١ - ٢٣) لخالد عبدالقادر.

الأخرى: لعل سبب حذف هذين السؤالين: راجع إلى الاقتصار على ما يتصل بتاريخ اللغات السامية مباشرة، دون تشعُّب كبير في خطها وأصواتها وقواعدها؛ اختصارًا.

(١) يطلق عليه العرب (بختنصر)؛ وهو (نبوكد نصَّر) أحد ملوك السلالة العاشرة في بابل (٦٠٥ - ٥٦٢)، وكان في صراع مستمر مع مصر؛ للسيطرة على سورية وفلسطين، ولما طلب الفرعون (نكو الثاني) مساعدة اليهود؛ هاجم (نبوكد نصر) أورشليم، واحتلها -بعد حصار طويل-، وسبى الآلاف من وجهاء المدينة، وهجَّر اليهود إلى مصر.

«معجم الحضارات السامية» (٨٤١) بتصرف، «الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها» (٩٢-٩٥).

كورش[١] سنة ٥٣٨ ق.م؛ فقضوا على مملكتهم، وأطلقوا سراح سبي بني إسرائيل؛ فرجع من أراد أن يرجع منهم إلى فلسطين.

وما أحسن قول الشاعر:

فَمَا مِن يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوقَها ... وَلَا ظَالمٌ إِلَّا سَيُبلَى بِظَالِمِ[٢]

وقال المتنبي[٣]:

بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَينَ أَهلِهَا ... مَصَائِبُ قَومٍ عِندَ قَومٍ فَوَائِدُ[٤]

٦ س: ما هو مقدار تشابه اللغات السامية وتقارب ألفاظها وتباعدها؟

(١) هو قورش الثاني الكبير -يعرف كذلك باسمه الإغريقي (سيروس)-؛ مؤسس السلالة الفارسية الأخمينية، دخل بابل سنة (٥٣٩ ق.م)، وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين.
«معجم الحضارات السامية» (٦٩٥)، «موسوعة اليهود» (٤/ ١٩٦) بتصرف.

(٢) بلا نسبة في: «التمثيل والمحاضرة» (١٠)، «ثمار القلوب» (٣٣)، «الدر الفريد» (١٠/ ٤١٣)، «روض الأخيار» (٣٩٣).

(٣) أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكوفي الكندي (٣٠٣ - ٣٥٣هـ)؛ الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، وفد على سيف الدولة ابن حمدان (صاحب حلب) فمدحه وحظي عنده وأكرمه.
ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٥/ ١٦٤)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٩٩) «الأعلام» (١/ ١١٥).

(٤) للمتنبي في: «ديوانه» (٩٨)، «الوساطة بين المتنبي وخصومه» (٢٧٨)، «الصبح المنبي» (١/ ٣٦١)، «نهاية الأرب» (٧/ ١٢٧)، «روض الأخيار» (٤٣٨)، «التذكرة الحمدونية» (٢/ ٤٧٨).

ج: دونك جدولًا[(١)] يشتمل على مائة واثنتي عشرة كلمةً بأشهر اللغات السامية:

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب[(٢)] الجزيرة والحبشة
[حرف أ][(٣)]				
أب	أبو	أب	أبا	أب
ابن	بنو	بن	برا	بن
أخ	أخو	أخ[(٤)]	أخا	أخو
أخذ يأخذ	إخوز	أحز[(٥)]	أحد[(٦)]	أخز ياخز
أحد (١)[(٧)]	ادوا[(٨)]	احاد	حد	احد[(٩)]

(١) هذا الجدول مقتبس -في الغالب- من «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣) لـ«ولفنسون»، وقد اقتبسه -أيضًا- ربحي كمال في «دروس اللغة العبرية» كما صرح بذلك في (ص٢٤).

(٢) في الأصل: «الجنوب»، والمثبت من «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣) و«دروس اللغة العبرية».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في الأصل، والمثبت من «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣).

(٤) في الأصل ليست نقطة الخاء، وهي أميل إلى ضمة مزيدة، وعند ولفنسون حرف الحاء -فقط-: «أح»، «أحا»، «أحو»، انظر: «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣).

(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أحز ياحز».

(٦) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أحد نحُود».

(٧) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أَحَدٌ (واحد)».

(٨) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أَدُو».

(٩) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أَحَدُ».

لغات جنوب الجزيرة والحبشة	آرامي	عبري	آشوري بابلي	عربي
ازن[(١)]	أودنا	أزن	أزنو	أذن
سنيت	ترين	شنايم	شنا	اثنتان[(٢)]
أرض	أَرْعا[(٤)]	ارص[(٣)]	أَرْصتُو	أرض
اربع[(٨)]	اربع[(٧)]	اربع[(٦)]	أَرْبَعُو	اربع[(٥)]
سم	شْمَا	شم	شُومو	اسم[(٩)]
[أُمّ][(١٠)]	امَا	أم	أُمُّو	أم
أَمَة	أَمْتَا	أَمَه	أَمْتُو	أَمَة
انش	ناشا	انوش	نِشُو	إنسانٌ
انف[(١١)]	أَبَّايا	أف	أبو	أنف

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أَزْن».

(٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «إثنتان».

(٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أَرص».

(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣) «أَرْعا أَرْقا».

(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أَربعٌ».

(٦) في«تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أَرْبَع».

(٧) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أَرْبَع».

(٨) في«تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «أَرْبَع».

(٩) في«تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣): «إِسمٌ».

(١٠) سقطت من الأصل، والمثبت من «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٣).

(١١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «أَنْف».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
أُنثى	اشْشَتُو[١]	اشه[٢]	اتتا[٣]	أَنست
أَيْلٌ	أَيلُو	ايال[٣]	أَيلا	هيّال
حرف ب				
بئْرٌ	بُورُو	بور	برا	بئر[٥]
برق	برقو	باراق	بَرْقا	مبرق
بعلٌ	بلُو	بَعَل	بَعْلا	بَعْل
بِكْر	بُكْرُو	بكور	بُكْرَا	بكر
بكى	ابكي[٦]	بكى[٧]	بكا[٨]	بكا[٩]
بِنتٌ	بنْتُو	بَتْ	بَرْتَا	بنت
بيتٌ	بِتُو	بَيتِ	بَيْتَا	بيت

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «أَشْشَتُو».
(٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «إِشَه».
(٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «أَتتَا».
(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «أَيَّال».
(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «بئر (سبئي)».
(٦) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «إِبْكِي».
(٧) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «بكى يَبْكه».
(٨) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «بْكَا نبْكا».
(٩) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٤): «بْكَا يبكى».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
		حرف ت		
تِسعٌ	تِشُو	تشَعْ	تْشَعْ	تشْعُ
		حرف ث		
ثلاث	شَلاشو	شَلوش	تْلاتْ	شلّاس
ثَمَانٌ	شَمَانُو	شمونه	تْمَانَا	سَمَانِي
ثَوْرٌ	شورو	شور	تَوْرا	سور
ثُومٌ	شومُو	شُوم	تُوما	سومات
		حرف ج		
جمَلٌ	جَمَلو	جَمَل	جَمْلا	جمل
		حرف ح		
حبْلٌ	أبْلُو	حبل	حَبْلَا	حَبْل
حفر يحفر	حَفَر	حَفَر (١)	حْفَر	حفر
حَمٌ	أمُو	حام	حْمَا	حَم
حمارٌ	امرو (٢)	حَمُور	حْمَارا	حمار
		حرف خ		
خَمْسٌ (٥)	خَمْشُو	حمش	حَمْشَا	خَمْس

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٦): «أحَفَر يحْفر».

(٢) في «تار يخ اللغات السامية» (٢٨٦): «إمرو».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
خِنزِيرٌ	خُمْسرُ	حَزِير	حْزِيرا	خَنْزير
حرف د[(١)]				
دُبْس	دِشْبو	دْبَاش	دبْشَا	دبس
دَمٌ	دَمُو	دَم	دْمَا	دم
حرف ذ[(٢)]				
ذئب	زِيبُو	زْاب	دابَا	زاب
ذُبابٌ	زُبُّو	زبوب	دَبُّوبَا	ذبب[(٣)]
ذَكَرٌ	زَكَرُو	زَكَر	زَكَرا	ذكر
ذَنَبٌ	زِبَّاتُو	زَانَاب	دُونْبا	زناب
حرف ر				
رأس	رشو	روش	ريشا	راس
رحم	ارم[(٤)]	رَحم	رْحم[(٥)]	رحم
رَحَضَ	رحص	رَحَص	رحص	رَحَضَ

(١) في الأصل: «حرف ٥»، والمثبت من «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٦).
(٢) في الأصل: «حرف ٦»، والمثبت من «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٧).
(٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٧): «ذبب (مهرة)».
(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٧): «إرم».
(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٧): «رْحم (أَحَبَ)».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
رَكِبَ	ركب	رَكَب[١]	ركب	ركب
حرف [ز][٢]				
زَرْعٌ	زرو	زرَع	زَرْعا	زَرَع
حرف س				
سَبْعٌ (٧)	سِبُو	شِبَعْ	شْبَع	شَبْعُو
سِتٌّ (٦)	شِشو	شِش	شْتَا	سِسُو
سُكْر	سِكَرو[٣]	شِكَر[٤]	شِكْرا	سِكَر
سَلِمَ سَلاَم	شَلَمُو	شَلِم[٥]	شْلَمَا[٦]	سلام[٧]
سِنٌّ	شِنُو	شِن	شِنَا	سِن
سُنْبُلَة	شوبُلْتُو	شِبلُت	شِبلْتَا	سَبْل

(١) في «دروس اللغة العبرية» (٢٨): «رخب»، ولعل الصواب: «رَكَب»؛ كما في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٧) الذي اقتُبس منه.

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٧).

(٣) في «دروس اللغة العبرية» (٢٧): «شكرو»، ولعل الصواب: «سِكَرُو»؛ كما في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٨) الذي اقتُبس منه.

(٤) في «دروس اللغة العبرية» (٢٧): «شخر»، ولعل الصواب: «شِكَر»؛ كما في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٨) الذي اقتُبس منه.

(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٨): «شَلِم شَلُوم».

(٦) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٨): «شْلَمَا شلم».

(٧) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٨): «سلم:سلام».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
سأل[(١)]	إِشْأَل	شَأَل[(٢)]	شْأِل	سال
سَماءٌ	شَمُو	شَمَايِم	شْمَايَا	سَمَاي
حرف ش				
شَمْسٌ	شَمْشُو	شِمِس	شِمْشَا	شمس
شَعْرٌ	شَرْتُو	سِعَار	سَعْرا	سِعِرْتْ
حرف ص				
صَرَخَ	صرخ	صَرَح	صْرَح	صرخ
حرف ض				
ضَرَّة	صِرِّتُو	صَارَاه	عَرّتَا	ضَرْ
حرف ط				
طَحَنَ[(٣)]	اطن[(٤)]	طَحَن[(٥)]	طَحِن[(٦)]	طحن
طَعْمٌ	طِمُو[(٧)]	طَعَم	طَعْما	طَعْم

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٨): «سأل يسأل».

(٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٨): «شَأَل يِشْأَل».

(٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٩): «طَحَنَ يطْحَنُ».

(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٩): «إِطِن».

(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٩): «طَحَنَ يطْحَن».

(٦) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٩): «طَحِنَ نَطْحِنُ».

(٧) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٩): «طِمو (عقل)».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
طَيِّبٌ	طَبُو	طُوب	طَبَا	طْيب
		حرف ظ		
ظُفْر	صُبْرُو[1]	صِبْرِن[2]	طِفْرَا	ظِفر
ظِل	صِلُّو	صِل	طُلَّا	صلّلوت
		حرف ع		
عَشْر (١٠)	عِشْرو	عِسِر	عْسَرْ	عَشْرُو
عَصَا[3]	عِصُو	عِص	أَعَا	غد
عَظْم	عِصِمْتُو	عِصِم	عَطْمَا	عَضْم
عقرب	عَقْرَبو	عَقْرب	عِقربا	عَقْرَب
على	اِلِي	عَل	عَل	على
عمود	امْدوا[4]	عَمُود	عَمُودَا	عَمَد
عِنَب	إِنْبُو[5]	عْنَب	عِنْبَتَا	عنب[6]
عين	أنو	عَيِن	عَيْنَا	عَين

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٩): «صُپْرُو».
(٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٨٩): «صِپُرِن».
(٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «عضّ: عَصَا».
(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «إمْدو».
(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «إنْبُو (كرم)».
(٦) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «عنب (سبئي)».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
حرف ف				
فَتَحَ	ايت(١)	فتح(٢)	فْتَح	فَتح
فتل(٣)	فتل(٤)	فتل(٥)	فتل(٦)	فتل
فم	بو(٧)	به(٨)	بوما(٩)	أَفْ
حرف ق				
قَرُب(١٠)	قرب	قرب(١١)	قْرب	قرب
قَرْن	قَرْنُو	قِرنِ	قَرْنَا	قَرْن
قمح	قِمُو	قَمح(١٢)	قَمْحَا(١٣)	قَمْح(١٤)

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «إِپْتِ».
(٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «فتح.يفْتَح».
(٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «فتل يفتل».
(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «ڤتل».
(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «ڤتل يفتُل».
(٦) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٠): «ڤْتَل».
(٧) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩١): «پُو».
(٨) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩١): «پِه».
(٩) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩١): «پُوما».
(١٠) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩١): «قرُب يَقْرب».
(١١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩١): «قرُب يَقْرب».
(١٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩١): «قمح (دقيق)».
(١٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩١): «قمحا (دقيق)».
(١٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩١): «قمح (فاكهة)».

لغات جنوب الجزيرة والحبشة	آرامي	عبري	آشوري بابلي	عربي
قَشت	قَشْتَا	قِشت	قَشْتُو	قوس
حرف ك				
كَبد	كَبْدَا	كابد	كبتُو	كَبِد
كَرْش	كَرْسَا	كرس	كَرْشُو	كَرش
كَلْب	كَلبَا	كِلِب	كَلْبُو	كلب
كوكَب	كَوكْبَا	كُوكَب	كَاكبو	كوكب
كُلِت	كُلْتا	كِلْيَة[١]	كَلِتو	كِلية
كُل	كُل	كُل	كلُلاتو	كُل
كَمَا	كَ: كْما	كُمُا: كَ	كِمَا: كِ	كما
حرف ل				
لِبّ	لِبَا	لِب	لِبُّو	لب[٢]
لبس	لبش	لَبَش[٣]	لبش	لَبِس
لِسَان	لِشَنَا	لَشُون	لسانو[٤]	لسان
لَهْب	شَلهِب	لَهب	لابو	لهب

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩١): «كِلْيه».

(٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٢): «لب (قلب)».

(٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٢): «لَبَش يلبش».

(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٢): «لِشَانو».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
ليل	لِيلَتو	لِيْلَه(١)	لِلْيَا	لِيله
حرف م				
ماء	مُو	مايم	مَايَا	مَاي
مائة	مِأتُو	مِأه	مَاا	مِاأت
متى	مَتي(٢)	مَتَى(٣)	أمَتْ	مت(٤)
مثل	مِشْل	مَشَل	مثل مَتْلا	مسل
مَرَّ	مَرُّو	مَر	مَرْ(٥)	مَرَّا مِمْرَا
ملك	مَلْكُو	مِلِك(٦)	مَلْكَا	ملكي(٧)
موت	مُوتُو	مَوت	مَوْتَا	مُوت
حرف ن				
نسر	نَشْرُو	نِشِر	نِشْرَا	نِشْر

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٢): «لَيْلَه لَيل».

(٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٢): «متى».

(٣) في «دروس اللغة العبرية» (٢٧): «متي»، ولعل الصواب: «مَتَى»؛ كما في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٢) الذي اقتُبس منه.

(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٢): «مت (ى)».

(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣): «مَرْ نِمَر (فعل)».

(٦) في «دروس اللغة العبرية» (٢٧): «ملخ»، ولعل الصواب: «مِلِك»؛ كما في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣) الذي اقتُبس منه.

(٧) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣): «ملكى (سيد)».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
نَفَخَ (١)	نفح (٢)	نفح (٣)	نفح (٤)	نفخ
نفس	نَبْشْتُو (٥)	نِفِش	نَفْشَا	نَفْس
نَمِر	نِمْرُو	نَمِر	نِمْرَا	نَمر
حرف و (٧)				
ودّ (٧)	ودّ	يَدَد	يِدُّ	وُدَّ
ورق	وَرْقُو	يِرِق (٨)	يَرْقَا	وَرق (٩)
وَقَر (١٠)	وَقْرُو	يَقَر	ايقَر (١١)	وَقر

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣) «نَفَخَ يَنْفُخ».

(٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣) «نفح».

(٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣) «نَفَح يَنفح».

(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣) «نفح».

(٥) في «دروس اللغة العبرية» (٢٧): «نفشتو»، ولعل الصواب: «نَپِشْتُو»؛ كما في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣) الذي اقتُبِس منه.

(٦) ابتدأ ولفنسون هذا الجدول بمقارنة واو العطف بين هذه اللغات. انظر: «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣).

(٧) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٣): «وَدَّ يود».

(٨) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٤): «يِرِق يَرَق».

(٩) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٤): «وَرق (الذهب)».

(١٠) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٤): «وقر.وقار».

(١١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٤): «إيقر نيقر».

عربي	آشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
وَلَدَ[١]	وُلِد	يَلَد[٢]	إِيلِدْ[٣]	وَلَد[٤]
حرف ي				
يَد	إِدُو	يَدْ	إِيدَا	أَدْ
يمين[٥]	إِمْنُو	يمين	يمِينا	يَمَن
يَوم	أُمْنُو	يُوم	يَوَمَا	يُوم

٧ سؤال: قد عرفت شيئًا من تاريخ القسم الشرقي؛ فهل لك أن تخبِرَني عن القسم الغربي؟

ج: نعم؛ القسم الغربي ينقسم -أيضًا- إلى قسمين: شمالي وجنوبي.

٨ س: ما هو القسم الشمالي؟

ج: القسم الشمالي -أيضًا- **ينقسم إلى قسمين:**

أحدهما: الكنعاني[٦]؛ ويشمل العبراني والفينيقي.

---

(١) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٤): «وَلَدَ يَلِد».

(٢) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٤): «يَلَدَ يِلِد».

(٣) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٤): «إيلِدْ نيلِد».

(٤) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٤): «وَلَد يلَد».

(٥) في «تاريخ اللغات السامية» (٢٩٤): «يمين.ناحية».

(٦) يرى ولفنسون أن اللغة العبرية ليست لهجة كنعانية، وإنما هما لغتان مختلفتان؛ لمَّا تقاربتا في المكان تشابهتا، وكذلك الحال مع الآرامية.
انظر: «تاريخ اللغات السامية» (٧٩).

والثاني: الآرامي، وسيأتي تفصيله.

٩ س: وما هو القسم الجنوبي؟

ج: الجنوبي -أيضًا- **ينقسم إلى قسمين:**

الأول: العرب المتكلِّمون بلغة القرآن؛ وهي لغة القبائل الَّتي سكنت النواحي الشمالية من جزيرة العرب.

والثاني: القبائل التي سكنت الجنوب؛ كسبأ وحمير[١] ومعين، ومن هذا القسم: الحبشة الأقدمون[٢].

(١) هم شعب قديم من فروع السبئيين القحطانيين، ويعرفون بـ(هوميريتا)، ابتدأ عصرهم سنة (١٠٥ق.م)، وقد تميزوا بنزعتهم الحربية؛ فحاربوا ملوك الفرس والأحباش، وسيطروا على القسم الأكبر من جنوبي الجزيرة العربية، وعلى قسم من إفريقيا الشرقية، وقد انتهت دولتهم سنة (٥٢٥م).
«معجم الحضارات السامية» (٣٦٧) بتصرف.

(٢) إذا رجحنا هذا الرأي؛ الذي يبدو أنه أقرب الآراء إلى الحقيقة في نظر المؤرخين، فكيف نتصور طريقة هجرة الساميين من بلاد العرب وانتشارهم في البلاد المختلفة، ثم استقرارهم في الأقطار التي انتهى أمرهم إلى استيطانها؛ وهي -على الأخص- بابل وآشور وسوريا وفلسطين وجنوبي بلاد العرب والحبشة؟
يقول شريدر (schrader) الألماني -في الجواب عن هذا السؤال- ما خلاصته:
إنَّ الساميين الشماليين -أي: الآراميين والبابليين والكنعانيين (والآشوريين)- قد رحلوا -معًا- عن قلب الجزيرة العربية إلى بابل؛ تاركين من ورائهم سائر البطون السامية، وأقاموا في جنوبي العراق -أي: في بابل- زمنًا طويلًا، حتى ضاقت بهم الأرض؛ فرحل عنها الآراميون، واتجهوا نحو الغرب، وأقاموا بسوريا؛ حيث أسسوا دويلات متعددة، ثم تبعهم الكنعانيون؛ فهاجروا من بعدهم -بعدة قرون- من بابل، واتجهوا نحو الجنوب الغربي، واستقروا بفلسطين، وأخيرًا هاجر الآشوريون إلى شمال العراق؛ حيث أسسوا الدولة الآشورية، وحدثت في الوقت نفسه هجرةٌ نحو =

١٠ س: ما هي القبائل العاربة؟ وما هي القبائل المستعربة؟

ج: هذا سؤالٌ أقرب إلى علم التاريخ والأخبار، ولا يدخل في علم اللُّغات.

والجواب: إنَّ المتكلِّمين بلغة القرآن -وهم قريش ومن جاورَهم وتكلَّم بلسانهم- يُسمَّون (العرب المستعربة) أو (العرب العدنانية)، والمتكلِّمون بلغات أقصى الجنوب -وهم أهل سبأ ومعين وحمير- يُسمَّون (العرب العاربة)[١] و(العرب القحطانية)[٢].

= الجنوب؛ فأقامت بطون من الساميين على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب وما جاوره؛ حيث أسسوا دولًا عظيمة متعاقبة في اليمن وما حوله، ومن هنالك هاجرت بطون سامية إلى إفريقية بطريق بوغاز باب المندب، واستقرت ببلاد الحبشة وما حولها.
«الأمم السامية» (٦٥).

(١) قد يطلق بعض العلماء الأقدمين لفظ (العاربة) على العرب البائدة التي انمحت آثارها، ويطلقون لفظ (المتعربة) على القحطانيين، يقول ابن حجر: «ويقال: إن قحطان أول من تكلم بالعربية؛ وهو والد العرب المتعربة، وأما إسماعيل؛ فهو والد العرب المستعربة، وأما العرب العاربة؛ فكانوا قبل ذلك؛ كعاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وغيرهم».
انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٣٥٠).
وهنالك نقوشات ما زالت محفوظة -وهي ثمودية- في (جبة) بحائل و(قاع قريحة) و(الطوير) و(القدير) بسكاكا ومنطقة رم (بين ثليثوات وقيعان والصنيع)، درسها جماعة من الباحثين، وهي بالعربية، وللدكتور خالد بن محمد عباس أسكوبي «دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة رم بين ثليثوات وقيعان والصنيع، جنوب غرب تيماء»، وفي أولها (ص١٤ - ٢٢) إحدى وعشرون دراسة سابقة له في هذا المضمار.

(٢) سبق الكلام عن الخلاف الوارد على هذا التقسيم في المقدمة (ص٨٨ وما بعدها).

١١ س: هل القسم الجنوبي الأول -وهم العرب المستعربة المتكلِّمون بلغة القرآن- كلُّهم عدنانيُّون، لم يختلط معهم شيءٌ من القبائل القحطانية؟

ج: بلى؛ ثبت أنَّ بعض القبائل انتقلت من الجنوب الأقصى -وهو أرض قحطان- إلى الجنوب الأدنى -وهو أرض عدنان-، واختلطوا بالقبائل العدنانية؛ فتغيَّرت لغتُهم، وصاروا يتكلَّمون بلغة القرآن.

١٢ س: وما الدَّليل على ذلك؟

ج: الدليل هو بقاء شيءٍ من اللغة القحطانية في ألسنة هؤلاء المنتقلين؛ كقبيلة طيِّء؛ فإنَّها انتقلت من القحطانيين إلى العدنانيين، وبقي في لغتها أثرٌ من اللغة القحطانية؛ كـ(ذو) بمعنى (الَّذي)، و(ذات) بمعنى (الَّتي)، و(ذوات) بمعنى (اللَّاتي).

قال شاعرُهم سِنَان بن الفحل[١] (من الوافر):

فَــإنَّ المَــاءَ مَــاءُ أَبِــي وَجَــدِّي وَبِئري ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ[٢]

---

(١) سِنَانُ بن الفحل؛ أخو بني أم كهف، من قبيلة طيئ، شاعر إسلامي كان في عهد الدولة الأموية (المروانية).
انظر: «خزانة الأدب» (٦/ ٤٠).

(٢) طوى الشيء: إذا غطاه وأدرجه، يقول ابن فارس: «طوى: الطاء والواو والياء؛ أصل صحيح يدل على إدراج شيء، حتى يدرَج بعضُه في بعض، ثم يحمل عليه تشبيهًا، يقال: طَوَيتُ الثوب والكتاب طيًّا أطويه...والطَّوِيّ: البئر المطوية».
انظر: «مقاييس اللغة» (٣/ ٤٢٩).

وَلَكِنِّي ظُلِمْتُ فكِدْتُ أَبْكِي ... من الظُّلمِ المُبَرِّحِ[١] أَو بَكَيْتُ[٢]

وقال الآخر -وهو رؤبة بن العجاج[٣]- (من الرجز):

جَمَعْتُها من أَيْنُقٍ[٤] سَوابِقِ ... ذَوَاتُ يَنهَضنَ بغَيرِ سَائِقِ[٥]

(١) الظلم المُبَرِّحُ: الشديد الشاق، قال ابن فارس: «برح: الباء والراء والحاء؛ أصلان يتفرع عنهما فروع كثيرة، **فالأول**: الزوال والبروز والانكشاف، **والثاني**: الشدة والعِظم وما أشبههما... وضربه ضربًا مُبَرِّحًا، وهذا الأمر أبرح علي من ذاك؛ أي: أشق».
انظر: «مقاييس اللغة» (١/ ٢٣٨ - ٢٤٠).

(٢) انظر: «أمالي ابن الشجري» (٣/ ٥٥)، «خزانة الأدب» (٦/ ٣٥)، «مجمع الأمثال» (١/ ٦٨)، «شرح ديوان الحماسة» (٤٢١) للمرزوقي، «شرح ديوان الحماسة» (١/ ٢٣١) للتبريزي، «شرح كتاب الحماسة» (٢/ ٢٩٧) للفارسي، «شرح ديوان المتنبي» (٤/ ٨٨) للعكبري.

(٣) أبو الجحَّاف -وقيل: أبو محمد- رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي (ت ١٤٠هـ)؛ راجز من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، لما مات رؤبة؛ قال الخليل: «دفنا الشعر واللغة والفصاحة».
انظر: «معجم الأدباء» (٣/ ١٣١١)، «الأعلام» (٣/ ٣٤).

(٤) أينق: من جموع (الناقة)، قال ابن فارس: «نَوَقَ: النون والواو والقاف؛ أصل يدل على سمو وارتفاع... وممكن أن يكون الناقة من هذا القياس؛ لارتفاع خلقها».
انظر: «مقاييس اللغة» (٥/ ٢٧١).

(٥) انظر: «لسان العرب» (باب: ذوا وذوي مضافين إلى الأفعال)، «تاج العروس» (مادة: ذو)، «تهذيب اللغة» (باب الذال والميم)، «شرح ابن الناظم» (٦٠)، «همع الهوامع» (١/ ٣٢٦).
وفي «شرح الكافية الشافية» (١/ ٢٧٥) و«شرح التسهيل» (١/ ١٩٦) لابن مالك و«المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» (١/ ٤٠٥): «موارق» بدل «سوابق».
وفي «أوضح المسالك» (١/ ٦٢) و«ضياء السالك» (١/ ١٦١) أوردا الشطر الثاني.

ومن كلامهم: **بالفضلِ ذو فضَّلكم اللهُ بَـهْ، وبالكرامةِ ذات أكرمَكم بَـهْ**[١].

فقولهم (بَـهْ) -بفتح الباء وتسكين الهاء- معناه: بها؛ نُقِلت حركة الهاء إلى الباء بعد حَذْف حركتها، وحَذْف الألف الذي بعد الهاء.

ومثل ذلك قول عامر بن جوين الطائي[٢] (طويل):

فَلَـم أَرَ مثلَهـا خُبَاسـةَ[٣] واجدٍ ... ونَهنَهتُ[٤] نفسِي بعدما كِدتُ أَفْعلَهْ[٥]

قال الصَّبَّان[٦] في «حاشيته على شرح الأشموني» في نواصب الفعل من

(١) انظر: «ضرائر الشعر» (١٢٥)، «أوضح المسالك» (١/ ١٦٢)، «شرح التسهيل» (١/ ١٩٥) لابن مالك، «شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك» (٦٠)، «شرح شذور الذهب» (١٥٩)، «همع الهوامع» (١/ ٣٢٧)، «شرح التصريح على التوضيح» (١/ ١٦٢).

(٢) عامر بن جوين بن عبد رُضاء بن قمران الطائي، شاعرٌ، فارسٌ، من أشراف طيِّئ في الجاهلية، من المعَمَّرين، كان فاتكًا مستهترًا، تبرأ قومه من جرائره.
انظر: «خزانة الأدب» (١/ ٥٣)، «نوادر المخطوطات» (٢/ ٢٠٩)، «الأعلام» (٣/ ٢٥٠).

(٣) الخُبَاسَة: المغنم، و«الخاء والباء والسين؛ أصل واحد، يدل على أخذ الشيء قهرًا ومغالبة...يقال: اختبس الشيء أخذه مغالبة».
انظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ٢٤٠).

(٤) نهنه فلان فلانًا: كَفَّهُ وزجره.
انظر: «مقاييس اللغة» (٥/ ٣٥٣).

(٥) انظر: «ما يجوز للشاعر في الضرورة» (٢٨٥)، «ضرائر الشعر» (١٥١)، «رسالة الصاهل والشاحج» (٨٦)، «حاشية الصبان على شرح الأشموني» (٣/ ٤٦١)، «الكتاب» (١/ ٣٠٧) لسيبويه، «شرح كتاب سيبويه» (٢/ ٢٠١)، «شرح الكافية الشافية» (٣/ ١٥٥٩)، «شرح التسهيل» (٤/ ٥٠) لابن مالك، «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» (٤/ ١٨٨٥)، «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد» (٨/ ٤٢٥٨).

(٦) أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي الحنفي (ت ١٢٠٦هـ)، عالم، أديب، مشارك في اللغة والحديث والسيرة.
ترجمته في: «عجائب الآثار» (٢/ ٣٤٧)، «معجم المؤلفين» (٣/ ٥١٦).

«ألفية ابن مالك» (ج ٣ ص ٣١٥): «وقال المُبرِّد[١]: أراد (أفعلُها) برفع الفعل؛ فنقل فتحة الهاء إلى اللام، وحذف الألف».

أقول: ولغة بعض القبائل في لبنان، ولغةُ أهل تطوان[٢] في المغرب؛ جاريةٌ على ذلك إلى يومنا هذا، ولا شكَّ أنَّهم جاؤوا بها من الأندلس، وعرب الأندلس جاؤوا بها من الشرق.

١٣ س: من المعلوم أنَّ (الحبشة) من إفريقية، وسكَّانها إفريقيون؛ فكيف عدَدْتُم لغتَهم من اللُّغات السَّامية؟

ج: إنما كانت اللغة الحبشية من اللغات السامية؛ لأنَّ بعض قبائل جنوب الجزيرة العربية عبروا البحر إلى بلاد الحبشة واستوطنوها، ثمَّ تَبِعَهم غيرُهم من الإفريقيين[٣].

---

(١) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المبرد الأزدي (٢١٠ - ٢٨٥هـ)، الأديب، النحوي، اللغوي، الأخباري، إمام اللغة، ورأس النحاة البصريين في زمانه، تتلمذ على يديه خلق كثير، وترك مصنفات كثيرة جليلة؛ كـ«الكامل» في اللغة والأدب و«المقتضب» في النحو، وغيرهما.
ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٤/ ٦٠٣)، «طبقات النحويين و اللغويين» (١٠١)، «إنباه الرواة على أنباه النحاة» (٣/ ٢٤١)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٧٦)، «معجم المؤلفين» (٣/ ٧٧٣).

(٢) تطوان أو تيطاوين أو تطاون: مدينة تقع في شمال المغرب، تلقب بـ(الحمامة البيضاء)، في منطقة الريف الكبير، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بين مرتفعات جبل درسة وجبال الريف، حافظت على الطابع الأندلسي في أحيائها؛ إذ كانت من المناطق التي سكنها الأندلسيون، وقد استقر الشيخ الهلالي بها مدة من الزمن.
وقد كانت تطوان -في العصر القديم- مستعمرة فينيقية اسمها (تمودا).
انظر: «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين»، «معجم الحضارات السامية» (٢٨٣).

(٣) انظر: «الأمم السامية: مصادر تاريخها وحضارتها» (٦٢، ٦٥، ١٢٠)، وما سبق من كلام شريدر الألماني في التعليق على جواب رقم (٩).

[الفصل الثاني
الكنعانية وفروعها (العبرية خاصة)][(١)]

١٤ س: قد عرفنا شيئًا من أخبار القسم الجنوبي من الأقوام الساميين؛ فمَن هم أهل القسم الشمالي؟ وما أخبارهم؟

ج: أوَّل من نذكرهم من أهل القسم الشمالي هم العبرانيون.

فنقول: إنَّ الشعب العبراني من الشعوب القديمة، له صيتٌ وشهرةٌ في العالم -كلِّه-، وكان من انتقالهم إلى مصر، وخروجهم منها، وقيادة موسى لهم؛ ما هو معروفٌ، ولا طائلَ في إعادته -هنا-[(٢)].

---

(١) ما بين المعقوفتين من إضافتنا.

(٢) للعلماء أربعة آراء في تسمية بني إسرائيل بـ(العبرانيين):

الأول: أنهم سموا بذلك نسبة إلى عابر جد إبراهيم الأكبر، وإنما نسبوا إليه دون غيره من أجداده؛ لأن عابر كانت له شهرة عظيمة في التاريخ، **وهذا الرأي هو أرجح الآراء.**

الثاني: أنهم نسبوا إلى عبور النهر؛ أي: عبوره إلى الجهة الأخرى منه، والمراد بـ(النهر) -هنا-: إمَّا نهر الفرات الذي عبره إبراهيم ومن معه بعد أن هاجروا من مدينة أور، وإمَّا أن يكون نهر الأردن الذي عبره هؤلاء حينما كانوا قادمين من كنعان، والمراد بـ(عبور النهر) -هنا-: إلى الجهة الشرقية منه، وقيل: إن الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم هم الفينيقيون الكنعانيون، أو جماعة منهم كانوا يقيمون على الضفة الغربية من النهر، أو على عبره الثاني المقابل للعبر الأول. =

١٥ س: هل لك أن تذكرَ لنا شيئًا من تاريخ الأمة العبرانية قبل التحدُّث عن لغتها؟

ج: نعم؛ بعد موت موسى وهارون[1] عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ كان الأمر والنهي -برهة

= **الثالث:** وهو أنَّ كلمة (عبرانيون) جمع (عبراني)، والعبراني -هنا- في رأي هؤلاء الناس: هو إبراهيم، وإنما أطلق عليه لفظ (عبراني)؛ لأنه كان كثير التجول في البلاد الشرقية طلبًا لكسب الرزق بالتجارة، وكان له شركاء وأعوان في ذلك، تعلموا لغته الأولى -وهي الكلدانية-، وكانوا يعاملون الناس بها في تجارتهم!!

الرابع: وهو رأي إسرائيل ولفنستون الذي شرحه في كتابه «تاريخ اللغات السامية»، **وخلاصته:** إنَّ كلمة (عبري) تساوي (عربي)، وكلٌّ منهما يفيد المتنقل المتجول في الصحراء، والتاريخ يؤكد ذلك؛ فإن كلًّا من العرب والعبرانيين كانوا -قبل أن ينشئوا الدول، ويستقروا في المدن- قبائل تتجول في صحراء بلاد العرب طلبًا للكلأ لرعي الماشية، والماء لسقياها!!

قال أبو عبيدة: أردأ هذه الأقوال الثالث والرابع؛ لأن الله -سبحانه- نفى أن يكون إبراهيم يهوديًّا؛ فهو ليس عبرانيًّا، وبنو إسرائيل نسبة إلى يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وليس له.

وللاطلاع على بعض ذلك؛ انظر: «بنو إسرائيل في القرآن والسنة» (١٤ - ٣٥)، «معجم الحضارات السامية» (٣٨٢، ٥٨٤)، «تاريخ اللغات السامية» (٧٦ - ٨٠)، «الأمم السامية» (١١٠).

(١) إن الاعتقاد اليهودي في كلٍّ من موسى وأخيه هارون؛ مخالف لما جاء به دين الإسلام، فموسى -عند اليهود- قد رأى ربهم (يهوه) وجهًا لوجه، وتردد في قبول رسالة إلههم لأسباب؛ منها: أنه كان غاضبًا من الإله؛ لأنه هجر جماعة (يسرائيل) لمدة من الزمن، أما هارون؛ فهو -عندهم- مِن صُنع العجل الذهبي، وبنى له مذبحًا. انظر: «موسوعة اليهود» (٤/ ١٣٨ - ١٣٩)، و«شريعة البقرة الحمراء في مشناة التلمود، النص العبري للمشناة وترجمته، طريق اليهود لهدم المسجد الأقصى» ترجمة وتقديم نبيل أنس الغندور، ومقالة الدكتورة ليلى إبراهيم أبو المجد بعنوان (شريعة البقرة الحمراء، التوظيف السياسي للنص الديني عند اليهود) المنشورة في مجلة «وجهات نظر»، العدد (٣)، سنة ٢٠٠٠م.

من الزمان- لرؤساء[(١)] يقال لهم (القضاة)؛ أي: الحكام، ثم مَلَك شاؤول[(٢)] في سنة (١٠٣٠) ق.م، وشاؤول هو الذي يُسمَّى عند العرب (طالوت)، ومات شاؤول سنة (١٠١٠) ق.م -تقريبًا-، وقصة طالوت: من تولِّيه المُلك، إلى المعركة الحاسمة التي وقعت بينه وبين الكنعانيين، وفيها قتل داوودُ جالوت[(٣)] ملك الكنعانيين، وكان داوود -حينئذٍ- شابًّا من جنود طالوت؛ كلُّها مذكورةٌ في القرآن الكريم في سورة البقرة (من الآية ٢٤٦ إلى ٢٥١)[(٤)]، ثم مَلَك بعده

(١) في الأصل كانت بعد «الأمر والنهي»، فضرب عليها، وكتب في الهامش: «لرسا»، ثم كتبها فوق «الزمان»، وأشار إلى وضعها بعد: «الزمان»، ويعضده ما جاء في «معجم الحضارات السامية» (٩٢٥): «توالى مِن ثَم على قيادة العبرانيين رؤساء أطلق عليهم اسم (القضاة)...».

(٢) معنى (شاؤول) في العبرية: «الذي سُئل من الإله»؛ وهو أول ملوك العبرانيين (١٠٣٥- ١٠١٥ق.م).
انظر: «موسوعة اليهود» (٤/ ١٧٤)، «معجم الحضارات السامية» (٥٢٧)، «الأمم السامية» (١١١)، «القرآن والتوراة: أين يتفقان وأين يفترقان» (١/ ٣٠٣).

(٣) واسمه عند اليهود (جُليات Goliath)؛ وهو محارب فلسطيني، كان من الجبابرة، قتله داود بالمقلاع.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٣٠٢ - ٣٢٠)، «القرآن والتوراة: أين يتفقان وأين يفترقان» (١/ ٣٠٤).

(٤) إلا أن القصة التي يعتمدها اليهود ومعظم الدارسين للغات السامية؛ مغايرة لما جاء به الذكر الحكيم، فطالوت في اعتقاد اليهود ليس رجلًا صالحًا حكيمًا، اصطفاه الله، وزاده بسطة في العلم والجسم -كما وصفه القرآن الكريم-؛ وإنما هو -عندهم- رجل ضعيف الإرادة، متقوقع، كئيب، مات منتحرًا!
أما داود فكان -حسب اعتقادهم- راعيًا، وقاطع طريق، ثم صار ملكًا، ولم يكن نبيًّا، وتخلع عليه «التوراة» أوصافًا غير محمودة؛ فتصوره كزعيم همجي! وكذلك سليمان؛ هو مجرد ملِك، بدأ مُلكَه بقتل أخيه، وذبح أناسًا آخرين! =

داوود إلى (٩٧٠) ق.م، وخلفه سليمان -ابنه- إلى (٩٣٣) ق.م -تقريبًا-.

١٦ س: ماذا جرى بعد وفاة سليمان بن داود؟ وإلى مَن صار المُلك بعده؟

ج: بعد وفاة سليمان؛ انقسمت المملكة الإسرائيلية إلى مملكتين: المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية، وكان ذلك في سنة موت سليمان (٩٣٣) ق.م[١].

= انظر: «موسوعة اليهود» (٤/ ١٧٤- ١٧٨)، «معجم الحضارات السامية» (٣٩٥ و٤٨٧ و٥٢٧)، «داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم: دراسة لغوية تاريخية مقارنة» رسالة دكتوراه للباحث أحمد عيسى أحمد، كلية دار العلوم في القاهرة، سنة ١٩٩٠م، «سيدنا داود بين القرآن والتوراة والإنجيل» رسالة ماجستير للباحث صالح محمد أحمد، كلية أصول الدين في الأزهر، سنة ١٩٨٠م.

(١) لمَّا مات سليمان؛ قام بالأمر بعده ابنه رحبعام، فانتقل إلى شكيم وجعلها عاصمة ملكه، وهناك؛ طلبت منه الأسباط أن يخفف عنهم ما فرض أبوه عليهم من الضرائب؛ فأبى، فاستدعوا يربعام بن نباط الذي فر من وجه سليمان إلى مصر، وهو من سبط أفرايم، وأقاموه ملكًا عليهم، واجتمع إليه عشرة أسباط، أمَّا السبطان الباقيان -وهما يهوذا وبنيامين-؛ فقد تبعوا رحبعام بن سليمان الذي أسس دولة يهوذا، وكان من أمر رحبعام: أنه لمَّا طلبت إليه الأسباط أن يخفف عنهم الضرائب؛ أمهلهم ثلاثة أيام يستشير فيها رؤساء الدولة، فاستشار كبار الحكماء؛ فأشاروا عليه بأن يجيبهم إلى طلبهم ليحتفظوا بولائهم له، ولكنه لم يكتف بذلك؛ بل أخذ يستشير أتباعه من الشبان الذين كان يظن أنهم كانوا صادقين في ولائهم، فأشاروا عليه برفض طلب الأسباط، ومال إلى هذا الرأي الأخير.

ولما جاءت الأسباط ليستمعوا إلى رأيه الأخير؛ فاجأهم برفض طلبهم، وأخذ يهددهم في عبارات شديدة اللهجة؛ ذكرت في «العهد القديم» (ملوك ١ - ١٢ أخبار أيام ثان).

ولما لم يعجبنهم هذا الرد؛ قال بعضهم للبعض: ما لنا وآل داود؟! فاتجهوا إلى يربعام، وجعلوه ملكًا عليهم حوالي ٩٥٥ ق.م، وكان يربعام سيئ السيرة؛ فقد منع إسرائيل من حج أورشليم، وأقام عجلًا في أطراف مملكته، وطالب الناس بعبادته،=

١٧ س: ماذا جرى على المملكة الشمالية؟

ج: في سنة (٧٢٢) ق.م[(١)] غزا مَلِكُ آشور سرجون[(٢)] مملكةَ بني إسرائيل الشمالية؛ فقضى عليها، وسبى بني إسرائيل، وأخذهم إلى العراق.

١٨ س: وماذا جرى على المملكة الجنوبية؟

ج: أما المملكة الجنوبية -وتسمى (مملكة يهودا)[(٣)]-؛ فقد تأخَّر بقاؤُها

= وكان قد تعلم ذلك من المصريين، وكان من نتائج ذلك أن فر الكهنة واللاويون إلى الجنوب، ثم أخذ يربعام -هذا- يستغيث بالأجانب في الأمور الخارجية، فلما قامت الحرب بينه وبين رحبعام؛ استعان بشيشق ملك مصر؛ ولكن يربعام هزم، ومات بعد أن ملك ٢٢ سنة، وتولَّى بعده ملوك من نسله، وبعضهم من قوَّاد جيشه، وكانوا -جميعًا- أشرَّ منه، ثم انفصلوا انفصالًا تامًّا عن الجنوبيين، واتخذوا مدينة السامرة حاضرة لهم؛ فظلت للإسرائيليين إلى أن زال ملكهم حوالي ٧٢٢ ق.م.
وكان من أهم أسباب سقوط إسرائيل: سوء تصرف ملوكهم، وبخاصة بعد يربعام الثاني؛ فقد عرَّضوا بلادهم لأشد الأخطار، وسلكوا مسلك المعاداة والعناد مع الدول المجاورة لهم، وانتهكوا حرمات الله، وأغفلوا شرائعهم الحكيمة، وعبدوا الأصنام والكواكب، وشاع بينهم السحر والكهانة، وصنعوا لهم عهدًا قائمًا بذاته هو «العهد القديم السامري»، كما وضعوا حروفًا أبجدية مخالفة للحروف العبرية، ولهذه الأسباب؛ انحطت دولتهم لدرجة أنه كان من يتولَّى الأمر منهم لا يبقى ملكًا إلَّا لشهر أو لأشهر قليلة، وقد شعروا بالضعف حتى استعانوا بملوك بابل لحمايتهم، وكانوا يقدمون لهم الجزية، وما زال أمرهم في ضعف إلى أن أغار عليهم تجلت بلسر الثاني توالت وغارات الآشوريين عليهم إلى أن جاء سرجون الثاني؛ فسقطت في يده السامرة عام ٧٢٢ ق.م.
انظر: «الأمم السامية» (١١٤ - ١١٥).

(١) (ق.م) سقطت من الأصل.

(٢) هو سرجون الثاني؛ خلف شلمنصر الخامس في مُلك آشور (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م).
«معجم الحضارات السامية» (٤٧١) بتصرف.

(٣) مملكة يهوذا: نشأت بعد الانفصام الذي جرى في مملكة العبرانيين، إثر وفاة الملك =

إلى (٥٨٦) ق.م، وفي تلك السنة غزاها مِلك بابل بختنصر؛ فقضى عليها، وسبى أهلها إلى بابل، وفي تلك الغزوة خرَّبَ مدينة بيت المقدس، وهدم المسجد الأقصى الذي بناه سليمان، وبذلك؛ تمَّ القضاء على مملكة بني إسرائيل، وعلى الشَّعب الإسرائلي، على يد ملِكَين عراقيَّين: **أولهما** ملِك مملكة الشمال، **وثانيهما** ملِك مملكة الجنوب.

١٩ س: ماذا جرى على بني إسرائيل بعد سبيهم إلى بابل؟

ج: في سنة (٥٣٩) ق.م غزا ملك الفرس كيروس[(١)] مملكة بابل، واستولى عليها، وأعتق اليهود، وأطلق سراحهم؛ فرجع من شاء أن يرجعَ منهم إلى فلسطين.

٢٠ س: ماذا جرى على اليهود بعد أن استعادوا حريتهم؟

ج: رجعوا إلى فلسطين، وجدَّدوا عمارة المسجد الأقصى؛ وتلك هي العمارة الثانية لهذا المسجد المقدس عند المسلمين واليهود والنصارى.

٢١ س: هل استعاد اليهود استقلالهم بعد رجوعهم إلى فلسطين واستقرارهم فيها؟

ج: لا؛ بل كانوا تحت سيادة الفرس، ولم يزالوا كذلك إلى أن انتصر

= سليمان حوالي (٩٣٥ ق.م)، وتألفت هذه المملكة من سبطي يهوذا وبنيامين، أما بقية الأسباط؛ فقد شكلوا مملكة إسرائيل.
«معجم الحضارات السامية» (٩٢٦) بتصرف.

(١) هو كورش أو قورش الثاني الكبير، وسبقت ترجمته.

الإسكندر[١] على دارا الأصغر[٢] في أسوس[٣] سنة (٣٣٣) ق.م[٤].

٢٢ س: وماذا جرى على العبرانيين بعد تغلُّب الروم على الفرس؟

ج: صاروا تحت حكم الإسكندر ملك الروم، وخلفه في حكم فلسطين مَنْ ورثَ مُلكه، وخصوصًا ملوك الشام من آل أنتيخوس[٥]، إلى أن جاء دور الملك أنتيخوس أبيفانوس[٦]؛ وكان عاتيًا غشومًا، مَلَك من سنة (١٧٤) إلى (١٦٤) ق.م.

---

(١) هو ألكسندروس الثالث الكبير (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م)، ابن فيليبوس المقدوني، تعلم على أرسطو، وورث عن أبيه ذكاء وحيوية مدهشين، وهو من ألمع الشخصيات التي أثرت في تاريخ المنطقة السامية.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (١١٩).

(٢) هو داريوس الثالث كودومان، ملِك فارس من السلالة الأخمينية (٣٣٥ - ٣٣٠ ق.م)، بعد انهزامه في معركة أسوس؛ عرض على الإسكندر معاهدة سلام، ولكنه رفضه.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٣٩٢).

(٣) مدينة قديمة تقع جنوب شرق الأناضول في تركيا.

(٤) منهم من أورد معركة أسوس بعد معركة غرانيق التي جرت عام (٣٣٤ ق.م).
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٣٩٢).

(٥) هي سلالة سلوقية ملكت سورية؛ ابتدأت مع سلوقوس الأول، ثم ابنه أنطيوخوس الأول (٢٨١ - ٢٦١ ق.م)، وانتهت مع أنطيوخوس الثالث عشر (٦٩ - ٦٤ ق.م).
«معجم الحضارات السامية» (١٤١) بتصرف.

(٦) هو أنطيوخوس الرابع أبيفانوس ملِك سورية (١٧٥ - ١٦٤ ق.م)، احتل مصر سنتين، ثار عليه اليهود في أورشليم؛ فتوجه إليها، وقتل الإخوة المُكابيين السبعة مع أمهم، وحاربه ميتا ويهوذا المكابيان وانتصرا عليه.
«معجم الحضارات السامية» (١٤١) بتصرف.

٢٣ س: ماذا جرى على اليهود في عهد هذا الملك الظالم؟

ج: إنَّه بالغ في الاعتداء على اليهود، واشتدَّ عليهم ظلمه وطغيانه، حتى أراد أن يُكرِهَهم على الدُّخول في دينه الوثني، والسُّجود لأصنامه؛ فامتنعوا من ذلك، فأخذ يبطشُ بهم.

٢٤ س: بماذا قابل العبرانيون هذا البطشَ وهذا العدوان؟

ج: إنَّهم قابلوه بثورةٍ عظيمةٍ؛ استماتوا فيها، واسترخصوا النفوس والنفائس دفاعًا عن دينهم؛ فانهزم عدوهم، وتخلَّصوا من ظلمه.

٢٥ س[١]: وماذا[٢] جرى على العبرانيين بعد ذلك الانتصار؟

ج: استعادوا حريَّتَهم الكاملة، وأسَّسوا دولتَهم، واستمرُّوا على ذلك إلى سنة (٧٠)[٣] ب.م.

٢٦ س: وماذا جرى عليهم سنة (٧٠)[٤] ب.م؟

ج: في هذه السنة؛ غزا تيتوس[٥] مَلِكُ الروم دولةَ اليهود، وقضى عليها.

---

(١) في الأصل تحتها حرف (ج)، تبدو خطأً.

(٢) في الأصل: «وما».

(٣) في الأصل: «سنة (٧)»، ولعل الصواب المثبت؛ إذ هو الذي اتفق عليه بعض الدارسين المعاصرين؛ كما في «موسوعة اليهود» (٤/ ٢١٧) و«معجم الحضارات السامية» (٢٩٠) و«الأمم السامية» (١١٦).

(٤) في الأصل: سنة (٧)، ولعل الصواب المثبت.

(٥) اسمه (تيطوس فلافيوس سابينوس فيسباسيانوس) (٧٩ - ٨١ ب.م)؛ إمبراطور روماني، حاصر أورشليم خمسة أشهر، وهدمها، وأجلى اليهود منها؛ فأصبحوا مشردين في الآفاق.
«موسوعة اليهود» (٤/ ٢١٧)، «معجم الحضارات السامية» (٢٩٠) بتصرف، «الأمم السامية» (١١٦).

٢٧ س: ثم ماذا جرى على العبرانيين بعد القضاء على دولتهم؟

ج: تشتَّتوا وتفرَّقوا أيديْ سبا[١] في جميع البلدان.

٢٨ س: قد عرفنا شيئًا من تاريخ الشعب العبراني من زمان موسى وهارون عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ إلى غزوة تيتوس ملك الروم؛ فحدِّثنا بشيءٍ عن تاريخ لغتهم.

ج: نعم؛ سأحدِّثكم عن ذلك باختصار:

كان لسانُ العبرانيين من أوَّل أمرهم إلى أن سباهم بختنصر إلى بابل، ثمَّ إلى رجوع من رجع منهم إلى بيت المقدس: اللغةَ العبرانيَّةَ -لا غير-، واستمرَّ الأمر على ذلك إلى أن قضى تيتوس -ملك الروم- القضاء المُبرم على دولة اليهود سنة (٧٠)[٢] ب.م؛ فأخذت اللغة العبرانية تتفكَّكُ أوصالها، وتزول من الحياة الاجتماعية، وتنحصرُ بين جدران الكنائس، وفي بطون الكتب[٣].

٢٩ س: وبماذا كان العبرانيون يتكلَّمون بعد ضعف لغتهم ثم اختفائها؟

ج: إنَّهم كانوا قد اقتبسوا اللغة الآرامية مدَّة إقامتهم بالعراق، ولم يزل

---

(١) في الأصل: «سبأ»، وفي «لسان العرب» (١/ ٩٤): «وقالوا: (تفرقوا أيدي سبا وأيادي سبا)؛ فبنوه، وليس بتخفيف عن (سبأ)؛ لأن صورة تحقيقه ليست على ذلك، وإنما هو بدل، وذلك؛ لكثرته في كلامهم».
وهذا مثل تضربه العرب في الفرقة والتمزق والتشرذم؛ تشبيهًا بأهل سبأ لما مزقهم الله في الأرض كل ممزق، ويروى -أيضًا-: «ذهبوا أيدي سبا»، «أيادي سبا».
انظر: «المستقصى في أمثال العرب» (٢/ ٨٨)، «زهر الأكم في الأمثال والحكم» (٣/ ١٦).

(٢) في الأصل: «سنة (٧)»، ولعل الصواب المثبت.

(٣) للاطلاع على التغيرات الطارئة على اللغة العبرية في مسيرتها التاريخية؛ انظر: «فقه اللغات السامية» (١٨ - ١٩) لبروكلمان.

استعمالها يزداد عندهم؛ حتى صارت لغةُ بني إسرائيل في زمان عيسى هي الآراميةَ[١].

٣٠ س: إذا كان اليهود من أوَّل نشأتهم إلى غزوة تيتوس يتكلَّمون باللغة العبرانية[٢]، ثم -بعد ذلك- أخذوا يتكلَّمون بالآرامية؛ فما بالُنا نجد فيهم

(١) بعده في الأصل: سؤال وجواب محوَّق عليه بالقلم، وكتب بجانبه: «يحذف».
ونصه:
«**٣٠ س- نستطيع أن نفهم من الجواب السابق: أن اللغة العبرانية لم تبق لغة حوار ومعيشة؛ يعيش بها الشعب الإسرائيلي، ويستعملها أداة للتفاهم؛ بل ذهبت، وحلَّت محلها اللغة الآرامية، فهل بقيت اللغة العبرانية مختفية -كذلك- إلى يومنا هذا؟**
ج - نعم؛ إن الإسرائيليين بعد تشتتهم في جميع الأوطان؛ أضاعوا اللغة الآرمية -أيضًا-، وصارت كل طائفة منهم تتكلم بلغة البلد الذي تسكنه، وإن كان علماء بني إسرائيل -في القرون الوسطى من التاريخ الميلادي- جددوا أدب اللغة العبرانية، وألَّفوا فيها كتبًا في علوم مختلفة، ونقلوا إليها من علوم العرب وعلوم اليونانيين وغيرهم مقدارًا كبيرًا، إلا أنها لم تعد لها حياتها الأولى؛ حين كانت لغة شعبية يعبِّر بها جميع أفراد الشعب عما يحسون به، لكن نهضة جديدة بدأت في شرقي أروبا، وانتشرت بين أحبار اليهود والقسيسين من النصارى، هذه النهضة؛ أحيت الأدب العبراني في جميع الأقطار، ولا سيما في فلسطين؛ فقد قطعت اللغة العبرانية شأوًا بعيدًا، واستعادت حياتها تمامًا، وصارت لغة المدرسة والإذاعة والجامعة والمجلات والصحف وتأليف الكتب والأسواق والبيوت، ولا يزال انتشارها في ازدياد، وهو عمل لا يسع المطلع عليه إلا الإعجاب به، فإن إحياء لغة مضى على موتها خمسة آلاف سنة؛ لأمر جدير بالإعجاب والتقدير، يندر نظيره في تاريخ اللغات» اهـ.
وقد يكون السبب في هذا الحذف: هو تجنب التَّكرار؛ إذ سيخصِّص الهلالي الجواب عن السؤالين (٤٣) و(٤٤) للحديث عن تطور اللغة العبرية منذ نشأتها إلى عصره، وقد أفاض في ذَين الجوابين.

(٢) ذكر ابن جرير الطبري في «تاريخه» (١/ ٣١٠)، ونقله عنه ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/ ٧٨) مادة (العبرة) -واللفظ له-؛ قال: «إنما نطق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ =

شعراء فحولًا بالعربية؛ كالسَّموءل بن عاديا(١) وشريح بن عمران(٢) وشعبة ابن حريض(٣) وأوس....................................

= بالعبرانية حين عبر النهر فارًّا من النمرود، وقد كان النمرود قال للذين أرسلهم خلفه: «إذا وجدتم فتًى يتكلَّم بالسريانية؛ فردُّوه»، فلمَّا أدركوه؛ استنطقوه فحوَّل الله لسانه عبرانيًّا، وذلك؛ حين عبر النهر، فسمِّيت (العبرانية) لذلك.
قال هشام: إنَّ إبراهيم سمِّي (العبراني) من أجل أنه عبر إلى طاعة الله؛ فكان إبراهيم عبرانيًّا.
وقال -أيضًا-: أول من تكلَّم بالعبرانية موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبنو إسرائيل، حين عبروا البحر وأغرق الله فرعون تكلَّموا بالعبرانية؛ فسمُّوا العبرانيين لعبورهم البحر».
قال أبو عبيدة: خبر نطق إبراهيم بالعبرانية؛ أسنده ابن جرير عن ابن عباس، ورواه عن ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٠) رقم (٨٢) **بسندٍ واهٍ**؛ فلا يلتفت إليه.

(١) هو شاعر عربي من غسان -مشهور-، اكتسب الوفاء من عربيته، وخالف غدر أهل ملته.
ترجمته في: «طبقات فحول الشعراء» (٢٧٩)، «الأغاني» (٢٢/ ٨٤).

(٢) أورد بعض شعره: ابن سلام في «طبقات فحول الشعراء» (٢٨٤) ولم يترجمه، وعلق الشيخ محمود شاكر: «لم أعرف لشريح ترجمة».
ونسبه أبو الفرج إلى السموءل؛ فقال: «لأن الأعشى أدرك شريح بن السموءل».
انظر: «الأغاني» (٢٢/ ٨٤).
ونسبه أبو البقاء الحلي إلى عمران بن السموءل؛ فقال: «شريح بن عمران بن السموءل»، وذكر قصة لشريح مع الأعشى.
انظر: «المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية» (٢/ ٤٨٨).

(٣) كذا في الأصل، ولعله: «شعية بن غريض أخو السموءل ابن غريض بن عادياء اليهودي».
انظر: «المؤتلف والمختلف» (١٨٣) للآمدي.
وفي «خزانة الأدب» (٨/ ٤٣٩): «سعية بن عريض اليهوديُّ الخَيبَريُّ، وهو أخو السَّموءل بن عريض بن عادياء».
وفي «الأغاني» (٣/ ٩٠): «سعية بن غَريض».
وضبطه في «طبقات الفحول» (٢٨٥) بـ«سعية بن العريض». =

. القرظي[(١)] وغيرهم؟

ج: تقدَّم أنَّ العبرانيين بعد تشتُّتهم؛ صارت كلُّ طائفةٍ منهم تتكلَّم بلغة البلد الذي تسكنه، أما من بقي منهم في فلسطين؛ فإنَّهم كانوا يتكلَّمون بالآرامية، ويؤلِّفون بها الكتب، ومن المعلوم أنَّ طائفةً منهم استوطنت بلاد العرب، وتكلَّمت باللغة العربية، وكانت مواطنهم في الحجاز، وفيما بين الحجاز والشام؛ كمدينة تيماء[(٢)] المشهورة في الأدب والتاريخ.

قال امرؤ القيس[(٣)] يصف مطرًا:

وَتَيمَاءَ لَم يَترُكْ بها جِذْعَ نخلَةٍ ولا أُطُمًا[(٤)] إلَّا مَشِيدًا بِجَندَلِ[(٥)]

= وأفاض أبو فهر في تتبعه وإثباته، ثم قال: «هذا؛ وعندي أن تعاقب السين والشين، والعين والغين، في أسماء اليهود: معروف وجائز، وتحقيق ذلك مما يعسر».

(١) هو أوس بن ذبِّي القرظي؛ شاعر يهودي من بني قريظة، أدرك الإسلام ولم يسلم. انظر: «الأغاني» (٢٢/ ٧٧).

(٢) تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من محافظة تبوك، على بعد (٢٦٤ كم)، وتبعد عن المدينة النبوية من الجهة الشمالية الشرقية بمسافة (٤٢٠ كم).

(٣) هو الشاعر المعروف: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو، لقِّب بـ(الملك الضَّليل)، وجعله ابن سلام الجمحي رأس الطبقة الأولى.
انظر: «طبقات فحول الشعراء» (٥١)، «الأغاني» (٩/ ٥٩).

(٤) الأُطُم: هو الحصن المنيع، قال ابن فارس: «أطم: الهمزة والطاء والميم؛ يدل على الحبس والإحاطة بالشيء، يقال للحصن: الأُطُم، وجمعه (آطام)».
انظر: «مقاييس اللغة» (١/ ١١٢).

(٥) انظر: «ديوان امرئ القيس» (٦٦)، «رجال المعلقات العشر» (٢٣)، «شرح المعلقات السبع» (٧٥)، «شرح القصائد العشر» (٥١).
وفي «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» (١٠٥): «**وَلا أُجُمًا إِلَّا مَشِيدًا بجَندَلِ**». =

والأطم: القصر، والجندل: الصخرة الكبيرة.

ومن مدنهم في الحجاز: مدينة خيبر، وكانت لهم في المدينة ثلاث قرى: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فمِن هؤلاء كان أولئك الشعراء.

٣١ س: هل لك أن تذكر لنا شيئًا من أخبار هؤلاء الشعراء؟

ج: نعم؛ **السَّموءل بن عاديا** شاعرٌ مجيدٌ، تضرب به العرب المثل في الوفاء، وكان له قصرٌ منيعٌ، مشرفٌ على مدينة تيماء بين الحجاز والشام، يُقال له: الأبلق الفرد[(١)].

أنَّ امرأَ القيس بن حجر أودعه بنيه وماله وأدرعه الخمس[(٢)]، فطالبه بها الحارث بن ظالم[(٣)]؛ فأبى، فقبض الحارث على ابنه، وكان قد خرج للصَّيد، وهدَّد السَّموءلَ بقتل ابنه، فقال السَّموءل: «شأنك به؛ فلستُ أخفُر ذمَّتي، ولا

= والجندل: الحجر الصلب، ومن الممكن «أن يكون نونه زائدة، ويكون من (الجَدْل)؛ وهو صلابة في الشيء وطيٌّ وتداخل، ويقولون: (خلق مجدول)، ويجوز أن يكون منحوتًا من هذا ومن الجَنَد؛ وهي أرض صُلْبَة».
انظر: «مقاييس اللغة» (١/ ٥١٢).

(١) قيل بأنه سمي بذلك؛ لأن بناءه كان فيه بياض وحمر، يقول ابن فارس: «بلق: الباء واللام والقاف؛ أصل واحد منقاس مطرد؛ وهو الفتح، يقال: أَبْلَقَ الباب وبَلَقَه؛ إذا فتحه كلَّه... وقد يستبعد البلق في الألوان، وهو قريب... فإذا ابيض بعضه؛ فهو كالشيء يفتح».
انظر: «مقاييس اللغة» (١/ ٣٠٢).

(٢) ورد تفصيل هذه القصة في «الأغاني» (٢٢/ ٨٦).

(٣) الحارث بن ظالم المري، أبو ليلى؛ أشهر فتاك العرب في الجاهلية، وكان سيد غطفان. ترجمته في «الأعلام» (٢/ ١٥٥).

أسلِّم مال جاري»، وقال في ذلك شعرًا (من الوافر):

وفَيْتُ بأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إِنِّي إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيتُ(١)

ومن شِعره في الأخلاق؛ قوله (من الخفيف):

يَنفَعُ الطَّيِّبُ القَلِيلُ مِنَ الرِّزْ قِ وَلَا يَنفَعُ الكَثِيرُ الخَبِيثُ(٢)

---

(١) انظر: «المحاسن والأضداد» (٤٨)، «الأغاني» (٢٢/ ٨٦) «التذكرة الحمدونية» (٣/ ١٢) -وفيهما: «**إذا ما ذمَّ أقوامٌ وفيتُ**»-، «مجمع الأمثال» (٢/ ٣٧٤)، «الممتع في صنعة الشعر» (٣٣٩)، «الكامل» (٢/ ١٣٩) -وفيها: «**إذا عاهدْتُ أقوامًا وفيتُ**»-، «محاضرات الأدباء» (١/ ٣٥٢)، «نهاية الأرب» (٣/ ٢٤٠) -وفيها: «**إذا ما القومُ قد غدَرُوا وفيتُ**»-.

(٢) انظر: «الأصمعيات» (٨٦) -وفيها: «الخبيت» -بالتاء- بدل «الخبيث»-، «تهذيب اللغة» (مادة: خبت، بخت) -وقال: «قلت: أَظن «الخَبِيتُ» تصحيفًا؛ لِأَن الشَّيءَ الحَقيرَ الرَّديءَ؛ إِنَّمَا يُقَال لَهُ: الخَتِيتُ -بتاءَين- وَهُوَ بِمعنى: الخَسِيس، فصحَّفَه وَجعله خَبِيتًا»-، «النقد اللغوي في «تهذيب اللغة» للأزهري» (١١٠) لحمدي عبد الفتاح السيد بدران، «قواعد الشعر» (٦٦) -والبيت ضمن قافية التاء، وقال بعدها: «فجمعوا بين العين والغين، والسين والشين، والتاء والثاء»-، «المخصص» (الخسيس والحقير من الرجال، الخبيت) (٣/ ٩٥) -قال: «الخَبِيت: الحَقِير الردِيء، قَالَ أَبُو سعيد السيرافي: الخَبِيتُ لغةُ قُرَيظةَ والنَّضِير، وَمِنه قَول اليَهُودِيِّ:

يَنفَعُ الطَّيِّبُ القَلِيلُ مِنَ الرِّزْ قِ وَلَا يَنفَعُ الكَثِيرُ الخَبِيتُ

قَالَ: وَقَالَ الخَلِيل للأصمعي: هَهُنَا قَالَ (الخَبِيت)، وَمن لغته أَن يُبْدِل الثاءَ تَاء.فَقَالَ: أَسأْتَ فِي العِبَارَة؛ لِأَنَّك أطلقت من لُغته أَن يُبدِلَ الثَّاء تَاء؛ فَعمَّمت بالبَدَل، وَلَو كَانَ ذَلِك؛ لَلَزِمه أَن يَقُول (الكَتِير) فِي (الكَثِير)، وَأَنت تَرْويه (الكَثِير)، وَإِنَّمَا الجيِّد أَن تقولَ: يُبْدلُون الثَّاء تَاء فِي أحرف؛ مِنْهَا: الخَبِيث»-.

وقصيدته التي مطلعها (من الطويل):

إِذا المَرءُ لَم يَدنَسْ مِنَ اللُّؤمِ[(١)] عِرضُهُ ... فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ

وَإِن هُوَ لَم يَحمِل عَلى النَّفسِ ضَيمَها[(٢)] ... فَلَيسَ إِلى حُسنِ الثَّناءِ سَبيلُ

تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا ... فَقُلتُ لَها: إِنَّ الكِرامَ قَليلُ[(٣)]

وهي طويلةٌ مشهورةٌ في الأدب العربي غاية الشهرة.

أما **شريح بن عمران**؛ فهو شاعرٌ مجيدٌ -أيضًا-، ومن شعره (كامل):

آخِ الكِرَامَ إذا وَجَدْ ... تَ إِلَى إِخَائِهِمُ سَبِيلَا

وَاشْرَبْ بِكَأسِهِمُ وَإِن ... تَشرَبْ بِهَا السُّمَّ الثَّمِيلَا[(٤)]

---

(١) اللؤم: هو الخبث والمهانة، قال ابن فارس: «لأم: اللام والألف والميم؛ أصلان: أحدهما الاتفاق والاجتماع، والآخر خُلُق رديء [وهو اللؤم]..يقولون: إن اللئيم: الشحيح، المهين النفس، الدني، السِّنْخ [والسنخ: هو الأصل والمحتد]».
انظر: «مقاييس اللغة» (٥/ ٢٢٦).

(٢) الضيم: هو الظلم، قال ابن فارس: «ضيم: الضاد والياء والميم؛ أصل صحيح، وهو كالقهر والاضطهاد، يقال: ضامَه يضِيمُه ضَيْمًا».
انظر: «مقاييس اللغة» (٣/ ٣٨٣).

(٣) البيت الأول والثاني في: «لباب الآداب» (١٦٠)، «نفح الطيب» (٢/ ٣٩٨)، «الصناعتين» (٤٣٣)، «نهاية الأرب» (٣/ ٢٠١)، «العقد الفريد» (١/ ٢٠٨)، «شرح ديوان الحماسة» (٨٢ وما بعد)، «أمالي القالي» (١/ ٢٩٦).
والبيتان الأولان منسوبان لدكين بن رجاء في «الشعر والشعراء» (٢/ ٦١٢)، وفيه: «**وَإن هُوَ لَم يُضرِعْ عن اللُّؤمِ نفسَه**» بدل «**وَإِن هُوَ لَم يَحمِل عَلى النَّفسِ ضَيمَها**».

(٤) انظر: «الممتع في صنعة الشعر» (٣٤٢)، «حماسة البحتري» (١٣٨)، وفيها: «**وَإِنْ** =

وأما **شعبة بن حريض بن السموءل**؛ فهو القائل (سريع):

لُبَــابُ يَــا أُخْــتَ بَنِــي مَالِــكٍ لَا تَشْتَرِي العَاجِلَ بِالآجِلِ(١)

وأما **أوس القرظي** -نسبةً إلى بني قريظة-؛ فمن خبره: أنَّ زوجته أسلمت ودعته إلى الإسلام ليبقى بعلًا لها؛ فأبى، وقال في ذلك شعرًا (طويل):

دَعَتْنِـي إِلَـى الإِسْـلَامِ يَـومَ لَقِيتُهَا فَقُلْـتُ لَهَـا: لَا، بَل تَعَالِي تَهَـوَّدِي

فَنَحـنُ عَلَـى تَـورَاةِ مُوسَـى وَدِينِـهِ وِنِعْـمَ لَعَمري الدِّيـنُ دِيـنُ مُحَمَّـدِ

كِلَانَـا يَـرَى أَنَّ الـرَّشَــادَةَ دِينُـهُ وَمَنْ يُهدَ أَبوَابَ المَرَاشِدِ يَرشُدِ(٢)

٣٢ س: عَلِمنا أنَّ الإسرائيليين الذين كانوا يساكنون العرب في جزيرتهم؛ كانوا يتكلَّمون بلغتهم، وقد ضربوا بسهمٍ في الأدب العربي؛ فماذا صنع الإسرائيلون بعد انتشار الإسلام، وازدهار اللغة العربية، وارتقائها إلى المستوى الأعلى في العلوم والآداب العالمية؟

= **شَرِبُوا بِهَا السُّمَّ الثَّمِيلا**»، ونسبها لذي الإصبع الأصبهاني في «الأغاني» (٣/ ٩٥، ٩٦).
يقال: ثَمَل الشيءُ؛ إذا بَقِيَ، قال ابن فارس: «ثَمَل: الثاء والميم واللام؛ أصل ينقاس مطردًا، وهو الشيء يبقى ويثبت، ويكون ذلك في القليل والكثير... والثُّمال: السم المُنْقَع».
انظر: «مقاييس اللغة» (١/ ٣٨٩ - ٣٩٠).

(١) انظر: «خزانة الأدب» (٨/ ٤٣٩).
ولابن أبي الحقيق اليهودي في «البصائر والذخائر» (٨/ ٩٣).

(٢) انظر: «الأغاني» (٢٢/ ١٢٠) -وفيها: «**كِلانَا يَرَى أَنَّ الرِّسالةَ دِينُهُ**»-، «الدر الفريد» (٦/ ٢١٨) -وفيه: «**كِلانَا دَعَا نصحًا إِلَى دِينِ قَومِهِ**»-، والبيت الأول والثالث في «ربيع الأبرار» (٢/ ٢٤٩).

ج: إنَّ الإسرائليين -بعد انتشار الإسلام- لم يكن نصيبهم في العلم والأدب منقوصًا؛ بل أخذوا من ذلك بنصيبٍ وافرٍ(١).

٣٣ س: هل لك أن تذكر لنا بعض علمائهم وأدبائهم في البلاد الإسلامية؟

نعم؛ من مشاهير علمائهم: **سعديا**(٢)؛ ولد بالفيوم من أرض مصر، ومات سنة (٣٣٠هـ)، وهو الذي ترجم كتب اليهود المقدسة من العبرانية إلى العربية.

(١) لما جاء الإسلام بعدله وعطفه ورعايته؛ أخذ اليهود نصيبهم من ذلك، فعاشوا في كنف المسلمين، متلبسين بحقوق ما عرفوها قبل الإسلام فوق هذه البسيطة، ولما انتشر الفكر العربي بانتشار الإسلام؛ جعله اليهود المنوال الفكري المحتذى به، يقول شاهين مكاريوس: «إن المسلمين عاملوهم بالحسنى واللطف؛ فنجح اليهود وأفلحوا، ونبغ في تلك العصور كثير من الأطباء والفلكيين والمنجِّمين والكتَّاب والشعراء والخطباء والفلاسفة، لاسيما في الأندلس، ولهم اليد الطولى -بفضل العرب- في حفظ بقايا معارف الأقدمين ونشرها في أوروبا».
انظر: «تاريخ الإسرائليين» (٦٦ - ٦٧).
ويقول Trend في مقدمة كتاب «Legacy of Israel»: «نحن مدينون بما للغة العربية علينا من فضل كبير في دراسة «التوراة»، فإن هذه اللغة لم تكد تصبح رسمية؛ حتى أدرك اليهود صلتها الوثقى باللغة العبرية، وقد أخذ اليهود يقلدون العرب، ويخضعون لغتهم لقواعد النحو العربي».
انظر: «الأثر العربي في الفكر اليهودي» (٥).

(٢) في هامش الأصل: «اسمه: سعيد بن يوسف الفيومي».
يلقب بـ«سعديا جاؤون» (٨٨٣ - ٩٤٣م)، ولد في مصر في قرية أبو صوير بالفيوم، وفيها تلقى تعليمًا عربيًّا، ثم توجه إل فلسطين لإكمال دراسته، **ويعتبر أول من ترجم العهد القديم إلى العربية.**
«التنبيه والإشراف» (٩٨)، «موسوعة اليهود» (٥/ ١٥٦) بتصرف.

ومنهم: **إسحاق بن سليمان الإسرائلي**(١)، المتوفى سنة (٣٢٠هـ)، برعَ في علم الطب، وألَّف كتاب «الحميات»(٢) وغيره.

ومن أطبَّائهم: **أبو الفضل داوود الإسرائلي**(٣)، المتوفى سنة (٦٣٤هـ)، وآخرون.

ومن شعرائهم: **إبراهيم بن سهل الإسرائلي**(٤)، المتوفى سنة (٦٥٨هـ)، و«ديوان شعره» مطبوع في مصر(٥).

وهؤلاء -كلُّهم- كانت لغتُهم العربيَّةَ.

٣٤ س: قد علمنا شيئًا من أخبار الشعب الإسرائلي؛ فهل لك أن تذكر لنا شيئًا من أخبار اللغة العبرانية، وعلاقتها باللغة العربية؟

---

(١) يكنى (أبا يعقوب)، طبيب، حكيم، من أهل مصر، سكن القيراون خادمًا لإمام العبيديين عبيد الله المهدي، وقد عمَّر الإسرائيلي إلى أن نيف على المئة.
«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٤٧٩)، «معجم المؤلفين» (١/ ٣٤٢) بتصرف.

(٢) قال ابن أبي أصيبعة: «ولم يوجد في هذا المعنى كتاب أجود منه».
«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٤٨٠).

(٣) هو أبو الفضل داوود بن أبي البيان، ولد سنة (٥٥٦هـ) بالقاهرة، كان محققًا للصناعة الطبية، متقنًا لها، خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب، له كتاب «الاقراباذين» في الأدوية المركبة.
«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٥٨٤) بتصرف.

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي؛ من الشعراء الأدباء، كان يهوديًّا فأسلم، مات غرقًا مع ابن خلاص والي سبتة، وفي «معجم المؤلفين» (١/ ٣٠) أن وفاته سنة (٦٤٩هـ)، وهذا التاريخ مخالف لما أورده الهلالي، وقد ذهب محقق «ديوانه» أن قد توفي سنة (٦٤٣هـ).

(٥) حققه الدكتور محمد فرج دغيم، وطبع عن دار الغرب الإسلامي، سنة ١٩٩٨م.

ج: إنَّ اللغةَ العبرانيةَ هي أختُ اللغة العربية، خرجتا من معدنٍ واحدٍ -بلا شكٍّ ولا ريبٍ-، إلا أنها تطوَّرت؛ بسبب مخالطة العبرانيين لغيرهم من الأمم، في زمان مُلكِهم وعظمتهم، وفي زمان محنتهم، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

قال ولفنسن[١] في (ص٨١)[٢]: «**ينقسم تاريخ اللغة العبرانية منذ نشأتها عند بني إسرائيل إلى طورين مختلفين:**

يشتمل الأول -منهما- على «التَّوراة» وبقية أسفار «العهد القديم»، المعروفة عند اليهود باسم (تاناخ).

ويشتمل الطور الثاني على مآثر المصنَّفات الإسرائيلية؛ التي ظهرت بعد ختام «العهد القديم»» اهـ[٣].

٣٥ س: على أيِّ شيءٍ تعتمد اللغة العبرانية في أطوارها الأولى؟

ج: اعلم أنَّ كتب اليهود على صنفين:

أحدهما: الكتب المقدسة عندهم وعند النصارى؛ وهي ما أنزله الله على الأنبياء السابقين، والمسلمون يؤمنون بجميع الكتب التي أنزلها الله على أنبياء بني إسرائيل وغيرهم[٤]، وتُسمَّى الكتب المقدسة عند اليهود «مقرا»،

(١) سبقت ترجمته.

(٢) «تاريخ اللغات السامية» للدكتور إسرائيل ولفنسون (مطبعة الاعتماد، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م).

(٣) من حيث السياق؛ فإن هذا النقل منفصل عن جواب السؤال (٣٤)، ومتصل بالسؤال (٣٥) باعتباره مُوَطِّئًا له.

(٤) مقصود الهلالي: الكتب الصحيحة التي كانت على عهد الأنبياء عَلَيهِمُ السَّلَامُ، والتي هي =

ومعنى هذه الكلمة؛ أي: مقروء، والفعل (قرأ) هو من الألفاظ المشتركة بين العربية والعبرانية.

والصنف الثاني: ما تكلَّم به موسى في التشريع والأحكام ولم يكتبه، ثم رُوِيَ عنه ذلك، ونقله الآخِر عن الأول، ثم دوَّنوه بعد ذلك، وسُمِّيَ «التَّلمود»؛ ومعناه: التلمذة أو التعليم.

و«التلمود» -أيضًا- **على قسمين:**

قسم: يتضمَّن الفرائض الدينية؛ وهو باللغة العبرانية.

والقسم الثاني: يتضمَّن مباحث فقهائهم وآرائهم؛ وهو باللغة الآرامية، وهذا يدلُّ على ما قلناه -قبلًا-: وهو أنَّ العبرانيين في زمانهم الأخير كانوا يتكلَّمون باللغة الآرامية، لا بالعبرانية.

٣٦ س: سمعنا أنَّ اليهود عندهم اختلاف في العقائد(١)؛ منهم فرقة يُسمَّون

= ركن من أركان الإيمان في الإسلام، أما الكتب التي تناقلتها طوائف اليهود والنصارى، والتي يعتمدها مؤرخو اللغات السامية؛ فليست بشيء، وإنما هي تحريف للكلم عن مواضعه، ومنكر من القول وزور.

وقد بيَّن ابن حزم كذبهم في «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» (١/ ٢٠١) و(٢/ ١٤).

وانظر: مقالة (منهج ابن حزم في نقد «التوراة») لأحمد محمود هويدي، منشورة في مجلة «الدراسات الشرقية» بالقاهرة، العدد (٤)، سنة ١٩٩٤م، «توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي»، تقديم عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، نشر دار القلم.

(١) لقد ظهرت في اليهودية فرق كثيرة، تختلف في مسائل جوهرية ممتدة إلى أصول العقائد، وعليه؛ فإن كلمة (فرقة) لا تحمل في اليهودية الدلالة نفسها التي تحملها في سياق ديني آخر، فلا يمكن -على سبيل المثال- تصوُّر مسلم يرفض النطق =

(الرَّبَّانيِّين)، وفرقة أخرى يُسمَّون (القرَّائين)، فما سبب هذا الاختلاف؟

ج: كلُّ يهوديٍّ يقبل الصِّنف الأول، ويعتقد أنَّه من الله.

وأما الصِّنف الثاني -وهو «التلمود»-؛ فمن اليهود من يعتقد أنه حقٌّ ويقبله، وهؤلاء يُسمَّون (الرَّبَّانيِّين).

ومنهم من لا يعتقده ولا يقبله، ويُسمَّى هؤلاء (القرَّائيين)، سُمُّوا بذلك؛ لأنهم لا يقبلون إلَّا «المقرا».

٣٧ س: متى ظهر مذهب القرَّائيين؟ ومن هو إمامهم؟

ج: في القرن الثامن ب.م ظهر في بغداد عنان بن داوود(١)، وكان ذلك في

= بالشهادتين، ويُعترَف به مسلمًا! أما داخل اليهودية؛ فيمكن ألا يؤمن اليهودي بالإله ولا بالغيب ولا باليوم الآخر، ويُعتبر -مع ذلك- يهوديًّا، وهذا يرجع إلى طبيعة اليهودية بوصفها تركيبًا جيولوجيًّا تراكميًّا، يضم عناصر عديدة متناقضة، متعايشة دون تمازج أو انصهار، ولذا؛ تجد كل فرقة جديدة -داخل هذا التركيب- من الآراء والحجج؛ ما يضفي شرعية على موقفها، مهما كانت مغالاتها، وتعتبر فرقة السامريين أولى الفرق التي أدَّت إلى انقسام اليهودية، وقد ظلت هذه الفرقة أقلية معزولة؛ بسبب قوة السلطة الدينية المركزية المتمثلة في الهيكل، ثم السنهدرين، بعد ذلك ظهر الصدوقيون -منكرو البعث-، والفريسيون، والغيورون -وهم غلاة الفريسيين-، والأسينيون، والقرائيون، وغيرهم.
«موسوعة اليهود» (٥/ ٣١٧) بتصرف.

(١) هو مؤسس مذهب القرائين، رفض الإذعان لقرار رؤساء الحلقات التلمودية؛ فزجوا به في السجن، وبعد خروجه؛ أسس فرقته التي كانت تسمى (العنانية)، وقد فسر بعض الباحثين أن سبب ظهور هذه الفرقة: راجع إلى التحدي الفكري -الضخم- الذي أحدثه انتشار الإسلام؛ فاستخدم القياس -الذي استقاه من فقه أبي حنيفة النعمان- لتفسير تناقضات «العهد القديم».
«موسوعة اليهود» (٥/ ٣٣١) بتصرف.

زمان المنصور العبَّاسي[١]؛ فأنكر «التلمود» ورفضَه، وتبعَه جماعة من اليهود، واكتفوا بـ«التوراة» بلا تفسير.

ومن القرَّائين: يهود نابلس؛ وهي مدينة بقرب بيت المقدس، وفي مصر جماعةٌ منهم، وفي ألمانيا-أيضًا- جماعةٌ منهم.

٣٨ س: كيف انتشر «المقرا» في الدنيا؟

ج: بعدما أفَلَ نجمُ اللغة العبرانية مع بذل أحبار اليهود جهودًا عظيمة في المحافظة عليها، وتبغيض اللغة الآرامية إلى بني إسرائيل؛ شاعت اللغة الآرامية بين اليهود، حتى اضطُرَّ أحبارهم إلى ترجمة «المقرا» بالآرامية في النصف الثاني من المائة التي قبل الميلاد.

قال الدكتور ولفنسون -بعد كلامٍ مماثلٍ لما ذكرنا (ص٩٧)[٢]-: «ولكن الآرامية رسخت قدمها برغم هذه الجهود؛ لأنَّ الطَّبقاتِ غيرُ المتعلمة -منهم- كانت قد نَسِيَت العبرية، حتى اضطرَّ الأحبار إلى أن يدوِّنوا تراجم «التوراة» باللغة الآرامية؛ التي أضحت لغةَ البحث والمجادلة في شرائع «التوراة» وتفسيرها».

(١) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن العباس (٩٥ - ١٥٨هـ)؛ ثاني خلفاء بني العباس، وأفحلهم شجاعة وحزمًا، كان محبًّا للعلماء، وأول من اعتنى بالعلوم من ملوك العرب، اختط بغداد سنة (١٤٥هـ)، وجعلها دار ملكه، كان بعيدًا عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير.
ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٤٤)، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٨٣)، «الأعلام» (٤/ ١١٧).

(٢) «تاريخ اللغات السامية» (٩٧) للدكتور إسرائيل ولفنسون.

وأما يهود مصر؛ فإنهم ترجموا «المقرا» باليونانية[١]، ثم انتشرت ترجمة «المقرا» بجميع اللغات، ومنها العربية -كما تقدم-، ولما كان النصارى -كلُّهم- يقدِّسونَ «العهد القديم»[٢] -لاعتقادهم أنَّ عيسى كان يقدِّسُه-؛ فقد اعتنوا بدراسته ونشره بلغاتهم المختلفة، في المدارس الدينية التابعة للكنائس، وفي أقسام اللَّاهوت من الجامعات العلميَّة[٣].

٣٩ س: كم عدد أسفار «العهد القديم»؟ وما هي؟

ج: عدد أسفار «العهد القديم» (٣٩)؛ وهي[٤]: «سفر التكوين»، و«سفر الخروج»، و«سفر اللاويين»[٥]، و«سفر العدد»، و«سفر التثنية»، و«سفر يوشع

(١) ترجمت في عهد بطليموس الكسنرس الرابع؛ نقلها له من العبرية إلى اليونانية اثنان وسبعون حَبراً بالإسكندرية، وقد ترجم هذه النسخة إلى العربي عدة ممن تقدم وتأخر؛ منهم: حنين بن إسحاق، وهي أصح نسخ «التوراة» عند كثير من الناس.
«التنبيه والإشراف» (٩٨) بتصرف.

(٢) يحتوي هذا الكتاب -«العهد القديم»- على المعتقدات الدينية للشعب العبراني وتاريخه وحِكَم ونبوءات مختلفة، وكتاب العبرانيين -المعتمد رسميًّا- مأخوذ من النسخة المصوريَّة التي أعدتها جماعة من علماء اليهود في طبرية اعتبارًا من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر الميلادي، إلا أن كتاب «العهد القديم» الكاثوليكي يحتوي على إضافات غير موجودة في الكتاب العبراني.
«معجم الحضارات السامية» (٦٢٦) بتصرف.

(٣) قد بلغ من تقديس النصارى لـ«التوراة»: أن أثبتوا نصوصًا زعموا أنها من «التوراة»، وهي ليست منه؛ فكذَّبوا اليهود في نصوص «التوراة» التي بين أيديهم، وقد جلَّى ابن حزم ذلك في «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ٢١).

(٤) سنقتصر في تعريف هذه الأسفار على ما لم يعرِّفه الهلالي في جواب السؤال (٤٠).

(٥) يعود أصل هذه التسمية إلى (لاوي)؛ وهو أحد أسباط إسرائيل، قصر أفراده على =

ابن نون»[١]، و«سفر القضاة»، و«سفر الراعوث»، و«سفر صموئيل الأول»، و«سفر صموئيل الثاني»، و«سفر الملوك الأول»، و«سفر الملوك الثاني»، و«سفر أخبار الأيام الأول»، و«سفر أخبار الأيام الثاني»، و«سفر عزرا»، و«سفر نحميا»[٢]، و«سفر أستير»[٣]، و«سفر أيوب»، و«سفر المزامير»، و«سفر الأمثال»، و«سفر الجامعة»، و«نشيد الأنشاد»، و«سفر أشعياء»[٤]، و«سفر إرمياء»، و«سفر مراثي إرمياء»، و«سفر حزقيال»، و«سفر دانيال»، و«سفر هوشع»، و«سفريوئيل»[٥]، و«سفر ....

= خدمة الشعائر الدينية.
«معجم الحضارات السامية» (٧٣٩) بتصرف.

(١) هو يهوشع أو هوشع بن نون؛ قائد لبني إسرائيل أيام النبي موسى، الذي أطلق عليه اسم (يشوع)؛ وهي الصيغة الأصلية لاسم (يسوع)، ومعناه: (يهوه) أي: الخلاص، واللفظة مختصرة عن (يهوشع).
«معجم الحضارات السامية» (٩١٣) بتصرف.

(٢) يرجع اسم (نحميا) إلى زعيم يهودي رمَّم أسوار أورشليم، وأعاد تنظيم فلسطين وَفق تعاليم الشريعة الموسوية.
«معجم الحضارات السامية» (٨٤٢) بتصرف.

(٣) أستير: شابة يهودية فائقة الجمال، من قبيلة بنيامين، تزوجت بالملك الفارسي أحشوريوش، وأنجت قومها من إفنائه إياهم.
«معجم الحضارات السامية» (٧٦) بتصرف.

(٤) إشعيا: هو نبي يهوذا، معنى اسمه: «الله يخلِّص»، كان من أكبر شعراء العهد القديم.
«معجم الحضارات السامية» (٦٢٦) بتصرف.

(٥) يوئيل: هو أحد أنبياء بني إسرائيل الاثني عشر الصغار، معنى اسمه: «يهوه هو الله» أي: المخلِّص هو الله.
«معجم الحضارات السامية» (٩٣١) بتصرف.

عاموس»[١]، و«سفر عوبيديا»[٢]، و«سفر يونان»[٣]، و«سفر ميخا»[٤]، و«سفر ناحوم»[٥]، و«سفر حبقوق»[٦]، و«سفر صفنيا»[٧]، و«سفر حجي»[٨]، و«سفر

(١) ويقال له: (عاموص) -أيضًا-، وهو أحد أنبياء بني إسرائيل الاثني عشر الصغار، نادى بالتوحيد الموسوي، وأنذر بقدوم الآشوريين، واستيلائهم على إسرائيل.
«معجم الحضارات السامية» (٥٧٧) بتصرف.

(٢) عوبديا: أحد أنبياء اليهود الاثني عشر الصغار، عاش بعد السبي البابلي، ومعنى اسمه: «عبد يهوه».
«معجم الحضارات السامية» (٦٢٦).

(٣) اسمه (يونان بن امتاي)، من سبط زبولون، وهو عند المسلمين: النبي يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، يعد خامس أنبياء بني إسرائيل الصغار، عاش في القرن الثامن ق.م.
«معجم الحضارات السامية» (٩٣٩) بتصرف.
وانظر: «يونس في القرآن والتوراة»، رسالة ماجستير غير منشورة لمحمد أحمد طه علي، كلية أصول الدين في جامعة الأزهر، سنة ١٩٨١م.

(٤) هو نبي من أنبياء «العهد القديم»، نحو (٧٤٠ - ٦٨٧ ق.م)، يعد سادس الأنبياء الاثني عشر الصغار، تتحدث نبوءاته عن مصائب بني إسرائيل، وبمجيء مخلص يولد في بيت لحم.
«معجم الحضارات السامية» (٨٢٥ - ٨٢٦) بتصرف.

(٥) هو سابع الأنبياء الصغار، وموضوع نبوءته: سقوط نينوى، ومعنى اسمه: «المعزِّي»، أما سِفره؛ فهو نشيد شعري يتغنى بقوة الله التي لا حدود لها.
«معجم الحضارات السامية» (٨٣٥) بتصرف.

(٦) هو ثامن الأنبياء الصغار الاثني عشر، عاش في نهاية القرن السادس ق.م.
«معجم الحضارات السامية» (٣٤٠) بتصرف.

(٧) هو تاسع الأنبياء الوارد ذكرهم في «العهد القديم»، كان معاصرًا ليوشيا وأرميا في القرن السابع ق.م، أعلن عن سقوط مملكة يهوذا وقيام مملكة الذل.
«معجم الحضارات السامية» (٥٥٠) بتصرف.

(٨) أحد أنبياء بني إسرائيل الاثني عشر الصغار، قام بنبوءته قرابة عام (٥٢٠ ق.م) بعد السبي البابلي، وكانت تهدف نبوءته إلى إعادة بناء هيكل أورشليم.
«معجم الحضارات السامية» (٣٤٣) بتصرف.

زكريا»[١]، و«سفر ملاخي»[٢].

٤٠ س: هل لك أن تخبِرَنا -ولو باختصارٍ- عمَّا تحتوي هذه الأسفار؟

ج: أول «المقرا»: «التوراة»؛ **وهي خمسة أسفار:**

أوَّلها: «**سفر تكوين الخلق**»؛ ويشتمل على صفة خلق السَّموات والأرض وآدم وحواء وأولادهما، إلى نوح وذكر الطُّوفان، ثمَّ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقصة يوسف من أوَّلها إلى آخرها؛ وهي طويلةٌ في «التوراة»[٣].

وثانيها: «**سفر الخروج**»؛ يتضمَّن ذِكر خروج اليهود من مصر، وذِكر ولادة موسى وبعثته إلى بني إسرائيل، وخبر فرعون، وصعود موسى الجبلَ وإتيانه بألواح «التوراة»[٤].

وثالثها: «**سفر اللّاويين**»؛ يشتمل على التَّشريع في أمر القربان وفي الطَّهارة، وفيما يجوز أكلُه، وغير ذلك من الفرائض والحدود.

ورابعها: «**سفر العدد**»؛ بعضه في الشرائع، وبعضه في أخبار موسى وبني

---

(١) هو الحادي عشر من الأنبياء الصغار، جرت نبوءته حوالي العام (٥٢٠ ق.م).
«معجم الحضارات السامية» (٤٤٢).

(٢) ينسب هدا السِّفر إلى أحد الأنبياء الاثني عش الصغار، لكنه -في الواقع- سفر مغفل، وكلمة (ملاخي) أو (ملاكي) تعني: «رسولي» أكثر مما هي اسم علم.
«معجم الحضارات السامية» (٩٣١) بتصرف.

(٣) للسيد أحمد خليل جبل أطروحة دكتوراه غير منشورة؛ بعنوان «يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بين القرآن والتوراة»، كلية أصول الدين في جامعة الأزهر، سنة ١٩٧٤م.

(٤) لأرحام سليمان سليم العودات أطروحة ماجستير غير منشورة؛ بعنوان «سفر الخروج في توراة اليهود: عرض ونقد»، كلية أصول الدين في جامعة غزة، سنة ٢٠١٠م.

إسرائيل في التِّيه، وسُمِّي «سفرَ العدد»؛ لأنَّ موسى وهارون أُمِرا أن يُعِدَّا المقاتلين من بني إسرائيل.

والسفر الخامس: يُسمَّى «**التثنية**»؛ يتضمَّن إعادة موسى الشريعة، وتذكير بني إسرائيل بها.

ويتلو «التوراة»: «**سفر يوشع بن نون**»؛ وهو في دخول بني إسرائيل أرض فلسطين.

ثم «**سفر القضاة**» -أي: الحكام-: يتضمَّن محاربة بني إسرائيل للكنعانيين، وصوت يوشع، وفساد مجتمع بني إسرائيل، وتغلُّب الكنعانيين عليهم، وقيام القضاة لإصلاحهم في أزمنة متقطعة.

«**سفر راعوث**»: يتضمَّن قصة راعوث، وهي شابَّةٌ تأيَّمت بموت بعلها، وتزوَّجت رجلًا من أجداد داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(١).

«**سفر صموئيل الأول**»: يتضمَّن إرشاد صموئيل -وهو أحد أنبياء بني إسرائيل لقومه-، وتزويدهم بالآراء والتَّعاليم في محنهم، وإقامة شاؤول مَلِكًا عليهم لمحاربة أعدائهم الفلسطينيين، ونشأة داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وغزواته، وقتل شاؤول وبنيه الثَّلاثة في حربه مع الفلسطينيين.

«**سفر صموئيل الثاني**»: يتضمَّن نشوب الحرب بين داوود ومن بقي من ولد شاؤول وشيعته، ومبايعة داوود مَلِكًا على سبط يهودا، ثمَّ اجتماع بني

(١) يجب التنبه إلى أن داوود عند اليهود ليس هو النبي الذي يؤمن به المسلمون، وقد سبق تبيان ذلك.

إسرائيل -كلِّهم- على مبايعة داوود مَلِكًا عليهم، وكان مُلك شاؤول في (١٠٣٠) إلى (١٠١٠)، ومُلك داوود (٤٠) سنة -من سنة (١٠١٠) إلى سنة (٩٧٠)-، ومحاربته للفلسطينيين، وانتصاره عليهم، ثمَّ محاربته للعمونيين[(١)] والآراميين، وثورة أبشالوم[(٢)] على أبيه داوود، والحرب بينهما.

«**سفر الملوك الأول**»: يتضمَّن تنازل داوود عن الملك لابنه سليمان ووصيَّته له، ثم موت داوود، وتزوج سليمان بابنة فرعون ملك مصر، وبناء المسجد الأقصى[(٣)]، وتاريخ بنائه سنة (٤٨٠) لخروج بني إسرائيل من مصر، وأنَّه بناه بأمرٍ من الله، وهو الذي جعله مقدسًا، ووفادة ملكة سبأ على سليمان، ومدة مُلك سليمان (٤٠) سنة، وحرب مَلِك إسرائيل الذي كان في السَّامرة[(٤)]

(١) وهم شعب ينحدر -وَفق «التوراة»- من عمون بن لوط، وأُطلقت هذه التسمية على قبائل سامية استقرت في شرقي الأردن، ما بين اليبوك والبحر الميت، وقد انتصر عليهم الملك داوود، واستعبدهم الإسرائيليون.
«معجم الحضارات السامية» (٦٢١) بتصرف.

(٢) يقال بأنه قتل أخاه لأبيه -أمنون-؛ لأنه ألحق العار بشقيقته، وتمرد على أبيه، وخرج هاربًا؛ فلحقه ابن عمه يوآب فقتله.
«معجم الحضارات السامية» (٣٩) بتصرف.

(٣) وهو بناء تجديد، لا بناء تأسيس عند المسلمين.
انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٢٠٧).

(٤) هي مدينة كنعانية تقع على هضبة شمال شرق شكيم، وجعلها الملك عمري عاصمة له حوالي عام (٨٨٠)؛ فأصبحت عاصمة مملكة إسرائيل، واسمها العبري (شوميرون)؛ معناه: مكان المراقبة.
«معجم الحضارات السامية» (٤٥٤) بتصرف.
وانظر عنهم: دراسة الأستاذ إياد هشام الصاحب «السامريون: الأصل والتاريخ، العقيدة والشريعة، وأثر البيئة الإسلامية فيهم»، وهي منشورة، وقائمة على دراسة ميدانية، ولقاءات مع حاخاماتهم، والنقل من كتبهم.

مع ملوك الآراميين وانتصاره عليهم، ثمَّ محاربته لهم مرَّةً أخرى ومصرعه.

«**سفر الملوك الثاني**»[(١)]: يتضمَّن أخبار النبي إيليا[(٢)]، وما جرى بينه وبين أحزيا[(٣)] مَلِك السَّامرة، ثم انقضاء أجله، ونبوة اليسع[(٤)] بعده، ومعجزاته، وحروبًا بين بني إسرائيل والآراميين، ثمَّ موته، ثمَّ غزو ملك آشور شلمناسر[(٥)] مملكةَ بني إسرائيل بالسامرة، وسبي أهلها إلى بلاده، والملك الصالح حزقيا ابن أحاز[(٦)] ملك يهودا، وتوحيده لله، وكسره.............................

(١) إذا نظرنا إلى الأسفار منذ هذا «السفر» -أي: بعد موت سليمان- وحتى «سفر ملاخي»؛ وجدنا أن سمة حياة بني إسرائيل هي الاقتتال الداخلي، ومن ثَم التعرض لهجوم قوًى كثيرة عليهم.

(٢) نبي يهودي اشتهر بتصديه لـ(آخاب) مِلك إسرائيل وزوجته إيزابيل التي أدخلت عبادة (بعل) إلى المملكة العبرية في القرن التاسع ق.م.
«معجم الحضارات السامية» (١٨٥) بتصرف.

(٣) هو أخزيا بن أخاب؛ ثامن ملوك بني إسرائيل (٨٥٢ - ٨٥١ ق.م)، فشل في إخماد ثورة المؤابيين، وتنبأ النبي إيليا بموت أخزيا الوشيك.
«معجم الحضارات السامية» (٥٢) بتصرف.

(٤) نبي يهودي؛ تلميذ إيليا وخليفته، نصَّب الملك ياهو (٨٤٢ - ٨١٣ ق.م) على عرش إسرائيل، وحرضه على إبادة ذرية آخاب الذي أدخل عبادة بعل إلى المملكة.
«معجم الحضارات السامية» (١٢٣) بتصرف.

(٥) (شلمنصَّر) هو لفظ عبراني أطلق على عدة ملوك آشوريين، وأصل التسمية (شُلمان اشاريد)، ومعناه: «شلمان رئيس»، أما الملك المقصود -هنا- فهو شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م).
«معجم الحضارات السامية» (٥٣٥) بتصرف.

(٦) هو ملك يهوذا الثالث عشر، رمم الهيكل، وطهره، وطرح التماثيل، وحطم الحية النحاسية التي عملها موسى؛ لأنها صارت موضوع عبادة، وقد اشتبك حزقيا في معارك عديدة مع الآشوريين.
«معجم الحضارات السامية» (٣٥٢) بتصرف.

للأصنام[١] (الإصحاح[٢] ١٨آية ١)، ثم غزو سنحاريب[٣] ملك آشور مملكة يهودا، وضربه الجزية على ملكها الصَّالح، واسترشاده للنبي أشعياء وعمله بمشورته، وانكسار جيش سنحاريب، ثم موت حزقيا وتولِّي ابنه منسى[٤] الحكم بعده، وسلوكه طريقًا غير طريق أبيه من المعاصي، وبناء الأوثان والأصنام، وعبادة [أجناد السماء][٥]؛ فغضب الله عليه وعلى شعبه، ثم موت منسى، وتولَّى بعده ابنه آمون[٦]؛ فاقتدى به في الضَّلال وعبادة الأصنام، ثم قتلَه عبيدُه وملَّكوا يوشيا[٧] ابنه، وكان صالحًا موحِّدًا لله طول عمره، حتى

(١) في الأصل: «للأصنام ٨».

(٢) في الأصل: «الإصحام».

(٣) اسمه بالآكادية (سن آحي اريبا)، ملك آشور (٧٠٤ – ٦٨١ ق.م)، اغتيل على يد ابنيه وهو يصلِّي.
«معجم الحضارات السامية» (٤٩٦) بتصرف.

(٤) هو الملك الرابع عشر ليهوذا، كان تابعًا للآشوريين، وقام –لغايات سياسية– باتباع عباداتهم، حتى بلغ الأمر به أن قدم ابنه ذبحة للآلهة.
«معجم الحضارات السامية» (٨١٦) بتصرف.

(٥) في الأصل كلمة ضرب عليها، وأشار إلى الهامش؛ فكتب المثبت بين المعقوفتين، ولم يظهر من الكلمة الأولى سوى «ناد»، وفي «قاموس الكتاب المقدس» (مادة: منسى ابن حزقيا): «وأضلَّ شعبه عن الحق وجعلهم يذبحون لكل جند السماء».

(٦) هو الملك الخامس عشر ليهوذا (٦٤٢ – ٦٤٠ ق.م).
«معجم الحضارات السامية» (٣٠) بتصرف.

(٧) هو الملك السادس عشر ليهوذا (٦٤٠ – ٦٠٩ ق.م)، أجرى إصلاحًا دينيًّا يعتمد «سفر التثنية» الذي عثر عليه في الهيكل للكاهن حلقيا (٦٢٩ ق.م).
«معجم الحضارات السامية» (٩٣٨) بتصرف.

قُتل في معركة بينه وبين فرعون[١] ملك مصر، ومَلَك بعده ابنه[٢]، وكان ضالًّا؛ فاستولى على مملكته فرعون مصر، وضرب عليها الجزية، ثم غزو نبوخذناصر[٣] ملك بابل مملكةَ بيت المقدس، وسَبى أهلَها، ونهبَ أموالَها، وخرَّبَ المسجد الأقصى.

«**سفر أخبار الأيام الأول**»: يتضمَّن الأنساب من آدم إلى ملوك بني إسرائيل، ثم تفصيل ما مضى من أخبار الملوك.

«**سفر أخبار الأيام الثاني**»: يتضمَّن استمرار تفصيل أخبار الملوك المتقدِّم ذكرهم.

«**سفر عزرا**»: يتضمَّن تحرير ملك الفرس كورش لبني إسرائيل، وردِّه لهم كلَّ ما نهبه منهم بختنصر، والإذن لهم بالرجوع إلى فلسطين، وإعادة بناء المسجد الأقصى بإرشاد النبي عزرا.

«**سفر نحميا**»: يتضمَّن بناء سور بيت المقدس، وتوبة بني إسرائيل، ومعاهدتهم الله أن يتركوا ذنوبَهم، ويتَّبعوا أمره، وكتبوا ميثاقًا -بذلك- وقَّعَه نحميا وغيره من الرُّؤساء والكهنة، وأخبارًا تاريخيَّةً أخرى.

«**سفر أستير**»: يتضمَّن وقوع اليهود في خطر القتل العام في جميع مملكة فارس الَّتي كانت تمتدُّ من الهند إلى بلاد الحبشة، وإنقاذهم من القتل على

(١) لعله الفرعون نكو الثاني؛ الذي انتصر عليه بختنصر في معركة كركميش سنة (٦٠٥ ق.م).
«معجم الحضارات السامية» (٨٤١) بتصرف.
(٢) لعله متِّينا؛ المعروف بـ(صدقيا)، وستأتي ترجمته.
(٣) هو بختنصر، وقد سبقت ترجمته.

يد أستير الإسرائيلية التي كانت زوجةَ ملك الفرس أحشويروش[١]، ثم اتِّساع نفوذ اليهود في مملكته بواسطة أستير ومردخاي[٢] الَّذي تبنَّاها؛ حتى تهوَّدَ كثيرٌ من الناس خوفًا على أنفسهم.

«**سفر أيوب**»: يتضمَّن قصة أيوب في حال غناه وثروته، وفي حال فقره ومرضه، ثم تضرُّعه إلى الله، وشفاءَه، وردَّ أمواله وأهله.

«**سفر المزامير**»: يتضمَّن تسبيح داوود لله، وتضرعه، ومواعظ.

«**سفر الأمثال**»: يتضمَّن وصايا وحِكم سليمان وغيره.

«**سفر الجامعة**»[٣]: تتضمن حِكَم قهلت بن داود[٤] ملِك بيت المقدس ووصاياه.

---

(١) وقد أطلق هذا الاسم عليه في «العهد القديم»، واسمه (خشايارشا الأول)، ويسميه الإغريق (كسيركسيس)، وهو من السلالة الأخمينية، مَلَك فارس (٤٨٦ - ٤٦٥ ق.م)، قتله أحد كبار مملكته، وخلفه ابنه ارتاكسيركسيس.
«معجم الحضارات السامية» (٣٨٣) بتصرف.

(٢) مردكاي: هو ابن عم أستير، والوصي عليها، لما علم بأن الوزير هامان ينوي إبادة الشعب اليهودي؛ استعان بأستير، التي أثَّرت على أحشوريوش؛ فأعدم هامان، ونصب مردكاي مكانه.
«معجم الحضارات السامية» (٧٨٢) بتصرف.

(٣) يسمى هذا السفر بالعبرية (قوهيليت)؛ أي: الجامعة، ومعنى هذه اللفظة في أصلها العبري: قد يكون (المتكلم في الاجتماع) أو (رئيس الاجتماع)، وينسب اليهود هذا السفر إلى سليمان.
«معجم الحضارات السامية» (٣٠٢) «موسوعة اليهود» (٥/ ٩٥) بتصرف.

(٤) واضع هذا السفر غير معروف عند بعض الدارسين، فعند الحديث عنه؛ يأتون بصيغ الجهل.
«معجم الحضارات السامية» (٣٠٢)، «موسوعة اليهود» (٥/ ٩٥) بتصرف.

«**سفر نشيد الأنشاد**»: يتضمَّن شعرًا -في المعنى- غزليًّا في وصف النِّساء والخمر وسائر اللَّذَّات، يُنسَبُ إلى سليمان.

«**سفر أشعياء**»: يتضمَّن مواعظ ونصائح لبني إسرائيل، وبعض الأخبار التاريخية، وبشارةً لبني إسرائيل بزوال العبودية عنهم وعودة العزِّ، وأخبارًا مغيَّبةً بما سيؤول إليه أمرُ البابليين.

«**سفر إرمياء**»: يتضمَّن نبوَّة إرمياء، وكلام الله له، وإنذاره بغزو البابليين بيتَ المقدس قاعدة مملكة يهودا؛ بسبب الشِّرك والمعاصي اللَّذَين ارتكبَهما بنو إسرائيل، ومواعظَ كثيرةً بالغةً؛ أنزلها الله -على لسانه- لبني إسرائيل، والبشارة برجوع المسبيين من مملكة يهوذا إلى أرضهم، واعتقال الملك صدقيا[١] للنَّبي أرميا؛ لقوله الحق، وإخباره بأمر الله ونقمته، ونهي الله -من بقي من سبط يهودا- عن الهجرة إلى مصر؛ خوفًا من البابليين وحروبهم أو من الجوع، وأوعدَهم بما خافوا منه إن عصَوا؛ فأبوا أن يُطيعوا أمره، وكذَّبوه، وهاجروا إلى مصر، وتركوا أرضهم خاليةً خرابًا، وبشارة أرميا بانكسار البابليين، وخلاص بني إسرائيل من الأسر.

«**سفر مراثي إرمياء**»: يتضمَّن رثاء إرمياء لبني إسرائيل؛ تأسُّفًا على ما أصابهم.

(١) اسمه الأصلي (متينا بن يوشيا)، وقد غير اسمه بختنصر لما نصبه على العرش، وأقسم الولاء له، ولما تمرد عليه؛ قتل أولاده أمامه، وسمل عينيه، وسجنه في بابل حتى وافته منيته، وهو آخر ملوك يهوذا (٥٩٧ - ٥٨٦ ق.م).
«معجم الحضارات السامية» (٥٤٨)، «موسوعة اليهود» (٤/ ١٨٧) بتصرف.

«**سفر حزقيال**»: يتضمَّن وحي الله له عند نهر الخابور[١] في العراق، وإرساله إلى بني إسرائيل؛ لِيعظَهم، ويحذِّرَهم من الأنبياء الكاذبين المُدَّعين، وصفة الرجل البَر[٢] (ص١٢٠١)، وتوبيخ الله لأهل بيت المقدس على لسان حزقيال؛ بسبب الشِّرك والمعاصي، وإرسال حزقيال إلى فرعون مصر، وإنذاره بالهلاك.

«**سفر دانيال**»: يتضمَّن حلم نبوخذناصر، وامتحان العرَّافين والسَّحرة لِيُقرُّوه له، وتمثال الذَّهب الذي نصبه، وأمرَ الناس بالسجود له، وامتحان رؤساء بني إسرائيل، وإلقائهم في أتون النار لامتناعهم من السجود؛ فلم يحرقهم النار، فأكرمَهم الملكُ، وآمنَ بإلههم، وتفسير دانيال حُلمَ الملكِ، وتأويل ما رآه ابنه الذي مَلَك بعده، وغزو داريوس[٣] مِلك الفرس مملكة بابل، والقضاء عليها، وتكريم دانيال لعلمه ونبوَّته، وظهور معجزة دانيال، وتوليته أعلى المناصب، وتضرُّعه إلى الله.

«**سفر هوشع**»: يتضمَّن مواعظَ تبشيرٍ وإنذارٍ لبني إسرائيل.

---

(١) نهرالخابور نهران: الخابور السوري؛ أحد روافد الفرات، والخابور الأصغر؛ أحد روافد دجلة، ينبع في أرمينيا الجنوبية، ويصب في دجلة.
«معجم الحضارات السامية» (٣٧٩) بتصرف.

(٢) بعدها في الأصل: «ص١٨».

(٣) هو داريوس الأول، واسمه الفارسي (داراجا فاهوش)، مَلَك الفرس (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م)، وأظهر تسامحًا مع الأديان الأخرى، وفي عهده بنى اليهود -العائدون من المنفى- هيكل أورشليم.
«معجم الحضارات السامية» (٣٩٢) بتصرف.

«**سفر يوئيل**»: مثله.

«**سفر عاموس**»: مثله.

«**سفر يونس**»: يتضمَّن قصَّتَه؛ وهي معروفةٌ.

الأسفار الباقية -كلُّها- متشابهةٌ، تتضمَّن المواعظ.

٤١ س: هل لك أن تلخِّصَ لنا تاريخ اللغة العبرانية -منذ نشأتها إلى يومنا هذا- تلخيصًا يشتمل على بعض أدبائها؟

ج: قال الأستاذ ربحي كمال[(١)] في كتابه «دروس اللغة العبرية» ما نصُّه (ص ٣٣):

«دلَّ الاستقراء العلمي على أن اللغة العبرية القديمة قد نشأت في أرض كنعان، حتى قبل نزوح الإسرائيليين إليها، وهذه اللغة هي اللغة التي ورد ذكرها في «سفر أشعياء» تحت اسم (لغة كنعان)، فإنه لما هاجر العبريون إلى أرض كنعان حوالي القرن الثالث عشر ق.م؛ كانوا يتكلمون -آنئذ- لهجة تقرُب من إحدى لهجات اللغة الآرامية القديمة، ومن ثَم راحوا يستعملون لغة البلاد التي هاجروا إليها، وأخذوا ينسون تدريجيًّا لغتهم الأصلية، ولم يأت القرن الحادي عشر حتى أضحت اللغة الكنعانية هي اللغة المستعملة»[(٢)].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) يقرر ولفنسون أن اللغة العبرية ليست لهجة كنعانية؛ وإنما هما لغتان مختلفتان، لما تقاربتا في المكان؛ تشابهتا، وكذلك الحال مع اللغة الآرامية.

انظر: «تاريخ اللغات السامية» (٧٩). =

ثمَّ قال[١]: «واللغة العبرية ليست لغةَ العبريين جميعًا؛ بل هي لغةُ فرعٍ واحدٍ من فروعهم؛ وهو فرع بني إسرائيل، وتُعَدُّ العبرية أهمَّ اللهجات الكنعانية؛ لأنَّها أوسع انتشارًا، وأكثر إنتاجًا من سائر هذه اللهجات؛ بل إنَّها لَتُعَدُّ من أغنى لغات العالم -أجمع- في مختلف فنون القول: في المعتقدات والآداب والفلسفة والتاريخ والعلوم، وهلمَّ جرًّا، ولهذه اللغة أهميَّةٌ دينيَّةٌ كبيرةٌ في البلاد المسيحية؛ لأنَّ جميع أسفار «العهد القديم» قد دُوِّنَتْ بها».

٤٢ س: كيف كان بنو إسرائيل في الزمان القديم ينطقون باللغة العبرانية؟

ج: لا نستطيع أن نعرفَ كيف كان العبرانيون الأقدمون ينطقون بهذه اللغة؛ لأمرين:

أحدهما: أنهم كانوا في أوَّل أمرهم قبائل بدوية تختلف لغاتهم بعض الاختلاف، كما كانت قبائلُ العرب مختلفةً في لغاتها، حتى جاء القرآن؛ فوحَّد لغتهم بتغلُّب لغة قريش على غيرها، وهذا الاختلاف أمرٌ طبعيٌّ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، إلَّا إذا كانت هناك لغةٌ رسميةٌ، تقوم على حفظها دولةٌ راقيةٌ، فحينئذٍ؛ ينحصر الاختلاف في اللُّغات المحلية لكلِّ بلدٍ، أما اللغة الرسمية؛ فلا يتطرَّق إليها الاختلاف.

= أما بروكلمان؛ فيرى أن العبرية هي أهم اللهجات الكنعانية، وأنه لا يمكن القطع بشيء في كيفية اتحادهما.

انظر: «فقه اللغات السامية» (١٨) بتصرف.

وكذلك جاء في «موسوعة اليهود» (٣/ ٢٣٠)؛ أنها لهجة كنعانية، وأن العبرانيين كانوا يتكلمون إحدى اللهجات الآرامية القديمة.

(١) «دروس اللغة العبرية» (ص٣٤).

والأمر الثاني -وهو أدهى مما قبله-: انقراض اللغة العبرانية، وبقاؤها ميِّتةً في بطون الكتب -كما تقدم-.

وقد بذل المستشرقون جهودًا عظيمة في الوقوف على النُّطق باللغة العبرانية في الزمان القديم، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلًا.

أخبرني المستشرق الكبير باول كالي[١] أنه وجد بعض النقوش: لغتها عبرانية، وحروفها يونانية[٢]، يخالف نطقها النطق الشائع باللغة العبرانية في هذا الزَّمان، واستدلَّ بذلك على أن نطق هذا الزمان باللغة العبرانية؛ يُخالِفُ ما كانت عليه في الزمان الأول، فالنطق باللغة العبرانية الموجود في هذا الزمان؛ إنما وضعه علماء اليهود، قياسًا على ما كان محفوظًا عندهم، وموروثًا من الصلوات والأدعية.

٤٣ س: كيف تطوَّرت اللغة العبرانية من أول نشأتها إلى العصر الحديث؟ ومن هم أقطاب هذا التطور؟ وهل للأدب العربي تأثير فيه؟

ج: جواب هذا السؤال أنقله من كتاب «دروس اللغة العبرية»[٣]؛ لأنه قد

(١) سبقت ترجمته، وعلاقة الهلالي معه.

(٢) من أشهر النقوش اليونانية: ما وجد في البادية الشمالية الأردنية، والشمالية الشرقية منها؛ مثل: أم السرب، وأم الجمال، والرحمات، والمشرف، والكوم الأحمر، والجهود في دراسة (النقوش اليونانية) في هذه الأماكن قديمة، تعود إلى سنة ١٨٥٧م، انظر: (٤١) نقشًا، مع دراسة عنها، مع تأريخ هذه الجهود: في كتاب «نقوش يونانية من البادية الشمالية الأردنية» لصلاح أحمد سعيد، منشورات جامعة آل البيت، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) في الأصل: «قواعد اللغة العبرية»، والصواب المثبت؛ فهو الكتاب الذي نقل عنه المؤلف -كما في الإحالة الموالية-.

استوفى القول فيه، وأجاده أحسن الإجادة، ثم رأيته طويلًا؛ فقرَّرت اختصاره، وإحالة من سَمَتْ همَّته من الطلبة على قراءة الأصل، قال ما نصُّه[(١)]:

«اجتازت اللغة العبرية -منذ نشوئها- طورين هامين، وكانت -في كلٍّ من هذين الطَّورين- تتأثَّر تأثُّرًا ملحوظًا بما يكتنف الإسرائيليين من أحوالٍ سياسية.

ففي الطور الأول: كانت جميع ألفاظ اللغة العبرانية من أصل عبرانيٍّ خالصٍ، ويمتدُّ هذا الطور من حوالي القرن العاشر قبل الميلاد حتى سقوط مملكة يهودا من سنة (٥٨٦ ق.م)، وفي أواخر هذا العصر؛ بلغت العبرية أوجَ ازدهارها، يظهر ذلك في أسفار أنبياء هذا العصر؛ كأشعياء وإرمياء وعاموس، وكان الأدب الإسرائيلي في هذا العصر يتَّسم بالسُّهولة، وبساطة[(٢)] التَّفكير، والتأثر بأحوال البداوة، حتى في الزمان الذي بلغت فيه المدنية الإسرائيلية أوجَها.

وأهمُّ ما وصل إلينا من آثار ذلك العصر: أسفار «العهد القديم»، والنقوش الأثرية، بعضها كان منقوشًا على الصُّخور، وبعضها على النقود، وأهمها: نقش سلوان[(٣)] الذي اكتُشِفَ سنة (١٨٨٠م)، يرجع تاريخه إلى عهد الملك

(١) «دروس اللغة العبرية» (ص٣٧) تحت عنوان (الأطوار التي مرت بها اللغة العبرية).

(٢) الهلالي يخطِّئ هذا اللفظ، انظر: كتابه «تقويم اللسانين» (ص٥٠ - بتحقيقي).

(٣) سلوان: قرية مجاورة لسور القدس من الجهة الجنوبية، تبعد عنه بأمتار قليلة، وربما أتى لفظ سلوان من الكلمة الآرامية (سيلون Sillon)، ومعناها: الشوك والعليق.
انظر: «الموسوعة الفلسطينية» (سلوان) (٢/ ٢/ ٥٥٤)، «معجم بلدان فلسطين» (٤٥١) لشراب.
وقد تُرجم هذا النقش وشُرح عند ولفنسون في «تاريخ اللغات السامية» (٨٢).

حزقيال سنة (٧٠٠ ق.م)، وهذا النقش مكتوبٌ بقلمٍ عبريٍّ قديمٍ، ما زال على حالته الأصلية إلى الآن، ومن أهم ذلك: قصيدة (دبورة)؛ وهي حكيمةٌ إسرائيليَّةٌ[(١)]، والقصيدة موجودة في (الإصحاح ١٥) من «سفر القضاة»، ويُظَنُّ أنَّ هذه الحكيمة عاشت حوالي القرن الثاني عشر ق.م... وفي المدة الأخيرة من هذا العصر؛ تمَّ تدوين أسفار «العهد القديم»، واستغرق (٣٠٠) سنة من النصف الأخير من القرن التاسع حتى أوائل القرن السادس ق.م.

وفي الطور الثاني: بدأ الفناء يدبُّ إلى اللغة العبرانية، وأخذت الآرامية تتغلَّب عليها حتى قضت عليها، في هذا الطور تأثرت اللغة العبرية بثلاثة عوامل؛ كان لها -جميعًا- أثرٌ فعَّالٌ في إضعاف هذه اللغة؛ **وهي:**

- إغارة الآشوريين والكلدانيين على فلسطين، وما نجم عن ذلك من تشتيت شمل اليهود.

- ثم استيلاء اليونان على هذه البلاد، وانتشار اللغة الإغريقية والثقافة الإغريقية في الأقاليم التي خضعت للإغريق.

- ثم الفتح الإسلامي، وما تلاه من سيطرة اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

(١) دبورة: اسم عبري، معناه: نحلة؛ وهي امرأة كانت في القرن الثاني عشر ق.م، وتعتبر من قضاة العبرانيين وأنبيائهم، وقصيدتها من أقدم نماذج الشعر العبري القديم؛ لاحتوائه على عناصر لغوية ومجازية قديمة، وقد أنشأت هذه القصيدة احتفالًا بنصر أحد قوادهم على ملك الكنعانيين.
«معجم الحضارات السامية» (٣٩٥)، «موسوعة اليهود» (٤/ ١٤٧) بتصرف.
وقد تُرجمت بعض أبيات هذه القصيدة عند ولفنسون في «تاريخ اللغات السامية» (٨٤).

وما كاد ينتهي القرن الرابع ق.م؛ حتى غدت العبرية في عداد اللغات الميِّتة في التخاطب؛ وأبرز ما وصل إلينا من آثار هذه المرحلة: بعض أسفار «العهد القديم»، وبعض الآثار الأدبية القيمة كـ«المدراش»(١) بما فيه من هالاخا(٢) وهاغادا(٣).

«المدراش»(٤): شرح «التوراة»، واستنباط الأحكام منها، ولم يُدوَّنْ في أوَّل الأمر؛ بل كان يلقِّنه الأول للآخِر، جيلًا بعد جيل، إلى زمان الفقيه اليهودي برنحماني(٥)؛ فدوَّنَ شروح «التوراة» في كتاب سمَّاه......................

(١) مِدراش: من الكلمة العبرية (درش)؛ أي: استطلع أو بحث أو درس، وتستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى منهج معمق في تفسير «العهد القديم»، والكشف عن بعض معانيه الخفية.
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٤٣).

(٢) هالالخاه: كلمة عبرية؛ تعني: التشريع أو الشريعة.
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٤٦).

(٣) لفظ (أجاداه) أو (هجاداه) آرامي؛ يعني: روى أو حكى، كما يعني -أيضًا-: أسطورة، وهو مشتق من أصل عبري غير معروف على وجه الدقة، فيقال: إنه من فعل (هجْيد) بمعنى: قيل؛ إشارة إلى القصص الشفوية مقابل القصص المدونة، ويقال: إنه مشتق من عبارة (هجَّدتا لبنيخا) أي: تخبر أبناءك، وتستخدم هذه الكلمة للدلالة على القطع التلمودية ذات الجانب الأخلاقي والوعظي والدعائي.
«موسوعة اليهود» (٥/ ١٤٦).

(٤) هي كثيرة، ولغتها متنوعة، وهي خليط من العبرية، الآرامية، وأحيانًا يونانية أو لاتينية، ومعظم المدراشيم الأجادية هي تسجيل حي للتفاسير التي كانت تتم في المعبد أو في المعهد الديني بصورة شفوية.
انظر: «دائرة المعارف العبرية» (٣٢٧).

(٥) اسمه: موشيه برنحمان (رمبن)، وله شرح على «التلمود» اسمه «ملحمت يهوه»، وهو من وفيات القرن الثالث عشر الميلادي. =

«مدراش رباه»[١]، وبعده جاء الرباني تنحوما[٢] فألَّف «مدراشًا» سُمِّيَ باسمه.

= انظر: «اليهودية بين النظرية والتطبيق» (١٨)، «مدخل إلى دراسة التلمود» (١٣)، «التلمود: الذكر - الصلاة - الدعاء - تفسير الأحلام» (١٨) كلاهما للدكتورة ليلى إبراهيم أبو المجد.

(١) مدراش رابا؛ أي: المدراش الكبير، يضمن أسفار موسى الخمسة، ويعتبر من أهم كتب «المدراش الأجادي».
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٤٣)، «دائرة المعارف العبرية» (٣٢٧ - ٣٢٩).

(٢) طبع حديثًا «مدراش تنحوما» في مجلدين، طباعة جيدة ومنقطة، مع شروح عليها، وهي المرة الأولى التي يطبع فيها مشكلًا تشكيلًا كاملًا، وطبقًا للطبعات الأولى التي صدرت من هذا الكتاب، وقد صدر عن دار اشكول للنشر بالقدس عام ١٩٧٥م.
ويعتبر «مدراش تنحوما» من أكثر كتب المدراشيم العبرية التي تسربت عن طريقها الروايات الإسرائيلية إلى «تفسير ابن جرير الطبري».
وقد أطلق راشي (الربي شلومو يتسحق) على هذا «المدراش» اسم «مدراش رابي تنحوما»، ويقصد: (الربي تنحوما بار أبا) أحد علماء «التلمود» الكبار، ويسمَّى -أيضًا- «مدراش ילמדנו يلمونو».
ويرى إبراهام مائير -الذي علق في مقدمة له على هذا «المدراش»- أن «مدراش تنحوما» -الذي بين أيدينا الآن- هو مختارات تم جمع معظمها من «مدراش رابي تنحوما» الكامل -الذي كان في أيدي السلف، والذي فقدناه-، وكذلك من عدة مدراشيم أخرى؛ مثل: ילמדנו، פרקי דרבי אליעזר، מבילתא، ספרא، ספרי، פסיקתא...
ويضيف مائير قائلًا: لما كان من نهج «المدراش» أن يختتم حديثه بكلمات المساواة؛ بغرض بث الأمل في قلب بني إسرائيل المشتتين في المنفى، ولهذا الغرض -أيضًا-؛ وجدنا صاحب «المدراش» يقدم لـ«سفر التكوين» بعبارة «اسمعوا قولي سمعًا، وليكن هذا تعزيتكم» (أيوب ٢١/ ١)، لهذا؛ أطلق من قام بجمع هذا «المدراش» عليه اسم «مدراش تنحوما» مع حذف كلمة (رابي)؛ كي يرمز إلى أن هذا «المدراش» فيه تعزية ومواساة لبني إسرائيل من ناحية، وأنه كذلك للتناي رابي بار أبا؛ حيث أن معظم ما جاء فيه مأخوذ من «مدراشه». =

و«المدراش» على نوعين: هلاخا وهجادا؛ فـ(**هلاخا**) تحتوي على الأحكام؛ كالحلال والحرام والطَّاهر والنَّجس، و(**هجادا**) تتضمن الأخلاق وأخبار التاريخ.

وبعد ذلك جاء إمام الفقه اليهودي في زمانه، العالم النابغة موسى بن

= وقد ظهرت طبعات كثيرة لـ«مدراش تنحوما» في مدن كثيرة من بلدان العالم، وكلّها سارت على نهج طبعة الرابي مناحم عزرا بار إسحاق؛ والتي ظهرت في السابع من أيار عام ١٥٦٣، وتحت إشرافه الشخصي، وقد أضاف إلى طبعته -هذه- كثيرًا مما وجده في المخطوطات، وحازت هذه النسخة القبول لدى جمهور اليهود، وقد ذيل مناحم عزرا طبعته بثلاثة ملاحق حول ما ورد في «المدراش» من فقرات توراتية وأمثال.

وظهرت بعد ذلك طبعات أخرى؛ أشهرها: طبع أمستردام عام ١٨٣٣م، وطبعة فيلنا عام ١٩٣٣م، وغيرها من الطبعات.

ويتناول هذا «المدراش» الأسفار الخمسة لـ«التوراة» بالشرح، وإضافة المزيد من الإضافات التي لا نعلم مصدرها، كما يعتمد في تفسيره لفقرات «التوراة» بفقرات أخرى من أسفار «العهد القديم»، فكأنه يفسر «التوراة» بالتاناخ؛ فيقول -مثلًا- في بداية «مدراشه»:

«في البدء خلق الله، كما جاء في المكتوب، الرب بالحكمة أسس الأرض (الأمثال ٣/ ١٩)، ولما خلق القدوس -تبارك هو- عالمه؛ استشار «التوراة» وخلق العالم، فقد قيل: لي المشورة والرأي، أنا الفهم، لي القدرة (الأمثال ٨/ ١٤)، و«التوراة» -حينئذ- كيف كانت مكتوبة؟ على ظهر نار بيضاء بنار سوداء، وكما قيل: قُصصُهُ مسترسلة حالكة كالغراب (نشيد الأنشاد ٥/ ١١)».

ثم يأخذ في شرح هذه الفقرة مستشهدًا بفقرة أخرى من «العهد القديم»، وهكذا في سائر «مدراشه».

انظر: «الإسرائيليات في تفسير الطبري، دراسة في اللغة والمصادر العبرية» (٩٤ - ٩٥) للدكتورة آمال محمد عبدالرحمن ربيع.

ميمون[١]؛ فألَّف كتابًا في الفقه اليهودي سمَّاه «ياد حزاقا»[٢]، فكان الأصل

(١) هو موسى بن عبد الله بن ميمون، أبو عمران القرطبي (١١٣٥ - ١٢٠٤ق.م)، أسرته من العلماء والقضاة اليهود، يقال: إنه أسلم مكرهًا في عهد الموحدين، ولما خرج من الأندلس ارتد.
«موسوعة اليهود» (٣/ ٣٦٧ - ٣٦٨) بتصرف.
قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٣/ ٢٦٢) عنه: «رئيس اليهود، وعالمهم، وحَبْرهم بالديار المصرية»، وله ترجمة في: «عيون الأنباء» (٥٨٢ - ٥٨٣)، «تاريخ آداب العرب» (٣/ ٣٤٨ - ٣٤٩) لمصطفى صادق الرافعي.
وللدكتور إسرائيل ولفنسون كتابٌ في ترجمة موسى بن ميمون سمَّاه «موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته»، طبع عن لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م)، ولمحمد زاهد الكوثري «من عبر التاريخ»؛ ترجمه فيه (ص١٥)، وزعم أن ابن تيمية وجد بغيته عنده! وكذب وافترى، وللتفصيل مقام آخر، ولثائر الحلاق دراسة منشورة بعنوان «العناية الإلهية ومشكلة الشر في الفكر الفلسفي»، ودرس موسى بن ميمون (ص٧١٣ - ٧٤٢) موقف ابن ميمون من مشكلة الشر، وترجمه فيه (ص٢٤ - ٢٧)، ووصفه بأنه صاحب فلسفة متأسلمة، وأنه معجب بأرسطو!
(٢) (يد حازاقاه) بمعنى: اليد القوية، وقد تأثر فيه بالتصنيفات الإسلامية.
«موسوعة اليهود» (٣٦٨) بتصرف.
وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٣/ ٢٦٢) بقوله: «له كتاب كبير في دين اليهود -لعنهم الله-»، وذكره القفطي في «تاريخ الحكماء» (٣١٩)، وقال: «قلت: وبعضهم يستجيده»، وقد وضع في صدره بحثًا وافيًا عن تأريخ نشأة الرواية والإسناد عند اليهود!
وقيل: إنه سمَّاه بـ«السراج»، ويميل العالم Derenbourg إلى الاعتقاد أن تسمية الكتاب بـ«السراج» لم يكن من المؤلف؛ بل من الذين أعجبوا به.
(راجع مجلة «Revue des Etudes Juives» 1883.P.307).
والكتاب شرح لكتاب «المشنا» -وسيأتي التعريف به قريبًا-، ووضعه باللغة العربية، ولم يلق قبولًا في الشرق، وأقبل عليه يهود فرنسا والمغرب الأقصى والأندلس، وقد أراد ابن ميمون في أُخريات أيامه أن يتولَّى بنفسه ترجمة كتابه إلى العبرية، ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق أمنيته. =

الذي رجع إليه جميع المؤلفين في الفقه بعده؛ وأشهرهم الرباني يوسف قارو[(١)] المعروف بـ(ماران)، مؤلف كتاب..............................

= أمَّا الأصل العربي؛ فقد أهمله اليهود إهمالًا فاحشًا، حتى أخذ العالِم المسيحي پوكوك (Pockock) يترجم بعض أجزائه سنة ١٦٥٤م إلى اللغة اللاتينية تحت عنوان «Porta Mosis»، ثم وضع العالِم الهولاندي سيرنهوس (Surenhus) -وكان -أيضًا- مسيحيًّا- ترجمة كاملة لكتاب «السراج»، نشره من سنة ١٦٩٨ إلى سنة ١٧٠٣م؛ وترجمة العالم سيرنهوس دقيقة وصحيحة، وقد علَّق عليها بحاشية عظيمة الفائدة، وكذلك نُقلت بعض الأجزاء من «السراج» إلى الألمانية والإسبانية، على أن الجزأين المسميين بـ(الفصول الثمانية) و(الأصول الثلاثة عشر) نُقلا إلى أغلب لغات البلدان التي فيها اليهود.

وقد وضع الأديب إبراهيم يعري فهرسًا كاملًا لجميع طبعات كتاب «السراج» التي ظهرت منذ ظهور المطبعة، مع بحث مفصَّل في جميع من اشترك في ترجمته من العربية إلى العبرية، وهذا الفهرس مع مقدمته يدل على اطلاع واسع على مدونات موسى بن ميمون (راجع مجلة «קרת ספר» ج٩ ص١٠١ - ١٠٩ و ص٢١٩ - ٢٣٤).

أمَّا كتابه «يد حازاقاه» فهو «تثنية التوراة»، ويشتمل على أربعة عشر كتابًا، لذلك سمِّي بالعبرية «يد هجزاقا» «יד ההזקה»، أمَّا (يد) فهي إشارة إلى الجمل من الحروف (דאשי תבות)؛ لأن الياء تحسب بالعبرية بعشرة، والدال بأربعة، على أن هذه التسمية ليست من المؤلف (راجع M. Steinschneider: Cat. Bodl مقال عن موسى بن ميمون).

واعتمد ابن ميمون على «التلمود البابلي»، وصنفه بالعبرية، وانتقده جمع من اليهود؛ كلوصاطو، وأفرده بالنقد إبراهيم بن داود ورماه بمثالب شديدة، ويوجد منه مقتطفات كثيرة محفوظة بالجنيزة في القاهرة، اعتنى بها ونشرها باول كالي صديق الهلالي.

(١) جوزيف كارو (١٤٨٨ - ١٥٧٥م)؛ أحد علماء الدين اليهود، وُلد في طليطلة سنة ١٤٨٨م، وهاجر إلى فلسطين، وعاش في صفد، ودرس «التوراة» فيها، وترأس المحكمة الحاخامية، توفي في ٢٤ مارس ١٥٧٥م.

انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٦٠).

«شلحان عاروخ שֻׁלְחָן עָרוּך»[١] أي: المائدة المنضودة، **وقسَّم كتابه إلى أربعة أقسام:**

(١) (شولحان عاروخ שולחן ערוך) عبارة عبرية تعني: (المائدة المنضودة) أو (المائدة المعدة).
و«الشولحان عاروخ»: هو مُصنَّف تلمودي فقهي يحتوي على سائر القواعد الدينية التقليدية للسلوك، ويُعدُّ -حتى يومنا هذا- المصنَّف المعوَّل عليه بلا منازع للشريعة والعرف اليهوديين، ويشار إليه باعتباره «التلمود الأصغر»، أعدَّه يوسف كارو ونشره سنة ١٥٦٥م مستندًا إلى «العهد القديم» و«التلمود» وآراء الحاخامات اليهود وفتاواهم وتفسيراتهم (الشريعة الشفوية).
ومما هو جدير بالذكر: أنَّ حياة اليهود تكبلها العديد من الشعائر والقيود والتشريعات، الأمر الذي يضطرهم إلى البحث عن مصدر دائم للفتاوى، ولكن التوصل إلى إجابة على أحد التساؤلات الدينية من خلال «التلمود» مسألة شاقَّة جدًّا؛ إذ يتعيَّن على المتسائل أن يقرأ أربع أو خمس فقرات في مجلدات مختلفة منه، ثم يبحث عن التعليقات المختلفة على كل الفقرات، وهي تعليقات تحوي كل واحدة منها تفسيرات مختلفة ومتناقضة، ولتيسير هذه العملية؛ لجأ مؤلف «الشولحان عاروخ» إلى إسقاط جميع المناقشات الفقهية الطويلة والآراء المختلفة والأحكام المتناقضة، فلم يدوِّن إلَّا الأحكام الشرعية المستقرة؛ التي تبيِّن ما هو حلال وما هو حرام، وأوردها في نص واحد.
وينقسم «الشولحان عاروخ» إلى أربعة أقسام:
١- أورَّح حاييم אורח חיים أي: «سبيل الحياة»؛ ويتناول قواعد الصلاة والبركات والأعياد.
٢- يوريه ديعاه יורה דעה أي: «أستاذ المعرفة»؛ ويتناول قوانين الطعام الشرعي والطهارة والنجاسة والنذور وقواعد الحزن والحداد وقواعد الصدقات.
٣- إيفين هاعوزير אבן העוזר أي: «الحجر المعين»؛ ويتناول أحكام الزواج والطلاق، وكذلك سائر ما يتعلق بالنساء.
٤- حوشين مشباط חושן משפט أي: «صندوق القضاء الشامل»؛ ويتناول القوانين المدنية والجنائية وأصول المحاكمات، كما يحوي أحكام الميراث والوصاية والوصايا والتوكيلات والشهادة واليمين والعقود والتسجيل.
انظر: وثيقة رقم (٢) آخر الكتاب.

الأول في العبادات.

والثاني فيما يُسمَّى بـ(الأحوال الشخصية).

والثالث في أحكام الذَّبح، وبرِّ الوالدين، وإكرام العلماء، وما أشبه ذلك.

والرابع في شؤون القضاء.

فكتاب ماران يعتمد على كتاب موسى بن ميمون، وكتاب موسى بن ميمون يعتمد على «التلمود»[(١)]، و«التلمود» يعتمد على «التوراة».

«**المشنا**»[(٢)]: ظهرت «المشنا» في القرون الوسطى؛ وهي مباحث فقهاء اليهود في «التلمود»، وهي (٦٣) كتابًا باللغة العبرانية، في شؤون الدين والقانون والتاريخ وغير ذلك.

---

(١) «التلمود» كلمة مشتقة من الجذر العبري «لامد»، ومعناها: الدراسة والتعلم، وكلمة «تلمود» العبرية و«تلميذ» العربية؛ تعودان إلى أصل واحد سامي، ويعتبر «التلمود» الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية اليهودية؛ أي: تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة «التوراة»، ويخلعون على ألفاظه صفة القداسة باعتبارها وحيًا من روح القدس (روح هقدوش) إلى العلماء.
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٢٥) بتصرف.

(٢) «المشناه» كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري «شنَّاه»، ومعناها: يثني ويكر، ولكن؛ تحت تأثير الفعل الآرامي صار معناها: يدرس، ثم أصبحت الكلمة تشير بشكل محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية، خاصة من جهة الحفظ والتكرار والتلخيص.
وهو أكبر مصنف عبري بعد مجموعة أسفار الكتاب المقدس، وهو مدوَّن في التشريع الإسرائيلي، ويستمد قوانينه من «التوراة»، وكان جامع «المشنا» يهودا هناسي -وستأتي ترجمته قريبًا-؛ الذي كان زعيم الطوائف اليهودية.
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٤٤)، «تاريخ اللغات السامية» (٩٧).

«جمارا»[(١)]: ثم ظهرت «جمارا»؛ وهي شروح «المشنا» باللغة الآرامية.

ثم جاء شمعون بن جمليئل[(٢)] وتلامذته ورفقاؤه؛ فأخذوا ينسِّقون أحكام «المشنا»، وكان ذلك في سنة[(٣)] (١٦٦ ب.م)، واستمرَّ الربانيون في ذلك التنسيق إلى أن أتمَّه يهودا هناسي[(٤)] وتلاميذته حوالي سنة (٢١٦ ب.م)، وأسلوب هذه المُدوَّنة باللغة العبرانية متأثِّرٌ كثيرًا باللغة الآرامية، وتحتوي كثيرًا من الألفاظ الآرامية واللاتينية واليونانية والفارسية.

تقدَّم أن «جمارا» هي شرح «المشنا»، بُدِئ[(٥)] في تدوينها في القرن الأول

(١) «الجماراه» كلمة آرامية تعني: التكملة؛ وهي عبارة عن التعليقات والشروح التي وضعها الفقهاء اليهود -يسمَّون: الشراح «أمورائيم»- على «المشناه»، ما بين (٢٢٠ - ٥٠٠م).
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٤٥)، «اليهود بين النظرية والتطبيق» (١٨).

(٢) الحاخام رابي شمعون بن جمليئل واحد من أبرز حكماء صهيون في القرن الأول الميلادي، هذا الرابي الذي ولد عام (١٠ ق.م)، وتوفي عام (٧٠ ميلادية)؛ هو ابن الحاخام جمليئل، رئيس السنهدرين؛ الذي عاش في زمن يسوع المسيح، الذي توفي عام (٥٠ ميلادية)، فخلفه ابنه شمعون في رئاسة السنهدرين لمدة عشرين سنة، وخلفه على الرئاسة من بعده الحاخام والمعلم الكبير يوحنان بن زكاي؛ المعروف كثيرًا بحكمته ومكانته في تاريخ إسرائيل، والذي يعتبر مؤسس أكاديمية يمنا.
انظر: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=418637&r=0

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) يهودا الناسي (الأمير) (١٢٥ - ٢٠٠ ب.م): هو رئيس الجماعة اليهودية في فلسطين، وجامع «المشناه»، كان ملمًّا بالتراث الديني اليهودي.
«موسوعة اليهود» (٥/ ١٥٤) بتصرف.

(٥) في الأصل: «بدئي».

ب.م، وانتهى في القرن الخامس، فـ«المشنا» و«الجمارا» يطلق عليهما[(١)] اسم «التلمود»، ومجموعهما يزيد على (٢٠) مجلدًا[(٢)].

و«التلمود» على نوعين: **أورشليمي**[(٣)] **وبابلي**.

فالأورشليمي: تم إنجازه في طبرية.

والبابلي: تم إنجازه في بغداد.

وتم تدوين الأورشليمي في أواخر القرن الرابع، وأسلوبه أوضح من البابلي[(٤)].

والبابلي في أواخر القرن الخامس، وهو أربعة أضعاف الأورشليمي[(٥)].

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) كلمة «التلمود» في الأوساط العلمية تشير إلى «الجماراه» -وحسب-.
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٤٥).

(٣) نسبة إلى (أورشليم) التي تعرف -الآن- باسمها العربي (القدس)، ويقال له «التلمود الفلسطيني»، وكان يهود العراق يسمونه بـ«التلمود الغربي»؛ بحكم وجود فلسطين في الناحية الغربية من العراق، ووجه الاختلاف بين «التلمودين» الأورشليمي والبابلي في «الجمارا»، أما «المشنا»؛ فهي مشتركة بينهما.
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٤٤) بتصرف.

(٤) استمر تدوينه منذ أوائل القرن الثالث إلى نهاية القرن الرابع ب.م، وانقطع قبل أن يتم شرحه وتعليقه على جميع أجزاء «المشنا»؛ بسبب اضطهادات روما القاسية، وكان ذلك بعد أن ارتقى قسطنطين الأكبر عرش روما، واعترف بالمسيحية دينًا رسميًّا للدولة؛ فأخذ اليهود -من ذلك الحين- يعانون الأَمَرَّين في جميع بلدان الدولة الرومانية، وقد أدى ذلك إلى اضمحلال الحضارة اليهودية؛ فانقطع الأحبار في فلسطين عن تدوين «التلمود».

(٥) استمر تدوينه من عهد ختام «المشنا» إلى أواسط القرن الخامس -أي: حوالي ثلاثة =

وأحسن شروح «التلمود الأورشليمي»: «شرح موسى بن ميمون»[(١)].

أما «التلمود البابلي»؛ فأحسن شروحه: «شرح راشي»[(٢)].

ثم إنَّ موسى بن ميمون اختصر «التلمود» وسمَّاه «مشنا تورا»[(٣)]، ولا

= قرون-، وهو يشتمل على بحوث مستوفاة في أربعة أجزاء كاملة من «المشنا»، وعلى بعض الأسفار الأخرى من الجزأين الآخرين -أيضًا-.

وكان «التلمود الأورشليمي» يكتفي بالشرح أو التحليل لنص «المشنا»، مع سرد مناقشة غير مطولة بين الأحبار، ويعرض في نهاية القول المرجع والأمر الفصل في كل نظرية فقهية ومعاملة تشريعية.

أمَّا «التلمود البابلي» فيفتح الباب على مصراعيه لمناقشات طويلة لا تنتهي إلى قول مرجح، ويبدو فيه أن المناقشة جاءت لتمرين عقلي وتدريب منطقي، وهو يشتمل على نظريات كثيرة في الفلك والطبيعة، وكل ما كان يشغل بال اليهود إلى القرن الخامس ب.م؛ ففيه -إلى جانب الأحكام التشريعية- مباحث في التاريخ والروايات والقصص والآراء الكثيرة التي وصلت إلى الأحبار من البابليين والفرس، وأدمجت كل هذه النظريات حتى تمثل تمثيلًا صحيحًا حقيقيًّا عقلية اليهود في جميع نواحي حياتهم مدة ثلاثة قرون.

وقد جمع الحبر أشي (רב אשי) -الذي تولَّى رياسة المدرسة الدينية اليهودية بمدينة سورا بالعراق من سنة ٣٧٦ - ٤٢٧ ب.م- مجلدات «التلمود البابلي» بعد أن هذبه ونقحه وقرأه على تلاميذه مرتين، وبذلك يعد خاتم أسفار «التلمود البابلي».

وكان ابنه والذين عاشوا معه في ذلك العصر؛ قد أضافوا الحواشي والهوامش إلى نصِّه الأصلي.

(١) سبق الكلام عليه مفصَّلًا.

(٢) راشي (١٠٤٠ - ١١٠٥م): اختصار لاسم الحاخام رابي شلومو بن يتسحاق؛ وهو من أشهر المعلقين والمفسرين الإشكناز لـ«التلمود»، وكان رئيس إحدى المدارس التلمودية.
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٥٨).

(٣) ويقال -أيضًا-: «مشنيه توراه»؛ أي: «تثنية التوراة»، وهو الكتاب الوحيد الذي =

يزال هذا الكتاب عمدة الشريعة الإسرائيلية إلى اليوم، وكان تأليفه بالكتابة العبرية، وباللغة العربية الدارجة في مصر في ذلك الزمان، وقد طبعت «المشنا» وترجمت بلغات كثيرة(١)، أما «الجمارا» فلم يترجم منها إلا قليلٌ.

هذا ما كان من أمر اللغة العبرانية بأسلوبها التلمودي الذي امتدَّ إلى القرن الثامن الميلادي(٢)، وبعد ذلك جاء عصر اللغة العبرانية الحديثة من القرن الثامن إلى يومنا هذا.

وتمتاز اللغة العبرانية -في هذه المرحلة- بشدَّة تأثُّرها باللغة العربية وباللغات الأوربية الحديثة، وقد دلَّ أن اليهود المُساكنين للعرب في مشرقهم ومغربهم؛ هم أفصح ألسنة في اللغة العبرانية من يهود أوربا وأميركا، **وهذا أمرٌ متَّفقٌ عليه عند اليهود في فلسطين.**

أما تأثير اللغة العربية في العبرانية؛ فقد اعترف به أيَّما اعتراف علماء الأدب العبري قديمًا وحديثًا، فقد دأب المؤلفون في اللغة العبرانية في قواعدها وآدابها نظمًا ونثرًا على الاقتداء بأدباء العربية ومؤلِّفيها؛ فنظموا الشعر باللغة العبرانية

= كتبه بالعبرية حتى يستفيد منه قضاة اليهود دون العودة إلى «التلمود»، وسبق ذكره والتعريف به.
انظر: «موسوعة اليهود» (٣/ ٣٦٧).

(١) طبعت «المشنا» أول مرة في نابلي سنة ١٤٩٢، ومن أهم ترجماتها: الترجمة الإنجليزية، وتقع في (٧٨٩) صفحة، وسبق ذكر طبعاته باللاتينية والهولاندية والألمانية والإسبانية.
انظر: «دروس في اللغة العبرية»(٤٤)، «موسوعة اليهود» (٥/ ١٤٤).

(٢) تبتدئ هذه المرحلة بظهور «المشنا»، وتعرف لغتها بـ«العبرية الربانية أو التلمودية».
انظر: «دروس في اللغة العبرية» (٤١).

على أوزان الشعر العربي وبحوره[(١)].

واقتدوا بالعرب في الأغراض الشعرية -أيضًا-؛ من مدحٍ وهجاءٍ ورثاءٍ ووصفٍ وحكمةٍ وغزلٍ وغير ذلك[(٢)]، حتى حاكى الشعراء اليهود الشعراء العرب في النَّظم العلمي، وفي نظم الأحاجي والألغاز، وانفرد الشعراء اليهود بفنٍّ واحدٍ؛ هو الحنين إلى أرض الميعاد.

ولم يؤلِّف اليهود كتبًا علميَّةً في قواعد لغتهم إلا بعد أن تتلمذوا[(٣)] للعرب، وبعد أن نشؤوا في مهد الثقافة الإسلامية نشأةً مكَّنتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها.

وأوَّل من ألَّف في قواعد النحو العبري: سعديا الفيومي -المتقدم الذِّكر-، وتلاه مناحيم بن سروق[(٤)]، ودوناش بن..................................

(١) انظر: «الأثر العربي في الفكر اليهودي» (٤)، «التأثير العربي في الفكر اللغوي ليهود الأندلس»، «المكونات العربية في الشعر العبري الأندلسي».
(٢) في الأصل: «وغير ذلك وغزل».
(٣) ينكر الهلالي لفظ (تتلمذ)، انظر: ما قدمناه عنه (ص١٢٨).
(٤) ولد مناحيم بن يعقوب بن سروق الطرسوسي سنة ٩١٠، وتوفي سنة ٩٧٩هـ، وهو من أوائل النحويين الأندلسيين (٩١٠ - ٩٦٠م)، اتصل بخدمة أحد وزراء الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ فشجعه ذلك على وضع معجم عبري سماه «محبرت»؛ أي: الكراسة، وهو **أول عمل لغوي في العبرية شمل الناحية اللغوية الكاملة لكتابهم المقدس**، وكان هذا الكتاب مدار الخصام عند يهود الأندلس؛ إذ رأى فيه أن الجذر العبري قد ينبني على حرفين؛ بل على حرف واحد، واكتسى الخصام حول هذا الموضوع طابعًا سياسيًّا -لدى يهود الأندلس- أسال مدادًا كثيرًا، وله -أيضًا- ספר הפתורן «كتاب الشرح»؛ قدمه بمقدمة مهمة في النحو العبري، نشر نص مناحيم بعناية: =

لبراط[١]، ويهودا بن داود حيوج[٢] المشهور عند العرب بـ(أبي زكريا يحيى)، ويونان بن جناح القرطبي[٣] المعروف بـ(أبي الوليد)، المتوفى عام (١٠٤٠م)،

= Angel Saenz-Badillos, Menahem Ben Saruq, Mahberet, Grenada, 1986.
«الأثر العربي في الفكر اليهودي» (١٠) بتصرف.
وانظر: «التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي» (٩٠).

(١) بغدادي الأصل، فاسي المولد، قرطبي النشأة، ولد سنة٩٢٠، ومات سنة ٩٧٠م، ألَّف كتابه «إجابات» -نقد فيه كتاب مناحيم- بأسلوب شعري شبيه بـ«ألفية ابن مالك»، طبعه فيلبفاوسقي في لندن سنة ١٨٥٥م، ويعتبر **أول شعر لغوي نحوي في الأدب العبري**، وهو أول من أدخل نظام القافية في الشعر العبري.
«الأثر العربي في الفكر اليهودي» (١٠)، «الأدب العبري القديم والوسيط» (١٢٧) بتصرف، «التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي» (٩٠).

(٢) ولد بفاس قريبًا من سنة ٩٧٠م، ثم انتقل إلى قرطبة، وهو من أشهر تلاميذ مناحيم، في عهده ازدهر النحو العبري لتأثره بالثقافة الإسلامية بالأندلس، ويعتبر مؤسس الدراسات العلمية للنحو العبري، ويلقبونه (أبا النحاة).
وهو أول من رأى أن الجذر العبري لا ينبني على أقل من ثلاثة أحرف، ومن كتبه: كتاب «الأفعال ذوات حروف اللين»، وكتاب «الأفعال ذوات المثلين» -ولعل هذين الكتابين كانا يسميان باسم (حيوج)-، وكتاب «النتف»، وكتاب «التنقيط»، ترجم هذه الكتب موسى بن جقطيلة أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وأخرج الكتب الثلاثة -أول مرة- دوكس ספר דקדוק מראש המדקדקים, ר.יהודה חיוג, דמאין, 1844 (كتاب «نحو لأوائل النحاة» الربي يهودا حيوج، دميون ١٨٤٤).
«الأثر العربي في الفكر اليهودي» (١١ - ١٢) بتصرف، «التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي» (٨٩).

(٣) هو أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي (٩٩٠ - ١٠٥٥م)، يسمونه بالعبرية (الحاخام يونا)، من تلاميذ يهودا حيوج، أتقن اللغة العربية؛ ما ساعده على شرح قواعد العبرية، وقد ألف في ذلك عدة مؤلفات.
«الأثر العربي في الفكر اليهودي» (١٧ - ١٨) بتصرف.

«شلومو بن جبيرول[١] (أبو أيوب سليمان بن يحيى)، وأبرهام بن عزرا[٢]، وغيرهم، وقد أَلَّفوا كتبهم من لغويَّةٍ وغيرها باللغة العربية.

وقد نقل اليهود إلى لغتهم العلوم الإسلامية[٣]؛ كعلم الكلام والطب والفلسفة، وغيرها؛ ككتب ابن سينا[٤]، وككتابَي «تهافت التهافت» لابن رشد[٥]، و«تهافت الفلاسفة» ....

(١) سليمان بن جبيرول: شاعر وفيلسوف عربي يهودي عاش في الأندلس (١٠٢١ - ١٠٥٦م)، نظم قصيدة في النحو العبري على غرار «ألفية ابن مالك».
«الأدب العبري القديم والوسيط» (١٣١)، «موسوعة اليهود» (٣/ ٣٠٠) بتصرف.

(٢) شاعر يهودي أندلسي (١٠٩٢ - ١١٦٧م)، برع في الشعر العبري الحديث؛ فأنشد في كل الأغراض، وله شعر ديني وغير ديني.
«الأثر العربي في الفكر اليهودي» (١١٢)، «الأدب العبري القديم والوسيط» (١٤٠) بتصرف.

(٣) للاطلاع على مراحل نقل العلوم والمعارف العربية الإسلامية؛ انظر: «التراث العبري في الغرب الإسلامي» (١٧١).
وانظر: مبحث (اليهود بالأندلس وترجمة كتب الفلسفة) في «تاريخ آداب العرب» (٣/ ٣٤٨) لمصطفى صادق الرافعي.

(٤) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ)، صاحب التصانيف في الطب والمنطق، ومع ذلك؛ كان فاسد العقيدة، منتسبًا إلى القرامطة الباطنيين الملاحدة، وقد روي أنه تاب في آخر عمره.
انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٣١)، «ديوان الإسلام» (٣/ ١٢٣)، «الأعلام» (٢/ ٢٤١) بتصرف.

(٥) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المالكي (٥٢٠ - ٥٩٥هـ)، يلقب بـ(ابن رشد الحفيد) تمييزًا له عن جده، عالم، حكيم، مشارك في الطب والفقه وعلوم أخرى، صاحب مصنفات كثيرة؛ من بينها: «تهافت التهافت» في الرد على كتاب الغزالي «تهافت الفلاسفة».
ترجمته في: «بغية الملتمس» (٧٤)، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٠٧)، «ديوان الإسلام» (٢/ ٣٥٦)، «الأعلام» (٥/ ٣١٨).

للغزالي[١]، ويُسمِّي مؤرِّخو الأدب العبري العصرَ الأندلسيَّ بـ(العصر الذهبي للُّغة العبرية).

وأمير الشعراء العبريين في القرون الوسطى: هو يهودا هالوي[٢]، الملقب بـ(أبي الحسن اللَّاوي)، ولد في طليطلة بالأندلس في سنة[٣] (١٠٨٠م)، كان شاعرًا عظيمًا بالعربية وبالعبرانية، وله في الفلسفة الدينية مؤلَّفٌ مشهورٌ سمَّاه «الخوزري»[٤]، ألَّفه بالعربية، ثم تُرجِمَ إلى العبرية.

ومن شعراء الأندلس: إبراهيم بن عزرا[٥]، كان شاعرًا وفيلسوفًا، له آراءٌ

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ)، فقيه، متكلم، صوفي، أشعري المعتقد، شافعي المذهب، لقب بـ(حجة الإسلام)، ألَّف كتبًا كثيرة؛ من بينها: «تهافت الفلاسفة» يرد فيه على الفلاسفة المتكلمين؛ كابن سينا والفارابي.
ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢٢)، «طبقات الشافعية الكبرى» (٦/ ١٩١) للسبكي، «ديوان الإسلام» (٣/ ٣٧٦)، «الأعلام» (٧/ ٢٢).

(٢) أبو الحسن اللاوي (١٠٨٠ - ١١٤١م)، شاعر، ومفكر، وطبيب عربي يهودي، من أشهر شعراء العبرية في عصره.
ترجمته في: «الأدب العبري القديم والوسيط» (١٣٥)، «الأثر العربي في الفكر اليهودي» (١٠٥)، «موسوعة اليهود» (٣/ ٣٤٧).

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) كتاب «الخزري» (سيفر هاكوزاري)، ويعرف -أيضًا- باسم «الحجة والدليل في نصر الدين الذليل»؛ هاجم فيه الفلسفة اليونانية، وأنها عاجزة عن الوصول إلى الحقيقة، ويرد من خلاله على التيارات اليهودية -القرائيون- التي تبنَّت التفكير العقلي في اجتهاداتها، وقد كان في كتابه هذا متأثرًا -ربما- برد الغزالي على الفلاسفة.
انظر: «موسوعة اليهود» (٣/ ٣٤٧).

(٥) أو أبرهام بن عزرا، وسبقت ترجمته.

شاذَّةٌ في العقائد الدينية، عُودي من أجلها؛ فاضطر إلى مبارحة[(١)] الأندلس، وأخذ يطوف في أوربا حتى انتهى به المطاف إلى لندن، وبقي بها إلى أن مات، ولم ينقطع عن التأليف والشعر، وولد في طليطلة سنة (١٠٩٢م)، وتوفي في لندن سنة (١١٦٧م).

ومنهم: موسى بن عزرا[(٢)]، ولد بغرناطة سنة (١٠٧٠م)، وتوفي سنة

---

(١) من (بَرِحَ) و(بَرَح)؛ ففي «المصباح المنير» (مادة: برح): «بَرِحَ الشيء يَبْرَحُ -من باب تَعِبَ- بَرَاحًا: زَالَ مِن مَكَانِهِ»، قال ابن فارس: «بَرَحَ: الباء والراء والحاء؛ أصلان يتفرع عنهما فروع كثيرة، فالأول: الزوال والبروز والانكشاف، والثاني: الشدة والعِظَم وما أشبههما».
انظر: «مقاييس اللغة» (١/ ٢٣٨).

(٢) هو أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا (عزره) الأندلسي، ذهب الدكتور أحمد شحلان إلى أن ولادة المترجَم بين سنوات (١٠٥٥ و١٠٦٠م).
انظر: «التراث العبري في الغرب الإسلامي» (٦٢).
وفي كتاب «الأثر العربي في الفكر العبري» (١٠٣) أن المترجَم ولد سنة (١٠٣٠م)، وقد أخطأ صاحب كتاب «الأدب العبري القديم والوسيط» (١٥٣) حين أرَّخ مولد المترجَم سنة (١١٣٩م)، والأصل أنها سنة وفاته.
وكان موسى -هذا- مولعًا بالمحسنات البديعية؛ وخاصَّة الجناس، ونسج على منوال الجناس العربي أبياتًا عبرية؛ أنهى كل مجموعة منها بكلمة واحدة يختلف معناها في كل بيت، وجمع هذه الأبيات في كتاب سمَّاه «سفرها عناق»، وأهدى هذا الكتاب إلى صديق له يدعى (إبراهيم بن مهاجر)، ويتضمن هذا الكتاب ١٢١٠ أبيات تتناول موضوعات مختلفة؛ كالخمريات والحب والوصف... إلخ، وقد قدم -بنظمه هذه الأبيات- دليلًا قاطعًا على تمكنه وتعمقه في ألفاظ اللغة العبرية ومعانيها.
ومن آثار موسى بن عزرا: كتاب يعتبر عمدة في تاريخ الأدب العبري في الأندلس؛ وهو كتاب «المحاضرة والمذاكرة»، وقد كتب الكتاب بالعربية، مستعملًا الحروف العبرية؛ كعادة أهل زمانه من اليهود. =

(١١٣٩م)، خلَّفَ آثارًا كثيرةً، لم يُطبَعْ منها إلا القليل، أهمُّها: كتاب «الموازنة بين الشعر العربي والعبري»[(١)].

- اعتراف علماء اليهود بفضل الأدب العربي

قال البروفسور داويد يالين[(٢)]؛ أستاذ الأدب العبري الأندلسي في الجامعة

= ويمكننا تقسيم هذا الكتاب إلى ثمانية موضوعات، كل موضوع يبدأ بسؤال يوجهه أحد التلاميذ إلى موسى ويجيب عنه، وتتناول الإجابات: تاريخ، أدب، وشعر، ونصائح للشعراء والأدباء، وفي المقدمة يعترف موسى بفضل الثقافة العربية على اليهود، والكتاب لا يزال مخطوطة بمكتبة بودليان بإكسفورد، والنسخة التي يعتمد عليها الباحثون -في وقتنا هذا- ترجمة هالبي العبرية لهذا الكتاب بعنوان «شيرت يسرائيل»؛ أي: «شعر إسرائيل»، ونستطيع أن نقول: إن هالبي وفق في ترجمته -هذه-. وقد أَلَّف موسى عددًا من الكتب الفلسفية بالعربية بحروف عبرية؛ من بينها «كتاب الحديقة»، ولم يطبع هذا الكتاب بعد، وهو مخطوطة محفوظة بمكتبة بودليان.
انظر: «اليهود في الأندلس» (٦٨ - ٦٩) للدكتور محمد بحر عبدالمجيد.

(١) لم أجد -حسب بحثي- عند من ترجم لموسى بن عزرا؛ مؤلَّفًا بهذا الاسم، وقد أشار الدكتور شحلان إلى أن من الأغراض التي ضمها كتاب «المحاضرة والمذاكرة»: الموازنة بين اللغتين، والبحث عن المتشابه في الأدبين.
انظر: «التراث العبري في الغرب الإسلامي» (٦٥)؛ فقد يكون «الموازنة بين الشعر العربي والعبري» مبحثًا ضمن كتاب «المحاضرة والمذاكرة».

(٢) دافيد يلين David Yellin مستشرق يهودي مقدسي، ولد سنة ١٨٦٤م، ودرس في مدارس القدس، وبعد تخرُّجه عمل في التدريس منذ سنة ١٩٠٣م، وفي سنة ١٩١٤م عيِّن مديرًا لكلية المعلِّمين في القدس، ثم أستاذًا زائرًا في جامعة كولومبيا والمعهد اليهودي في نيويورك ١٩٢٤ - ١٩٢٥م، وحصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من المعهد الأخير سنة ١٩٢٥م، وانخرط في العمل التدريسي في الجامعة العبرية سنة ١٩٢٦م؛ فعيِّن محاضرًا في مدرسة الدراسات الشرقية، ثم أستاذًا للشعر العربي والعبري في الأندلس خلال العصور الوسطى، ومارس عمله في تلك المدرسة حتى وفاته سنة ١٩٤١م، وقد كان يلين ضليعًا باللغة العربية وآدابها، وعمل رئيسًا للجنة =

العبرية في القدس، في كتابه «فن الشعر الأندلسي» -ما معناه-: لقد كان العصر الأندلسي عصرًا زاهرًا في الأدب العبري، بدأ هذا العصر قبل البعث الأوربي بحوالي خمسة قرون، وقد شمل هذا التقدمُ تفسيرَ «التوراة» وتفسيرَ «التلمود»، ووضع قواعد اللغة العبرية، كما شمل التقدمَ الفكريَّ في الفلسفة، والرياضيات، وعلم الهيئة، والطب، لقد كان العصر الأندلسي العصر الذهبي الثاني للأدب العبري، وكان العصر الذهبي الأول عصر الكتاب المقدس.

اتَّخذ شعراؤنا من الشعر العربي في ذلك العهد نموذجًا ينسجون على منواله، وكان الشعر العربي -آنئذٍ- قد بلغَ الأوجَ في الازدهار والإبداع.

في ذلك العصر ظهر ناقدان كبيران للشعر العبري:

أحدهما: موسى بن عزرا؛ قال في كتابه «المحاضرة والمذاكرة»(١): الشعر

= اللغة العبرية مع أليعازر بن يهودا، ويعد من أبرز الشخصيات -اليهودية في فلسطين- المنتمية إلى الجمعية الماسونية الصهيونية بناي بْرِث (أبناء العهد)، وهو الذي ألقى خطاب اليهود أمام لجنة المبكى الدولية في القدس، في ١٧ تموز ١٩٣٠م، وطبع خطابه في مطبعة ملول في القدس.
«جذور البلاء» (١٥٥) بتصرف، «التعليم العبري في أرض إسرائيل» (٢/ ٣٠) لراحيل البوم درور -بالعبرية-، ومقالة (مدرسة الدراسة الشرقية في الجامعة العبرية في القدس) للدكتور هشام فوزي، المنشورة في مجلة «عالم الفكر» الكويتية، المجلد (٢٦)، العدد الأول، يوليو - سبتمبر ١٩٩٧م، (ص٢٥٥).

(١) قال عنه الدكتور شحلان: «كتاب فريد من نوعه، لم يعرف تاريخ التأليف العربي (لعله يقصد العبري) مثيلًا له، ألفه ابن عزره بالعربية، وكتبه بحروف عبرية؛ كعادة المِلفين اليهود، اهتم فيه بالشعر العبري، إلا أنه اتخذ الثقافة العربية أساسًا له؛ إذ تناول الشعر والأدب عامة، سواء العربي أو العبري، وكان للتاريخ فيه حظ كبير، وهو =

عند العرب هو أمرٌ طبيعيٌّ، على حين هو عند سائر الشعوب أمرٌ اصطناعيٌّ، ولما كان الأمر كذلك، ولما كان العرب قد وضعوا لأنفسهم قوانين وقواعدَ خاصَّةً من أجل تزيين شعرهم، فالقصائد التي تحقَّقت فيها هذه القوانين والقواعد؛ تُعَدُّ -في نظرهم- قصائد ممتازة، أما القصائد التي ينقصها ذلك؛ فهي قصائدُ ممجوجةٌ لا طعم لها، وعلى ذلك؛ فما أحرى الشعراء العبريين أن ينسجوا على طريقتهم جهد المستطاع!

أما الناقد العبري الثاني: فهو يهودا الحريزي[(١)]؛ يقول في كتابه «تحكموني»[(٢)] في أسلوبٍ حماسيٍّ: اعلم أنَّ الشعر البديع المملوء باللآلئ قد كان في بادئ الأمر مُلكًا مقصورًا على بني يعرب -وحدهم-، وقد وزنوه بموازينَ صادقةٍ، وهم يفوقون في شعرهم شعراء العالم قاطبة، ومع أنَّ لكلِّ أمَّةٍ

= غني بتراجم الأدباء اليهود وكتَّابهم، ولم يترك موضوعًا من مواضيع اللغة والنحو والفلسفة والأخلاق إلا اهتم به».
انظر «التراث العبري في الغرب الإسلامي» (٦٤).

(١) يهوذا بن سليمان الحريزي: شاعر وناقد يهودي، كان كثير الترحال، ترجم كثيرًا من المؤلفات؛ مثل: «سدر زعيم» و«دلالة الحائرين» لموسى بن ميمون، توفي سنة (١٢٣٠م).
«الأدب العبري القديم والوسيط» (١٥٠) بتصرف، «تاريخ آداب العرب» (٣/ ٣٥٠) للرافعي.

(٢) معنى هذا الاسم: هو «المعلم الحكيم»، وهذا الكتاب عبارة عن قصة خيالية على غرار «مقامات الحريري»، جمع فيه الحريزي تجاربه ومعلوماته، في قالب نثري مسجع، وشعري مقفًّى، وقد دُوِّن الكتاب ما بين (١٢١٨ - ١٢٢٠م).
«الأدب العبري القديم والوسيط» (١٥٠) بتصرف، «علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية» (١٧٠ - ١٧١).

شعراءَها؛ فإن جميع شعرهم لا قيمةَ له ولا وزن في مقابل شعر الإسماعيليين (أي: العرب)، فالعرب -وحدَهم- هم المستأثرون بالشِّعر العذب في لفظه، الجميل في فحواه ومعناه.

إنَّ بني شعبنا -بعد جلائهم عن أرض كنعان- قد قطن الكثيرون منهم مع بني يعرب في أوطانهم، وأَلِفُوا التحدث بلغتهم والتفكير بتفكيرهم، وبامتزاجهم بهم؛ تعلَّمُوا منهم صناعة الشعر، وحين كان آباؤنا يقطنون في مدينة القدس؛ ما كانوا يعرفون الشعر الموزون في اللغة العبرية، أما أسفار أيوب والأمثال والمزامير؛ فجملُها قصيرةٌ، وأبياتها سهلةٌ بسيطةٌ، وما أشبهها بالسجع! وهي بعيدةٌ عن أن تكون نظمًا جميلًا موزونًا مقفًّى.

وجديرٌ بالذكر: أنَّ الشعراء اليهود قد عرفوا الأساليب البلاغية المألوفة -آنئذٍ- عند العرب، والتي بها كانوا يُزيِّنونَ قصائدَهم، ويحلُّونَ أشعارَهم.

٤٤ س: قد علمنا تطور اللغة العبرانية من أول نشأتها إلى العصر الحديث؛ فهل لك أن تحدِّثَنا عن تطورها في العصر الحديث؟(١)

ج(٢): ازدادت عناية اليهود باللغة العبرية منذ القرن التاسع عشر؛ فوسَّعوا نطاق استعمالها في الشؤون العلمية والأدبية، وفي ميادين الترجمة والتأليف، وبلغت العناية أشدَّها في بعض أقاليم أوربا الشرقية والشمالية الشرقية التي يكثر فيها اليهود؛ كروسيا ولتوانيا وبولونيا، وكذلك في فلسطين؛ عمل اليهود

(١) بعدها في الأصل: «ص٥١».
(٢) الظاهر أن هذا الجواب - هو أيضًا - مأخوذ اختصارًا من «دروس اللغة العبرية» (٥١).

على بعث العبرية من مرقدها لتكونَ لغةَ التخاطب والتعليم[١].

وفي مستهل القرن التاسع عشر[٢]: كان اليهود متكتِّلين في روسيا أكثر من أيِّ قطرٍ أوربيٍّ آخر؛ فعملوا على إحياء اللغة العبرية، فنَبَغَ من بينهم عددٌ كبيرٌ من الكتَّاب والشعراء؛ الذين يُعتَبرون مؤسِّسي الأدب العبري الحديث[٣]، ومعلومٌ أن الصهيونية تقول بوجوب اعتبار اللغة العبرية اللغة القومية لليهود أينما حلُّوا.

وكان النشاط الصهيوني -في مستهلِّ هذا القرن- في روسيا أشدَّ منه في أيِّ بقعةٍ من بقاع العالم، وفي روسيا ظهر مؤسِّسو الصهيونية العملية[٤] الدَّاعية

(١) لعل سبب العناية ببعث اللغة العبرية نابع من فكرة العودة الاستيطانية إلى فلسطين واحتلالها؛ إذ تعتبر اللغة العبرية أهم وعاء للهوية العضوية اليهودية، وباستمرار هذه اللغة تستسمر الهوية اليهودية.

(٢) بحذائها في الهامش مكتوب بخط اليد: «العبري»، وليست ضمن سياق -فيما يبدو-.

(٣) يعود وجود اليهود في روسيا إلى القرن (٩م)؛ حيث استقروا في مدينة كييف باعتبارها مركزًا تجاريًّا، كما استوطنوا مناطق عديدة من بولندا، واضطلعوا في أعمال التجارة والزراعة والحِرف والتهريب، خاصة وأنهم كانوا يعيشون في الحدود، وكانت اليديشية وسيلة التفاهم بينهم؛ ما ساعدهم على التهريب، والتهرب من الضرائب، والتلاعب في الأسعار، وقد عاش اليهود صراعًا طبقيًّا في الوسط الروسي البولندي -منذ القرن (٩م) إلى القرن (١٩م)-، إلى أن جاءت الثورة البلشفية التي حلَّت مسألة القومية اليهودية بطريقة مختلفة، وخلال هذه المرحلة ازدهر الأدب اليهودي في روسيا، وأنتج مجموعة من الكتَّاب والشعراء.
انظر: «موسوعة اليهود» (٤/ ٣٦١) و«بدايات الأدب العبري الحديث» (٩٧) بتصرف.

(٤) الصهيونية العملية (التسللية): اصطلاح يطلق على أحد التيارات الصهيونية التي وجدت قبل ظهور هرتزل وبلفور، كان هدفهم العمل على تحقيق أمر واقع في فلسطين؛ عن طريق التسلل إليها بالطرق السرية أو بالوساطات الخفية. =

إلى اعتبار فلسطين وطنًا قوميًّا لليهود، وظهر في لتوانيا وجنوبي روسيا عددٌ لا يُستهان به من الكُتَّاب والشعراء اليهود؛ الذين صاروا يكتبون ويقرِّضون الشعر بالعبرية، نذكر منهم: مردخاي غينزبورغ[(١)] وإبراهام ليفنزون[(٢)]، ترجمَ الأوَّلُ -بلغةٍ عبريةٍ بسيطةٍ- عددًا كبيرًا من الكتب العلمية والأدبية عن

= انظر: «موسوعة اليهود» (٦/ ٢١١)، ورسالة الباحث عبداللطيف زكي أبو هاشم «مفهوم الصهيونية عند الدكتور عبدالوهاب المسيري من خلال «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» أنموذجًا، مع دراسة نقدية لأعماله».

(١) مردخاي أهارون جينزبورغ (١٧٩٦ - ١٨٤٦م)، يعرف بـ(رماج)، قاص يكتب بالعبرية، عرف بأسلوبه المتميز، وقد كتب في موضوعات متعددة؛ مثل: جغرافية فلسطين، والسامريين، وضرورة إصلاح التعليم العبري، وتاريخ اليهود الروس، وترجم كتبًا تاريخية مهمة بالنسبة لليهود؛ مثل: «مهمة فيلون اليهودي إلى القيصر (كايوس كاليجولا) (١٨٣٧م)»، ومن أهم أعماله: قصته «اليعازر»؛ وهي سيرته الذاتية، وقد جاءت على غرار السير الذاتية التي نشرت بعد اعترافات جان جاك روسو، وكان الهدف من هذه القصة: إظهار قصور التعليم اليهودي القديم، ولفت الأنظار إلى الثقافة الحديثة، وكان من الممكن أن تعتبر هذه القصة حجر الأساس في تطور القصة الطويلة المكتوبة بالعبرية، سواء في تصور الحدث أو في رسم الشخصيات، لكن هذه القصة كان يعيبها غياب وحدة الحدث، وافتقارها إلى كثير من الأسس التي تقوم عليها القصة الطويلة.
انظر: «بدايات الأدب العبري الحديث» (١٩٥)، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» (٣/ ٣٠٦ - ٣٠٧).

(٢) أفراهام دوف هكوهين ليفنسون: يعرف بـ(آدام هكوهين) (١٧٩٤ - ١٨٧٨م)، كان شاعرًا قوي الإحساس، عميق الفكر، تنقصه الثقافة العامة، من أشهر قصائده: «هَحِمْله»؛ بمعنى: الرحمة، «هَمِتْلونين فيهمشورير»؛ بمعنى: الشاكي والشاعر، «دَل مْفين»؛ بمعنى: المسكين يفهم.
«بدايات الأدب العبري الحديث» (١٩٧) بتصرف، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» (٣/ ٣٠٦).

الروسية، وقرَّضَ الثاني -بالعبرية- قصائدَ تناولت الألم الإنساني، وألم الفرد، والعذاب، والسعادة الموهومة... إلخ.

وأسلوبه في هذه القصائد يشبه أسلوب العهد القديم، وترك غينزبورغ(١) ديوان شعر أسماه «قصائد اللغة المقدسة»(٢)، ولهذا الديوان تأثيرُه الملموس

(١) المقصود -هنا-: هو إبراهام ليفنزون؛ لأن سياق الحديث يدل عليه، فهو الشاعر، أما مردخاي غينزبورغ؛ فهو كاتب، ومما يعضد ذلك: أن الديوان الشعري «قصائد اللغة المقدسة» لإبراهام ليفنزون؛ كما سينجلي في عزوه.
وتابع الهلاليُّ صديقه ربحي كمال في هذا الوهم! إذ نسب كمال في «دروس في اللغة العبرية» (ص٥٢) «قصائد اللغة المقدسة» لغينزبورغ!!

(٢) يقول صاحب كتاب «بدايات الأدب العبري الحديث» (١٩٨)، في سياق حديثه عن إبراهام ليفنزون: وقد أصدر بعد ذلك كتابًا من جزأين، تحت عنوان «شيري ليشون هاقوديش»؛ بمعنى: «أشعار اللغة المقدسة»، أثار خلال السنوات (١٨٤٢ - ١٨٥٦م) ضجة كبيرة في معسكر المتعصبين اليهود؛ لأنه امتدح فيه العلم كثيرًا، وجعله في مرتبة واحدة مع الدين. اهـ بتصرف.
ويُعدُّ ليبنسون من أبرز شعراء عصر التنوير، ومن أبرز الشعراء الذين كتبوا بالعبرية على وجه العموم، ورغم أن قصائده المبكرة لم تتجاوز نطاق شعر المناسبات الذي يُكتَب تقرُّبًا للوجهاء والمشاهير؛ إلَّا أن مجموعته الشعرية الأولى «أناشيد اللغة المقدَّسة» (١٨٤٢م) أثارت اهتمامًا كبيرًا؛ حيث وُصفت بأنها فاتحة عهد جديد في الأدب الحديث المكتوب بالعبرية في روسيا، ووُصف صاحبها بأنه (أعظم شعراء العبرية في عصره)، وهي مبالغة لا أساس لها في الواقع.
وقد أصدر ليبنسون مجلدين آخرين من الأناشيد (في عامي ١٨٥٦ و١٨٦٩م)، وشمل المجلد الثالث بعض قصائد ابنه الشاعر ميخا ليبنسون؛ الذي خلَّف موته المأساوي -في سنٍّ مبكرة- أثرًا عميقًا في حياة ليبنسون الأب وفي شعره -على حدٍّ سواء-؛ حيث غلبت على قصائده الأخيرة نبرة الكآبة واليأس والتبرم من ظلم الطبيعة والجنس البشري، والإحساس بالعجز إزاء الموت، ومع ذلك؛ ظلَّ شعر ليبنسون -بوجه عام- محتفظًا بخصائصه الأساسية التي ظهرت في مراحله الأولى؛ فهو شاعر نمطي =

فيمن جاء بعده من الشعراء اليهود، ويتَّسم شعره بطابع الحزن والأسى، ثم ظهر من بعده ميخا ليفنزون[(١)]؛ فوصف بقصائده جمال المناظر الطبيعية[(٢)]، والحب، والحنين، وآلام الشعب اليهودي، وترجم روائع الشعر العالمي إلى العبرية.

= يميل إلى التنميق اللفظي والحماس البلاغي، كما أنه يلتزم بالتقاليد القديمة في النظم والبناء دون أن يسعى إلى التجديد أو التجاوز، وعلى أية حال؛ فإن شعره يفصح عن أن صاحبه لم يكن ذا خلفية فكرية عميقة، ولم يكن على دراية بالآداب الأوربية، وما طرأ عليها من تطوُّر، وقد ظلَّت خبراته محصورة في نطاق حياته المحدودة في بلدته الصغيرة.

وبالإضافة إلى الشعر؛ كتب ليبنسون مسرحية بعنوان «الحقيقة والإيمان» (١٨٦٧)؛ لم تكن لها قيمة تُذكَر، ولكنها أصبحت -حينذاك- موضوعًا للسجال الأدبي؛ حيث أثارت حفيظة اليهود الأرثوذكس بسبب سخريتها من التعصُّب الديني، ودعوتها إلى إخضاع الدين اليهودي للواقع المادي، وإلى ضرورة تطهير الدين من المبالغات، وذلك؛ بينما نجد أن أنصار حركة التنوير نظروا إلى مضمونها بوصفه أمرًا عفى عليه الزمان، كما وضع ليبنسون كتابًا في نحو اللغة العبرية عام ١٨٧٤م، وأسهم في إصدار الطبعة الثانية من الترجمة العبرية التفسيرية لـ«العهد القديم» التي أعدها موسى مندلسون وأتباعه، ولكنه أضاف إليها شروحًا جديدة خلت منها الطبعة الأولى، وقد نُشرت الطبعة الثانية بالعنوان الفرعي «شروح جديدة» (١٨٥٨م) وقد كان لهذه الشروح دور كبير في ذيوع فكر حركة التنوير في أوساط يهود روسيا.

(١) ميخا يوسف ليفنسون: يعرف بـ(ميخا) (١٨٢٨ - ١٨٥٢م)، خلَّف ثلاثة كتب: «أطلال طروادة»؛ وهو ترجمة عبرية لقصة حصان طروادة الشهيرة، «أغاني ابنة صهيون»؛ وهي ست قصائد، استقى موضوعها من التاريخ اليهودي القديم والوسيط، ديوان بعنوان «قيثارة ابنة صهيون».

«بدايات الأدب العبري الحديث» (١٩٨ - ٢٠٠) بتصرف.

(٢) في الأصل: «الطبعية».

وفي منتصف القرن التاسع عشر: اشتهر بين يهود روسيا القصَّاص العبري إبراهام مابو[(١)]؛ وهو -في نظر أدباء اليهود- مؤسِّس القصة العبرية في الأدب الحديث، ومن أشهر مؤلفاته: قصة «محبة صهيون»[(٢)].

وأكبر شعراء اليهود -في ذلك الحين-: يهودا ليب غوردون[(٣)]؛ حمل -هذا الشاعر- حملةً شعواءَ[(٤)] على اليهود المتعصِّبين الجامدين، ومن أقواله: «كن إنسانًا خارج بيتك، ويهوديًّا في بيتك»[(٥)]؛ بمعنى: أنَّه يجب أن

---

(١) أفرهام مابو (١٨٠٨ - ١٨٦٧م): يعتبر أول من ألَّف الرواية في الأدب العبري الحديث؛ بل هو أول من ألَّف الرواية «المقرائية»، حسب دافيد باترسون.
«بدايات الأدب العبري الحديث» (٢٢٢) بتصرف.

(٢) حاول من خلال هذه الرواية أن ينقل حياة العصر اليهودي القديم بطريقة معبرة، لا يستطيع القارئ العبري التحرر من الأحداث؛ لإحساسه وكأنه يعيشها، وقد ترجمت هذه الرواية إلى لغات كثيرة؛ من بينها العربية.
«بدايات الأدب العبري الحديث» (٢٢٢) بتصرف.

(٣) يهودا ليف جوردون: يعرف بـ(يلج) (١٨٣٠ - ١٨٩٢م)، اقتبس موضوعات أشعاره الأولى من التاريخ اليهودي القديم؛ مثل: «ميخال»، من قصائده: قصيدة «دافيد وبرزيلاي»؛ تحكي قصة الملك داوود، وقصيدة «استيقظ يا شعبي»؛ يحث قرَّاءه على أن يكونوا عصريين مثل الروسيين.
«بدايات الأدب العبري الحديث» (٢٠٨ - ٢١٠) بتصرف.

(٤) شعى الشيء: إذا فشى وانتشر، قال ابن فارس: «الشين والعين والحرف المعتل؛ أصل يدل على مثل ما دل عليه الذي قبله [يقصد (شعل) الذي يدل على انتشار وتفرق في الشيء الواحد من جوانبه]، يقال: أعشى القوم الغارة إشعاء؛ إذا أشعلوها، وغارة شعواء: فاشية».
انظر: «مقاييس اللغة» (٣/ ١٩٠).

(٥) وردت هذه المقولة في قصيدته «استيقظ يا شعبي» التي كتبها سنة (١٨٦٣م).
انظر: «بدايات الأدب العبري الحديث» (٢١٠).

تكون مواطنًا مخلصًا ونافعًا للدولة التي تعيش فيها، أما في بيتك؛ فحافظ على شعائر الدِّين اليهودي وفكِّر بلغتك.

ودعا غوردون ورفاقُه بني جلدتهم إلى التَّقرُّب إلى الشعب الروسي، وإلى لغته وثقافته، وإلى وجوب نبذ الفكرة الصهيونية، وعدم التَّعلُّق باللغة العبرية واعتبارها لغةً قوميَّةً، ودعاهم إلى عدم الهجرة إلى فلسطين؛ فهي -في نظره- بلادٌ فقيرةٌ جرداءُ، لا مجال فيها للتجارة ولا للصناعة، وحثَّهم على السفر إلى أمريكا حيث النُّور والحرية، وحيث الإمكانيات غير المحدودة، وقد لبَّى هذه الدعوة ألوفٌ مؤلَّفةٌ من اليهود؛ فصاروا يهاجرون إلى أمريكا، ولم يهاجر إلى فلسطين منهم إلَّا القليل[١].

إنَّ الحركة الصهيونية التي نشأت بين يهود روسيا[٢]، لم تكن مقصورةً على الدعوة إلى الهجرة إلى فلسطين وتأسيس المستعمرات فيها -فحسب-؛ بل كانت ترمي -بالإضافة[٣] إلى ذلك- إلى إحياء الثقافة اليهودية واللغة العبرية.

(١) انظر: دراسة الباحث ماجد الحاج «الشتات الروسي في إسرائيل»، نشر مركز مدار في رام الله، سنة ٢٠٠٠م.

(٢) للاطلاع على تاريخ الحركة الصهيونية العالمية عامة، والروسية خاصة؛ انظر: «موسوعة اليهود» (٦/ ٣٢٣ وما بعدها)، «بدايات الأدب العبري الحديث» (٣٩ وما بعدها)، «الأدب العبري القديم والوسيط» (١٨١)، «مفهوم الصهيونية عند الدكتور عبدالوهاب المسيري من خلال «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» أنموذجًا، مع دراسة نقدية لأعماله» لعبداللطيف زكي أبو هاشم، «اليهودية والصهيونية» لهشام الدجاني، «تاريخ الصهيونية» لصبري جريس، «معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية» لجوني منصور، وللهلالي **مقالة مهمة** بعنوان (أصل الصهيونية: من أين أتت؟) انظر عنها: ما سيأتي (ص٥٤٩).

(٣) في الأصل: «بلا ضافة».

وفي أواخر هذا القرن: ظهر في لتوانيا لغويٌّ يهودي يُدعى (إليعزر بن يهودا)[١]، وكان يدعو إلى إنعاش اللغة العبرية في فلسطين، وكان يقول: «**إنَّ اللغة هي الأمة، والأمة هي اللغة، وإنَّه لا حياةَ للأمة بدون لغة**».

وكان استعمال العبرية مقصورًا -آنئذٍ- على الكتب، وعلى تلاوة الصَّلوات والأدعية، ولم يكن يحلم أحدٌ بأن تغدوَ العبرية لغةَ محادثةٍ يستعملها الكبار

(١) حين ولد إليعازر بن يهودا في عام ١٨٥٨م سمي إليعازر برلمان (Perlman)، لكنه حين تجاوز العشرين؛ اختار اسمًا عبريًّا هو (بن يهودا) وقع به أول مقال صهيوني له في عام ١٨٧٩م، ثم لازمه الاسم الجديد من بعد، وكان مولده ببلدة لوشكي (Lushki) في إقليم ليتوانيا من أقاليم الإمبراطورية الروسية، وقد تعلَّم في طفولته التعليم الأولي اليهودي، كما التحق بمعهد «التلمود» في بولوتسك، لكنه في الخامسة عشرة سلك نهجًا جديدًا بدخول مدرسة عالية للعلوم في دفينسك Dvinsk؛ حيث تقبل الاتجاهات الفكرية الثورية التي كانت تزخر بها المدارس الوسطى والعالية الروسية لذلك العصر، ومع هذه النزعة للتحرر من ماضيه؛ فقد ظل يطالع الأدب العبري، ويطالع صحيفة «الفجر» لسمو لينسكين، ويتأثر بنظريات الثقافة القومية لمحررها.
وفي نهاية السبعينيات حدث تغيير كبير في أفكار بن يهودا -كما يقولون-؛ حيث رأى إقامة الفكرة الصهيونية على أساس علماني سياسي، مخالفًا نهج سمو لينسكين، وهاجر إلى باريس لدراسة الطب، ولكن مرض السل حال دون قصده في مناخها البارد؛ فسافر عام ١٨٨١ إلى الجزائر حيث الدفء.
ومنها استطاع الهجرة إلى القدس؛ حيث أمضى بقية حياته، عدا سنوات الحرب العالمية الأولى التي قضاها بأمريكا، وتوفي سنة ١٩٢٣م.
ويعتبر رائد حركة إحياء اللغة العبرية الحديثة، ويعتبرها أهم أوعية الهوية العضوية اليهودية، وقد كان مُصرًّا على فكرة القومية العضوية المرتبطة بالأرض، واشترك في تأسيس جمعية صهيونية دعت إلى العمل في الأرض- أي: فلسطين-.
انظر: «موسوعة اليهود» (٣/ ٣٣٨)، «المدخل إلى سياسة إسرائيل الخارجية» (٨٣ - ٨٤).

والصغار في جميع شؤون الحياة اليومية، فدعا إليعزر بن يهودا إلى جعل العبرية لغةَ الحديث في أفواه الناشئة في البيت والشارع، ولغة التعليم في المدرسة.

وفي عام (١٨٨١م) هاجر إليعزر بن يهودا مع زوجته إلى فلسطين، وأقام في القدس، وظلَّ مدَّةَ أربعين عامًا يناضل باستمرارٍ من أجل إحياء اللغة العبرية، وجعْلِها لغةَ الخطاب والمحادثة، وما إن وَطِئَت قدماه أرض فلسطين؛ حتى فرضَ على نفسه وعلى زوجته التحدُّث -فيما بينهما ومع كلِّ يهوديٍّ- باللغة العبرية، ولما رُزِقَ ابنَه الأول؛ علَّمَه التكلم باللغة العبرية، فسَخِرَ منه أصدقاؤه، وأشاروا عليه بالعدول عن هذا الجنون، وألَّا يكون سببًا في إتعاس ولده، الذي لن يستطيع الاشتراك في اللعب والحديث مع لِدَاته؛ لعدم وجود لغةٍ مشتركةٍ بينه وبينهم، ولكن إليعزر لم يعبَأْ بسخرية السَّاخرين.

وأصدر إليعزر بن يهودا في القدس صحفًا بالعبرية للكبار والصغار(١)؛ دعا فيها إلى إحياء اللغة العبرية، واستعمالها للتخاطب، وأسَّس في القدس رابطةً المتكلمين باللغة العبرية(٢)؛ كانت ترمي إلى نشر اللغة العبرية بين ظهراني

(١) مثل: مجلة «هاتسفي» (الظبي) الأسبوعية (١٨٨٤م)، والتي أصبحت -فيما بعد (١٩١٠م)- جريدة يومية، وكانت الصحيفة اليومية العبرية الأولى في فلسطين، وسميت بعد ذلك «هاأور»، وقد نشر أفكاره الصهيونية فيها.
انظر: «موسوعة اليهود» (٣/ ٣٣٨)، ومقالة (الصحافة العبرية في فلسطين حتى عام ١٩٤٨م) على موقع (صحيفة مدار الفلسطينية).

(٢) لقد أدرك ابن يهودا ارتباط إحياء اللغة العبرية بالتجربة الاستيطانية، وأنه لا يمكن إنجاز الواحد دون الآخر؛ فكان من بين مساعيه في هذا السبيل: تأسيس جمعية اللغة العبرية عام (١٨٨٩م)، وظلَّ رئيسًا لها حتى وفاته، وقد تحولت هذه الجمعية عام (١٩٥٣م) إلى أكاديمية اللغة العبرية. =

الناشئة اليهودية، وكان بيتُه محجًّا للشَّباب المثقف، الطامح إلى النهضة القومية، وإلى إحياء اللغة العبرية، وقد نجحَ إليعزر نجاحًا لا يُستهان به في سبيل تحقيق دعوته، ممَّا حمل الكثيرين على محاكاته، وسرعان ما انتشرت العبرية بين الخاصِّ والعام، وقامَ جيلٌ جديدٌ من اليهود؛ اتَّخذَ العبرية لغةً للتفاهم.

وقد صادف إليعزر بن يهودا في طريقه صعوبات جمَّةً؛ إذ قام حاخامو[(١)] القدس فشنُّوا عليه حربًا شعواء، ونبذوه، واضطهدوه، وقاطعوه[(٢)]، ولما تُوفِّيت زوجته؛ رفضوا دفنها في المقبرة اليهودية على جبل الزيتون في القدس، وقد اشتدَّت الحرب بينه وبين الحاخامين إلى حدٍّ حملهم على الوشاية به لدى السُّلطات التركية؛ بأنَّه ثائرٌ على الحكم القائم، مما أدى إلى زجِّه في السجن،

= انظر: «موسوعة اليهود» (٣/ ٣٣٩) بتصرف، «المدخل إلى سياسة إسرائيل الخارجية» (٨٥)، مقالة (توظيف الشخصية الدينية في الأدب لخدمة الفكرة الصهيونية) للأستاذ أحمد حماد؛ مدرِّس الأدب العبري بجامعة عين شمس، المنشورة في مجلة «عالم الفكر» الكويتية، عدد إبريل -مايو- يونيو ١٩٨٣م، (ص١٦٢)، ومقالة (العولمة والعربية: استنهاض أم استنزاف) للحسن سعيد جالو، منشورة في مجلة «الفيصل»، عدد (٣٠٨).

(١) (الحاخامات) بمعنى (الفقهاء)، (حاخام) كلمة عبرية معناها: الرجل الحكيم أو العاقل، ومنها أخذت كلمة (حاخام) لتدلَّ على المفرد.
انظر: «موسوعة اليهود» (٥/ ١٥١).

(٢) لأن اللغة العبرية -في نظرهم- هي اللغة المقدسة، ولا يجوز استعمالها إلا في الصلوات والشؤون الدينية.
انظر: «دروس في اللغة العبرية» (٥٤) و«موسوعة اليهود» (٣/ ٣٣١).

ولكن؛ سرعان ما أُخلي سبيله بوساطة البارون دي روتشيلد[١]، وبالرغم من هذا الاضطهاد؛ فإنَّ إليعيزر لم يتزحزح عن الغاية التي كان يرمي إليها.

أما المشروع الكبير الذي أنجزه إليعيزر بن يهودا: فهو تأليف «قاموس اللغة العبرية القديمة والجديدة»[٢]، وقد ثبت له -بعد الاستقراء- أنَّ مفردات

(١) إدموند دي روتشيلد (١٨٤٥ - ١٩٣٤م): أحد زعماء الفرع الفرنسي لعائلة روتشيلد المالية اليهودية، وأحد الأبناء الخمسة لجيمس ماير دي روتشيلد (١٧٩٢ - ١٨٦٨م)؛ مؤسس فرع العائلة في فرنسا، كان إدموند من أكبر الراعين لعملية الاستيطان الهادئ والتدريجي، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى؛ حيث استخدم نفوذه للحصول على موافقة فرنسا على وعد بلفور، وإدخال فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وقد وصل حجم رعايته ودعمه للمستوطنات إلى الحد الذي أكسبه لقب (أبو اليشوف)؛ بمعنى: أبو المستوطنين.
«موسوعة اليهود» (٦/ ١٧٩ - ١٨٠) بتصرف.

(٢) «Thesaurus de la langue hebraique ancienne et moderne» هو معجم تاريخي يرصد تطورات اللغة في كل مراحلها، طبع ببرلين، ويضم سبعة عشر مجلدًا، وتطلب تأليفه خمسة عقود زمنية، والواقع أنَّ «معجم إليعازر» بالرغم من المجهود الفردي المبذول فيه؛ فهو يشمل مجموعة ضخمة من الشواهد من مختلف عصور العبرية، ويستثمر العديد من مصادر التفسير، والمعاجم، وكتب النحو الخاصة، والعلوم الحديثة، بما فيها نماذج اللغة العبرية المكتشفة مؤخرًا، ومع هذا؛ فقد قامت الأكاديمية العبرية بإعداد «معجم تاريخي للغة العبرية»؛ مراعاة لتقدم البحث العلمي، وظهور مستجدات في التنقيبات الأثرية طوال تسعة عقود زمنية، مما تتطلب التفكير في بناء معجم تاريخي أكثر شمولية، فمنذ ظهور (الجزء الأول) من مُؤلف إليعازر الكبير؛ دُرست مختلف مراحل العبرية، بما فيها المرحلة التلمودية، المُسمَّاة (ليشون حاخاميم) -أي: لسان الحكماء-، التي ترصد -أساسًا- العبرية الميشينية (michnique)، وتمَّ اكتشاف العديد من الآثار، ودُرست الوثائق المدوَّنة والشهادات الشفوية المسجلة من أفواه العديد من اليهود من مجموعات مختلفة، كما حصلت عدة تغييرات بنحو العبرية الحديثة؛ نتيجة عوامل فيلولوجية طبيعية، مثال ذلك: =

اللغة العبرية -في ذلك الحين- لم تكن تصلح إلا للتخاطب في شؤونٍ نظريَّةٍ وروحيَّةٍ مجرَّدةٍ، ولكنها ليست بكافيةٍ لحاجات التكلم[١] الطبيعي في جميع الشؤون الحيوية، ويقول في هذا الصَّدد: حقًّا؛ لقد اتَّسعت اللغة العبرية، ونمت وتطوَّرت على مدى الأجيال، ونبغَ في العصور الوسطى أدباء وشعراء ولغويون يهود هذَّبوا اللغة العبرية وحسَّنوها، وكيما تُجعَلَ اللغةُ العبريةُ لغةَ المحادثة الحية؛ يجب أن نجدِّدَ ألفاظًا وعباراتٍ نسيناها على مدى الأيام، إذا دار الحديث بيننا حول شؤونٍ بسيطةٍ عاديَّةٍ من صميم الحياة اليومية؛ غَدَونا خُرسًا بُكمًا، لا نستطيع الكلام، لذا؛ يجب علينا أن نخترع ألفاظًا للأدوات المنزلية، وأدوات المطبخ، وأدوات الصناعة، وأدوات الدراسة والثياب، وما إلى ذلك، وسدًّا لهذا النقص؛ رأيتُ من واجبي تأليف «قاموس اللغة العبرية القديمة والحديثة»[٢].

= القياس المفضي إلى تغيير القواعد النحوية والتحول الدلالي، وقد فَرضت التغييرات العديدة التي تعرضت لها العبرية -طوال العصور- على أعضاء أكاديمية اللغة العبرية: العمل على رصد هذه التحولات ودراستها، مع نية إخراج ذلك في قرص مدمج، انظر التفصيل: في بحث «المعجم التاريخي للغة العبرية، دراسة في البواعث والخصائص» للدكتور خالد محمد بن عبدالله اليعبودي، وعقد في جامعه بفاس، ونشر ضمن ندوة بعنوان (المعجم التاريخي للغة العربية: قضايا النظرية والتطبيق) بتأريخ ٢٢ - ٢٤ ربيع الثاني ١٤٣١هـ/ ٨ - ١٠ إبريل ٢٠١٠م.

وينظر: مقالة (الترجمة من العربية إلى العبرية في ظل اللاهوتية السياسية والعلاقات الكولونيالية بين اللغتين) ليهودا شنهاف شهرباني، المنشورة في مجلة «الدراسات» الفلسطينية، عدد (١٠٥)، شتاء ٢٠١٦م، (ص١٢٧).

(١) في الأصل: «الكلم».

(٢) انظر: «دروس اللغة العبرية» (٥٤ - ٥٥).

وانكبَّ إليعيزر بن يهودا على العمل بحماسةٍ وإخلاصٍ دون كللٍ أو مللٍ، وراح ينقِّب عن كنوز اللغة العبرية في كتب الأقدمين في «العهد القديم» و«التلمود»، وفي الأدب العبري الذي ترعرعَ في العصور الوسطى؛ لا سيَّما في الأندلس في ظلال الحكم العربي، وثابر على دراسة اللغات السامية، ومن جميع هذه الينابيع: اشتقَّ[١] إليعيزر ألفاظًا ومصطلحاتٍ وجذورًا، وجعلها صالحةً للاستعمال في لغة التخاطب والكتابة.

جمع إليعيزر بن يهودا كلَّ ما أنتجته اللغة العبرية طوال سنيِّ حياتها من مفردات في «معجمه الكبير»، ولما أعوزته الحاجة إلى كلماتٍ جديدةٍ، لمصطلحاتٍ جديدةٍ علميَّةٍ وعمليَّةٍ، لا وجود لها في «العهد القديم» ولا في الأدب العبري القديم، أو إلى مصطلحاتٍ عاديَّةٍ ضروريَّةٍ في الحياة اليومية، كانت حياةُ اللغة متوقِّفةً عليها؛ قامَ فابتكرها بنفسه، عن طريق البحث والاستقصاء والتعمُّق في مكامن اللغة العبرية وأخواتها من اللُّغات السامية، وثابر إليعيزر مدَّة أربعين عامًا على إصدار «المعجم العبري الكبير»، وقد أعدَّ تسعة مجلَّدات منه في حياته، ويصدر «المعجم العبري الكبير» -الآنَ- في ستة عشر مجلدًا[٢] مدقَّقةً ومنقَّحةً من قبل كبار المحققين واللغويين[٣].

وبعد انتشار الحركة الصهيونية؛ انتشرت معها اللغة العبرانية الحديثة،

(١) في الأصل: «استقى»! وكتب في الهامش: «اشتقى»!

(٢) بعد وفاته؛ قامت بإتمامه أكاديمية اللغة العبرية -التي أنشأها-، وأصدرته سنة (١٩٥٩م)، وصدر في برلين في سبعة عشر مجلدًا.
انظر: «موسوعة اليهود» (٣/ ٣٣٩).

(٣) في الأصل: «اللغوين» بياء واحدة.

وتغيَّر أسلوب تعليمها من (الحيدر)[(١)] -المُسمَّى عند العرب بـ(الكُتَّاب)- إلى نظام التعليم الحديث الذي يتدرَّج بالتلميذ من المعلوم إلى المجهول، ومن الأسهل إلى السهل، وأُلِّفت كتب التعليم بجميع أنواعه؛ من تحضيري وابتدائي ومتوسط وثانوي وعالي، وأصرَّ رجال التربية على استعمال اللغة العبرانية في جميع مراحل التعليم، وتحتوي مناهج التعليم في المدرسة الحديثة: القراءة الموضحة، وقواعد اللغة العبرية، ودراسة «العهد القديم»، و«الهجادا»، و«المشنا»، و«الجمارا»، وتاريخ بني إسرائيل، وجغرافية فلسطين، والرياضيات، والطبيعيات، وصارت لغة التعليم هي العبرانية -وحدَها-.

وحرص المعلمون على تحسين طرق التَّعليم، وألَّفوا كتبًا دراسيَّةً جديدةً في جميع مراحل التعليم، كما حرصوا على بثِّ الروح الصهيونية بين التلاميذ، وعلى جعل اللغة العبرية لغةً تتردَّدُ على ألسنة الجيل الجديد.

طرأ تطور ملحوظ -آنئذٍ- على اللغة العبرية؛ فقام من اليهود كُتَّابٌ وشعراءُ وصحفيون يكتبون باللغة العبرية، كما ازدهرت اللغة العبرية ازدهارًا ملحوظًا؛ فكانت تَصدر -في مختلف أنحاء أوربا الشرقية والوسطى- نشراتٌ دوريَّةٌ سنويةٌ وشهريةٌ وأسبوعيةٌ، وصحفٌ يوميةٌ باللغة العبرية، وأهمُّ هذه

(١) (حيدر) كلمة عبرية؛ معناها: حجرة، يشار بها إلى المدرسة الأولية الخاصة التي ظهرت منذ القرن الثالث عشر الميلادي، وهي مدرسة يمكن أن يقيمها أي شخص ملم بالشريعة اليهودية، بعد الحصول على موافقة الحاخام، ويسمى معلم الحيدر (ميلاميد).
انظر: «موسوعة اليهود» (٣/ ٤٩٢).

الصحف -جميعًا-: صحيفتا «هامليتس»[(١)] التي كانت تصدر في بطرسبورغ، و«هاتسفيرا»[(٢)] التي كانت تصدر في وارسو، وقد تناولت جميع الشؤون التي كانت تهمُّ اليهود خاصَّةً، وسائر الأمم عامَّةً -في ذلك الحين-، وكان لها تأثيرٌ فعَّالٌ على القراء.

ومن أبرز المجلات الشهرية الأدبية -في ذلك الحين-: مجلة «هاشيلواح»[(٣)] التي أنشأها[(٤)] أشير غنزبورغ؛ الملقب.................................

(١) «هميليس» أي: المبلِّغ أو البليغ، قام بإصدارها أ.صدربويم في مدينة أوديسا، وكانت أول جريدة أسبوعية عبرية تصدر في روسيا، وفي عام (١٨٨٦م) بدأت تصدر يومية حتى عام (١٩٠٤م) من سانت بطرسبرج.
انظر: «بدايات الأدب العبري الحديث» (٢٤٠).
وفي الأصل: أشار تحتها إلى الهامش، وكتب: «بليغ».

(٢) «هصفيرا» أي: الصباح، بدأت في الصدور عام (١٨٦٢م)، كان يحررها العالم الرياضي حاييم زليج سلونيمسكي (١٨١٠ - ١٩٠٤م)، وفي عام (١٨٨١م) حررها ناحوم سوكولوف، وفي عام (١٨٨٦م) أصبحت يومية؛ ما جعل تأثيرها -في الحياة والآداب اليهودية- كبيرًا، وفي عام (١٩٢٨م) توقفت عن الصدور، وقد اعتبرها الزعيم الصهيوني حييم وايزمان -أول رئيس لإسرائيل-: «إنها المجلة الرئيسية والأداة الكبرى ليقظة الفكر العبري في ذات الوقت».
انظر: «بدايات الأدب العبري الحديث» (٢٤١).
وفي الأصل: أشار تحتها إلى الهامش، وكتب: «الفجر».

(٣) «هَشيلُوَاح» اسم نهر ورد في «سفر إشعيا»؛ وهي مجلة عبرية للأدب والعلم وشؤون الحياة (١٨١٦ - ١٩٢٧م).
«بدايات الأدب العبري الحديث» (٢٤٤).
في الأصل: أشار تحتها إلى الهامش، وكتب: «المراسلة».

(٤) ذكر صاحب كتاب «بدايات الأدب العبري الحديث» (٢٤٤) أن مؤسسها هو ن.ز.فيسوتسكي، عن دار نشر آحى آساف، وكان يحررها آحاد هعام ما بين (١٨٩٦ =

بـ(أحد الشعب)[١]، ثم أشرف على تحريرها يوسف كلاوزنر[٢]، وإلى جانب الصحافة العبرية[٣]؛ كانت هناك صحافةٌ أوسع نطاقًا، تصدر بلغة الإيديش[٤]

= - ١٩٠٢م)، ثم يوسف كلوزنر ما بين (١٩٠٣ - ١٩٢٧م)، وقد ذهب المسيري في «موسوعة اليهود» (٦/ ٣٠٠) إلى أن مؤسسها آحاد هعام، وهو نفس ما ذهب إليه الهلالي.

(١) أحد الشعب أو أحد العامة، وهي بالعبرية: آحاد هعام، و(آحاد هعام) هو الاسم الذي اشتهر به الكاتب الروسي -وكان يكتب بالعبرية- آشر جينزبرج، ويُعدُّ آحاد هعام من أهم الكتَّاب والمفكرين في أدب العبرية الحديث، كما يُعدُّ فيلسوف الصهيونية الثقافية؛ بل المؤسس الحقيقي للفكر الصهيوني، والذي خرج من تحت عباءته كل المفكرين الصهاينة.
انظر: «موسوعة اليهود» (٦/ ٢٩٧).

(٢) في الأصل أشار تحتها إلى الهامش، وكتب: «דוקטלר יישַׁף קְצרזְנֶר أستاذ العبرانية في القدس».
وجوزيف كلاوزنر (١٨٧٤ - ١٩٥٨م): مؤرخ وناقد، يكتب بالعبرية، درس اللغات السامية والحديثة، وعلم اللغة، والتاريخ، في جامعة هايدلبرج بألمانيا، وفيها نال الدكتوراه سنة (١٩٠٢م)، شغل عدة مناصب؛ من بينها: أستاذ لأدب العبرية في الجامعة العبرية بفلسطين سنة (١٩٢٦م)، وفي عام (١٩٤٤م) عيِّن أستاذًا لتاريخ الهيكل الثاني، وقد خلَّف مؤلفات كثيرة؛ من بينها: «اللغة العبرية لغة حية»، «موجز نحو اللغة العبرية»، «تاريخ الادب العبري الحديث»، وقد جعل كلاونزر من الصهيونية قضية حياة؛ فقد كان من أنشط أعضاء حركة أحباء صهيون، وقام بدور بارز في صفوف حزب الصهاينة التصحيحيين.
«موسوعة اليهود» (٣/ ٣١٤ - ٣١٥) بتصرف.

(٣) في الأصل: «العببرية».

(٤) اليديشية (Yiddish) ليست لغة -أساسًا-، وتُسمَّى -كذلك- تجاوزًا؛ فهي لهجة ألمانية تُكتَب بحروف عبرية، وهي لغة اليهود الإشكناز في شرق أوربا، منذ العصور الوسطى حتى العصر الحديث، ومن ثَم أطلقنا عليهم اسم (يهود اليديشية)، وثمة نمط لغوي يتكرر بين أعضاء الجماعات اليهودية في العالم؛ فهم عادةً يتحدثون لغة البلد الذي يعيشون فيه، بعد أن تصطبغ بصبغة عبرية خفيفة؛ إذ تدخل مفرداتها هذه اللغة، =

التي كان ينطق بها جميع يهود الغرب، لا سيَّما يهود روسيا وبولونيا ولتوانيا.

في ذلك الحين: ظهر كبير الكتَّاب اليهود في ذلك العصر؛ وهو شالوم ابراموفيتس[(١)]، الملقب بـ(مندلي بائع الكتب)، وقد تناول إنتاجه الفني وصفًا

= ثم ينتقل أعضاء الجماعة من وطنهم -هذا- حاملين معهم لهجتهم، ويحتفظون بها، حتى بعد أن تكون قد اختفت في البلد الأصلي، واليديشية تنتمي إلى هذا النمط.
ظهرت اللغة اليديشية في الفترة بين عامي ١٠٠٠ و١٣٥٠، حين تبنَّى أعضاء الجماعة اليهودية ألمانية العصور الوسطى؛ أي: لغة الشعب الذي كانوا يعيشون بين ظهرانيه، ولكنهم -في الوقت نفسه- كانوا في حاجة إلى مصطلح خاص بهم؛ للتعبير عن نمط حياتهم الخاصة، كجماعة وظيفية وسيطة، تعمل في حِرَف خاصة؛ مثل: التجارة والربا، ولذلك؛ فقد استخدموا بعض مفردات العبرية والآرامية -وهما لغتا التراث الديني اليهودي؛ إذ إن «التلمود» مكتوب بالآرامية-، خصوصًا أن نواة الجماعة اليهودية في ألمانيا جاءت من شمال فرنسا وشمال إيطاليا؛ حيث كانوا يتحدثون رطانة فرنسية خاصة بهم، أُطلق عليها اسم (لعز)، ومن هنا؛ نشأ ذلك الخليط اللغوي الذي أُطلق عليه -في بادئ الأمر- (يوديش دويتش) أي: ألماني يهودي، ولكن الكلمة حُرِّفت وأصبحت (يديش تايتش)، ثم أصبح يطلق عليها (يديش)، ونترجمها نحن فنقول: (اليديشية)، ولم تكن هناك -في بادئ الأمر- أية فروق بين ألمانية العصور الوسطى واليديش تايتش، إلا في بضع كلمات وعبارات عبرية، والمزيد من التحريف الصوتي في نطق الكلمات الألمانية أو العبرية.
انظر: «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» (٣/ ٣٤٠).
وسيأتي كلام الهلالي عنها (ص٣٥٣).

(١) واسمه الحقيقي: شالوم جيكوب أبراموفيتش (١٨٣٦ - ١٩١٧م)، و(مندلي موخير سفوريم) معناها: مندلي بائع الكتب، يعد أحد مؤسسي الأدب اليديشي، كان من أوائل دعاة حركة التنوير، ثم الصهيونية، لما لم ينجح في الكتابة بالعبرية؛ التجأ إلى اليديشية، فأحدثت كتاباته ثورة في عالم الأدب اليديشي، من أعماله: «الرجل الصغير»، «ضريبة اللحم»، «فيشكه المتسول».
«موسوعة اليهود» (٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣) بتصرف.

دقيقًا للغيتو[١] اليهودي في روسيا، ويعبر إنتاجه عن مستوى الأدب العبري منذ سنيِّ الأربعين من القرن التاسع عشر حتى نهاية هذا القرن، وتناول مختلف مرافق الحياة ليهود روسيا، ويُعَدُّ مندلي -في نظر النُّقَّاد اليهود- مُنشئَ الأسلوب الجديد للعبرية، ويمتاز أسلوبه بمحاكاة الأسلوب النثري لـ«المشنا» و«المدراش»، وكان الكُتَّاب -قبله- يُحاكون أسلوب «العهد القديم»، ولذا؛ يعتبره النقاد عميد الأدب العبري الحديث.

ويُعتبر إنتاج شالوم رابينوفتس -الملقَّب بـ«شالوم عليخم»[٢]- مرآة

(١) الجيتو Ghetto: هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، ولكن التسمية أصبحت مرتبطة -أساسًا- بأحياء اليهود في أوربا، وللكلمة معنيان: عام وخاص؛ فالجيتو بالمعنى العام: هو مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر من جانب الدولة، أو حي اليهود بشكل عام، ويعود تاريخ هذه الجيتوات إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية، أما الجيتو بالمعنى الخاص -الذي أصبح شائعًا-: المكان الذي يُفرَض على اليهود أن يعيشوا فيه، وقد استُخدمت الكلمة بهذا المعنى للإشارة إلى جيتو البندقية (عام ١٥١٦م)، وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة، فيُقال: إنها حي اليهود في البندقية نسبة إلى (فلجيتو villgetto) أو (مصنع المدافع) الذي أقيم بجواره، ويُقال -أيضًا-: إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية (جهكتر أورت Geheckter Ort) التي تعني: المكان المحاط بالأسوار، أو هي من الكلمة العبرية (جت) أو (جيط) بمعنى الانفصال أو الطلاق الواردة في «التلمود»، وربما كان أكثر الافتراضات قربًا من الواقع: هو ذلك الذي يعود بالكلمة إلى لفظة (بورجيتو) الإيطالية؛ التي تعني: القسم الصغير من المدينة، أي أن كلمتي (جيتو) و (بورجوازية) مشتقتان من أصل واحد.
انظر: «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» (٤/ ٢٨٨).

(٢) شالوم عليخيم (١٨٥٩- ١٩١٦م) هو لقبه الأدبي، ومعناه: السلام عليكم، ويعتبر أحد مؤسسي الأدب اليديشي، وقد نجح في أن يخلق عالَمًا محدد المعالم، حتى أصبحت شخصياته جزءًا من مصطلحات يهود اليديش.
«موسوعة اليهود» (٣/ ٣٢٣) بتصرف.

واضحة، تعبِّر تعبيرًا صادقًا عن حياة اليهود في روسيا، وهو عميد الأدب الفكاهي في الأدب اليهودي الحديث، وقد كانت مؤلَّفاته بلغة الإيديش، وترجمها إلى العبرية: ي. بركوفتس[(١)].

وكان إسحاق بيرتس[(٢)] عميدَ القصة القصيرة في الأدب العبري الحديث، وهو كاتبٌ متعمِّقٌ، ثاقبُ التفكير، عرف نفسية الجماهير اليهودية حقَّ المعرفة، ووصفَ بأسلوبه الشعري ما تعانيه الطبقات الفقيرة من بؤسٍ وشقاءٍ، وتمتاز قصصه بجمالها الفنِّيِّ وحرارة الإحساس فيها، وقد أَلَّفَ كتبَه بالإيديش، وترجم بعضها -بنفسه- إلى العبرية، وترجم غيره البعض الآخر.

وأكبر الشعراء العبريين في القرن العشرين: هو حاييم نحمان ياِلق[(٣)]؛ وهو

(١) لعله يقصد إليعازر بركوفيتس (١٩٠٨ - ١٩٩٢م)؛ حاخام ومفكر ديني يهودي.
«موسوعة اليهود» (٥/ ٤٥٣).
لكن مجال الحاخام بعيد عن ترجمة القصص الفكاهي!

(٢) إسحق بيريتس (١٨٥١ - ١٩١٥م): شاعر ومؤلف يديشي، يعتبر أحد مؤسسي الأدب اليديشي، من أهم أعماله الشعرية: قصيدة «مونيش» (١٨٨٨م) باليديشية، ومن أبرز أعماله النثرية: «صور من رحلة ريفية» (١٨٩١م)، ومن أشهر قصصه القصيرة: «مناظر مألوفة» (١٨٩٠م).
«موسوعة اليهود» (٣/ ٣٢٣) بتصرف.

(٣) حاييم بياليك (١٨٧٣ - ١٩٣٤م): أهم شاعر روسي يهودي كتب بالعبرية في العصر الحديث، تعرَّف على آحاد هعام -سبقت ترجمته- فشجعه على الكتابة والنشر، ومن أهم قصائده: «حقًّا إن الشعب لشعب» و«في مدينة الذبح»؛ حيث يتمرد على خنوع اليهود أمام هجوم الروس عليهم، وكذلك قصيدتا: «إلى الهاجاداه» و«على أعتاب بيت هامدراش»؛ حيث يتأوه من أجل الماضي اليهودي الذي ولى ولم يعد، ولعل الموضوع الأساس في أعماله: هو الشد والجذب بين القديم والجديد، والبحث عن =

من أبرع وصَّافي الطبيعة في الأدب العبري الحديث، وقد ذاق هذا الشاعر في صغره مرارة اليُتم والبؤس؛ فكان لهذا أثره الجليُّ في إنتاجه الشعري، وتلقَّى بيالق دراسته الأولى في المدارس الدينية اليهودية، كالحيدر واليشيفا[(١)]، وفي إنتاجه الشعري نرى وصفًا بارعًا دقيقًا للشاب اليهودي المنقطع لدراسة «التوراة» و«التلمود»، والذي يعكفُ -ليل نهار- على الدراسة مبتعدًا عن جميع ملاذِّ الحياة.

سافر بيالق إلى أوديسا ملتقى الكتَّاب اليهود، وذاق فيها مرارة الجوع والعدم، ثم عاد إلى وطنه أوكرانيا، وجعل ينظِمُ هناك قصائده الوطنية.

وفي ١٩٢٤م هاجر إلى فلسطين، وأضحت داره منتدًى للأدباء والكتاب والشعراء، وفي خلال السنوات العشر التي أقامها في فلسطين؛ استخدمته المؤسسات الصهيونية للدِّعاية في الخارج، ونظم بيالك قصائدَ قصيرةً للأطفال، وقصصًا، وأساطيرَ شعبيَّةً.

وفي ١٩٣٤م تُوفي في فينا، ودُفن في تل أبيب.

ويُعتبر بيالق شاعر القومية الصهيونية، وما زال اليهود يحتفلون بذكراه كلَّ عامٍ.

= مخرج من الأزمة المستحكمة.

«موسوعة اليهود» (٣/ ٣١٢ - ٣١٣) بتصرف.

(١) (يشيفا) كلمة عبرية؛ تعني: الجلوس، ويرجع استخدمها إلى نظام جلوس علماء الشريعة وتلاميذهم الذين كانوا يشاركون في تفسيرها، كما تشير إلى مؤسسات تعليمية وُجدت بين التجمعات اليهودية في أزمنة وأماكن مختلفة.

«موسوعة اليهود» (٣/ ٤٩٥) بتصرف.

ومن أكبر الشعراء في الأدب العبري الجديد: شاؤل تشرنيحوفسكي[(١)] معاصر بيالق، وتختلف نشأة تشرنحوفسكي عن نشأة بيالق، فبينما عاش بيالق في مهاد البؤس والفقر والشَّقاء؛ عاش تشرنحوفسقي في مهاد النَّعماء والرَّخاء، وقد كان لنشأة كلٍّ منهما أثرُها في شِعره وإنتاجه.

ومن أشهر آثار تشرنحوفسقي: قصيدته التاريخية «باروخ المغنتسي»، وموضوع هذه القصيدة مُقتبسٌ من تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ففي ذلك العهد؛ كان يعيش في مدينة ماغنتساه في ألمانيا يهوديٌّ يُدعى (باروخ)، ولما اعتدى الصليبيون -هناك- على اليهود؛ قتلت زوجته باروخ، فاستولى عليه اليأس، وذبح ابنَتَيه بيده؛ حتى لا يُكرِهَهُما الصليبيون على تبديل دينهما، فتنجبا جيلًا يواصل قتل اليهود وإبادتهم، وساق المعتدون باروخ إلى الدير، وأكرهوه على تبديل دينه، فاستولى عليه النَّدم، وساورته روح الانتقام؛ فأضرم النار في الدير، والتهمت النيران مدينة ماغنتسا -كلَّها-، وجعل باروخ يسير في شوارع المدينة المحترقة؛ يُمتِّعُ بصرَه برؤية ألسنة النيران، ويشنِّف أذنيه بسماع عويل الآباء وولولة الأمهات، وهم يرون النار تلتهم أجساد أبنائهم وبناتهم، وفي هذه القصيدة تتجلَّى روح الكراهية والانتقام تجاه الشعوب الأخرى.

وفي لوزان: أتم تشرنحوفسقي دراسة الطب، وتخصص في التشريح

(١) شاؤول تشرنحوفسكي (١٨٧٥ - ١٩٤٣م): شاعر روسي يكتب بالعبرية، يعد هو وبياليك: قُطبَي الأدب المكتوب بالعبرية في روسيا، تأثر بأفكار المفكر الصهيوني بيرديشفسكي، ونحا منحًى كنعانيًّا، ونادى بقومية إسرائيلية جديدة، منفصلة عن قومية يهود المنفى.

«موسوعة اليهود» (٣/ ٣١٥) بتصرف.

وأمراض الأطفال، وفي الحرب العالمية الأولى عمل طبيبًا في الجيش الروسي، وامتاز ببسالته في الجبهة، ومنحته الحكومة الروسية أوسمة الامتياز.

ظل تشرنحوفسقي زُهاء (٢٥) سنة ينتقل في بقاع الأرض، وفي عام (١٩٣١م) ألقى عصا التَّسيار في فلسطين، وفي الاضطرابات التي نجمت عام (١٩٣٦م) بين العرب واليهود؛ اشترك تشرنحوفسقي في حراسة المستعمرات اليهودية، وقال -بهذه المناسبة- شعرًا؛ أشاد -فيه- ببطولة اليهود في الذَّود عن مستعمراتهم، وذمَّ العرب؛ رجال الصحراء، التوَّاقين للمغانم، الظَّمأى[١] للدماء[٢].

وفي عام (١٩٤٤م) تُوفي في القدس، ودُفن في تل أبيب إلى جانب بيالق.

ويرى النُّقَّاد اليهود أنَّ إنتاج تشرنحوفسقي: متعدِّدُ الألوان، مفعمٌ بالقوَّة والنَّضارة وبهجة الحياة، وتناولت قصائده الطبيعة، والحبَّ، والصِّبا، والشَّباب، والبسالة، والانتقام، وحبَّ الحياة، وحبَّ الجمال، ويرى النُّقَّاد اليهود أنَّ لإنتاجه أثرًا بيِّنًا في أدب معاصريه.

وكان تشرنحوفسقي بارعًا في الترجمة؛ نقل إليها روائع الأدب العالمي الرفيع؛ كـ«الأوديسا»[٣] ....

(١) في الأصل: «الظمأ».
(٢) واسم هذه القصيدة: «فليكن هذا هو ثأرنا».
(٣) قصيدة ملحمية متممة لأحداث «الإلياذة»، وتعتبر ركنًا أساسًا للأدب الغربي الحديث؛ فهي ثاني أقدم عمل أدبي أنتجته الحضارة الغربية، وتدور أحداثها حول البطل الإغريقي أودوسيوس، ورحلة العودة إلى موطنه؛ التي استمرت عشر سنين بعد حرب طروادة التي دامت عشر سنين -كذلك-، وما واجهه من مخاطر وصعوبات. انظر: «الأدب اليوناني القديم» (١٦).

لـ(هوميروس)[١]، و«أوديب الملك»[٢] لـ(سوفوكلس)[٣]، و«قصائد هوراسيوم[٤]» عن اللاتينية والكاليفالا؛ وهي الإنتاج الكلاسيكي للشَّعب الفنلندي وغيرها[٥].

(١) شاعر ملحمي إغريقي أسطوري، عنده يبدأ الأدب اليوناني، وقد اختلف الباحثون في شخصيته التاريخية، وإليه تنسب الملحمتان الإغريقيتان: «الإلياذة» و«الأوديسا».
انظر: «الأدب اليوناني القديم» (٩).

(٢) رواية مسرحية مأساوية [فاحشة]؛ كتبت في سنوات الحرب الأولى بين أثينا وإسبرطة، تحكي قصة أوديب الذي أصابته لعنة الآلهة؛ فقتل أباه الملك، ومَلَك بعده، وتزوَّج أمه -وهو جاهل بهما-؛ فنزل فيهم الطاعون بسبب فعله؛ فسمل عينيه ونفى نفسه.
انظر: «الأدب اليوناني القديم» (٦٤).

(٣) سوفوكليس (٤٩٥ - ٤٠٦ ق.م): شاعر وروائي مأساوي يوناني من أثينا.
انظر: «الأدب اليوناني القديم» (٥٩).

(٤) كوينتس هوراتيوس فلاكس أو هوراس Quintus Horatius Flaccus: ولد في ٨ ديسمبر ٦٥ ق.م في ڤنوسيا Venusia، وتوفي في ٢٧ نوفمبر ٨ ق.م في روما، وكان ابنًا لعبد محرر، ولكنه ولد حرًّا، أهدر والده الكثير من ماله حتى يتلقى هوراس تعليمه في روما، ثم بعثه إلى أثينا ليدرس الإغريقية والفلسفة، وقاتل هوراس إلى جانب جيش بروتوس الثائر بسبب اغتيال يوليوس قيصر، كان شاعرًا غنائيًّا، وناقدًا أدبيًّا، لاتينيًّا من رومانيا القديمة في زمن أغسطس قيصر، قيل بأن له تأثير على الشِّعر الإنجليزي، أصر هوراس على أن الشعر يجب أن يقدم السعادة والإرشاد، تضمنت أعماله الأولى كتب من المقطوعات الهجائية، ولكن أعماله حول القصائد الغنائية والرسائل الإنجيلية؛ جعلته يشتهر بشكل كبير، ومن بينها: بحث «أرس بويتيكا» (Ars poetica)؛ الذي احتوى على قواعد لتركيب الشِّعر، كُتُبه تتحدث -غالبًا- عن الحب والصداقة والفلسفة، وأثَّرت أعماله على الغرب منذ عصر النهضة حتى القرن (١٩).
انظر: موقع (المعرفة) على الشبكة العالمية (النت https: //www.marefa.org).

(٥) للدكتور رشاد عبد الله الشامي تعليق مشابه لهذا الكلام بنصه -تقريبًا- في كتابيه: «شاعر القومية اليهودية» (ص٦٥) و«متاهات الأدب والفكر الإسرائيلي» (ص٨).

وقصارى القول: أدَّت هذه الجهود -جميعًا- إلى جعل اللغة العبرية لغةً حيَّةً، تتردَّد على ألسنة الصغار والكبار، وقد ساهم مساهمةً فعَّالةً في نشر العبرية: معلِّمو اللغة العبرية الذين وفدوا على فلسطين من أقطار أوربا الشرقية، وحتى مستهلِّ القرن العشرين، كان في فلسطين نوعان من المدارس: الحيدر، ومدارس الأليانس.

أما الحيدر (الكُتَّاب) القديم: فلم يكن يتلاءَمُ مع متطلَّبات الزمان والحياة، وكان الحيدر يُقام إلى جانب الكنائس اليهودية، وفي الأبنية القديمة التي لا تتوفر فيها الشروط الصحية، وكانت الدراسة في الحيدر ترتكز على تعليم الصلوات و«التوراة»، وترجمة نصوصها إلى الإيديش إن كان الطلاب من الأشكنازيم -أي: اليهود الغربيين-، وإلى العربية أو الإسبانية إن كان الطلاب من السفاراديم -أي: اليهود الشرقيين-.

أمَّا مدارس الأليانس[(١)] القليلة: فكانت لغة التعليم فيها هي الفرنسية،

(١) هي المدارس التي أنشأتها الاتحاد الإسرائيلي العالمي نهاية القرن التاسع عشر في العديد من الدول، ففي مصر -مثلًا- كانت لغتها الأولى الفرنسية، وكان الغرض منها مجابهة النشاط التبشيري الذي كان خطرًا على فقراء اليهود، وانتشرت هذه المدارس عالميًّا في العديد من أماكن تواجد اليهود، وكان منها في العالم العربي:
- مدارس الأليانس في مصر: قامت الجمعيات اليهودية بإنشاء مدارس في القاهرة، والإسكندرية، وطنطا، وبورسعيد؛ مثل (جمعية نقطة اللبن)، و(جمعية كل إسرائيل أصدقاء)، وقد وصل إجمالي طلبة هذه المدارس -بما فيها من يهود ومسلمين على السواء- إلى ١١٢٣ طالبًا عام ١٩١٣م.
- مدارس الأليانس في العراق: بدأ تأسيس مدارس الأليانس في نهايات القرن التاسع عشر في بغداد، ثم امتدت إلى بقية المدن؛ مثل البصرة و الموصل وكركوك والعمارة =

ومناهج التعليم فيها لا ترمي إلى أيَّةِ غايةٍ تربويَّةٍ قوميَّةٍ، وكانت الغاية الأساسية في هذه المدارس هي تعليمَ اللغة الفرنسية، وبثَّ الروح الفرنسية بين ظهراني الناشئة اليهودية، بيد أنَّ هذه الغاية وهذه المناهج لم ترقَ في أعين الصهيونيين؛ فأسَّسوا في فلسطين مدارس ابتدائية، كانت العبرية -فيها- هي لغة التعليم، ويسيطر عليها الرُّوح الصهيوني، وأقيمت في القدس ويافا والمستعمرات مدارس عبرية، ثم افتُتِحَ في تل أبيب معهد هرتسليا(١).

وشنَّ المعلمون اليهود حربًا شعواءَ ضد شركة مدارس عزرا؛ التي كان يشرف عليها يهودٌ ألمان، وكانت هذه الشركة ترمي إلى الحيلولة دون سيادة اللغة العبرية في المدارس التي أنشأتها في فلسطين، وإحلال اللغة الألمانية محلَّها(٢).

= والحلة، حيثما تواجدت الجاليات اليهودية، مما ساهم في رفع المستوى التعليمي للطائفة اليهودية -آنذاك-.
- مدارس الأليانس في سوريا: هي مدارس خاصة باليهود -عادة-، كان يوجد منها في دمشق وحلب حيث تواجد أكبر عدد من الطائفة اليهودية، إلا أنها حاليًّا مغلقة بالكامل، وذلك؛ لهجرة معظم اليهود من سوريا، وكان آخرها مدرسة الأليانس في دمشق.
انظر: موقع معرفة على الشبكة العالمية (النت).

(١) هو مؤسسة خاصة، لا تهدف للربح، غير طائفية!! بحثية!! تأسست عام ١٩٩٤م من قبل الدكتور أوريل ريتشمان، تقع في هرتسليا على بعد ستة أميال إلى الشمال من تل أبيب، على أرض كانت -سابقًا- قاعدة للقوات الجوية، وتصنف كمؤسسة غير مدرجة في الميزانية الأكاديمية المستقلة.
انظر: «الموسوعة الحرة» على الشبكة العالمية (النت).

(٢) يَسِمُ المؤرخون هذه الأحداث بـ(معركة اللغة)، وقد نشبت هذه المعركة في =

وفي عام (١٩١٣م) قرَّرت الشركة افتتاحَ مدرسةٍ عاليةٍ للهندسة في حيفا؛ وهي (التخنيون)، وقد ساهمت الجمعية الصهيونية العالمية في إنشاء هذه المدرسة العليا، وقررت شركة عزرا جعلَ اللغة الألمانية لغةً للتعليم في هذا المعهد؛ فهبَّ الصهيونيون من أعضاء مجلس إدارة المعهد ضدَّ هذه الفكرة، وقالوا: إنَّ هذا القرار يُناقض المطامح القومية للشعب اليهودي، الرَّامية إلى إحياء الثقافة اليهودية واللغة العبرية في فلسطين.

وكان زعماء الصهيونية -وما زالوا- يرونَ في اللغة العبرية الأداة الوحيدة التي تصل ما بين يهود الشرق ويهود الغرب في فلسطين، وكان للصحافة وللكتب الصادرة باللغة العبرية أثرٌ فعَّالٌ في نشر العبرية وتعميمها.

وهكذا نرى أنه قد تحقَّقَ -إلى حدٍّ لا يُستهان به- حلم الصهيونيين في إحياء اللغة العبرية؛ فصارت لغةً حيَّةً، تُستعمَلُ في الكتابة والمحادثة، وفي الخطابة والتمثيل والتأليف، وأُنشِئت جامعةٌ عبريَّةٌ[١] في بيت المقدس،

= المستوطنات الصهيونية في فلسطين؛ تعبيرًا عن تعدد الانتماءات والهويات اليهودية اللغوية والحضارية، وعن الصراع بين دول الاحتلال الكبرى (فرنسا وإنجلترا وألمانيا)، من أجل فرض هوية ثقافية على المستوطن الصهيوني، وضمان بقائه حيِّزَ نفوذها.
«موسوعة اليهود» (٣/ ٣٣٩) بتصرف.

(١) تأسست سنة ١٩٢٥م أيام الانتداب البريطاني بمبادرة الحركة الصهيونية، ويعود فكرة إنشاء جامعة عبرية في فلسطين إلى المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧م؛ حيث اقترح الناشط الصهيوني تسفي هرمان شابيرا هذه الفكرة على المندوبين الآخرين، وتم نقاشها في إطار المؤتمر، وبعد ١٦ عامًا من بداية مناقشة الفكرة؛ اتخذ المؤتمر الصهيوني الحادي عشر سنة ١٩١٣م قرار إقامة جامعة عبرية، واشترى الاتحاد الصهيوني العالمي -لهذه الغاية- قطعة أرض على جبل المشارف من =

وأصبح يُطبع بالعبرية كثيرٌ من الكتب العلمية والأدبية والفنية.

وعبرية اليوم تحتوي ألفاظًا كثيرة أَتَتْها -على مرِّ العصور- من اللغات الأجنبية التي احتكَّتْ بها، والكُتَّاب المعاصرون لا يتقيَّدون في كتابتهم بالألفاظ العبرية البحتة؛ بل يُدخلون فيها ألفاظًا ومصطلحاتٍ علميَّةً وفنيَّةً من اللغات التي يتأثَّرون بها، ففيها الألفاظ الألمانية والروسية والإنكليزية والفرنسية والعربية؛ مكتوبةٌ بحروفٍ عبريَّةٍ.

وقد اتَّجهت الآداب العبرية الحديثة -كذلك- اتجاهًا جديدًا؛ لتأثُّر العقلية اليهودية بالآداب الأوربية.

ويتهاون اليهود في العصر الحاضر -إلى حدٍّ كبيرٍ- في إخراج الحروف من مخارجها؛ فينطقون العينَ[(١)] همزةً، والحاءَ خاءً، والراءَ غينًا، والطاءَ تاءً،

= الزوجين البريطانيين جون وكارولين إميلي غراي هيل (محامٍ ومصورة من إنجلترا؛ زارا فلسطين تكرارًا، وصورا الحياة فيها).

وفي ٢٤ يوليو ١٩١٨م -بعد عام واحد -تقريبًا- بعد احتلال منطقة فلسطين على يد البريطانيين من الدولة العثمانية- أقيم حفل وضع حجر الأساس للجامعة، وتم افتتاح الجامعة في ١ أبريل ١٩٢٥م، في حفل حضره وزير الخارجية البريطاني اللورد آرثر جيمس بلفور، والمندوب البريطاني السامي في فلسطين هربرت صمويل، والزعماء الصهيونيون: حاييم فايتسمان، والحاخام إبراهيم إسحاق كوك، وحاييم نحمان بياليك، وترأس حاييم فايتسمان مجلس أمناء الجامعة الأول، وكان بين أعضائه: ألبرت أينشتاين، حاييم نحمان بياليك، آحاد هعام، ناحوم سوكولوف، يهودا ليب ماجنس، وغيرهم من العلماء والأدباء اليهود.

انظر: «الموسوعة الحرة» على الشبكة العالمية (النت).

(١) في الأصل: «بالعين».

والقافَ كافًا، ويُهملون الشدة إهمالًا تامًّا في النطق[١]، مع أن ظهورها في العبرية لا يقلُّ عن ظهورها في العربية، ومع أنَّ للشَّدة قواعد وأحكامًا خاصة يدرِّسها أساتذة النحو في المدارس؛ فإنَّ الأساتذة -أنفسهم- يُهملون النطق بها، والعبرية الحديثة تهمل كثيرًا من قواعد اللغة، لا سيَّما في لغة المحادثة، أما أساليب الكتابة في العبرية الحديثة؛ فهي أشبه ما تكون بالأساليب الأوربية، وأبعد ما تكون عن الأساليب الشرقية السامية في تركيب الجمل تركيبًا شرقيًّا؛ بحيث يُراعى في تركيب الجملة سير الفكر الشرقي أو السامي، ومن يطالِعِ الصحف العبرية العصرية؛ يلمَسْ هذا الفرق الشاسع بين العبرية الفصحى والأندلسية -مثلًا-، وبين العبرية الحديثة وأساليبها؛ التي لا هي شرقية ولا غربية.

جعلت سلطات تل أبيب اللغة العبرية لغةً رسميَّةً للبلاد وسكانها، وشأن سلطات تل أبيب -في ذلك- شأن من يطلب من المسلم الباكستاني أو الصيني أو أي مسلم غير عربي؛ أن يتعلم اللغة العربية ويتبدلها بدل لغته.

وهكذا بات لزامًا على حكومة تل أبيب أن تعلم اللغة العبرية لكل مهاجر؛ سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا، وهي تنفق -في سبيل ذلك- الأموال الطائلة، ومع ذلك؛ فإن اليهود المهاجرين إلى فلسطين لا يستطيعون أن يلموا باللغة العبرية إلمامًا كثيرًا؛ بل يتعلمون منها ما يسهل عليهم التخاطب والتفاهم[٢].

---

(١) انظر: «موسوعة اليهود» (٣/ ٣٣٢).

(٢) تؤكد الحكومة الإسرائيلية الصهيونية لمواطنيها: أن الرباط اللغوي يكاد يكون الرباط القومي الوحيد بينهم، وليس «التوراة»، ذلك؛ أن التراث الحضاري للجماعات =

وهناك منظَّمات وروابط يهودية في أمريكا -خاصَّةً- تطالب بجعل الإيديش اللغة القومية لجميع اليهود بدل العبرية، والإيديش: رطانةٌ ألمانيَّةٌ، مشوبةٌ بكلماتٍ سلافيَّةٍ وعبريَّةٍ وآراميَّةٍ، يستعملها يهود الغرب، ولا سيَّما يهود أوربا الشرقية والشمالية الشرقية ويهود أمريكا، وهذه الرطانة لا تصلح -بالطبع- لأن تكون لغةً قوميَّةً ليهود الشرق والأقطار العربية؛ لأنَّ معظم جذورها مشتقٌّ من الألمانية والسلافية، ومع هذا؛ فإنَّ أنصار هذه اللغة من اليهود يبذلون أموالًا طائلةً في سبيل توسيع نطاق استعمالها في الصحافة والتأليف والتمثيل، ويطالبون حكومة تل أبيب باتِّخاذها لغةً قوميَّةً للشعب اليهودي بدل العبرية.

انتهى.

= اليهودية متنوع، وتحاول الحكومة استخدام اللغة باعتبارها أداة تذيب الفوارق القومية الدينية، وقد جعلت إسرائيل المشاركة في الأعمال ذات الأهمية والحساسية في الدولة مقصورة على من يجيد العبرية، ورغم كل هذه المحاولات يبدو أن عملية الدمج لم تنجح بعد تمامًا.

«موسوعة اليهود» (٣/ ٣٣١) بتصرف.

اللغة المؤابية والفينيقية(١)

١ س: عرفنا أنَّ أصل اللغة العبرانية من اللغة الكنعانية؛ فهل هناك لغةٌ أخرى تفرَّعت عن اللساني الكنعاني؟

ج: هناك لغتان أخريان تفرَّعتا من اللغة الكنعانية؛ وهما: المؤابية والفينيقية.

---

(١) المؤابية: نسبة إلى قبائل تنحدر من مؤاب بن لوط -على ما جاء في «العهد القديم»-، وقد سكن المؤابيون شرقي بحيرة لوط (البحر الميت)، واسم عاصمتهم (ربة مؤاب)، وقد أطلق عليها اسم آخر -متأخر- وهو (اريوبوليس) أي: مدينة آرس؛ إله الحرب عند الإغريق.
أما لغتهم؛ فلم يعرف منها إلا ما جاء في مِسلَّة [المِسَلَّة: عمود حجري طويل مربع، محدد الرأس] (ميشع) ملك مؤاب، ونص المِسَلَّة لا يختلف عن العبرية إلا بفروق يسيرة، وبعض مفرداته قريب من الفينيقية، أما من جهة الصرف؛ فهو قريب من الفينيقية والعربية -كعلامة التأنيث للمفرد-، وهناك بعض الخصائص القريبة من الآرامية؛ كعلامة جمع التذكير.
أما الخط المؤابي؛ فيظهر أنه منبثق من الخط الفينيقي القديم العائد لجبيل.
«معجم الحضارات السامية» (٧٥٨)، «موسوعة اليهود» (٤/ ٩٧) بتصرف.
أما اللغة الفينيقية؛ فهي لغة سامية تنتسب إلى المجموعة الكنعانية، وهي -بالمعنى الصحيح- لهجة مدينتي صور وبيلبوس والمواقع المجاورة لها، وهي مرتبطة -على الصعيد اللغوي- باللغة العبرية.
«معجم الحضارات السامية» (٦٦٤) بتصرف، «الأمم السامية» (١٠١).

٢ س: أين كانت اللغة المؤابية؟ وماذا بقي من أثرها؟

ج: تقدم أنَّ اللغة العبرانية من اللغات الكنعانية، ومن اللغة الكنعانية -أيضًا-: لغة مؤاب في شرقي فلسطين، وتوجد في باريس كتابات من اللغة المؤابية، وضعها ملك اسمه (ميشع)[(١)]، يذكر فيها حروبَه مع (عمري)[(٢)] ملك الأسباط.

وتقدَّم -أيضًا- أنَّ بني إسرائيل انقسموا إلى مملكتين: شمالية وجنوبية؛ فالشمالية عشرة أسباط، والجنوبية سبطان، وسميت الشمالية (مملكة الأسباط)، وعمري أحد ملوكها، وكان مُلك عمري في القرن التاسع ق.م.

٣ س: هل بقي شيءٌ من الآثار الفينيقية؟

ج: لم يبقَ من لغة الفينيقيين إلا كتابات وَضع بَعضَها الفينيقيون، ووضع بَعضَها الآخر أهل قرطاجنة[(٣)]، وهذه الكتابات وقعت في القرن السابع

(١) ميشع: ملك مؤاب ما بين (٨٥٠ - ٨٤٠ ق.م)، فرض عليه عمري -ملك إسرائيل- جزية قوية، ولكنه استرد استقلاله زمن اخزيا بن أخاب.
«معجم الحضارات السامية» (٨٢٧).
وقد ترجم نقش ميشع وشُرِح عند ولفنسون.
انظر: «تاريخ اللغات السامية» (١٠٦ - ١١١).

(٢) سادس ملوك إسرائيل (٨٨٥ - ٨٧٤ ق.م)، كان قائدًا لجيوش الملك إيلة، وبعد وفاته؛ نادى به الجيش خليفة له، وجعل من السامرة عاصمة له، وحقق انتصارات على المؤابيين.
«معجم الحضارات السامية» (٦١٩).

(٣) مدينة قديمة في إفريقيا الشمالية؛ أسسها الفينيقيون سنة (٨١٤ ق.م)، في موقع غير بعيد عن تونس العاصمة -حاليًّا-، والتاريخ الحقيقي لتأسيس المدينة لا يزال =

ق.م، وأجلُّ هذه الكتابات: وضعه ملوك الفينيقيين؛ كملوك صيدا، واسمها في القديم (صيدون)[١]، وذكر الملوك في هذه الكتابات أخبارهم، وطلبوا -بإلحاحٍ- ممَّن بعدهم أن لا يفتحوا قبورهم، ولا يدنِّسوها، ولعنوا من اجترأ على ذلك.

= موضوع نقاش، وقد دمرت قرطاجة تدميرًا كليًّا سنة (١٤٦ ق.م) من قبل روما، إثر ما يعرف بـ(الحروب البونية).
«معجم الحضارات السامية» (٦٧٥ - ٦٧٦) بتصرف، «الأمم السامية» (١٠٢).

(١) مدينة فينيقية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، كانت في الألف الثاني ق.م المدينة الرئيسية في فينيقية الجنوبية، وقد عثر فيها -في صيدا الحالية- على مجموعة من الآثار التي تعود إلى العصر الفينيقي.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٥٥٧)، «تاريخ مدينة صيدا في العصر العباسي» (٣١) للدكتور السيد عبدالعزيز سالم، «لبنان في التاريخ» (١/ ٤٦ - ٥٢) ليوسف مزهر.

[الفصل الثالث][١]

اللسان الآرامي والمتكلمون به

١ س: من هم المتكلمون باللسان الآرامي؟

ج: اللسان الآرامي هو الصنف الثاني من القسم الشمالي من اللغات السامية؛ فهو -أيضًا- ينقسم إلى قسمين:

- غربي: وهو لسان اليهود المتأخرين في فلسطين وفي مصر، وهو لسان عدَّة شعوبٍ؛ كالسامرية في ناحية نابلس والنبط[٢] وأهل تدمر[٣].

(١) ما بين المعقوفتين من إضافتنا.

(٢) النبط أو الأنباط: شعب عربي سكن الشمال الغربي من جزيرة العرب، وكان على اتصال بعالَم البحر المتوسط، وتدل آثارهم في فلسطين الجنوبية على حياة حضرية كاملة، وأنهم كانوا يعيشون من الزراعة والتجارة.
«معجم الحضارات السامية» (٨٣٦).

(٣) هي عاصمة البادية المعروفة بـ(بادية تدمر)، تقع في واحة بين دمشق والفرات، تبعد عن حمص (مائة وأربعين كم)، وقد يكون لفظ (تدمر) من جذر سامي؛ وهو (التمر)، إشارة إلى النخيل -وقد أنكر بعض المستشرقين الأصل السامي لهذه اللفظة-، وكذلك التسمية الرومانية لها (بلميرا)؛ وهي لفظة لاتينية مأخوذة من (بالما) بمعنى: النخيل.
أما تاريخ هذه المدينة؛ فيرقى إلى الألف الثالث ق.م، وقد شكَّلت هذ الواحة -منذ العصور القديمة- محطة تجارية بين بلاد ما بين النهرين والبحر الأبيض المتوسط. =

- **والقسم الثاني: شرقي**؛ وهو لسان اليهود في بابل، ولسان السُّريانيين وغيرهم[(١)].

٢ س: أين نشأ القلم الآرامي؟ وماذا أُلِّفَ به؟ ومن هم أشهر رجاله؟

ج[(٢)]: كان ابتداء كتابتهم بهذه اللغة فيما بين النَّهرَين[(٣)]، ....

= «معجم البلدان» (٢/ ١٨)، «معجم الحضارات السامية» (٢٦٨) بتصرف.

أما اللغة التدمرية؛ فهي الآرامية الغربية، لكنها تحتوي على بعض التغييرات التحديثية من جهة الإملاء والصرف، ويمكن تسويغها باستقلال هذه اللغة، وبالعلاقات التجارية بينها وبين بلاد ما بين النهرين؛ وهو ما أكسبها بعض صفات اللغات السامية الشرقية.

«معجم الحضارات السامية» (٢٦٨ - ٢٧١) بتصرف، وسيأتي كلام الهلالي عنها.

(١) اللسان الآرامي: هو لسان سامي شديد القرابة من الفينيقية والعبرية، ويحتوي على بعض خواص العربية، **ويمكن تمييز مرحلتين أساسيتين في تاريخ اللغة الآرامية:**

تعرف الأولى: بمرحلة الآرامية الشائعة أو المشتركة، وتمتد من القرن التاسع ق.م إلى موت الإسكندر الكبير (٣٢٣ ق.م).

وتعرف الثانية: بآرامية اللهجات؛ حيث انقسمت إلى لهجات متعددة، أصبح غالبها من اللغات الأدبية، وتمتد من موت الإسكندر إلى يوم الناس -هذا-.

وقد انشطرت اللغة الآرامية إلى فرعين رئيسين:

الفرع الغربي: وتنضوي تحته مجموعة من اللهجات؛ كآرامية الكتاب المقدس، اللهجة التدمرية، واللهجة النبطية، واللهجة اليهودية (الآرامية الغربية)، واللهجة السامرية، واللهجة المسيحية الآرامية، اللهجة الآرامية الجديدة.

الفرع الشرقي: الذي تطور في بابل، ويندرج طيَّه: اللهجة السريانية، واليهودية الآرامية الشرقية، واللهجة المندية، واللهجات الآرامية الشرقية الحديثة.

«معجم الحضارات السامية» (١٨ - ٢١) بتصرف، «الأمم السامية» (١١٩، ١٢٠).

(٢) تكررت في الأصل.

(٣) هي منطقة آسيوية في جنوبي جبال كردستان، تمتد ما بين دجلة والفرات حتى ملتقاهما، وتطلق التسمية -بصورة غير حصرية- على كامل المنطقة الواقعة بين =

وفي الرُّها[١] ونواحيها، وانتشرت اللغة السُّريانية، وأُلِّفت بها كتبٌ لا تُعدُّ ولا تُحصى في أنواع العلوم والآداب التي كانت معروفةً في ذلك الزمان، وأكثرها في الدين المسيحي والنحو والفلسفة والطب.

وقد أخذ السُّريانيون العِلم عن اليونانيين ونشروه في بلادهم، وكانت لهم مدرسةٌ مشهورةٌ في الرُّها[٢] وأخرى في ....

= سفوح سلسلة جبال زغروس والصحراء السورية، فبلاد ما بين النهرين تتألف من منطقتين؛ هما: القسم الأعلى من الجزيرة، والعراق العربي، وقد كانت بلاد ما بين النهرين مهد الحضارة السومرية الآكادية -وقد سبق الحديث عنها-؛ التي وجدت لعدة آلاف من السنين قبل العصر التاريخي، وقد سيطرت على منطقة الشرق الأدنى الآسيوي مدة ثلاثة آلاف عام ونيِّف، واضمحلت قبيل العصر الميلادي، مخلِّفة إرثًا تاريخيًّا مهمًّا.

«معجم الحضارات السامية» (٨٥٥ - ٨٥٧) بتصرف.

(١) مدينة قديمة كانت مركزًا للقوافل في بلاد ما بين النهرين الشمالية، وأصبحت -منذ القرن الثاني الميلادي- مركزًا للغة والحضارة السريانيتين، وأطلق عليها سلوقوس الأول اسم (إديسا) حوالي (٣٢٠ ق.م)، واسمها الحالي (أورفا)، وتقع في تركية، وقد دخلت النصرانية إلى الرها في النصف الأول من القرن الميلادي.

«الأماكن» (٤٨٩) للهمذاني، «معجم الحضارات السامية» (٤٢٨ - ٤٢٩) بتصرف.

وكانت تسمى (أسرونيا)، وكانت عاصمتها (أدشا) (أديسا)، التي سماها العرب (الرُّها)؛ أخذًا من اسمها الآرامي وهو (أور هاي).

«الأمم السامية» (١١٩).

(٢) مدرسة الرُّها (School of Edessa): مدرسة لاهوتية، ازدهرت في القرن الرابع والخامس الميلاديين، واكتسبت شهرتها بوجود القديس أفرام؛ الذي ألَّف العديد من الأعمال النثرية والشعرية، ثم أصبحت مركزًا للتعاليم النسطورية [النسطورية: نسبة إلى بطريرك القسطنطينية الذي قال بأن يسوع بشر، حلَّت عليه كلمة الإله عند العماد، وفارقته عند الصليب]، وأغلقت في عام (٤٨٩م). =

نَصِيبِين[١]، وكانوا يدرِّسون فيهما لغةَ اليونانيين وعلومَهم.

وأسَّس كسرى أنوشروان[٢] مدرسةً في جُنْدَيسابور[٣]، وترجمَ له السُّريانيون -الذين كانوا هناك- كتب اليونانيين، ومن القرن الرابع ق.م شرعَ السُّريانيون في ترجمة الكتب اليونانية باللغة السُّريانية.

= «معجم الحضارات السامية» (٤٢٩) بتصرف.
ونشر كيوترن (مستشرق إنجليزي) (١٨٠٨ - ١٨٦٤م) وثائق سريانية قديمة تتعلق بأولية دخول المسيحية في مدينة الرُّها (Edessa) والمناطق المجاورة لها، وطبع في لندن سنة ١٨٦٤م.
انظر: «موسوعة المستشرقين» (ص٣٤٦)، «تاريخ ميخائيل السرياني الكبير (بطريرك أنطاكية)» (٣/ ٢٥٦).

(١) مدينة في بلاد ما بين النهرين (الجزيرة السورية) على ضفة نهر جغجع؛ أحد روافد نهر الخابور، أما مدرسة نصيبين؛ فإنه لما هدمت مدرسة الرُّها (٤٨٨ - ٤٨٩م) انتقل أساتذتها إلى نصيبين، وأصبحت مركزًا علميًّا (سريانيًّا يونانيًّا)، ولمع فيها النسطوريان: نرساي وبرصوما.
«معجم الحضارات السامية» (٨٤٩) بتصرف.

(٢) (خوسرو الأول أنوشروان) معناه: النفس الخالدة، ويعرف بـ(كسرى)، مَلَك فارس (٥٣١ - ٥٧٩م)، من السلالة الساسانية.
«معجم الحضارات السامية» (٣٨٧).

(٣) جُنْدَيْسابور: مدينة بخوزستان في إيران، اختطها الملك سابور الأول بن أردشير، في القرن الثالث للميلاد؛ فنسبت إليه، وأسكنها بني الروم وطائفة من جنده، وكانت مدينة خصبة وافرة الخيرات، وقد ذكر ياقوت الحموي أنه اجتاز هذه البلدة مرارًا؛ فلم يجد فيها سوى خرائب وأطلال بائدة، لا تُعرف حقائقها إلا بتواتر الأخبار.
ومنذ ذلك الحين؛ قصد هذه المدينة أطباء من أصقاع مختلفة، وعلَّموا أهلها؛ فاشتهرت مدرستهم بذلك.
انظر: «معجم البلدان» (٢/ ١٧١)، «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (١٠٦).

ومن مشاهيرهم المُبَرِّزِينَ في هذا الميدان: سرجس[١] من مدينة رأس عين[٢]، المتوفى سنة (٥٢٦ ب.م) -تقريبًا-، وهو أوَّل من علَّمَ أبناء وطنه فلسفة أرسطو[٣].

ومنهم -أيضًا-: يعقوب الرُّهَاوي[٤]، وكان فريدَ عصره في علوم الأوائل.

(١) سرجس الرأس عيني: من أهل مدينة رأس العين، له مصنفات كثيرة في الطب، وهو أول من نقل كتب اليونانيين - على ما قيل - إلى لغة السُّريانيين، وكان متوسطًا في النقل، وكان حنين يصلح نقله؛ فما وجد بإصلاح حنين فهو الجيد، وما وجد غير مصلح فهو وسط.

«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (١٥٩ و٢٨١) بتصرف.

(٢) مدينة تقع في الجزيرة السورية قرب تل حلف على الحدود السورية التركية -حاليًّا-، اسمها بالسريانية (رش عينا)، وسميت بـ(رأس العين)؛ لوقوعها في رأس ينابيع الخابور -سبق تعريفه-، وقد أطلق عليها في العصر القديم اسم (ثيودوسيو بوليس).

«معجم الحضارات السامية» (٤١٨).

(٣) هو أرسطو طاليس بن نيقوماخس الجراسني الفيثغوري (٣٨٤ - ٣٢٢م)، ومعنى (أرسطو طاليس): تام الفضيلة، كان فيلسوفًا يونانيًّا، ولد في مقدونيا، أدَّب الإسكندر الكبير، وهو مؤسس المدرسة المشائية.

«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٨٦) بتصرف.

(٤) مار يعقوب الرُّهاوي (٦٣٣ - ٧٠٨م): من كبار فلاسفة السُّريان، وعلمائهم الفطاحل في علم الإلهيات، والترجمة، والفقه البيعي، والتاريخ، والأدب، واللغة، والنحو.

له ترجمة في: «المكتبة الشرقية» (١/ ٤٧٤ - ٤٩٤)، «الأدب السرياني» (٣٧٤) لروبنس دوفال، طبع في باريس سنة ١٩٠٧م.

وانظر: «ترجمة الفيلسوف السرياني الشهير مار يعقوب» لمراد فؤاد حقِّي، منشورة في مجلته «الحكمة» القدس، سنة ١٩٢٩م، ثم نشرها في كتاب عن مطبعة مار مرقس للسريان في القدس، في السنة نفسها، في (١٨) صفحة.

وكان السُّريانيون واسطةً لاقتباس العرب علوم اليونانيين؛ من فلسفةٍ وطبٍّ ومنطقٍ وفَلَكٍ ورياضةٍ وغيرِ ذلك.

ومن القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري: نُقلت كتب اليونانيين إلى السُّريانية، ومنها إلى العربية، وكان اليهود -أيضًا- يترجمون كتب اليونانيين باللغة اللاتينية، وبواسطتهم انتشرت في أوربا[(١)].

وكان السُّريانيون يُعلِّمون ثلاثَ لغاتٍ في مدارسهم:

- **السُّريانية** -وهي لغتهم-.

- **والعربية.**

وكانت لهم اليد الطولى في اللغتين الساميَّتين، وقد خلَّفوا -في ذلك- من الكتب؛ ما يُسجِّلُ لهم فخرًا، ويرفع لهم في التاريخ ذِكرًا.

(١) قال داود بن محمد القلعي الأزهري الشافعي في «قبس الأنوار في الرد على النصارى الكفار» (ق١٢/ أ - ب، نسخة غوتا بألمانيا، رقم ٨٥٩):
«وقول النصراني واليهودي باطل بأنه ليس لهم من الآثار في العالَم ما ليس لغيرهم مثله؛ بل -على الحقيقة- لا ذِكر لهم بين الأمم الذين استخرجوا العلوم الدقيقة، ودوَّنوها لمن يأتي بعدهم، وجميع ما ينسب إلى النصارى واليهودي من العلوم -مع ما استفادوه من علوم غيرهم-؛ لا يضاهي بعض الفتوت الحِكمية التي استخرجها علماء اليوناني، وأمَّا تصانيف المسلمين؛ فيستحيل -لكثرتها- أن يقف أحد من الناس على جميع ما صنَّفوه في أحد الفنون العلمية؛ لسعته وكثرته. وإذا كان هذا موقعهم من الأمم؛ فقد بطل قولهم: «إن آباءهم أعقل الناس»، ولهم أسوة بسائر آباء الناس المماثلين لهم من ولد سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإذا أقروا بتساوي آبائهم بآباء غيرهم -وقد علموا أن آباء غيرهم قد لقَّنوهم الكفر-؛ لزمهم أن شهادة الآباء لا يجوز أن تكون حجة في صحة الدين، فلا يبقى لهم حجة بنبوة عيسى أو موسى إلا شهادة التواتر بالمعجزات؛ وهذا موجود لسيدنا محمد وسيدنا عيسى وسيدنا موسى سيدنا إبراهيم».

- **واللغة الثالثة: هي اليونانية:** وهي لغة الأوائل فيما قبل الإسلام، ثم حلَّتْ محلَّها اللغة العربية.

ومن مشاهيرهم: يوحنا بن مشويه[(١)]، و(يوحنا) -بالعربية- هو (يحيى)، وكان في زمان هارون الرشيد[(٢)]، ثم بُويع للمأمون[(٣)] -ابنه- بالخلافة، وكان

(١) أبو زكريا يوحنا بن ماسَوَيه (ت ٢٤٣هـ): من علماء الأطباء، سرياني الأصل، عربي المنشأ، قلَّده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد في بلاد الروم المفتوحة، ولم يقتصر على خدمة العلم؛ بل خدم الرشيد والمأمون ومَن بعدهما إلى أيام المتوكل؛ بمعالجتهم وتطبيب مرضاهم، وقد أصاب شهرة واسعة، وثروة طائلة، له نحوٌ من أربعين كتابًا، معظمها رسائل؛ منها: «البرهان» و«الأزمنة» و«النوادر الطبية» وغيرها.
«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٢٤٦)، «الأعلام» (٨/ ٢١١) بتصرف.

(٢) أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور (١٤٩ - ١٩٣هـ): خامس خلفاء بني العباس، قال فيه الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد، وغزو، وشجاعة، ورأي»، وقال ابن دحية: «وفي أيامه كمُلت الخلافة بكرمه وعدله وتواضعه، وزيارته العلماء في ديارهم».
«تاريخ بغداد» (١٦/ ٩)، «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٨٦)، «الأعلام» (٨/ ٦٢) بتصرف.

(٣) أبو العباس -وقيل: أبو جعفر- عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور (١٧٠ - ٢١٨هـ): سابع الخلفاء من بني العباس، وأحد أعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة مُلكه، وقد كان فصيحًا مفوهًا، واسع العلم، محبًّا للعفو، من كلامه: «لو عرف الناس حبي للعفو؛ لتقربوا إلي بالجرائم».
يقال بأنه أتحف ملوك الروم بالهدايا؛ سائلًا أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بعدد كبير منها؛ فاختار لها مهرة التراجم فترجمت، وحض الناس على قراءتها.
وفي السنة الأخيرة من حياته وقعت فتنة خلق القرآن -وهي معرة التصقت به، نسأل الله السلامة-، قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومحاسنه كثيرة -في الجملة-».
«تاريخ بغداد» (١١/ ٤٣٠)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٧٢)، «الأعلام» (٤/ ١٤٢) بتصرف.

من جهوده المبذولة في إكرام العلماء والمؤلفين، ونَشَر مِن كتب العلم ما يعجز عنه الوصف، وفي زمانه تُرجِمَتْ كتب العلم، وأقبل الناس عليها.[(١)]

ومن مشاهير المترجمين في ذلك العصر: الحجاج بن مطر[(٢)]، ويوحنا ابن البطريق[(٣)]؛ وهو الذي ترجم للعرب -بالعربية- بعض كتب أرسطو، وعبد الحميد الحمصي[(٤)]، وكان في أيام المعتصم[(٥)]، وقسطا بن لوقا[(٦)]،

(١) يذكر النديم أن أول ترجمة في الإسلام كانت بأمر من خالد بن يزيد بن معاوية الأموي، ثم تتابعت إلى أن ازدهرت في العهد العباسي، خاصة في عهد المأمون.
انظر: «الفهرست» (٣٠٣).

(٢) نقل للمأمون، ومن نقله: كتاب «إقليدس» و«المجسطي»، ثم أصلح نقله -فيما بعد- ثابت بن قرة الحراني بن ناعمة.
انظر: «الفهرست» (٣٠٤) للنديم، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٢٨٠).

(٣) يوحنا بن البطرق: كان مولًى للمأمون، أمينًا على الترجمة، حسن التأدية للمعاني، ألكن اللسان في العربية، وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب، تولى ترجمة كتب أرسطو طاليس -خاصة-، وترجم من كتب أبقراط، كانت وفاته نحو (٢٠٠هـ).
انظر: «الأعلام» (٨/ ٢١٠).

(٤) لعل الصواب في اسمه هو: عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي (ابن ناعمة)، ويعرف -أيضًا- بـ(ثابت بن قرة الحراني الناعمي)، كان متوسط النقل، وهو إلى الجودة أميل.
انظر: «الفهرست» (٣٠٤) للنديم، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٢٨٠).

(٥) أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (١٧٩ - ٢٢٧هـ): من أعاظم خلفاء بني العباس قوة وبطشًا وشجاعة، لكنه كان نَزْرَ العلم.
ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٤/ ٥٤٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٩٠)، «الأعلام» (٧/ ١٢٧).

(٦) قسطا بن لوقا البعلبكي: توفي نحو (٣٠٠هـ)، فيلسوف رياضي، طبيب حاذق، يوناني الأصل، كان أيام المقتدر بالله العباسي، نقل كتبًا كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربية، =

وحنين بن إسحاق[(١)] المتوفى سنة (٢٦٠هـ)؛ وهو من كبار علماء السُّريانيين الذين لهم اليد الطولى في العربية -أيضًا-، ثم ترجم كتب أفلاطون[(٢)] بالعربية، وبعض كتب أرسطو وبطليموس[(٣)] وأبقراط[(٤)].

ومنهم: إسحاق بن حنين[(٥)] المتوفى سنة (٢٩٠هـ)، وحبيش بن ....

= وكان جيد النقل، فصيحًا باللسان اليوناني والسرياني والعربي، وأصلح نقولًا كثيرة، وكان حسن العبارة، جيد القريحة.
ترجمته في: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٣٢٩)، «الأعلام» (٥/ ١٩٦ - ١٩٧).

(١) أبو زيد حنين بن إسحاق العِبَادي (١٩٤ - ٢٦٠هـ): طبيب، مؤرخ، مترجم، أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، والطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية؛ فانتهت إليه رئاسة العلم بها بين المترجمين، اتصل بالمأمون؛ فجعله رئيسًا لديوان الترجمة، وأغدق عليه من عطاياه، له كتب ومترجمات كثيرة؛ من بينها: «الفصول الأبقراطية» في الطب، «الضوء وحقيقته»، «حيلة البرء» عن جالينوس، «التشريح الكبير» عن جالينوس.
ترجمته في: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٢٥٧)، «الأعلام» (٢/ ٢٨٧).

(٢) يقال له: فلاطن وأفلاطن أفلاطون، معناه: العميم الواسع، وهو فيلسوف، طبيب، رياضي، من مدينة أثينا، تتلمذ لسقراط ولأصحاب فيثاغورس، ويعتبر أرسطو طاليس من أهم تلاميذ أفلاطون.
ترجمته في: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٧٩).

(٣) بطليموس القلوذي: عالم رياضي فلكي من اليونان، إليه انتهى علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك، من أشهر مؤلفاته: كتاب «المجسطي» (Almagest).
ترجمته في: «إخبار العلماء بتاريخ الحكماء» (٧٣).

(٤) أبقراط بن إيراقليدس بن أبقراط، وأصل اسمه باليونانية: ايفوقراطيس، ويقال: بقراطيس، يوناني من أصل ملكي، تعلم صناعة الطب من أبيه وجده، ونشرها في تلاميذه.
ترجمته في: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٤٣).

(٥) إسحاق بن حنين بن إسحاق العِبَادي (٢١٥ - ٢٩٨هـ)، طبيب مترجِم، أفاد العربية =

الحسن[١]، وأبو بشر يحيى بن عاديا[٢] المنطقي المتوفى سنة (٣٢٨هـ).

وبرع السُّريانيون في الطب، وكانوا يُنادمون خلفاء بني العباس -فيما تزعم كتب الأخبار-، ومن أعيانهم: بختيشوع[٣]، وكان طبيب هارون الرشيد.

= بما نقله إليها من كتب، وخدم بعض خلفاء بني العباس، من مترجماته: «كليات أرسطاليس»، «شرح مقالات أرسطو في علم النفس».
ترجمته في: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٢٧٤)، «الأعلام» (١/ ٢٩٤).

(١) حبيش بن الحسن الأعسم (٢١٤- ٢٩٧هـ)، طبيب ومترجم عربي من أهل دمشق، وهو ابن أخت حنين بن إسحاق، ومنه تعلم صناعة الطب، كان يسلك مسلك حنين في نقله، وفي كلامه وأحواله، إلا أنه لم يبلغ شأوه، من كتبه: «إصلاح الأدوية المسهلة»، «الأدوية المفردة»، «كتاب الأغذية».
ترجمته في: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٢٧٦).

(٢) هو أبو زكرياء يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا (٢٨٠ - ٣٦٤هـ)، فيلسوف حكيم، نصراني النحلة، يعقوبي المذهب، انتهت إليه رئاسة علم المنطق في عصره، قرأ على أبي بشر متى بن يونس، وعلى أبي نصر محمد الفارابي، وغيرهما، ترجم عن السريانية كثيرًا إلى العربية، كان ملازمًا لنسخ الكتب؛ كتب نسختين من «تفسير الطبري»، قال أبو حيان التوحيدي: «كان شيخًا لين العريكة، فروقة [الفروقة: شديد الخوف]، مشوه الترجمة، رديء العبارة»، من مترجماته عن السريانية: «النواميس» لأفلاطون، «ما بعد الطبيعة»، «الكلام على الشعر»، وأصلح بعض ما نقله بشر بن متى إلى العربية.
ترجمته في: «الفهرست» (٣٢٢)، «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٣١٧)، «إخبار العلماء بتاريخ الحكماء» (٢٧٠)، «حكماء الإسلام» (٩٧)، «الأعلام» (٨/ ١٥٦).
وألَّف جاد حاتم «يحيى بن عدي وتهذيب الأخلاق»، مطبوع في بيروت سنة ١٩٩٠م.

(٣) هذا الاسم يطلق على عائلة سريانية اشتهرت في العهد العباسي بصناعة الطب خاصة، وقد خدم الرشيد اثنان من هذه العائلة:
- الأب بختيشوع بن جرجس المتوفى نحو (١٨٤هـ): طبيب سرياني الأصل مستعرب، استقدمه الرشيد فتميز في أيامه، ألَّف لابنه مختصرًا سماه «كناش». =

وبرع السُّريانيون في علم الصرف والنحو -أيضًا-، وهم الذين ابتدعوا علاماتِ الحركاتِ في لغتهم، وأخذها منهم سائرُ السَّاميين[١]، وذلك؛ أنَّ الحروف الهجائية الفينيقية لا محلَّ فيها للحركات.

فلما أخذ هذه الحروف اليونانيون والروم؛ احتاجوا إلى علامات الحركات فلم يجدوها، ثم رأوا أنَّ حروف الحلق -كالحاء والعين- تدلُّ على أصواتٍ غيرِ موجودةٍ في لسانهم -أي: في لسان اليونانيين-، وأنَّها قريبة إلى

= انظر: «إخبار العلماء بتاريخ الحكماء» (٨١)، «الأعلام» (٢/ ٤٤).
- الابن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس (ت ٢١٣هـ): طبيب هارون الرشيد وجليسه وخليله، خدم الأمين والمأمون، من تصانيفه: «كناش» جمع فيه خلاصات ومجربات في الطب، «رسالة في المطعم والمشرب».
ترجمته في: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (١٨٧)، «إخبار العلماء بتاريخ الحكماء» (١٠٦)، «الأعلام» (٢/ ١١١).

(١) يرى إبراهيم أنيس أن ظاهرة الإعراب في العربية واللغات السامية؛ ظاهرة مصنوعة، فرضها النحاة على الشعراء والأدباء، وأنه ليس إلا قضية متواضعة من نواحي اللغة؛ ملكت على الناس شعورهم، وأنه جعل من النحاة رقباء على كل إنتاج أدبي؛ بحيث طغت ناحية الإعراب على كل الظواهر اللغوية الأخرى، من نفي وإثبات وإنشاء وخبر وتعجب واستفهام، وغيرها من قضايا اللغة.
انظر: كتابه «من أسرار اللغة» (١٩٨ - ١٩٩).
ورد على من قال بعدم أصالة الإعراب في العربية: رمضان عبدالتواب في «فصول في فقه العربية» (٣٧١ - ٣٩٥)، ومحمد الأنطاكي في «الوجيز في فقه اللغة» (٣١٣ - ٣٣١).
ويرى الدكتور يحيى عبابنة أن اللغة العربية لا تحتاج إلى إثبات وجود الإعراب فيها؛ بل تحتاج إلى دراسة المظاهر الإعرابية، وتأصيل ظاهرة الإعراب في اللغات السامية المختلفة، وقام بهذا في كتابه «النحو العربي المقارن في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة»، وهو منشور في الأردن.

أصوات حركاتهم، فاستعملوا هذه الحروف لحركاتهم؛ فالحاء من حروف الحلق، وهي غير موجودة في لغتهم؛ فأخذوا منها -**أولًا**- (E)، **وثانيًا** (Ɛ)، وكذلك العين من حروف الحلق، وهي موجودةٌ في الفينيقي، وليست عندهم؛ فاستعملوا بدلَها حرف (O)؛ لأنَّهما قريبان.

هذا ما كان من أمر **اليونانيين والروم**.

وأمَّا **السُّريانيون**؛ فاستغنوا بالحروف دون الحركات برهةً طويلةً من الزمان، ثم تنصَّر السُّريانيون، ونقلوا إلى لغتهم الكتب المقدسة، خصوصًا الأناجيل، وأرادوا ضبط كلِّ كلمةٍ منها عند قراءتها في الكنائس والبِيَع؛ احترازًا من الخطأ، فإنَّ الخطأ -في تلاوة مثل هذه الكتب المحترمة- فاحشٌ، وقد يستلزم ما يوهم الكفر والزندقة في قارئها.

ولما لم يكن للسُّريانيين بدٌّ من الحركات، ولم تكن لهم سبيلٌ إلى تغيير الحروف المعهودة المستعملة، أو إلى زيادة أخرى؛ اضطرُّوا إلى علاماتٍ صغيرةٍ قصيرةٍ، لا تتأثَّر بها الحروف، ولا يغيِّر شكلها، فاقتصروا على رسمِ نقطةٍ أو سُطيرٍ صغيرٍ فوق الحرف، أو تحته، أو في وسطه؛ فبقيت الحروف كما هي، فلم يغيِّروا أحرفًا؛ بل زادوا نقطًا أو سُطيراتٍ، **وهذا استنباطٌ -منهم- انتفع به علماء العرب؛ فأتقنوه وأصلحوه**[1].

وفي المصاحف القديمة من الجيل الثاني للهجرة: تدلُّ النقطة من فوق الحرف على الفتح، ومن تحته على الكسر، وفي وسطه على الضَّمِّ، ثم صارت

(١) انظر: «دراسات في تاريخ الخط العربي» (١٢٥ - ١٢٦) لصلاح الدين المنجد.

هيئة الحركات على ما هي عليه الآن[(١)].

وأخذ العبرانيون -أيضًا- الحركات عن السُّريانيين.

وتقدَّم أنَّ السُّريانيين ترجموا كتب اليونانيين للفرس في زمان كسرى، وترجموا كتبهم للعرب -بعد ذلك- في أوائل زمان الدولة العباسية.

وقد ذكر ابن خلدون[(٢)] في ....

(١) الذي طبَّق أعمال الشكل في المصاحف لأول مرة: هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي (ت٦٩هـ - ٦٨٨م)، واختار شخصًا، وطلب منه أن يأخذ المصحف؛ فيقوم بإعداد مداد يختلف في لونه عن لون مداد المصحف، وقال أبو الأسود له: «**فإذا فتحتُ شفتيَّ؛ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتُها؛ فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتُهما؛ فاجعل النقطة في أسفله**، فإن أتبعتُ شيئًا من هذه الحركات غُنَّة؛ فانقط نقطتين»، فابتدأ أبو الأسود بالمصحف هكذا حتى أتى على آخره.
انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٣٩ - ٤١)، «المحكم» (ص٣ - ٤).
فقولهم: «أول من نقط المصحف»؛ أي: من شكَّله بالنقط.
وانظر عن (أعمال تشكيل المصاحف وتنقيطها) في: «المصاحف» (١٣٧ - ١٤٧) لابن أبي داود، «معرفة القراء» (١/ ٢٩٨) للذهبي، «النشر» (١/ ٣٣) لابن الجزري، «صبح الأعشى» (٣/ ١٤٩)، «تاريخ القرآن» (٦٨ - ٧٣) لعبدالصبور شاهين، «تاريخ القرآن» (ص٦٧) للزنجاني، «رسم المصحف» (٤٦٥ - ٦٠٩) لغانم قدوري حمد، مقدمة الدكتور طيار آلتي قولاج لـ«المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب، نسخة صنعاء» (٨٢ - ٩٢)، «فصول في اللغة العربية» (٣٧٩ - ٣٨٠)، «تحقيقات في اللغة والأدب» (٣٠٤ - ٣٢٥) مبحث (النقط والحرف العربي) للعلَّامة ناصر الدين الأسد، مقالة (الخط العربي وتطوره في مخطوطات المصاحف القرآنية) للأستاذ سامح السعيد، المنشورة في مجلة «الخزانة»، السنة الرابعة، العدد الثامن، ذو الحجة ١٤٤١هـ - آب ٢٠٢٠م، (ص٦٥ - ١٤١).

(٢) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، التونسي، الإشبيلي، القاهري، المالكي (٧٣٢ - ٨٠٨هـ)، عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي، من مؤلفاته: =

«المقدمة»[١] أنَّ جُلَّ المؤلفين في النَّحو هم من الأعاجم[٢]؛ كسيبويه[٣] والفارسي[٤] والزَّجَّاج[٥]، تثقَّفوا بالثقافة العربية بمخالطة العرب، ودانوا

= «المقدمة» وضعها مقدمة لمؤلفه الضخم الموسوم بـ«العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، وقد اعتبرت المقدمة -لاحقًا- مؤلفًا منفصلًا، ذا طابع موسوعي، تحدث فيه عن موضوعات شتى؛ كالشريعة، والتاريخ، والجغرافيا، والاقتصاد، والعمران، والاجتماع، والسياسة، والطب، وغيرها.
ترجمته في: «نفح الطيب» (٦/ ١٧١)، «شذرات الذهب» (٩/ ١١٤)، «ديوان الإسلام» (٢/ ٢٤٩)، «الأعلام» (٣/ ٣٣٠).

(١) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٧٤٧).

(٢) بحثنا رأي العلامة ابن خلدون في مقدمتنا لـ«الفوائد السامية» (ص٩٩)، واتضح أن هذه الفكرة -منه- لا تستند إلى دليل علمي استقصائي؛ وإنما هي مجرد انطباع منه، وقد أثبت البحث العلمي عروبة أغلب العلماء المنسوبين إلى البلاد الأعجمية.

(٣) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بـ(سيبويه) (١٤٨ - ١٨٠هـ)، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، تتلمذ على إمام العربية: الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ فبرز في علم النحو، وصنَّف «الكتاب» الذي لم يُصنع في النحو قبله ولا بعده مثله.
ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٩٩)، «طبقات النحويين واللغويين» (٦٦)، «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٥١)، «الأعلام» (٥/ ٨١).

(٤) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧هـ)، أحد الأئمة في علم العربية، ترك مصنفات كثيرة؛ من بينها: «الإيضاح» في قواعد اللغة، و«التذكرة» في علوم العربية، وغيرها.
ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٨/ ٢١٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٧٩)، «البلغة في تراجم أئمة اللغة» (١٠٨)، «الأعلام» (٢/ ١٧٩).

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٢٤١ - ٣١١هـ)، عالم بالنحو واللغة، تتلمذ على المبرد، من مصنفاته: «معاني القرآن»، و«الاشتقاق»، وغيرها.
ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٦/ ٦١٣)، «طبقات النحويين واللغويين» (١١١)، «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٦٠)، «البلغة في تراجم أئمة اللغة» (١٠٨)، «الأعلام» (١/ ٤٠).

بالإسلام؛ فصاروا من علماء اللغة العربية، وسلكوا في تصانيفهم مسلكًا فلسفيًّا، وقد قال أرسطو: «إنَّ الزمان والمكان هما كالوعاء للأشياء والأعمال؛ إذ لا بدَّ لكلِّ شيءٍ مخلوقٍ أن يكون واقعًا في زمانٍ ومكانٍ، ومن ذلك؛ أخذ النُّحاة اسم المكان والزمان فسمَّوه (ظرفًا) و(مفعولًا فيه)»، وكذلك قسَّم أرسطو الكلماتِ إلى اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ، وكذلك تعريف (الكلام): أنَّه اللَّفظُ المركبُ المفيدُ فائدةً تامةً؛ قد أُخذ معناه من كلام أرسطو[١].

هذه إشارةٌ إلى ما فعل السُّريانيون في وضعهم الحركات واشتغالهم بالنحو.

وبعد القرن الخامس الهجري؛ ضَعُفَتِ السُّريانية، وازدهرت اللغة العربية حتى صارت اللسان الأدبي والعلمي[٢]،..............................

(١) بحثنا هذه القضية في مقدمتنا لـ«الفوائد السامية» (ص١٠٢ وما بعدها)، وقد تبدَّى أن أول من أثارها هم المستشرقون، ثم أخذها عنهم بعض الكتَّاب العرب، وقد درأ هذه الفكرة -قدمًا- أبو سعيد السيرافي حين مناظرته يونسَ بن متى؛ حيث جمع فأوعى -بما لا ريب فيه- أن لا علاقة للنحو العربي بالمنطق اليوناني؛ فالنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٥٧ - ٥٨):

«وقد كان العارفون باللغة العربية حين بعث الله محمدًا ﷺ إنما يوجدون في جزيرة العرب وما والاها؛ كأرض الحجاز واليمن وبعض الشام والعراق، ثم انتشر فصار أكثر الساكنين في وسط المعمورة العربية -حتى اليهود والنصارى الموجودون في وسط الأرض- يتكلمون بالعربية كما يتكلم بها أكثر المسلمين؛ بل كثير من اليهود والنصارى يتكلمون بالعربية أجود مما يتكلم بها كثير من المسلمين، وقد انتشرت هذه اللغة أكثر مما انتشرت سائر اللغات، حتى أن الكتب القديمة من كتب أهل الكتاب ومن كتب الفرس والهند واليونان والقبط وغيرهم؛ عربت بهذه اللغة».

لا للعرب[١] وحدهم؛ بل للسريانيين -أيضًا-، إلا ما يختصُّ بالصلوات والوعظ في الكنائس[٢].

وأما السُّريانية التي يتكلَّم بها السُّريانيون في شمال العراق والقسم الشرقي من بلاد الشام؛ فإنَّها عامِّيَّةٌ مولَّدةٌ من اللسان السُّرياني القديم، وقد دخلت فيها مفرداتٌ كثيرةٌ من العربية والفارسية والتركية، وليس لهم أدبٌ مكتوبٌ بهذه اللغة العامية.

ومن اللغة الآرامية الغربية: لغة اليهود المتأخرين، وقد كُتبت بهذه اللغة أسفار اليهود المقدسة، وقد أُلِّفت بها كتبٌ في الآداب والقصص، وأُلِّفت بها كتبٌ في شرح «المقرا» -أي: «التوراة»-.

ومن اللغة الآرامية الغربية: لغة السامريين؛ نسبةً إلى السامرة، وهي قريبةٌ من نابلس، وهي لغة من تناسل من السامريين الذين أسكنهم ملك آشور في السامرة، والسامريون على دين اليهود[٣]، غير أنَّهم انفصلوا عن يهود بيت

(١) في الأصل: «لعرب».
(٢) سيأتي في (الحلقة الثامنة) من «فيلولوجي» قول الهلالي: «اسْتمرَّتِ اللُّغةُ السُّريانيَّةُ في قُوَّتِها ورُقِيِّها إلى تمامِ القَرْنِ السَّابعِ بعْدَ الميلادِ، ثمَّ أَخذتْ تَضعفُ؛ بسببِ استيلاءِ اللُّغةِ العربيَّةِ عليه بظهورِ الإسلام، واستمرَّتْ في احتِضارِها إلى القَرْنِ الثَّالثَ عشَرَ الميلاديِّ؛ فلفَظَتْ نفَسَها الأخيرَ، ولَحِقَتْ بما مَضَى مِن اللُّغاتِ الفَانِيَة».
(٣) السامرة طائفة من المتهوِّدين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، كانوا يسكنون جبال بيت المقدس، أثبتوا نبوَّة موسى وهارون ويوشع بن نون دون نبوة من بعدهم، ظهر فيهم رجل يقال له (الألفان)؛ ادعى النبوة وضلَّ قبل المسيح بمئة سنة، وهم فرق، وقبلتهم إلى جبل جرزيم بين بيت المقدس ونابُلس، ولغتهم لغة اليهود والعبرانية. =

المقدس في القرن الخامس ق.م.

= وتقيم هذه الطائفة في مدينة (نابلس) في (فلسطين)، وهم أقلُّ الطوائف اليهودية عددًا، وكانت هذه الطائفة -في تاريخها القديم- في صراع مستمر مع اليهود ومع الرومان، وقد قاموا بثورات زمن الإمبراطور الروماني زينو (٤٧٤ - ٤٩١م)؛ فطردهم من مقرهم في جبلهم المقدَّس جرزيم وبنى فيه كنيسة بدل الهيكل، وثاروا في زمن الإمبراطور جوستنيان؛ فنكَّل بهم ودمَّر معبدهم، وأقام الكنائس في المدينة؛ فهرب بعضهم إلى إيران، واعتنق بعضهم المسيحية (وهذا السبب في قلة عددهم).
وبعد الفتح الإسلامي العربي عاد السامريون إلى نابلس، وعاشوا في أمان في ظل الإسلام، يقيمون طقوسهم الدينية بحرية تامة.
وتقوم عقيدة السامريين على خمسة أركان: وحدانية الله، نبوءة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قداسة جبل جرزيم، الإيمان بـ«التوراة» (الأسفار الخمسة الأولى -فقط-) وأنها منزلة من الله، والإيمان بيوم الدينونة والبعث، وأنه لا ريب فيه.
ويظهر من اهتمام الناس بالسؤال عنهم في مخطوط فيه «أجوبة العلماء في يهود السامرة: هل تحل ذبائحهم ومناكحتهم أم لا؟» -حققته ضمن «مجموع فتاوى جلال الدين البلقيني»-، وإفراد بعض العلماء المسلمين طائفتهم بالتأليف، مع وجود عدد من فتاوى علماء الشام فيهم؛ أنه كان لهم وجود في العصر المملوكي، وقد حقق السامريون فيه ما لم يحققوه طوال عهودهم؛ فانتشروا في المدن والحواضر الإسلامية الهامة في ذلك الوقت، وأصبحت لهم مراكز دينية متعددة لأول مرة في تاريخهم الطويل؛ فكان لهم مركزين دينيين رئيسين في كلٍّ من نابلس ودمشق، ومركزين دينيين ثانويين في كلٍّ من غزة والقاهرة، مما أحدث نهضة دينية وعلمية واجتماعية كبيرة في أوساط السامريين؛ تمثلت بوجود العلماء والشعراء والمفسرين والنحويين السامريين، كما نبغ من بينهم الأطباء والفيزيائيون، وظهرت المؤلَّفات الدينية والتاريخية والقانونية، بالإضافة إلى ما حققوه من نمو وازدهار اقتصادي كبير؛ فأصبحوا أصحاب ثروات طائلة، وكانوا أغنى الأقليات الدينية الثلاثة في الدولة المملوكية (اليهود، والنصارى، والسامريون)، مع أنهم أقل تلك الأقليات عددًا؛ إلا أن المماليك فرضوا عليهم نصف الرسوم الملكية، والنصف الآخر على اليهود والنصارى، كما أنهم كانوا مقربين من الحكام؛ الذين عينوا منهم المستشارين =

= في المحاكم المملوكية، ولذلك؛ كان العصر المملوكي – الذي وقعت فيه هذه أجوبة العلماء في يهود السامرة – أفضل العصور بالنسبة للسامريين؛ لما حققوا فيه من ازدهار علمي واقتصادي واجتماعي.

مستفاد من «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب» (١/ ٥٠٣).

وانظر فيهم: «منهاج السنة» (٥/ ١٧٤) –وسماهم (رافضة اليهود)–، «الجواب الصحيح» (٢/ ٢٣، ٤٥٠)، «الآثار الباقية» (٢١ – ط ليدن) للبيروني، «الملل والنحل» (١/ ٢١٧) للشهرستاني، «مروج الذهب» (١/ ٦٧)، «المواعظ والاعتبار» (٤/ ٩٥٦ – ٩٥٨) (**مهم**) –واستل منه الأستاذ عبدالمجيد دياب كتابًا نُشِر عن دار الفضيلة بعنوان «تاريخ اليهود وآثارهم في مصر»–، «سفر التاريخ اليهودي» (٣٥٨ – ٣٥٩) لرجا عرابي، مجلة «العربي» الكويتية (العدد ٢٩، نيسان، سنة ١٩٥٦م، ص ٨١ – ٨٧) (تحقيق صحفي)، «العرب واليهود في التاريخ» (٣٥٩ – ٣٦٢) لأحمد سوسة، «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٢٨ – ٢٣٠) لابن القيم.

وللأستاذ إياد هشام محمود الصاحب **دراسة مهمة ميدانية عنهم**؛ وهي بعنوان «السامريون: الأصل والتاريخ، العقيدة والشريعة وأثر البيئة الإسلامية فيهم»، منشورة عن مكتبة دنديس في الخليل، سنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، في (٣٣٢ صفحة)، وهي **مهمة**، وأخذها من كتبهم، والتقى في نابلس مع رجالاتهم، وبيَّن أثر الإسلام فيهم في الطهارة والصلاة والذبائح وغير ذلك، ويعلم من خلال ما هو مذكور في المراجع، مع نقولات صاحب «السامريون»؛ **أن تغيرًا وتطورًا حصل معهم، ولذا؛ كانت اختلاف الأجوبة فيهم؛ اختلاف زمان وأوان، لا اختلاف دليل وبرهان، والله أعلم**.

وألَّف عنهم: محمد حافظ الشريدة وعمر غوراني «الطائفة السامرية»، طُبع في نابلس، سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ولسيد فرج راشد «السامريون واليهود»، نشر دار المريخ في الرياض، سنة ١٤٠٧هـ، ولإبراهيم الغني «أصل السامريين» غير منشور، ولإلياس مرمورة «السامريون»، طُبع عن دار الأيتام السورية، ونشر أحمد حجازي السقا «التوراة السامرية»، واعتمد على نسخة الكاهن عبد المعين صدقة، ولهذا الكاهن –وغيره– مخطوطات كثيرة ما زالت محفوظة في مكتبة مركز الدراسات السامرية في نابلس، وعليها اعتماد (السامرة) في زماننا هذا.

وانظر: تعليقي على (ص٥٥١). =

وتقدم أنهم رفضوا كتب اليهود ما عدا «المقرا»، وترجموا «التوراة» إلى لغتهم الخاصة بهم، وعندهم «التوراة» بالعبرانية -وهي الأصل- وبالسامرية والعربية، وقد صارت لغتهم في هذا الزمان هي العربية.

ومن اللغة الآرامية الغربية: لغة تدمر، وتُسمَّى -الآن- في أوربا (بلمرا)(١)، وتدمر مدينةٌ مشهورةٌ في برية الشام -أي: الصحراء-، وهي

(١) سمِّيت تدمر بـ(Palmyra) عند الغربيين الذين ورثوا هذه التسمية عن الرومان واليونان؛ وهو (تدمر امور) المذكور في كتابة من كتابات (تغلت فلاصر الأول) (Tiglat-Pileser I) = (Tiglath-Piles) (١١١٧ - ١٠٨٠ق.م) على رأي بعض الباحثين، وقد ورد اسم المدينة -وهو (تدمر)- في عدد من الكتابات، كما ورد اسم علم للأشخاص.
وقد رأى بعض الباحثين أن (Palmyra) من لفظة (Palma) اللاتينية؛ ومعناها (نخل) (نخلة)، وأن الإسكندر ذا القرنين لمَّا تغلَّب عليها أطلق عليها (Palmyra) أي: مدينة النخل، وذلك؛ لما يكتنفها من غابات النخل العظيمة، فعرفت عند اليونان واللاتين منذ ذلك الحين بهذا الاسم؛ كما في «قاموس الكتاب المقدس» (١/ ٢٨٢) Ency, III, P. 1020، غير أن هذا الرأي يحتاج إلى إثبات؛ فليس لدينا دليل من عهد الإسكندر يؤيد هذا القول، وليست لدينا حجة دامغة تثبت وجود النخل في هذه المدينة، إثباتًا يستوجب تسمية الموضع بـ(Palmyra) أي: مدينة النخل.
وهناك آراء متباينة في سبب تسمية (تدمر) بهذا الاسم؛ هي موضع جدل، وليس فيها رأي يمكن الاطمئنان إلى صحته وترجيحه على غيره، لذلك؛ أترك البحث عنه إلى المراجع التي بحثته.
ويظن بعض الباحثين أن (Palmyra) هي ترجمة لكلمة (تمار) (تامار) (تمر) (Tamar) العبرانية؛ ومعناها (نخلة) (Date-Palm)، وهي -في الأصل- اسم موضع إلى الجنوب الشرقي من يهوذا، ورد ذكره في «حزقيال»، لا يعرف موضعه -اليوم- على وجه التحقيق.
انظر: «حزقيال» (السفر ٤٧، الآية ١٩، والسفر ٢٨)، «قاموس الكتاب المقدس» (١/ ٣٠٠). =

مبنيَّةٌ على أعمدةٍ من الرخام، وكانت تدمر بلدًا يُتَّجر فيه وإليه؛ لأنَّها في وسط مملكتين عظيمتين: مملكة الفرس في الشرق، ومملكة الروم في الغرب، وهي مستقلَّةٌ.

ثم كان من أمر سابور(١) مِلك الفرس أنَّه أسر ملك الروم أوريالوس(٢)،

= ويرى علماء «التوراة» أنه الموضع الذي بناه سليمان، والمذكور في «الملوك الأول»، وأنَّ خطأ وقع قديمًا في تعيين الموضع؛ فجعل (تدمر)، سببه: أن كتبة أسفار (أخبار الأيام) -أو الكتبة قبلهم- أخطؤوا في معرفة موضع (تامار) (Tamar) الواقع في الصحراء اليهودية جنوب البحر الميت؛ فظنوا أنه (تدمر) المدينة الشهيرة المعروفة، وكتبوه (تدمر) في محل (تامار).

انظر: «الملوك الأول» (الإصحاح التاسع، الآية ١٨)، «قاموس الكتاب المقدس» (١/ ٢٨٢ وما بعدها).

فالأصل -إذن- هو (تامار)، وصارت (تدمر) نتيجة لهذا التغير في جملة المدن التي بناها (سليمان)، وقد كتبت «أسفار أخبار الأيام» (Chronicles) في حوالي سنة (٣٠٠) أو (٢٠٠) قبل الميلاد، لذلك؛ يكون هذا التبديل والتغير قد ظهر في حوالي هذا الوقت، ومنه صارت (تامار): (تدمر)، ومنه أصبح معنى (تدمر): مدينة النخل؛ أي: (Palmyra) عند اللاتين واليونان، وقد ظهرت هذه الترجمة بعد تدوين «أخبار الأيام» -بالطبع-، ومنها جاءت أسطورة بناء سليمان لمدينة (تدمر) في هذه المنطقة البعيدة عن حدود مملكة إسرائيل.

انظر: «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (٣/ ٧٦ - ٧٧).

(١) هو شاهبور الأول بن أردشير الأول، اسمه الفارسي (شاهبوهر)، واللاتيني (سابور)، مَلَك فارس ما بين (٢٤١ - ٢٧٢م)، تابع سياسة والده في محارية روما، وتوغل في سورية حتى أنطاكية، وفي عام (٢٦٠م) أسر سابور الإمبراطور فاليريانوس -أوريالوس؛ كما سماه الهلالي- في أديسا (أورفا)، ثم انهزم أمام أذينة أمير تدمر.

انظر: «معجم الحضارات السامية» (٥٢٥).

(٢) اسمه اللاتيني الكامل: بوبليوس ليسينيوس فاليريانوس، إمبراطور روماني ما بين =

فأراد ابنه جالينوس[١] الذي ورث مملكته أن يأخذَ من سابور ثأره؛ فساعده على ذلك رجلٌ من وجوه مدينة تدمر، اسمه (أذينة)[٢]؛ وهو رئيس العرب القاطنين في المدينة وفي نواحيها، وزحفَ أذينة إلى سابور وهزمَه؛ فقلَّدَه جالينوس الملكَ على بلاده.

ثم مات أذينة عن ابنٍ صغيرٍ اسمه (وهب اللَّات)[٣]، ومعناه: هبة اللَّات، فإنَّهم كانوا يعبدون اللَّات والعُزَّى وهبل؛ كبني كنانة وقريشٍ وغيرهم في الجاهلية، ولما كان وهب اللَّات حديثَ السِّنِّ؛ تولَّتْ أمُّه زينوبيا[٤] نيابة

= (٢٥٣ - ٢٥٩ أو٢٦٠م)، اضطهد المسيحيين وصادر أموالهم، وقد أسره سابور وهو يحاول فك الحصار عن مدينة أُديسا.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٦٤١).

(١) اسمه الكامل: بوبليوس ليشينيوس أغناطيوس غاليانوس، إمبراطور روماني ما بين (٢٥٣ - ٢٦٨م).
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٦٣٣).

(٢) هو أذينة الثاني (سبيتموس) بن حيران الثاني -وقيل: أخوه-، أمير تدمر ما بين (٢٥٨ - ٢٦٦م)، كافأه غاليانوس عام (٢٦٢م)؛ نظرًا لوفائه لروما ومحاربته الساسانيين، فمنحه لقب (زعيم الشرق) (دوكس أوريانتس)؛ الذي جعل منه ما يشبه نائب الإمبراطور على القسم الشرقي من الإمبراطورية.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٦٠ و٦٣٣).

(٣) وهب اللات بن أذينة الثاني وزنوبيا، اسمه اليوناني: أثينا دورس؛ أي: عطية الإله أثينا، وهي ترجمة محرفة عن الاسم السامي الذي معناه: عطية الإله اللات، مَلَك تدمر ما بين (٢٦٧ - ٢٧٣م)، وقد حكمت أمه بصفتها وصية عليه لعدم أهليته.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٩٠٠).

(٤) (زنوبيا) لفظ يوناني، أما اسمها السامي فهو (بت زبَّاي)، ومعناه: ابنة العطية، وقد عرفت عند العرب في أساطيرهم بـ(الزَّبَّاء) وهي زوج أذينة الثاني، مَلَكَت تدمر =

المُلك، وكانت زينوبيا فريدةَ عصرها في حُسنها، وفي عقلها، وفي بأسها، وتغلَّبت على الشام، وعلى بعض نواحي مصر، ثم وقعت الحرب بينها وبين أورليان(١) ملك الروم، وكسرَ أورليان جيوشَها مرَّتين، ثم حاصرها في مدينتها تدمر إلى أن هربت، وخربت المدينة في سنة (٢٧٢ ب.م)(٢).

هذه هي الأخبار الصحيحة؛ لأنها وردت من المعاصرين، ولا شك أَنْ إيَّاها -أي: زينوبيا- عنى علماء العرب في حكايتهم عن الملكة الزبَّاء -أي: الملكة نائلة- التي ورثت المُلك عن أبيها عمرو بن الظَّرِب(٣)، وأرادت الانتقام له من جَذِيمَة الأبرش(٤)، وحكايتها،......................................

= -وصاية عن ابنها- بعد وفاة زوجها، عرفت بجمالها وفروسيتها وثقافتها، وقد سيطرت على أراض شاسعة من البحر الأحمر والبوسفور حتى غربي النيل، اعتقلها أوريليانوس، وفرض عليها الإقامة في روما.
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٤٤٤).
وأفردها غير واحد بمؤلفات، انظر: «معجم العلماء والمشاهير الذين أفردوا بتراجم خاصة» (٣٥٦ - ٣٥٧) لعبدالله الحبشي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) اسمه الكامل: لوقيوس دوميتوس أوريليانوس، إمبراطور روماني (٢٧٠ - ٢٧٥م).
انظر: «معجم الحضارات السامية» (١٦٠).

(٢) وقيل: سنة (٢٧٣م).
انظر: «معجم الحضارات السامية» (١٦٠).

(٣) نسبه ابن الأثير بقوله: «وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام: عمرو بن الظَّرِب بن حسان بن أذينة العمليقي».
انظر: «الكامل» (١/ ٢٦٥).

(٤) جَذِيمَة بن مالك بن فهم التنوخي القضاعي، توفي نحو (٢٦٨م)، لقب بـ(الوضاح) و(الأبرش) لبرص فيه، وهو ثالث ملوك الدولة التنوخية بالعراق وأعزهم، وهو أول =

وأمر قَصِير[(١)]، والجِمَالِ، وما ضُرِبَ -حينئذٍ- من الأمثال؛ لا محلَّ لذكره -هنا-.

ووُجِدَت في نواحي تدمر كتاباتٌ عديدةٌ، ولغتها من اللغة الآرامية، وهي تُقارِبُ اللغة النبطية، وفي بعض هذه الكتابات اسم ملكهم أذينة المشار إليه.

قال ياقوت: «إن الكتابات التدمرية لم يصل العلماء إلى تفسيرها»[(٢)]، وهذا في زمانه، وأما الآن؛ فهي مُفسَّرةٌ واضحةٌ[(٣)]، وكان أهل تدمر ينقشون

= من غزا بالجيوش المنظمة، وأول من عملت له المجانيق للحرب من ملوك العرب، يروى أن الزباء عرضت عليه نفسها للزواج، فلما جاءها؛ قتلته.
انظر: «الكامل في التاريخ» (١/ ٢٦١)، «الأعلام» (٢/ ١١٤).

(١) يقال له: قَصِير بن سعد من لخم، وهو ابن أمةٍ لجَذِيمَة، وكان أديبًا، ناصحًا لجَذِيمَة، قريبًا منه، وكان قد خالفه في أمر الذهاب إلى الزباء، ولما قُتِل جَذِيمَة الأبرش؛ سعى قَصِير مع عمرو بن عدي في أخذ ثأره، فأدخل الرجل على الجِمال في الغرائر مندسين -يقال بأنه أول من ابتدع هذه الحيلة-، فلما أبصرت الزباء الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض؛ قالت: يا قَصِير!

مَا لِلجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا ... أَجَنْدَلًا يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا
أَمْ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدَا ... أَمِ الرِّجَالَ جُثَّمًا قُعُودَا

ويقال: إن قَصِيرًا هو من أجابها بعجُز البيت الثاني في نفسه، وقد تم لقصير ما أراد من ثأره، وقد شاعت أساطير كثيرة حول هذا الحدث.
انظر: «الكامل» (١/ ٢٦٦) لابن الأثير.

(٢) لم أظفر بها في مادة (تدمر) من «معجم البلدان»، ولا في النسخة الخطية التي بقلمه؛ وهي من محفوظات مكتبة ستان قدسي، رضوي، إيران، رقم (٥٢٨٠)، ولا في غيرها من النسخ.

(٣) أورد ولفنسون بعض النقوش التدمرية مترجمة مشروحة في «تاريخ اللغات السامية» (١٢٩). =

على القبور صورَ الرجال المدفونين داخلها، ومن هذه الصور: صورة جاريتين رآهما أوس بن ثعلبة التيمي[١] في أيام يزيد بن معاوية[٢]، وقال فيهما (وافر):

= ولسحر طلعت الصمادي رسالة ماجستير بعنوان «دراسة معجمية للألفاظ التدمرية مقارنة بالنبطية والعربية القديمة الشمالية» غير منشورة، عن جامعة اليرموك بمدينة إربد في الأردن، وألَّف في هذا الباب جماعة؛ مثل: علي صقر أحمد «النقوش التدمرية القديمة»، وبلغ حصيلة ما اكتشف ثلاثة آلاف نقش مدون على مواد مختلفة (تماثيل، مذابح نذرية، عتبات وأعمدة المعابد، ألواح حجرية، شواهد قبور)، ويعود تأريخها بين ٢٤ ق.م إلى الفترة ٢٧٣م، وهي باللغة الآرامية القديمة التي تشترك مع السريانية والعربية في مظاهر لغوية عديدة.

وللباحث الأستاذ عبدالكريم عبدالرحمن الجراح «دراسة للقبائل في النقوش التدمرية»، رسالة ماجستير غير منشورة، عن جامعة اليرموك في الأردن.

وانظر: «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (٣/ ٨٠) للدكتور جواد علي.

(١) أوس بن ثعلبة بن زفر بن عمرو التيمي صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن حجر: «ولولا أن الحاكم قال: إنه من الصحابة؛ لما ذكرته في هذا القسم».
انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ٢٨٨).

(٢) أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (٢٥ - ٦٤هـ)، ثاني خلفاء الدولة الأموية، قال الذهبي فيه: «له -على هناته- حسنة؛ وهي غزوة القسطنطينية»، وقال: «ويزيد ممن لا نسبُّه ولا نحبُّه».
انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٥)، «الأعلام» (٨/ ١٨٩).

وصنَّف العلَّامة المفنن البارع عبد القادر بن محمد النعيمي كتابًا حديثيًّا تاريخيًّا بعنوان «الحرف المعلم بتحريم لعن المسلم»؛ ذكر فيه أحاديث الوعيد في تحريم لعن المسلم، وأن ذلك شامل مَنْ قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم استرسل في تعيين قاتل الحسين، وهل هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؟ ورتَّب عليه: هل يجوز لعنه أم لا؟

وهذا الكتاب -على وجازته- **مهم مفيد غايةً**؛ إذ أجاد المصنف في طريقة العرض، وأحسن في انتخاب كلام المانعين للعن، ووجَّه صنيع يزيد بما يدفع عنه المؤاخذة، بِنَفَس هادئ، وأسلوب رزين، وعنوان مفيد، ابتعد فيه عن المناكفات والردود، =

فَتَاتَـي أَهـلِ تَدمُـرَ خَبِّرَانِـي ... أَلَمَّـا تَسأَمَا طُـولَ القِيَـامِ

قِيَامُكُمَـا عَلَـى غَيرِالحَشَايَـا[١] ... عَلَى جَبَلٍ أَصَمَّ مِنَ الرُّخَامِ[٢]

وقال «محمد بن الحاجب»[٣] (وافر):

أَتَدمُـرَ صُورَتَـاكِ هُمَـا لِقَلبِـي ... غَـرَامٌ لَيسَ يُشبِهُهُ غَرَامُ[٤]

= والعبارات القاسية، والألفاظ النابية الجارحة، وإقامة معارك لا عدو فيها.
ولم أرَ من صرَّح بنسبة الكتاب لصاحبه إلا تلميذه ابن طولون الصالحي في كتابه «قيد الشريد من أخبار يزيد»؛ فقال فيه (ص٥٤ - ط الصحوة) بعد كلام: «ومنع من لعنه آخرون صنفوا فيه -أيضًا-، آخرهم شيخنا المحيوي النعيمي الشافعي...»، ونقل منه وأطال، وكاد أن يستوعب الكتاب برمَّته؛ إذ أدرجه في «قيده» (ص٥٤ - ٨٠).

(١) الحشايا: مفرده (حشا)؛ وهو ما دون الحجاب الحاجز ممَّا يلي البطن؛ كالكبد والمعدة والأمعاء وغيرها، قال ابن فارس: «الحاء والشين وما بعدها معتل؛ أصل واحد، وربما هُمِز، فيكون المعنيان متقاربين -أيضًا-، وهو أن يُودَع الشيءُ وِعاءً باستقصاء، يقال: حشوتُه أحشوه حَشْوًا، وحُشوة الإنسان والدابة: أمعاؤه».
انظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ٦٤).

(٢) انظر: «معجم البلدان» (٢/ ١٧)، «البلدان» (١٦٠) لابن الفقيه -وفيه: «المقام» بدل «القيام»-.
الرخام: حجر أبيض رخو.
انظر: «لسان العرب» (١٢/ ٢٣٤).
قال ابن فارس: «رخم: الراء والخاء والميم؛ أصل يدل على رقة وإشفاق».
انظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ٥٠٠).

(٣) لعله كان صديقًا لابن الرومي؛ فله -مجيبًا ابن الرومي-:

يـا صاحبًـا أعضـل في كيـده ... كفيـت خيـرًا أيهـا الصاحـب

فهمـت أبياتـك تلـك التـي ... أثبـت فيهـا كيـدك الثاقـب

(٤) انظر: «معجم البلدان» (٢/ ١٨).

واللغة الآرامية هي -أيضًا- لغة اليهود الذين كانوا في أسوان، وكانوا على دين موسى، وكانت لهم هناك كنيسةٌ[(١)]؛ فعَدَا عليهم كهنة المصريين وخرَّبوا كنيستهم، فاستنجد اليهود عليهم بحاكم البلد وباليهود المقيمين في بيت المقدس، وهناك كتاباتٌ مكتوبةٌ بهذه اللغة في دار الآثار المصرية، وكلُّ هذه اللغات الآرامية الغربية متشابهةٌ أعظمَ التشابه.

٣ س: من هم أهل الأنباط؟ وما هي لغتهم؟ وبأيِّ قلمٍ كانوا يكتبون؟

ج: من اللغات الآرامية الغربية: لغة الكتابات النبطية، وكان الأنباط شعبًا عربيَّ الأصل[(٢)]، ولغتهم المأنوسة......................................

(١) جاء في «اللسان» (٦/ ١٩٩): «وكنيسة اليهود، وجمعها (كنائس)، وهي معربة، أصلها: كُنْشت. الجوهري: والكنيسة للنصارى».
وانظر: كتابي «الكنائس بين الأحكام الفقهية والوقائع التاريخية» أو «البخائس والنفائس في أمر الكنائس» (النفيسة الأولى: معنى الكنيسة، والتطور الدلالي لها وللبيعة في اللغة العربية)؛ فقد فصَّلتُ في ذلك.

(٢) خالف ولفنسون هذا الرأي بقوله: «لا نستطيع أن نعتقد أو نرجح أن جميع النبط كانوا عربًا خُلَّصًا أو آراميين صِرفًا».
انظر: «تاريخ اللغات السامية» (١٣٥).
وقوله مدفوع بأنهم قبائل عربية بدوية، دفعتهم ظروف ما -سواء كانت سياسية أو طبيعية- إلى ترك موطنهم الأصلي الذي كان -حتمًا- إلى الجنوب من دومة؛ موطن بني قيدار أثناء القرن السادس قبل الميلاد كما تذكر -ذلك- المصادر التوراتية، وكما يدلنا نقش أشوربانيبال؛ الذي ذكر في «حولياته» أنه دخل منطقة بعيدة لا يوجد فيها ماء، حارب فيها الأنباط، وكان يوثع (ياتع) -الملقب بـ(ملك العرب)- قد هرب من الآشوريين إلى الجنوب (جنوب دومة ووادي السرحان) حيث موطن الأنباط؛ لأنه المكان الصحراوي البعيد والصعب الاجتياز، ولذا؛ فإن الموطن الأصلي للأنباط (كما ورد في «التوراة» و«الحوليات الآشورية») يقع إلى الجنوب من أراضي بني =

العربية[١]، وكانت العربيةُ مقصورةً على المحاورة والتكلم، ولم تكن تكتب؛ لأنَّ حروف الهجاء لم توجد -بعد- عند العرب.

= قيدار الرعاة، وهي -تقريبًا- المنطقة الواقعة بين حائل شمالًا والقصيم جنوبًا؛ أي: في شمال منطقة نجد، وبالذات الصحارى الواقعة شمال شرقي القصيم؛ حيث لا مكان لطير ولا ماء.

وكان ألبرايت قد حدد منطقة حائل الموطن الأصلي للأنباط (انظر: «Albright», 1956, p.12)، ودعم هذا الرأي ونيت (انظر: «Winnett», Reed,1970, p.100).

انظر: «نقوش جبل أم جذايذ النبطية» (١٣).

ولمعرفة أرقام هذه النقوش ومزيد من المعلومات؛ انظر: («Ephal», 1982, pp.416-51)، ويرى برتلت أن المكان الذي ليس فيه طير ولا ماء؛ وهو مكان غير بعيد عن دمشق، (انظر: «Bartlett», 1979, p.64)، ولكن هذا يتناقض -**أولًا**- مع ما هو مفترض بأنهم يقطنون جنوب أراضي بني قيدار في ذلك الوقت، **ثانيًا**: إن جنوب شرق دمشق ليس فيه واحات تصلح للاستقرار.

(١) اللغة النبطية: هي اللغة التي وصلتنا في الكتابات التي عُثر عليها في الرقعة الجغرافية للإمبراطورية النبطية؛ الممتدة من شمالي الحجاز حتى تخوم سورية الجنوبية، والتي كانت عاصمتها البتراء، يضاف إليها ما يقارب ثلاثة آلاف نقش أثري عُثر عليه في شبه جزيرة سيناء، وبعض الوثائق التي وجدت في مناطق بعيدة؛ كروما وغيرها، وتعود هذه الكتابات إلى الفترة الواقعة ما بين القرن الأول والثاني الميلاديين، والنبطيون قوم من العرب، ولغتهم المحكية عربية، أما لغة الكتابة -عندهم- فهي الآرامية، وأما اللهجة التي حفظتها الآثار المكتوبة؛ فهي اللهجة الآرامية الغربية المتأثرة بالعربية في مفرداتها، وأما الخط النبطي؛ فهو مشتق من الخط الآرامي.

انظر: «معجم الحضارات السامية» (٨٣٩).

وصدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية «نقوش جبل أم جذايذ النبطية» للدكتور سليمان ابن عبدالرحمن الذييب، وفيه (مئتان وواحد وثلاثون نقشًا) تعود أغلبيتها إلى القرن الأول والثاني الميلاديين، و(أم جذايذ) تقع بين مدينتي الحجر والعلا في المملكة العربية السعودية، وللمؤلف نفسه «المعجم النبطي: دراسة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية»، نشر عن المكتبة نفسها في الرياض، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

ومملكة الأنباط[١] كانت في القرن الأول ق.م، وتتسع من شمال الحجاز إلى نواحي دمشق، ومن أشهر ملوكهم: حارثة الثالث[٢]، ثمَّ دخلت مملكتهم في طاعة الروم، حتى صارت في سنة (١٠٥ ب.م) ولاية من ولايتهم.

[آخره، والحمد لله رب العالمين]

(١) في الأصل: «الاك نباط».

(٢) الحارث الثالث (فيلهلين): مَلَك الأنباط نحو (٨٧ - ٦٢ ق.م أو ٨٥ - ٦٠ ق.م)، تولى الحكم في دمشق بطلب من أهلها، **وهو أول من ضرب النقود من الأنباط.**
انظر: «معجم الحضارات السامية» (٣٣٤).

الموضوعات والمحتويات[١]

(١) صنعه الهلالي، وعدَّلتُ عليه، وزِدتُ ما في (مقدمة التحقيق)، وما أمامه (ت).

(١) في الأصل: «للم- لمملكة».

(١) في الأصل: «أشير».

مَباحِــثُ

في

عِلمِ اللُّغاتِ (فُيُلولوجِي)

تَصنِيفُ

العَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الدِّينِ الهِلَالِيِّ
رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قَدَّمَ لَهَا وعَلَّقَ عَلَيهَا

أبو عُبَيدَةَ مَشهُورُ بنُ حَسَنٍ آلُ سَلمانَ

مقدِّمة المحقِّق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فهذه مجموعة مقالات ماتعة ومهمة، ولها صلة قوية بـ«اللغات السامية» للعلَّامة تقي الدين الهلالي؛ ترى النور لأول مرة، بعد أن غابت في أرشيف المكتبات وبطون المجلات ما يقارب من ثمانين عامًا.

معنى (فيلولوجي)

قال الهلالي في رسالة إلى صديقه بهجة البيطار: «وأما السُّريانية؛ ففي تعلُّمها فوائد كثيرة؛ أهمها: معرفة اشتقاق اللغة العربية الكبير المسمى (فيلولوجي)؛ فقد ثبت بالبرهان القطعي أن كل لغة هي غصن من شجرة لغات، لا بد لمن يريد معرفة ألفاظها من درس أخواتها، وثبت -أيضًا- أن اللغة العربية هي أصل اللغات السامية، وأعظمها، وأحسنها، وأقيسها، وأسلمها من الخلط، مع أن أهلها كانوا جهلة ولم يكتبوها، وأخواتها -كالسُّريانية والآشوريَّة والعبرانية والحبشية- أهلها أهل كتابة وعلم قديم؛ وهذا من العجائب!»[(١)].

(١) انظر: كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٨٤٩ - ط الأولى).

وأصل هذه الكلمة مركب تركيبًا مزجيًّا من كلمتين إغريقيتين؛ هما: (فيلوس) ومعناها: محب، و(لوجوس) ومعناها: كلمة أو كلام، ثم سُهِّلت إلى (فيلولوج) بمعنى: محب الكلمة أو اللغة؛ أي الباحث فيها، ثم أُلحقت بها علامة المصدر الصناعي في الإغريقية؛ فصارت (فيلولوجيا) أي: محبة الكلمة أو الكلِم، فاصطلحوا على معناها: فن اللغة أو علم اللغات(١).

فائدة علم اللغات (فُيلولوجي)

قال الهلالي:

«(عِلمُ اللُّغات) عِلْمٌ شَريفٌ، جَليلٌ، عَظيمُ الفائدَةِ، كشَفَ النِّقابَ عَن حقائِقَ كثيرةٍ مِن عِلْمِ التَّاريخ؛ فبرزَتِ الحقيقَةُ فيها كالشَّمسِ في رابعَةِ النَّهار، بَعْدَ ما أَنكرَتْ أَقلامُ المؤرِّخِين، وكَلَّتْ أذهانُهم، وضَاقُوا ذَرْعًا بالرِّواياتِ المتضاربَةِ الَّتي يُكذِّبُ بعضُها بَعضًا.

وقَد صارَ هذَا العِلْمُ -منذُ اتِّساعِه وارْتِقائِه- مُحْكِمًا لِرواياتِ التَّاريخِ، يَنقدُها؛ فَيُبيِّنُ جَيِّدَها مِن زَيفِها، وسَمِينها مِن غَثِّها»، ومثَّل عليه بـ(أصل البربر)(٢).

وقال:

«اختلَفَ علماءُ الإِسلامِ في مسائِلَ؛ كلَفْظِ الجلالة (الله): هل هو مُشتَقٌّ

(١) انظر: «دروس اللغة العبرية» (٢ - ٣).
(٢) انظر: (ص٤٤١).

أو مُرتَجلٌ؟ وفي اسمِه -تعالى- (الرَّحمن): هل هو مِن العبرانيَّة أم لا؟ وفي أسماءٍ أُخرى، وألفاظٍ في الكتابِ العزيز...»، ثم قال:

«إذا عُلِم هذا؛ فَلْيُعلَمْ أنِّي عَزمْتُ على كتابَةِ مَقالاتٍ في تعريفِ إخوانِنا القُرَّاءِ بشيءٍ مِن أحوالِ عِلْمِ اللُّغات، يَجْدرُ بهم عِلْمُه، ويَقبحُ بهم جَهْلُه»[(١)].

حضُّ الهلالي على تعلُّم اللغات[(٢)]

قال الله -تعالى- في سورة الروم (٢٢): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾.

تفهمُ من هذه الآية أنَّ اختلافَ اللُّغات كالعربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة ولغات الهند وغيرها، وكلُّ ذلك دالٌّ على كمال قدرة الخالق، ولكنَّه لا يعقِلُ تلك الدَّلالةَ ويقدرها حقَّ قدرها إلَّا العالِمونَ -أي: أهلُ العلمِ-، كما قال -تعالى- في سورة العنكبوت (٤٣): ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾، وقال -تعالى- في سورة إبراهيم (٤): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ﴾.

فمعرفة اللُّغات من النِّعم العظيمة الَّتي تنفَعُ الإنسان في دينه ودنياه، وتوسِّعُ علمَه، وتفتحُ له آفاقًا من التَّفكير، لا يمكن أن يجولَ فيها ويطالعَ أسرارها إلَّا بمعرفة تلك اللُّغات، قال بعض الحكماء: «كلُّ لغةٍ عالَمٌ مستقِلٌّ

---

(١) انظر: (ص٤٤٨).

(٢) ما تحته من أوراق الهلالي الخاصة، مرقومة على الآلة الكاتبة، ومعنونة بـ(تعلم اللغات)، وتحته اسمه، ولعلها من كلماته في إذاعة برلين؛ فإنه قال فيها: «أنصح لمن يسمع من الشُّبَّان والكهول وحتى الشُّيوخ...».

بنفسِه، فإذا تعلَّمْتَ لغةً جديدةً؛ فقد دخلت إلى عالمٍ جديدٍ، تتمتَّعُ بمشاهدة ما فيه من المزايا والخواصِّ الَّتي لا تكاد تطَّلع عليها بدون معرفة تلك اللُّغة»، وقال بعضهم: «من فاتَكَ بلسانٍ؛ فاتك بإنسانٍ»، ومن الأقوال المأثورة: «من عرف لسانَ قومٍ؛ أَمِنَ مكرَهم».

وما أحسنَ ما قال الشَّاعر:

بقــدرِ لغــاتِ المــرءِ يكثُــرُ نفعُــه وتلـكَ لـه عنـدَ الشَّـدائِدِ أعـوانُ

فبـادِرْ إلـى حفـظِ اللُّغـاتِ مسـارعًا فكـلُّ لسـانٍ في الحقيقـةِ إنسـانُ[1]

وقد انتشرَتِ الحاجةُ في هذا الزَّمان إلى تعلُّم اللُّغات؛ بسبب تقارب الأقطار بواسطة البرق والهاتف والتلفزيون، ووسائل المواصلات؛ كالسيارة والقطار والباخرة والطائرة، حتى لَتَكادُ هذه الأقطارُ تكون كالمدينة الواحدة، **فمعرفةُ لغةٍ واحدةٍ لا تكفي أحدًا من الناس، فإن كانَتِ الشُّعوب الرَّاقية يستطيع أن يستغنيَ الشَّخصُ[2] بلغة قومه في إدراك المعلومات الضَّرورية، لكنه متى خرجَ من وطنِه؛ يشعر بالنَّقص والحسرةِ، ويبقى معزولًا عن الناس في قفصٍ من جهله باللُّغات؛ فيسلِّمُ نفسه إلى ترجمانٍ، ويبقى أسيرًا في يده لا يعلم شيئًا إلا بواسطته، وكثيرًا ما يكون قائمًا برحلةٍ علميَّةٍ بدونها، معتمدًا فيها على ما**

---

(١) لصفي الدين الحلي في «ديوانه» (٦٦٩)، وهي فيه:

بقــدرِ لغــاتِ المــرءِ يكثُــرُ نفعُــه فتلـكَ لـه عنـدَ الملمَّات أعـوانُ
تَهَافَـتْ علـى حفـظِ اللُّغـاتِ مجاهـدًا فكـلُّ لسـانٍ في الحقيقـةِ إنسـانُ

(٢) في الأصل وردت قبل «يستغني».

يخبِرُه به الترجمان من أحوالِ تلك البلاد، ويكون الترجمان غيرَ ثقةٍ؛ فيُملي عليه سيلًا من الأكاذيبِ، فيسطِّرها هذا في كتابه، وينشرُ رحلتَه؛ فتجلِبُ عليه سخريةَ السَّاخرين.

فمن ذلك: ما قرأْتُه في «رحلة بول إفرنن»[1]؛ التي ألَّفها حينَ زار المغرب والجزائر، وحشاها بالأكاذيبِ.

فيها: أنَّه كان مسافرًا في سيَّارةٍ يسوقها شخصٌ فرنسيٌّ، كان يعتمد عليه في أخبار المغرب، فحدَّثَه أنَّ المغاربةَ يحتقرون النِّساء، حتى إنَّهم لَيَقرِنونَ المرأةَ بالثَّور في جرِّ المحراث، قال: فقلت له: أَيُمكِنُ أن أرى ذلك بعيني؟

قال: نعم، ولكن إذا شئت أن ترى ذلك؛ يلزَمُنا أن نتركَ الطَّريقَ العامَّ، ونسلك طرقًا تمرُّ بالمزارع؛ فتطولُ المسافة.

قال: فقلت له: لا بأس، إنِّي أحبُّ أن أرى ذلك، وأتحمَّلَ في سبيله كلَّ شيءٍ.

قال: فسافرنا من الدَّار البيضاء إلى مدينة مراكش، ومرَرْنا بمزارع تحرثُ بالمحاريث التي يجرُّها الثِّيران، ولم أشاهِدْ فيها امرأةً مقرونةً بثورٍ، حتَّى وصلنا مدينة مراكش.

قال: فقلت له: أينَ ما قلت؟

---

(١) وجدتُ -ولله الحمد- دفترًا في تجريد الهلالي للمواطن التي أساء فيها بول إفرنن -هذا-، مع مقدمات في نقدها، ثم النقول من غير تعليق، وانظر عنه: ترجمتي المطوَّلة للهلالي في (مؤلَّفاته) تحت عنوان «المخلاة».

فقال: أنا صادقٌ فيما قلت، إلا أنَّنا لم نصادِفْ ذلك في هذه المرَّة!

ومنها: أنَّه مرَّ بسوقٍ من أسواق المغرب التي تُقام كلَّ أسبوعٍ في الفضاء؛ تجتمعُ فيها القبائلُ للبيع والشِّراء، فرأى المؤلِّفُ صبيانًا مغاربةً لهم؛ لكلِّ واحدٍ منهم ضفيرةٌ من الشَّعر في وسط رأسه كالحبل، فسأل صاحبه الفرنسيُّ عن تلك الضَّفيرة؟

فقال: إنَّهم يفعلونَ ذلك لِيأخُذَهم محمَّدٌ نبيُّهم من تلك الضَّفائر، ويرفعَهم إلى الجنَّة!

إلى غير ذلك من الأكاذيب الَّتي أوقعَه فيها جهلُه بلغة البلاد الَّتي يكتُبُ أخبارَها، ولو كان عالمًا بلغتهم؛ لَمَا وَقَعَ في ذلك الخبط.

وقد وقع لي -أنا بنفسي- حوادثُ؛ استفدت فيها من معرفة اللُّغات الأجنبية فوائدَ عظيمةً، لا أُطيل بذكرها -هنا-، ولكني أنصح لمن يسمع من الشُّبَّان والكهول -وحتى الشُّيوخ- أن لا يتكاسلوا في تعلُّم اللغات الأجنبية؛ فإنَّ الشيخ محمد عبده تعلَّمَ اللُّغةَ الفرنسيَّةَ وعمره ستُّون سنةً[(١)].

---

(١) تعلَّم الهلالي الفرنسية وله ثمانون سنة، قال في رسالة لصديقه عبدالله كنون، وهو في باريس، بتأريخ ٨ ربيع الثاني ١٣٨٥هـ:

«وغاية سفري -بل علته- تعلم اللغة الفرنسية لمدة شهر باتفاق ومنحة من البعثة النظامية.

فإن قلتم: ولماذا هذا العناء؛ وأنتَ في غُنية عن تعلم هذه اللغة؟

قلت: إن إصرار الجيل الاستعماري على بسط نفوذ اللغة الفرنسية وسيادتها في المغرب؛ يستلزم نقدًا من جانب المحافظين على لغة القرآن، وهذا النَّقدُ لا يكون فعالًا إلا إذا كان الناقد يعرف اللغة الفرنسية، وإلا فسيقولون: مَن جهل شيئًا عاداه! =

وقد يتوهَّم بعضُ الغافلين: أنَّ هناك لغاتٍ تُسمَّى (لغةَ الكفار)، لا يجوزُ للمسلم أن يتعلَّمَها حتى لا يتشبَّهَ بأهلها؛ **وهذا جهلٌ عظيمٌ بقواعد الإسلام!**(١)

فليعلم هؤلاء: **أنَّ اللغات هي أعراضٌ**(٢)**، لا تُوصَفُ بكفرٍ ولا إسلامٍ، وإنَّما هي أدواتٌ صالحةٌ للاستعمال في الكفر والإسلام والطَّاعات والمعاصي**؛ فالعربية -التي هي لغة القرآن- كانت تُستَعمَلُ قبل أن ينزل بها القرآن في الشِّرك بالله، والظُّلم، والعدوان، والكذب، وهتك الأعراض، وغير ذلك ممَّا يُسخِطُ اللهَ -تعالى-؛ فكانت آلةً للشَّرِّ، ثمَّ نزل القرآن، وتكلَّم بها الرسول ﷺ؛ فصارت آلةً للخير، ولذكر الله، وقول الحقِّ، ونصر المظلوم، ثمَّ صارت تستعمل في هذا الزَّمان في الكفر والمعاصي تارةً أُخرى، والذَّنب في ذلك للمتكلِّمين بها، لا لها، وكذلك يقال في كلِّ لغةٍ.

= وأيضًا؛ كثيرًا ما يتبجَّح الغربان بجمال اللغة الفرنسية وكمالها، وعنفوان شبابها وبلاغتها، ويذمُّون لغة القرآن، ويصفونها بأضداد ما وصفوا به لغتهم المقدسة، فيجب على الناقد -في هذا الحال- أن يقارن بين اللغتين مقارنة قائمة على العدل والبرهان، لا كمقارنتهم الجاهلة الجائرة الكاذبة، وكل ذلك يوجب تعلم اللغة الفرنسية، ولو في كبر السن والعجز، فينبغي أن نبذل الجهد ولا نيأس من النجاح، فإن لم يحصل الأمران؛ حصل أحدهما».

انظر: كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (١/ ٢٢٢ - ٢٢٣، ط الأولى).

(١) سيأتي نحوه من كلام الهلالي في آخر (الحلقة الثالثة عشرة والأخيرة) من «فيلولوجي».

(٢) العرض: ما لا يقوم بذاته؛ بل بغيره؛ كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله، ويقوم هو به.

انظر: «التعريفات» (١٥٣)، «الحدود الأنيقة» (٧١)، «المطلع» (٢٢٤، ٣٨٨)، «تحرير التنبيه» (١٣٢).

والنبيُّ ﷺ لا يُعادي أيَّ لغةٍ من اللغات التي يتكلَّم بها المُسالمون أو المحاربون، فقد روى أحمد بن حنبل عن زيد بن ثابت، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**إنها تأتيني كتبٌ من يهود، ولا آمن يهود على كتابي؛ فتعلَّمِ السُّريانية**»، قال: «فتعلمتها في نصف شهر»[(١)] اهـ.

قال تقيُّ الدين: قد يُشكِلُ -على غير المُطَّلع- تكلُّمُ اليهودِ بالسُّريانية في زمان النَّبيِّ ﷺ، كما يشكل عليه تعلُّمُ لغةٍ بأكملها في نصفِ شهرٍ!

والجواب عن الأول: أن العبرانيَّة -التي هي لغة اليهود- بطلَ التَّكلُّمُ بها، والمراسلة، وسائر المعاملات الاجتماعية عند اليهود؛ قبل ذلك بزمانٍ.

قال كاتب هذا المقال: جاء في كتاب «الفوائد السامية في تاريخ اللغات السامية» (ص٣) ما نصُّه:

«وفي سنة (٧٠) بعد الميلاد غزى تيتوس ملكُ الرُّومِ دولةَ اليهودِ وقضى عليها، وبعد هذه الحادثة؛ تشتَّتَ اليهود، وتفرَّقوا أيدي سبأ في جميعِ البلدان، وكان لسانُ العبرانيِّين من أوَّل أمرِهم إلى أن سباهم بختنصر إلى بابل، ثم إلى رجوع من رجعَ منهم إلى بيت المقدس: اللغة العبرانيَّة -لا غير-، ثمَّ شاعت عندهم اللغة الآرامية، ولم يَزَلِ استعمالها يزداد عندهم حتَّى صارت لغةُ اليهود في زمان عيسى هي الآراميَّة، وبقيت اللُّغة العبرانيَّة مقصورةً على الصَّلوات وأمور الدين»[(٢)].

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: (ص٢٧٤-٢٧٦).

ولم يزل الأمرُ كذلك إلى يومِنا هذا بالنسبة إلى عامَّةِ اليهود المنتشرينَ في الدُّنيا، وأمَّا في فلسطين؛ فقد جدَّدَ اليهودُ اللُّغة العبرانية، وأحيَوها، وبعثوها من مرقدِها، وصاروا يتكلَّمون بها وينشرون بها الصُّحف.

وأمَّا الإشكال الثاني: وهو: كيف أمكنَ زيدَ بنَ ثابتٍ أن يتعلَّمَ السُّريانية في نصف شهر؟

فيبدو لي أنَّ زيدًا لم يتعلَّمِ اللغةَ في نصفِ شهرٍ، وإنَّما تعلَّمَ الكتابة السُّريانيَّة؛ لأنَّ اللُّغتين العربية والسُّريانية كانَتَا -في ذلك الزَّمان- من التَّقارب، بحيث يكفي طالب أحدهما أدنى مخالطةٍ مع أهلِ اللُّغة الأخرى؛ كالعامِّيَّات العربيَّة في هذا الزَّمان، وثبتَ في **الحديث الصحيح**: أنَّ عمر كان يقرَأُ كتبَ اللغة العبرانية، وكان يفهَمُها[(١)].

وأمَّا علماء الإسلام الَّذين كانوا يعرفونَ اللُّغاتِ الأجنبيَّةَ؛ فهُمْ كثيرٌ، أمَّا إذا كان الشَّخص من الشُّعوب المتخلِّفة؛ فتعلُّمُ لغةٍ أجنبيَّةٍ واحدةٍ -على الأقلِّ- مُتحتِّمٌ عليه إذا أراد أن يشارِكَ في الاطِّلاع على أحوال العالم، ويُكمِلَ ثقافتَه التي تؤهِّله لقضاء حاجاته على الوجهِ الأكملِ.

وإذا كنَّا نطالب الحكومة المغربيَّة بتعريب الإدارة بحذافيرها والمعاهد

(١) يشير إلى ما أخرجه الدارمي في «السنن» (٤٥٨) وغيره: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى رسول الله ﷺ بنسخة من «التوراة»؛ فقال: يا رسول الله! هذه نسخة من «التوراة». فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغيَّر...الحديث.
والشاهد: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقرأ «التوراة».
والحديث فيه مجالد؛ وهو ضعيف، إلَّا أن **له شواهد يصير بها حسنًا**؛ بيَّنها شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ -بتتبع- في «الإرواء» (١٥٨٩)، وسبق تخريجه مفصَّلًا.

العلمية؛ فلا يجوز أن تكونَ مطالبَتُنا لذلك مستندةً على الكسل والعجز والجهل باللغة الأجنبيَّة، فيُقالُ لنا -حينئذٍ-: (من جهل شيئًا عاداه)؛ بل يجبُ أن تكونَ مطالبَتُنا مبنيَّةً على الرَّغبة الصَّادقة في إحياء لغة القرآن والسنة، وتراثنا، وتاريخنا، ومجد أسلافنا، وحينئذٍ؛ نكون جديرينَ بالاحترامِ، وتكون مطالبُنا جديرةً بالقبول.

وأنا بنفسي -مع معرفتي باللغة الألمانية والإنكليزية- منذ وصلت إلى المغرب؛ شرعْتُ في تعلُّم اللغة الفرنسية، مع كثرة أشغالي وتقدُّمي في السِّنِّ؛ لأنِّي وجدت أنَّ كلَّ مواطنٍ مغربيٍّ مُحتاجٌ إلى معرفة اللُّغة الفرنسية؛ لأنَّ المدنيَّةَ المغربيَّةَ الحديثةَ ودوائرَ الحكومة لا تزال -في الغالبِ- تسيرُ باللغة الفرنسية، وستبقى كذلك مدَّةً من الزَّمان؛ لأنَّ التَّعريب الكامل لا يمكنُ أن يقعَ بين عشيَّةٍ وضحاها، فإمَّا أن يعرفَ الإنسانُ اللغةَ الفرنسيَّةَ، وإلَّا؛ يضطرُّ -لا محالة- إلى من يترجم له بعضَ الأمور الضَّرورية التي تردُ عليه عن دوائرِ الحكومة من جميعِ الوزاراتِ.

مدارس البعثة الثقافية الفرنسية

ومن حسن الحظِّ وجودُ مدارس البعثة الثقافية الفرنسية لتعليمِ اللغة الفرنسية، بأسلوبٍ حديثٍ يعتمد على الطَّريقة السمعيَّة البصريَّة؛ يرى الطَّالبُ صورَ الأشياء والأعمال، ويسمع بأذنه العبارات الدَّالَّة عليها؛ فيسهل عليه النُّطق بها، وهذه أفضلُ طريقةٍ وصلَ إليها العلم والتَّربية في تعليم اللغات[1].

(١) قال الهلالي في مقالة بعنوان (**منهاج بيرلتس BERLITZ في تعليم اللُّغات**) نشرها في مجلته «لسان الدين» التطوانية، السنة الثانية، الجزء الثالث، ذو القعدة ١٣٦٦هـ -=

وهذه المدارسُ مسائيَّةٌ؛ تعلِّم الطالبَ في مساء كلِّ يومٍ من أيَّام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ساعتَينِ كلَّ يومٍ، من السابعة مساءً حتى

= شتمبر ١٩٤٧م، (ص١٧-١٨):
أسَّسَ الأستاذُ (بيرلتس) الألمانيُّ المربِّي الكبيرُ منهاجًا لتعليم اللُّغاتِ الحيَّةِ الأوربِّيَّة على أصحِّ أُسلوبٍ مُطابقٍ لمُقتضياتِ عِلْم النَّفس وعِلْمِ التَّربيةِ.
ويتلخَّصُ هذا الأسلوبُ فيما يلي:
إِذَا أردْتَ أنْ تتعلَّمَ لغةً؛ فشروطُ ذلك هي:
١- المعلِّمُ الكامِل.
٢- الأُسلوبُ الطَّبعي -الَّذي يتعلَّمُ به المولود لغةَ أُمِّه-: وهو أَلَّا يسمَعَ ولا يَتكلَّم إلَّا بتلك اللُّغةِ الَّتي يريدُ تَعلُّمَها مِن أوَّلِ دَرْس.
ومِن لوازمِ ذلك: عدَمُ استعمالِ التَّرجمةِ -البتَّة-.
مِن فضائلِ هذا الأسلوبِ: اختصارُ زَمانِ التَّعلُّم؛ فإذا كان المُتعلِّمُ بالتَّرجمةِ يتعلَّمُ اللُّغةَ في خمسِ سِنين؛ فإنَّه يتعلَّمها بهذا الأسلوبِ في سَنتين -فقط-.
ومنها: أنَّ نُطقَه بها وإنشاءَهُ يكون أَبعدَ عن وقوعِ الأَغلاطِ، والمُتعلِّمُ بالتَّرجمةِ لا يَسْلَمُ مِن الأغلاطِ، ولو بَقِي مُتعلِّمًا طولَ حَياتِه.
ومنها: أنَّه إذا أرادَ أَنْ يتكلَّمَ أو يُنشِئَ، يكونُ تَفكيرُه مِن أوَّلِ وَهْلةٍ بتلكَ اللُّغةِ الَّتي يَتكلَّمُ بها، والمتعلِّمُ بالتَّرجمةِ يُفكِّر -أوَّلًا- بلغتِه الأَصليَّةِ، ثمَّ ينتقلُ منها إلى اللُّغةِ الأُخرى.
وقَد بَرهنَ الأستاذُ (بيرلتس) في مقدِّماتِ كتبِه في اللُّغاتِ -الَّتي تُدرَّسُ بمؤسَّساته العالميَّة- ببراهينَ قاطعةٍ، لا تُبقِي رَيبًا على الحقائقِ المتقدِّمة، وأوضحُ تلك البراهينِ: تَعلُّم الوليدِ لغةَ أُمِّه بلا تَرجمة، وتَعلُّمُ الغريبِ لُغةَ القَومِ الَّذين يَسكُن بَينهم مُدَّةً مِن الزَّمان بلا تَرجمة، وتَعلُّم الأَقوامِ المُستولَى عليهم لُغةَ الفَاتحين بلا ترجمة.
وقَد نجحَ هذا المنهاجُ نَجاحًا باهرًا؛ فقلَّما تُوجَدُ مَدينة في أَمريكا وأُوربَّا والشَّرقِ الأَدنى إلَّا وفيها مدرسةٌ أو أكثرُ لـ(بيرلتس).
ومدارسُ (بيرلتس) تُعلِّمُ جميعَ اللُّغاتِ الأُوربِّيَّة حتَّى الرُّوسيَّة والبُولونيَّة، وتُعلِّمُ -زيادةً على ذلكَ- التُّركيَّة والعِبرانيَّةَ، وعدمُ تَعليمِها للُّغةِ العَربيَّةِ يدلُّ على أنَّها تَجعلُها في عِداد اللُّغاتِ المَيْتة.

التاسعة، بأجورٍ زهيدةٍ رمزيَّةٍ لا تتجاوزُ خمسةً وثلاثين درهمًا لكلِّ طالبٍ للسنة الدراسية -كلِّها-، فتلك ساعاتُ الأسبوعِ، وأَزيَدُ من اثنتين وثلاثين ساعةً في الشَّهر، إذا داومَ عليها الطالب؛ يُرجَى له تحصيلُ نصيبٍ من اللغة غيرِ قليلٍ في زمانٍ غيرِ طويلٍ، ثمَّ إنَّ هذا الوقتَ لا يتنافى مع أوقاتِ الدِّراسة في المدارس، ولا معَ ساعاتِ الشُّغلِ في دوائر الحكومة وغيرها.

فمن يقومُ بنفقات هذه المدارس؟

الجواب: إنَّها تُؤخَذُ من دافعي الضَّرائب من الفرنسيِّين؛ لنشرِ لغتهم وثقافتهم في الأقطارِ الأخرى، وقد شاهدت في فرنسةَ مدارسَ صيفيَّةً من هذا القبيل، يؤمُّها طلابُ اللُّغة الفرنسية من جميع أنحاء العالم، وكلُّ طالبٍ أو طالبةٍ ينالُ منحةً دراسيَّةً من الجامعة أو من وزارة التَّعليم الفرنسيَّة، وهناك رحلاتٌ للطَّلبة لزيارة فرنسةَ مصحوبينَ بالأساتذة؛ ليتمرَّنوا على تعلُّم اللغة الفرنسية، لا يدفَعُ الطَّالبُ من نَفَقَتِها إلا جزءًا ضئيلًا، هكذا تصنعُ الشعوبُ التي تعتزُّ بلغتها وثقافتها وحضارتها، فالشَّعب الخامل الذي لا يهتمُّ بلغته ولا ثقافته ولا حضارته ومجد آبائه؛ يجبُ أن يخجلَ أمام هذه الجهود التي تبذلُها الشُّعوب للمحافظة على تراثها ونشر حضارتها في العالم، ولكن؛ كما قال المتنبِّي:

مَـنْ يَهُـنْ يَسْـهُلِ الهَـوَانُ عَلَيْـهِ   مَــا لِجُــرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْــلَامُ[1]

(١) «ديوان المتنبي» (٣٥٦)، وانظر: «الأمثال السائرة من شعر المتنبي» (٣٠)، و«أمالي ابن الشجري» (٣/ ٢٥٣).

وإذا كنا ننصح لأنفسنا ولجميع المواطنين أن يتعلَّموا لغتَهم العربيَّة، ويفضِّلوها على جميع اللغات، ويبذلوا النُّفوس والنَّفائس في إحيائها ورفع مستواها؛ فإنَّنا ننصَحُ لهم -كذلك- أن لا يقتَصِرُوا عليها، بل يتعلَّموا ما أمكنَهم اللغاتِ الأجنبيَّةَ؛ كالفرنسيَّة والإنكليزيَّة والألمانيَّة والإسبانيَّة، وأهمُّ هذه اللغات بالنسبةِ إلى المواطنِ المغربيِّ: هي اللغة الفرنسية؛ التي سيطرَتْ على تاريخ المغرب وحضارته وعمرانه وتقدُّمه مدَّةَ ثلاثٍ وأربعينَ سنةً، **وأيُّ لغةٍ يتعلَّمُها المرءُ ناويًا أن يُحِقَّ بها الحقَّ، ويُزهِقَ الباطلَ، ويعلِّمَ الجاهلَ، ويعينَ الضَّعيفَ؛ فإنَّ الله يكتب له أجرُ عملِه على حسب خُلوص نيَّتِه**، قال أحدُ علماء الشناقطة:

تعلُّـــم اللُّغـــاتِ شرعًـــا فَضِّـــلِ ... علـــى التَّخلِّـــي لعبـــادةِ العلِـــي

يُؤخَـــذُ ذا مـــن قولِـــهِ وعلَّمَـــا ... آدمَ الأسمـــاءَ الـــزَمِ التَّعلُّمـــا[(١)]

وبيان ذلك: أنَّ آدم كان مشغولًا بتعلُّم اللغة، وكانَ الملائكةُ مشغولينَ بعبادة الله؛ ففضَّلَ اللهُ عملَ آدم على عملِهم في قوله في سورة البقرة (٣١ - ٣٣): ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ...﴾ الآيات.

وقد حَذَتْ دولةُ ألمانيا الاتِّحادية حذوَ الدَّولة الفرنسية؛ فأسَّست مدارس في أمَّهات المدن المغربيَّة لتعليمِ اللغة الألمانية؛ تسهيلًا على الطُّلَّاب الذين

(١) لمحمد فال بن متالي الشنقيطي، انظر: «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» (٣٤٤)، والبيت الأول فيه هكذا:

تعلُّـــم اللغـــةِ شـــرعًا فَضِّـــلِ ... علـــى التَّخلِّـــي لعبَـــادة الجليـــلِ

يقصدون الجامعاتِ والمصانعَ الألمانيَّةَ ليتزوَّدوا بالعلوم النَّافعة لهم في دُنياهم وآخرتهم -إن صحَّ القصد-، وهذا عملٌ مفيدٌ، يرحِّبُ به كلُّ من يحبُّ نشرَ الثقافة؛ لأنَّه قبل تأسيس هذه المدارس كانَ على الطَّالب لمعرفة اللغة الألمانية أن يسافرَ إلى ألمانيا، وينخرِطَ في معاهد كوتي(١)، ويشاركَ في دوراتٍ متعدِّدةٍ؛ ليحصِّلَ نصيبًا كافيًا من اللغة الألمانية، يؤهِّلُه للدِّارسة في معاهدها، وذلك يكلِّفُ نفقاتٍ لا يستطيعُ دفعَها إلَّا ذوو اليَسَار والغنى، أمَّا الآن؛ فقد أصبحَتْ دراسةُ اللغة الألمانية بأسلوبٍ عصريٍّ سهلًا على طرف الثُّمام(٢)، لكن المعاهدَ التي أسَّسَتْها ألمانيا في المغرب غيرُ كافيةٍ؛ فإنَّ مدينة مكناس الإسماعيلية من أهمِّ مدن المغرب، وليس فيها معهدٌ لتعليم اللُّغة الألمانية، أمَّا مدارس البعثة الثقافية الفرنسية؛ فإنَّها توجد في تطوان وطنجة وفاس ومكناس والرباط والدار البيضاء، وبالله التَّوفيق.

---

(١) معهد جوته: هو المعهد الثقافي العامل في كافة أنحاء العالم، وهو تابع للحكومة الألمانية، ويدعم تعلُّم اللغة الألمانية في الخارج، ويدعم التعاون الثقافي الدولي، ويقدم صورة شاملة لألمانيا عن طريق معلومات عن الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية.
وتضم معاهد ومراكز جوته: جمعيات ثقافية، وقاعات قراءة، بالإضافة إلى مراكز عقد امتحانات وتعلُّم لغة، ويعد -منذ ما يزيد على ستين عامًا- أول نقطة تواصل مع ألمانيا، كما أنَّ التعاون والشراكة الممتدة لأعوام طويلة مع مؤسسات وشخصيات رائدة في أكثر من ٩٠ دولة، وهي تهتم بصورة فاعلة بألمانيا وثقافتها.
انظر: موقع (GOETHE-INSTITUT).

(٢) هو مثل، جاء في «معجم الأمثال» (٢ / ٣٩٨) للميداني: «هُوَ عَلَى طَرَفِ الثُّمَام: وهو نبتٌ ضعيفٌ سَهْلُ التناول يُسَدُّ به خصَاص البيوت، وقَالوا: إنَّه ينبتُ على قدرِ قامة المرء.
يضرب في تسهيل الحاجة وقُرْبِ النَّجَاح» اهـ.

الرطانة[١]

(الرطانة) هي تعلُّم المسلمين وتكلُّمهم بغير اللغة العربية، وهذه المسألة من القضايا الملحة التي تواجه المسلمين في هذا العصر، والتي تحتاج إلى بحث طويل، واستجلاء للحكم الشرعي المفصل فيها.

وبيَّن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن للصحابة مواقف معروفة نحو ذلك؛ تتمثل بقول عمر: «إياكم ورطانة الأعاجم»[٢]، فكانوا يكرهون أن يتكلَّم المسلم بغير العربية على وجه الاعتياد والدوام، ولغير ضرورة.

أمَّا عند الحاجة والضرورة، وما تقتضيه مصلحة المسلمين العامة؛ فإن ذلك جائز، وكان الخلفاء الراشدون يفعلون ذلك، وكتبوا الدواوين بغير العربية، إلى أن صارت القدرة على تعريبها، وكان المسلمون مضطرين لمخاطبة الشعوب التي دخلت الإسلام بعد الفتوح بلغاتها كذلك.

أمَّا التكلُّم بغير العربية لغير ضرورة؛ فإن السلف كانوا يكرهونه أشد الكراهية، وينهون عنه، ولهم في ذلك أقوال معروفة؛ فذكر شيخ الإسلام[٣] عن حرب الكرماني قال: قلت لأحمد: فإن للفرس أيامًا وشهورًا يسمونها بأسماء لا تعرف؟ فكره ذلك أشد الكراهة[٤]، وروى عن مجاهد حديثًا أنه كره أن

---

(١) العنوان وما تحته من مقدمة الدكتور ناصر العقل لتحقيق «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٦٠ - ٦٢، بتصرف) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) أخرجه عبدالرزاق (١/ ٤١١) رقم (١٦٠٩) والبيهقي (٩/ ٢٣٤) **بإسناد صحَّحه** ابن تيمية في «الاقتضاء» (١/ ٥١١) وابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٤٩٤).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٥١٨).

(٤) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢/ ٥٠٥)، وهو في «الجامع لعلوم الإمام أحمد» (٣/ ١٩٠).

يقال: (آذرماه) و(ذي ماه). قلت: فإن كان اسم رجل أسميه به؟ فكرهه[(١)].

قال: وسألت إسحاق: تاريخ الكتاب يكتب بالشهور الفارسية؛ مثل: (آذرماه) و(ذي ماه)؟ قال: إن لم يكن في تلك الأسامي اسم يكره؛ فأرجو[(٢)]. قال: وكان ابن المبارك يكره (إيزدان) يحلف به، وقال: لا آمن أن يكون أضيف إلى شيء يعبد. وكذلك الأسماء الفارسية؛ قال: وكذلك أسماء العرب، كل شيء مضاف[(٣)].

وكانوا يرون أن العربية من مستلزمات الدين، وغيرها شعار النفاق، لذلك؛ لما فتحوا الأمصار؛ سارعوا إلى تعليم أهلها العربية، حتى سرت سريان النور في الظلام، رغم صعوبة ذلك ومشقته.

فالعربية هي لغة الإسلام، ولغة القرآن، ولا يتأتى فهم الكتاب والسنة فهمًا صحيحًا سليمًا إلَّا بها؛ فهي من مستلزمات الإسلام وضرورياته، وإهمالها والتساهل بها لا بد أن يضعف من فهم الدين، ويساعد على الجهل به.

وأرى أنه من الخطأ الفادح مزاحمة اللغة العربية باللغات الأخرى، في مناهج التعليم في البلاد الإسلامية على العموم، والعربية على الخصوص.

فليس هناك أي مسوغ يجعل اللغات الأخرى تفرض في المدارس على جميع الطلبة، ولا على غالبهم، وفي كل المستويات، والواقع يثبت ما أقوله، فإن طلاب المدارس التي تفرض فيها اللغات الأجنبية اليوم؛ هم أضعف في

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) المرجعان السابقان، وهي -جميعًا- منقولة من «الاقتضاء» (١/ ٥١٨).

اللغة العربية، في حين أنهم لم يكتسبوا من اللغات الأخرى شيئًا يذكر، فهم كـ«**المُنبَتِّ: لا ظهرًا أبقى، ولا أرضًا قطع**»[(١)]، كما أنها تشكل عبئًا ثقيلًا، وشبحًا مخيفًا أمام أغلب الطلبة.

نعم؛ قد تكون هناك ضرورة للدول لتعلُّم بعض اللغات الأجنبية، وحينئذ؛ يجب أن يتعلَّمها من يقع الاختيار عليه لحاجة الأمة، أو تفرض ذلك عليه طبيعة عمله أو دراسته؛ فتتعلَّم طائفة من أبناء الأمَّة لغات الأمم الأخرى بقدر الحاجة، أمَّا أن تكون اللغة الدخيلة مفروضة على كل ناشئة المسلمين؛ فهذا ما أرى أنه خطأ، ويخالف حكم الإسلام، ولم يأت إلَّا عن جهل، أو إعجاب بالأعاجم، أو قصد إفساد شباب المسلمين والتضييق على لغتهم العربية، أو عن قصور في التفكير يكون سببه حب التقليد والشعور بالنقص.

اللغة تابعة لأمتها: قوة وضعفًا، وحياة وموتًا[(٢)]

سيأتي في (الحلقة الحادية عشرة) من «فيلولوجي» عنوان مشابه لهذا العنوان، فرأيتُ إثبات المقالة -هنا-؛ لتعلقها بموضوع الحلقة من جهة، والإلمام بتراث الهلالي -فيما نحن بصدده- من جهة أخرى.

---

(١) خرَّجته في تعليقي على «الموافقات» (٢/ ٢٣٦-٢٣٩)، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (١/ ٦٤) تحت حديث رقم (٨).

(٢) من دفتر الهلالي الخاص، وهو بخط تلميذ الهلالي رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، حفيد صاحب «تحفة الأحوذي» -رحمهما الله تعالى-.

الخط العربي[١]

أنا لا أقول: إن الخط العربي كفيل للعرب -في هذا- بكل ما يطلبونه منه، ولا أنه شيء مقدس لا يجوز فيه تبديل ولا تغيير، وذلك؛ أنه آلة وضعها رجال بعقولهم لحفظ ما يجول في أفكارهم من الضياع، واطِّلاع غيرهم عليه، ويجوز أن يُبدَّل ويُغيَّر على حسب الحاجة، خلافًا للأمة البريطانية، ووفاقًا يغيِّرها عن الأوربيين الذين يغيِّرون كتاباتهم كلما تغيَّر نطقهم؛ كالجرمانيين والإسبانيين، ولا يتبادرنَّ إلى ذِهن القليلِ الاطِّلاع أن المراد بـ(الجرمانيين) ألمانية -وحدها-، أو المراد بـ(الإسبانيين) إسبانية -وحدها-؛ بل جميع من يعيش باللغتين، وهم أمم ودول عديدة.

ولا أنكر أن جمود البريطانيين على كتابة لغتهم بأشكال تدل على أصوات ماتت، ولم يبقَ لها وجود، ومقاساة الأمَرَّين في ذلك، حتى اضطروا أن يكتبوا كل كلمة في معاجمهم مرتين: مرة حسبما كانت تلفظ، ومرة حسبما تلفظ الآن، لا أظن أن ذلك الجمود لم ينفعهم من جهة أخرى؛ كلَّا، فلا يبعد أنه سر عظمتهم، ومع ذلك؛ أرجِّح المذهب الآخر.

ولو كانت علة لغتنا هي الخط -وحده-؛ لوضعنا خطًّا خاليًا من النَّقط، مجهَّزًا بالحركات الكافية، ولكن العلة شيء آخر؛ وهي ضعفنا وعجزنا، وسَير أمورنا -كلِّها- منكوسة معكوسة، على عوج وفساد، فإذا استيقظنا

(١) للهلالي مقالة بعنوان (هل الخط العربي من عوائق تقدم اللغة العربية في هذا الزمان؟) نشرت في مجلة «التربية الوطنية» المغربية، العدد السابع، أبريل ١٩٦٠م، (ص٨ - ١٠).

وعزمنا على إصلاح أحوالنا -كلِّها- من ألفها إلى يائها؛ كان علينا أن نصلح الخط -أيضًا- بعد المباحثة والاتفاق- الذي تؤمن به الدولة والأمة -معًا-، وتسيران عليه بكل دقة ونشاط.

إن الذنب في عجز اللغة العربية -في هذا الزمان- عن سد حاجة أهلها؛ ليس هو ذنب الخط العربي الناقص، ولا ذنب اللغة لصعوبتها[(١)] وضعفها، أو لهرمها وشيخوختها، أو عدم ملاءمتها للعصر الحاضر، ولكنها؛ ضعفت ثم ماتت موتًا جزئيًّا، أو قُل: شُلَّ أكثر أعضائها، وصارت الأعضاء الباقية -التي لا تزال في قيد الحياة- ثقيلة الحركة، بادية الوهن، بسبب واحد: وهو **مرض أهلها، وضعفهم، وعجزهم عن مجاراة الأمم القوية في الماديات والمعنويات.**

وذلك؛ أن اللغة ليست من الأعيان التي تقوم بنفسها، وإنما هي من الأعراض التي تقوم بغيرها، فإذا لم تجد جسمًا تقوم به؛ استحال وجودها، ووجب عدمها، وإذا وجدت جسمًا تقوم به، غير أن ذلك الجسم ضعيف عاجز واهن؛ فإنما تكون موجودة وجودًا ضعيفًا عاجزًا -أيضًا-.

وهذه سنَّة كونية من سنن فاطر السموات والأرض، لا يستطيع تغييرها مَجمع لغوي، ولا عقد مؤتمرات، ولا كتابة مقالات مختلفة متناقضة متضاربة، بعيدة كل البعد عن الوجهة الحق.

إذن؛ فما هو العلاج يا ترى؟!

الجواب: هو شيء واحد؛ وهو ارتقاء الأمة وقوتها وعظمتها في ميادين

---

(١) في الأصل: «لصعوبة أهلها»، وضرب على «أهلها».

الحياة -كلِّها-، فإن اللغة ليست إلا ترجمة لحياة أهلها، فإن كانت الحياة قوية كانت الترجمة قوية، وإن كانت ضعيفة كانت الترجمة مثلها، وإن كانت الحياة معدومة كانت الترجمة معدومة، والمجامع العلمية مُوجِّهة ومُرشِدة، لا خالقة وبارئة، فإذا كانت الأمة ذات حياة وشباب، وقوة ونشاط، تلتهب حماسًا، وتتوقد أذهانًا؛ فإن مَجمعها العلمي يكون كذلك، وتتعاون معه تعاونًا صادقًا، وإن كانت خائرة واهية؛ كان مَجمعها كذلك، ووقع التواكل بينها، فالمَجمع ينتظر من الأمة أن تنهض به، والأمة تنتظر من المَجمع أن ينهض بها، وبقوا -كلُّهم- مذبذبين حيارى، يطلبون الرقي، وما إليه سبيل.

يقال: إن أحد رجال المَجمع العلمي الفرنسي وجد لفظة إنكليزية قد دخلت في معجم فرنسي؛ فقال: **لو غزتنا بريطانيا بأسطولها؛ كان أهون علينا من أن تغزونا بلغتها.**

فإذا كانت الأمة مغزوَّة في عقولها، لا تؤمن إيمانًا تامًّا بوجودها وحياتها ومساواتها للأمم القوية في حق الحياة، ومغزوَّة في ميدان دفاعها، ومغزوَّة في تربيتها وتعليمها، ومغزوَّة في ماليتها، ومغزوَّة في اقتصادياتها، ومغزوَّة في تجارتها وصناعتها، وليس لها صناعة ولا تجارة مستقلة، ومغزوَّة في فلاحتها، وفي سائر نواحي وجودها، ثم طمعت -مع ذلك- أن تكون لها لغة حية قوية تجاري لغات الأقوياء؛ فلتبكِ عليها البواكي، فإنها مصابة في عقلها، ولذلك تنفخ في رماد، وتريد أن تطير بلا جناح، وتحصد بدون زرع.

وقد ذكرتُ -الآن- قصة طريفة؛ تصلح أن تكون مثالًا[(١)]:

(١) زيادة منَّا ليست في الأصل.

كان في الجامع الأزهر منذ ربع قرن طالب قد تجاوز الستين من العمر، يأكل من خبز الأوقاف وفولها وعدسها، ويعيش عيشة؛ هي الكسل بعينه، والبطالة بنفسها، وكان يرى الطلبة الآخرين يأتيهم صاحب البريد برسائل وكتب تأتيهم من أهليهم وأصدقائهم، وربما جاء أحدَهم بحَوالة؛ فما عليه إلا أن يوقع ويقبض المال، أما هو؛ فلم يكن له أقارب ولا أصدقاء، فلم يكن صاحب البريد يسأل عنه، ولا يعطيه شيئًا، وكان يُغيظه ذلك؛ لأنه كان يظن أن الرسائل والحَوالات هي كخبز الأوقاف ودراهمها، يجب أن تقسم بالسوية، ولا سيما على الستينيين الذين قضوا في الأزهر زهرة شبابهم، واستحقوا الاستئثار بخيرات الأوقاف، وإن كانوا لا يَمُتُّون إلى التعلم ولا إلى العلم بسبب، وهذا يحتاج إلى زيادة بيان.

لما زرت مصر لأول مرة سنة (١٣٤١هـ) وأقمت في الأزهر بضعة أشهر -لحضور الدروس التي كانت تلقى هناك، ولتثبيت انتساب أخي محمد العربي الهلالي للأزهر-؛ اطلعتُ على النظام الذي كان الطلبة عليه في ذلك الزمان؛ فقد كانوا ثلاثة أقسام: **الستينيين والعشرينيين والمنتظرين**.

فالستينيون: كانوا يحصلون على جنيهين -أي: دينارين- في كل شهر، وعشرة أرغفة من الخبز، وكان ذلك كافيًا لأن يعيشوا معيشة طيبة في ذلك الزمان.

وأما العشرينيون: فكانوا يحصِّلون نصف جنيه في كل شهر، وخمسة أرغفة في كل يوم.

وأما المنتظرون: فعددهم كثير، بالمئات، وكانوا يحقدون على الستينيين، ويبغضونهم بغضًا شديدًا.

ورئيس رواق المغاربة يكون -دائمًا- من الستينيين، وأخبرني الطلبة المغاربة أن المنتظرين -في السنة التي مضت، قبل ورودي مصر- هجموا على شيخهم بعد انقضاء صلاة الجمعة في الجامع الأزهر، وطعنوه بالخناجر حتى مات؛ فهرب الناس من المسجد، وركب بعضهم بعضًا حتى مات بعض الناس من الزحام.

وكان النظام الجاري عندهم: إذا مات أو انتقل واحد العشرينيين؛ يخلفه أقدم رجل ورد الأزهر من المنتظرين، وإذا مات واحد من الستينيين أو انتقل؛ يحل محله أقدم رجل جاء الأزهر من العشرينيين.

ثم نعود إلى قصة ذلك الرجل الستيني؛ فنقول: إنه كان كلما جاء حامل البريد ووزع الرسائل والكتب على المرسل إليهم؛ يسأله: وأنا ما جاءني شيء؟

فيقول: لا -والله!- يا سيدي الشيخ!

فقال بعض الطلبة العابثين من الشبان لذلك الشيخ الستيني: هذا لا يعقل! كيف تجيء الرسائل والكتب والحَوالات المالية لجميع الطلبة، وأنت لا يجيئك شيء أبدًا؟ فينبغي لك أن تخاصم حامل البريد بفَضاضة وغِلظة حتى يعطيك حقك.

فلما جاء صاحب البريد وسأله: هل جاءني شيء؟ فأجابه بالنفي؛ فسَبَّه

وهجم عليه ليضربه، فضحك الطلبة الأزهريون على هذه الحادثة زمانًا طويلًا.

فكذلك العرب والمسلمون؛ الذين يريدون أن تتجدد اللغة العربية وتتسع، حتى تشمل كل ما حدث بعد القرن الثامن الهجري، بدون سعي ولا عمل ولا إنفاق الأموال؛ مثلهم كمثل ذلك الأزهري الستيني.

التعاون الاجتماعي على نهوض اللغة(١)

إن اللغة إنما تقوى بقوة أهلها، وتعز بعزهم، وتحيا بحياتهم، وهي تهن بوهنهم، وتذل بذلهم، وتموت بموتهم، فكم من لغة ماتت لذوبان أهلها في غيرهم من الأمم؟! وكم من لغة -بما لأهلها من قوة وحياة وأخلاق- أذابت غيرها من اللغات فيها؛ لضعف الأخلاق في أهلها؟! فقد هانت عليهم لغتهم حين هانت عليهم نفوسهم؛ فأصبحوا موتى بموت الأخلاق واللغة، لا يؤلمهم جرح، ولا يحركهم للحياة ما هم فيه من ضعة وهوان، حتى ألفوا مذلة الهام، ووخز السهام، وما لجرح بميت إيلام.

إذا عتبت على هؤلاء الذين أعرضوا عن لغتهم، وعكفوا على غيرها من لغات الغرب، وسألتهم عمَّا حملهم على الإعراض عنها؟

كان جواب أكثرهم واحدًا: وهو أنَّ اللغة العربية لا تطعمهم خبزًا، وهؤلاء لا يستحقون أن يخاض معهم في جدال؛ لأنَّ المادة قد طغت على نفوسهم طغيانًا أنساهم كل لذة روحية، ونخوة وطنية، وحالت بينهم وبين كل شيء إلَّا التفاني في عبادة الدرهم والدينار.

---

(١) بتصرف من «التعاون الاجتماعي» (٦٧ - ٧٠) لمصطفى الغلاييني.

وكان جواب بعضهم: إنَّ العصر الحاضر هو عصر السرعة، والوصول إلى الغاية من أيسر الطرق وأقربها، ومطالب المرء فيه وفيرة، وما يجب أن يحصله من العلوم والمعارف؛ يكاد لا يتسع له وقته، والعكوف على درس العربية -على النمط الذي تدرس فيه- شاق مضن عسير، فمهما بذل الطالب من مجهود ووقت؛ فلا يتيسر له أن ينال منها إلَّا لقيمات لا تسمن ولا تغني من جوع، ولو صرف وقته في تحصيلها؛ لضاعت عليه دنياه، فكان في بؤس من العيش وضنك في حياته، وعلى العكس من ذلك لغات الأمم التي يسَّرها أهلها للطالبين، تيسيرًا جعلها على طرف الثمام.

ثم إنهم يطلبون إلى علماء العربية أن ينحوا في تعليمها وتسهيلها على الراغبين فيها؛ منحى غيرهم في تذليل عقبات لغاتهم، وتمهيد المناهج للوصول إلى الغاية المنشودة، فإن اللغة ليست الهدف المقصود لذاته؛ وإنما هي وسيلة للتعبير عمَّا في الضمير على أسلتي اللسان والقلم.

إلى هؤلاء يساق الحديث، وإلى علماء العربية وأدبائها نبعث بشكواهم؛ فإن هذه الشكوى المرة قد ترددت، ولا تزال تتردد على ألسنة الشاكين، وهي شكوى صحيحة، لا يسع من يحب لغته ويتفانى في خدمتها أن يتجاهلها؛ بل يجب على علماء العربية وأدبائها أن يشكوا من يشكوها؛ فإن لهذا العصر مطالب كثيرة، تحمل الناس على السرعة في العمل، فعليهم أن ينهضوا لتحقيق هذا المطلب الحق.

إن العربية -على ما في تحصيلها بهذه الأساليب من الصعوبة- ليست

أصعب من الألمانية، ولا من الروسية، ولا من اليابانية، ولكنها الوطنية الحق سهلت على هؤلاء اقتحام العقبات وتذليل الصعوبات؛ فأحلُّوا لغاتهم في المحل الأول من العناية، وكان يجب علينا أن يكون لنا قدوة بهم وبغيرهم من الأمم الحية؛ التي لا تألو جهدًا في العناية بألسنتها، كما يجب على أهل العلم منَّا أن يكون مجهودهم عظيمًا في تيسير لغتنا وتحبيبها إلى نفوس الناشئين.

ما رأيت كالأمَّة العربية أمَّة مفككة العرى، منبتة الصلات، ولا رأيت كأدبائها أدباء تعيش كل جمهرة منهم قابعة في قطرها، راضية بنتاجها، فإذا قضت التصاريف السياسية -التي نعتقد اعتقادًا جازمًا أنها صائرة إلى الزوال- أن يكون لكل قطر كيان إقليمي خاص به؛ فهل يجوز -في نظر الأدب- أن يكون لكل قطر سياسة في أدبه يستقل بها إقليمه السياسي، والأمَّة واحدة، واللغة واحدة، والغاية واحدة؟! وأغرب من هذا أن يكون أدباء القطر السياسي الواحد -بل أدباء البلد الواحد- لا تجمعهم رابطة، ولا تربطهم جامعة؛ بل تراهم مقطعة أوصالهم، مبثوثة أسباب ألفتهم!

فلا يفكرون في ترقية لغتهم، وتحسين إنتاجها، والنهوض بالأدب -العاثر بهم- من كبوته التي كباها في هذه الأيام، وهم يرون ما يصدف الناشئين عن لغتهم وآدابها وكنوزها التي تحسدنا عليه الأمم، ويشاهدون طغيان غيرها من اللغات عليها، في المدارس، ودواوين الحكومة، والشركات، والأنديات، والمجتمعات.

وهل يخلِّص الأمَّة من هذه الفوضى -التي تتخبط فيها- إلَّا اجتماع

أنصار العربية، وبذلهم المجهود العظيم، متعاونين للنهوض بها من هذه الورطة، وإحلالها في المكان الأسمى، ورفعها على عرشها الأعلى؛ فاللغة عنوان القومية، ولا قومية لمن لا تكون لغتهم هي المهيمنة على كل شأن من شؤون حياتهم.

إن تخاذل الأدباء في كل بلد، وفي كل قطر؛ هو الذي جرَّ علينا هذا البلاء، ومن أولى من الأدباء بأن يكون شملهم مجموعًا، وأمرهم جميعًا؟ فإذا ما تعاونوا على تهذيب الأدب تهذيبًا يناسب حال العصر، وخلصوه من عجمة المستعجمين، ونفوا عنه الأدعياء والطفيليين، ونهجوا به منهجًا يبلغ بأمتهم ما تصبو إليه الأمم الراقية؛ كان تعاونهم -هذا- داعيًا للفلاح، ورائدًا للنجاح.

ولا بد لأمة تعاونت أفرادها وجماعاتها -كلٌّ فيما يحسنه من علم أو عمل- أن تكون لها سيادتها وسعادتها.

القضايا التي بحثها الهلالي

اعتذر الهلالي في (الحلقة الثامنة) عن سبب الضعف في تعليقه على كلام ابن حزم بـ«عدَمِ وجودِ المراجِعِ للمُطالعَةِ والاستِذْكار»، وكتب الهلالي مقالاته -هذه- بعد سنة من رجوعه برلين، بعد أن حصل على الدكتوراه، وكانت شقته في برلين قد احترقت بسبب الحرب؛ فذهبت كتبه وأوراقه ووثائقه الخاصة، وكان رجوعه للمغرب بعد غياب دام خمسة وعشرين عامًا.

بدأ الهلالي مقالاته بمقدِّمة في (الحلقة الأولى)، وعرَّف بـ(علم اللغات) وفائدته في (الحلقة الثانية)، ثم في الحلقات التالية -كلِّها- كان ينقل من

«الإحكام» لابن حزم، ويعلِّق على النقل، ويناقشه؛ فكان موضوع (الحلقة الثالثة): (**هل اللغات توقيفية أم اصطلاحية؟**)، وتابع في (الحلقة الرابعة) الكلام عليه، وبعد أن ذهب في (الحلقة الخامسة) إلى أن اللُّغةَ إلهامٌ مِن اللهِ -تعالى-، أُلهِمَها الإنسانُ الأوَّلُ؛ بدأ ببحث جديد (**ما هي اللُّغةُ الأصليَّةُ الَّتي عَلَّمها اللهُ آدَمَ وألْهَمَه إيَّاها، ومِنها نشأَت اللُّغاتُ المختلِفَة؟**)، وطوَّل في النقل من «الإحكام»؛ فكان التعليق عليه من نصيب (الحلقة السادسة)، وأما في (الحلقة السابعة) فبحث في (**أي اللغات الثلاثة -العربية والسُّريانية والعبرانية- أصل، وأيها فرع؟**)، وعلَّق في (الحلقة الثامنة) على قَولِ ابنِ حَزمٍ: «**إنَّ السُّريانيَّة أَصلُ العربيَّةِ والعبرانيَّة -معًا-**»، وتابع التعليق والمناقشة في (الحلقة التاسعة)، وخرج بأن (**اللغة العربية كالأم للغات السامية**)، وفي (الحلقة العاشرة) عاد لرد قول ابن حزم: «**إنَّ السُّريانيَّة أَصلُ العربيَّةِ والعبرانيَّة -معًا-**»، وبدأ في (الحلقة الحادية عشرة) بمبحث جديد (**اللُّغاتُ تَقوَى بَقُوَّةِ دَولَتِها، وتَضعُفُ بِضَعفِها، وتَحيا بِحياتِها، وتَموتُ بِمَوتِها**)، وفي (الحلقة الثانية عشرة) كان المبحث (**هل تُعَدُّ اللُّغةُ العربيَّةُ -الآن- في اللُّغاتِ الحيَّةِ النَّامية؟**)، وأما في (الحلقة الثالثة عشرة والأخيرة) فموضوعها (**هل يصحُّ أَن يُقال في لغةٍ: إنَّها أَفضلُ اللُّغات؟**).

الأصل المعتمد في التحقيق

اعتمدتُ على أصل وحيد؛ وهو سلسلة مقالات نشرت في جريدة «الأخبار» التطوانية على النحو الآتي:

- في عالم الأدب: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (١).

نشرت في السنة الأولى، العدد (١٤)، بتأريخ ١٤ ربيع الثاني ١٣٦٢هـ - ٢٠ أبريل ١٩٤٣م، (ص٣).

- في عالم الأدب: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (٢).

نشرت في السنة الأولى، العدد (١٥)، بتأريخ ١٥ ربيع الثاني ١٣٦٢هـ - ٢١ أبريل ١٩٤٣م، (ص٣).

- مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (٣)[١].

نشرت في السنة الأولى، العدد (٣١)، الاثنين ٥ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ - ١٠ مايو ١٩٤٣م.

- مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (٤)[٢].

نشرت في السنة الأولى، العدد (٣٢)، الثلاثاء ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ - ١١ مايو ١٩٤٣م، (ص٤).

- في عالم الأدب: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (٥).

نشرت في السنة الأولى، العدد (٥٥)، السبت ١ جمادى الثانية[٣] ١٣٦٢هـ - ٥ يني ١٩٤٣م.

---

(١) في الأصل: (٢).
(٢) في الأصل: (٣).
(٣) كتب مصوِّر المقال في أعلاه: «جمادى الأولى».

- في عالم التاريخ: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (٦).

نشرت في السنة الأولى، العدد (٥٧)، الثلاثاء ٤ جمادى الثانية ١٣٦٢هـ - ٨ يني ١٩٤٣م، (ص٤).

- في عالم الأدب: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (٧)[(١)].

نشرت في السنة الأولى، العدد (٦٠)، الجمعة ٧ جمادى الثانية ١٣٦٢هـ - ١١ يني ١٩٤٣م، (ص٣).

- في عالم الأدب: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (٨).

نشرت في السنة الأولى، العدد (٧٢)، الجمعة ٢١ جمادى الثانية ١٣٦٢هـ - ٢٥يني ١٩٤٣م، (ص٤).

- في عالم الأدب: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (٩)[(٢)].

نشرت في السنة الأولى، العدد (٧٦)، الأربعاء ٢٦ جمادى الثانية ١٣٦٢هـ - ٣٠ يني ١٩٤٣م، (ص٤).

- في عالم الأدب: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (١٠)[(٣)].

نشرت في السنة الأولى، العدد (٨٤)، السبت ٦ رجب ١٣٦٢هـ - ١٠ يليه ١٩٤٣م، (ص٣).

---

(١) في الأصل: (٣).
(٢) في الأصل: (٧).
(٣) في الأصل: (٨).

- في عالم التاريخ: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (١١)[(١)].

نشرت في السنة الأولى، العدد (١٠١)، الخميس ٢٦ رجب ١٣٦٢هـ - ٢٩ يليه ١٩٤٣م.

- في عالم التاريخ: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (١٢)[(٢)].

نشرت في السنة الأولى، العدد (١٠٤)، الاثنين ٢٩ رجب ١٣٦٢هـ - ٢ غشت ١٩٤٣م، (ص٣، ٤، ٥).

- في عالم التاريخ: مباحث في علم اللغات (فيلولوجي) (١٣)[(٣)].

نشرت في السنة الأولى، العدد (١١٣)، الخميس ١١ شعبان ١٣٦٢هـ - ١٢غشت ١٩٤٣م، (ص٤).

وهذه نماذج مصوَّرة عنها:

---

(١) في الأصل بدون رقم.
(٢) في الأصل: (١٠).
(٣) في الأصل: (١١).

14 ربيع الثاني 1362 ـ 20 ابريل 1943 الاخبار 3

مباحث في علم اللغـــات

«فيلولوجي»

للدكتور تقي الدين الهلالي

من الاوهام الشائعة اعتقاد كون علم اللغات المعروف بـ (فيلولوجي) علما حديثا لم يتنبه له الاولون ولاضربوا فيه بسهم ولا نصيب. ومن المفاسد التي يجب اصلاحها ان طلبة العلم في البلاد العربية قسمان: كل منهما في طرف؛ وقد بقي الحق ضائعا بينهما في الوسط. فالقسم الاول قسم الجامدين الذين ينكرون كل شيء لا يظله سقف المدارس الاسلامية الاخيرة المنحطة المتاخرة. وينفرون من كل علم لا يعرفه اساتذتهم القاصرون ويعتذرون لانفسهم ولاساتذتهم بان ذلك علم يدرس في مدارس الكفار؛ ربما افضى بدارسه الى الكفر

وقد تسفلوا في ذلك الى ان حصروا العلوم في مختصرات النحو والفروع الفقهية المتاخرة واصول عصر التقليد التافهة العقيمة وعلم الكلام الفارغ.

ولم يعلموا انهم بهذا الجهل الشائن المركب قد انكروا افضل المدرسة الاسلامية الكبرى على العالم اجمع وانكروا مدنية العرب الزاهرة التي تحيرت في جمالها الالباب وطأطأت لها الرؤوس حتى في هذه الازمنة التي بلغت فيها العلوم ذروتها العليا. وهذه مخلفات المدرسة الاسلامية في العلوم والآداب خير شاهد على جناية هذه العصبة الجاهلة الضالة.

والقسم الآخر هم الجاحدون الذين يظنون ان كل علم جليل قد عمي عنه الاولون وضلت عقولهم لان زمانهم كان زمان جهل وظلمة وكانوا في تفكيرهم اقل من الاطفال وبقيت العلوم والآداب مدخرة لاهل هذا الزمان. وترى الواحد منهم اذا تكلم عن الدين قال بملء فيه «كان اباؤنا يظنون ان الامر الفلاني كذا وكذا ثم جاء العلم وبين لنا انهم كانوا غيرة ساهين.

ولم يعلم هؤلاء الاغمار انهم قد جنوا على العلم والحق جناية لا تغتفر، واقاموا البرهان على جهلهم وغباوتهم، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وشهدوا بذلك على انفسهم انهم خاوو الوفاض بادو الانفاض من علوم الاولين والاخرين جميعا، لان العلوم وان اختلفت كثيرا فان طريق طلبها لا يختلف ابدا في جميع الازمنة والامكنة، وهو ان يعلم الطالب ان العلم بحر لا ساحل له ينتهي عنده، سواء في هذا الزمان ام فيما مضى.

وقل لمن يدعي بالعلم معرفة
علمت شيئا وغابت عنك اشياء

ولذلك يكون طالب العلم الحقيقي دائما رطب اللسان يقول «لا ادري» فان لا ادري نصف العلم، كما ورد في الاثر وبيان ذلك ان مسائل العلم قسمان احدهما يعلمه الطالب والمراد بههنا العالم الباحث، والاخر لا يعلمه. او يعلمه علما ناقصا، فطريق معرفته ان يقول لا ادري ويكون متلهفا على معرفته جادا في طلبه، فانت ترى ان كلتا الطائفتين جانية على العلم واهله ضالة مضلة، لا ترجى هدايتها لان جهلها مركب من جهلين، احدهما جهلها. والثاني جهلها انها جاهلة كما قيل:

جهلت وما تدري بانك جاهل
ومن لي بان تدري بانك لا تدري

وفي الخبر (من قال لا أدري علمه الله مالم يدري) وقال الله تعالى (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) وقال (وقل رب زدني علما) وقصة موسى والخضر في ذلك معروفة.

فينبغي الباحث ان لا يحكم على علم من العلوم او مسالة من المسائل انها كانت مجهولة عند الاولين الا اذا استقرأ علم من مضى وفلى الخزائن ونقب غاية التنقيب وعلى ذلك لا ينبغي له ان يجزم بل يقول: لا نعلم احدا سبق الى هذا العلم قبل فلان وفلان. فقد زلت في هذا الباب اقدام وكثرت فيه الاوهام. وقد سقنا هذه المقدمة الطويلة لعلمنا ان القراء في حاجة شديدة الى معرفة هذا والتفكير فيه لانه علاج نافع لداء الجهل المركب وهو شر الادواء.

(يتبع)

الألعاب الرياضية

السرعة والفن والاصابات

من فرقة المعهد الحر الى فرقة «الاطلس»

في صباح يوم السبت الماضي اخبرني تلميذ من القسم الرياضي بالمعهد الحر بانه ستجرى مباراة لكرة السلة في مساء اليوم بين فرقة من تلاميذ المعهد الحر وفرقة الاطلس البطل الثاني للمنطقة الخليفية في هذه السنة فتعجبت كثيرا وقلت لصديقي التلميذ هل لكم لاعبون يضاهون اسود فرقة الاطلس؟ فقال: نعم ان لفرقة الاطلس اسودا، ولكن لفرقتنا حيلا واقفاصا، ان الحيلة التي نعبر عنها هي: السرعة في اللعب، والقاء الكرة في السلة بدون تعب! والاقفاص هي كثرة الاصابات التي تنزل عليهم كالقنابل تجعلهم مطأطئي الرؤوس، كالاسود في الاقفاص فقلت له اذا لا بد ان نلتقي في الميدان لنشاهد هذه المباراة.

المباراة

وكان موعد المباراة على الساعة السادسة مساء ولم تصل الساعة المعينة حتى كان الملعب غاصا بالمتفرجين. وابتدأ اللعب بسرعة البرق من جهة «المعهد الحر» وبعد دقائق احرز الجناح الايمن اصابة عقبها المدافع الايسر بواحدة اخرى وعندما رأت فرقة الاطلس انها تنهزم امام فرقة صغيرة، ابتدأت بلعب عنيف، خصوصا «فلوريس» فانه اصاب المدافع الايسر في وجهه، واضطر للانسحاب من الملعب مدة وجيزة. واغتنم الاطلسيون هذه الفرصة فتكافئوا مع فرقة المعهد، وبهذا انتهى الشوط الاول.

واما الشوط الثاني فقد ابتدأت فيه فرقة «الاطلس» بلعب شديد حيث مكنها من ثماني اصابات من اللعب «سامي» و «فلوريس» فمنيت فرقة المعهد الحر بالفشل حيث انه لم يبق من الوقت الا اثنتا عشرة دقيقة وكان من الطبيعي ان تتقوى فرقة الاطلس بعد ان احرزت على عدد كبير من الاصابات ولكن فرقة المعهد الحر شنت هجوما عنيفا بعد هذه الهزيمة، وتقدم لاعبوها تقدما ظاهرا، وهجموا هجمات متتابعة لم يبق امامهم الا الهدف، واخذ الجناح الايسر «احمد هرون» الكرة فناولها للقلب «محمد العمراني» الذي ارجعها اليه حالا وسجل بذلك اصابة عند ذلك اخذ الحكم الكرة، وامر باللعب من جديد، واشتدت المعركة بين الفرقتين. وبعد عراك شديد استطاع الجناح الايمن «احمد الموفق» ان يسجل اصابته الثانية بين عواصف التصفيق والهتاف. وامر الحكم ايضا باللعب من جديد فهجمت فرقة (الاطلس) على هدف المعهد، واستطاعت ان تسجل اصابة واحدة بضربة حرة، كعقاب لمدافع المعهد حيث صدر منه خطأ غير قانوني، وبعد مضي دقائق هجمت فرقة المعهد الحر على هدف الاطلس، وتمكنت من اصابتين القاهما «احمد الموفق»، الذي احرز على بطولة الاصابات في هذه المباراة وقبل انتهاء المباراة بدقيقة واحدة وقع هجوم من فرقة المعهد الحر اذ اخذ الكرة الجناح الايسر فناولها الى القلب، والقلب ارسلها للجناح الايمن، وعندما اخذ الجناح الايمن الكرة تعدى عليه مدافع من فرقة الاطلس فامر الحكم بضربة حرة لفرقة الاطلس عقابا لتعديهم على اللعب القانوني. وتقدم نفس اللاعب لالقاء الكرة وسجل الاصابة التي كان بها الختام والانتصار. ـ ا م ع

صورة الحلقة الأولى

مباحث في علم اللغات «فيلولوجي»

ـ الدكتور تقي الدين الهلالي ـ

3

وتلك الكلمات لا تزيد على اربعة آلاف كلمة، سبعمائة منها تختص بدوائر الحكومة، والباقي وهو ثلاثة آلاف وثلاثمائة كلمة كافية للانسان في المحادثات العامة وان يكون عنده من الثقافة ما تخوله ان يكون له صوت في الانتخاب، ولو فرضنا ان الانسان الاول كان عنده من الحضارة والثقافة ما يحتاج معه الى مآت الكلمات فضلا عن الآلاف لاحتاج هو ايضا الى زمن طويل والى معلم يدربه ويربيه ويعلمه، اذ لا يمكنه أن يشاهد الاشياء كلها ـ أشياء السماء وأشياء الارض وأشياء الشتاء والصيف والخريف واشياء البادية والحاضرة دفعة واحدة ـ ويعرف صفاتها وحدودها وخواصها واتفاقها واختلافها دفعة واحدة، واذا فرضنا أن ذلك وقع على سبيل الوحي والمعجزة او احدفان من معه لم يوح اليهم وليسوا اصحاب معجزات على أن ذلك مخالف لسنة الله في هذه الدنيا، فكيف يلقن الانسان الاول مثلا اسماء ادوات الحرث والزرع والحصاد والدراس والطحن والعجن والخبز والطهي والغزل والنسج والخياطة واللبس قبل وجود المواد التي تصنع منها تلك الاشياء فلا سبيل الى ذلك الا بالالهام. وهو الذي نقول به ولكن على سبيل التدريج لا دفعة واحدة. ولنا من السمع ما يشهد لذلك وهو قوله تعالى في قصة خروج آدم من الجنة (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) يعني ان آدم وحواء بعد معصيتهما وجدا انفسهما عريانين فاخذا يستران انفسهما بورق شجر الجنة ولابد ان يكون بين سترهما بورق الشجر وبين تعلمهما عمل اسهل لنسج من نبات الارض زمان طويل يتعلمان فيه ذلك بالتجارب المختلفة والتامل في الاشياء بالهام من الله تعالى وكلما تعلما شيئا الهما تسميته فلا تزال لغتهما تنمو بنمو معلوماتهما ثم جاء اولادهما فتعلموا ما كان عندهما وزادوا عليه. وهكذا اولادهم واحفادهم حتى اتسعت اللغة.

وقد ابان لنا علم الحفر والتنقيب ان الانسان مرت عليه اطوار استغرقت حقبا طويلة حتى وصل الى ادنى ما يسمى حضارة. وكان معاشه في أول اطواره ساذجا جدا كما قدمنا فلم تكن له حاجة الى مئات الكلمات نقرا في تواريخ الامم التي لها الان مدنية عظيمة ولغة راقية كبريطانيا مثلا ان سكانها كانو في زمان الحضارة الرومية فقط (ولا نقل الرومانية) يعيشون عيشة ساذجة جدا، فكان طعامهم لحوم الوحش ولباسهم جلودها، فلما غزاهم الروم بسفنهم التجارية وجاؤهم بالثياب المنسوجة من الصوف والقطن راوا شيئا لم يكن لهم به عهد، ولم تكن له في لغتهم اسماء طبعا، فبادلوهم جلود السباع والوحوش بتلك الثياب.

فكيف كانت حالة اللغة البريطانية في ذلك الزمان وكم كانت كلماتها من الاسماء والافعال والحروف. وكيف حال اللغة الانكليزية اليوم وهي اللغة الرسمية العامة في الجزائر البريطانية؟ وما مقدار الفرق بينهما؟ فلغات الشعوب البريطانية اليوم كلغة ويلز وسكوتلانده وارلانده، مع انها لم يتح لها من الترقي والاتساع ما اتيح للغة الانكليزية التي هي في الاصل اجنبية عن الجزر البريطانية وانما هي لغة غزاة، لاشك انها اي لغات الشعوب البريطانية اليوم ارقى واوسع بكثير جدا مما كانت عليه حين كان سكان تلك البلاد يلبسون الجلود ويقتاتون بلحوم الصيد فقط. وكان العرب ايضا الى زمان غير بعيد جدا يعيشون بالماء واللحم فقط فقد جاء في قصة زيارة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لمنزل ابنه اسماعيل في مكة ان ابراهيم سأل زوجة ابنه اسمعيل بقوله: «ما طعامكم قالت اللحم. قال فما شرابكم. قالت الماء قال. اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي صلى الله عليه وسلم. لم يكن لهم يومئذ حب. ولو كان لهم دعا لهم فيه.» هكذا ورد في صحيح البخاري في كتاب الانبياء منه. واخبرني شيخنا محمد بن حبيب الله التندغي الشنقيطي رحمه الله ان معيشتهم في بلادهم عمدتها لبن الابل فقط. ولا ياكلون اللحم الا نادرا. وليس لهم سوى ذلك شيء اصلا. ولما كنت عند الاخوان في نجد رأيت انهم يعيشون باللبن الخيض المنزوع زبده فقط. وهم في غاية القوة والصحة. والحكايات في هذا المعنى كثيرة والمراد ان المعيشة اذا كانت ساذجة لا تحتاج الى كثير من الالفاظ. وان الانسان الاول كما يقول علماء نشاة الانسان كانت معيشته ساذجة جدا. فلا حاجة به الى مآت الكلمات فضلا عن الالاف واذا تبين ذلك امكننا ان نفرض ان الله الهمه كلمات قليلة كانت كافية لمعاشه. ثم اخذت لغته تتسع باتساع معيشته وحاجاته. هذا ولما خلق الله الانسان ليعيش بكده وعرق جبينه، كما في التوراة وفي بعض التفاسير، كان مخصوصا بالالهام في تسمية الاشياء دون الملائكة: لانهم لا حاجة بهم الى اسباب المعيشة فلم يلهموا اسماءها. وكلما ذكرناه فهو من الفروض المقبولة التي وصل اليها العلماء بالبحث والاستقراء والاستدلال: اما العلم اليقيني من الوجهة العقلية بكيفية ظهور اللغات فان العلم الانساني لازال عاجزا عنه معترفا بقصوره جادا في الطلب والدرس فسبحان من تفرد بالكمال والعلم المطلق لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء

تابع لخطاب الخذراليسمو

دون التغاضي والتهاون في كرامة سيادتنا ففي هذه الاوقات التي يتخبط العالم فيها في بحر من دم وحقد ترفع صوتها وتضم نداءها الى نداء الاب الاكبر الموجه الى ضمير العالم الحي ها قد مرت ثلاث سنوات ونصف على وقوع الكارثة التي تشد خناق العالم فعند انقضاء هذه المدة من الضروري التفكير في قضية السلام وانتزاع بذور الحقد والعمل للتقارب بين الشعوب فمن سد اذنيه من بين المتحاربين عن سماع هذا النداء فلا يعني ان الحرب لاحل لها. ها قد وصلنا الآن الى نقطة يمكن ان يقال عنها نقطة تلاشي القتال اذ انه ليس في وسع احد الطرفين المتحاربين القضاء على قوات خصمه قضاء مبرماً يكفل له النصر ولا يمكن ان يقال ان هنالك لا يوجد نصر فلا شك ان النصر سيكون مر الطعام اذ انه سيكون بعد افراغ الجهد والاطناب في التضحية فلا بد ان لم يكن الآن من وجود منطقة معدة للتوازن سواء كانت في الشمال او الجنوب في الشرق او الغرب فعند اذن لا بد من الوصول الى قبوله والاعتراف به، ولكن عند ما تحطم على اقدام هذا الصراع معنويات الشعوب وتقف الجماهير يائسة في وجه من يرغب اطالة الحرب والتسويف في وضع حد لهذه المؤساة وترغمه على التكلم بمثل هذا اللسان لسان السلام والحق والصلح وتوزيع ثروة العالم توزيعاً عادلا (تصفيق حاد حال دون سماع كلام فخامته) فنحن الذين ننظر نظرة اشمئزاز الى هذا النزاع القائم نرى من الحماقة تاخير السلام اقول هذا لانني ارى وراء هذا الستار يتراءى شبح ما هو افظع من هذه الحرب واشد هولا الا هو شبح الشيوعية الذي يهدد كيان الحضارة اجمع ويغرس بذور الفساد والحقد هذه مدة خمسة وعشرين سنة فالتوحش الروسي يتربص للوثوب على فريسته على المدنية الاوربية لتحطيم مقدساتنا ولدك صرح كيان وطننا والقضاء على معنويات العالم فهذا المشهد الذي نقوم به الان هو اقوى دافع للوقوف في وجهه والحيلولة دونه فاسبانيا التي تسير متأبطة وحدتها وخائفة على كرامتها مستعدة للوقوف في وجه كل تيار من حيث كان مصدره (هتاف وتصفيق حاد حال دون التقاط آخر كلمات فخامته.)

صورة الحلقة الرابعة

7 جمدى الثانية 1362 ـ 11 يُنيه 1943 / الجمعة (الأخبار) س: ١٢٤٢٥٠

في عالم الأدب

مباحث في علم اللغات «فيلولوجي»

للدكتور تقي الدين الهلالي

— 3 —

من المسائل التى تعنينا وتهمنا في هذه المباحث هذه المسألة: اذا تحقق لدى اهل المدرسة الاندلسية قبلنا بنحو عشرة قرون، كما مر بك، في المقال الذى قبل هذا، ان اللغات العربية والسريانية والعبرانية في الاصل لغة واحدة، ولم يزد هذه الحقيقة مرور الزمان ومباحث العلماء الا ثبوتا وتأكدا، فاى هاته اللغات اصل واى فرع؟ ونبدأ فى جواب هذه المسالة المهمة بالاستماع الى جواب المدرسة الاندلسية العظيمة ثم نعقبه بما تقرر فى هذا العصر مما يوافقه او يخالفه، قال فى الاحكام ص 32 من الجزء الاول «واذ قد تيقنا ذلك ـ اى ان اصل اللغات السامية الثلاث واحد ـ فالسريانية اصل العربية والعبرانية معا، والمستفيض ان اول من تكلم بهذه العربية اسماعيل عليه السلام وهى لغة ولده، والعبرانية لغة اسحاق ولغة ولده.»

اقول هذا بحث نفيس تنقطع اعناق مطايا الفكر قبل الوصول الى اغواره وسأتكلم فيه كلام انسان خانه الحظ وفرقت الاقدار بينه وبين كتبه ولا يجد فى هذه البلاد مراجع تساعده فى هذا الفن. اول ما الاحظه نبوغ ابن حزم واحتياطه الدقيق فى التعبير الذى لا مثيل له الا فى كلام كبار الباحثين من اهل هذا العصر، وذلك فى قوله «والمستفيض ان اول من تكلم بهذه العربية اسماعيل عليه السلام» فحكى ان المروي على طريقة الاستفاضة ـ يعني اللغوية لا الخاصة بمصطلح الحديث فيما يظهر ـ هو ان اول من تكلم بهذه العربية اسماعيل ولم يجزم به ولم يقل (والذي نعلمه يقينا) كما قال ذلك في كون اللغات الثلاث في الاصل واحدة، وذلك من التحقيق بمكان، ثم ان قوله بهذه العربية يعني لغة قريش الموجودة التي نزل بها القرآن وفيه اشارة جلية الى ان المدرسة الاندلسية العظمى كانت تقرر كما يقرر فيلولوجيو هذا العصر ان لغات العرب غير منحصرة في هذه العربية التي بايدينا بل حين جاء الاسلام ونزل القرآن بلغة قريش وكانت الامامة الكبرى في قريش تغلبت لغة قريش على ماسواها وتضاءلت سائر لغات القبائل الاخرى وانقرضت امامعنى هذا الكلام وهو ان اول من تكلم بهذه اللغة العربية هو اسماعيل فان البحث العصرى لا يوافق عليه بل يعده من خلط اخبار المؤرخين، التى هى بالاساطير اشبه بعلم الفيلولوجيا الذى لا يقبل الرجم بالغيب وانما يقبل المسائل المحققة التى قام عليها البرهان منه هو لا من علم آخر اجنبى عنه، فاذا ادعى مدع ان اسماعيل هو اول من تكلم بهذه العربية التي بايدينا وجب عليه ان يدلى بحجة لغوية. ولا يتمكن من ذلك الا بعد معرفة عصر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام بالضبط ووجود كتابات لاهل ذلك العصر ترينا اية لغة كانوا يتكلمون بها وبعد ذلك كله لا تتم الحجة الا اذا ثبت ان اسماعيل حين جاء به ابوه ابراهيم مع امه هاجر وهو طفل صغير ونشأ فى «جرهم» وهي قبيلة من العرب وتزوج امرأتين او اكثر من امرأة منهم كما يقول التاريخ وجد اولئك القوم بلا لغة او وجد عندهم لغة ولكنه اعرض عنها وعن لغة ابيه ابراهيم وامه «هاجر» وانشأ لغة وهي العربية ثم حمل «جرهما» على التكلم بها ومنهم انتشرت، وهذه اللوازم كلها محال فالذي جرت به العادة وهو سنة الله وفطرته التي فطر الناس عليها وصرح بها ابن حزم كما نقلناه في المقالات السابقة، ان كل قوم لا بد لهم من لغة ولا يمكن ان يعيشوا بلا لغة ثم ان طفلا صغيرا مع امه اذا خالطا قبيلة لابد ان يتعلما لسانها ويغلب عليهما احبا ام كرها لان اللغة لا يقوم بها فرد او افراد قلائل وانما تقوم بطائفة من الناس ولا حاجة لاسماعيل الى انشاء لغة جديدة فان لغتهما التى كانا يتكلمان بها مع ابراهيم تكفيهما للتخاطب فيما بينهما اما مع اصهار اسماعيل فان التخاطب لا يمكن الا بلغة القوم. فالذي يقتضيه القياس والسنن الكونية ان تكون لغة ام اسماعيل وابنها وابيه غير عربية. وان تكون قبيلة «جرهم» يتكلمون بالعربية وان يكون اسماعيل تعلم لغتهم واتخذها لغته وهجر لغته التي تعلمها من امه لانه لا يجد من يتكلم معه بها بعد وفاة امه واما اولاد اسماعيل فلا بد ان يكونوا تعلموا من امهم وابيهم لغة اخوالهم.

لكننا لا ندرى كيف كانت تلك العربية التي كانت «جرهم» تتكلم بها. وما مقدار الشبه الذي بينها وبين لغة قريش.

وسبب هذا الجهل أن العرب لم يخلفوا من الاثار ما يجلو الظلام عن هذه المسالة وما فى معناها، فلا كتب لهم قديمة كما للسريانيين والعبرانيين، والاثار التى اكتشفت حتى الان قليلة لا تكفى للجواب عن هذه المسائل، على ان قانون تطور اللغات يقضي بان الالفاظ كالاناسى لم يكتب الخلود لاي لفظ في اية لغة كما لم يكتب الخلود لانسان من الناس ففى كل وقت يموت لفظ ويولد لفظ ويموت اسلوب ويولد اسلوب فلا يمكن ان تكون لغة «جرهم» واسماعيل مطابقة للغة قريش حذوك النعل بالنعل هذا واما السؤال الذى صدرنا به هذا المقال وهو اى اللغات اصل لما سواها فقد اجاب عنه ابن حزم بما رأيته ولنا فيه بحث يأتي فيما يتلو ان شاء الله.

منبر الشباب المغربي

ابتداء من نهار الاثنين القادم سيفتتح فى هذا المكان من الجريدة تحت العنوان المذكور اعلاه باب خاص بالشباب المغربى لنشر ماتجود به قرائح الشباب واقلامهم من شعر ونثر فى مواضيع علمية وادبية.

«فالاخبار» تفتح هذا الباب تشجيعا وتنشيطا وتؤمل ان يكون افساحها هذا المجال امام الشباب حافزا للنشاط الفكرى المنتج.

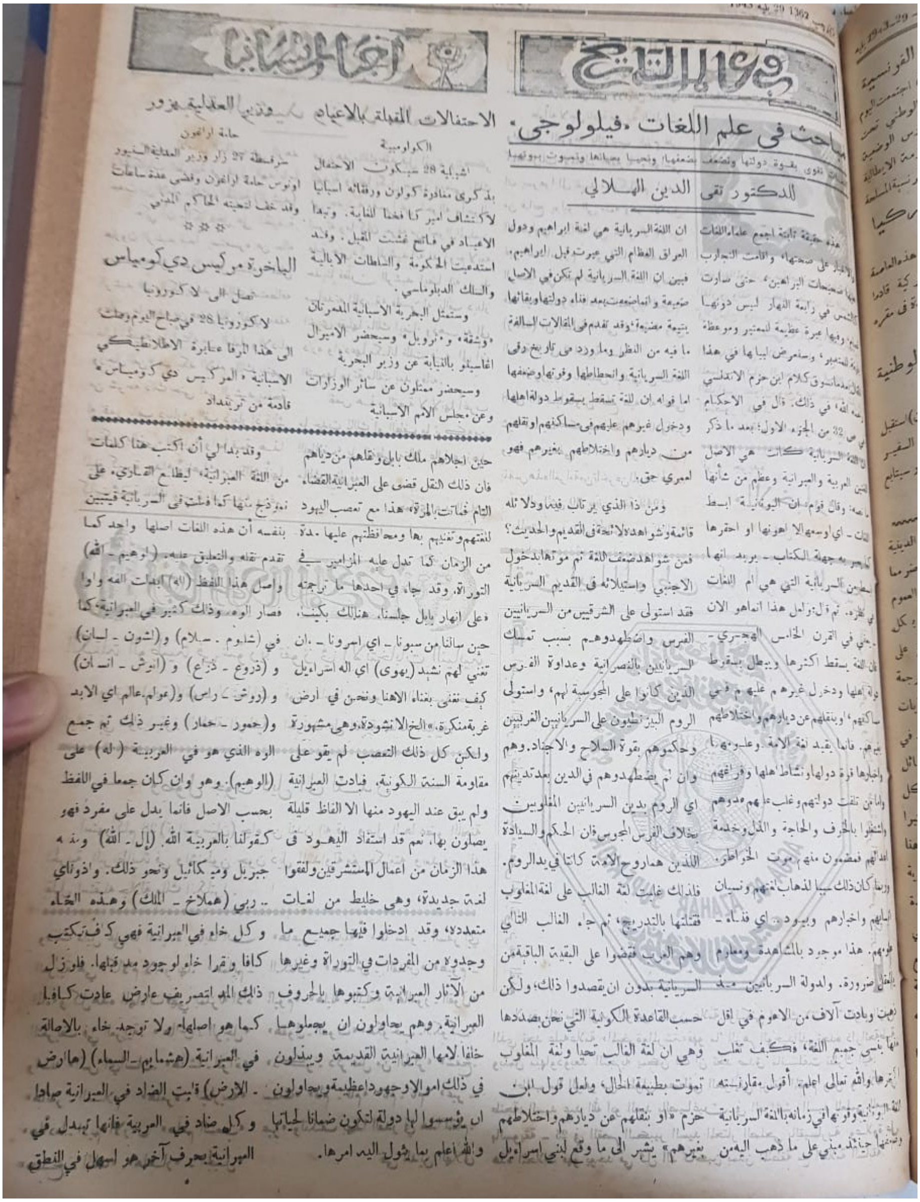
فالى الكتابة ايها الشباب المغربى.

رجوع وزير البحرية الى مدريد

قادس 10 ـ منشيطا ـ عند الساعة الثانية صباحا خرج وزير البحرية متجها الى مدريد برفقة الاميرال ارياشاو الخنرال روث فودعته جميع السلطات والاعيان



فخامة رئيس الدولة الاسبانية الخنرال يسمو فرانكو يقدم الكاس للفائز في المباراة العسكرية النهائية لكرة القدم



أخبار إسبانيا

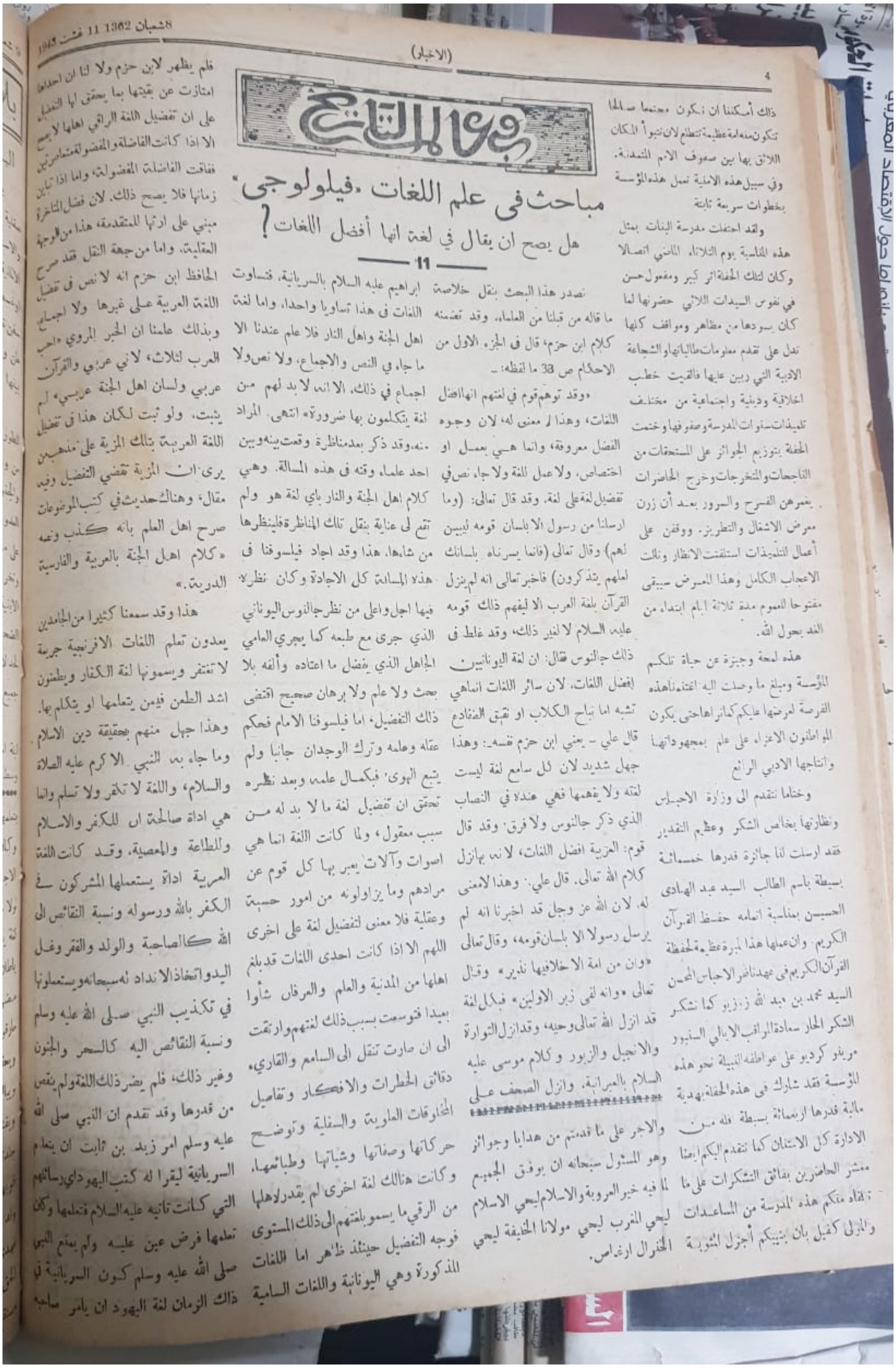
مباحث في علم اللغات «فيلولوجي»

للدكتور تقي الدين الهلالي

الاحتفالات المقبلة بالأعياد

الباخرة مركيس دي كومياس

صورة الحلقة الحادية عشرة



(الاخبار) 4

8 شعبان 1362 11 غشت 1943

ذلك أمكننا ان نكون مجتمعا صالحا تكون منه امة عظيمة تتطلع لان تتبوأ المكان اللائق بها بين صفوف الامم المتمدنة. وفي سبيل هذه الامنية تعمل هذه المؤسسة بخطوات سريعة ثابتة

ولقد احتفلت مدرسة البنات بمثل هذه المناسبة يوم الثلاثاء الماضي اتصالا وكان لتلك الحفلة اثر كبير ومفعول حسن في نفوس السيدات اللائي حضرنها لما كان يسودها من مظاهر ومواقف كلها تدل على تقدم معلومات طالباتها والشجاعة الادبية التي ربين عليها فالقيت خطب اخلاقية ودينية واجتماعية من مختلف تلميذات سنوات المدرسة وصفوفها وختمت الحفلة بتوزيع الجوائز على المستحقات من الناجحات والمتخرجات وخرج الحاضرات يغمرهن الفرح والسرور بعد أن زرن معرض الاشغال والتطريز. ووقفن على أعمال للتلميذات استلفتت الانظار ونالت الاعجاب الكامل وهذا المعرض سيبقى مفتوحا للعموم مدة ثلاثة ايام ابتداء من الغد بحول الله.

هذه لمحة وجيزة عن حياة تلكم المؤسسة ومبلغ ما وصلت اليه اغتنمنا هذه الفرصة لعرضها عليكم كما نراها حتى يكون المواطنون الاعزاء على علم بمجهوداتها وانتاجها الادبي الرائع

وختاما نتقدم الى وزارة الاحباس ونظارتها بخالص الشكر وعظيم التقدير فقد ارسلت لنا جائزة قدرها خمسمائة بسيطة باسم الطالب السيد عبد الهادى الحسين بمناسبة اتمامه حفظ القرآن الكريم. وان عملها هذا لمبرة عظيمة لحفظة القرآن الكريم في عهد ناظر الاحباس المحسن السيد محمد بن عبد الله ز.زيو كما نشكر الشكر الحار سعادة المراقب الاباني السنيور مويلدو كرديو على عواطفه النبيلة نحو هذه المؤسسة فقد شارك في هذه الحفلة بهدية مالية قدرها اربعمائة بسيطة فله من الادارة كل الامتنان كما نتقدم اليكم ايضا معشر الحاضرين بفائق التشكرات على ما ابداه منكم هذه المدرسة من المساعدات والمولى كفيل بان يثيبكم أجزل المثوبة والاجر على ما قدمتم من هدايا وجوائز وهو المسئول سبحانه ان يوفق الجميع لما فيه خير العروبة والاسلام ليحي الاسلام ليحي المغرب ليحي مولانا الخليفة ليحي الجنرال ارغاص.

مباحث في علم اللغات «فيلولوجى»

هل يصح ان يقال في لغة انها أفضل اللغات؟

— 11 —

نصدر هذا البحث بنقل خلاصة ما قاله من قبلنا من العلماء، وقد تضمنه كلام ابن حزم، قال في الجزء الاول من الاحكام ص 33 ما لفظه: -

«وقد توهم قوم في لغتهم انها افضل اللغات، وهذا لا معنى له، لان وجوه الفضل معروفة، وانما هي بعمل او اختصاص، ولا عمل للغة ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة. وقد قال تعالى: (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) فاخبر تعالى انه لم ينزل القرآن بلغة العرب الا ليفهم ذلك قومه عليه السلام لا لغير ذلك، وقد غلط في ذلك جالنوس فقال: ان لغة اليونانيين افضل اللغات، لان سائر اللغات انما هي تشبه اما نباح الكلاب او نقيق الضفادع قال علي - يعني ابن حزم نفسه -: وهذا جهل شديد لان كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النصاب الذي ذكر جالنوس ولا فرق، وقد قال قوم: العربية افضل اللغات، لانه بها نزل كلام الله تعالى. قال علي: وهذا لا معنى له، لان الله عز وجل قد اخبرنا انه لم يرسل رسولا الا بلسان قومه، وقال تعالى «وان من امة الا خلا فيها نذير» وقال تعالى «وانه لفى زبر الاولين» فبكل لغة قد انزل الله تعالى وحيه، وقد انزل التوارة والانجيل والزبور و كلام موسى عليه السلام بالعبرانية، وانزل الصحف على ابراهيم عليه السلام بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساويا واحدا، واما لغة اهل الجنة واهل النار فلا علم عندنا الا ما جاء في النص والاجماع، ولا نص ولا اجماع في ذلك، الا انه لا بد لهم من لغة يتكلمون بها ضرورة» انتهى المراد منه.

وقد ذكر بعد مناظرة وقعت بينه وبين احد علماء وقته في هذه المسالة. وهي كلام اهل الجنة والنار باي لغة هو ولم تقع لي عناية بنقل تلك المناظرة فلينظرها من شاءها. هذا وقد اجاد فيلسوفنا في هذه المسالة كل الاجادة وكان نظره فيها اجل واعلى من نظر جالنوس اليوناني الذي جرى مع طبعه كما يجري العامي الجاهل الذي يفضل ما اعتاده وألفه بلا بحث ولا علم ولا برهان صحيح اقتضى ذلك التفضيل، اما فيلسوفنا الامام فحكم عقله وعلمه وترك الوجدان جانبا ولم يتبع الهوى، فبكمال علمه وبعد نظره تحقق ان تفضيل لغة ما لا بد له من سبب معقول، ولما كانت اللغة انما هي اصوات وآلات يعبر بها كل قوم عن مرادهم وما يزاولونه من امور حسية وعقلية فلا معنى لتفضيل لغة على اخرى اللهم الا اذا كانت احدى اللغات قد بلغ اهلها من المدنية والعلم والعرفان شأوا بعيدا فتوسعت بسبب ذلك لغتهم وارتقت الى ان صارت تنقل الى السامع والقاري، دقائق الخطرات والافكار وتفاصيل المخلوقات العلوية والسفلية وتوضح حركاتها وصفاتها وشياتها وطبائعها، وكانت هنالك لغة اخرى لم يقدر لاهلها من الرقي ما يسمو بلغتهم الى ذلك المستوى فوجه التفضيل حينئذ ظاهر اما اللغات المذكورة وهي اليونانية واللغات السامية فلم يظهر لابن حزم ولا لنا ان احداها امتازت عن بقيتها بما يحقق لها التفضيل على ان تفضيل اللغة الراقي اهلها لا يصح الا اذا كانت الفاضلة والمفضولة متعاصرتين ففاقت الفاضلة المفضولة، واما اذا تباين زمانها فلا يصح ذلك. لان فضل المتاخرة مبني على ارثها للمتقدمة، هذا من الوجهة العقلية، واما من جهة النقل فقد صرح الحافظ ابن حزم انه لا نص في تفضيل اللغة العربية على غيرها ولا اجماع، وبذلك علمنا ان الخبر المروي «احب العرب لثلاث، لاني عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي» لم يثبت، ولو ثبت لكان هذا في تفضيل اللغة العربية بتلك المزية على مذهب من يرى ان المزية تقضي التفضيل وفيه مقال، وهنالك حديث في كتب الموضوعات صرح اهل العلم بانه كذب ونصه «كلام اهل الجنة بالعربية والفارسية الدرية.»

هذا وقد سمعنا كثيرا من الجامدين يعدون تعلم اللغات الافرنجية جريمة لا تغتفر ويسمونها لغة الكفار ويطعنون اشد الطعن فيمن يتعلمها او يتكلم بها. وهذا جهل منهم بحقيقة دين الاسلام وما جاء به النبي الاكرم عليه الصلاة والسلام، واللغة لا تكفر ولا تسلم وانما هي اداة صالحة ان للكفر والاسلام وللطاعة والمعصية، وقد كانت اللغة العربية اداة يستعملها المشركون في الكفر بالله ورسوله ونسبة النقائص الى الله كالصاحبة والولد والفقر وغل اليد واتخاذ الانداد له سبحانه ويستعملونها في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ونسبة النقائص اليه كالسحر والجنون وغير ذلك، فلم يضر ذلك اللغة ولم ينقص من قدرها وقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر زيد بن ثابت ان يتعلم السريانية ليقرا له كتب اليهود ورسائلهم التي كانت تاتيه عليه السلام فتعلمها ولكن تعلمها فرض عين عليه ولم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم كون السريانية في ذلك الزمان لغة اليهود ان يامر صاحبه

صورة الحلقة الثالثة عشرة

مَباحِــثُ

فِي

عِلمِ اللُّغاتِ (فُيلولوجِي)

تَصنِيفُ
العَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الدِّينِ الهِلَالِيِّ
رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الحلقة الأولى

مِن الأَوهامِ الشَّائعةِ: اعْتقادُ كونِ عِلْمِ اللُّغاتِ -المعروف بـ(فيلولوجي)- علمًا حديثًا، لم ينتبِهْ لَه الأوَّلون، ولا ضَربوا فيه بسَهْمٍ ولا نصيبٍ.

ومِن المفاسِدِ الَّتي يجبُ إِصلاحُهَا: أَنَّ طلبةَ العِلْمِ في البِلادِ العربيَّةِ قسمان؛ كلٌّ مِنهما في طرَفٍ، وقَد بَقِيَ الحَقُّ ضَائِعًا بَينهما في الوَسط.

فالقِسْمُ الأول: قسمُ الجامِدين[١]؛ الَّذين يُنكِرون كلَّ شَيءٍ لا يُظِلُّه سَقْفُ المدارِسِ الإِسلاميَّة الأخيرةِ المنحطَّةِ المتأَخِّرة، ويَنفِرون مِن كلِّ عِلْمٍ لا يعرِفُه أَساتذَتُهم القَاصِرون، ويَعْتذِرون لأنفسِهم وَلأساتِذَتِهم بأَنَّ ذلك عِلْمٌ يُدرَّسُ في مَدارس الكفَّار، ربَّما أَفضى بدارسِه إلى الكُفر.

(١) للهلالي مقالة بعنوان (حالنا المحزنة؛ علاجها: الجاحد، والجامد، والمعتدل) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣٣٢)، بتأريخ ٢١ شوال ١٣٥١هـ، (ص٤ - ٥، ١٢ - ١٤)، ثم وجدتها منشورة في مجلة «الضياء» الهندية، المجلد الثالث، الجزء الرابع، ربيع الآخر، سنة ١٣٥٣ هـ، (ص١٣٥ - ١٤٢)، بعنوان: «... الجاحد، الجامد، المعتدل»، وأخرى بعنوان (المباحث الحرة: الجامدون وذوو الأهواء عقبة في طريقها) نشرت في «ملحق السجل الأسبوعي» البصري، السنة الأولى، العدد الثالث، الجمعة ١ جماد الأول ١٣٥٦هـ يوافق ٩ تموز ١٩٣٧م، (ص٣ - ٥).

وقَد تَسفَّلوا في ذلك؛ إلى أَن حَصَروا العُلومَ في مُختصَراتِ النَّحوِ، والفُروعِ الفِقْهيَّةِ المتأَخِّرةِ، وأُصولِ عَصْرِ التَّقليدِ التَّافهةِ العَقِيمةِ، وعِلْمِ الكَلامِ الفَارغ.

ولم يَعلَمُوا أَنَّهم -بهذا الجَهْلِ الشَّائِنِ المركَّبِ- قَد أَنكَروا فضْلَ المدرسةِ الإسلاميَّة الكُبرى على العالَم أَجمعَ، وأَنكروا مَدنيَّةَ العَربِ الزَّاهرةَ؛ الَّتي تحبَّرتْ في جمالها الأَلبابُ، وطُؤْطِئَت لها الرُّؤوسُ، حتَّى في هذه الأَزمنةِ الَّتي بلَغتْ فيها العُلومُ ذروتَها العُليا، **وهذِهِ مُخلَّفاتُ المدرَسةِ الإسلاميَّة في العلومِ والآدابِ**؛ خيرُ شَاهِدٍ على جِنايَةِ هذه العُصْبةِ الجاهِلَةِ الضَّالَّة.

القسمُ الآخَرُ: همُ الجَاحدون؛ الَّذين يَظنُّون أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ جليلٍ: قَد عَمِيَ عنه الأَوَّلون، وضَلَّتْ عقولُهم؛ لأَنَّ زَمانَهم كان زمانَ جَهْلٍ وظُلْمَةٍ، وكانوا في تَفكيرِهم أَقلَّ مِن الأطفالِ، وبقِيَتِ العُلوم والآدابُ مُذخَرةً لأَهْلِ هذا الزَّمان، وتَرى الواحدَ مِنهم إذا تَكلَّم في الدِّين؛ قال بمِلءِ فيهِ: «كانَ آباؤُنا المساكينُ يَظنُّون أَنَّ الأَمْرَ الفُلانيَّ كذا وكذا، ثمَّ جاءَ العِلْمُ وبيَّنَ لنا أَنَّهم كانوا في غَمْرة سَاهين».

ولم يعلَم هؤلاء الأَغمارُ أَنَّهم قد جَنَوا على العِلْم والحَقِّ جِنايَةً لا تُغتَفَرُ، وأَقاموا البُرهانَ على جَهْلهم وغَباوَتِهم، وكَذَّبوا بما لم يُحِيطوا بعِلْمِه، وشَهِدوا بِذَلك على أَنفُسِهم أَنَّهم خَاوُو الوِفَاض، بَادُو الإِنْفَاضِ مِن عُلومِ الأَوَّلِين وَالآخِرين -جَميعًا-، لأَنَّ العُلومَ وإِنِ اختَلَفَتْ كثيرًا؛ فإِنَّ طريقَ طلَبِها لَا يَختلِفُ -أَبدًا- في جميعِ الأَزْمنةِ والأَمكنَةِ، وهو أَنْ يَعْلَم الطَّالبُ: أَنَّ العِلْمَ بَحْرٌ لا سَاحِلَ لهُ يَنتهي عِنْدَه، سَواءٌ في هذا الزَّمانِ أَم فيما مَضَى.

وَقُـلْ لِـمَنْ يَدَّعِـي بِالعِلْـمِ مَعْرِفَـةً عَلِمْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ(١)

ولِذَلكَ يكونُ طالِبُ العلْمِ الحَقيقيِّ -دَائمًا- رَطْبَ اللِّسَانِ بقَولِ: «لَا أَدْري»؛ فإِنَّ «لَا أَدْري» نِصْفُ العِلْم -كمَا وردَ في الأَثر(٢)-، وبيانُ ذلك:

أَنَّ مسائِلَ العِلْمِ قِسمان:

أَحدُهما يَعلمُه الطَّالبُ، والمُرادُ بِهِ -هُنا-: العالمُ الباحِثُ، **والآخَرُ** لا يَعلمُه، أو يَعلمُه عِلمًا ناقصًا، فطريقُ معرفتِه أَن يقولَ: «لَا أَدري»، ويكونُ متلهِّفًا على مَعرفتِه، جادًّا في طلبِه، فأَنتَ تَرى أَنَّ كِلْتا الطَّائِفَتين جانِيةٌ على العِلْمِ وأَهلِه، ضَالَّةٌ مُضِلَّةٌ، لا تُرجى هدايَتُها؛ لأَنَّ جهْلَها مُركَّبٌ مِن جَهْلَين: **أَحدُهما** جَهْلُها، **والثَّاني** جَهْلُها أَنَّها جاهلَةٌ، كما قِيل:

جَهِلْـتَ وَمَـا تَـدْرِي بِأَنَّـكَ جَاهِـلٌ وَمَنْ لِي بِأَنْ تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي(٣)

---

(١) نحو هذا البيت لأبي نواس في القصيدة التي صدرها (دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ):
فَقُـلْ لِمَـنْ يَدَّعِـي فِي العِلْـمِ فَلْسَـفَةً حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٦٣) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٧٣) والبيهقي في «المدخل» (٨١٠) عن الشعبي قوله.
وانظر الآثار (فيمن سئل عن مسألة لا يعلمها؛ فقال: لا أدري!): في «إعلام الموقعين» (٣/ ٤٤٢ - ٤٤٤، بتحقيقي).

(٣) البيت لأبي العباس عبد الله بن محمد، المعروف بـ(الناشئ الأكبر)، برواية: «**جهلت فلم تعلم**...».
انظر: «ديوانه» (١٢٦)، يهجو داود بن علي الأصفهاني الفقيه، وانظر: «الدر الفريد» (٦/ ٤٨).
ونسب لأبي علي البصير: في «صيد الأفكار» (٣٦) و«الدر الفريد» (٣/ ١١٨).
وبلا نسبة: في «المستطرف» (٣١) و«الصناعتين» (٣٧١).

وفي الخَبرِ: «مَن قَالَ: (لَا أَدْري)؛ عَلَّمَه اللهُ مَا لَم يَدْرِي»[(١)]، وقالَ اللهُ -تعالى-: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وَقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقِصَّةُ مُوسى والخَضِرِ -في ذلك- مَعروفَةٌ.

فيَنبغي للبَاحِثِ أَنْ لا يَحكُمَ على عَلْمٍ مِن العُلومِ أو مَسأَلَةٍ مِن المسائِلِ أنَّها كانَتْ مَجهولَةً عندَ الأوَّلِين؛ إلَّا إِذَا اسْتَقْرَأَ عِلْمَ مَن مَضَى، وفَلَّى الخَزائِنَ، ونَقَّبَ غايَةَ التَّنقيبِ، وعَلى ذَلك؛ لا يَنْبغي لَهُ أَنْ يَجزِمَ، بَل يَقول: لَا نَعلَمُ أحدًا سَبَقَ إلى هذا العِلْمِ قَبْلَ فلانٍ وفُلان[(٢)].

---

(١) بنحوه عن مالك في: «المدخل» (٤٠٧) للبيهقي و«الجامع» (٢/ ٨٣٩) رقم (١٥٧٤) للخطيب.

وانظر: «إعلام الموقعين» (٣/ ٤٤٣).

(٢) البحث والتنقيب الأثريان قد يسدان مسد التجارب إلى حد ضيق محدود؛ فليس كل حادث يترك أثرًا، وليس كل أثر محفوظًا، وليس كل مؤرِّخ يستطيع أن ينقب، وليس كل مكان يجدي التنقيب فيه، وإذن؛ لا مناص للمشتغلين بالتاريخ -إذا أرادوا أن يجعلوا التاريخ علمًا- من أن يذكروا -دائمًا- هذه القيود، ويراعوا الفروق الموجودة بين مادة التاريخ ومادة العلم؛ فلا يحمِّلوا التاريخ فوق طاقته، وعليهم -مهما فعلوا- ألَّا يتعدوا الحدود التي وضعها العلم لنفسه، ولا القيود التي تقيَّد بها في التفكير، فإنه لو كان في البحث أو التفكير محل للتهاون في التثبت، والتراخي في الاحتياط؛ لكان العلم أولى بذلك؛ لكثرة وسائل التمحيص فيه وكفايتها، ولثبوت مادته وتجانسها، بخلاف التاريخ.

فلو أن أكثر ما يملك العلم -الآن- ضاع؛ لأمكن العقل البشري أن يسترده، ولو بعد قرون وأجيال كثيرة العدد، أمَّا إذا أغار الخيال على الحقيقة في التاريخ، فأزالها وحلَّ محلَّها؛ فإنه لا يكاد يكون هناك أمل -قط- في أن يستردها مجهود بشري، وإن طال على جهاده الزمان. =

فَقد زَلَّت في هذا البابِ أَقدامٌ، وكَثُرتْ فيهِ الأَوْهَامُ، وقَد سُقْنَا هذهِ المقدِّمَةَ الطَّويلَةَ؛ لعَلِمْنا أَنَّ القُرَّاءَ في حاجَةٍ شَديدةٍ إلى مَعْرفَةِ هذا، والتَّفكيرِ فيهِ؛ لأَنَّه عِلَاجٌ نَافِعٌ لِدَاءِ الجَهْلِ المُركَّبِ، وهُوَ شَرُّ الأَدْواء.

= فإذا كان العلم -على قوته وكفايته- قد أخذ نفسه بالاحتياط ذلك الأخذ؛ فالأولى بالتاريخ، والأصلح له أن يتأسى بأخيه العلم في التثبت والتحرر والاحتياط.

«النقد التحليلي لكتاب «في الأدب الجاهلي»» (ص١٤٤) لمحمد أحمد الغمراوي.

الحلقة الثانية

وبعدُ؛ فَنقولُ: (عِلمُ اللُّغات) عِلْمٌ شَريفٌ، جَليلٌ، عَظيمُ الفائدَةِ، كشَفَ النِّقابَ عَن حقائِقَ كثيرةٍ مِن عِلْمِ التَّاريخ؛ فبرزَتِ الحقيقَةُ فيها كالشَّمسِ في رابعَةِ النَّهار، بَعْدَ ما أَنكرَتْ أَقلامُ المؤرِّخين، وكَلَّتْ أذهانُهم، وضَاقُوا ذَرْعًا بالرِّواياتِ المتضاربَةِ الَّتي يُكذِّبُ بعضُها بَعضًا.

وقَد صارَ هذَا العِلْمُ -منذُ اتِّساعِه وارْتِقائِه- مُحْكِمًا لِرواياتِ التَّاريخِ، يَنقدُها؛ فَيُبيِّنُ جَيِّدَها مِن زَيفِها، وسَمِينها مِن غَثِّها.

وَلْنضرِبْ لذلك مَثَلًا: البَربر؛ وهم سُكَّانُ الشَّمال الإفريقيِّ، فقد تضارَبَتِ الرِّواياتُ في أَصلِهم تَضارُبًا شديدًا -كما نَراه في «ابنِ خلدون»[(١)]، وفي «دائرةِ المعارفِ الإسلاميَّة»[(٢)] وغيرِها مِن كتُبِ التَّاريخِ العربيَّةِ والفرنجيَّة-، فجاءَ عِلْمُ اللُّغاتِ، وأَلقى عَلى هذه المسأَلَةِ ضَوءًا؛ فتَبَيَّنَ أَنَّ البَرْبَرَ والمِصريِّين -في الأَصلِ- جِنْسٌ واحِدٌ، كمَا حقَّقه لي الأستاذُ تشرماك[(٣)]؛ أستاذُ المعهدِ

(١) «تاريخ ابن خلدون» (٦/ ٩٨).

(٢) (٣/ ٤٨٢).

(٣) هو إيريك فون تشرماك، ولد في ١٥ نوفمبر ١٨٧١م، حصل على الدكتوراه من جامعة هاله في ألمانيا سنة ١٨٩٦م، ثم درس في جامعة الزراعية في ڤينا سنة ١٩٠١م، =

الأَفريقيِّ واللُّغاتِ المصريَّةِ في جامعَة ڤِينَّا مُشافَهةً[(١)]، وقَد أَلقى في القاهرةِ مُحاضراتٍ باللُّغةِ العربيَّةِ المصريَّة -وهو يُحسِنُها-؛ فبطَلَ بذلك قَولُ مَن قالَ: «إنَّهم مِن العرَب، وهم مِن أَولاد بَرِّ بْنِ قَيْس»، وقول مَن قال: «إنَّهم مِن الإفرنجِ أو مِن بَقايا قومِ جَالوت»، غيرَ أنَّ الأُستاذَ المذكورَ قالَ لي: إنَّ البَرْبرَ والمصريِّين جنْسٌ واحِدٌ؛ كما تَدلُّ عليه أُصولُ لُغاتِهم، وهم يَجتمعون بالشُّعوب السَّامية في أَصلٍ بَعيدٍ جدًّا[(٢)].

فعِلْمُ اللُّغاتِ عِلْمٌ يُبحَثُ فيه عن أُصولِ اللُّغاتِ بمُقابلَةِ بعضِها ببعضٍ، ورَدِّ كلِّ واحدةٍ مِنها إلى أَصلٍ عظيمٍ تُشارِكُها فيهِ أَخواتها، وبذلك نَعرِفُ -مَثلًا- أَنَّ العرَبَ واليهودَ والسُّريانيِّين، والجنْسَ الأَصليَّ مِن الحبشَةِ والبابليِّين؛

= وأصبح أستاذًا هناك بعد ذلك بخمس سنوات، وهو أحد الذين أعادوا اكتشاف عمل جريجور بشكل مستقل في علم الوراثة، توفي في ١١ أكتوبر ١٩٦٢م.

له ترجمة في: «الخالدون مئة؛ أعظمهم محمد ﷺ» (٢٣٨)، «قصة الوراثة من الفطرة إلى الهندسة» (٤٢)، «عالم جديد شجاع، عصر الجنيوم وأعصاره» (٢٥).

(١) زار الهلالي ڤينا عاصمة النمسا في صيف سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، في رحلة له بصحبة تلميذه أبي الفضل محمد عبدالجبار، وانظر ما كتبه عنها: في «تقي الدين الهلالي كما عرفته» (٧٢ - ٧٥).

واجتماع الهلالي به كان قبل ذلك، ولعله كان في القاهرة، والله أعلم.

(٢) للهلالي **مقالة مهمة عنهم**؛ نشرت في مجلة «الجامعة» الهندية، المجلد الثاني، الجزء الثاني والثالث، بتأريخ شوال وذي القعدة ١٣٤٢هـ - مايو ويونيو ١٩٢٤م، (ص٧ - ١٠)، وهي أول مقالة له وقفتُ عليها، وانظر عن عروبة البربر: «الدعوة إلى الله» (ص٤٠٠ - بتحقيقي) للهلالي.

وللأستاذ محمد علي هارون دراسة مهمة، منشورة بعنوان «عروبة البربر: الحقيقة المغمورة»، مطبوعة في دمشق سنة ١٩٩٢م، عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقرر هذا بروكلمان في كتابه «فقه اللغات السامية» (١٢).

كانوا -في يومٍ مِن الأيَّام قبيلةً واحدَةً، تتكلَّمُ بلغةٍ واحدَةٍ، وبهِ نَعرِفُ أنَّ إسبانْيَة وإيطالْيَة وفرنسة ورُومانية[١] وبُرتُغال وشعوبُ أَميركا اللَّاتينيَّة؛ كلُّهم كانوا -في يوم مِن الأيَّام- أُسرةً واحِدَةً، تَشعَّبَتْ -بعْدَ ذلك- بمُرورِ الزَّمانِ حَتَّى صاروا أُمَمًا، وكذلك نَعرِفُ أَنَّ جرمانْيَة وسويد ونرويج ودنمارك وهولاندا وفلمنكة، وقسمًا كبيرًا مِن سويسرا، والقَبائلِ السَّكسونية الَّتي امْتزجَتْ بالشُّعوب البَريطانيَّة؛ كلُّهم كانوا -في يومٍ مِن الأيَّام- أسرةً واحدةً، وكذلك نعلَمُ أنَّ رُوسية وبولونية وبلغار وتشيكية وسلوفاكية ويوكوسلافية؛ كلُّهم كانوا -يومًا ما- أهلَ بيتٍ واحدٍ، وقِسْ على ذلك سائرَ شعوبِ الدُّنيا -كلِّها-.

وهذا العلْمُ يَقينيٌّ كعِلْمِ الحسابِ، لا يَدخلُه الشَّكُّ والارْتِيابُ -البتَّة-، فأَنتَ إذا درَسْتَ اللُّغةَ العربيَّةَ والعبرانية والسُّريانيَّة؛ تَعلَمُ يَقِينًا أَنَّ هذهِ الشُّعوبَ كانَتْ في الأصلِ شَعبًا واحدًا، ويكونُ عِلْمُك بذَلِك ضروريًّا؛ كعَلْمِك بأَنَّ الواحِدَ نصْفُ الاثْنين.

قال قائِلٌ مِن الجامِدين: ومَا فائدَةُ معرفةِ هذا العلْمِ في الإسلام؟ وما فائدَةُ خوضِك -أَحيانًا- في دروسِ التَّفسيرِ في «التوراة»؟

والجوابُ -حسَبَ ما يَقتضيه المقامُ، لا كَما يَقتضيهِ السُّؤالُ-: أَنَّ عِلْمَ اللُّغاتِ كُلِّها -ولا سِيَّما اللُّغاتِ الَّتي خاطَبَ القُرآنُ أَهلها كَثيرًا- عِلْمٌ مُفيدٌ، لا يَنبغي للأُمَّة أَن تَخلُو منه، وقَد رَوى أحمَدُ بنُ حنبل في «مُسندِه»: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمرَ زيدَ بنَ ثابتٍ أَن يتعلَّمَ السُّريانيَّة، قال زَيدٌ: «فتَعلَّمْتُها في نِصْفِ شهرٍ»[٢]،

(١) سقطت راؤها في الأصل.

(٢) سبق تخريجه.

وفي حديث آخر: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لزيدٍ: «**تعلَّم السُّريانيَّةَ؛ فإنِّي لا آمَنُ اليَهودَ على كِتابي**»(١)، فتَعلَّمَها زيدٌ.

فإنْ قُلتَ: ومَا شَأْنُ السُّريانيَّة مع اليهود؟ لَو أَمرَه أَنْ يَتعلَّمَ العبرانيَّةَ؛ لَكانَ معقولًا!

فالجَوابُ: وَهذا السُّؤالُ وَالاعتراضُ نَفسُه -أَيضًا- دَليلٌ على فَضْلِ مَعرفةِ اللُّغاتِ وتاريخِها، فإِنَّ العالِمَ الَّذي لا يَعرِفُ هاتِه اللُّغاتِ؛ قَد يخبِطُ خَبْطَ عَشواء في شَرْحِ هذا الحَديث، وذلك؛ أَنَّ اليهودَ في زَمانِ النَّبيِّ ﷺ لم يكونوا يتكلَّمون باللُّغة العبرانيَّة ولا يَعرفونها؛ لأنَّها كانَتْ قد انقرضَتْ وماتَتْ قبل ذلك بزَمانٍ طَويلٍ؛ بَل عِيسى رسولُ اللهِ ﷺ -نفسُه- لم يكن يتكلَّم بالعبرانيَّة؛ بل بالسُّريانيَّة.

وبيانُ ذلك: أَنَّ اللُّغة العبرانيَّة كانت قدِ انقرضَتْ بانقراضِ الدَّولةِ اليَهوديَّةِ والأمَّةُ اليَهوديَّةُ؛ بعدَما خَرَّبَ بُختنُصَّر بَيْتَ المقدِس، وشَتَّتَ شَمْلَ اليَهودِ(٢)، ومعلومٌ أنَّ اللُّغةَ لا تَحْيَى إِلَّا بحياةِ الدَّولة.

وقَدِ اختلَفَ علماءُ الإِسلامِ في مسائِلَ؛ كلَفْظِ الجلالة (الله): هل هو مُشتَقٌّ أو مُرتَجلٌ(٣)؟ وفي اسمِه -تعالى- (الرَّحمن): هل هو مِن العبرانيَّة أم لا؟ وفي أسماءٍ أُخرى، وألفاظٍ في الكتابِ العزيز، واختَلفُوا في التَّحريفِ الَّذي ذكرَهُ اللهُ، وأَخبَرَ أَنَّ أهلَ الكتابِ عملُوه في كتبِهم المُنزَّلة: هل هو تَحريفٌ لَفْظيٌّ أو

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: ما تقدم (ص٢٧٥).
(٣) انظر: ما تقدم (ص١٦٣).

مَعْنويٌّ؟(١) ومعرفَةُ اللُّغتَين العبرانيَّةِ والسُّريانيَّةِ رافعَةٌ للخِلافِ في بعْضِ هذه

(١) للهلالي مقالة بعنوان (تحريف أهل الكتاب: هل وقع في اللفظ أم في المعنى؟) نشرت في جريدة «الأخبار» التطوانية، السنة الأولى، العدد (١١٩)، الجمعة ١٨ شعبان ١٣٦٢هـ - ٢٠ غشت ١٩٤٣م، (ص٣)، وهذا نصها:

سألني بعض الأفاضل عن هذه المسألة؛ فأردت أن أكتب ما أراني الله فيها وأنشره تعميمًا للفائدة، وقد رأيت أن أذكر كلام بعض من تقدم من العلماء في هذا البحث، ثم أقفي على أثره بالتعليق.

قال إمام المؤرخين ابن خلدون (ج١، ص٨، ط مصر سنة ١٣٥٥هـ) ما لفظه:

«وأما ما يقال من أن علماءهم -أي: اليهود- بدَّلوا مواضع من «التوراة» بحسب أغراضهم في ديانتهم؛ فقد قال ابن عباس -على ما نقل عنه البخاري في «صحيحه»-: إن ذلك بعيد. وقال: معاذ الله! أن تعمد أمة من الأمم إلى كتابها المنزل على نبيها فتبدله -أو ما في معناه-. قال: وإنما بدلوه وحرفوه بالتأويل؛ ويشهد لذلك قوله -تعالى-: ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣]، ولو بدلوا من «التوراة» ألفاظها؛ لم تكن عندهم «التوراة» التي فيها حكم الله، وما وقع في القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها إليهم؛ فإنما المعني به التأويل، اللهم إلا أن يطرقها التبديل على طريق الغفلة وعدم الضبط وتحريف من لا يحسن الكتابة لنسخها؛ فذلك يمكن في العبادة، لا سيما وملكهم قد ذهب، وجماعتهم انتشرت في الآفاق، واستوى الضابط منهم وغير الضابط، والعالم والجاهل، ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك؛ لذهاب القدرة بذهاب الملك، فتطرق من أجل ذلك إلى صحف «التوراة» -في الغالب- تبديل وتحريف غير متعمد من علمائهم وأحبارهم، ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها إذا تحرى القاصد لذلك بالبحث عنه». هذا كلام ابن خلدون.

وقال ابن جرير الطبري في «تفسيره» [(٨/ ٢٥١) من قول عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، **وإسناده صعيف**] عند قوله -تعالى-: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]: «يعني: حدود الله في «التوراة»؛ يقولون: إن أمركم محمد بما أنتم عليه؛ فاقبلوه، إن خالفكم؛ فاحذروا» اهـ.

وقال البيضاوي[في «تفسيره» (١/ ٩٠)] عند قوله -تعالى-: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ [البقرة: ٧٩] ما نصه: =

....

= «لعله -أي: المكتوب- من التأويلات الزائغة» اهـ.
ولنأخذ الآن في درس كلام ابن خلدون؛ فنقول:

فيه مسائل:

الأولى: نقل ابن خلدون عن ابن عباس استبعاده تبديل اللفظ المنزل على موسى المقدس عند اليهود؛ فلا يمكن أن تتواطأ أمة بأسرها على تبديل كتابها، إذ لم تجر السنن الكونية بذلك، ومباحث الاستقراء التاريخي لا تقره، أما التبديل بالتحريف والتأويل للمعنى؛ فهو واقع عندهم في استنباط الأحكام واستخراج الفتاوى، وذلك ممكن للعالم الفاجر، ولا سيما إذا كان له منصب عالٍ وكانت العامة تنقاد له وتعظمه؛ فإنه يتأول النصوص ويفسرها بخلاف مدلولاتها اتباعًا للهوى وطلبًا[أ] يحلل لهم ذلك أو يحكم لهم به، وهذا أمر مشاهد في كل زمان ومكان.

الثانية: استدل ابن خلدون بدليل من القرآن؛ وهو قوله -تعالى-: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣]، قال: «ولو بدلوا من «التوراة» ألفاظها؛ لما كانت عندهم «التوراة» التي فيها حكم الله».

أقول: فلو كان التحريف اللفظي عامًّا لجميع مسائل «التوراة»؛ لما أمكن أن يكون فيها حكم الله -أصلًا-، وأما إذا كان التحريف اللفظي خاصًّا ببعض المسائل دون بعض؛ فيمكن أن يقال: إن فيها حكم الله وإن كان التبديل واقعًا في بعضها.

وهناك آية أخرى هي أصرح في هذا المعنى؛ وهي قوله -تعالى-: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]؛ فقد أمر الله نبيه أن يتحداهم بالإتيان بـ«التوراة» وقراءتها؛ لفصل الخصومة التي كانت بين اليهود وبين النبي ﷺ في شأن ما حرم من الطعام وما لم يحرم.

فيقال: لو كان التحريف اللفظي واقعًا في «التوراة»؛ ما تحداهم بالإتيان بها وقراءتها، وفي «الصحيح» [البخاري (٣٦٣٥ و٤٥٥٦ و٦٨١٩ و٦٨٤١) ومسلم (١٦٩٩)] عن عبدالله بن عمر: أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأة زنيا. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون في «التوراة»؟ قالوا: نفضحهم ونجلدهم. قال عبدالله بن سلام: كذبتم! إن فيها الرجم فأتوا بـ«التوراة». فنشروها، فوضع =

(أ) عدة كلمات لم تظهر في التصوير.

= أحدهم يده على آية الرجم؛ فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبدالله بن سلام: ارفع يدك. فرفعها؛ فإذا فيها آية الرجم تلوح، فقالوا: صدق يا محمد! فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. اهـ نص الحديث. وهو واضح في الحجة لمن قال أن التحريف لم يكن لفظيًّا، وإنما كان بالتأويل.

الثالثة: قول ابن خلدون: «اللهم إلا أن يطرقها التبديل على طريق الغفلة وعدم الضبط وتحريف من لا يحسن الكتابة لنسخها؛ فذلك يمكن في العبادة، لا سيما وملكهم قد ذهب، وجماعتهم انتشرت في الآفاق، واستوى الضابط منهم وغير الضابط، والعالم والجاهل، ولم يكن لهم وازع يحفظ لهم ذلك؛ لذهاب القدرة بذهاب الملك».

ظاهر هذا الكلام أن ابن خلدون لم يقرأ «التوراة» بلغتها؛ وإنما قال هذا على سبيل الحدس والتفرُّس الصادق، فلله دره! فقد كان ظنُّه كيقين غيره ومشاهدته، فهذا هو الواقع؛ فإن في «التوراة» مواضع أشكلت قراءتها وفهمها على كبار العلماء بها، فاختلفت فيها الآراء، وزادهم اختلافًا أن العبرانية تكتب حروفًا مقطعة، بخلاف أختيها العربية والسريانية، فأخذ هذا العالم يقترح أن يؤخذ حرف أو حرفان من آخر هذه الكلمة، ويؤخذ حرف أو أكثر من أول التي تليها؛ فتركب كلمة هي أنسب للمقام وأوفق للمعنى أو أقل إشكالًا وتكلفًا، واقترح غيره تقطيعًا وتلفيقًا وتكلفًا، واقترح غيره تقطيعًا وتلفيقًا آخر، وخالفهم ثالث فجاء بحل غير حلهما، ولم يصلوا إلى نتيجة مرضية ومقنعة، وهذا واقع لا ريب فيه، ولكنه غير متعمد، وإنما سببه -كما قال ابن خلدون- ذهاب العلم والنظام والوازع بذهاب الدولة، فذكَّرنا بما قال الإمام المغربي الآخر أبو محمد ابن حزم في ذهاب لغة الأمة وعلومها وآدابها بذهاب دولتها -كما رأيت في مباحث اللغات-، وقد اتفق هذان العالمان على هذه الحقيقة التاريخية، ولعمري! إن في كلامهما العبرة للمعتبر وذكرى للمدكر.

الرابع: قول ابن خلدون: «فتطرق من أجل ذلك إلى صحف «التوراة» -في الغالب- تبديل»، فيه نظر! لأن ذلك التبديل ليس غالبًا؛ بل هو قليل بالنسبة إلى ما لا إشكال فيه.

الخامسة: قوله: «ويمكن -مع ذلك- الوقوف على الصحيح»، فيه نظر -أيضًا-! لأن أكابر العلماء عجزوا عن حل تلك المشاكل -كما قدمنا-، ثم إن هذا -كلَّه- إنما هو فيما أنزله الله على موسى، وأما ما زيد في «التوراة» من التواريخ والأحكام؛ فله حكم آخر، والله أعلم.

المسائلِ، ومفيدةٌ جدًّا في بَعضِها.

إِذا عُلِم هذا؛ فَلْيُعلَمْ أَنِّي عَزمْتُ على كتابَةِ مَقالاتٍ في تعريفِ إِخوانِنا القُرَّاءِ بشيءٍ مِن أَحوالِ عِلْمِ اللُّغات، يَجْدرُ بهم عِلْمُه، ويَقبحُ بهم جَهْلُه، ومَوعِدُنا المقالَةُ التَّالية -إِن شاءَ اللهُ-.

الحلقة الثالثة

وبعْدَ تِلك المقدِّمةِ؛ نَتعرَّضُ فيما يلي لِلبَحثِ فِيما قالَهُ مَن تَقدَّمَ مِن علماءِ الإِسلامِ، فنَقولُ:

قالَ الإمامُ أَبو محمَّد علي بنُ حَزْم الأَندلسيُّ -الشَّهير- في كتابِه «إحْكَامُ الأَحكامِ في أُصولِ الأَحْكام» (ص٢٩ - ط مصر سنة ١٣٤٥هـ) ما نصُّه:

«البابُ الرَّابع: في كيفيَّةِ ظهورِ اللُّغاتِ: أعَنْ تَوقيفٍ أَم عَن اصْطِلاح؟

قال أبو محمَّد -يعني نفسَه-: أَكثَرُ النَّاسِ في هَذَا، والصَّحيح: أَنَّ أَصْلَ الكَلامِ تَوقيفٌ مِن اللهِ بِحُجَّةِ سَمعٍ(١) وبُرهانٍ ضروريٍّ.

فأمَّا السَّمع: فقولُ اللهِ -تعالى-: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١].

وأَمَّا الضَّروريُّ مِن البُرهانِ: فهو: أَنَّ الكلامَ لو كانَ اصْطِلاحًا؛ لمَا جازَ أَن يَصطلِحَ عليه إِلَّا قَومٌ قد كَمُلَتْ أَذهانُهم، وتَدرَّبَتْ عقولُهم، وتمَّت علومُهم، ووَقَفُوا على الأَشياء -كُلِّها- الموجودةِ في العالمِ، وعَرضوا حُدودَها واتِّفاقَها واختلافَها وطبائعَها، وبالضَّرورةِ نَعلَمُ أنَّ بينَ وجودِ الإِنسانِ وبينَ بلوغِه هذه

(١) في الأصل: «تسمع»، والمثبت من «الإحكام».

الصِّفةَ؛ سِنينَ كَثيرةً، يَقتضي -في ذَلك- تربيةً وحِياطةً وكفالَةً مِن غيرِه؛ إذِ المرْءُ لا يَقومُ بنفسِه إلَّا بعدَ سِنين مِن وِلادَتِه، ولا سَبيلَ إلى تَعايُشِ الوالدَين والمكلَّفين والحِضان؛ إلَّا بكلامٍ يَتفاهَمون به مُراداتِهم فيما لا بُدَّ لهم منه، فِيما يُقوِّمُ (كذا)[١] معايشَهم مِن حرْثٍ أو ماشيةٍ أو غراسٍ، ومِن مُعاناةِ ما يُطرَدُ به الحَرُّ والبَردُ والسِّباع، وما يُعاني بِهِ الأَمراض، ولا بُدَّ لكلِّ هذا مِن أَسماءٍ يَتعارَفون بها ما يُعانونه مِن ذلك، وكلُّ إنسانٍ فقَد كان في حالَةِ الصِّغَر -الَّتي ذَكَرْنا- مِن امْتِناعِ الفَهمِ والاحتياجِ الكَامِل، والاصْطِلاحُ يَقتضي وَقتًا لم يكُنْ موجودًا قَبْلَه؛ لأنَّه مِن عَملِ المُصطلِحين، وكلُّ عَملٍ لا بُدَّ مِن أَن يكونَ لَهُ أَوَّل، فكَيفَ كانَتْ حالُ المُصطلِحين على وَضْعِ اللُّغةِ قَبْلَ اصطلاحِهم عَلَيها؟ فهَذَا مِن المُمتنِعِ المُحالِ ضرورةً.

قال عليٌّ -يعني نفسَه-: وهذا دَليلٌ برهانيٌّ ضروريٌّ مِن أدلَّةِ حُدوثِ النَّوعِ الإنساني».

قال كاتِبُ هذا المقالِ: اسْتَدَلَّ أَبو محمَّد على أَنَّ اللُّغاتِ توقيفيَّةٌ[٢]؛ أي:

---

(١) **قال أبو عبيدة:** هي كذلك في عدد من النسخ الخطية التي اعتمدتها في التحقيق، وسقطت من واحدة منها، ويسَّر الله نشر هذه الدُّرة النفيسة بخير وعافية.

(٢) أصل المسألة التي طرقها المصنف في هذا الباب: هل اللغة توقيفية أو اصطلاحية؟ ثم تعرض تحته: أو مركَّبة من التوقيف والاصطلاح؟ ونزيد:
أو ليست شيئًا من ذلك؛ بل هي كائن مستقل وُجد لمناسبة بين اللفظ والمعنى؟
وهل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية أم بإزاء الماهيات الخارجية؟
يختلط الفقهاء بالمتكلِّمين وأهل اللغة بالاثنين؛ فلا يتبين الأصل من الفرع، ولا التابع من المتبوع.
وقد لخص هذه المذاهب فخر الدين الرازي في «المحصول»، وتاج الدين وسراج =

= الدين الأرمويان؛ الأول في «الحاصل»، والثاني في «التحصيل»، وخلاصة كلامهم -واللفظ للسيوطي-؛ النظر الثاني في الواضع:

الألفاظ إمَّا أن تدل على المعاني بذواتها، أو بوضع الله -تعالى- إيَّاها، أو بوضع الناس، أو يكون البعض بوضع الله -تعالى- والباقي بوضع الناس.

الأول: مذهب عبَّاد بن سليمان الصيمري؛ وهو قيامها بذاتها.

والثاني: مذهب ابن الحسن وابن فورك؛ وهو التوقيف.

والثالث: مذهب أبي هاشم.

والرابع: ابتدأها الناس والتتمة منه -تعالى-؛ وهو مذهب بعضهم، أو الابتداء منه -تعالى- والتتمة من الناس؛ وهو مذهب أبي إسحاق الإسفرائيني.

أمَّا ابن جنِّي في «الخصائص» -وهو وشيخه أبو علي الفارسي معتزليان- فقد قال: باب القول على أصل اللغة: إلهام أم اصطلاح؟

«هذا موضع يحتاج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي ولا توقيف، إلَّا أن أبا علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قال لي يومًا: هي من عند الله. وتأوَّل كلام شيخه أبي علي؛ بأن معناه: أن الباري جَلَّ وَعَلَا أقدرَ آدم على أن واضع عليها».

وقال ابن جني مرَّة: إنه تحيَّر في أمرها: هل هي توقيفية أو اصطلاحية؟

فأظهر ميله إلى المذهب الوضعي، إلَّا أنه لم يقطع به؛ بل وازن بين أدلة المذهبين، ثم قال: «وإن خطر خاطر -فيما بعد- يعلِّق الكف بإحدى الجهتين، ويكفُّها عن صاحبتها؛ قلنا به»، ثمَّ جزم بهذا الرأي بعد ذلك.

أمَّا أحمد بن فارس -وهو سنِّي- فقال: توقيفية.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: إن كل ذلك ممكن -أي: التوقيف والاصطلاح- أو إنها خليط منهما.

فهذه نماذج من أقوال الفرق.

وأنبِّه على أن عباد بن سليمان الصيمري -هو معتزلي، وهو القائل: إن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية- قال بهذا القول كما يقول الآمدي أهل علم التكسير؛ وهو علم يبحث عن الأحرف ودلالاتها.

فيجب أن ننبِّه إلى أن للمعتزلة مذهبين: مذهب عبَّاد بن سليمان الصيمري المتقدم، =

....

= ومذهب أبي هاشم القائل بالاصطلاح، وأن معتزلي أهل اللغة يميلون إلى الاصطلاح، وسنِّيِّيهم يميلون إلى التوقيف.

فهل أهل اللغة سابقون أو مسبوقون؟ تابعون أو متبوعون؟

أمَّا الصورة الذهنية الموضوع الكلام بإزائها؛ فهو أمر يقتضي أن يكون الكلام بحسب الصور في الأذهان، بغض النظر عن الماهيات الخارجية، وبالتالي؛ فكل شخص له صورة، وتصوراته الذهنية التي يتكلَّم طبقًا لها، والحقائق في الخارج لم تعد تحكم وتضبط الكلام.

ومعنى ذلك: إن تولد لغة بحسب كل متكلِّم، وأهل الأصول اختلفوا في ذلك، وفي النكرة بالخصوص؛ فقال ابن الحاجب والرازي: إنها لا تكون إلا لصورة ذهنية لا لصورة خارجية.

وهذه المسألة -وهي هل اللغة توقيفية أو اصطلاحية؟- ما فائدتها؟

قال بعضهم: لا فائدة منها، ومن الفضول ذكرها في علم الأصول، وأنه خلاف طويل الذيل قليل النيل.

ولكن بعضهم بنى عليها مذهب مالك في استعمال كل صيغة لإيقاع الطلاق، فهو لو قال لزوجته: (اسقني ماء أو قهوة) ناويًا الطلاق؛ لوقع، فهو يقع بأي كلام مع النية، فالنية وحدها لا تكفي، وإنما لو ألبسها بأي لباس متمثلًا في جملة مركبة؛ لوقع الطلاق.

هذا هو الصحيح عند المالكية، وهو تصرف في اللغة يجعلهم لا يبتعدون عن مذهب أبي هاشم المعتزلي في الاصطلاحية.

قال صاحب «مراقي الصعود»:

واللغـةُ الـربُّ لهـا قـد وضعـا ... يبنـى عليـه القلـب والطـلاق

وعزوهـا للاصطـلاح سمعـا ... بكـاسقني الشـراب والعتـاقُ

القلب: هو جواز قلب الكلام بتسمية الفرس ثوبًا والعكس، ولكن؛ هل يحرم على المتكلِّم -شرعًا- أن يسمي ما شاء بما شاء بدون ضوابط كتلك المعروفة في علم البلاغة؛ من كناية واستعارة ومجاز مرسل؟

ذهب البعض إلى تحريمه شرعًا، واختلفوا فيها على ثلاثة أقوال؛ كما ذكر السيوطي =

عرَفها الإنسانُ بتعليمِ اللهِ آدمَ أسماءَ الأشياءِ، ولم تكُنْ بالوَضْعِ والاصْطِلاح،

= في «المزهر»، ولكنه ختم بكلام السبكي الذي يقول فيه: «كيف يحرم بلا دليل؟! وإذا كان يؤدي إلى اختلاط الأحكام؛ فذلك أمر خارجي».

وهذا هو الصواب، فلو تركوها حرمة صناعية؛ لكان أولى، أو عقلية؛ لأن اللغة -كما نبه عليه إلكيا الهراسي- للاتصال؛ لأن الإنسان لم يكن مكتفيًا بنفسه في معاشه ومقوماته، فلم يكن له بُدٌّ من أن يسترفد المعاونة من غيره.

معنى ذلك: أن لا بدَّ من اللغة لتعيين المقاصد الغائبة.

وأخيرًا؛ فإنه لا يوجد دليل قاطع ولا رأي حاسم في كون اللغة توقيفية أو اصطلاحية، فأهم دليل: هو ما تشير إليه الآية الكريمة من سورة البقرة [٣١]: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾، ولكن؛ أي أسماء وبأية لغة؟

والآثار التي وردت في ذلك ليست في «الصحيح»؛ فأكثرها رواه أهل التفسير -كابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر- عن ابن عباس: «علَّمه اسم الصحفة، والقدر، وكل شيء، حتى الفسوة والفسية».

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم في «تفسيريهما» من طريق السُّدي عمن حدَّثه عن ابن عباس؛ قال: «عرض عليه أسماء ولده إنسانًا إنسانًا، والدواب؛ فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس».

ورويت آثار كثيرة بهذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء، وأخرج ابن جرير عن أبي زيد في تفسير الآية: «أسماء ذريته أجمعين»، وأخرج عن الربيع بن أنس قال: «أسماء الملائكة»، وأخرج ابن أبي حاتم عن حميد الشامي قال: «علَّم آدم أسماء النجوم».

ولعلَّ ما قاله القاضي أبو بكر الباقلاني من عدم الجزم بشيء في هذه المسألة؛ أولى، والعلم عند الله -تعالى-.

قاله ابن بيَّه في «أمالي الدلالات» (ص٥٣ - ٥٦).

وانظر في بسط المسألة وتحقيقها: «المزهر» (١/ ١٦ وما بعد)، «المستصفى» (١/ ٣١٨ وما بعد)، «المسودة» (٥٦٢)، «المحلِّي على جمع الجوامع» (١/ ٢٦٩)، «شرح الكوكب المنير» (١/ ٩٧ وما بعد)، «العُدَّة في أصول الفقه» (١/ ١٩٠ - ١٩٤)، «الإحكام» (١/ ٧٣) للآمدي، «العضد على ابن الحاجب» (١/ ١٩٤ وما بعد)، «الصاحبي» (٣١ وما بعد)، «التمهيد» (ص٣١) للإسنوي، «نهاية السول» (١/ ٢١١)، «الخصائص» (١/ ٤٠)، «فواتح الرحموت» (١/ ١٨٣)، «تاريخ آداب العرب» (١/ ٤٥ - ٥٤) لمصطفى صادق الرافعي.

اسْتَدلَّ على ذلك بدليلَيْن: **أَحدهما** سَمعيٌّ، **والآخرُ** عقليٌّ.

فالسَّمعيُّ؛ قولُه -تعالى-: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] يَعني: أَنَّ اللهَ عَلَّمَ آدَمَ أسماءَ الأَشياءِ؛ فَسمَّاها آدَمُ كَما عَلَّمه اللهُ بأَسْمَائِها، ويَرِدُ على هذا الاستدلالِ: أَنَّ كَيْفيَّةَ تعليمِ اللهِ ذَلك لآدمَ غيرُ مَعلومَةٍ، فإِنْ كانَتْ وَحيًا كَلَّمَه اللهُ بهِ؛ صحَّ استدلالُ أبي محمَّد، وإِنْ كانَتْ إِلهامًا؛ لم يَصِحَّ.

فإِنْ قالَ قائِلٌ: قولُه -تعالى-: ﴿عَلَّمَ﴾ يدُلُّ على أَنَّه وَحْيُ كلامٍ.

فالجَوابُ: أَنَّنا لا نُسلِّمُ ذَلك؛ فقَدْ قالَ اللهُ [الأنبياء:٨٠]: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ﴾ أَي: داوود ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أَي: صُنْعَ الدُّروعِ، وظاهِرٌ أَنَّ ذَلك التَّعليمَ لم يكُنْ بوَحْيِ كلامٍ، وقالَ -تعالى-: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٣-٤] أَي: أَلْهَمَ الإِنسانَ الكِتابَةَ، **وإِذَا ثبَتَ هذا الاحتمَالُ؛ بطَلَ الاستدلالُ بالآيَةِ على أَنَّ اللُّغةَ الَّتي تكَلَّمَ بها الإِنسانُ الأَوَّل توقيفيَّة، وجازَ أَن تكونَ إِلْهامًا.**

والدَّليلُ الثاني: عَقليٌّ؛ وهو يَتلخَّصُ فِيما يلي:

لو كانتِ اللُّغةُ وَصفًا واصطلاحًا؛ لاحْتَاجَ وَاضِعُوها إِلى زَمانٍ طويلٍ يَدرسون فيها الأشياءَ ويَعرفونها، وَلاحْتَاجُوا إلى مَن يَقومُ على تَربِيَتِهم وتَدريبِهم، أَلم تَرَ إلى الطِّفلِ؛ فإِنَّه لا يَتعلَّمُ ذلك إِلَّا بعدَ زَمانٍ وتَدريبٍ مِن غيرِه، ولا بُدَّ لأولئكَ المُصطلحِين والمُربِّين مِن لُغةٍ يَتعاونُون بها على مَعِيشتِهم في أَثناءِ تِلْكَ المدَّة.

والجَوابُ عَن ذلك -وباللهِ التَّوفيق-: أَنَّه يَرِدُ عليه أَنَّ الإنسانَ الأَوَّلَ خُلِقَ

كَبِيرًا[١] -كما بيَّنَتْه الكُتبُ السَّماويَّةُ-، وكانَتْ معيشَتُه -بادِئَ ذِي بَدْءٍ- يَسيرةً وساذجَةً، لا تَحتاجُ إلى أَلفاظٍ، ولا أَسماءٍ كَثيرةٍ، وَلا أَشغالٍ شَاقَّةٍ، فالمعروفُ أنَّه كانَ يَعيشُ بلحومِ الحيوان، يصيدُه بالحجارَةِ، والخذفِ بالعَصا ونحوِها، ثمَّ أَخذ يَستعينُ بالحِجارةِ؛ فيَتَّخذُ مِنها آلاتٍ يُهيِّئُ بها غِذاءَه، وكان يَلجَأُ إلى المغاراتِ، ولم يكُنْ يسكُنُ القُصورَ الَّتي تَحتاجُ إلى تَعاوُنٍ ولُغةٍ واسعةٍ، وأمَّا الكلماتُ الَّتي كان يَتفاهَمُ بها أَهلُ البَيتِ الواحِدِ أو جماعَةٌ مِن البُيوتِ؛ فقد أُلْهِمَها الإِنسانُ الأَوَّلُ إلهامًا، وهي قَليلةٌ جدًّا؛ كالنُّورِ والظَّلامِ والحَرِّ والبَرْدِ والأَكْلِ والشُّربِ ونحْوِ ذلك ممَّا لا بُدَّ منه، وقَد وقَف المنقِّبون والباحثون فعلًا على أَدواتٍ كثيرةٍ صُنِعَتْ مِن الحَجَرِ؛ فَسمَّوا أَهْلَها: أَهْلَ العَصْرِ الحَجَريِّ، ثُمَّ أخذَ الإنسانُ يَتدرَّجُ ويترقَّى؛ فتتَّسعَ معيشَتُه، وتَتْبَعُها لُغَتُه إلى أَنْ وَصلَتْ إلى ما هي عليه، ولا تَزالُ تَزيد، ونَحنُ نَرى أَنَّ الإنسانَ كلَّما كانَ عَيشُه سَاذَجًا قَليلًا؛ قَلَّتْ أَسماءُ حاجاتِه ونزرَتْ لغَتُه، حتَّى قِيلَ: إنَّ بعْضَ سُكَّانِ أُستُراليا الأَصليِّين لا تَزيدُ لُغَتُهم على مائةِ كَلِمة، وبَلغَني -والعُهْدَةُ على الرَّاوي أو الكتابِ الَّذي قَرأْتُ فيهِ ذلك- أَنَّ الفَلَّاحِين في بَعْضِ نَواحي بَرِيطانيا لا تَزيدُ لُغَتُهم الَّتي يَتخاطَبُون بها في مَعايِشِهم على خَمْسِ مائةِ كَلِمةٍ، وكانَ عِنْدي كُتيِّبٌ يتضمَّنُ الكَلِماتِ الَّتي يجبُ على مَن يَكونُ لهُ الحَقُّ في الانتخابِ مِن أَهالي الوِلاياتِ المَّتحدة الأميركيَّة أَن يَعرِفَها؛ وهي مِن أَرقى الأُمَم، وأَكثرِها حضارةً.

(١) ثبت أن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: (ورحمة الله)، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن**»، أخرجه البخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحلقة الرابعة

وتلكَ الكلمـات لا تَزيدُ على أَربعةِ آلافِ كلمةٍ: سَبع مائةٍ منها تَخْتَصُّ بدوائرِ الحُكومَةِ، والبَاقي -وهو ثلاثةُ آلافٍ وثلاثُ مائةِ كلمةٍ- كافيَةٌ للإِنسانِ في المُحادثاتِ العامَّة، وأَنْ يَكونَ عِنْدَه مِن الثَّقافةِ مَا تُخوِّلُه أَنْ يكونَ له صوتٌ في الانتخابِ.

ولو فَرَضْنا أَنَّ الإنسانَ الأَوَّلَ كانَ عِندَه مِن الحضارةِ والثَّقافةِ ما يَحتاجُ معَه إلى مئاتِ الكَلِمـات -فَضْلًا عنِ الآلافِ-؛ لاحتاجَ -هوَ أَيضًا- إلى زمنٍ طويلٍ، وإلى مُعلِّمٍ يُدرِّبُه ويُربِّيه ويُعلِّمه؛ إِذْ لَا يُمْكِنُه أَنْ يُشاهِدَ الأَشياءَ كُلَّها -أَشياءَ السَّمـاءِ، وأَشياءَ الأَرضِ، وأَشياءَ الشِّتاءِ والصَّيفِ والخَريفِ، وأَشياءَ البادِيَةِ والحاضرةِ- دُفعَةً واحدةً، ويَعرِفَ صفاتِها وَحدُودَها وخَواصَّها وَاتِّفاقَها واختِلافَها دُفعةً واحِدَةً.

وإِذا فَرَضْنا أَنَّ ذلك وقَعَ على سَبيلِ الوَحْيِ والمُعجزةِ لواحدٍ؛ فإِنَّ مَن معَه لم يُوحَ إِليهم، ولَيسُوا أَصحابَ مُعجزاتٍ، على أَنَّ ذلك مُخالِفٌ لسُنَّةِ اللهِ في هذه الدُّنْيا؛ فكيفَ يُلقَّنُ الإنسانُ الأَوَّلُ -مثلًا- أَسماءَ أَدواتِ الحَرْثِ والزَّرعِ والحَصادِ والدِّراسِ والطَّحنِ والعَجْنِ والخُبزِ والطَّهيِ والغَزْلِ والنَّسجِ والخِياطَةِ واللُّبسِ، قَبْلَ وُجودِ الموادِّ الَّتي تُصنَعُ منها تِلْكَ الأَشياءُ؟! فلا سَبيلَ إلى ذلك

إِلَّا بالإِلْهَامِ، **وهوَ الَّذي نَقولُ بِهِ**، ولكِنْ على سَبيلِ التَّدريجِ، لا دُفعَةً واحدةً.

ولَنا مِن السَّمعِ ما يَشهَدُ لذلك؛ وهوَ قَولُه -تعالى- في قِصَّةِ خروجِ آدَمَ مِن الجنَّة: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] يَعني: أَنَّ آدَمَ وحَوَّاءَ بَعْدَ مَعْصيتِهما وَجَدا أَنفُسَهما عُرْيانَين؛ فأَخذَا يَستُرانِ أَنفسَهُما بوَرقِ شَجرِ الجنَّة، وَلا بُدَّ أَن يكونَ بينَ سِترِهما بوَرقِ الشَّجرِ، وبينَ تَعلُّمهما عملَ أسهَلِ نَسْجٍ[١] مِن نباتِ الأَرضِ؛ زمانٌ طويلٌ يَتعلَّمانِ فيه ذلكَ بالتَّجارِبِ المختلفَةِ، والتَّأَمُّلِ في الأشياءِ بإلهامٍ مِن اللهِ -تعالى-، وكلَّما تَعلَّما شيئًا؛ أُلهِما تَسميتَه، فَلا تزالُ لُغَتُهما تَنْمُو بِنُموِّ مَعلُومَاتِهما، ثُمَّ جاءَ أَولادُهما؛ فتَعلَّموا مَا كان عِندَهما وزَادُوا عليه، وهَكذا أَولادُهم وأَحفادُهم حتَّى اتَّسعَتِ اللُّغة.

وقَد أَبانَ لَنا عِلْمُ الحَفْرِ والتَّنقيبِ: أَنَّ الإِنسانَ مَرَّتْ عَليهِ أَطوارٌ -استَغْرَقتْ حِقَبًا طَويلَةً- حتَّى وَصَلَ إلى أَدْنى مَا يُسمَّى (حَضارةً)، وكانَ معاشُه في أوَّلِ أَطوارِه سَاذَجًا جِدًّا -كما قَدَّمنا-؛ فَلم تَكُن له حاجَةٌ إلى مِئاتِ الكَلِمات تُقرَأُ في تَواريخِ الأُممِ الَّتي لَها -الآن- مدنيَّةٌ عظيمةٌ ولغَةٌ راقيَةٌ؛ كبريطانيا -مثلًا-، إنَّ سُكَّانَها كانوا في زمانِ الحَضارةِ الرُّوميَّةِ -فقَطْ- (وَلا تَقُل: الرُّومانيَّة)[٢] يَعيشون عِيشَةً ساذجَةً جدًّا؛ فكانَ طعَامُهم لحومَ الوَحْشِ، ولِباسُهم جُلودَها، فَلمَّا غَزَاهم الرُّومُ بسُفنِهم التِّجاريَّةِ، وجاؤوهم بالثِّيابِ المنسوجَةِ مِن الصُّوفِ والقُطنِ؛ رأَوْا شَيئًا لم يَكُن لهم بِهِ عَهْد، ولم تَكُن لَهُ في لُغَتِهم أَسماءٌ -طبعًا-؛ فبادَلوهم جلودَ السِّباعِ والوُحوشِ بتِلْكَ الثِّياب.

(١) في الأصل: «لنسج».

(٢) انظر: «تقويم اللسانين» (ص٣٥ - بتحقيقي) للمصنِّف.

فكيفَ كانتْ حالَةُ اللُّغةِ البَريطانيَّة في ذلك الزَّمان؟ وكم كانَتْ كَلِماتُها مِن الأَسماءِ والأَفعالِ والحُروف؟ وكيفَ حالُ اللُّغة الإنكليزيَّةِ اليومَ؛ وهي اللُّغةُ الرَّسميَّة العامَّةُ في الجزائرِ البَرِيطانيَّة؟ وما مِقدارُ الفَرْقِ بينَهما؟

فلُغاتُ الشُّعوبِ البَريطانيَّة -اليومَ-؛ كلُغةِ وِيلز وسكوتلانده وإرلانده[١]، مع أَنَّها لم يُتَحْ لها مِن التَّرقِّي والاتِّساعِ ما أُتيحَ لِلُّغةِ الإنكليزيَّة؛ الَّتي هي -في الأصلِ- أجنبيَّةٌ عن الجُزُرِ البَرِيطانيَّة، وإنَّما هي لُغَةُ غُزَاة، لا شكَّ أَنَّها -أي: لغاتُ الشُّعوبِ البَريطانيَّة اليوم- أَرْقى وأَوسَعُ -بكثيرٍ جدًّا- ممَّا كانَتْ عليه حِينَ كان سُكَّان تلكَ البلادِ يَلْبَسون الجلودَ، ويَقْتَاتون بلُحومِ الصَّيدِ -فقط-.

وكانَ العَرَبُ -أَيضًا- إلى زَمانٍ غيرِ بَعيدٍ جدًّا يَعِيشون بالماءِ واللَّحم -فَقَطْ-؛ فقَد جاءَ في قِصَّة زيارةِ إبراهيمَ ﷺ لِمَنْزلِ ابنِه إسماعيلَ في مكَّةَ: أنَّ إبراهيمَ سألَ زَوجةَ ابنِهِ إسماعيلَ بقولِه: مَا طعامُكم؟ قالت: اللَّحم. قال: فما شرابُكم؟ قالتِ: الماء. قال: اللهمَّ بارِكْ لهم في اللَّحمِ والماء. قالَ النَّبيُّ

(١) تسمى (اللغات الكلتية)؛ وهي: الويلزية والبريطانية والغيلية الإيرلندية والغيلية الإسكتلندية، وكلها لغات أقليات في الدول المنتشرة فيها، على الرغم من استمرار الجهود في إحيائها.
تعتبر اللغة الويلزية هي اللغة الرسمية في ويلز، والغيلية الإيرلندية لغة رسمية في إيرلندا والاتحاد الأوروبي، واللغة الويلزية هي اللغة الكلتية الوحيدة التي لم تصنف من قبل اليونسكوعلى أنها لغة بائدة (منقرضة).
تنقسم اللغات الكلتية إلى مجموعتين رئيسيتين: تسمى المجموعة الأولى (مجموعة اللغات البريثونية)، وتضم اللغات البريتانية والكورنية والويلزية، أما المجموعة الثانية فتسمى (مجموعة اللغات الجودية)، وتضم اللغات الغيلية الإسكتلندية والغيلية الإيرلندية والمنكية.
انظر: «الموسوعة الحرة» على الشبكة العالمية (النت).

ﷺ: «**لم يكُنْ لهُم -يومَئِذٍ- حَبٌّ، ولو كانَ لهم؛ دَعا لهم فيه**»، هكذا ورَدَ في «صحيحِ البُخاريِّ»[(١)] في (كتاب الأَنبياءِ) منه.

وأَخبرني شيخُنا محمَّد بنُ حبيبِ اللهِ التَّنْدَغِيُّ الشَّنقيطي[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ مَعيشَتهم في بلادِهم عُمدَتُها لبَنُ الإِبلِ -فقَط-، ولا يَأكلُون اللَّحمَ إلَّا نادرًا، وليسَ لهم سِوَى ذَلك شَيءٌ -أَصلًا-.

---

(١) برقم (٣٣٦٤).

(٢) هو سيدي محمد بن حبيب الله الشنقيطي، ولد سنة ١٨٦٥م، وأصله من بلاد شنقيط (موريتانيا)، ودخل بلاد الجزائر واستقر بها رفقة أخيه محمد الخضر حوالي سنة ١٨٨٠م، ونزل عند آل بودية، وتزوج منهم أم كلثوم بودية، وأنجب منها أحمد وبشير وفاطمة الزهراء.

ومكث الشيخ الشنقيطي بمدينة المشرية الجزائرية يعلم الناس العربية والنحو والفقه، وكان من الذين غرسوا في جيله حب الله عَزَّوَجَلَّ وحب رسوله ﷺ؛ فكان يحث الطلبة والناس بالتمسك بالقرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ.

ودرس على يديه عدد كبير من الطلبة؛ ومن أشهر تلاميذه: عبد الرحمن بودية ومحمد تقي الدين الهلالي.

مدحه جمع كبير؛ منهم الأستاذ محمد بن الطيب البوشيخي، قال عنه: «كان من أفضل العلماء في الزهد والتقوى ومكارم الأخلاق».

توفي سنة ١٣٣٨هـ -١٩٢٢م، ودفن في مقبرة (سيدي المربوح) في المَشريَّة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإيانا، وأدخله فسيح جناته.

من كتاب «من شموع مدينة المشرية» للأبيق براوي عبد الرحمن.

وللهلالي كلمة جيدة عنه في «ديوانه» المسمى «منحة الكبير المتعالي» (ص٣٠٤، ٣٩٥، ٣٩٨، ٥٦٧، ٥٦٩، ٧٠١)، وترجمتُ له في «صفحات مجهولة»، وفي تعليقي على «سبيل الرشاد» (١/ ٣١٤)، وتنظر: مقدمتنا لـ«سبيل الرشاد» (ص٩٣)، وله ترجمة في: «بلاد شنقيط، المنارة والرياض» (٥٥٨)، «تقي الدين الهلالي كما عرفته» (١٤ - ١٥).

ولمَّا كنْتُ عندَ الإخوانِ في نَجْدٍ؛ رأَيْتُ أنَّهم يَعيشون باللَّبنِ المَخيضِ المنزوعِ زُبْدُه -فقط-، وهم في غايَةِ القُوَّةِ والصِّحَّة[١]، والحكاياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ.

والمرادُ: أنَّ المعيشَةَ إذا كانَتْ ساذَجةً؛ لا تَحتاجُ إلى كثيرٍ مِن الألفاظ، وأنَّ الإنسانَ الأَوَّلَ -كَما يَقولُ عُلماءُ نَشْأَةِ الإنسانِ- كانَتْ مَعيشَتُه ساذَجةً جدًّا؛ فلا حاجَةَ به إلى مئاتِ الكَلِمات فَضْلًا عنِ الآلافِ.

وإذا تَبيَّنَ ذلك؛ أَمكنَنا أَنْ نَفرِضَ أنَّ اللهَ أَلهمَه كلماتٍ قَليلةً كانَتْ كافيَةً لمعاشِهِ، ثمَّ أخذَتْ لُغَتُه تَتَّسعُ باتِّساعِ مَعيشتِه وحاجاتِه، هذا؛ ولمَّا خلَقَ اللهُ الإنسانَ ليعيشَ بكدِّه وعرَقِ جَبينِه -كما في «التَّوراةِ» وفي بعضِ التَّفاسير-؛ كان مخصوصًا بالإلهامِ[٢] في تسميةِ الأشياءِ دونَ الملائكةِ؛ لأَنَّهم لا حاجَةَ

---

(١) انظر: «الدعوة إلى الله» (ص٤٦٢ - بتحقيقي) للمصنِّف، ومقالة له بعنوان (التمسك بالكتاب والسنة في تاريخ ملوك المغرب ونتائجه الحسنة) نشرت في مجلة «دعوة الحق» السنة العشرون، العدد الثاني والثالث، بتأريخ ربيع الثاني ١٣٩٩هـ - مارس ١٩٧٩م، (ص٥٠ - ٥٥).

(٢) تعليم الله -تعالى- آدم الأسماء: إمَّا بطريقة التلقين بعرض المسمى عليه، فإذا أراه؛ لُقِّن اسمه بصوت مخلوق يسمعه، فيعلم أن ذلك اللفظ دال على تلك الذات بعلم ضروري، أو يكون التعليم بإلقاء علم ضروري في نفس آدم، بحيث يخطر في ذهنه اسم شيء عندما يعرض عليه؛ فيضع له اسمًا بأن ألهمه وضع الأسماء للأشياء ليمكنه أن يفيدها غيره، وذلك؛ بأن خلق قوةَ النطق فيه، وجعله قادرًا على وضع اللغة؛ كما قال -تعالى-: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣ - ٤]، وجميع ذلك تعليم؛ إذ (التعليم) مصدر (علمه) إذا جعله ذَا علم، مثل (أدَّبه)؛ فلا ينحصر في التلقين، وإنْ تبادَر فيه عرفًا.

انظر: «التحرير والتنوير» (١/ ٣٩٦) لابن عاشور، وينظر ما قدمناه قريبًا.

بهم إلى أسبابِ المعيشةِ، فلم يُلهَمُوا أَسماءَها.

وكُلُّ ما ذَكرْنَاه؛ فهوَ مِن الفُروضِ المقبولةِ، الَّتي وصلَ إِليها العُلماء بالبَحثِ والاستقراءِ والاستدلال، أمَّا العلمُ اليَقِينيُّ -مِن الوِجهَةِ العقليَّةِ- بكيفيَّةِ ظهورِ اللُّغاتِ؛ فإنَّ العِلْمَ الإنسانيَّ لا زالَ عاجِزًا عنه، مُعترفًا بقُصورِه، جادًّا في الطَّلبِ والدَّرسِ، فسُبحانَ مَن تَفرَّد بالكمالِ والعِلْمِ المطلَقِ، لا يَخْفَى عليهِ شَيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماء(١).

(١) لا جرم أن هذا أبين وجوه الطريقة التي يمكن أن توحي بها الفطرة في تاريخ المواضعة على اللغات؛ وهي السنَّة التي لا تزال تجري عليها أحكام الخلق في كل ما يتكون وينشأ، ثم هي متحققة بما يقطع الريب في هذا الخَلق السويِّ الذي يعقل ويفكر؛ وهو الإنسان معجزةُ المخلوقات، الذي يتكوَّن جنينًا كسائر الأجنَّة الحيوانية، لا فرق بينه وبينها في التركيب.

ولكن هذا الذي أتى على اللغة إنما تم في دهور متطاولة، وعلى طريقة وراثية بطيئة؛ لأن جماعات الإنسان -يومئذ- لم تكن (أكاديميات) أو مجالس علماء يُبَتُّ فيها الرأي وتُقطع الكلمة، ولكنها كانت طبيعية، وأعمال الطبيعة لا حساب لها في عرف الإنسان ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

ومما نستوفي به **(الفائدة الظنية)** في هذا الفصل: أنَّ علماء طبقات الأرض حققوا -بعد ما عانوه من البحث، وما تهيأ لهم من أنواع الاكتشاف- أن الحيوانات التي كانت تكتنف الإنسان في أول نشأته الأرضية ليست من الأنواع التي نعهدها اليوم؛ بل كانت غاية في العِظَم والهَول وشدَّة المراس، لا جرم كانت هذه الحالة مضطرةً للإنسان إلى الاصطلاح في مخاطبة نوعه كلَّما نَذِر بها، كما كانت هي الباعثة له على انتقاله من أول أطواره إلى الطَّور الثاني الذي هو بداية تاريخ العقل الاجتماعي الساذج، وذلك؛ أن **العلماء يجعلون الزمن من نشأة الإنسان الأرضية إلى بداءة التاريخ ثلاثة عصور**: عصر التوحش المطلق، وعصر الحجر، وعصر البرنز، ويليها عصر الحديد الذي يبتدئُ مع إنسان التاريخ، **وهذا التقسيم عنه يصح أن يطلق على اللغة -أيضًا-**، فعصر التوحش فيها هو الذي خرجت فيه الأصوات الوجدانية مصحوبة بالإشارات =

= -أولًا-، ثم استقلَّت هذه عنها، وعصرها الحجري هو الذي ابتدأ فيه الإنسان ينحت من المقاطع الحيوانية والطبيعية لغته الأولى، وعصرها البرونزي -الذي يدخل فيه شيء من الصناعة- هو العصر الذي اهتدى فيه الإنسان إلى الزيادة على المقاطع الثنائية وصنعة الألفاظ على هذا الوجه، ثم انقادت له اللغة وتماسكت، وذلك عصرها الحديدي الذي ابتدأ مع التاريخ.

ومما يستأنس به: أن تلك المخلوقات الهائلة التي كانت لعهد النشأة الأولى وانقرضت، ربما كان في أصواتها بعض مقاطع متنوعة يتألف من مجموعها (أبجدية) صالحة، وهي التي ورثها الإنسان وركَّب منها أصول لغته، وذلك؛ فضلًا عن جهارة الصوت وشدَّته التي تترك له أثرًا في النفس هنيهة، يتمكن فيها الإنسان من استيفاء صنعة التقليد الصوتي على أتم وجوهها، والله أعلم بغيبه.

فاللغات قبل التاريخ بزمنٍ لا يُذكر التاريخ في حسابه، وقد تمشت على سنن الاجتماع، وجرت معه في طريق واحدة، ولا يزال ذلك من أمرها إلى اليوم في الشعوب المنحطَّة؛ فإن من أهل أستراليا مَن ليس في لغتهم من العدد إلَّا واحد واثنان (نتات، نايس)، فإذا عدُّوا ثلاثة؛ جمعوهما، وإذا أرادوا أربعة؛ كرروا لفظ (نايس)، ويكررونه مع لفظ الواحد إذا عدُّوا خمسة، فإذا بلغوا الستة؛ كرروه ثلاث مرات، ثم يقرنون بها لفظ الواحد للسبعة، وذلك منتهى ما يعدون، أمَّا ما وراء السبعة؛ فيشيرون إليه بلفظ (كثير)، وما كانت لفظة الكثرة لتطلق على الثمانية كما تطلق على الثمانين -مثلًا- إلَّا لأن ما بين المعنيين من الجزئيات غير مضبوط في نظام الاجتماع؛ بل هو مطلق فيه، وكذلك يطلق الاسم عليه.

وقد وجد علماء اللغات -أيضًا- أن من أولئك من يعبرون عن معنى الصلابة بلفظ (الحجر)، وعن معنى الاستدارة بلفظ (القمر)، وهكذا من المترادفات التي هي أصول طبيعية ثابتة لتلك المعاني المتفرعة.

وذكروا أن أهالي (المكسيك) القدماء لما رأوا السفينة أول مرة سموها (بيت الماء)، وأن أهل (ميسوري) لم يكن عندهم غير الأدوات المتخذة من الصُّوان، فلما جيء إليهم بالحديد والنحاس؛ سموا الأول حجرًا أسود، والثاني حجرًا أحمر، وأن بعض أهالي أمريكا لمَّا رأوا الخيل أول مرة -ولم تكن في أرضهم- اختلفوا في تسميتها؛ فبعضهم سمَّى الجواد (الكلب المسحور)، وآخرون سموه (الخنزير الحامل =

= للإنسان)، وكذلك لما رأى أهل (المكسيك) المعزى -ولم يكونوا عرفوها من قبل- سموها (رأس شجرة وشفة شعر)، ومثل هذا كثير أحصاه علماء اللغات، ودلوا عليه بألفاظه في منطق أهله، فلا بد أن تكون كل اللغات قد جرت في ارتقائها على هذا النحو الذي حفظه التاريخ في جملة أدلته، والذي هو بسبيل ما تخلِّده الطبيعة مما يعتبر به الآخرون من أمر الأولين.

ولما كانت اللغة تابعة لأحوال الاجتماع في البسط والقبض، وما يتقلب عليه ويحدث فيه، بحيث لا تخرج عن أن تكون مرآةً تظهره كما هو في نفسه، مهما تنوعت أشكاله واختلفت أزياؤه؛ كان لا بد أن تتغير بحسبه ما دامت مستعملة فيه، وهذا التغير هو حقيقة الاصطلاح والمواضعة، فالإنسان لما ارتجل المقاطع الثلاثية؛ دلَّ بها على معانٍ محصورة في حدود نظامه الاجتماعي، ثم ضرب في الكلام بمقدار ما يجدُّ من أمره، وما يتنبه إليه من حقائق الموجودات التي تكاشفهُ بنفسها، وما يقتضيه التبسط في مناحي المجتمعات شيئًا فشيئًا، وذلك؛ على طريقة تكرار الألفاظ وتنويعها للمعاني المختلفة بدلالة القرينة، وهذا النحو لا يزال باقيًا في اللغة الآكادية؛ فإنهم يدلون بلفظة لا تعدو هجاءً واحدًا على خمسة عشر معنًى، وهي لفظة (ga) أو (ca) يدلون بها على الفم والوجه والعين والأذن والشكل والقدم والرجل والنظر والتكلُّم والمدينة، وهذا أكثر معانيها.

ثم يعبر الإنسان عن المعاني بما يرادفها من ألفاظ المحسوسات؛ كما يعبر أهل المكسيك عن معنى الصلابة بلفظ (الحجر)، وكما وجدوا في الكتابة الهيروغليفية بمصر والصين والمكسيك -أيضًا-، وهي الكتابة الصُّورية؛ فإنهم يرسمون الشمس ويريدون بها التعبير عن الضوء، ويرسمون القمر ويعبرون به عن الليل، وإذا أرادوا أن يدلوا على المشي -مثلًا- رسموا ساقي رجُل في حال الحركة، وهلمَّ على هذا القياس، مع أن هؤلاء وإن كانوا في أقدم عهد الكتابة؛ إلَّا أنهم في أول عهد التاريخ، فأحْرِ بالمتكلِّمين أن يكونوا كذلك في أول عهدهم بالدلالة المعنوية، ومن هذا القبيل أن زنوج (غريبو) يدلُّون على معنى الغضب بما ترجمته: «قد نتأ عظم في صدري»!

ويرتقي الإنسان من ذلك التعبير عن غرائب الاجتماع في عهده؛ على نحو ما رأيت من تسمية الخيل والمعزى، وكما فعل سكان جزيرة (فاكومز)، فإنهم لمَّا رأوا أول رجل أوروبي دخل بلادهم؛ سموه بما ترجمته: «طويل وجه شعر رجل»، ولفظها =

الحلقة الخامسة

قالَ -تعالى-: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] (صدق الله العظيم).

إنَّ ذلكَ لآيةٌ مِن أَعْظَمِ آيَاتِه، وقَد زَعَم بعضُهم أَنَّ سببَ هذا الاختلافَ؛ هو اختلافُ طبائِعِ البُلدانِ، فكلُّ بلَدٍ وقُطرٍ يَتكلَّمُ أَهلُه بلُغةٍ تُناسِبُ طبيعتَه، ولا يَخفى فسادُ هذا الفَرَض، **وقَد ردَّه العلماءُ مِن وجهَين:**

الوَجهُ الأول: أَنَّ الطَّبيعةَ لا تَعمَلُ إلَّا عَملًا واحدًا -على مَذهبِ مَن يَقولُ بعمَلِها-، وتَأْليفُ اللُّغةِ يَقتضي أَعمالًا عديدةً.

والثاني: أَنَّ أَهلَ القُطرِ الواحِدِ يتكلَّمون بلُغتَين فأَكثر، ولَو كان للأَمْكنةِ أَثَرٌ في لُغاتِ أَهلِها؛ لَما أَمْكنَ تَكلُّمُ أَهلِ الإقليمِ الواحِدِ إلَّا بلُغةٍ واحدَةٍ.

= في لغتهم (يكبيكو كسالكوس)، ثم استمروا يصقلونها ويخففون من ثقلها بمقدار ما تخف هذه الدهشة الأولى، حتى صارت الكلمة في لغتهم -بعد أن ألفوا الأوربيين- (يكبوس).

ومتى بلغ الإنسان إلى هذه الدرجة؛ فقد صار في أعلى سلم الاجتماع الطبيعي، وحينئذ؛ تدخل اللغة في الطور الصناعي، وتجري عليها أحكام الاشتقاق والنحت والقلب والإبدال، ويفعل الزمن فعله فيها كما يفعل في تكوين الجماعات، وبذلك؛ تتنوع وتنشأ منها اللغات الكثيرة؛ قاله مصطفى صادق الرافعي في «تاريخ آداب العرب» (١/ ٥٠ - ٥٤).

فثَبتَ ما قدَّمناه؛ وهو أَنَّ اللُّغةَ إلهامٌ مِن اللهِ -تعالى-، أُلهِمَها الإنسانُ الأوَّلُ على الوَجهِ الَّذي مَرَّ تَفصيلُه، وبِتطاوُلِ الآمَادِ، وتَناسُلِ النَّوعِ الإنسانيِّ، وتفرُّقِه إلى عمائرَ وعشائِرَ وقبائِلَ وشعوبٍ، ثمَّ إلى مُدنٍ وقُرًى وباديَةٍ، واختلافُهم في المعايشِ والعقائِدِ والأَفكارِ والأَخلاقِ والأَعمالِ؛ نشأَ الاختلافُ في اللُّغاتِ(١)، وأخذَتْ تَتغايَرُ؛ فاشْتُقَّ -أوَّلًا- مِن اللُّغةِ الوَاحدةِ لغاتٌ، ثمَّ اشْتُقَّ

(١) الأصل في تشعُّب اللغات تشعُّب الجماعات؛ فإن اللغة بنت الاجتماع، وهي ألفاظ مِلْك السامع -في الحقيقة- لا مِلْك المتكلِّم؛ لأنها لا يُلْغَى بها لغْوَ الطائر! ولكنها تُلقى لدلالة خاصة يعيِّنها الاصطلاح العُرفي بين المتكلِّم والسامع، وهذا الاصطلاح عملٌ اجتماعي محض، لا يتهيأ لفرد فيما بينه وبين ذات نفسه، إنَّ هذا الاختلاف لا يتعلَّق بسر الوضع اللغوي؛ إذ هو إلهام مخلوق في فطرة الإنسان، ولكن اختلاف اللغات عملٌ صناعي، تكيِّفه حالة الاجتماع كما تكيِّف سائر الأحوال من العادات وأمثالها، ولهذا؛ كانت حقيقة معنى اللغة أنها مجموع العادات الخاصَّة بطائفة من طوائف الاجتماع.

هذا هو التعريف المعنوي، أمَّا تعريف اللغة باللفظ؛ فهو -كما يقولون- «ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

فلا يمكن القطع -إذن- بأنَّ أصل اللغات -كلِّها- لغة واحدة، إلَّا إذا نهض الدليل على أن النوع الإنساني في أول وجوده لم يكن إلَّا جماعة واحدة، أو كان جماعات مختلفة، ولكنها تتفق في حالة جامدة من أحوال الحياة الاجتماعية؛ كالحيوان السائم الذي لا يتعدَّى درجة معينة من الإلهام على تفاضل أنواعه فيما دون ذلك، وهذا -أي: نهوض الدليل- بعيد عن اليقين؛ بل هو بعيدٌ عن الظن -أيضًا-؛ لأنَّ «الظن العلمي» أضعف مراتب اليقين.

نقول هذا؛ لنقطع بأنه لا يمكن تعيين الأمَّهات التي ينتهي إليها التسلسل اللفظي، ولا الحكمُ بأصالة لغة دون غيرها؛ كالذين يقولون إن آدم الألسنة أو لسان آدم كان سريانيًّا أو عبرانيًّا أو نحو ذلك، فإن الإنسان الأول أمرٌ من الأمور الغيبية، والزمان -نفسه- لا يهتدي -الآن- إلى موطئ قدمه من الأرض، ولا يعلم الغيب إلَّا الله.

وإن ما حصره علماء اللغات من ذلك وعدوه أمهات؛ إنما هو خاص بالأزمنة =

مِن كُلِّ واحدةٍ لغاتٌ؛ كما تَراه في أصولِ اللُّغاتِ السَّاميةِ واللَّاتينيَّة والجرمانيَّة والصِّقِليَّة[١] وغيرِها، بل حقَّقَ علماءُ هذا الشَّأنِ: أَنَّ هناك لُغَةً قديمةً جدًّا؛ هي أَصلُ اللُّغاتِ الأوربِّيَّة، وأَصلُ هذه اللُّغةِ هِنْديٌّ، وهذا البَحثُ واسِعٌ[٢]، لا نُريدُ

= المتأخرة التي أحصاها التاريخ، مما يرجع إلى حد من الزمن يختلفون في تقديره من ٣٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ سنة، على أنهم يقولون إن الإنسان الأول نشأ على ضفاف الفرات ودِجلة بين العراق وأرمينيا؛ فتناسل هناك، وكانت ذريته بعضها من بعض، ثم انساحت الجماعات وتفرقت بما يلجئها من الأسباب الطبيعية: كضيق الوطن، وبَغْي بعضهم على بعض، فضربوا في الأرض، وبهذا؛ تنوعت الجماعات أو دخلت في أسباب التنوع الذي هو الأصل في تفرع اللغات.

ومن ذلك ما أشارت إليه «التوراة» -أقدم كتاب تاريخي- مما يعرف بحكاية تبلبل الألسنة «سفر التكوين» (الإصحاح الحادي عشر)، وذكر تفرُّق الأمم التي انشعبت من نسل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الطوفان؛ فكانت لغة كل فئة تنفصل عن أمِّها، ثم تنمو وتتغير بالاستعمال؛ فتصير أمًّا لفروع أخرى، وهلم جرًّا. «تاريخ آداب العرب» (١/ ٥٥ - ٥٦).

(١) في الأصل: «صقليبة».

(٢) ردُّوا اللغات إلى ثلاثة أصول: الأصل الآري، والسامي، والطوراني؛ وهم يريدون بهذه الأصول: الأمم التي تتكلَّم باللغات الراجعة إليها، فيقولون: إنَّ الأمم التي تنطق اللغات الآرية؛ ترجع إلى أصل واحد في تاريخ الاجتماع، كذلك السامية والطورانية، ثم انشعب كلُّ أصل وانشعبت معه اللغة، ولكن؛ بقيت المشابهة في لغاتهم المتفرعة دليلًا تاريخيًّا على وحدة الأصل.

ويعدُّون من اللغات الآرية: السنسكريتية، وما خرج منها: كالهندية، والفارسية، والأفغانية، والكردية، والبخارية، وغيرها؛ وهي اللغات الجنوبية؛ ثم اللغات الشمالية؛ ومنها: اللاتينية، وفروعها: من الفرنساوية، والإيطالية، والإسبانية، والبورتغالية، وكذلك الهيلينية، ومنها: اليوناني القديم والحديث، والوندية، ومنها: لغات روسيا، وبلغاريا، وبوهيميا، والتيوتونية، ومنها: لغات إنجلترا، وجرمانيا، وهولاندا، والدانمارك، وإسلاندا. =

التَّعرُّضَ له، وإنَّما سُقْنَاه شَاهدًا للاختلافِ في اللُّغاتِ، فإِنَّ البُعْدَ -الآنَ- بينَ اللُّغاتِ الهنديَّةِ والأوربيَّةِ شاسِعٌ جدًّا؛ بل البُعْدُ بينَ اللُّغاتِ الأوربِّيَّةِ -نفسِها- كبيرٌ جدًّا، وخُصوصًا بين الأمَّهاتِ منها؛ كاللَّاتينيَّة والجرمانيَّة -مثلًا-.

وهناك مَبحثٌ آخَرُ نَفِيسٌ، يَلذُّ لطالبِ هذا العِلْمِ؛ **وهو يَتجلَّى في هذا السُّؤال:**

ما هي اللُّغةُ الأصليَّةُ الَّتي عَلَّمها اللهُ آدَمَ وألْهَمَه إيَّاها، ومِنها نشأَت اللُّغاتُ المختلِفَة؟

وَلْنُقدِّمْ بينَ يَدي هذا المبحَثِ كَلامًا لابنِ حَزْمٍ؛ قال في «الإحكامِ (ص٣١):

«وَلا نَدري أيَّ لُغَةٍ هي الَّتي وَقفَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَليها! إلَّا أنَّا نَقطَعُ أنَّها أتَمَّ اللُّغاتِ -كلِّها-، وأَبْيَنها عِبارَةً، وأَقلَّها إشكالًا، وأَشدَّها اخْتِصارًا، وأَكْثَرَها وُقوعَ أَسماءٍ مُختلفةٍ على المُسمَّياتِ -كلِّها-، مِن جَوهَرٍ(١) أو عرَضٍ(٢)؛

= أمَّا الطورانية؛ فيعدون منها الفروع التركية التي يُتكلَّم بها ما بين آخر حدود النمسا الشرقية وآسيا الصغرى، فالتتر إلى ما وراء أواسط آسيا، وشمالًا إلى حدود سيبريا، وهي لغات كثيرة.

وهذا كلُّه وإن كان ليس من حاجتنا، ولا نريد التكثُّر به، إلَّا أننا سُقناه كما قالوه؛ بيانًا لِمَا ذهبوا إليه من الرأي في تنوُّع الجماعات، وأصل انشعاب اللغات، والله يقول في مُحكم تنزيله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. «تاريخ آدب العرب» (١/ ٥٧).

(١) الجوهر: هو الذات والماهية والحقيقة، أو ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع، وهي منحصرة في خمسة: هيولى، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل.
انظر: «الكليات» (٣٤٦)، «التعريفات» (٨٣)، «التوقيف» (٢٥٨ - ٢٥٩).

(٢) سبق تعريفه (ص٤٠٣). =

لِقَولِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، فَهَذا التَّأْكيدُ يَرفَعُ الإشكالَ ويَقْطعُ الشَّغَب فيما قُلْنا».

أقولُ: وما استَدَلَّ به أَبو محمَّد على أَنَّ لُغَةَ آدمَ هي أَكمَلُ اللُّغاتِ، وأَكثَرُها دِلالَةً على كلِّ ما في العالمِ مِن جوهَرٍ وعَرَضٍ؛ **فيه نَظَرٌ بيِّنٌ!** لِمَا قدَّمْناه في أوَّلِ هذِه المباحثِ من أنَّ لُغةَ آدمَ كانَتْ ساذَجةً ابتدائيَّةً؛ لأَنَّ المُسمَّياتِ الكثيرةَ الَّتي وُجِدَتْ في عَصْرِ الحَضارةِ لم توجَدْ دفعَةً واحدةً، وإنَّما وُجدَتْ بالتَّدريج، وَلا يُمكِنُ -طَبعًا- أَنْ تُوجدَ الأَسماءُ قَبْلَ المسمَّيات، ولا فائدَةَ في مَعرفتِها وحِفْظِها في الأُمورِ الدُّنيويَّة، وقوله -تعالى-: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] الظَّاهِرُ أنَّ (ال) في ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾ لَيْسَت للجِنْسِ أو الاستغراقِ؛ وإنَّما هي للعَهْد الذِّهنيِّ[(١)]، فالمُرادُ: أَسماءُ الحاجاتِ الَّتي يَحتاجُها آدمُ في مَعيشتِه؛ وهي قَليلَةٌ -كما قَدَّمنا البُرهانَ على ذلك-.

---

(١) التعريف في (الأسماء) تعريف الجنس، أريد منه الاستغراق؛ للدلالة على أنه عَلَّمه جميع أسماء الأشياء المعروفة -يومئذٍ- في ذلك العالم، فهو استغراق عرفي؛ مثل: جمع الأمير الصاغَةَ -أي: صاغة أرضه-، وهو الظاهر؛ لأنه المقدار الذي تظهر به الفضيلة، فما زاد عليه؛ لا يليق تعليمُه بالحكمة وقدرةُ الله صالحة لذلك.

وتعريف الأسماء يفيد أن الله علَّم آدم كل اسم ما هُو مسماه ومدلوله، والإتيان بالجمع -هنا- متعين؛ إذ لا يستقيم أن يقول: (وعلَّم آدم الاسم)، وما شاع من أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع في المعرف باللام؛ كلامٌ غير محرر، وأصله مأخوذ من كلام السكاكي!

و﴿كُلَّهَا﴾ تأكيد لمعنى الاستغراق؛ لئلَّا يتوهَّم منه العهد، فلم تزد كلمة (كل) العمومَ شمولًا، ولكنها دفعت عنه الاحتمال.

انظر: «التحرير والتنوير» (١/ ٣٩٥ - ٣٩٦)، وهو المنقول عن السلف.

وانظر: «البحر المحيط» (١/ ١٤٥)، وما علَّقناه قريبًا (ص٤٥٣).

ثمَّ قال أبو محمَّد: «وقَد قال قومٌ: هي -أي: اللُّغةُ الأُولى- السُّريانيَّة، وقال قوم: «هي العبرانيَّة»، وقال قوم: «هي العَربيَّة»[1]، واللهُ أَعلَمُ، إلَّا أنَّ الَّذي وقَفْنا عَلَيه، وعَلِمناه -يَقينًا-: أنَّ السُّريانيَّة والعبرانيَّةَ والعربيَّةَ -الَّتي هي لغَةُ مُضَر وربيعةَ، لا لُغَة حِمْيَر- لُغَةٌ واحدَةٌ، تَبدَّلَتْ بِتَبدُّلِ مَساكِنِ أَهلِها؛ فحدَثَ فيها جَرشٌ -أي: خَلطٌ ومَزْجٌ وتَغيُّر-، كالَّذي يَحدُث مِن الأَندلسيِّ إذا رَامَ نغمةَ أهلِ القَيروانِ -أي: لِسانَهم-، ومِن القَيروانيِّ إذا رَامَ نغمَةَ الأَندلسيِّ، ومِن الخُراسانيِّ إذا رامَ نَغْمَتهما، ونحنُ نجِدُ مَن سَمِعَ لغَةَ أَهْلِ فحص البلُّوط -وهي على ليلةٍ واحدةٍ مِن قُرطبَةَ-؛ كادَ أَنْ يَقولَ: إنَّها لغَةٌ أُخرى غيرُ لغةِ أَهلِ قُرطبَة، وهكذا في كثيرٍ من البلادِ، فإنَّه بمُجاورَةِ أهلِ البَلْدةِ لأمَّةٍ أُخرى؛ تَتبدَّلُ لُغَتُها تبديلًا لَا يَخْفى عَلى مَن تَأمَّلَه، ونَحن نَجدُ العامَّةَ قد بَدَّلَتِ الألفاظَ في اللُّغةِ العربيَّةِ تبديلًا، وهو في البعدِ عن أَصلِ تلك الكلمةِ كلُغةٍ أُخرى، وَلا فَرْق، فنَجدُهم يقولون في (العِنَب): (العَيْنَب)، وفي (السَّوط): (أسطوط)، وفي (ثلاثةِ دنانير): (ثلثدَّا)، وإذا تَعرَّب البربريُّ فأَراد أَن يقولَ: (الشَّجرة)؛ قال: (السَّجرة)، وإذا تَعرَّبَ الجليقيُّ؛ أَبْدَلَ مِن العَينِ والحَاءِ هاءً، فيقول: (مُهَمَّدًا) إذا أَراد أَنْ يَقولَ: (مُحمَّدًا)، ومِثْلُ هذا كثيرٌ، فمَن تَدبَّرَ العربيَّة والعِبْرانيَّةَ والسُّريانيَّة؛ أَيقَنَ أَنَّ اخْتِلافَها إِنَّما هوَ مِن نحوِ ما ذَكَرْنا مِن تَبديلِ أَلفاظِ النَّاسِ، على طُولِ الأَزْمانِ، واختلافِ البُلدانِ، ومجاورةِ الأُمَم، وإنَّها

(١) ذهب مصطفى صادق الرافعي في «تاريخ آداب العرب» (١/ ٦٦) إلى أنها البابلية، غير أنه قال عن هذا: «لا يعدو في برهانه الظن والاستئناس»!
وعلى هذه المشابهة ووجوهها المختلفة: بُنِيَ عِلم مقارنة اللغات السامية.

لُغَةٌ واحدَةٌ في الأَصْل»[١].

أقولُ: هذا الكلامُ عن أبي محمَّد يَشتمِلُ على فوائِدَ جليلَةٍ في هذا العِلْمِ؛ **هي غَايَةُ ما وَصَلَ إليهِ الباحثون مِن عُلماءِ اللُّغات في هذا العَصرِ؛ الَّذي ازْدَهر فيه هذا العِلْمُ، وبَلَغَ شأوًا بَعيدًا في الرُّقِيِّ**، وهو يَحتاجُ إلى تَعليقٍ يُبيِّنُ وجْهَ الاتِّفاقِ بينَه وبينَ أَفكارِ العُلماءِ العَصريِّين، وقَد ضاقَ هَذا المقالُ عَنْه؛ فمَوعِدُنا المقالَةُ التَّاليةُ -بحَولِ اللهِ وقوَّتِه-.

---

(١) هذا ما قاله ابن حزم؛ **وهو قوي جدًّا**، وواضح معقول، لا تنقضه أوهام الواهمين، ولا أهواء ذوي الأغراض؛ قاله العلَّامة أحمد شاكر في «تعقباته على دائرة المعارف».

الحلقة السادسة

نستهِلُّ هذا المقالَ بما وعَدْنا بهِ مِن التَّعليقِ على كلامِ ابنِ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛

وذلك يَنتظِمُ مَسائِلَ:

المَسْأَلةُ الأُوْلى: مَا هيَ اللُّغَةُ الَّتي أَلْهَمَها اللهُ الإِنسانَ الأَوَّلَ؛ فَاسْتَعْمَلها في مَعاشِه، وعبَّر بها عن أَفكارِه؟

قال أبو محمَّد: «زَعمَ قَومٌ: إنَّها السُّريانيَّةُ. وقال آخَرون: إنَّها العِبرانيَّةُ. وقال نَاسٌ: إنَّها العربيَّةُ، واللهُ أَعلَمُ».

أَقولُ: عدَمُ الجَزْمِ بأَوَّلِ لُغةٍ تَكلَّمَ بها آدَمُ وبَنوه الأَدْنَون أَو الإِنسانُ الأَوَّلُ -على حَدِّ عبارَةِ الـمُعاصِرين مِن البَاحِثِين-؛ **هوَ الَّذي انْتَهى إِليهِ البَحثُ حتَّى في هذا العَصْر، فإِلى الآن؛ لم يُسْفِرِ البَحْثُ عن أوَّلِ لُغَةٍ نَشأَتْ في الأَرْضِ**، ولا يَستطيعُ عالِمٌ أَنْ يُشير إلى لُغَةٍ ويَقولُ: هذه أَقدَمُ اللُّغاتِ على الإِطلاق.

وأَبو محمَّد ابنُ حَزْم مِن علماءِ القَرْنِ الخامسِ[1] في الجَزيرةِ الأَندلسيَّةِ الزَّاهرةِ؛ الَّتي بلَغَ فيها العِلْمُ والمدَنيَّةُ إلى درجةٍ أَدْهشَتِ العالَم المتمدِّنَ

(١) توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سنة (٤٥٦هـ).

-اليومَ-[١]، فأَنْتَ تَرى ما قَرَّره الإِمامُ المحقِّقُ ابنُ حَزْمٍ في هذه المسأَلَةِ؛ هو أَقْصى ما وَصَل إليهِ العِلْمُ -اليَومَ-، وستَمرُّ بكَ مَسائِلُ أُخْرَى لا تَقِلُّ عن هذه تَحقِيقًا.

المسأَلَةُ الثَّانية: قَرَّرَ ابنُ حَزْمٍ أَنَّ اللُّغاتِ السُّريانيَّة والعبرانيَّة والعربيَّة أصلُها واحِدٌ[٢] -بلا شَكٍّ-، ولا يُمكِنُ أَن يَتَوصَّلَ إلى الجَزْمِ بهذا إلَّا مَن درَسَ هذه وعَرَفها، ولا سِيَّما وهو يقولُ ما نصُّه: «إِلَّا أَنَّ الَّذي وَقفْنَا عليهِ وعَلِمناه -يَقينًا-: أنَّ السُّريانيَّةَ والعبرانيَّة والعربيَّة -الَّتي هي لُغَةُ مُضَر وربيعةَ، لا لُغَةَ حِمْيَر- لُغَةٌ واحدَةٌ، تبدَّلَتْ بِتبدُّلِ مَساكِنِ أَهلها؛ فحدَث فيها جرشٌ -أي: خَلْطٌ ومَزْجٌ-، كالَّذي يحْدُث مِن الأَندلسيِّ إِذا رامَ نَغْمةَ -أيْ: لُغَةَ- أهلِ القَيْروان».

فقَوْلُه: «وَقَفْنا عليهِ وعَلِمْناه -يَقِينًا-»؛ لا يُبْقي فيما قلناه شَكًّا، وعَلى هذا؛ يُمْكِنُنا أَنْ نقولَ -بِلا تَردُّدٍ ولا رَيبٍ-: إنَّ المدرسةَ الأندلسيَّة العبقريَّةَ لم يَفتها عِلم الفُيلولوجيا، وإِنَّ ما يَظنُّه بعضُ العلماءِ المعاصرين مِن أَنَّ هذا العِلْمَ هو مِن مُكتَشفاتِ القَرْنِ الماضي؛ ليسَ صَحيحًا على إِطلاقِه.

نعم؛ إِنَّ ما وَقَفْنا عَليه مِن كلامِ القُدماءِ وَتآليفِهم: يَدُلُّ على أَنَّ عِلْمَ الفُيلولوجيا كان غيرَ مَعنيٍّ بِهِ العِنايَةَ التَّامَّة، ولم يَبْلُغ مِن الازْدِهارِ والانتشارِ

---

(١) قام الهلالي بترجمة كتاب «مدنية المسلمين في إسبانيا» لجوزيف ماك كيب، وحققتُه، ووضعتُ في آخره ستة ملاحق، ونشرتُه عن دار اللؤلؤة في بيروت، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(٢) انظر: ما قدمناه (ص١٣٢) عن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في تقارب العربية مع العبرية.

ما بَلَغَ إليهِ في العَصر الأَخيرِ، غيرَ أَنَّنا نُسجِّلُ -بكلِّ إعجابٍ وفخرٍ- كَوْنَ ابنِ حَزْمٍ -وهو عالمٌ أَديبٌ، وإمامٌ في علومِ الدِّين -كلِّها-، وفي العلومِ العقليَّةِ القديمَةِ- كان فُيلولوجيًّا[١].

المسألَةُ الثَّالِثَةُ -وهي أَغرَبُ ممَّا تقدَّمَ تعريفُه-: بينَ لغةِ ربيعَةَ[٢] ومضرَ

(١) لم نجد لأحد من علماء العربية في التاريخ الإسلامي -كله- بحثًا يشبه ما وضع من تلك العلوم، حتى ولا في لهجات العرب -أنفسهم- ومعارضة بعضها ببعض؛ لأنهم لم ينظروا إلى اللغة بالعين الزمنية (التاريخ) التي تطمح إلى كل أفق؛ بل أخذوها على المعنى الديني الثابت الذي لا يتغير، وجعلوا عاليها سافلها؛ فاعتبروا أصل الفصاحة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن لغته درست من بعده، ثم كانت في القرآن الكريم والبلاغة النبوية؛ وهما أفصح ما عرف من الكلام، إلَّا أن قليلًا منهم -كأبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جني، والزمخشري- قد أصابوا من ذلك مَحَزًّا جرت فيه أقلامهم، وكان أسبقهم إلى الغاية ابن جني؛ فإنه بحث في وضع اللغة، ونشأتها، وحكم اشتقاقها، ومقابلة موادها بعضها ببعض، على أن هذا القليل الذي جاؤوا به؛ إنما كان بعد أن استفاضت المقالات، واستحرَّ الجدال بين أهل (الألسنة العريضة) من علماء الكلام؛ فتحرك المعنى الديني الثابت الذي سبق الإيماء إليه، وكان أثر ذلك في اللغة ما عرفته، ثم عاد الأمر كما بدأ؛ قاله مصطفى صادق الرافعي في «تاريخ آداب العرب» (١/ ٥٨ - ٥٩)؛ وفاته ذكر ابن حزم -كما رأيت-.

(٢) للدكتور مثنى فؤاد الخالدي أطروحة بعنوان «لهجة ربيعة وأثرها في الدراسات اللغوية والقرآنية»، وهي منشورة عن دار المأمون في الأردن، في (٢٥٠ صفحة)، ولم يتعرض لصلتها بالسريانية والعبرانية، ولم يسق فيها كلام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ -هذا- على أهميته.

وانظر عن لغة ربيعة ومضر، وصحة كلام ابن حزم في الإبدال الذي فيها -تبدل (كاف المذكر) سينًا- في: «المقامة الحصيبية في المفاضلة بين الفنون وأربابها وشرحها» (٨٤) للقاضي الرشيد أحمد بن الزبير (ت ٥٦٣هـ)، و«مميزات لغات العرب» (١٤، ٣١، ٣٣)، وقارنه بما تقدم (ص٤٧٠).

وصاحب «مميزات لغات العرب» هو العلَّامة حفني بك ناصف (وكيل محكمة طنطا =

-وهي اللُّغةُ العربيَّةُ؛ فجَعَلها شَقيقَةَ السُّريانيَّةِ والعِبرانيَّةِ-، وبينَ لُغَةِ حِمْير الجنوبيَّة؛ فبيَّن أَنَّها لُغَةٌ أُخرى ليسَتْ مُتَّصلةً باللُّغاتِ الثَّلاثِ؛ بل بَيْنها وبَيْنها بُعْدٌ، وهَذَا -أيضًا- مَا يُقرِّرُه عُلماءُ هذا العَصْرِ بعْدَ ما عَكَفوا على البَحْثِ الجِدِّيِّ عن لُغَةِ حِمْير، وجَمعوا كُلَّ ما عَثروا عَليهِ مِن الآثارِ، ودَرسوها؛ فَوصَلُوا إلى جَمْعِ حُروفِ المُعجَمِ منها، ولا يَزالون جادِّين في دَرْسِها لِتَحقيقِ

= الأهلية)؛ وهي الرسالة التي قدمها لمؤتمر المستشرقين في (ويانا) سنة ١٨٨٦م، وذكر في أولها ثمرتها؛ فقال (ص٦) -بعد كلام-: «وههنا وقفت على الضالَّة المنشودة، وتيقنت إمكان فتح الكنوز المرصودة؛ بأن تطبق جميع موادِّ الاختلاق الشائعة في اللغات العامِّية على ما يماثلها من لغات العرب الصحيحة، ويُنسب كلُّ من يتكلَّم بطريقة إلى أصحابها، وحينئذ؛ يمكن لأصحاب الأنساب المجهولة في مصر والشام والغرب والسودان والعراق وسائر الممالك التي افتتحها العرب؛ أن يعلموا إلى مَنْ ينتسبون، وبمن يرتبطون، سواءٌ -في ذلك- ارتباطُ النسب وارتباطُ الولاء والمحالفة، ويمكن -أيضًا- للقبائل المتفرقة في أقطار مختلفة -إذا كانت طريقة كلامهم متحدة- أن يعلموا أن لهم أصلًا واحدًا يجمعهم ويؤول إليه انتماؤهم.

ولعمرُكَ! ليس هذا بقليل عند من يَقدر الأمور حقَّ قدْرِها، ويَعنيه استخراجِ الدقائق التاريخية؛ بل هو أمر يتنافس فيه المتنافسون، ويسعى إلى تحصيله المجدُّون، وما الاستدلال بهذه الطريقة (طريقة الكلام) بأدنى خطورة ولا أقلَّ اعتبارًا من الاستدلال بالأحجار الصامتة والدفائن العتيقة، **وإني لأعجب كيف لم يتناول هذا الموضوع جَهابِذةُ العلماء ومشاهيرُ المتقدمين**، مع ما لهم من سَعة الاطلاع ورسوخ القدم؟! أو كيف لم يهتم المتأخرون بإذاعة ما كتب والحذوِ عليه إن كان قد كتب شيء في هذا المعنى؟!».

وألَّف العلَّامة شكيب أرسلان (صديق المؤلف) رسالة في هذا الباب؛ فقال في كتابه «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية» (١/ ٤٦٤): «ولقد حررتُ رسالة في علاقة اللهجات العربية بالتاريخ؛ ألقيتها في مؤتمر المستشرقين بليدن سنة ١٩٣١م، ونشرتها في مجلة «المقتطف»، وربما أطبعها على حدة -إن شاء الله-».

تَلفُّظِها، ولم يُتمُّوا -بعدُ- مَباحثهم فيها، وَلا اجتمَعَ لهم -مِن هذه- ما يَصِحُّ أَنْ يكونَ لُغةً تامَّةً تُدرَّس بجانبِ لُغاتِ الشَّرقِ العَربيِّ القَديمةِ؛ كالسُّريانيَّة والعبرانيَّة والآشوريَّةِ والحبشيَّة، ولذلك يكتبُ المستشرقون اللُّغةَ الحِمْيريَّةَ بالحروفِ العِبرانيَّةِ، لا بحروفِها -نَفْسِها-؛ لأَنَّها لم يتِمَّ تَحقيقُها -كَما قدَّمنا-، وكنْتُ مُشتاقًا إلى معرفَةِ هذه اللُّغةِ، ولكِنَّ عدَمَ نُضوجِ مَباحِثِها؛ مَنَعَني مِن جَعْلِها فَرْعًا مِن فُرُوعِ دِرَاسَتِي، وعَلى كُلِّ حالٍ؛ فكُلُّ عالمٍ فُيلولوجي يُكْبِرُ ابْنَ حَزْمٍ ويُجِلُّهُ عَلى تَفرِيقه بَيْنَ لُغَةِ مُضَر ورَبيعةَ وبينَ لُغةِ حِمْير، وهوَ مِن أَهْلِ القَرْنِ الخَامِسِ، وليسَ بِيدِه مِن الآثَارِ -عَلَى ما يَظهَرُ- عُشْرُ ما اكْتَشَفه عُلَماءُ العَصْرِ الحَاضِرِ في هذا البَاب.

المَسْأَلَةُ الرَّابعَةُ: قياسُهُ[(١)] تَولُّدَ اللُّغاتِ العربيَّةِ والسُّريانيَّةِ والعِبرانيَّةِ مِن اللُّغةِ الَّتي كانَ هَؤلاءِ الشُّعوبُ يَتكلَّمون بها -حينَ كانوا شَعْبًا وَاحِدًا-، على تَولُّدِ النَّغَماتِ العامِّيَّةِ في البُلدانِ المُختلفةِ في اللُّغةِ العَربِيَّةِ، وتَعليلُه بذلك بمُجاورَةِ الأُممِ الأَجنبيَّة؛ **هو الحقيقَةُ النَّاصعَةُ الَّتي تُقرِّرُها الجامِعَاتُ الأوربِّيَّة -اليوم-**، ولولا ضِيْقُ هذا المَقالِ؛ لَسُقْتُ أَمثلَةً مِن اللُّغاتِ الثَّلاثِ، وأَمثلَةً مِن اللُّغاتِ الدَّارجةِ، وقابلْتُ بينَها[(٢)]، ولَعلِّي أَعودُ إلى هذا البَحْثِ في مُناسبَةٍ

---

(١) القياس في غير الأحكام الشرعية هو حجة عقلية معتبرة عند ابن حزم؛ إن قام على الاستقراء التام.
انظر: مقدمتنا لكتابه «الصادع» (ص٧٩ - ٨٠).

(٢) المشابهة بين الأخوات الثلاث (العربية والعبرانية والسريانية) متحققة في جهات منها تحققًا يقطع الريب، ويمتلخُ الشبهة في أنهن أخوات أو فروع لأصل واحد، وأخصُّ ما يكون ذلك في الألفاظ الطبيعية التي لا تتغير بتبدل المواطن واختلاف =

....

= الحالة الاجتماعية، وهي التي سميناها (الألفاظ الخالدة)؛ كالأرض والسماء، وكثير من ظواهر الطبيعة وأعضاء الإنسان ونحوها؛ فإن مادتها فيهن واحدة، على اختلاف قليل في بعض الأوزان والمقاطع، مما يرجع أكثره إلى الخصائص المقوِّمة لهيئة كل لغة منها في منطوقها، وتجد في الأفعال والأسماء المشتقة دليلًا من ذلك في تناسب الوضع وتداني اللفظ، أمَّا الألفاظ الثابتة في اللغة الإنسانية التي هي خَلَف من لغته الأولى، وهي الضمائر؛ فإنها في اللغات الثلاث باقية على حالة واحدة، وإن لم تَخْلُ من الفروق العارضة التي لا بد منها في الهيئة المقوِّمة لمنطوق اللغة، والضمائر -كما لا يخفى- مادةٌ أصلية لا تؤثر فيها زيادةُ موادِّ اللغة أو نقصُها، وهذا مثال من حقيقة التشابه فيها:

العربية	العبرانية	السريانية
أنا	أنى	أنا
أنتَ	اِته(أ)	أنت
أنتِ	أت	أنتي
هو	هوا	هو
هي	هيا	هي
نحن	أنحنو	حنن
أنتم	اِتم	أنتون
أنتنَّ	اِتن	أنتين
هم	هِم	هنون
هنَّ	هِن	هنين =

(أ) ينطق الحرف الذي نضع تحته هذه الكسرة بالإمالة.

أُخرى -إِنْ شاءَ اللهُ-.

= فالمقابلة بين هذه الضمائر كافية في الدلالة على أن العربية مجانِسة لأختيها، وأنها أعذب منهما وأخف، والسبب في ذلك: أنها صُرِّفت على وجوه كثيرة؛ لأنها كانت غير مدوَّنة، بخلاف العبرانية -مثلًا-؛ فإنها مدونة من أقدم أزمانها، والكتابة نصٌّ على النص؛ فبقيت ثابتة كما هي، فضلًا عمَّا لقي العبرانيون من طول الاغتراب والتقلُّب بين أظهُر الأمم المختلة، وما ابْتُلُوا به من الجوائح السياسية في متعاقب أزمانهم، وكل ذلك قد خلا منه الغرب، وهم ليسوا من أهل المهن، ولا أورثتهم الطبيعة أسباب التبليد والغِرة والذل.

وبعد؛ فإن الكلام في مجانسة العربية لأخواتها من اللغات السامية طويل الذيل عند علماء اللغات، وقد فصَّلوه تفصيلًا وجاؤوا فيه بأشياء كثيرة من الحبشية والحميرية والعبرانية والسُّريانية والفروع الأخرى التي أومأنا إليها فيما سبق، مما لا محل لبسطه وتقريره؛ لأننا إنما نشير إلى التاريخ، وقد يكون المثال الطبيعي برهانًا فيه.

على أنه يخلص من جملة أبحاثهم: أن المشابهة بين العربية وباقي اللغات السامية أمرٌ لا ريب فيه، وعلى ذلك؛ فهي إمَّا أن تكون فرعًا من الأصل الذي انفصلن عنه -جميعًا-، ويكون أصل الوضع مستصحَبًا في جميعها على السواء، وإمَّا أن تكون مشتقة من بعض تلك الفروع، ثم كملت بما تناولته من غيرها إلى أن استقلت طريقتها المقوِّمة لها بعد ذلك، وكلا الرأيين قريب بعضه من بعضه في النسبة، غير أنهم يرجحون الرأي الأول -كما سلف بيانه-؛ قاله مصطفى صادق الرافعي في «تاريخ آداب العرب» (١/ ٧٣ - ٧٥).

الحلقة السابعة

مِن المسائِلِ الَّتي تَعْنِينا وتُهِمُّنا في هذه المباحِثِ؛ هذه المسألَةُ:

إذا تحقَّقَ لَدى أهلِ المدرسةِ الأندلسيَّةِ قَبْلنا بنَحْوِ عشرةِ قُرونٍ -كَما مَرَّ بك في المقالِ الَّذي قبْلَ هذا- أَنَّ اللُّغاتِ العربيَّةَ والسُّريانيَّةَ والعبرانيَّةَ -في الأَصْلِ- لغةٌ واحدةٌ، ولم يَزِدْ هذه الحقيقةَ مرورُ الزَّمانِ ومباحِثُ العلماءِ إلَّا ثُبوتًا وتأكُّدًا؛ فأَيُّ هاتِه اللُّغاتِ أَصلٌ، وأَيٌّ فَرْعٌ؟

ونَبدَأُ في جوابِ هذه **المسألةِ المهمَّةِ** بالاستماعِ إلى جوابِ المدرسةِ الأندلسيَّةِ العظيمةِ، ثمَّ نُعقِبُه بما تَقرَّر في هذا العصْرِ ممَّا يُوافِقُه أو يُخالِفُه.

قال في «الإحكام» (ص٣٢ مِن الجزءِ الأوَّل): «وَإِذَا قَد تَيقَّنَّا ذَلك -أي: إنَّ أَصْلَ اللُّغاتِ السَّامِيَةِ الثَّلاث واحدٌ-؛ فالسُّريانيَّةُ أصلٌ للعربيَّةِ والعِبرانيَّةِ -معًا-، والمستفيضُ أَنَّ أَوَّلَ مَن تكلَّم بهذه العربيَّة: إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي لغةُ ولدِه، والعبرانيَّةُ لغَةُ إسحاقَ ولغَةُ ولدِه».

أقولُ: هذا **بحثٌ نَفِيس؛ تَنقطِعُ أَعناقُ مَطايَا الفِكْرِ قَبْلَ الوصولِ إلى أغوارِه**، وسأَتكلَّم فيهِ كلامَ إنسانٍ خانَهُ الحَظُّ، وفرَّقَتِ الأَقدارُ بينَه وبينَ كُتبِهُ، ولا يجدُ في هذه البلادِ[1] مَراجِعَ تُساعِدُه في هذا الفَنِّ.

(١) يريد: تطوان في شمال المغرب.

أوَّلُ ما أُلَاحِظُه: **نُبوغَ ابنِ حَزْمٍ، واحْتِيَاطَهُ الدَّقِيقَ في التَّعبيرِ الَّذي لا مَثِيلَ لَهُ إلَّا في كَلام كِبَارِ البَاحِثين مِن أَهْلِ هَذَا العَصْرِ**؛ وذَلِكَ في قَولِهِ: «والمستفيضُ أنَّ أَوَّلَ مَن تَكلَّمَ بهذهِ العَربيَّةِ: إِسماعيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»، فَحَكى أَنَّ المرويَّ على طريقَةِ الاستفاضَةِ -يَعني: اللُّغويَّة، لا الخاصَّة بمُصطلَحِ الحديثِ فِيما يَظهَرُ- هو أنَّ أَوَّل مَن تكلَّمَ بهذه العربيَّة إِسماعِيلُ، ولم يجزِمْ به، ولم يَقُلْ: «والَّذي نَعلَمُه -يَقِينًا-» كَما قالَ ذلك في كَوْنِ اللُّغاتِ الثَّلاثِ في الأَصْلِ واحدةً، **وذَلك مِن التَّحقيقِ بِمَكانٍ.**

ثمَّ إِنَّ قَوْلَه: «بهذه العربيَّةِ»؛ يَعني: لُغةَ قُريشٍ الموجودةَ الَّتي نَزل بها القُرآن، وفيهِ إشارَةٌ جليَّةٌ إلى أَنَّ المدرسةَ الأندلُسيَّة العُظمى كانَتْ تُقرِّرُ -كما يُقرِّر فُيلولوجيو هذا العَصرِ- أَنَّ لغاتِ العربِ غيرُ مُنحصرةٍ في هذه العربيَّة الَّتي بأَيدِينا؛ بل حين جاءَ الإِسلامُ ونَزل القُرآنُ بلُغَةِ قريشٍ، وكانَتِ الإمامَةُ الكُبرى في قُريشٍ؛ تَغلَّبَتْ لغَةُ قريشٍ على ما سِوَاها، وتَضاءَلَتْ سَائِرُ لُغاتِ القَبائِلِ الأُخرى وانْقرضَتْ.

أَمَّا مَعنى هذا الكلامِ -وهو أَنَّ أَوَّلَ مَن تكلَّم بهذه اللُّغةِ العربيَّة هو إسماعِيلُ-: فإِنَّ البَحْثَ العَصْرِيَّ لا يُوافِقُ عليه؛ بل يَعُدُّه مِن خَلْطِ أخبارِ المؤرِّخِين، الَّتي هي بالأساطيرِ أَشبَهُ بعِلْمِ الفُيلولوجيا الَّذي لا يَقبَلُ الرَّجْمَ بالغَيبِ؛ وإنَّما يَقبَلُ المسائِلَ المحقَّقةَ الَّتي قامَ عَليها البُرهان مِنه -هوَ-، لا مِن عِلْمٍ آخَرَ أَجنَبيٍّ عَنْه، فإِذَا ادَّعَى مُدَّعٍ أَنَّ إِسماعِيْلَ هو أَوَّلُ مَن تَكلَّمَ بهذِه العربيَّةِ الَّتي بِأَيْدِينا؛ وَجَبَ عليه أَنْ يُدلي بِحُجَّةٍ لُغَويَّةٍ، وَلا يَتمكَّنُ مِن ذلك

إلَّا بعْدَ معرِفةِ عَصْرِ إسماعيلَ بنِ إبراهيم عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ بالضَّبط، ووجودُ كتاباتٍ لأَهْلِ ذلك العَصْرِ؛ تُرينا أيَّةَ لغةٍ كانوا يتكلَّمون بها، وبعد ذلك -كلِّه- لا تَتِمُّ الحجَّةُ إلَّا إذا ثبَتَ أَنَّ إسماعيلَ حينَ جاءَ بِهِ أَبوه إِبراهيمُ معَ أمِّه هاجَرَ وهو طِفْلٌ صَغيرٌ، ونَشأَ في جُرْهُم -وهي قَبِيلةٌ مِن العَربِ-، وتزوَّجَ امرأةً بل أَكْثرَ مِن امْرأَةٍ منهم(١) -كما يَقولُ التَّاريخ-؛ وجَد أُولئكَ القَومَ بلا لُغةٍ، أو وَجدَ عندَهم لُغَةً؛ ولكنَّه أَعرَض عَنها وعَن لُغَةِ أَبيهِ إبراهيمَ وأُمِّه هاجر، وأَنشأَ لُغةً -وهيَ العربيَّةُ-، ثمَّ حمل جُرهمًا على التَّكلُّمِ بها، ومنهمُ انتشَرَت، **وهذه اللَّوازِمُ -كلُّها- مُحال.**

فالَّذي جرَتْ به العادَةُ -وهو سُنَّةُ اللهِ وفطرَتُه الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عليها، وصرَّحَ بها ابنُ حَزْمٍ كما نقَلْناه في المقالاتِ السَّابقَةِ-: أَنَّ كُلَّ قَومٍ لا بُدَّ لهم

(١) دل عليه ما أخرجه البخاري (٣٣٦٤، ٣٣٦٥) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في حديث طويل؛ فيه: «إن إسماعيل لما أنزله أبوه مع أمه بمكة؛ مرَّت بهم رفقة من جرهم، فنزلوا بإذنهم، حتى إذا شبَّ إسماعيل وتعلَّم العربية منهم...»، فهذا هو الصحيح؛ لأن العرب كانت قبل إسماعيل، ويحتمل أن يكون أراد: أول من تكلَّم بالعربية في ولد إبراهيم؛ لأن إسحاق بقي لسانه سريانيًّا.
قال السيوطي في «الوسائل إلى معرفة الأوائل» (١١٧ - ١١٨) -بعد ذكره الأقوال في المسألة-: «والصحيح من ذلك: قول من قال: إن آدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أول من تكلَّم بالعربية والسريانية وغيرها. قال: وأول من وضع الكتاب بذلك؛ لأن الله -تعالى- قال: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]، وذلك يقتضي أنواع اللغات والأسماء، فعلَّم معانيها، وعلَّم حساب الأزمنة والشهور والسنين».
وبعضهم يغلو في ذلك غلوًّا كبيرًا حتى يقول: إنَّ لغة آدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في الجنة كانت العربية، فلمَّا عصى ربه؛ سلبه العربية وأعطاه السُّريانية، ثمَّ لمَّا تاب؛ ردَّها عليه!
وانظر: «طبقات ابن سعد» (١/ ١/ ٢٤).

مِن لغةٍ، ولا يُمكِنُ أَن يَعيشوا بلا لُغةٍ، ثُمَّ إنَّ طِفلًا صَغيرًا معَ أمِّه إذا خالَطا قَبيلةً لا بُدَّ أَنْ يَتعلَّما لِسانَها، ويَغلِبَ عليهما، أَحبًّا أَم كَرِهَا؛ لأَنَّ اللُّغةَ لا يَقومُ بها فَرْدٌ أو أَفرادٌ قلائِلُ، وإنَّما تَقومُ بها أُمَّةٌ مِن النَّاس، ولا حاجَةَ لإسماعيلَ إلى إنشاءِ لغَةٍ جديدَةٍ، فإنَّ لُغتَهما الَّتي كانا يتكلَّمان بها معَ إبراهيمَ؛ تَكفيهما للتَّخاطُبِ فيما بَينهما، أمَّا مع أَصهارِ إسماعيلَ؛ فإنَّ التَّخاطُبَ لا يُمكِنُ إلَّا بلغَةِ القَوْم، **فالَّذي يَقتضيه القِياسُ والسُّنَنُ الكَونيَّةُ**: أَن تكونَ لُغَةُ أمِّ إسماعيلَ وابنِها وأَبيه غيرَ عربيَّة، وأن تكونَ قَبيلَةُ جرهم يتكلَّمون بالعربيَّةِ، وأَن يكونَ إسماعِيلُ تَعلَّمَ لُغتَهم واتَّخذَها لُغتَه، وهَجرَ لُغتَه الَّتي تَعلَّمها مِن أمِّه؛ لأَنَّه لا يَجِدُ مَن يَتكلَّمُ معه بها بعْدَ وفاةِ أمِّه، وأَمَّا أَولادُ إسماعيلَ فَلا بُدَّ أَنْ يَكونوا تَعلَّموا مِن أُمِّهم وأَبيهم لُغةَ أَخوالِهم.

لِكنَّنا لا نَدْري! كيفَ كانَتْ تلك العربيَّة التي كانَتْ جُرْهم تَتكلَّم بها؟ وما مِقدارُ الشَّبَه الَّذي بَينها وبينَ لُغةِ قُريش؟

وسبَبُ هذا الجَهلِ: أَنَّ العَربِ لم يُخلِّفوا مِن الآثارِ ما يَجلُو الظَّلام عن هذه المسألةِ وما في مَعناها، فلا كُتُبَ لهم قَديمَةٌ؛ كما السُّريانيِّين والعِبرانيِّين، والآثارُ الَّتي اكتُشِفَتْ -حتَّى الآن- قَليلةٌ لا تَكفِي لِلجَوابِ عن هذه المسائِل، على أَنَّ قانون تَطوُّرَ اللُّغاتِ يَقضي بأَنَّ الأَلفاظَ كالأَناسِيِّ؛ لم يُكتَبِ الخُلودُ لأَيِّ لَفْظٍ في أَيَّةِ لُغَةٍ، كَما لم يُكتَبِ الخُلودُ لإنسانٍ مِن النَّاسِ، ففي كُلِّ وَقتٍ يَموتُ لَفظٌ ويُولَدُ لفْظٌ، ويَموتُ أُسلوبٌ ويُولَدُ أُسلوبٌ، فَلا يُمْكِنُ أَن تكونَ لغَةُ جرهم وإسماعيلَ مطابقَةً لِلُغةِ قُريشٍ حَذْوَ[1] النَّعْلِ بالنَّعْل.

(١) في الأصل: «حذوك».

هذا؛ وأمَّا السُّؤالُ الَّذي صَدَّرْنا بهِ هَذا المقالَ؛ وهوَ: **أيُّ اللُّغات أَصلٌ لِـمَا سِواهَا؟**

فقَد أَجابَ عنه ابنُ حَزْمٍ بما رَأَيْتَه، وكذا فيهِ بَحْثٌ يَأْتي فِيما يَتْلو -إِنْ شاءَ الله-.

الحلقة الثامنة

كنَّا قَد وَاعَدْنا القُرَّاءَ -الَّذين تُهِمُّهم هذهِ المباحِثُ- بالتَّعليقِ على قَوْلِ الإمامِ ابنِ حَزْمٍ: «إنَّ السُّريانيَّة أَصلُ العربيَّةِ والعبرانيَّة -معًا-».

وقبْلَ أَنْ أَفْتَتِحَ التَّعليقَ؛ أَعتذِرُ -تارةً أُخرى- لأَرْبابِ هذا الفَنِّ بأَنَّ سبَبَ ما يُوجَدُ في تَعليقي[1] مِن الضَّعفِ: **هو عدَمُ وجودِ المراجِعِ للمُطالعَةِ والاستِذْكار**، ولا بُدَّ أَن تكونَ هُناك مَراجِعُ باللُّغةِ الإِسبانيَّة -ولو في إِسبانْيَا- يُمكِنُ اسْتِيرادُها، ولو مَعَ صعوبَةٍ وطُولِ زَمانٍ، ولكِنْ مِن سُوءِ الحَظِّ أَنِّي لا أَعْرِفُ اللُّغةِ[2] الإِسبانيَّةِ، فَما دُمْتُ عادمًا مَراجِعَ جَرمانْية أو إنكليزية؛ لا يُمكِنُني أَن أَستفيدَ مِن المطالَعَة.

قولُ ابنِ حَزْمٍ: «إنَّ السُّريانيَّة أَصلُ اللُّغةِ العربيَّة والعبرانيَّة -معًا-»؛ لم يُدْلِ فيه بحُجَّةٍ مَقبولةٍ؛ **لأَنَّه بَناه على أساطيرِ التَّاريخ**، وهي أنَّ إبراهيم -الَّذي هو أَبو العربِ الإسماعليِّين؛ الَّذين خلَّفوا لنا لُغَةَ قُريشٍ، وأَبو العبرانيِّين أَبناءِ إسحاق- كانَ يَتكلَّمُ بالسُّريانيَّة حين تَوجَّه مِن العراقِ نَحْو الغَرْبِ، مُتنقِّلًا مِن أرضٍ إلى أَرضٍ بمَواشِيه وأَولادِه وعَبيدِه؛ كعَادَةِ أَهْلِ البادِيَةِ، فكما أَنَّ العَربَ

(١) في الأصل: «تعليق».
(٢) في الأصل: «للغة».

الإِسماعليِّين والعِبْرانيِّين أَبناءَ إِسحاقَ تفرَّعوا مِن إبراهيمَ -وهو أَصلُهما-؛ فكذلك لُغَتا الفَريقَيْن تَفرَّعَتا مِن لُغَةِ أَبيهما إبراهيم.

وهذا الاستدلالُ يَظهَرُ -لغَيرِ الطَّالبِ الفيلولوجي- جميلًا جدًّا وقويًّا، أمَّا طالِبُ هذا الفَنِّ؛ فيراه[(١)] فَارِغًا، لا حُجَّةَ فيهِ، ولا قِيْمَةَ لَهُ، وقَد قَدَّمْنَا أنَّ حُجَجَ هذا العِلْمِ المَقْبولَةِ لا تَكونُ إلَّا مِنْه، لا مِنَ الرِّواياتِ، وليس في أَيدِينا حجَّةٌ على أَنَّ إبراهيمَ كان يَتكلَّمُ بالسُّريانيَّة؛ لا تَاريخيَّةٌ قاطعَةٌ، وَلَا فيلولوجيَّة.

أمَّا التَّاريخ؛ فالَّذي حكاه مؤرِّخُو آدابِ السُّريانيَّة: أَنَّ هذه اللُّغةَ عُرِفتْ في أَثناءِ الأَلْفِ الثَّاني قبْلَ الميلادِ -حَسبما أَذكُره-، واسْتمرَّت في قُوَّتِها إلى زمانِ المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبها كان المسيحُ يتكلَّم، وكذا سائِرُ بَنِي إسرائيلَ، وبها تَكلَّم عِيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بـ«الإنجيل»، ولا نَدرِي! أَكُتِبَ «الإنجيلُ» أوَّلَ مرَّةٍ بلُغةِ المسيحِ، ثُمَّ نُقِلَ إلى اليُونانيَّةِ، أَم أَمْلاه أَصحابُ المسيحِ بالسُّريانيَّةِ، ثمَّ تُرجِمَ باليُونانيَّة؟ وعلى كُلِّ حالٍ؛ فلا تُوجَدُ لـ«الإِنجيل» نسخةٌ أَصليَّةٌ، والموجودُ إنَّما هي التَّرجمةُ اليُونانيَّةُ، وحينئذٍ؛ ازْدَهرَتِ اللُّغةُ السُّريانيَّةُ وبلَغَتْ أَوْجَها.

هذا؛ وقَدِ اسْتمرَّتِ اللُّغةُ السُّريانيَّةُ في قُوَّتِها ورُقِيِّها إلى تمامِ القَرْنِ السَّابعِ بعْدَ الميلادِ، ثمَّ أَخذتْ تَضعفُ؛ بسببِ استيلاءِ اللُّغةِ العربيَّةِ عليه بظهورِ الإِسلام، واستمرَّتْ في احتِضارِها إلى القَرْنِ الثَّالثَ عشَرَ الميلاديِّ؛ فلفَظَتْ نفَسَها الأخيرَ، ولَحِقَتْ بما مَضَى مِن اللُّغاتِ الفَانِيَة[(٢)].

هذا؛ وإيَّاكَ أَنْ تَظنَّ أَنَّ اللُّغةَ السُّريانيَّةَ ماتَتْ وفَنِيتْ، ولم يَبْقَ لها عَينٌ ولا

(١) في الأصل: «فيرانه».
(٢) انظر: «الفوائد السامية» (ص٣٧٣)، «الأمم السامية» (١٢٠).

أَثرٌ، ولا يُمكِنُ الاطِّلاعُ عليها -وَلو عَلى كَلِماتٍ قليلةٍ- إلَّا بواسطةِ الخوارِق الَّتي تَظهَرُ لِرجالِ الغيبِ؛ الَّذين فُتِحَ لهم في مشاهدةِ عالمِ الغَيبِ، ومَلَكوتِ السَّماءِ، كما ظَنَّ ذلك مَن لا يَعرِفُ قَبِيلًا مِن دَبِير؛ فأَخذَ يَهْرِفُ بما لا يَعرِفُ، ويَزعُم لَنا -في أَحلامِه- أَنَّ لُغَةَ السُّريانيَّةِ هي لغَةُ الملائكةِ، وهي لغَةُ نَكيرٍ ومُنْكَر حينَ يَسأَلانِ الميِّتَ في قَبْرِه، ومِن جُمْلَةِ مَن وَقعَ في هذه الخُرافَةِ: الحافِظُ السُّيوطيُّ؛ إذ قالَ في رَجَزٍ لَهُ:

وَمِنْ غَرِيبِ مَا تَرَى العَيْنَانِ ... أَنَّ سُؤَالَ القَبْرِ بالسُّرْيَانِي[1]

وزَعَمُوا -أَيضًا- أَنَّها[2] لُغَةَ الأَطْفالِ الرُّضَّعِ في قَولِهم: (ببا) للخبز، و(مومو) لطِفْل آخَر، و(ححا) للثَّوب الجَديد، و(لولو) للشَّيء اللَّامع... إلخ، وأَنَّهم كانوا يَتكلَّمون بها في عالَمِ الغَيبِ إِذْ هُمْ أَرْواحٌ، وزَعموا أَنَّها لُغَةُ أَهْلِ الدِّيوانِ[3] في غارِ حِراء، إلَّا حين يحضُره النَّبيُّ ﷺ، إلى غيرِ ذلك من حديثِ خرافة!

فإنَّ اللُّغةَ السُّريانيَّة موجودةٌ في بطونِ الكتبِ، وتوجَدُ منها في خزائنِ أُوربَّة آلافُ المجلَّداتِ المخطوطةِ والمطبوعَةِ في كلِّ فَنٍّ مِن العلومِ القَديمةِ؛

(١) ذكر السيوطي أنه وقع له في «فتاوى شيخه علم الدين البلقيني» أن الميت يجيب السؤال بالسريانية؛ فنظمها السيوطي في (أرجوزته) المعروفة باسم «أرجوزة التثبيت في ليلة التبييت»، وقال بعد هذا البيت:

أَفْتَى بِهِ شَيْخُنَا البُلْقَيْنِي ... وَلَمْ أَرَهْ لِغَيْرِهِ بِعَيْنِي

انظر: فتوى (رقم ١) من «ذيلي على فتاوى صالح البلقيني» (ص٣٣٩ - ٣٥٥).

(٢) في الأصل: «أن».

(٣) سيأتي التعريف بهم.

كالتَّاريخ والطِّبِّ والفَلسفةِ والدِّين وغيرِ ذلك، وَلا تَزالُ طائفَةٌ -غيرُ قليلَةٍ- مِن النَّاسِ في لُبنان وشمالِ العراق تتكلَّم بدارجةِ اللُّغةِ السُّريانيَّة إلى يومِنا هذا[١].

هذا -كلُّه- نقولُه ونحن في مبحثِ فيلولوجي، ولا نُحِبُّ أَن نَخلِطَه ببَحْثٍ دينيٍّ، ونُظهِرَ تَعجُّبَنا مِن كَونِ الملَكين يُخاطِبان المُسلمَ الميِّتَ، لا بلُغتِه الَّتي كان يتكلَّمُ بها في الدَّارِ الفانِيَة، ولا بُلغةِ قُرآنِه ودِينِه ونَبيِّه؛ بل بلُغةِ اليَهودِ والنَّصارى -وهي السُّريانيَّة-، وقولُنا: «بلُغةِ اليهودِ والنَّصارى» هو مِن ذِكْرِ الحقائِق، ولم نَقْصِدْ به التَّنقيصَ؛ فإِنَّها لُغَةٌ شريفَةٌ، أَنزَلَ اللهُ بها كتابَه «الإِنجيلَ»، وأَمَر محمَّدٌ رسولُ الله ﷺ صاحبَه زيدَ بنَ ثابت بتعلُّمِها -كما مَرَّ[٢]-، وهي لغةٌ جميلَةٌ، غَنِيَّةٌ بالعُلومِ والآدَابِ واللَّطائِف، **وقد درَسْتُها وتَذوَّقْتُها**، ثمَّ هيَ شقيقَةُ لُغَتِنا العربيَّة، ولكنَّ اليهودَ -بعْدَ انْقِراضِ العِبرانيَّةِ منذُ آلافٍ مِن السِّنين- لم تَكُنْ لهم لُغَةٌ سِوَاها، والنَّصارى هي لُغَتُهم؛ لأَنَّها

(١) لعلنا بحاجة إلى من يبحث في جذور مدارس التاريخ عند السريان، لأن دراسة وبحث الكتابة التاريخية عند السريان -نشأةً، وتطورًا، ومنهجًا- قبل المسيحية وبعدها، وتنوع صور المادة التاريخية منها -التاريخ العام، والتاريخ الخاص، الدنيوي والديني-؛ يحتاج إلى دراسة منفصلة تلقي الأضواء على مادة التاريخ في حياة الشعب السرياني، ودورها في تقدم بقية العلوم والآداب والمعارف.
وانظر: «ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان» لبطرس نصري، «تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من مجيء الإسلام حتى نهاية العصر العباسي» لألبير أبونا، «مجد السريان» لغريغوريوس يوحنا إبراهيم، «تاريخ الآداب السريانية» لبولس السمعاني، وغيرها كثير.

(٢) في (الحلقة الثانية).

لُغَةُ نبيِّهم ﷺ، ولُغَةُ حوارِيِّيه -رضوانُ الله عليهم-، وكذلك القَولُ في تَخاطُبِ أَهْلِ الدِّيوانِ بها.

ومَوعدُنا بتمامِ البَحْثِ: المقالُ التَّالي -بحَوْلِه تَعالى-، واللهُ يُعلِّمُنا ما جَهِلْنا؛ آمِين.

الحلقة التاسعة

قُلنا: إنَّ ابنَ حزمٍ لم يَأْتِ بدَليلٍ على مَا ادَّعاه مِن أَنَّ لُغةَ إبراهِيمَ كانَتْ هي السُّريانيَّة؛ لا مِن التَّاريخ المعتمَدِ على صحَّتِه في هذا البابِ، ولا مِن علمِ اللُّغاتِ؛ إِذْ لا تُوجَدُ آثارٌ باقِيَةٌ مِن عَهْدِ إبراهيمَ فِيما وصَلَ إليهِ العِلْمُ حتَّى الآن، فعِلْمُ اللُّغاتِ وتاريخُه يجهلُ لغةَ إبراهيمَ، ويقِفُ قائلًا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

ويَرِد على دَعْوى ابنِ حَزْمٍ أَنَّ لُغَةَ إبراهيمَ كانَت السُّريانيَّةُ، ولُغَةُ ابنِه إسحاقَ العبرانيَّةُ، ولغَةُ ابنِه إسماعيلَ العَربيَّةُ، وأَنَّهما أوَّلُ مَن تكلَّم بهما: ما أَوردَه -هو نفسُه- على القائلِين بأَنَّ اللُّغةَ الأُولى الَّتي تكلَّمَ بها الإنسانُ كانَت اصْطِلاحًا واختراعًا، ولم تَجْرِ العادَةُ أَنْ يَخترِعَ الأَبْناءُ لُغةً غيرَ لُغَةِ الوالِدَين، ويَهجروا لُغَةَ آبائِهم بدونِ سبَبٍ ولا دَاعٍ، وأَفعالُ العُقلاءِ تُصَانُ عن تَضْييعِ الوَقْتِ والجُهودِ فيما لا حَاجَةَ إِلَيه، هَذَا؛ لَو كانَ ذَلك في الإِمْكانِ، وقَد تَقَدَّمَ البُرهانُ مِن كلامِ ابنِ حَزْمٍ -ووَافَقْناهُ عليهِ- أَنَّهُ ليسَ في إِمْكانِ شَخصٍ واحِدٍ أَنْ يخترعَ لُغَةً ويَبُثَّها في النَّاسِ.

وهُنَا نَذكُر أَنَّ طائفَةً مِن العُلماءِ العَصريِّين اهْتَمُّوا بإِنشاءِ لُغةٍ عالميَّةٍ،

وبَذَلُوا -في ذَلِك- جُهودًا؛ فَلم تَتَكَلَّل جهودُهم -حتَّى الآنَ- بِنجاحٍ، وبَقِيتْ لُغَة اسبرانتو[١] -الَّتي أرادوا بَثَّها- حِبرًا على قرطاسٍ.

---

(١) يعود وضعها إلى القرن التاسع عشر الميلادي، على يد الأستاذ (زامنهوف) المشهور، وقضى اثنتي عشرة سنة، ثم نشر رسالة عرض فيها أصول تلك اللغة، وجعل عنوانها (دكتورو اسبرانتو) أي: الأستاذ المؤمل؛ إشارة إلى يأس العلماء قبله من النجاح في هذه الأوضاع، على أن هذا الاسم ما لبث أن لزم لغته، ولا تزال تعرف به إلى اليوم.

وتتألف الاسبرانتو من (٣٢٠٠) مادة مقتبسة من جميع لغات أوروبا، على نحو اقتباس هذه اللغات -نفسها- من اللاتينية والجرمانية واليونانية، وكلها في سبيل واحد من السلالة والانقياد واطراد القواعد بلا شذوذ ولا استثناء، وقد ألحق بها واضعها ثلاثين لفظة تركَّب مع سائر ألفاظها؛ فيدلُّ بها على نوع المعاني الوصفية، وسبع عشرة زيادة صيغية تدل على المعاني التصريفية؛ فصارت -بذلك- من الثروة في ألفاظها بحيث تنتهي في التركيب إلى عشرة ملايين من الكلمات؛ قاله العلَّامة مصطفى صادق الرافعي في «تاريخ آداب العرب» (١/ ٦٢ - ٦٣).

وقامت (أوربَّا) -على مدار العصر الحديث- بمحاولات عديدة متكرِّرة لوضع هذه اللغة لتنظيم البشريّة جمعاء، وذلك؛ من بين لغاتها الكثيرة المتباينة، غير أن محاولاتها -هذه- قد باءت -كُلُّها- بالفشل الذريع، ويعود السَّبب في هذا الفشل إلى ما هي عليه اللُّغات الأوربية عامَّةً من قُصور لغوي ذاتيٍّ كبير، يجعلها عاجزة -كُليًّا- عن وضع تلك اللغة العالمية!

ولغة (الاسبرانتو) -هذه- ليست لُغةً بالمعنى الحقيقي للغة، كما ليست لُغةً عالمية بالمفهوم الحقِّ للغة العالمية؛ وإنَّما هي لهجة خاصة؛ بل لهجة جدُّ خاصة، وتتكون هذه اللهجة -جدُّ الخاصَّة- من خليط تجميعيٍّ تركيبيٍّ محدود ومقنَّن من ألفاظٍ ومصطلحات وقواعد اللغات اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، وبذلك؛ فهي من جهة لهجة (أوربيَّة) خالصة، لا تشتمل على شيء من عناصر اللغات الأُخرى غير الأوربية، وهي من جهة أخرى لهجة آليَّة، **لا تكاد تكون لها علاقة صميمية باللغة الإنسانية الحية المبدعة.**

وعلى الرغم ممَّا أحاطت به (أوربَّا) لغتها (الاسبرانتو) -هذه- من أهمية واهتمام =

= بالغَيْن، ومما بذلته -من أجل نشرها وتعميمها- من طاقات وجهود؛ **فقد كان الفشل الذريع حليفها،** لا بين أُمم العالم -فحسب-؛ بل بين أُمم (أوربَّا) -نفسها-، **وتلك نهاية طبيعيَّة محتومة لِلُغة اصطناعية شاذَّة.**

لقد حرصت (أوربَّا) -وما تزال- على إيجاد تلك اللغة العالمية المنشودة التي تنتظم البشرية جمعاء، ولكنَّها حرصت -في الوقت ذاته- على أن تكون هذه اللغة من بين لغاتها هي وحدها -فقط-، دونما أيَّة مشاركة من لغات الأُمم الأخرى؛ التي بلغ بعضها من المنزلة اللغوية الرفيعة ما يفوق منازل اللغات الأوربية، وهكذا؛ **فإنَّ (أوربَّا) لم تكن تبغي -حقًّا- إيجاد لغة عالمية عامَّة، وإنما كانت تبغي إيجاد لغة (أوربيَّة) خاصَّة، تفرضها على البشرية كلغة عالمية عامَّة، مستهدفةً -من وراء ذلك- توطيد هيمنة ثقافية معيَّنة، تظاهر وتُساعد وتَدعَم هيمناتها العسكرية والسياسية والاقتصادية السائدة في العالم.**

لقد أصبح وجود لغة عالمية عامَّة، تنتظم البشرية جمعاء؛ حلمًا كبيرًا من أحلام هذا العصر، وهو حلم ما زال بعيد المنال حتى اليوم، ذلك؛ لأنَّ الأُمم القومية -لأسباب سلبية مختلفة- لم تتفق -بعدُ- على اللغة الجديرة -حقًّا- بأن تكون هي تلك اللغة العالمية المنشودة، وهي لو حكَّمت وجداناتها الإنسانية الخيِّرة؛ لاتَّفقتْ -دون رَيْبٍ- على اللغة العربية لا غير، وبذلك تكون قد حقَّقت ذلك الحلم العصري الكبير؛ الحلم بوحدة بشرية كُليَّة جامعة، وبسلام عالمي حقيقي حق.

أجَلْ؛ إنَّ اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي ينبغي لأمم العالم أن تتفق بالإجماع المطلق على جعلها لغة البشرية جمعاء، وهي ما لَمْ تفعل ذلك؛ فإن البشرية ستبقى على حالها الرَّاهنة، حال التمزُّق والتفرُّق، وإنَّ العالم سيستمر على وضعه الحاضر؛ وضع التأزم والتفجُّر.

إنَّ البشرية والعالم ليسا بحاجة إلى أيَّة لُغة كانت، وإنَّما هُما بحاجة إلى خير لغة كانت، إنهما بحاجة إلى لغة روحانية مثالية أخلاقية حضارية إنسانية مُثلى، تحمل إليهما من قيم الحق والخير والصلاح والجمال والسلام والعدالة والمساواة والمحبة والإخاء؛ ما يجعل البشرية وحدة كُليَّة تامَّة متكاملة، وما يجعل العالم فردوسًا حياتيًّا آمنًا سعيدًا، **وهل من لغة غير اللغة العربية يُمكنها أن تُلبِّي حاجة تلك البشرية وذلك العالم؟** =

= لقد هيمنت اللغات الأوربية على البشرية والعالم حوالي ثلاثة قرون؛ فماذا حملت إليها؟ لقد حملت إليها ضروب المذاهب الفلسفية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية السالبة الهدَّامة؛ من رأسمالية وشيوعية وميكافيلية وداروينية وفرويدية ووجودية ووضعية وذرائعية وعبثية وفوضوية وعنصرية، بجميع ما تشتمل عليه هذه المذاهب من وثنيَّة وإلحاديَّة وماديَّة وإباحيَّة ولا إنسانيّة طاغية، فكان أن أغرقت البشرية في بحر لا قرار له من المفاسد والرذائل والشرور، **وكان أن جعلت العالم نَهْبًا مُوزَّعًا للكوارث والمصائب والنَّكبات، وكان أنْ انتهت بهما -كليهما- أخيرًا إلى هذا الوضع المأساوي الشَّاذِّ الذي هي عليه الآن.**

هذا ما حملته اللغات الأوربية إلى البشرية والعالم، أمَّا ما حملته اللغة العربية إليها؛ فهو على النقيض من ذلك تمامًا، فلقد حملت إليها -على مرِّ الأزمنة- الرسالات والنبوَّات والكتب السماوية المقدَّسة الخالدة، التي كانت -وستبقى- مناراتها الهادية لها -أبدًا دائمًا- إلى سبيل الخير المطلق، والصلاح الخالص، والفلاح الأكيد.

وهكذا؛ فشتَّان شتَّان ما بين ما حملته هذه اللغة المباركة، وبين ما حملته تلك اللغات المشؤومة.

إنَّ من حقِّ وواجب كُلِّ أُمَّة من الأمم أن تحبَّ لغتها وتتعشَّقها، وأن تقدِّرها وتُجلَّها، وأنْ ترفع من شأنها وتُعلي من مكانتها؛ فذلك شيء غير مُستكره ولا مستنكر، **ولكن ليس من حقِّها وواجبها -أبدًا- أنْ تدَّعي -دونما إثبات من حقيقة أو فعل أو واقع- أنَّها هي أم اللغات قاطبة، ومن ثمَّ أنها هي الجديرة بأن تكون لغة البشرية جمعاء، أمَّا الأُمَّة العربية؛ فإنَّ من حقِّها وواجبها ادِّعاء ذلك وتأكيده، لأنها بادعائها وتأكيدها هذين؛ إنما تدَّعي وتؤكِّد حقيقة مجسدة، وفعلًا ملموسًا وواقعًا قائمًا.**

وهكذا؛ فإنه لا بدَّ للغة العربية من أن تكون لغة البشرية جمعاء؛ **لأنه لا شكَّ في أنَّها أُمُّ اللغات قاطبة**، وكفى بالمستقبل القريب أو البعيد شهيدًا على ذلك.

«اللغة العربية أم اللغات ولغة البشرية» (٤٦ - ٥١) للأستاذ إسماعيل العرفي.

وانظر عن لغة (الاسبرانتو): «قراءات في علم اللغة» (ص٩٩ - ١٠٥) للدكتور أحمد شفيق الخطيب، «لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية» (ص٨٥ - ٨٧) لعبدالعلي الودغيري، مجلة «الفيصل» العدد (١٩٨)، ذو الحجة ١٤١٣هـ - يونيو ١٩٩٣م، (ص٢٢ - ٢٣)، تحت عنوان (اللغات السرية =

والحقيقةُ: أَنَّنا لا نَعرِفُ مَتى نَشأَتْ هذه اللُّغات الثَّلاث -أَعني: العربيَّة وأُختَيها[١] السُّريانيَّةَ والعبرانيَّة- وسائرَ أَخواتهنَّ! إلَّا أَنَّنا نَجزِمُ أَنَّهنَّ نَشَأْنَ مُنذُ زمانٍ طويلٍ جدًّا؛ يُقدَّرُ بآلافٍ كَثيرةٍ جدًّا مِن السِّنين.

أمَّا اللُّغَةُ العربيَّةُ؛ فلا نَعرِفُ مِن آثارِها -بيَقينٍ- إلَّا القُرآنَ[٢] ومَا رُوِي في زمانِ النَّبيِّ ﷺ وقَبْلَه بقليلٍ، قَدَّر المستشرقون ذلك القليلَ -بَعْدَما بَذَلوا جُهودًا كبيرةً- بمائةِ سَنةٍ، وقالوا: إنَّ الشِّعْرَ الجَاهِليَّ -مِن معلَّقاتِ[٣] الشِّعرِ وغيرِها- لا يَزيدُ عُمْرُ أَقدَمِه على مِائةِ سَنةٍ قَبْلَ النَّبيِّ ﷺ، وأَمَّا ما ادَّعاه بعضُ المُهَوَّسين المُذَبْذَبين[٤] مِن أَنَّ الشِّعرَ الجَاهليَّ -كُلَّه- مَنحولٌ ومَكذوبٌ،

= والجماعات اليهودية) للدكتور عبدالوهاب المسيري، جريدة «عكاظ»، الاثنين ٢٦ شوال ١٤١٥هـ - ٢٧ مارس ١٩٩٥م، (ص٣٤).

(١) في الأصل: «وأختها».

(٢) انظر -لزامًا-: (تأثير القرآن في اللغة) و(الجنسية العربية في القرآن) من «تاريخ آداب العرب» (٢/ ٦٠ - ٨١)؛ فهو (مهم).

(٣) في الأصل: «المعلقات».

(٤) هو الدكتور طه حسين، وردَّ عليه الهلالي في (بحث في الأدب الجاهلي)، صوَّرته من أوراق الهلالي الخاصة، في رحلتي إلى المغرب في جمادى الآخرة ١٤٤١هـ، وهو مضروب على الآلة الكاتبة، ولخص الهلالي مسائل من كتاب الدكتور طه حسين «في الأدب الجاهلي»، وأبدى رأيه في كل مسألة، ولكنه لم يتمه -للأسف!-؛ فوصل إلى قوله (ص٨٥): «وليقرؤوا هذا النص القريب السهل الذي أورده الأستاذ (كويدي) لتلاميذه في الجامعة القديمة على أنه نموذج لما بين اللغة العربية والحميرية من القرب».

ويُذكر أن للهلالي رد على طه حسين بعنوان (عصا موسى على رأس فرعون) نشر على ثلاث حلقات في مجلة «العرب» المقدسية، السنة الثانية، العدد (٥٩ و ٦٠)، والعدد (٦١ و ٦٢) والعدد (٦٣) شعبان ١٣٥٢هـ - ٢٥ تشرين الثاني وكانون الأول =

وأَكثَرَ في ذلك مِن الخُطبِ الفارِغَةِ دونَ أَن يَذكُرَ دَليلًا مُعتَبرًا، ودون أَنْ يَنقُلَ أقوالَ عُلماءِ المشرقيَّات؛ **فهو باطِلٌ لا قِيمَةَ لهُ عندَ عُلماءِ هذا الشَّأن**[١].

ونَحنُ في هذا الزَّمانِ -الَّذي ضَعُفَتْ فيهِ الهِمَمُ، وخَارَتِ العَزائِمُ، ودَرَسَ العِلْمُ باللُّغةِ العربيَّةِ- لا نَقدِرُ أَنْ نحقِّقَ المباحِثَ الفيلولوجية دونَ أَن نَنظُرَ ما كَتَبَهُ المُستشرِقُون؛ إِذْ لا يَتأتَّى لنا مِن الجُهودِ ما تأتَّى لَهُم، **وليسَ بأَيْدِينا مِن الآثارِ شَيءٌ إِلَّا مَا اقْتَبَسْنَاه منهم، وعَلى ذَلِكَ؛ لا نَقولُ بِتَقْليدِهم تَقليدَ الأَعْمَى لِلبَصيرِ، بَل نَستَعينُ بمَباحِثِهم في دُروسِنا -فَقَط-**.

غيرَ أَنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ قديمَةٌ جدًّا، لا تَقِلُّ في القِدَمِ عَن أَخواتِها -إِنْ لم تَزِدْ عليهِنَّ-، ومَعَ أنَّه ليس لَدَيْنا آثارٌ قديمَةٌ مِن هذه العربيَّةِ القرشيَّةِ؛ **فإنَّنا نَتجرَّأُ وندَّعي أَنَّها كالأُمِّ لِلُّغاتِ السَّامِيَة**، وَإِنْ كُنَّا لا نَجزِمُ أَنَّها أَقدمهنَّ[٢].

فإِنْ قلْتَ: هذا كَلامٌ مُتَناقِضٌ! فأَنتَ تَزعُم أَنَّها كالأُمِّ للُّغاتِ السَّامِيَة، والأُمُّ لا تكونُ إِلَّا أَقدَمَ مِن بَناتِها بِيقينٍ، ثمَّ تَقولُ: إنَّك لا تَجزِمُ بأنَّها[٣] أَقدمُ مِنهنَّ!

= ١٩٣٣م، وردٌّ آخر بعنوان (كلمة حق) نشر في جريدة «الجامعة الإسلامية» الفلسطينية - يافا، السنة الثانية، العدد (٣٩٢)، الثلاثاء ٥ رجب ١٣٥٢هـ - ٢٤ تشرين أول ١٩٣٣م، (ص٢)، وضمَّن بعض مقالاته ردودًا عليه، وانتقادًا له؛ مثل: (في سَبيلِ الدِّفاعِ عَن الكَرامَةِ القَوميَّة) المنشورة في مجلة «المغرب الجديد» التطوانية، السنة الثانية، الجزء الرابع عشر، بتأريخ ١٥ ربيع الثاني ١٣٥٥هـ - ٥ يوليو ١٩٣٦م، (ص٧٣ - ٧٧)، و(القاهِرَةُ عاصِمَةُ الإسلام في نظَرِ الأُوروبيِّين) المنشورة في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣٣٣)، بتأريخ ٢٨ شوال ١٣٥١هـ، (ص٥ - ٦).

(١) انظر: ما قدمناه من الردود عليه في التعليق على (ص٨٨-٨٩).

(٢) انظر: ما تقدم (ص١٠٦-١٠٧).

(٣) في الأصل: «بها».

فالجوابُ: إنَّ كَمالَ هذه اللُّغةِ وَسَمْتَها، واطِّرادَ قَواعِدِها النَّحويَّةِ وأُصولَها؛ جَعَلَها مَرجِعًا يَفزَعُ إليهِ طُلَّابُ اللُّغاتِ السَّامِيَّةِ -كُلِّها-، فالـمُشكِلاتُ الَّتي تَحدُثُ في العِبرانيَّةِ والسُّريانيَّة -مَثلًا- لا تَجِدُ حَلًّا إلَّا في اللُّغة العربيَّة؛ فهي -مِن هذا الوَجهِ- كاللَّاتينيَّةِ بالنِّسبةِ إلى فُروعِها؛ كالإسبانيَّةِ والفرنسيَّة والإيطاليَّةِ، غيرَ أنَّ هذه أمٌّ حقيقةً، **والعربيَّةُ قائمَةٌ مَقامَ الأُمِّ، ولم تتحقَّقْ أُمومَتُها حتَّى الآن**، وإذَا كانَ المقَالُ لا يَتَّضِحُ إلَّا بالمِثْلِ؛ فَلا بُدَّ مِن الإشَارَةِ إلى مِثَالٍ، وإنْ لم يَكُن التَّفصِيلُ في هذهِ المَباحِثِ مِن مَقصودِنا.

فالفِعْلُ الـمُضارِعُ المُسنَدُ إلى واوِ الجمَاعةِ في العَربيَّة: يكونُ فيه النُّونُ في حالَةِ الرَّفْعِ إلَّا ما شَذَّ؛ نَحْوُ (يَقْتُلون)، وَلا تُحْذَفُ النُّونُ إلَّا لِدُخولِ ناصِبٍ أو جَازِمٍ، أمَّا في اللُّغةِ العِبْرانيَّةِ؛ فإنَّ هذه النُّون مَحذوفَةٌ أَبدًا بدونِ سَببٍ؛ فيُقالُ في (يقتلون) -مثلًا-: (يقطلو) بكَسْر الياء[1]، وكَسْرُها إحدى لُغَاتِ العَربِ -أيضًا-، وقَد وَجدْتُ هذه النُّونَ ثابتَةً في خمسةِ مَواضِعَ في «التَّوراةِ»، فتبيَّن للعلماءِ سبَبُ ذلكَ: أنَّ الأَصْلَ في اللُّغةِ العِبرانيَّة -أَيضًا- هو ثبوتُ النُّونِ في حالَةِ الرَّفع، وحَذفُها مِن التَّغييراتِ الطَّارِئَة عليها بِطُولِ الزَّمان.

فهذَا مِثالٌ يُمْكِنُ القارِئَ غيرَ الفُيُلولوجي[2] -أَيضًا- أَنْ يُدرِكَه.

وهناك أمثلَةٌ كثيرةٌ أُخرى: كَالتَّثنيةِ؛ فإنَّها ضاعَتْ في اللُّغةِ العبرانيَّة، وبَقِيتْ في ألفاظٍ قليلَةٍ؛ مِنها (العَينان): (عينيم)[3]، غَيْرَ أَنَّ مَحَلَّ النُّونِ في العربيَّةِ يكونُ

(١) انظر: «النحو العربي المقارن في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة» (٥٨).

(٢) في الأصل: «الفيلوجي».

(٣) انظر: «النحو العربي المقارن» (٧٢)، «تاريخ آداب العرب» (١/ ٦٧).

مِيمًا في العِبْرانيَّة[١]، فدَلَّنا ذَلِك على أَنَّ التَّثْنِيَةَ كانَتْ موجودَةً في العِبْرانيَّةِ -باطِّرادٍ- كمَا هي في العربيَّة، ولكِنَّها ضَاعَتْ وفُقِدَتْ بمُرورِ الزَّمانِ.

والأَمْثِلَةُ في تَصريفِ العِبْرانيَّةِ أَكْثَرُ مِن أَنْ تُورَدَ في مَقَالٍ، وكذَلِكَ القَولُ في السُّريانيَّةِ.

فإِنْ قِيلَ: كيْفَ تكونُ العربيَّةُ مَرجِعًا للعِبْرانيَّةِ والسُّريانيَّةِ؛ معَ أَنَّ العَربيَّةَ لغَةُ قومٍ كانوا قَبْلَ الإِسلامِ جُهَّالًا أُمِّيِّين، واللُّغتَانِ الأُخريَان كانَتَا لُغَتَيْ عِلْمٍ وأَدَبٍ مِن قَديمِ الدَّهْرِ؟!

فالجَوابُ: أَنَّ لُغَةَ العرَبِ بَقِيَتْ مَحفوظَةً مِن التَّغييرِ؛ بِسَببِ انْعزالِهِم عنِ الأُمَمِ الأُخْرى، بخِلافِ العِبْرانيِّين والسُّريانيِّين؛ فإِنَّهم لم يَزالوا عُرْضةً للغَزَواتِ الأَجنبيَّةِ، فلم تَسْلَمْ لُغَتاهُما مِن التَّغييرِ، كما وَقَعَ للعربيَّةِ الدَّارجةِ بعدَ اخْتِلاطِ أَهْلِها بالأُمَمِ الأَجنبيَّةِ، وخُروجِها مِن عُزلَتِها[٢].

(١) وكذلك في بعض اللهجات العربية، انظر: مقدمة الأستاذ عز الدين التنوخي لكتاب «الإبدال» (ص٤٠) لأبي الطيب اللغوي، «الإبدال في ضوء اللغات السامية» (ص١٠٨)، «تاريخ آداب العرب» (١/ ٦٦).

(٢) انظر: (اللغة العامية) من «تاريخ آداب العرب» (١/ ٢٣٩ - ٢٥٠).

الحلقة العاشرة

وأَيضًا؛ لَو كانَتِ اللُّغةُ السُّريانيَّةُ أَصلًا للعربيَّةِ والعِبْرانيَّةِ؛ لم يَصِحَّ أَنْ تكونَ السُّريانِيَّةُ لُغةَ إِبْراهيمَ، والعَربيَّةُ والعِبْرانيَّةُ لُغَتي وَلدَيْه إِسماعيلَ وإِسحاق؛ لأَنَّ الخِلافَ -الَّذي بينَ الفَرْعَين معَ أَصْلِهما- كَبيرٌ، يَحتاجُ إِلى زَمَنٍ طويلٍ، وأَجْيالٍ تَمْضي؛ يَتكوَّنُ فيها ذَلِكَ التَّبدُّلُ في القواعِدِ والأُسلوبِ والـمُفردات.

وممَّا يَرُدُّ ذلك -أيضًا-: أَنَّ الشَّبهَ الَّذي بينَ السُّريانيَّةِ والعِبرانيَّةِ في التَّلفُّظِ -كإِبدالِ ما هو سِينٌ في العربيَّةِ بشينٍ مُعجمةٍ[(١)]، ووجودِ السُّكونِ الممزوجِ بالحَركةِ -الرَّوْمِ[(٢)]-، وغيرِ ذَلِكَ-؛ أَعظَمُ ممَّا بينَها وبينَ العَربيَّةِ، وهذا يُنافي كَوْنَ العربيَّةِ والعِبْرانيَّةِ فرعَيْن، وكونَ السُّريانيَّةِ أُمًّا لَهُما.

ونجدُ -مِن جهَةٍ أُخرى- أَنَّ السُّريانيَّةَ أقرَبُ إلى العربيَّةِ في اتِّفاقِ المُفرداتِ، وثبوتِ نُونِ (تَفعلون وتفعلين)[(٣)]، وعدَمُ إبدالِ أَلِفِ (فاعل) وَاوًا، إلى غيرِ ذلك، ثمَّ نَجِدُ أَنَّ الخَطَّ العربيَّ مَأْخوذٌ مِن الخَطِّ السُّريانيِّ الغَربيِّ

(١) انظر التفصيل: في «الإبدال في ضوء اللغات السامية» (١٣٠ - ١٣١) لربحي كمال.
(٢) انظر: «تاريخ آداب العرب» (١/ ٦٦).
(٣) انظر: «النحو العربي المقارن» (٥٩).

بدونِ أَدنى رَيْبٍ، فكثيرٌ مِن الكلماتِ نكتُبها بالسُّريانيَّةِ، فَيقرؤُها كُلُّ قارئٍ عربيٍّ؛ كلَفظِ الجَلالةِ (الله)، و(لا) النَّافية، وغير ذلك.

وبالجملةِ؛ فمَنْ قرأَ السُّريانيَّةَ وعرَفها؛ لا يَشكُّ في أَنَّ الخَطَّين لهما أَصلٌ واحِدٌ قريبٌ جدًّا، لم يَمْضِ عليهِ مِن الزَّمانِ ما يَبعدُ بينَه وبينَ الفَرْع.

ولمَّا كانَتِ العَربُ أُمَّةً أُمِّيَّةً؛ كما صرَّحَ بذلك القُرآنُ الكريمُ بِقَولِه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]، وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكتُبُ وَلَا نَحسِبُ...**»[(١)] الحديث، ولم نَجِدْ كِتابَةً عربيَّةً قديمَةً، ووَجَدْنَا خَزائِنَ ذاتَ بالٍ مِن الكِتَابَاتِ السُّريانِيَّةِ بأَنْواعِهَا الثَّلاثةِ؛ قُلْنا: إنَّ الكِتَابةَ العربيَّةَ هي المَأْخوذَةُ مِن السُّريانِيَّةِ لا العَكْس، وأمَّا الخَطُّ العِبْرانيُّ؛ فهو مُخالِفٌ لهُما كَثيرًا مِن وُجوهٍ؛ **مِنْها**: الشَّكْلُ، **ومِنْها**: أَنَّهُ مُربَّعُ الأَشْكَالِ، وهُما مُدوَّرانِ -في الغَالِبِ-، **ومِنْها**: أَنَّه يُكتَبُ حُروفًا مُقطَّعَةً، وهما يُكْتَبانِ حُرُوفًا مُتَّصِلَةً بخَطٍّ يصِلُ بينَ حُروفِ كُلِّ كَلِمةٍ، إِلَّا أَحْرُفًا مَعدودَةً فيهما؛ كالوَاوِ والزَّاي والرَّاءِ، فإِنَّها لَا تَتَّصِلُ بمَا بَعْدَها في الخَطَّيْن -كِلَيْهما-، إِلى غَيْرِ ذلك، نَعمْ؛ يُوجَدُ تَشابُهٌ بَعيدٌ بينَ الخَطَّيْنِ السُّريانيِّ والعَربيِّ، وبينَ العِبْرانيِّ، إلَّا في أَحرُفٍ قَليلةٍ؛ كالقَافِ والسِّينِ والشِّين، فالتَّشَابُهُ قَريبٌ ظَاهِرٌ.

وعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ **فالقَوْلُ بِأَنَّ السُّريانِيَّةَ أَصْلٌ لِلْعِبْرانِيَّةِ والعَربيَّةِ لَيْسَ مِن الأُمورِ الهَيِّنةِ، ودُونَ إِقامَةِ البُرْهانِ على صِحَّتِه خَرْطُ القَتَاد.**

هَذا؛ وإِذَا كانَ الأُوربِّيُّون عُمومًا، وَالأُمَمُ اللَّاتِينيَّةُ خُصوصًا، لَا يَكْمُلُ

(١) أخرجه البخاري (١٩١٣) ومسلم (١٠٨٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وانظر عن معنى الحديث: «الموافقات» (٢/ ١١٠، ١٤٤، ٤٢٧) وتعليقي عليه.

اللُّغويُّ فيهم ويُعْتَدُّ بِبَحْثِه إِلَّا إِذَا عَرَفَ اللَّاتِينِيَّةَ؛ الَّتي هِيَ أُمُّ بَعْضِ لُغَاتِ الأُوربِّيَّةِ، وكالأُمِّ لِبَعْضِها مِن حيثُ كَثْرَةُ المُفرَداتِ المَأْخوذةِ مِنْها، إِذَا كانَ ذَلِكَ كَذلكَ؛ **وَجَبَ على اللُّغويِّ العَربيِّ أَنْ يَدرُسَ اللُّغاتِ السَّامِيَةَ، ولا سِيَّمَا السُّريانيَّةَ والعِبْرانيَّةَ، وعارٌ عَلَيه أَنْ يَبْقَى أَجْنَبيًّا عن هَاتَيْنِ اللُّغتَينِ وهما شَقِيقتا لُغَتِه؛ فَلا يُميِّزُ بَينَهُما وبينَ اللُّغةِ الصِّينيَّة.**

وقد فَسَحَ المجالَ -هَذَا الجَهْلُ الشَّائِنُ- للمُشَعْوِذين، حتَّى أَخذوا يَزْعُمون أَنَّ السُّريانِيَّةَ لغَةُ الملائكَةِ وأَهْلِ الدِّيوانِ[1] -مؤتمر الأَوْلياء اللَّيْلي-،

(١) قال الهلالي في مقالة له بعنوان (اختلال ميزان الوطنيَّة بعد الاستقلال) نشرت في جريدة «العَلَم» المغربية، السنة الخامسة عشرة، العدد (٤١٧٥)، الأربعاء ٨ رجب ١٣٨٠هـ - ٢٨ دجنبر ١٩٦٠م، قال ما نصه:

«جرفَتْ موجةُ الاستعمار الطَّاغيةِ مغربَنا العربيَّ فيما جرفت من البلدان، وأذاقَتْه العذابَ ألوانًا؛ فأصابَ المغاربةَ ذهولٌ وحَيرة، وتبلبلت أفكارُ حكمائهم فضلًا عن عامَّتِهم، وخلا الجوُّ للدَّجاجلة؛ فأخذوا يبيضون ويصفِّرون وينقِّرون ما شاؤوا أَنْ يُنقِّروا، فزعموا -فيما زعموا-: أنَّ **أهلَ الدِّيوان** الذين يجتمعون في غارِ حراء كلَّ يوم عند طلوع الفجر -ومن المعلوم أنَّ غار حِراء قريبٌ مِن مكَّة، وفيه نزلَ الوحي على النَّبيِّ ﷺ لأوَّل مرَّة-؛ هؤلاءِ الأولياءُ أصحابُ الدِّيوان أو قُل: الأمم المتَّحدة مِن أهل الغيب، يعقدون مؤتمرهم في كلِّ صباح تحت رئاسةِ القطبِ الفرد الذي -بزعْمِهم- لا تتحرَّك ذرَّةٌ في العالم إلَّا بإذنِه، فيَنقُضون ويُبرمون، ويولُّون ويَعزِلون، ويَضعون منهاجًا دقيقًا لما يحدثُ في العالم لمدَّة أربعٍ وعشرين ساعةً؛ مِن ساعة مؤتمرهم إلى مثلها مِن اليوم التَّالي.

هذا الدِّيوان حكمَ على المغرب أَن يقاسي أَلَمَ الاستعمار، إلى متى؟ لم يذكر الدَّجاجلة أجلًا؛ بل تَركوا الأمرَ مبهمًا، وكأنَّهم يقصدون أنَّ هذا الحكمَ سجنٌ مؤبَّدٌ للمغاربة، وأكَّدوا للنَّاس أنَّ حكمَ الدِّيوان لا مردَّ له، وأنَّ كل مَن يحاول أَن يدافع أو يجاهدَ الفرنسيِّين؛ فمآلُه إلى الخسران المبين، واستدلُّوا على زعمهم بنهايةِ الثَّورات =

وَلُغةُ الأطفالِ، ولُغَةُ نَكيرٍ ومُنكَرٍ في القُبور، وَلَوْلَا أَنَّنا لا نُحِبُّ الاسْتِطْرَادَ والخُروجَ عنِ المَوضوعِ؛ لَبَسطْنَا القَوْلَ في رَدِّ هذهِ الدَّعْوى مِن الوُجْهَةِ الدِّينيَّةِ، فَلْنَتْرك ذَلِكَ لِمَقَامٍ آخَرَ(١).

غَيْرَ أَنَّنا رَأَيْنا أَنْ نَسْرُدَ -هُنا- لِلْقُرَّاءِ كَلِماتٍ مِن اللُّغاتِ السُّريانيَّةِ؛ تُبيِّنُ لَهُم أَنَّها لَيْسَتْ بِذَلكَ المكانِ القَصِيِّ -كَما تَخيَّلَه ذلك الوَليُّ المكاشِفُ-، وسَنقتَصِرُ على نَمُوذَجٍ مِن المُفْرداتِ الَّتِي تَتَّفِقُ فيها اللُّغتانِ: العربيَّةُ والسُّريانيَّةُ(٢)؛ فنَقول:

= الصَّغيرة؛ كثورةِ أبي عمامة، وثورةِ ماء العينين -أعني: أحد أولاده؛ وهو أحمد الهيبة-.

ولمَّا انتهت ثورةُ الأميرِ محمَّد بن عبدالكريم بغيرِ نتيجة مرضيَّة -وإن كانت عظيمةً أحدثَتْ دويًّا في العالم لا يُستهان به-؛ قال أحدُ الدَّجاجلة: كيفَ يَنتصرُ محمَّد بن عبد الكريم على الاستعماريِّين، وأنا بعيني رأيتُ الشَّيخ عبد القادر الجيلاني بلباس (قبطان) يقود الجيش الفرنسيَّ؟!

وكلَّما فشلت ثورةٌ؛ زادَ غرورُهم، واتَّخذوا فشلَها حجَّةً على صحَّةِ زعْمِهم.

ولمَّا ثارَ محمَّد الخامس وأصابَه مِن المِحْنَةِ ما لم يُصِبْ ثائرًا قبلَه؛ اغتبطوا بذلك، وطربوا له، وصارَ عندهم أعظمَ حجَّةٍ على تُرَّهاتهم، وبرقوا ورعدوا وازدادوا تسبيحًا وتقديسًا للاستعمار، فلم تمضِ عليهم إلَّا سنةٌ واحدةٌ حتَّى نادى منادِ الحقِّ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وصدَق عليهم قوله -تعالى-: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨].

ولمَّا عادَ البطل الثَّائرُ إلى عرشه ظافرًا منصورًا، تنظرُ له أممُ العالم نظرةَ إجلالٍ وإكبار؛ سُقِطَ في أيديهم، وخابوا وخسروا، وضلَّ عنهم ما كانوا يزعمون».

(١) انظر: ما سبق (ص١٣٤-١٤٢).

(٢) عالج هذا الموضوع **بدقة وعمق**: العلَّامة ربحي كمال (صديق المؤلِّف) في كتابه

(اللَّها-الله)، (مشيحا-المسيح)، (يشوع-عيسى)، (قدشا-القدس)، (قديشا-القدوس)، (كنيشتا-الكنيسة)، (صلوتا-الصلاة)، (ديرا-الدير)، (شمايا-السَّماء)، (ارعا -الأرض بإبدال الضَّادِ عَيْنًا-)، (مايا-الماء)، (عسب-العشب).

(جبرا-الرجل) وتُقرَأُ الجِيمُ في هَذِه اللُّغةِ كَما يَتلفَّظُ بها المِصريُّون في لُغتِهم الدَّارجة، ومِن هذا اللَّفظ: (جِبْريل) اسمُ مَلَكٍ مِن الملائِكَة، فـ(جِبْر) مَعناه (رجل)، و(اِلْ) اسمُ (الله)، ومعناهما: (رَجُلُ اللهِ) أَي: رسولُه.

(اتا: المرأة) وأَصلُه (أُنثى)، أُدغِمَتِ النُّونُ في الثَّاء، وأُبْدِلَتْ تَاءً مُثَنَّاةً.

(عُلَيما: الغُلام) وأَصلُه (غُلَيْم) تَصغيرُ (غُلَام)، وأُبْدِلَتِ الغَينُ المعجمَةُ عَينًا مُهملَةً؛ لأَنَّ الغَيْنَ المُعجمَةَ لا وُجودَ لها -بالأَصالَةِ- في اللُّغةِ السُّريانيَّة، نعم؛ تُبدَّلُ الجِيمُ في بَعْضِ الأَحوالِ غَينًا.

(اَبَا-الأب)، (أخا-الأخ)، (حما-الحَمُ)، (اُلْدَا-الوَلَدُ)، (أَمَا-الأُمُّ).

(بَتَّا-البنت) بإدغامِ النُّون في التَّاء، وتظهَرُ في الجَمْعِ؛ فيُقَال: (بنات ديرا-بنات الدير) يعني: الرَّاهبات[١].

= البديع «الإبدال في ضوء اللغات السامية»، وابتدأ بذكر مخارج الأصوات في العبرية والسريانية مقارنًا لها باللغة العربية، وبدأ بالمقارنات اللفظية والقيمة التعبيرية للحرف الواحد، ودرس الصلات الوثيقة بين أصوات كثير من الكلمات السامية ومعانيها، وبناء الكلمات السامية من حكاية الأصوات، والتناسب الطبيعي بين اللفظ ومدلوله، وأن المعنى العام يتوقف على صوتين -فقط- من أصوات الفعل الثلاثية، ثم درس الاشتقاق بينهما، وضرب مئات الأمثلة، فارجع إليه؛ فإنه **مهم**.

(١) نشر سنة ١٩٨٤م يوحنا إبراهيم في (جزأين) «الألفاظ السريانية في المعاجم العربية»، من تأليف إفرام الأول برصوم، **وهو مهم في استقصاء هذا الباب**.

وَلْنكْتَفِ بهذَا القَدْرِ؛ مَخافَةَ إِمْلالِ القَارِئِ، فهَذا نموذَجٌ مِن اللُّغةِ السُّريانيَّةِ الَّتي ذَهَبُوا بها ذَلِكَ المذْهَبَ البَعِيدَ، وَأَخَذوا يَخْترعُون الهَذَيانِ ويَنسُبونَهُ لها، ولِسَانُ حَالِهَا يُنشِدُهم:

لَا نُنَادِيْـكَ مِـنْ مَـكَانٍ سَـحِيْقٍ   عَبْدُ شَمْسٍ أَبُوكَ وَهْوَ أَبُوْنَا[1]

---

(١) الشعر لعبد الله بن عدي بن حارثة العبلي؛ أبي عَدِي الأموي، برواية:

عَبْـدُ شَمْسٍ أَبُـوكَ وَهـوَ أَبُوْنَا   لَا نُنَادِيْـــكَ مِـــنْ مَكَـــانٍ بَعِيْدِ

انظر: «أنساب الأشراف» (٢/ ٣٠٤)، «مختصر تاريخ دمشق» (١٣/ ١٨٢) لابن عساكر، «الأغاني» (٦/ ٣٠٥، ٣٠٧)، «معجم الشعراء» (٢/ ٧٦)، «ربيع الأبرار» (٤/ ٢٨٧).

وأخذ ابن الرومي البيت كاملًا؛ وهو في «ديوانه» (٦٨٧)، في قصيدة عملها لحباش بن الجعد، مطلعها: (أيُّها السيد...).

ومن إنشاد الغمر بن هشام بن عبد الملك، برواية:

عَبْدُ شَـمْسٍ أَبُـوكَ وَهـوَ أَبُوْنَـا   لَا نُنَادِيْـكَ مِـنْ مَكَـانٍ سَحِيـقِ

في «غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة» (١٤٤) (الباب الثالث في العقل) لأبي إسحاق الكتبي.

وبلا نسبة في «محاضرات الأدباء» (١/ ٤٦٧).

الحلقة الحادية عشرة

اللُّغاتُ تَقوَى بِقُوَّةِ دَولَتِها، وتَضعُفُ بِضَعفِها، وتَحيا بِحياتِها، وتَموتُ بِمَوتِها[١].

هَذِهِ حَقيقةٌ ثابتةٌ؛ أجمَعَ عُلماءُ اللُّغاتِ والأخبارِ عَلَى صِحَّتها، وأقامَت التَّجارِبُ فيها صحيحاتِ البَراهينِ، حتَّى سارَت كالشَّمسِ في رابِعةِ النَّهارِ لَيسَ دُونَها غَمامٌ، وفيها عِبرَةٌ عَظيمةٌ للمُعتبِرِ، ومَوعِظةٌ بَليغةٌ للمُتَدبِّرِ، وسَنَعرِضُ لِبَيانِها -في هذا المَقالِ- بَعدَما نَسوقُ كَلامَ ابنَ حَزمٍ الأندَلُسِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذَلِك.

قال في «الإحكام» في (ص٣٢ من الجزء الأول) -بَعدَ ما ذَكَرَ أنَّ اللُّغةَ السُّريانِيَّةَ كانَت هِيَ الأصلَ لِلُّغتَين: العَرَبيَّةِ والعِبرانِيَّةِ، وعَظَّمَ مِن شَأنِها- ما نَصُّهُ:

«وَقالَ قَومٌ: إنَّ اليونانِيَّةَ أبسَطُ اللُّغاتِ» أي: أوسَعُها، لا أهوَنَها أو أحقَرَها؛ كما يُعَبِّرُ بِهِ جَهَلَةُ الكُتَّابِ[٢]، يُريدُ: أنَّها أبسَطُ مِنَ السُّريانِيَّةِ الَّتي هِيَ أُم اللُّغاتِ -في نَظَرِهِ-، ثُمَّ قالَ:

«وَلَعَلَّ هَذا إنَّما هُوَ الآنَ -يَعني: في القَرنِ الخامِسِ الهِجرِيِّ-؛ فَإنَّ اللُّغَةَ يَسقُطُ أكثَرُها وَيَبطُلُ بِسُقوطِ دَولةِ أهلِها، ودُخولِ غَيرِهِم عَلَيهِم في مَساكِنِهِم،

---

(١) سبقت في مقدمتنا (ص٤١٣) مقالة للهلالي بنحو هذا العنوان.

(٢) انظر: «تقويم اللسانين» (ص٥٠ - ٥٢، بتحقيقي) للمصنِّف.

أو بِنَقلِهِم عَن دِيارِهِم، وَاختِلاطِهِم بِغَيرِهِم، **فَإنَّما يُقَيِّدُ لُغَةَ الأُمَّةِ وعُلومَها وأخبارَها: قُوَّةُ دُوَلِها، ونَشاطُ أهلِها، وفَراغُهُم.**

وَأمَّا مَن تَلِفَت دَولَتُهُم، وغَلَبَ عَلَيهِم عَدُوُّهُم، واشتَغَلوا بِالخَوفِ والحاجَةِ والذُّلِّ وخِدمَةِ أعدائِهِم؛ فَمَضمُونٌ مِنهُم مَوتُ الخَواطِرِ، ورُبَّما كانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِذَهابِ لُغَتِهِم، وَنِسيانِ أنسابِهِم وأخبارِهِم، وبُيُودِ -أي: فَناءِ- عُلومِهِم.

هَذا مَوجودٌ بِالمُشاهَدَةِ، وَمَعلومٌ بِالعَقلِ ضَرورَةً، وَلِدَولَةِ السُّريانِيِّينَ مُذْ ذَهَبَت وَبادَت آلافٌ مِنَ الأعوامِ، في أقَلَّ مِنها يُنسَى جَميعُ اللُّغَةِ، فَكَيفَ تَفَلَّتَ[1] أكثَرِها؟! وَالله -تَعالَى- أعلَمُ».

أقولُ: مُقارَنَتُهُ اللُّغَةَ اليونانِيَّةَ وَقُوَّتَها في زَمانِهِ بِاللُّغَةِ السُّريانِيَّةِ؛ وَصْفُها -حِينَئِذٍ- مَبنِيٌّ عَلَى ما ذَهَبَ إلَيهِ مِن أنَّ اللُّغَةَ السُّريانِيَّةَ هِيَ لُغَةُ إبراهيمَ وَدُوَلِ العِراقِ العِظامِ الَّتي عَبَرَت قَبلَ إبراهيمَ.

فَبَيَّنَ أنَّ اللُّغَةَ السُّريانِيَّةَ لَم تَكُن في الأَصلِ ضَعيفَةً؛ وَإنَّما ضَعُفَت بَعدَ فَناءِ دَولَتِها وَبقائِها يَتيمَةً مَضِيعَةً، وَقَد تَقَدَّمَ في المَقالاتِ السَّالِفَةِ ما فِيهِ مِنَ النَّظَرِ، وَما وَرَدَ في تَارِيخِ رُقِيِّ اللُّغَةِ السُّريانِيَّةِ وَانحِطاطِها، وَقُوَّتِها وَضَعفِها.

أَمَّا قَولُهُ: «**إنَّ اللُّغَةَ تَسقُطُ بِسُقوطِ دَولَةِ أهلِها، ودُخولِ غَيرِهِم عَلَيهِم في مَساكِنِهِم، أو نَقلِهِم مِن دِيارِهِم، وَاختِلاطِهِم بِغَيرِهِم**»؛ **فَهُوَ -لَعَمرِي!- حَقٌّ.**

---

(١) في الأصل: «تغلب»، والمثبت من «الإحكام».

وَمَن ذا الَّذي يَرتابُ فِيهِ؛ وَدَلائِلُهُ قائِمَةٌ، وَشَواهِدُهُ لائِحَةٌ في القَدِيمِ وَالحَدِيثِ؟

فَمِن شَواهِدِ ضَعفِ اللُّغَةِ، ثُمَّ مَوتِها بِدُخولِ الأجنَبِيِّ واستيلائِهِ -في القَديمِ-: السُّريانِيَّةُ؛ فَقَدِ استَولَى عَلَى الشَّرقِيِّينَ مِنَ السُّريانِيِّينَ: الفُرسُ، وَاضطَهَدوهُم؛ بِسَبَبِ تَمَسُّكِ السُّريانِيِّينَ بِالنَّصرانِيَّةِ، وَعَداوَةِ الفُرسِ -الَّذينَ كانوا عَلَى المَجوسِيَّةِ- لَهُم، واستَولَى الرُّومُ البيزَنطِيُّونَ عَلَى السُّريانِيِّينَ الغَربِيِّينَ، وَحَكَمُوهُم بِقُوَّةِ السِّلاحِ وَالأجنادِ.

وَهُم وَإن لَم يَضطَهِدوهُم في الدِّينِ بَعدَ تَدَيُّنِهِم -أي: الرُّومُ- بِدِينِ السُّريانِيِّينَ المَغلوبِينَ -بِخِلافِ الفُرسِ المَجوسِ-؛ فَإنَّ الحُكمَ وَالسِّيادَةَ -اللَّذَينِ هُما رُوحُ الأُمَّةِ- كانَتا في يَدِ الرُّومِ، فَلِذَلِكَ **غَلَبَت لُغَةُ الغالِبِ عَلَى لُغَةِ المَغلوبِ؛ فَقَتَلَتْها بِالتَّدريجِ**.

ثُمَّ جاءَ الغالِبُ التَّالي -وَهُمُ العَرَبُ- فَقَضَوا عَلَى البَقِيَّةِ الباقِيَةِ مِنَ السُّريانِيَّةِ بِدُونِ أن يَقصِدُوا ذَلِكَ، وَلَكِن حَسَبَ **القاعِدَةِ الكَونِيَّةِ** -الَّتي نَحنُ بِصَدَدِها-؛ وَهِيَ: **أنَّ لُغَةَ الغالِبِ تَحيَا، وَلُغَةُ المَغلوبِ تَموتُ** -بِطَبيعَةِ الحالِ-.

وَلَعَلَّ قَولَ ابنِ حَزمٍ: «أو بِنَقلِهِم عَن دِيارِهِم، وَاختِلاطِهِم بِغَيرِهِم»؛ يُشِيرُ إلَى ما وَقَعَ لِبَني إسرائيلَ حِينَ أجْلاهُم مَلِكُ بابِلَ(١)، وَنَقَلَهُم مَن دِيارِهِم؛ فَإنَّ ذَلِكَ النَّقلَ قَضَى عَلَى العِبرانِيَّةِ القَضاءَ التَّامَّ؛ فَماتَت بِالمَرَّةِ.

---

(١) هو نبوخذ نصَّر، وسبقت ترجمته في التعليق على «الفوائد السامية»، وهناك بيان الحادثة (الفصل الأول - السؤال الرابع).

هَذا؛ مَعَ تَعَصُّبِ اليَهودِ لِلُغَتِهِم، وَتَغَنِّيهِم بِها، وَمُحافَظَتِهِم عَلَيها مُدَّةً مِنَ الزَّمانِ؛ كَما تَدُلُّ عَلَيهِ (المَزاميرُ) في «التَّوراةِ»، وَقَد جاءَ في أَحَدِها ما تَرجَمَتُهُ:

«عَلَى أنهارِ بابِلَ جَلَسنا، هُنالِكَ بَكَينا؛ حِينَ سَأَلَنا مَن سَبَونا -أي: أَسَرُونا- أن نُغَنِّيَ(١) لَهُم نَشيدَ (يَهوَى) -أي: إلَهَ إسرائيلَ-، كَيفَ نُغَنِّي بِغِناءِ إلَهِنا وَنَحنُ في أرضِ غُربَةٍ مُنكَرَةٍ...» إلخ الأُنشُودَةِ؛ وَهِيَ مَشهُورَةٌ.

وَلَكِن؛ كُلُّ ذَلِكَ التَّعَصُّبِ لَم يَقوَ عَلَى مُقاوَمَةِ السُّنَّةِ الكَونِيَّةِ؛ فَبادَتِ العِبرانِيَّةُ، وَلَم يَبقَ عِندَ اليَهودِ مِنها إلَّا ألفاظٌ قَليلَةٌ يُصَلُّونَ بِها(٢).

نَعَم؛ قَدِ استَفادَ اليَهودُ في هَذا الزَّمانِ مِن أعمالِ المُستَشرِقِينَ، وَلَفَّقوا لُغَةً جَديدَةً؛ وَهِيَ خَليطٌ مِن لُغاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَقَد أدخَلُوا فِيها جَميعَ ما وَجَدوهُ مِنَ المُفرَداتِ في «التَّوراةِ» وَغَيرِها مِنَ الآثارِ العِبرانِيَّةِ، وَكَتَبوها بِالحُروفِ العِبرانِيَّةِ، وَهُم يُحاوِلونَ أن يَجعَلُوها خَلَفًا لِأُمِّها العِبرانِيَّةِ القَديمَةِ، وَيبذُلونَ في ذَلِكَ أَموالًا وَجُهُودًا عَظِيمَةً، وَيُحاوِلونَ أن يُؤَسِّسوا لَها دَولَةً لِتَكونَ ضَمانًا لِحَياتِها(٣)، وَاللهُ أعلَمُ بِما يَؤُولُ إلَيهِ أمرُها.

وَقَد بَدَا لِي أن أكتُبَ هُنا كَلِماتٍ مِنَ اللُّغَةِ العِبرانِيَّةِ؛ لِيَطَّلِعَ القارِئُ عَلَى نَموذَجٍ مِنها؛ كَما فَعَلتُ في السُّريانِيَّةِ؛ فَيَتَبَيَّنَ -بِنَفسِهِ- أَنَّ هَذِهِ اللُّغاتِ أصلُها واحِدٌ؛ كَما تَقَدَّمَ نَقلُهُ وَالتَّعليقُ عَلَيهِ(٤).

---

(١) في الأصل: «تغني».
(٢) انظر: «الفوائد السامية» (الفصل الأول - السؤال ٢٨).
(٣) فصَّله الهلالي وطوَّل في «الفوائد السامية» (الفصل الأول - السؤال ٤٤).
(٤) لربحي كمال دراسة مؤصلة، مسهبة، مهمة، وعميقة؛ تدلل على الاشتراك -هذا-، وسماها «الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة»، وهي منشورة سنة ١٩٨٠م، في (٢٦٥) صفحة، وسبق التعريف بها في التعليق على (ص٥٠٥).

(إلوهِيم- اللهُ)، وَأصلُ هَذا اللَّفظِ (إله)، أُبدِلَت أَلِفُهُ واوًا؛ فَصارَ (إلوْه)، وَذَلِكَ كَثيرٌ في العِبرانِيَّةِ؛ كَما في (شَلوم - سَلامٌ) و(لِشون - لِسانٌ) و(ذَروْع - ذِراعٌ) و(أَنُوش - إنسانٌ) و(روش - رَأسٌ) و(عولَم - عالَمٌ؛ أي: الأَبَدُ) و(حَمور - حِمارٌ)، وَغَيرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ جَمْعُ (إلوْه) -الَّذي هُوَ في العَرَبِيَّةِ (إله)- عَلَى (إلوهِيم)، وَهُوَ وَإن كانَ جَمعًا في اللَّفظِ بِحَسَبِ الأصلِ؛ فَإنَّما يَدُلُّ عَلَى مُفرَدٍ، فَهُوَ كَقَولِنا بِالعَرَبِيَّةِ: (اللهُ) (إل- اللهُ)، وَكَذَلِكَ جِبريلُ وَميكائيلُ وَنَحوُ ذَلِكَ.

و(أَدُونَاي - رَبِّي)، (هَمَلَاخ - المَلِكُ)، وَهَذِهِ الخاءُ وَكُلُّ خاءٍ في العِبرانِيَّةِ؛ فَهِيَ كافٌ، تُكتَبُ كافًا وَتُقرَأُ خاءً؛ لِوُجودِ مَدٍّ قَبلَها، فَلَو زالَ ذَلِكَ المَدُّ لِتَصريفٍ عارِضٍ؛ عادَت كافًا كَما هُوَ أصلُها، وَلا تُوجَد خاءٌ بِالأَصالَةِ في العِبرانِيَّةِ.

(هَشَمَايم - السَّماءُ)، (هَأرْص-الأَرْضُ) قُلِبَتِ الضَّادُ في العِبرانِيَّةِ صادًا، وَكُلُّ ضادٍ في العَرَبِيَّةِ؛ فَإنَّها تُبدَلُ في العِبرانِيَّةِ بِحَرفٍ آخَرَ هُوَ أسهَلُ في النُّطقِ، وَذَلِكَ دَليلٌ عَلَى ما ادَّعَيناهُ سابِقًا: أنَّ العَرَبِيَّةَ هِيَ كَالأُمِّ لِأَخَواتِها.

(هَمَايم - الماءُ)، وَكُلُّ هَذِهِ الهاءاتِ؛ فَهِيَ بِمَنزِلَةِ أداةِ التَّعريفِ في العَرَبِيَّةِ، (هَاأِش - الرَّجُلُ) وَأصلُهُ (إنْسٌ؛ أي: إنْسانٌ)، (هَاأشَا - المَرأَةُ)، (هَانعَر - الغُلامُ)، (هَنعَرة - الجارِيَةُ)، (هَاأدمَا - أَدِيمُ الأَرضِ)، (هَاعم - الشَّعبُ)، (هَمَلِخ - المَلِكُ)، (هَاهَار - الجَبَلُ)، (هَاعِير - المَدينَةُ)، (هَاسِفر - السِّفْرُ؛ أي: الكِتابُ)، (هَاقُدِش - القُدسُ)، (هَيوم - اليَومُ)، (هَليلة - اللَّيلَةُ)،

(هَاأمُور – القَولُ)، (هَقول – الصَّوتُ)، (هَكوخِب – الكَوكَبُ)، (ذَكَر – ذَكَرَ؛ فِعلٌ مِنَ الذِّكرِ)، (شَفَخ – سَفَكَ)، (قَام – قام)، (نَام – نامَ)، (عَبَر – عَبَرَ).

وَلنكتَفِ بِهَذا القَدْرِ في هَذا المَقامِ.

الحلقة الثانية عشرة

هل تُعَدُّ اللُّغةُ العربيَّةُ -الآن- في اللُّغاتِ الحيَّةِ النَّامية؟

هذا المبحثُ مِن أَهمِّ المباحثِ؛ **بل هو أَهمُّها**، وقَبْلَ أَنْ نخوضَ فيه؛ نعيدُ هنا كلامَ الإمامِ ابنِ حزمٍ في شروطِ حياةِ اللُّغاتِ وارتقائِها، فنَقولُ:

قال ابن حزمٍ(١): «فإنَّ اللُّغةَ يسقُطُ أكثرُها ويبطُلُ بسقوطِ دولةِ أهلِها ودخولِ غيرِهم عليهم في مساكنِهم، أو نَقلِهم عن ديارِهم واختلاطِهم بغيرِهم، فإنَّما يُقيِّدُ لغةَ الأمَّةِ وعلومَها وأخبارَها: قوَّةُ دولتِها ونشاطُ أهلِها وفراغَهم، وأمَّا مَن تَلِفَتْ دولَتُهم، وغَلبَ عليهم عدوُّهم، واشتَغَلُوا بالخوفِ والحاجةِ والذُّلِّ وخدمةِ أعدائِهم؛ فمَضمُونٌ منهم مَوتُ الخواطرِ، وربَّما كان ذلك سببًا لذهابِ لغتِهم، ونسيانِ أَنسابِهم وأَخبارِهم، وبُيودِ علومِهم، **هذا مَوجودٌ بالمشاهدةِ، ومعلومٌ بالعَقلِ ضرورةً**».

في هذا الكلامِ: بيانٌ لشروطِ حياةِ لغةِ الأمَّةِ وعلومِها، ونموِّ ذلك، ومجاراتِه للأممِ الحيَّة، **وذلك يَنتظمُ مَسائِلَ:**

أُولَاها -وهيَ المسألةُ الكُبرى-: **سقوطُ اللُّغةِ وبطلانُها بسقوطِ دولةِ**

---

(١) في «الإحكام في أصول الأحكام» (١/ ٣٢).

أَهْلِها، ودُخولِ غيرِهم عليهم في مساكِنِهم واختلاطِهم بغيرِهم، والمتكلِّمون بالعربيَّةِ مِن أهلِ البلادِ المتحضِّرةِ ينطبقُ عليهم هذا انطباقًا كُلِّيًّا أو جُزئيًّا؛ **فلذلك سقطَتِ اللُّغةُ العربيَّةُ وهي سائرةٌ في طريقِ الفناءِ منذ خمس مائة سنة.**

ثانيتُها: نشاطُ الأمَّة وفَراغُها لخدمةِ العلمِ، وهذا أَمرٌ مفقودٌ أو ضئيلٌ جدًّا؛ **كالمعدومِ في البلادِ المتكلِّمِ أهلُها بالعربيَّة.**

ثالثُها: موتُ الخواطِرِ، واشتغالُهم بالخوفِ والفقرِ والذُّلِّ، **وذلك موجودٌ فيهم مُشاهَدٌ.**

رابعتُها: نتيجةُ ذلك المترتِّبةُ على تلك المقدِّماتِ؛ وهي **فناءُ لُغتِهم وعلومِهم**، أَضِفْ إلى ذلك: **أَنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ القرآنيَّةَ القرشيَّةَ قد ماتَتْ منذ انقراضِ دولةِ بني أُميَّة؛ مِن حيثُ التَّخاطبُ بها طبيعةً بلا تكلُّفٍ في البيتِ والسُّوقِ والمدرسةِ، تخاطبًا يَستوي فيه الرَّجلُ والمرأَةُ، والكبيرُ والصَّغيرُ، والحَضَريُّ والبَدويُّ، ومنذُ ذلك العهدِ انحصرَتِ اللُّغةُ العربيَّةُ في طائفَةٍ خاصَّةٍ مِن المتعلِّمين، ثمَّ إنَّ هؤلاء لا يَستعملونها إلَّا في الكتابةِ أو الخطبِ في المحافِلِ العظيمةِ، ومعَ ذلك؛ فإنَّهم يَستحضرون أَذهانَهم وقواعدَهم، ويتكلَّفُون ذلك تكلُّفًا.**

وذلك -كلُّه- **يُنافي الحياةَ** كحياةِ اللُّغةِ الإنكليزيَّةِ والجرمانيَّةِ والإسبانيَّةِ والفرنسيَّةِ في هذا الزَّمان، وهذا النَّوعُ مِن الحياةِ -الَّذي بَقِي للُّغةِ العربيَّة- دامَ لها إلى آخرِ القَرنِ التَّاسعِ الهِجريِّ، وبعبارةٍ أُخرى: دامَ لها ذلك النَّوعُ مِن الحياةِ إلى أَن ماتَتْ آخرُ دولةٍ عربيَّةٍ في الشَّرقِ؛ وهي الدَّولةُ العبَّاسيَّةُ،

وزالَتِ الخلافَةُ الاسميَّةُ الَّتي كانت في مِصْرَ، واستولَتِ الدَّولةُ العثمانيَّةُ على أكثرِ البلادِ الإسلاميَّة، **فمنذُ ذلك العهدِ؛ أَخذتِ اللُّغةُ العربيَّةُ الكتابيَّةُ وعلومُها وآدابُها في الفناء والتَّلاشي، وكان ابتداء ذلك بضعف نموِّها وعجزها عن مُجاراةِ اللغات الحية، ثمَّ تَلا ذلك: الموت.**

فأوَّل ما مات من أعضائهَا: الكلماتُ المتعلِّقةُ بالطِّبِّ والصَّيدنةِ؛ هكذا حقَّقه الإمامُ البيروني[١] في كتابِ «الصَّيدنة»، وهي حِرْفَةُ الصَّيْدنيِّ؛ وهو الَّذي يَبيعُ الأَدْويةَ، وتَلاه عِلْمُ الفَلَكِ، والجُغرافية، وعِلْمُ الحَيوان، وعلمُ الفلاحةِ، وخواصُّ الأشياءِ، وعلمُ التَّحليل والتَّركيبِ، وعلومُ الصِّناعاتِ؛ كصناعةِ السُّفنِ، وعلمُ الحِيل، ورفع الأَثْقال، وعِلْمُ صناعةِ الأَسلحةِ، وسبَق ذلك في الغناءِ -بقرونٍ طويلةٍ- علمُ الموسيقى، والدَّليل على ذلك: أنَّ الأَصواتَ الغنائيَّةَ الَّتي ذكرَها أبو الفرَجِ الأَصفهانيُّ في كتاب «الأَغاني»؛ قد عُدِمَ مَن يَعرِفُها منذُ زمانٍ، لا يُدرَى أوَّلُه بالضَّبط! ولعلَّ أوَّلَه هو دخولُ التَّتار بغدادَ وتخريبُهم[٢] وقَتْلُهم وإفسادُهم، وكذلك العلومُ الرِّياضيَّةُ؛ فإنَّها أخذَتْ

(١) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (٣٦٢ - ٤٤٣هـ)، له كتاب «الصيدنة»؛ وهو قطعة فنية صيدلانية، نسيج وحدها، ونادرة، ورسالة الدكتوراه لتقي الدين الهلالي «ترجمة مقدمة «الجماهر على الجواهر» للريحاني»، وهي باللغة الألمانية، وترجمها -هو- للعربية، وانظر: «إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة» (٤٦ - ٥٠، ٣٢٥ - ٣٤٣)، وأصدرت أكاديمية العلوم السوفيتية سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م كتابًا بعنوان «البيروني»؛ يضم بين دفتيه الكثير من المقالات التي تبين فضل البيروني على الحضارة الإنسانية، وأفرده غير واحد بالتأليف.
وفي الأصل: «الفيروني».

(٢) في الأصل: «وتخريجهم».

تَضعفُ وتَتضاءَلُ حتَّى ماتَتْ، **مع أَنَّ العرَبَ كانَتْ لهم اليَدُ الطُّولَى فيها، ولهم فيها اختراعاتٌ صيَّرَتْ أُمَمَ الأرضِ مَدينَةً لهم بالشُّكر**[(١)]، إلى غيرِ ذلك مِن أعضاءِ اللُّغةِ العربيَّةِ الهالكةِ، وإنَّ لُغةً يَموتُ منها ذلك؛ لجَديرةٌ أَنْ يُقال: إنَّها مَيتة[(٢)].

---

(١) من الأخطاء الشائعة لدى بعضهم: أن العرب لم يتجاوزوا نقل الحضارة الإغريقية، وأن معظم أعمالهم انحصرت في عملية النقل -هذه-، حقًّا؛ لقد نقل العرب تراث الإغريق في الطب والفلسفة والجبر والعلوم الرياضية، لكنهم أضافوا إليها أعمالًا جديدة، ولهم فيها مبتكرات عزيزة؛ فقد كانت مؤلفات علمائهم مراجع أساسية، استخدمها الأوربيون حتى بداية القرن الرابع عشر في مختلف جامعات أوروبا ومدارسها.
انظر: «نماذج من التراث العلمي العربي» للدكتور محمد سويسي، مقدمة «التكملة في الحساب» (٩ - ٢٦)، مقدمة «منظومات ابن الياسمين في أعمال الجبر والحساب» (١٣ - ٢٠).

(٢) يقول الدكتور عبدالصبور شاهين في كتابه «العربية لغة العلوم والتقنية» (ص٨):
«قد يكون من الطبيعي أن تجد العربية خارج حدودها أعداء يكيدون لها، ولكن المفزع -حقًّا- أن يكون بعض هؤلاء الأعداء من بنيها، عن قصد أو عن غير قصد، ولذلك؛ فهي تقاتل في جبهتين، أقربهما أَمَرُّهما وأعصاهما؛ لأنها تقاتل قِطَعًا من نفسها (وظلم ذوي القربى أشد مرارة على النفس)، ولو كُتب لها النصر في هذه المعركة؛ فإن ما عداها يهون، ونحن نتطلع إلى اليوم الذي يتحول فيه كل العرب إلى عشاق مغرمين بلسانهم، ذائبين في حرفه، يحسنون درسه، ويجيدون نطقه، ويلزمون غرزه؛ فلا ينطقون على أرض العرب إلَّا بالعربية، وعلى من أراد أن يعيش بين ظهرانيهم من الأجانب أن يتعلَّم لسانهم، ويعاملهم بكلامهم، عندئذٍ؛ سوف يكون لهذه الأرض احترامها، وسوف تعود لها مهابتها وعزَّتها، ولسنا في هذا بدعًا؛ فإنَّ أمريكا -على سبيل المثال- لا تسمح بالدخول إليها إلَّا لمن يعرف الإنجليزية، أمَّا الآن؛ فإنَّ الوضع مؤسف إلى حدِّ الإبكاء! أقطار كاملة من أملاك العربية، لا تكاد تسمع فيه العربية على الإطلاق؛ فقد أسلمت قيادها للهجة أو عدة لهجات محلية طاغية على كل ما =

= فيها ومن فيها، في البيت والشارع ووسائل الإعلان والإعلام، وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد؛ بل إنك لتجد المعلِّمين في المدارس، والأساتذة في الجامعات يدرِّسون ويحاضرون -أيضًا- باللغة العامية، فإذا ما سألت أحدهم: لماذا لا تدرِّس باللغة العربية؟ فإذا كان عربي التخصص؛ أبدى الندم بسبب تقصيره، ووعد بأن يحاول، وإذا كان مدرِّسًا لمادة غير العربية وآدابها؛ فربما جاء اعتذاره أقبح من الذنب، وقال: وما أهمية ذلك؟ أنا لست (بتاع) عربي!! وهنا يحس المرء -حقيقة- أنَّ اللغة العربية ليست بحاجة إلى الاهتمام بتعليمها وممارستها في كل شؤون الحياة -فقط-؛ بل هي بحاجة إلى الحب -أولًا وقبل كل شيء-، فهل نستطيع أن نعلِّم أبناءنا حبَّ لغتهم؟! وهناك أقطار كاملة أخرى من أملاك العربية تحتلها رطانات آسيوية وأوربية؛ تصرُّ على أن تملأ آذان الحياة بضوضائها ولغوها، حتى ليتذكر المرء -وهو ضائع بين هذه الرطانات- قول المتنبي في شعب بوان:

ولكِنَّ الفَتى العَرَبيَّ فيها غَريبُ الوَجهِ واليَدِ وَاللِّسَانِ

وربما هان الأمر لو اقتصر على الشارع؛ فيقول القائل لنفسه: مالي ولهؤلاء، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، ولكن هذه الرطانات قد تسللت إلى داخل البيوت والمخادع، وتولت رعاية الأطفال، وفرضت أصواتها ونبراتها ولكنتها على الأسرة العربية، وروجت أذواقها كما روجت بضائعها ومنتجاتها الحضارية، وهذا أخطر ما يواجه اللغة من أخطار تربي على بلاء الاستعمار.

أهي نقمة النعمة؟ أم هو انحلال الترف؟ أم أنها عاصفة وتمضي؟ أرجو أن تكون هي الأخيرة.

إنَّ بعضًا من أساتذة الجامعات والعلماء يصرُّون على التدريس والتأليف باللغات الأجنبية ويفاخرون بذلك! وفئة أخرى منهم ارتضت أن ترضع أحاديثها ومؤلفاتها بالكلمات والمصطلحات الأجنبية، ودلالة هذا واضحة؛ نحن لا نحترم لغتنا، ولا نبالي بإثباتها والتأكيد عليها في كل المجالات، وهذا أول الطريق لفناء الأمم!

إننا نريد تعريب المعرفة، لا دعم التغريب وتخليده، وإذا فشلنا في تعريب العلوم، وإنشاء مصطلحات جديدة تناسب الارتقاء العلمي في كل المجالات؛ فإن هذا يعني أمرًا واحدًا: هو أننا متسوِّلون في ميادين الطب والرياضيات والكيمياء والفيزياء =

ثمَّ لمَّا ضَعُفَتِ الدَّولةُ العُثمانيَّةُ وانْفَصلت أجزاءُ العالمِ الإسلاميِّ بعضُها مِن بعضٍ؛ جاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبرى، وطَغتِ اللُّغاتُ الأَجنبيَّة على البَقيَّةِ الباقيةِ مِن اللُّغةِ العَربيَّة؛ بِكَثْرةِ التَّرجمةِ، وكونِ المُترجِمين ضُعفاءَ اللُّغتَين: المترجَمِ مِنها، والمُترجَمِ بِها، فأَخذُوا يَستعملون مُفرداتٍ وجُملًا في غيرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ، ودَخلَ الخَللُ بالتَّدريجِ في الأُسلوبِ العَربيِّ المَتينِ، ونشأَ ما سمَّاه العالِمُ اللُّغويُّ إبراهيم اليازَجي[1] بـ(لُغةِ الجَرائِدِ)، وألَّفَ في ذلك جُزءًا سمَّاه «لُغَةُ الجَرائِدِ»[2]، وحذَّر من هذا الخَطر الجارِف، ولكن جهوده -وجهود غيره من

= والأحياء والصيدلة... إلخ، وسنبقى متسوِّلين أبدًا! إننا نملك ناصية المعرفة عندما ننقلها إلى لساننا، أمَّا عندما ننتقل نحن إلى ألسنة الآخرين؛ فسنكون عالة عليهم، وسنبقى أتباعًا ضائعي الهوية، لا قيمة لنا في الأرض، ولا وزن لنا في السماء».
انظر: «تدريس فنون اللغة العربية» (٥٥ - ٥٧).

(١) هو إبراهيم بن ناصيف بن عبدالله بن ناصيف بن جنبلاط اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦م) (١٢٦٣ - ١٣٢٤هـ)، عالم بالأدب واللغة، ولد ونشأ في بيروت، انتدبه المرسلون اليسوعيون للاشتغال في إصلاح ترجمة الأسفار المقدسة وكتب أخرى لهم؛ فقضى في هذا العمل وأشباهه نحو تسعة أعوام، وتعلَّم العبرية والسريانية والفرنسية، له ترجمة في «الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية» (٥/ ١٤٣)، وفي تعليقي عليه مصادر ترجمته، مع ذكر من أفرده بالتأليف.
ومن الجدير بالذكر: البحث الذي كتبه الشيخ عبدالكريم حامد -حفظه الله- في مجلة «الكلمة الطيبة»، عدد (شوال ١٤٤٢هـ)، (ص٣٤ - ٤٠)، بعنوان (عبث نصارى الشام بلغة العرب)؛ فضح فيه نصارى الشام، واهتمامهم الزائف باللغة العربية؛ ليتسلقوها -بفهمهم المنحرف- سُلَّمًا لتهميش الدين والعقيدة، منهم: ناصيف اليازجي، وابنه إبراهيم، وأنستاس الكرملي، ولويس شيخو، وإسكندر المعلوف، وابنه عيسى.

(٢) نشره في مجلته «الضياء»، ثم أفرد وطبع، وللأستاذ نديم الملاح استدراكات لغوية على ما انتقده اليازجي، منشورة في كتابه «مختارات في اللغة والأدب»، ولميخائيل =

المحافظين- ذهبت أدراج الرياح؛ ضرورةَ أن **اللغة لا تقوم بها إلا دولة** -كما تقدم-.

وما زالت هذه اللغة في نُحوسِ طالعٍ وهبوطٍ؛ إلى أَنْ **وصلَتْ -في هذا الزَّمانِ- إلى أسفلِ سَافِلِين، حتَّى إنَّه لو بُعِثَ أَحدُ الفُصَحاءِ مِن السَّلفِ، وقَرأَ صحيفةً مِن الصُّحفِ اليومَ؛ لاحْتَاجَ إلى مَن يُترجِمُها لَهُ، ولَـمَا عَرَفَ مِنها إلَّا جُملًا قليلةً مُتفرِّقةً، كما أَنَّ قرَّاءَ العربيَّة -اليومَ- أَكثرُهم إِذا قَرؤوا كلامًا بَليغًا -وَلو كان كاتبُه مُتأخِّرًا كإبراهيمَ اليازجيِّ-؛ احتاجوا إلى مَن يُفهِّمُه لهم.**

وَليس هذا من بابِ التَّطوُّرِ والتَّجدُّدِ -كمَا يتوهَّمُه أقوامٌ-؛ فإِنَّ الجسمَ لا يمكنُ أَن يُجدِّدَ قوَّتَه وحياتَه إلَّا إذا كان كامِلَ الأعضاءِ، وكانت هناكَ قُوَّةٌ تتوَلَّاه برِعايتِها؛ وهي الدَّولةُ -كمَا سلَفَ-، وأمَّا الجسمُ الَّذي ماتَ أَكثرُ أعضائِه مَوتًا تامًّا، وليسَتْ لَهُ قُوَّةٌ كافِلَةٌ، وقَد توَقَّفَ نُموُّه مُذ أَحقابٍ -كاللُّغةِ العربيَّةِ اليومَ-؛ فإِنَّه صَائِرٌ إلى الفناء.

وكيفَ تَقدِرُ اللُّغة العربيَّةُ -معَ ما تَقدَّم مِن العوائقِ- أَنْ تُجارِي لُغاتِ الأُممِ الحيَّةِ، وقَد تقدَّمت لُغاتُها في القرونِ الخَمْسةِ الأَخيرةِ أَشْواطًا بعيدةً، وزادَ فيها مِن آلافِ الكَلِماتِ والاصطلاحاتِ بمِقْدارِ ما ماتَ مِن العربيَّة.

على **أَنَّ حياةَ اللُّغةِ مَنوطَةٌ بوُجودِ عَصبيَّةٍ قَويَّةٍ لها؛ وَهذِه العَصبيَّةُ مفقودةٌ في البُلدانِ العَربيَّة**[١]**، حتَّى في مِصْرَ والعِراقِ والشَّام**، وكَم رأَيْنا مِن طالبٍ أتَمَّ

= أفندي عبدالسيد «سلوان الشجي في الرد على إبراهيم اليازجي»، وللكرملي «النغم الشجي في أغلاط اليازجي».

(١) لكنها موجودة عند الأعاجم -للأسف!- من المسلمين؛ ممن يعيشون في باكستان =

....

= وإندونيسيا، ويجيب الهلالي على سؤال: لماذا يحب الباكستانيون اللغة العربية؟ فيقول في مقال له بعنوان (العربية هي اللغة الإسلامية العامة) المنشور في مجلة «الثقافة الإسلامية» البغدادية، السنة الثانية، العدد (١٥)، السبت ٢ ذي القعدة ١٣٧٦هـ - ١ حزيران ١٩٥٧م، (ص٢٣)، قال:

«**الجوابُ سَهْل:** وهو أَنَّ الباكستانيِّين يَنظُرون إلى العربِ نَظرةَ التَّقديرِ والتَّعظيمِ والإِجلالِ؛ باختيارِهم الأمَّةَ الَّتي نقلَت الدِّينَ الإِسلاميَّ إلى أَرجاءِ الأَرضِ.

فلو أَنَّ أمَّةً مِن أُمَمِ الغَربِ لَها مِثْلُ هذهِ العَلاقةِ معَ الباكِستان؛ لَذَابَتِ الأُمَّةُ الباكستانيَّةُ فيها عَن طريقِ الإِغراءِ والتَّرغيب.

ونحنُ العربَ مقصِّرون أشدَّ التَّقصيرِ بالنِّسبةِ لأَنفُسِنا وبالنِّسبةِ إلى الأممِ الإِسلاميَّةِ كالبَاكستان وإِندونيسْيَا، فلو أَنَّنا بذَلْنا أَبسطَ الجهودِ في سبيل نَشْرِ الثَّقافةِ العربيَّةِ الإِسلاميَّةِ في تِلكمُ البلاد؛ لحَصَلْنا على أَعظمِ النَّتائجِ الَّتي تَعودُ فَوائِدُها على الجَميع.

على الإِذاعاتِ العربيَّةِ واجبٌ كبيرٌ؛ وهوَ نَشْرُ وتَدريسُ اللُّغةِ العربيَّة، كما تَفعلُ الإِذاعاتُ الأُخرى في تَدريسِ اللُّغةِ الإِنكليزيَّةِ للعرَبِ وغيرِهم.

وعَلى وِزاراتِ المعارفِ ومديريَّاتِ الأَوقافِ في البلادِ العربيَّةِ واجباتٌ كبيرةٌ تتعلَّقُ بالتَّبادُلِ الثَّقافيِّ والدِّينيِّ.

إِنَّ الباكستان وإندونيسيا حِصْنان إسلاميَّان مَنيعان، وعَلينا أَنْ نُؤازِرَهما، وَلا يَتِمُّ التَّآزُر إلَّا عن سَبيلِ التَّفاهُم، واللُّغةُ العربيَّةُ هي (اللُّغةُ الإسلاميَّةُ العامَّةُ) الَّتي يجبُ أَن يَتعلَّمُها المسلمون -جميعًا-.

ونختمُ هذا التَّعليقَ بالكلمةِ التَّاليةِ الَّتي نَنقلُها عن مجلَّةِ «العرب»:

«خطبَ النُّوابُ صديق علي خان المندوبُ السَّامي الباكستاني في سيلان في حفْلٍ أَقامَتْهُ الكُلِّيَّةُ الزَّاهِرَة؛ فحَثَّ الطَّلَبةَ على تَعلُّمِ العربيَّةِ قائلًا: إِنَّها الوَسيلةُ الوَحيدَةُ لِرَبطِ مُسلِمي العالَـم بَعضِهم ببَعْض.

وقالَ: كَفى هذه اللُّغةَ شرفًا أَنَّها لِسانُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ولسانُ نبيِّه الكريمِ -صلواتُ الله عليه-، ولسانُ أهلِ الجنَّة، وبها تُؤدَّى فَريضَةُ الصَّلاةِ.

وممَّا يُذكَرُ أَنَّ الكُلِّيَّةَ الزَّاهرةَ -هذه- في مدينةِ كُولومبو عاصمةِ سِيلان؛ كان قَد وضع أُسسَها المرحومُ أَحمد عرابي باشا بَعْدَ نَفْيِهِ إِليها، وهو باعِثُ النَّهضةِ العِلْميَّةِ العربيَّةِ في سِيلان -كلِّها-. =

دروسَه الثَّانويَّة -بزَعْمِه وزَعْمِ مَدرسَتِه-، ثُمَّ تَوجَّه إلى أُوربَّة؛ لِينتظِمَ في سِلْكِ مَدارسِها العُلْيا، فلمَّا طَلبَ منه أُستاذُ اللُّغةِ العربيَّة أَنْ يقرَأَ شهادتَه المكتوبةَ بالعربيَّةِ -نفسِها-؛ لم يَستطِعْ أَنْ يَقرأَها قِرَاءةً صَحيحةً، ولمَّا ناقشَه في مَدلولاتِ أَلفاظِها؛ وَجدَه لا يَعرِفُها، فتَعجَّبَ مِنه وممَّن أَعطاهُ الشَّهادةَ! وذلك نَتيجةُ إهمالِ دروسِ العربيَّة، وجَعْلِ الجُهودِ -كُلِّها- في لُغاتِ الأَجانبِ؛ **بِدَعوى أَنَّ اللُّغةَ العَربيَّةَ لا فائدةَ فيها، وهؤلاءِ أُدباؤُها الكبارُ يَعيشون مَعِيشةً ضَنْكًا مُبعَدين مِن المناصب العالية، بخلافِ المُثقَّفين بالثقافة الأجنبية؛ فهم في أرغد عيش، وفي أعلى المناصب، وإن كانوا خاوي الوِفاضِ في اللُّغة العربيَّةِ وآدابِها.**

فإذا كانتِ اللُّغةُ العربيَّةُ كذلكَ مَنبوذةً، مجعولةً بالمكانِ القَصيِّ، ومنظورًا إليها بعينِ الازدراءِ، وأَحيانًا كثيرةً بعينِ العَدَاوةِ، حتَّى مِن أَبنائِها في أَعزِّ أوطانِها؛ فكيفَ يُقالُ: إنَّ لها عَصبيَّةً؟! وإذا لم تَكُنْ لها عَصبيَّةٌ؛ فكيفَ تُرجَى لها حياةٌ؟ **بل قَد رأَيْنا رِجالًا مِن أَبناءِ اللُّغةِ العَربيَّةِ يتَوسَّلُون إِلى ارْتِقَاءِ**

= وفي خطابٍ بَليغٍ أَلقاه السِّردار (عبد الرَّبِّ نشتر) في حفْلِ ليلةِ الإسراءِ والمعراج!! في كراجي، في جلسةٍ شعبيَّةٍ كُبْرى أَقامَتْها جمعيَّةُ علماءِ باكستان؛ قال: إنَّني أَعجَبُ منكم يا أَبناءَ البَاكِستان! كيفَ تُهمِلون اللُّغةَ بعِلْمِ العربيَّةِ وهي لِسانُ أَهلِ الجنَّة، وبغيرِ هذه اللُّغةِ لا تَستطيعون أَن تتفاهمُوا معَ أَهلِ الجنَّة ولا أَن يُسمَحَ لَكم بدُخولِها؟ إنَّ الَّذي يَعلَمُ العربيَّةَ هو الَّذي يستطيعُ أَنْ يَنْعَمَ بالجنَّةِ، وأَنْ يَتحدَّثَ بهذه اللُّغةِ الشَّريفَةِ إلى أَهلِها»».

قال أبو عبيدة: لشقيق المصنِّف الصغير -واسمه (محمد العربي الهلالي)- جهود جبَّارة في نشر العربية في باكستان، وانظر تفصيله: في كتابي «رحلة تقي الدين الهلالي إلى باكستان»، يسَّر الله نشره بخير وعافية.

المناصِبِ في بلادِهم العربيَّةِ الَّتي لَها -في الظَّاهرِ- دَولةٌ عربيَّةٌ؛ بالطَّعنِ في آدابِ اللُّغةِ العربيَّة وانتقاضها!

هذا -كلُّه- في البلادِ العربيَّةِ، وأمَّا اللُّغةُ العربيَّةُ في أوربَّة؛ فلها مَقامٌ آخَرُ، فإنَّها تُدرَّسُ في البلادِ الأوربِّيَّة -كجرمانيَة وهولاندة وفرنسة وبريطانية وإسبانية وسوِيسرة وسويد وغيرِها- بغايةِ العِناية والتَّحقيقِ، **وليسَ مَقصودُ هؤلاءِ بدرسِ اللُّغةِ العَربيَّةِ: إِحياءَها لِتكونَ لُغةً قَوميَّةً لهم أو لغيرِهم؛ بل يَدرُسونها لِيطَّلِعوا على ما خلَّفه العرَبُ مِن كنوزِ العِلْمِ والأَدب، كما يدرسون اللُّغاتِ القديمَة الميتَة؛ كالعبرانيَّة والسُّريانيَّة واليُونانيَّة واللَّاتينيَّة.**

هذا؛ وقَد انحطَّتِ اللُّغةُ العربيَّة وعلومُها وآدابُها في ديارِ المتكلِّمين بها -في هذه السَّنوات الأخيرةِ- حتَّى بلغَتْ حدًّا مروِّعًا، فإنِّي بعدما رجعْتُ مِن أوربَّة؛ **رأيتُ جميعَ الكتُبِ المطبوعةِ في مصر -أخيرًا- مخرومةً ومشوَّهةً بالتَّحريف والتَّصحيف، حتَّى كأنَّها طُبِعتْ في بلادِ الصِّين، وحتَّى أنِّي ندِمْتُ على ما اشْتريتُه[1] منها، وصِرْتُ لا أثِقُ بالكتابِ الحديثِ الطَّبع، على ما يكونُ فيه مِن جمالٍ وزخرفةٍ، وأودُّ لو أنَّ لي منه -أي: بدلَه- نسخةً مطبوعةً بمطبعةِ الطُّوبي[2] سنة ١٣٠٠هـ -مثلًا-.**

---

(١) في الأصل: «اشترته».

(٢) هو محمد عبدالواحد الطوبي، أنشأ -بمشاركة عمر حسين الخشاب وولده محمد- المطبعة الخيرية، وكان مقرُّها حوش عطية بحي الجمالية في القاهرة، وكان اسم (الطوبي) يتردد كثيرًا في نشر الكتب على ذمته ونفقته، انظر: «في اللغة والأدب» (٢/ ٦٦١، ٦٧٠، ٦٧١) للطَّناحي، مجلة «مجمع اللغة العربية بدمشق» (٨/ ٢٢) و(٩/ ١٦).

يمكنُ أَن نَستثني مِن ذلك: مطبوعاتِ دار الكتب المصريَّة[١] وبُولاق[٢]، على أنَّ هذه إذا قِسْتها بمطبوعات ليدن وليبتسيك -ولا تقل: ليبزيج- وكيمبرج (بريطانيا) وباريس؛ تجِدِ الفَرْقَ كبيرًا، والبَوْنَ بعيدًا.

وأقصُّ عَلَيْكَ قِصَّةً أَسوقُها شاهدًا لِكَلامي وحُكْمي، وهذه القصَّةُ وقعَتْ منذ ١٢ سنة، وكانتِ الحال -إذ ذاك- أحسَنُ مِنها فيما بعْدُ بكثيرٍ-«كلُّ يومٍ تَرذُلون»[٣]-.

وذلك؛ أنَّ العالِمَ السَّلفيَّ المحدِّثَ الإمامَ محمَّد بن أمين الشَّنقيطي[٤]،

(١) انظرها بالتفصيل: في كتاب «دار الكتب المصرية: تاريخها وتطورها» للدكتور أيمن فؤاد سيد.

(٢) حظيت مطبعة بولاق بعناية فائقة في الإدارة والتصحيح والمراجعة، انظر عنها: كتاب «مطبعة بولاق» لإسماعيل سراج الدين، «في اللغة والأدب: دراسات وبحوث» (٢/ ٦٣٢، ٦٥٦) للعلامة الطَّناحي.

(٣) من كلام الحسن البصري؛ أخرجه أبو حاتم الرازي في «الزهد» (٢١) وغيره، **وإسناده جيد.**

(٤) هو محمد الأمين بن عبدي فال الخير الحسني؛ والد زوجة الهلالي، ولد سنة ١٢٩٣هـ، وتوفي سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

التقى الهلالي به أثناء إقامته بمدينة البصرة سنة ١٣٤٣هـ، وزوَّجه ابنته عائشة، وانتفع كثيرًا بمجالسته ومذاكرته، والشنقيطي -هذا- ليس هو صاحب «أضواء البيان»، وترجمه الهلالي بترجمة مطوَّلة؛ أودعتها في كتابي «مقالات السِّيَر والتراجم والمناقب لتقي الدين الهلالي» (١٨١ - ١٨٦).

له ترجمة في: «علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون» (٦٨٩)، «من أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر» (٧١)، «شيخ الأدباء في البحرين إبراهيم بن محمد خليفة» (ص٩٥) للشيخة مي محمد الخليفة، «أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق» (ص٣١٢ - ٣٢١)، «إمارة الزبير بين هجرتين» (٣/ ١٤٦). =

نزيلَ البَصْرة ودَفِينها رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخبرني سنة ١٣٤٠هـ أنَّه بعث إلى كُتْبيٍّ في بمباي (الهند) يَلتمس منه أن يستورِدَ له نسخةً مِن كتابِ «الكامِل» للمُبرِّد (طبع أوربَّة)؛ فكتب[1] هذا الكتبي إلى جَرمانية، فبَعْد لَأْيٍ؛ وَجدَ نسخةً عند يهوديٍّ طلبَ فيها ١٥٠ روبية -١٢ جنيهًا ونصفًا-، فاشْتَراه له، وفَرِحَ به فَرحًا شديدًا، وكانت عندَه -غير تلك النُّسخة- ثلاثُ نُسَخ مِن الطَّبعات الثَّلاث المطبوعة في مِصْر؛ فقُلْتُ له في ذلك.

فقال لي: إنِّي أدرِّس هذا الكتابَ للطَّلبةِ؛ فتَعْرِضُ في أَثناء القِراءةِ مَسائلُ أشكُّ في فَهْمِها، ويَلْتبسُ عليَّ وجهُ الصَّوابِ فيها، فلا أَدْري! أَذلك مِن قُصوري وسوءِ فَهْمي أَم مِن تحريفِ النُّسَّاخ وعدمِ التَّصحيح؟ لأنَّ التُّجَّار -الَّذين يَطبعون الكتبَ في مِصْرَ- لا يَطبَعُونها للعِلْم؛ بل للتِّجارة، وليس هناك رقيبٌ علَيهم، فهُم لا يَعتنون بِتَصحيحِها، فلا يَختارون لها العُلماء الأَكْفاء، ولا يَجْمعون النُّسَخَ الخطِّيَّة الموجودةَ في مِصْر، فضلًا عن النُّسخ الموجودةِ في خزائنِ العالَم؛ بل يَكتَفُون بنُسخةٍ واحدةٍ -كيفَما اتَّفقَت-، وبمُصحِّحٍ جاهِلٍ؛ طلبًا لِقِلَّة الأُجْرة، وكثيرًا ما يَرتكِبُ هذا المصحِّحُ -على ذَلِك- (القَطْعَ والوَصْلَ).

فقُلْتُ: وما هو القَطْعُ والوَصْل؟

= ولتلميذه الأستاذ عبد اللطيف الدليشي الخالدي «من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة: الشيخ محمد أمين الشنقيطي»، طبع سنة ١٤٠١هـ عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية، في (٣٣٥) صفحة، واعتمد الدليشي في ترجمته على مذكرات خاصة للمترجم له.

(١) في الأصل: «فكتبب».

فقال: إذا وَجدَ لَفْظًا لم يقدِرْ على قراءَتِه؛ يحذفُه وما يليه، ويزيدُ مِن عندِه جملةً أو كلمةً لِيَستقيمَ الكَلامُ، ويُخفِي البَتْر.

هكذا قالَ أو نحوه، ثمَّ قال: أمَّا هذه النُّسخةُ المطبوعةُ في أوربَّة؛ فليسَتْ كذلك، فإنَّها لم تُطبَعْ للتِّجارةِ، وإنَّما طبَعها العلماءُ لِلعلْمِ والدَّرسِ، بعدَما جَمعوا النُّسخَ المخطوطةَ الموجودةَ في خزائنِ الدُّنيا، وعَكفوا على مُقابلَتِها سِنين طِوالًا، وأَثْبتوا على الهامِش اخْتلافَ النُّسخِ ولو في حرفٍ واحدٍ، فإذا درَس العالِمُ أو المتعلِّم في هذه النُّسخةِ، ولم يَفهَمْ مسألَةً؛ يترجَّحُ عندَه -إِذْ ذاك- لِقُصورِه وَسوءِ فهْمِه، لا لِتَحريفٍ أو تَبديلٍ[١].

(١) ليست هكذا جميع النسخ الأوربيَّةَ، ونسخة (رايت) -التي نشرها في ألمانيا - ليبتسيك سنة ١٨٦٤م من «الكامل»- من **النسخ المهمة**، وقد مدحها العلَّامة أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في نشرته للكتاب -نفسه- سنة ١٩٤٣م؛ فقال: «وهي مطبوعة جيدة جدًّا، عمدة في تحقيق الكتاب، وقد اعتمد هو على أصول مخطوطة نفيسة، وأثبت في الحواشي كل خلاف بينها، وإن كان ضئيلًا، حتى كأنها صورة لكل المخطوطات التي كانت في يده...»، وهي كما قال، وقد بذل هذا المستشرق الكبير جهدًا عظيمًا في خدمة الكتاب، وبالغ في ضبطه عن أصوله التي بين يديه، وصنع له الفهارس الشاملة الفائقة الدقة، ثمَّ ألحق به جزءًا صغيرًا خاصًّا بالتعليقات والمستدركات، وفيه معارضة لنسخ لم يكن وقف عليها خلال الطبع، وفيه -أيضًا- تعليقات للمستشرقين: نولدكه، وفليشر، ودي غويه.

وقد اعتمد رايت على سبع نسخ مخطوطة ومطبوعة، واحدة قديمة في القسطنطينية طبعت سنة ١٢٨٦هـ، وسجل في جزء التعليقات اختلافات بعض النسخ، وفيه -أيضًا- تصحيح لبعض ما وقع في الكتاب واستدراك عليه، وتعليقات لثلاثة من المستشرقين -سلف ذكرهم-.

وأثبت رايت في مطبوعته جميع الحواشي التي وجدها على النسخ التي بين يديه، وجعلها بين حاصرتين؛ تمييزًا لها من الأصل. =

هذا؛ وقَد كان هذا العالِـمُ أَديبًا حافظًا مُتْقِنًا، ولو عاشَ إلى هذا الزَّمان، ورأَى الكتُب الَّتي طُبعَتْ في السَّنواتِ الأَخيرة؛ لمَدَح ما ذَمَّه مِن مطبوعاتِ ذلك الزَّمان.

فالعجبُ ممَّن يدَّعي العِلْم والأدبِ، ويظنُّ أنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ قد ازدهرَتْ آدابُها وعُلومُها في هذا الزَّمان، ويُحدِّثُ عن النَّهضةِ الحَدِيثةِ ويُطيل، ولا يُميِّزُ بين كَثْرةِ القرَّاء وبين رُقِيِّ اللُّغةِ!

فإذا كان الأُمِّيُّون -اليومَ- في البلادِ المتكلِّمةِ بالعربيَّة أقلَّ منهم أَمْسِ؛ فليسَ ذلك دليلًا على عدَمِ انْحطاطِ اللُّغةِ العربيَّةِ مادَّةً وأُسلوبًا، وإِسراعِهَا في طريقِ الفَناءِ، وإنَّما وقعَ ذلك بانتشارِ الحضَارةِ الأُوربِّيَّة، وما يُلازِمُها مِن معاهدِها العِلْميَّة، فَسرَتِ العَدْوى مِنها إلى المتكلِّمين بالعربيَّة؛ فأَخذوا يُترجِمُون البَرامِجَ الأوربِّيَّة، ويُقلِّدُونها تَقليدَ الأَعْمى، على غَير هُدًى ولا بَصِيرة ولا عِلم؛ **فكَثُرَ القُرَّاء وقَلَّ العلماء**، وفي العَهدِ العُثمانيِّ كان قُرَّاءِ اللُّغةِ العربيَّةِ قليلًا، ولكنَّ عُلماءَها كانوا أكثرَ مِنهم اليومَ وأَفضَلَ.

= وقد أفاد الشيخ المحدِّث أحمد محمد شاكر من بعض ما في جزء التعليقات، ولكنه لم يستطع «تتبُّع كل ما فيه في هذه الطبعة؛ لضيق الوقت، وكثرة العمل».

وعلى ما بذل الشيخ أحمد شاكر في مطبوعته؛ فقد ظلَّت صورةً عن مطبوعة رايت، وقد تابعه على ما أثبت من النسخة التي اتخذها أصلًا، وإن كان الصوابُ في سائر النسخ، وتابعه في إثبات الحواشي التي كتبها قارئو الكتاب في (متنه)؛ بل زاد في المتن بعض الأبيات في قصائد وردت في الكتاب عن دواوين أصحابها، وبقي الكتاب -على ما بذله أيضًا- في حاجة إلى جهد يبذل له، وقام بذلك الدكتور محمد أحمد الدالي؛ فحقق الكتاب، ونشره عن مؤسسة الرسالة، وأفاد المزبور في مقدمته للكتاب (١/ ٢١ - ٢٣).

فهذا رَأْيي في هذه المسألةِ[(١)]، بعدَ اختبارٍ طويلٍ في البلادِ الَّتي تُدرَّسُ فيها

(١) ينظر -لزامًا-: ما قدمناه للهلالي في مقالتيه:
١- بين العامية والفصيحة: هل اللغة حائلة أم ثابتة؟ هل للإنسان يد في إفنائها وتغييرها؟ (ص٢٠٢).
٢- لغتنا العربية للبقاء لا للفناء، إن شِئنا وَفَتِ العربيَّةُ بحاجات الزَّمَن الجديد، العَودةُ إلى العامِّيَّات والدَّوارج بترٌ للماضي وتَفتيتٌ للوَحْدة (ص٢١١).
ونختم بمقالة مهمة للهلالي بعنوان (**كيفَ نعيدُ إلى اللُّغة العربيَّة شبابَها؟**) نشرت في «الجامعة السلفية»، المجلد العاشر، العدد الرابع، ربيع الآخر ١٣٩٨هـ - إبريل ١٩٧٨م، (ص١٤-١٧)، وفي مجلة «المعلم الجديد» البصرية، المجلد العشرون، الجزء الثاني، آذار ١٩٥٧م، (ص١٤٧ - ١٤٩)، وهذا نص ما فيها:
لا يَخفى على أحدٍ مِن أهلِ العلمِ باللُّغةِ العربيَّة أنَّها منذ زمانٍ طويلٍ عاجزةٍ عن مجاراةِ اللُّغات الحيَّة القويَّة، المسيطرةِ على العالم في الوقتِ الحاضر، وإنَّما الخلافُ في وسائلِ إنعاشِها وإعادةِ سابقِ عهدِها، ومعلومٌ أنَّ ذلك يحتاجُ إلى أكثرَ مِن وسيلةٍ واحدةٍ، ومِن أهمِّ هذه الوَسائل -في نظري- التَّعليم، وأظنُّ أنَّ كثيرًا مِن القرَّاء يوافِقُونني على أنَّ التَّعليمَ في الوَقتِ الحاضرِ في البلاد العربيَّة يسيرُ على طرُقٍ فيها كثيرٌ مِن العُقْم وثمرتُها ضئيلةٌ جدًّا، فكيفَ نُعالِجُ هذه الوَسيلةَ حتَّى تكونَ مِن السَّداد بالمكانِ الَّذي تُؤتي فيه ثمرتَها كاملةً؟ إذا أَرَدْنا ذلك وجبَ عَلينا أَن ننظُرَ في ثلاثةِ أمور: المعلِّم، والمنهاج، والامتحان. ونَبدأُ بأهمِّها وهو المعلِّمُ فنقول:
إنَّ أعظمَ أسبابِ خروجِ الطَّالبِ مِن المدرسةِ خَاوِي الوِفَاض، ناقصَ التَّحصيل، عاجزًا عنِ الاضطلاعِ بما يُراد منه، سواءٌ أكان ذلك في المدارسِ الابتدائيَّة أم الثَّانويَّة أم العالية؛ هو:
ضعفُ المعلم؛ إمَّا في العِلْم، وإمَّا في التَّعليم، وإمَّا فيهما معًا، لذلك يَنبغي لنا أن نختبرَ كفاءةَ المعلِّم علمًا وتَعليمًا وأسلوبًا، ونبدأُ بالمعلِّمين في المدارسِ الابتدائيَّة، فنختارُ أكثرَهم قابليَّةً، ونؤسِّسُ لهم دوراتٍ دراسيَّةً ننتخبُ لهم فيها أفضلَ الأساتذةِ لمدارستِهم وإعدادِهم، حذِرين كلَّ الحذرِ مِن تَدخُّلِ الشَّفاعات والمحاباةِ الَّتي تُفسِدُ الأعمالَ في البلادِ الشَّرقيَّة، وكلُّ معلِّم نَظفرُ به مطمئنِّين إلى كفاءَتِه يدفعُنا إلى الأمام شوطًا بعيدًا، لأنَّ هذا المعلِّمَ يضمَنُ لنا نَجاح تلاميذِه محصِّلين تَحصيلًا ابتدائيًّا متينًا =

= يكون أساسًا لما بعدَه، حتَّى إذا تمكَّنَّا مِن إنشاءِ مدرسةٍ نموذجيَّة يكونُ كلُّ المعلِّمين فيها مِن هذا النَّوع، سعَيْنا في إيجادِ مدرسةٍ أُخرى، وهكذا دَواليك حتَّى نُزِيلَ البناءَ القديمَ كلَّه، ونؤسِّسَ مكانَه بناءً صحيحًا.

ومِن شرائطِ هذا المعلِّم أَن يكون قادرًا على التَّكلُّم باللُّغة العربيَّة الفُصحى بطلاقةٍ؛ لا يَتلَعْثَم ولا يَلحَنُ ولا يَلتجىء إلى العامِّيَّة في تعليمِه أبدًا، **فإنَّ العُمْدة في تعليم اللُّغات على السَّماع لا على القَواعد**، فإنَّ الطِّفلَ يتعلَّم لغةَ أمِّه دونَ أَن يعرفَ قواعدَها ولا يخطىءَ فيها أبدًا، وكذلك الأجنبيُّ إذا طالَتْ إقامَتُه بينَ قوم فُصَحاءَ، فإنَّه ينطقُ بالكَلامِ الفَصيحِ ويَفبهَمُ دونَ أَن يَعرِفَ قواعدَ اللُّغة، ثمَّ انظُرْ إلى الأَصمِّ الأَبكَم، ترى بكْمَه جاءَ مِن عدمِ سَمْعه، وتَراه في البلادِ الرَّاقيةِ، كأَلمانيا -مثلًا- يتعلَّم الكلامَ في مدارسِ الصُّمِّ والبُكم بواسطةٍ؛ هي النَّظرُ إلى شفتَي المعلِّم، إلَّا أنَّ كلامَه لا يكونُ فَصيحًا أبدًا، فمَخارجُ الحروفِ عندَه منحرفةٌ ونَغمتُه ونَبراتُه غريبةٌ، لماذا؟ لأنَّه لم يسمَعْ، وما أَصدقَ قولَ الشَّاعر:

قَيِّدْ تَجِدْ حُكْمَ الوَرَى ... وَارْوِ الثَّأْرَ مَعَ النِّظَامِ
وَاحْفَظْ تَقُلْ مَا شِئْتَهُ ... إِنَّ الكَلَامَ مِنَ الكَلَامِ

ولا نعني بما قُلنا أَن نُجيز للمعلِّم أن يكون جاهلًا بالقواعِد، وإنَّما قصَدْنا أنَّ العمدةَ في تعلُّم اللُّغات إنَّما هي على سماعِ الكلامِ الفَصيحِ لا غير.

أمَّا المنهاج؛ فينبغي أَن يَقتصِرَ في هذه المدارسِ النَّموذجيَّة مِن موادِّ التَّعليم الأخرى على الضَّروريِّ، ويكون مُعظم الهمَّة موجَّهًا إلى اللُّغة العربيَّة، وكلُّ طالبٍ ظهرَ عليه شيءٌ مِن عدم الكفاءةِ يُنقل حالًا إلَّا مدرسةٍ أُخرى، وكذلك الطَّالبُ الَّذي لا يحبُّ هذا الموضوعَ ولا يرغَبُ فيه لا يَجوزُ أن يُجبرَ عليه لرغبةِ الوالِدَين أو الوَليِّ.

ومِن الخطأ في تعلُّم الأحداثِ اللُّغةَ العربيَّةَ: أَن يعتمدَ المعلِّمُ على الواجباتِ البيتيَّة الَّتي يكلَّف بها النَّاشئُ بناءً على أنَّ منهاجَ التَّربيةِ عند دولةٍ راقيةٍ يعتمدُ على ذلك ويُوصي به، فإنَّ تطبيقَ المنهاجِ التَّربويِّ بحذافيرِه المعمولِ به في أوروبَّا أو أمريكا في بلادِنا خطأٌ عَظيم، وخصوصًا في تعليم اللُّغة العربيَّة، لأنَّ الوالدَين والمحيطَ هناك يختلفُ عنه هنا كلَّ الاختلافِ، فيجبُ أَن يُلبَس لكلِّ حالةٍ لَبُوسُها.

وقد اكتسبْتُ خبرةً جديدةً بتعليمِ النَّاشِئين اللُّغةَ العربيَّة في السَّنتين الأَخيرتَين جعَلتْني =

اللُّغةُ العربيَّةُ؛ مِن فاس إلى جرمانية شرقًا، وإلى شمالِ أُوروبَّة شمالًا، والله أعلم.

= أَجزِمُ بما ذَكرْتُ مِن أنَّ **كفاءَةَ المعلِّم أهمُّ شيءٍ في تَعلُّم الأحداثِ اللُّغةَ العربيَّةَ في البلادِ العربيَّة**، وذلك أنَّ لي ابنًا[أ] وُلِدَ في أَلمانيا ونشأَ فيها حتَّى بلغ الثَّانيةَ عَشْرة مِن عُمره، فأتيتُ بِهِ إلى هنا، وبيدِه شهادةٌ مِن مدرسةٍ ألمانيَّة، فعودِلَتْ شهادتُه في وزارةِ المعارفِ العراقيَّة بشهادةِ التَّعليم الابتدائيِّ، إلَّا أنَّ لجنةَ المعادلةِ اشترطَتْ ألَّا يُباحَ له دخولُ المتوسِّطة إلَّا بعد أداءِ الامتحانِ في اللُّغةِ العربيَّةِ والتَّأريخ، فشَرعْتُ في تعليمِه اللُّغةَ العربيَّةَ والتَّأريخ، وجعَلْتُ له خمسَ ساعاتٍ دراسيَّةٍ في كلِّ يوم، وفي مدَّةِ تسعةَ عشرَ شهرًا[ب] ظهرَ لي أنَّه يستطيعُ أن يتقدَّم للامتحانِ، فقدَّمتُ طلبًا إلى مديريَّة الامتحان، فعيَّنتْ له لجنةً امتحنَتْه في المادَّتَين المذكورتَين، فنالَ في اللُّغةِ العربيَّة ثلاثًا وثمانين، وفي التَّأريخ اثنتين وثمانين في المئة، هذا وحينَ قدِم هنا لم يكُن يعرفُ مِن العربيَّة شيئًا، هذا شَأنُ صبيٍّ نشأَ في بلادٍ أعجميَّة، فتعلُّمُ الصِّبيانِ النَّاشئين في البلاد العربيَّة اللُّغةَ العربيَّةَ أيسرُ وأقرَبُ.

أمَّا الامتحان؛ فيجبُ أَن يكون دقيقًا منزَّهًا عن المحاباة، وقد توافرَتْ في هذا الزَّمانِ وسائلُ تعليمِ اللُّغاتِ الميتةِ بَلْهَ اللُّغاتِ الحيَّةِ، وأثمرَتِ التَّجارِبُ الَّتي أُجرِيَتْ في البُلدانِ المختلفةِ أساليبَ عظيمةَ النَّفع قريبةَ التَّناوُل، ولا شَكَّ أنَّ تَطبيقَ هذا المشروعِ يحتاجُ إلى نفقاتٍ طائلةٍ، ولن يقفَ ذلك عقَبةً عائقةً في طريقِ المخلصين مِن أبناءِ الأمَّةِ العربيَّة إذا رغبوا في استرداد مجْدِ آبائِهم.

ومَن يخطُبِ الحسناءَ لم يُغْلِهِ الـمَهْرُ[ج]

(أ) اسمه: عبد المؤمن.

(ب) في مجلة «المعلم الجديد»: «تسعة أشهر».

(ج) القائل هو أبو فراس الحمداني، وصدرُ البَيتِ: «تَهُونُ عَلَيْنَا في المعَالي نُفُوسُنَا»، انظر: «محاضرات الأدباء» (١/ ٥٢٤).

الحلقة الثالثة عشرة

هل يصحُّ أَنْ يُقال في لغةٍ: إنَّها أَفضلُ اللُّغات؟

نُصدِّرُ هذا البحثَ بِنَقْلِ خلاصةِ مَا قاله مَن قَبْلَنا مِن العُلماءِ، وقَد تَضمَّنه كلامُ ابنِ حَزْمٍ؛ قال في الجزءِ الأَوَّلِ مِن «الإحكام» (ص٣٣) ما لفظُه:

«وَقد تَوَهَّم قَومٌ في لُغتِهم أَنَّها أَفضَلُ اللُّغاتِ، وهذا لا مَعنى لَهُ؛ لأَنَّ وجوهَ الفَضلِ مَعروفَةٌ، وإنَّما هي بعَملٍ أو اختِصاصٍ، ولا عَملَ للُّغةِ، ولا جاءَ نصٌّ في تفضيلِ لغةٍ على لُغةٍ، وقَد قال -تَعالى-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقَالَ -تعالى-: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]؛ فأَخْبرَ -تعالى- أَنَّه لم يُنزِلِ القُرآنَ بلغةِ العَربِ إلَّا لِيَفْهَمَ ذلكَ قومُه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، لا لغيرِ ذلك.

وقَد غَلِطَ في ذلك جَالِنُوس؛ فقال: إنَّ لغةَ اليُونانيِّين أَفضلُ اللُّغاتِ؛ لأَنَّ سائرَ اللُّغاتِ إنَّما هي تُشبه إمَّا نباحَ الكلاب أو نَقيق الضَّفادع!

قال عليٌّ -يعني ابن حزم نفسه-: وهذا جهْلٌ شديدٌ! لأنَّ كُلَّ سامعٍ لُغةً ليسَتْ لُغتَه، وَلا يَفهمُها؛ فهِي عندَه في النِّصابِ الَّذي ذَكر جَالِنوس، وَلا فَرْقَ.

وقَد قالَ قَومٌ: العربيَّةُ أَفضَلُ اللُّغاتِ؛ لأَنَّه بها نَزلَ كلامُ الله -تَعالى-.

قال عَليٌّ: وهَذا لا مَعنى له؛ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قد أَخبرَنا أنَّه لم يُرسِلْ رَسولًا إلَّا بلِسان قومِه، وقالَ -تعالى-: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقالَ -تَعالى-: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، فبِكُلِّ لغةٍ قَد أنزَلَ الله -تعالى- وَحْيَه، وقَد أَنزَلَ «التَّوراةَ» وَ«الإِنجيلَ» و«الزَّبورَ» وكلامَ مُوسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعبرانيَّة، وأَنزل الصُّحفَ على إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالسُّريانيَّة؛ فتَساوتِ اللُّغاتُ في هذا تَساوِيًا واحدًا، وأمَّا لُغةُ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ؛ فَلا عِلْمَ عندَنا إلَّا ما جاءَ في النَّصِّ والإِجماع، ولا نَصَّ ولا إجماعَ في ذلك، إلَّا أنَّه لا بُدَّ لهم مِن لغةٍ يَتكلَّمون بها ضَرورةً» انتهى المُرادُ منه.

وَقَد ذكرَ بعْدَ مناظرةٍ وقعَتْ بينَهُ وبينَ أَحدِ عُلماءِ وَقْتِه في هذهِ المسألةِ؛ وهي كلامُ أهلِ الجنَّةِ والنَّار: بأيِّ لغةٍ هو؟ ولم تقَعْ لي عنايَةٌ بنَقْلِ تلك المناظرةِ؛ فَلْينظُرْها مَن شَاءَها.

هذا؛ **وقد أَجادَ فيلسوفنا في هذه المسألةِ كُلَّ الإجادةِ، وكان نَظَرُه فيها أَجَلَّ وأَعلى مِن نظرِ جَالِنُوس اليوناني**؛ الَّذي جَرى مَعَ طَبعِه، كَمَا يَجري العَامِّيُّ الجاهِلُ؛ الَّذي يُفضِّلُ مَا اعْتادَه وأَلِفه، بلا بَحْثٍ ولَا عِلْمٍ وَلَا بُرهانٍ صحيحٍ اقْتَضى ذَلك التَّفضيلَ.

أَمَّا فَيلسوفنا الإمامُ؛ فحَكَّم عَقْلَه وعِلْمَه، وتَرَك الوِجْدانَ جَانبًا، ولم يَتَّبع الهوى، فبكمالِ عِلْمِه وبُعْدِ نَظرِه تَحقَّقَ أَنَّ تَفضيلَ لُغةٍ -مَا- لا بُدَّ له مِن سببٍ معقولٍ.

ولمَّا كانَتِ اللُّغةُ إنَّما هي أَصواتٌ وآلاتٌ، يُعبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن مُرادِهم،

ومَا يُزاوِلُونَه مِن أُمورٍ حِسِّيَّةٍ وعَقليَّةٍ؛ فلا مَعنى لِتَفْضيلِ لُغةٍ على أُخْرى[١]، اللهمَّ إلَّا إذا كانَتْ إِحْدى اللُّغاتِ قَد بلَغَ أَهلُها مِن المدنيةِ والعلمِ والعِرْفان شَأْوًا بَعيدًا؛ فتَوسَّعتْ -بسببِ ذلك- لُغتِهم، وارْتقَت إلى أَنْ صارَتْ تنقلُ إلى السَّامعِ والقَارئِ دَقائقَ الخَطراتِ والأَفكارِ، وتَفاصِيلَ المَخلوقاتِ العلويَّةِ والسُّفليَّة، وتُوضِّحُ حركاتِها وصِفَاتِها وشِياتها وطبائعَها، وكانت هنالِكَ لغةٌ أُخرى لم يُقدَّرْ لأَهْلِها مِن الرُّقِيِّ ما يَسمُو بِلُغتِهم إلى ذلك المُستوى، **فوجْهُ**

(١) أَلَّف روبرت وليم ديكسون (مستشرق أسترالي معاصر) كتابًا بعنوان «هل بعض اللغات أفضل من بعض»، ونقله إلى العربية سنة ٢٠١٦م: الدكتور حمزة بن قبلان المزيني، ونشرته دار كنوز المعرفة في عمَّان سنة ٢٠١٨م، في (٣٦٨) صفحة، وقرر فيه هذا الأمر، وهي قضية أصبحت من **محرمات (البحث اللساني)** منذ بداية القرن التاسع عشر؛ حين أعلن عن ميلاد (علم اللسانيات الحديث)، إلَّا أنه قال بأفضلية لغة على لغة، وهو مبدأ ظهر، ولكن على **أسس علمية، درسها في (أحد عشر) فصلًا**، وذكر معايير التفاضل، وذكر في (الفصل السابع): (كم عدد الكلمات التي ينبغي أن توجد في لغة ما؟)، بينما خصَّ (العاشر) بـ(اللغة المثالية)، وقد اقترح المؤلف فيه (اثنتين وأربعين) خصيصة لغوية، يرى أن وجودها في لغة؛ ما دليل على أن هذه (لغة مثالية)، ومن الممكن أن يحكم لها بالأفضلية، ولم يصل المؤلِّف إلى حكم واضح للإجابة على عنوان كتابه «هل بعض اللغات أفضل من بعض»، وقال (ص٣٠٣): «لكل لغة عبقريتها»، فالمقارنة أمر ليس بالسهل، واتضح ذلك في نقاش الكتاب للخصائص اللغوية الاثنتين والأربعين؛ التي أكدت على التفاوت الواضح بين اللغات في هذا الجانب، وهذا ما جعل المؤلِّف يتوقف عن إعطاء حكم، واصفًا كتابه بأنه لا يعدو أن يكون تخمينًا، وفرضية تنتظر التوكيد.

وانظر للاستزادة: بحثًا بعنوان (مراجعة كتاب: هل بعض اللغات أفضل من بعض؟) للأستاذ الدكتور ناصر بن فرحان الحريص، منشور في مجلة «اللسانيات العربية»، عن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد (١٠)، يناير ٢٠٢٠م، (ص٢٣٧ - ٢٥٠).

التَّفضيلِ -حينئذٍ- ظاهِرٌ»(١).

أمَّا اللُّغاتُ المذكورةُ -وهي اليونانيَّةُ واللُّغاتُ السَّامِيَةُ- فلم يظهَرْ لابنِ حَزْمٍ ولا لَنا أنَّ إِحداها امتازَتْ عَن بَقيَّتِها بمَا يحقِّقُ لها التَّفضيلَ، على أَنَّ تَفضِيلَ اللُّغة الرَّاقي أهلُها؛ لا يَصِحُّ إلَّا إذا كانتِ الفاضلَةُ والمَفضولَةُ متعاصرَتَيْن، ففاقَتِ الفاضلَةُ المفضولَةَ، وأمَّا إذا تَبايَنَ زَمانُهَا فلا يَصِحُّ ذلك؛ لأَنَّ فَضْلَ المتأخِّرةِ مَبنيٌّ على إِرْثِها للمُتقدِّمةِ، هذا مِن الوجهةِ العقليَّةِ.

وأمَّا مِن جهةِ النَّقلِ؛ فقد صَرَّحَ الحافِظُ ابنُ حزمٍ أنَّه لا نَصَّ في تَفضيل اللُّغةِ العربيَّة على غيرِها وَلا إِجْماعَ، وبذلك عَلِمنا أَنَّ الخبرَ المروِيَّ: «أُحِبُّ

(١) قال العلاَّمة محمود شاكر في «أباطيل وأسمار» (٤٣٦): «وإذا كانت اللغة هي خزانة الفكر الإنساني؛ فإن خزائن العربية قد ادَّخرتْ من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الإنساني، وعن النفوس الإنسانية، ما يُعْجِز سائر اللغات،؛ لأنها صفِّيت -منذ الجاهلية الأولى المُعرِقَة في القدم- من نفوس مختارةٍ بريئة من الخسائس المزرية، ومن العِلَل الغالبة، حتى إذا جاء إسماعيل نبي الله، ابن إبراهيم خليل الرحمن؛ أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرمًا، وأسلمها إلى أبنائه من العرب، وهم على الحنيفية السمحة دين أبيهم إبراهيم، فظلَّت تتحدَّر على ألسنتهم مختارة مصفَّاة مبرَّأة، حتى أظلَّ زمانُ نبيٍّ لا ينطق عن الهوى ﷺ؛ فأنزل الله بها كتابه بلسان عربيٍّ مبين، بلا رمزٍ مبنيٍّ على الخرافات والأوهام، ولا ادِّعاء لما لم يكن، ولا نسبة كذب إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا».

وينظر -لزامًا-: بحث (اللغة العربية ومكانتها بين اللغات) للأستاذ الدكتور فرحان السليم، على شبكة (صيد الفوائد)، وبحث (اللغة العربية أفضل اللغات للتعبير عن معارف الإنسان) للدكتور عبدالحكم عبداللطيف الصعيدي، منشور في «بحوث المؤتمر السنوي الثاني لتعريب العلوم» عن مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامي، والجمعية المصرية لتعريب العلوم.

العربَ لِثلاثٍ: **لأنِّي عربيٌّ، والقُرآنُ عَربيٌّ، ولسانُ أهلِ الجنَّة عَربيٌّ**»[(١)] لم يَثبُت، ولو ثَبتَ؛ لَكانَ هذا في تَفضيلِ اللُّغةِ العربيَّة بتلك المزيَّةِ، على مَذهبِ مَن يَرى أَنَّ المزيَّةَ تَقضي التَّفضيلَ، وفيه مَقال، وهناك حديثٌ في كتُبِ الموضوعاتِ صَرَّحَ أهلُ العِلْمِ بأنَّه كَذِبٌ؛ ونصُّه: «**كَلامُ أَهْلِ الجنَّةِ بالعَربيَّةِ والفارسِيَّةِ الدُّرِّيَّة**»[(٢)].

هَذا؛ وقَد سَمِعْنا كَثيرًا مِن الجامِدِين يَعُدُّون تَعلُّم اللُّغات الإِفرنجيَّةِ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٨٥) و«الأوسط» (٦/ ٢٧١) -ومن طريقه العراقي في «محجَّة القُرب» (ص٨٧ - ٨٩)- والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٤٨) -ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٤١)- والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٧) وأيضًا في «معرفة علوم الحديث» (ص١٦١) وتمَّام في «فوائده» (١/ ٦١) وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٧٦) والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٥٩ و٢٣٠) والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٩٩)؛ كلهم من طريق العلاء بن عمرو الحنفي عن يحيى بن بُريد الأشعري عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رفعه: «**أحبُّوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي**».

قال أبو حاتم: هذا كذب. وقال العقيلي: منكر لا أصل له. وقال الذهبي: موضوع.

قال أبو عبيدة: وله شاهد من حديث أبي هريرة رفعه بلفظ: «**أنا عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي**»؛ لا يفرح به، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٠/ ٧١) -ومن طريقه العراقي في «محجَّة القُرب» (ص٩١ - ٩٢، ٤٣٥)-، وفيه عبدالعزيز ابن عمران؛ متروك؛ قاله الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٧٥) وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٤٨٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بلفظ: «**كلام أهل الجنة بالعربية، وكلام أهل السماء بالعربية، وكلام أهل الموقف بين يدي الله** عَزَّوَجَلَّ **بالعربية**»، وحكم بوضعه ابن الجوزي والذهبي وغيرهما.

وانظر: «الميزان» (٣/ ٥١).

جَريمَةً لا تُغْتفَرُ، ويُسمُّونَها (لُغَةَ الكُفَّارِ)، ويَطعنون أَشدَّ الطَّعْنِ فيمَنْ يَتعلَّمُها أَو يَتكلَّم بها!

وهذا جَهْلٌ مِنهم بحقيقةِ دِينِ الإسلامِ، ومَا جاءَ بِهِ النَّبيُّ الأَكْرَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واللُّغةُ لا تَكفُر وَلا تُسْلِمُ، وإنَّما هي أَداةٌ صالحةٌ: إنْ لِلْكُفْر والإِسْلامِ، وللطَّاعةِ والمعصيَةِ، وقَد كانَتِ اللُّغةُ العربيَّةُ أداةً يَستعمِلُها المشركون في الكُفْرِ باللهِ ورسولِه، ونِسْبَةِ النَّقائِصِ إلى اللهِ؛ كالصَّاحِبَةِ، والوَلَدِ، والفقْرِ، وغِلِّ اليَدِ، واتِّخاذِ الأَنْدادِ لَهُ -سبحانَه-، ويَستعملونها في تكذيبِ النَّبيِّ ﷺ، ونسبةِ النَّقائصِ إليهِ؛ كالسِّحرِ والجُنونِ وغيرِ ذلك؛ فلم يَضِرْ ذلك اللُّغةَ، ولم يُنقِصْ مِن قَدْرِها.

وقَد تَقدَّم(١) أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمرَ زَيْدَ بنَ ثابتٍ أَنْ يتعلَّم السُّريانيَّةَ لِيقرَأَ له كُتبَ اليهودِ؛ أَي: رَسائِلَهم الَّتي كانت تَأْتِيه عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَتعلَّمها، وكان تَعلُّمُها فَرْضَ عينٍ عَليه، ولم يَمنَعِ النَّبيُّ ﷺ كَوْنَ السُّريانيَّةِ في ذلك الزَّمانِ لُغةَ اليَهودِ؛ أَنْ يَأمرَ صاحِبَه بتعلُّمها، وأن يَقبَلَ الرَّسائلَ التي تَرِدُ بها، وكان زيد بن ثابت مُثابًا ومأجورًا أعظم الأجر من الله -تعالى- على تعلُّم تلك اللغة.

ولا شك أنَّه يجب على المسلمين تعلُّمُ كلِّ لُغة يُمكِنهم أن يُحِقُّوا بها حقًّا، ويُدحِضوا باطلًا، أو يجلبوا منفعة مباحة، ويدفعوا مضرَّة(٢).

---

(١) في (الحلقة الثانية).

(٢) وإذا نَظَرْنا في التَّاريخ نجدُ أنَّ المسلمين قَد قصَّروا في تعلُّمِ اللُّغات الأجنبيَّة، على أنَّه كان في زمانِ العبَّاسيِّين مَن يَعرفُ اللُّغاتِ الأجنبيَّة ويَعتني بها، وكذلك كانَ علماءُ الأَندلسِ يَهتمُّون باللُّغاتِ الأَجنبيَّة، ومِن أقطابِ العلماءِ الَّذين دَرسوا اللُّغات =

وهناك قومٌ آخرون مُنحَلُّون مارِقون، يُهمِلون لُغتَهم كلَّ الإهمال، ويَعقِرونها لِتَنكُّر الزمان لها ولأهلها، ويُبالِغون في تعظيمِ اللُّغات الإفرنجية، ويَفتَخِرون بِمَعرِفَتها، ويَتطاوَلون على أبناء جِلدَتِهم؛ فهؤلاء قِرَدَة خاسئون، مَسَخ الله قُلوبَهم، وسَلَبَهم العَقل والإيمان والشَّرَف، وقد بَقِي الحَقُّ ضائعًا بين الطائِفَتَين ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

[انتهت «المقالات»، والحمد لله رب العالمين]

= الأجنبيَّة أبو الرَّيحان البَيروني، وأبو محمَّد بن حزم، وابنُ رُشد؛ فهؤلاء -كلُّهم- مِن كبارِ علماءِ الإِسلام، ومِن أَساطينِ الأَدَب، وقَد انحطَّتْ أفكارٌ عامَّةُ المسلمين حتَّى صارَ بعضُهم يَرى أنَّ تَعلُّمَ اللُّغاتِ الأجنبيَّةَ الَّتي لا يَدِين أَهلُها بالإِسلامِ حرامٌ يُفضي بالـمُتعلِّم إلى الكُفْر!

ومَا عَلِموا أنَّ اللُّغاتِ إنَّما هي آلاتٌ لا تتَّصفُ بكُفْرٍ أو إِسلام، وهي صالحةٌ للاستعمالِ في الخيرِ والشَّرِّ، والإيمانِ والكفر؛ فاللُّغةُ العربيَّةُ -مثلًا- كان العربُ يَستعملونها في نسبةِ الشَّريكِ إلى الله، ونسبةِ البَناتِ إليهِ -تعالى-، ثمَّ استعملَها الإسلامُ في تَنزيهِ اللهِ وتوحيدِه؛ فلو كانَتْ مُسْلمةً ما أمكنَ استعمالُها في الكُفْر! ولَو كانَتْ كافرةً ما أَمْكنَ استعمالُها في عبادةِ الله وتوحيدِه!

فاللُّغاتُ -كلُّها- سواءٌ عندَ اللهِ، لا تُمدَحُ ولا تُذَمُّ لذاتِها مِن حيثُ الدِّين.

وقَد قرَّر أبو محمَّد بن حَزم في كتابِ «إِحْكام الأَحكامِ في أُصولِ الأَحكام» (١/ ٣٤) في بحثِ اللُّغة أنَّ اللُّغاتِ -كلَّها- سواءٌ في نظرِ الشَّرع، لا فضْلَ لواحدةٍ على أُخرى، وأقامَ الدَّليلَ على ذلك؛ فانظُرْه إنْ شِئْت.

من مقالة بعنوان (تعلُّم اللغات؛ حكمُه وفائدتُه - الحلقة الأولى) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الثالثة، الجزء العاشر، ذو الحجة ١٣٦٨هـ - أكتوبر ١٩٤٩م، (ص٧-٩).

وينظر: ما تقدم (ص٥٣١).

الموضوعات والمحتويات

دُرُوسُ العِبرَانِيَّةَ

تَصنِيفُ

العَلَّامَة مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الدِّينِ الهِلَالِيِّ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قَدَّمَ لَهَا

أبو عُبَيدَةَ مَشهُورُ بنُ حَسَنٍ آلُ سَلمان

مقدِّمة المحقِّق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، **أما بعد:**

فهذه مذكرات كتبها الهلالي لطلبته في جامعة محمد الخامس بفاس؛ لما كان يدرِّس مادة العبرية، والكتاب دقيق، ولعله كان يدرَّس للمستوى الثاني، وفيه عناية بالتشكيل في اللغة العبرية.

ضلوع الهلالي بالعبرية وجهوده فيها

قال الهلالي في ترجمته الذاتية رقم (٨): «ومن اللُّغات التي أتكلمها بلا تكلُّف: الإنكليزية والألمانية، وأشارك في الأوردو والإسبانية، ومن اللغات القديمة: السُّريانيَّة **والعبرانيَّة**، وأعرف اللغة البربرية».

وقال الهلالي في ترجمته الذاتية رقم (١١): «اللغات التي أعرف أو أُلِمُّ بها:

أُولاها العربية، وثانيتها المازيغية بلغة سكان جبل الأطلس، وثالثتها اللغة الإنكليزية، ورابعتها اللغة الألمانية، وخامستها اللغة الفرنسية، وسادستها

اللغة الإسبانية، **وسابعتها اللغة العبرانية**، وثامنتها لغة أوردو الهندية، وتاسعتها اللغة السُّريانية.

وقد شرعت في تعلم اللغة العبرانية الجديدة، وقطعت في ذلك مرحلة لا بأس بها، ولكنني لم يتيسر لي استعمالها واستكمال تعلمها، وأرجو أن يتيسر في المستقبل، فقد قال الشاعر المغربي، وهو من أهل شنقيط(١):

تعلُّم اللُّغاتِ شرعًا فَضِّلِ　　عَلى التَّخلِّي لِعِبَادةِ العَلِي

يُؤخَذُ ذا من قولِهِ وعلَّمَا　　آدمَ الأسماءَ الزَمِ التَّعلُّما

وقال غيره(٢):

بِقَدْرِ لُغَاتِ المَرْءِ يَكثُرُ نَفْعُهُ　　وَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ الشَّدائِدِ أَعْوَانُ

فَبَادِرْ إِلى حِفْظِ اللُّغَاتِ مُسَارِعًا　　فَكُلُّ لِسَانٍ في الحَقِيقَةِ إِنْسَانُ

وقال أحد الحكماء البريطانيين: إذا تعلمت لغة جديدة؛ فقد انفتح لك عالم جديد».

مما كتبه إليَّ الدكتور الفاضل محمدي بن محمد الحسني من مدينة شوازي لورو بفرنسا، في فاتح إبريل سنة ٢٠٢٠م؛ مبيِّنًا العلاقة بين الشيخين: عمِّه القاضي الزبير بن محمد التافراوتي الحسني (ت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) وتقي الدين الهلالي:

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

«أُوسِدَت إلى الدكتور الهلالي مادة اللغة العبرية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وإلى جانبه أُستاذٌ يهوديٌّ اسمه (وحنش السموأل) من الدار البيضاء، وأذكر أنَّه خلال قراءتنا لبعض القطع العبرية: كنَّا نلاحظ بعض الاختلاف بينهما في نطق بعض الكلمات، ومخارج بعض الحروف، **وكان الدكتور الهلالي يصرُّ على نطقها وَفْقَ توجيهه، وكأننا لم نقتنع!** فسألنا الأستاذ وحنش السموأل؟ فأجابنا بقوله: **الصواب ما يقوله الدكتور الهلالي، لأنَّه أعلم بالعبريةِ مِنِّي**.

وهو اعترافٌ يزكي رأي الدكتور الهلالي، ويرفع من شخصية الأستاذ وحنش -كذلك-.

وارتباطًا بموضوع العبرية: ذكر لنا في أحد دروسه بالكلية، ثمَّ في مجلسٍ خاص؛ وهو يتحدث عن التحريف في بعض الكتب السماوية، وتساؤل بعض رجال الدين فيما يرجع للنص المقدس، ذكرَ أنَّ له صديقًا يهوديًّا؛ هو حَبْرٌ وحاخام بمنطقة تافيلالت التي ينتمي إليها الدكتور، والتي يوجد بها مركزٌ هامٌّ لمذهب يهوديٍّ يتوافد عليه أتباعُهُ في مناسباتٍ معينةٍ من مختلف بقاع العالم، وفي إحدى المناسبات الدِّينية -أو كان يوم سبت- والشك مِنِّي لا من الدكتور- توافد عددٌ من اليهود على البيعة لأداء الصلوات، ويحكي الدكتور أنَّه كان جالسًا إلى جانب الحاخام قريبًا من البيعة، فسمع ترتيلًا فيه أخطاءٌ في النَّص المقروء؛ فالتفت إلى الحاخام وسأله -مُستغربًا-: ألا تسمع هذه الأخطاء في النَّص المقدس؟! وإذا بالحاخام يجيبه بالدارجة المغربية: «أمن

صاب اجه الدكتور!»، ومعناها بالفصحى: «يا ليتهم يأتون -فقط- يا دكتور!»، وكان الغاية -فقط- هي الحضور -فقط-، وإن قرؤوا النَّص محرفًا.

ومما جاء في تعليق الدكتور على هذه الحادثة؛ قوله: «**إذا قُرئ النصُّ محرفًا، وحفظ محرفًا، ثم رُويَ ونقل كذلك؛ تُرى! ماذا ستكون النتيجة؟**».

قلت: النتيجة واضحة؛ استمرار التحريف».

وذكر ابن الطيب الهلالي[(١)] عن ابن عمه وشيخه التقي الهلالي: أنه ترجم جزءًا من معاني القرآن الكريم: من سورة الصف إلى الناس بالعبرية، وهذا كنز مهم، لو ظفرنا به، اللهم يسِّر وأعن!

وكتب إليَّ فضيلة الشَّيخ عبد الرحمن شطو -أمدَّ الله في عمره- في ٢٧ رجب ١٤٤١هـ: «درستُ عليه -أي: الهلالي- كتبًا عدَّة في فنون شتى: في النحو والأدب والأصول والمصطلح والعقيدة والحديث والتفسير والفقه **وشيء من العبرية...**».

وذكر رضوان حفياني في (الحلقة الثامنة)[(٢)] من (تقي الدين الهلالي... مغربي تجاوز علمه الحدود): أنَّ الهلالي **حاضر في عدة مناسبات بدول أوربية باللغة العبرية.**

وأفادني ولد ربيبة العلَّامة الهلالي الأستاذ عبدالغني بوزكري بمكناس

(١) في لقاء معه في منزله بمدينة سطات، بتأريخ ٩ ربيع الأول ١٤٣٠هـ يوافق ٧ آذار ٢٠٠٩م.
(٢) نشرت في جريدة «الصباح» المغربية، بتأريخ ١٨ يوليو ٢٠١١ م.

في جمادى الآخرة سنة ١٤٤١هـ: أن وفدًا من اليهود زاروا الهلالي؛ لتعلم العبرية وقواعدها، في الستينيات من القرن العشرين الميلادي.

وقال -أيضًا-: كتب إلى الشَّيخ تقي الدِّين الهلالي الأستاذُ أحمد زكي مؤسس مجلة «العربي» أيام تأسيس المجلة؛ للمشاركة في كتابة المقالات فيها، فكتب له الهلالي مقالًا بعنوان (أصل الصهيونية؛ من أين أتت؟)، وأرسله له؛ فاستغرب أحمد زكي لهذا العنوان! وسلَّمه للسفير البريطاني، وقال له: ما رأيك بهذا المقال؟

فقال له السفير: هذا المقال أعجبني!! اطلب المال الذي تريد!! -حتى لا ينشر المقال-.

فسلَّم له المقال، والسفير البريطاني سلَّمه إلى جمعية اليهود في فلسطين، وجمعية اليهود كتبوا إلى الشَّيخ الهلالي: تعطينا الكتب التي استعرتها لكتابة هذا المقال أو التي اشتريتها بالعبرية أو نرفع عليك محاكمة عالمية؟!!

هذا الكلام كان والهلالي في العراق، فجمع الكتب التي اشتراها والكتب المعارة! فسلَّمها إليهم.

وقال الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملا محمد عظيم القاري المدني؛ أحد تلاميذ الهلالي في الجامعة الإسلامية، قال في مقاله المنشور في «الجامعة الإسلامية» بعنوان (دراسات في أصول اللغة العربية) -إبان كونه مدرِّسًا بمعهد الجامعة الإسلامية الثانوي- عن مقال نشره شيخه الهلالي في (العدد الثالث) من (السنة الثالثة) في محرم ١٣٩١هـ: «ومما أعطى

البحث المذكور أهمية خاصة: إلمام فضيلة كاتبه بعدد من اللغات؛ منها: (العبرانية)».

وترجم الهلالي من العبرية كتيِّبًا بعنوان (كيف يُربِّي يهود الولايات المتحدة أولادهم؟)، **ونشرها في مجلة «البعث الإسلامي» على ثلاث حلقات:**

الأولى: في المجلد الثامن عشر، العدد الثامن، ربيع الأول ١٣٩٤هـ - إبريل ١٩٧٤م، (ص ٦٨ - ٧٧).

والحلقة الثانية: في المجلد الثامن عشر، العدد العاشر، جمادى الأولى ١٣٩٤هـ - يوليو ١٩٧٤م، (ص ٧٦ - ٨٢).

والحلقة الثالثة: في المجلد التاسع عشر، العدد الأول، رجب ١٣٩٤هـ - أغسطس ١٩٧٤م، (ص ٧٠ - ٧٥).

ونشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد العاشر، العدد الثاني، صفر ١٣٩٨هـ - فبراير ١٩٧٨م، (ص ٩ - ٣٢).

ثم وجدتها قد نشرت قبل ذلك في المغرب على هيئة كتيِّب.

تدريس الهلالي في جامعة محمد الخامس بالرباط وفاس

لما عاد الهلالي إلى المغرب، بعد غيبة طويلة في العراق، واستقر في المغرب؛ درَّس في جامعة محمد الخامس بالرباط: النحو واللغة العبرية ومادة الحضارة وفقه اللغة، وكان ذلك في سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م[١]، ثم تحوَّل إلى فرعها في فاس سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م.

(١) انظر: ترجمته الذاتية رقم (٣) و (٤).

ووجدت أسماء طلبته في ورقة من أوراقه الخاصَّة، معنونة بـ(أسماء طلبة فقه اللغة العبرانية)، وفيها (أحد عشر) اسمًا.

بين تقي الدين الهلالي ومحمد ربحي كمال

وظهرت لي من خلال تأمل رسائل الهلالي[1] لصديقه العلَّامة محمد ربحي كمال عناية متميزة للهلالي بتتبع لغة «التوراة»، وفيها تطلبه لترجماتها في خزانة دار العلوم لندوة العلماء؛ حيث رأى هناك **ترجمة للتوراة مخطوطة قديمة بلغة فصيحة**، قال في (الرسالة الأولى) للعلَّامة ربحي كمال: «ولم أكن في ذلك الوقت أعرف شيئًا من اللغات السامية؛ فلم أهتم بها! والآن أتمنى أن أراها، وقد كتبتُ إلى بعض تلاميذي...»، وقال له فيها: «فهل يوجد في خزائن دمشق أو عند السامريين[2] ....

(١) انظرها: في كتابنا «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٧٠٧- ٧٢٣، ط الأولى).

(٢) لا يؤمن السامريون إلا بالأسفار الخمسة الأولى من «العهد القديم» مع مخالفتهم في بعض الأحايين لما جاء في الأسفار الخمسة لليهود والنصارى، يقول ابن حزم في «الفصل في الملل والنحل» (١/ ٢٠٢): «إن بأيدي السامرة توراة غير «التوراة» التي بأيدي سائر اليهود، ويزعمون أنها منزلة، ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرَّفة مبدَّلة»، والسامريون يؤمنون بوحدانية الله وأنه لم يلد ولم يولد، وأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله وحبيبه، ولا يجوز بحال القول بأن عقائد السامريين مأخوذة عن العقائد اليهودية.

وكتابهم المقدس «التوراة السامرية» ترجمه أبو الحسن الصوري، وأعدها للطباعة الكاهن عبدالمعين صدقة السامري، ونشرها لأول مرة في نابلس سنة ١٩٧٨م، ونشرها عن نسخة الكاهن عبدالمعين: أحمد حجازي السقا عن دار الأنصار - مصر سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ويوجد في مدينة نابلس - فلسطين اليوم (مركز الدراسات =

في نابلس[١] ترجمة للتوراة بلغة فصيحة؟».

وهذا اللون لم يُعرف في غير هذه الرسائل، وتبيَّن لي أن الهلالي متأثر فيه برفيقه وأُستاذه المستشرق باول كاله؛ الذي استضافه عند أول قدومه إلى ألمانيا، وكان نائب مديره في التعليم -آنذاك-.

المراسلات بين الهلالي وأستاذه الألماني كاله حول العبرية والكتاب المقدَّس

كانت مجالس الهلالي مع هذا المستشرق لها عظيم الأثر في مسيرته العلمية؛ من حيث عنايته باللغات، وتركيزه على دراسة الكتب السماوية، وتمحيص ما فيها، والوقوف على خباياها؛ بل كان كاله هو السبب في تحديد الهلالي أطروحته للدكتوراه، وكان مشرفه الأول، ثم انتقل الإشراف إلى هفنينك ثم إلى ريكارد هارتمان[٢].

ويلمح المنصف الفارق في المقصد والغاية بين الهلالي وأساتذته، ولا سيما كاله، فعمد الهلالي إلى **استخراج بقايا التوحيد في «الإنجيل»**، من خلال سبر العبارات التي فيها أن **عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **ليس له حظ من الألوهية، وإنما هو**

= السامرية)، وفيها كثير من الكتب والمخطوطات باللغة العبرية القديمة، وهناك مدينة السامرة القديمة (سبسطية) العاصمة السياسية لمملكة إسرائيل الشمالية قديمًا، وما زالت قائمة، وفيها مدرجات رومية، وانظر ما قدمناه عنهم في التعليق على (ص٣٧٤ وما بعدها).

(١) لأن أصل العلَّامة ربحي كمال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى من نابلس!

(٢) ترجمتُ له في كتابي المطوَّل عن تقي الدين الهلالي، يسَّر الله نشره بخير وعافية.

عبدالله، في رسالته الماتعة النافعة «البراهين الإنجيلية»(١).

(١) وجدتُ لإينوك پاول كتابًا بعنوان «تطور الإنجيل، المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود؟ دراسة نقدية وترجمة جديدة لأقدم الأناجيل، تكشف مفاهيم مثيرة» ترجمه أحمد إيبش، وعلَّق عليه، وحرَّر نصوصه اليونانية واللاتينية والعبرية والآرامية، وصدر أصله في أمريكا عام ١٩٩٤م عن جامعة ييل، وهو عبارة عن ترجمة «إنجيل متَّى» من اللغة اليونانية إلى الإنكليزية، وبحث فيه طروحات جريئة حول تأريخ نشوء «الأناجيل» وفحواها، بالإضافة إلى نقد نصِّي مفيد؛ يتناول العديد من مُعطياتها التي كانت -لوقت طويل- تُعتبر شيئًا بديهيًّا مسلَّمًا به، فأثبت الكاتب بطرحه العلمي أنَّ هناك جوانب كثيرة منها تحمل أغاليط في تفسيرها وفهمها أو خللًا في دقَّة ترجمتها، أو في أضعف تقدير، هناك حاجة موضوعية ملحَّة لإعادة دراستها وصياغة ترجمتها، بنزاهة ومنهجية علميَّة دقيقة بعيدة عن الأهواء والانحيازات، المتعاطفة منها أو المتحاملة.

وتلخَّص عمل المؤلِّف في مهمة؛ أعتبرها تأتي في الدرجة الأولى بسلَّم الأولويات، ألا وهي: إعادة النظر في ترجمة «إنجيل متَّى» من اللغة اليونانية (وهي اللغة الأصلية التي كُتب بها) إلى الإنكليزية؛ فقام بإعداد ترجمة جديدة لهذا الإنجيل، ولا ريب أنه من خيرة المؤهلين للقيام بعمل من هذا النوع؛ على اعتباره مختصًّا باللغة اليونانية وفقهها وآدابها، وكان قد تعانى تدريس هذه اللغة في غير جامعة ومعهد علمي (خاصة جامعة سيدني في نيو ساوث ويلز بأستراليا)؛ فكان له في مضمار التفقُّه بها الباع الطويل، والدُّربة البليغة التي لا يُنكر حقَّها ناكر.

بعد ذلك؛ قام پاول بدراسة نقدية وافية؛ بيَّن فيها آراء قيِّمة حول فحوى «إنجيل متَّى»، وتتبَّع بدقَّة مواطن النقل -منه وإليه- ما بينه وبين الأناجيل الثلاثة الأخرى المُعترف بها؛ فأثبت -بدلائل علميَّة مدعَّمة بالقرائن- عدَّة حقائق، كانت غائبة عن **علم أكثر الباحثين من قبل:**

١- أنَّ «إنجيل متَّى» يُعتبر أقدم الأناجيل المعروفة (متَّى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وليس «إنجيل مرقس» أقدمها -وكما كان الشائع مسبقًا-.

٢- أنَّ هناك متنًا سابقًا لـ«الإنجيل» قد اختفى، أو تمَّ إخفاؤه عمدًا؛ فضاعت آثاره، وأنَّ المتن الحالي لـ«إنجيل متَّى» -أقدم الأناجيل- إنما يرجع إلى فترة تقع حوالي =

= عام ١٠٠ للميلاد في أبعد تقدير، وليس قبل ذلك، وكان ذلك العمل تاليًا لوضع المتن الأصلي الأسبق، الذي يحدِّد المؤلف تأريخه بُعيد عام ٧٠م، وكل هذه التواريخ -كما هو واضح- جدُّ متأخرة عن زمن حياة السيِّد المسيح.

قادت هذه النتائج المؤلف إلى استنتاج هام وخطير للغاية: هو أنَّ النص الأصلي للمتن الأولي السابق لـ«الإنجيل» قد تعرَّض لتحريفات وتعديلات جذرية على متنه، خلال عملية استنباط «إنجيل متَّى» منه، وبعده «إنجيلي مرقس ولوقا»، هذه التحريفات والتعديلات أدَّت -فيما يرى المؤلف- إلى **تحريف العقيدة الدينية لـ«الإنجيل»**؛ لا بل حتى إلى طمسها، وهذا نص المؤلف كما جاء بحرفيته:

«In this, they (i.e, the alternatives) served to obscure or counteract what must have been the doctrine of the underlying book».

أفضى ذلك -بالنتيجة- إلى حصول تغييرات جذرية على العقيدة المسيحية، بدءًا من النصف الثاني للقرن الأول للميلاد، ويرى پاول أنَّ التحريف المذكور أعلاه قام به بعض الكتبة والكهنوتيين في روما؛ لغايات موضوعية أو لاهوتية، كان من جملتها: محاولتهم تبريء ساحة روما -وريثة الإمبراطورية الرومانية الغربية- من دم المسيح؛ عن طريق تصوير موقف الحاكم الروماني لمقاطعة Judaea -آنذاك- (پونتيوس پيلاتوس Pontius Pilatus)، وهو يرفض بشكل مسرحي -يؤجِّج العاطفة- عملية إهدار دم المسيح وصلبه بتهمة التجديف أو الادِّعاء بأنه (ملك اليهود)، هذا التبريء لروما كان حيويًّا للغاية؛ على اعتبارها ستضحي مركز الإشعاع التبشيري المسيحي لـ(هداية الأمم)، الأمر الذي استلزم حُكمًا نفي وصمة الوثنية عنها -أولًا-، ثم تبرئتها من دم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ -ثانيًا-.

لا ريب أنَّ الحقيقة الثانية التي خرج بها المؤلف (وجود متن أصلي سابق لـ«الإنجيل») -وهي الأهم بلا مُشاحَّة- لا تعدو كونها مجرَّد مقدِّمة أوَّلية، وبابًا ينبغي إعادة فتحه بالضرورة؛ بغية التثبُّت من حقيقة موثوقية الأناجيل المترجمة المتداولة اليوم (ومنها أناجيلنا المعرَّبة)، وتتبُّع التسلسل الزمني لتطوُّرها وتاريخها الفيلولوجي، ومدى دقَّة ترجماتها، وفي النهاية تحدِّد لنا كل هذه المعطيات مدى قدسيتها وقيمتها الدينية كرسالات سماوية، وكيف نستطيع ترجمتها وتفسيرها واستقاء الشَّرع الديني منها على أمثل وجه. =

بينما اتجه كاله -الذي التحق بخدمة الكنيسة وأمضى ثمانية أشهر بوصفه

= فها هنا -بالذات- ما زال السؤال الأزلي يدور ويكرِّر نفسه على مدى القرون دون انقطاع:
هل الأناجيل الأربعة -ومثلها في ذلك أسفار اليهود- هي وحي سماوي مُنزل بنصِّه وحرفيَّته التَّامَّة المنزَّهة؟ أم هل هي (كتب مقدَّسة نظرًا إلى قيمتها الإكليركية) قام بتحرير متونها بشر عاديُّون؟ بمعنى: أنها استندت -عبر التواتر الشفهي- إلى أحداث محدَّدة جرت في عصور معروفة ومؤرَّخة؛ لتروي (على لسان كَتَبتها ومؤلفيها) ما جرى من أحداث وقعت للرُّسُل والأنبياء، وما تم تداوله من أقوال نطقتها أفواههم، وتناقلتها الأسماع والألسن، حتى وصلت إلى نصوص هذه الكتب المقدسة، دون أن يكون تحريرها -بالأصل- قد تم مباشرةً على أيدي هؤلاء الرُّسل -أنفسهم-.
هذا التساؤل خطير وهام وبالغ الحساسية -بغير شك-، ولكن الأخطر منه والأهم: هي (الحقيقة الكبرى) التي يمكن للباحث المُنصف أن يخرج بها عقب التدارس الطويل، والممحِّص للكتب المقدسة المتداولة التابعة للديانات السماوية الثلاث [اليهودية، المسيحية، الإسلام]، شريطة أن يكون ذلك بلغاتها الأصلية: العبرية واليونانية والعربية، **وهي -تحديدًا-:**
- أسفار اليهود (توراة، نبيئيم، كتوبيم)، بما في ذلك «سفر مزامير داود» التي تصنِّفها الشريعة الإسلامية بمثابة الوحي المنزل على النبي داود باسم «الزَّبور»، مع «التلمود» اليهودي (مشناه+جمارا) بمباحثه الستة.
- الأناجيل المسيحية القانونية الأربعة (متَّى، مرقس، لوقا، يوحنَّا)، مع أعمال الرُّسُل الملحقة بها.
- وأخيرًا: القرآن الكريم؛ رسالة الإسلام، وخاتمة الوحي الإلهي للبشر.
هذه (النتيجة الكبرى) ليست سوى الحقيقة الساطعة والمُعجزة الباهرة، التي تقف أمامها العقول والنفوس مأخوذة ومبهورة وعاجزة عن المُدافعة والرَّدِّ، ألا وهي: أن القرآن الكريم -بمفرده، بآياته الكريمة وصحفه المطهَّرة- يقف نسيج وحده -بلا مُنازع- صافيًا منزَّهًا كاملًا مبرَّءًا، كما أوحت به الذات الإلهية عبر التنزيل الحرفي الدقيق والكامل والمحفوظ، دون أدنى تغيير أو تحريف أو تضاد ترجمة، ودون أدنى يد أو رأي أو اجتهاد لبشر، على مدى أربعة عشر قرنًا مضت، وقرون غيرها ستأتي.

نائب قسيس في مدينة برايلا Braila في رومانيا ومن سبتمبر ١٩٠٣م حتى نوفمبر ١٩٠٨م، أقام بالقاهرة بوصفه قسيسًا ومديرًا للمدرسة الألمانية- لدراسة مخطوطات الكتاب المقدس العبرية، واهتم خصوصًا بشذرات المخطوطات العبرية للكتاب المقدس، المزودة بعلامات القراءة فوق الحروف؛ وهذا من أسرار معرفة الهلالي للقراءة الدقيقة لترانيم «التوراة» فيما سبق في خبر الدكتور الفاضل محمدي.

وهذا عرض لما في الرسائل المتبادلة[1] بين الهلالي وكاله حول العبرية وما يتعلق بها:

من كاله للهلالي ٦ أغسطس ١٩٤٦م:

أعمل -حاليًّا- على طباعة مشروع كبير حول النص العبري لـ«الكتاب المقدَّس»، وحول ترجمات «الكتاب المقدَّس» التي أصدرتها الأكاديمية البريطانية، وبما أنني لا أمتلك مراجع كافية للعمل على هذا المشروع؛ فقد غيَّرتُ مقر عملي إلى (أوكسفورد)، حيث تتوفر أغلب المراجع التي أحتاجها في مكتبة (بودليان).

من الهلالي لكاله:

لقد خطرت في بالي فكرةٌ بعد أن قُمنا بكتابة الرسالة:

نريد أن نَدْرُسَ اللغة العِبرية الحديثة، ونرجو منكم مساعدتنا في هذا،

(١) هي من إضافاتي الكثيرة على الطبعة الثانية من كتابي «رسائل الهلالي الشخصية»، يسَّر الله نشره بخير وعافية.

وذلك؛ بأن تبحثوا لنا عن كتاب جيِّد ومفصَّل حول هذا الموضوع -إن أمكن- باللغة العربية وإلا بالإنجليزية.

بإمكانكم أن تُحَصِّلوا مثل هذا الكتاب -بكلِّ سهولة- من (تل أبيب)، وإن أمكن -زيادةً على هذا- تَحصيلُ قاموسٍ (عربي - عبري) جيِّدٍ؛ سيكون هذا أفضل وأفضل!

اكتبوا لي -رجاءً- قيمة التكلفة، ونحن نحوِّل لكم المبلغ المطلوب فورًا.

نحضُّكم على مساعدتكم القيِّمة لنا، ونشكركم على ذلك جزيل الشكر.

من كاله للهلالي في ٢٠/١١/١٩٥٤م:

أعمل حاليًّا على النسخة الألمانية من مشروعي (جنيزة القاهرة) الذي صدر سنة ١٩٤٧م ضمن منشورات الأكاديمية البريطانية بإنجلترا؛ والمشروع يتطلَّب -طبعًا- تنقيحات كثيرة، وسيُطبع في مدينة (لايبزيغ) الألمانية، الكتابُ مُهِمٌّ جدًّا، وأنا فعلًا سعيدٌ بأنني قد تمكَّنتُ من نشره.

بالنسبة للمخطوطة العبرية القديمة لـ«الكتاب المقدَّس» في حلب، فإنه لم يستطع أن يُحرز أي خبر عنها.

من كاله للهلالي في ٢٥ ديسمبر ١٩٥٤م:

لقد زارني هنا البروفيسور (رودولف ماير) من جامعة (يينا)، والذي يعمل على مشروع جديد متعلق بقواعد اللغة العبرية، وطرح عليَّ أنواعًا شتَّى من الأسئلة، وقد ناقشنا مواضيع كثيرة غايةً في الأهمية.

من كاله للهلالي في ١٨ مارس ١٩٥٥م:

بالنسبة لعملي؛ فإنه لا يسير بالسرعة التي كانت في السابق، لا أزال أعمل على تنقيح الطبعة الجديدة من كتابي المتعلق بـ(جنيز القاهرة)، من المهم جدًّا -بالنسبة لي- أن تصدُر نشرة جديدة منقَّحة للكتاب.

من كاله للهلالي في ٠٧ يوليو ١٩٥٥م:

لقد كنت البارحة في جلسة الأكاديمية البريطانية (بريتيش أكاديمي) في (لندن)؛ وعرّجتُ قبلها على المتحف البريطاني (بريتيش ميوزيوم)، والذي يحوي ويعرض كل الماجريات بين المغول والمسلمين والأحداث التاريخية المشتركة بينهم؛ وهو ما أرانيه المسؤول السيد (بَازِيلْ غْرَايْ)، ثم زرتُ -غير بعيد من ذلك المكان- متجرَ (بْرُوبِسْتْ هَايِنْ) للكتب، واقتنيت منه كتاب «قواعد اللغة العبرية» لـ(دافيدسون) -إنجليزي-، وقد رغب (بْرُوبِسْتْ هَايِنْ) في أن يُرسِل الكتاب لكم أنتم مباشرة؛ لذلك أرجو أن يكون الكتاب -قريبًا- بين يديكم؛ وأطلب منكم المعذرة بسبب نسياني لموضوع الكتاب حتى هذا الحين!

من الهلالي لكاله في ١٩٥٥/٨/١٠م:

لقد تلقيتُ رسالتكم اللطيفة، وتسلَّمتُ معها كتاب «قواعد اللغة العبرية»، أشكركم جزيلًا على ذلك.

وردَّ كاله على الهلالي في ٣١ أغسطس ١٩٥٥م:

عندي «قاموس عربي - عبري» لـ(دايفيد نُوي شْتَاتْ) و(بِيسَّاهْ شُوسَّرْ)؛

طُبع سنة ١٩٤٧م من طرف رابطة مطابع الجامعة العبرية في القدس، وعندي كذلك «قاموس إنجليزي - عبري» لـ(رُوبِن غْرُوسْمَان)؛ نشرته مطابع (دفير) بتل أبيب سنة ١٩٤٩م.

من الهلالي لكاله:

أشكركم جدًّا لأنكم سترسلون لي فهرسًا بالمخطوطات النفيسة التي تملكونها، كما أشكركم على الكتاب العبري.

من كاله للهلالي في ٢٢ مارس ١٩٥٦م:

لقد ألقيتُ محاضرة في جامعة إسطنبول حول... أما المحاضرة الثانية فقد كانت متعلقة بالمخطوطات التي وُجِدت في البحر الميت؛ وقد تحدثتُ عن هذا الموضوع بطلب مباشر من (زكي وليدي)، وكان ظاهرًا أن المادة التي ألقيتُها كانت مثيرة لاهتمام الحاضرين.

من كاله للهلالي في ١٩٤٧/١١/٢٦م:

صدر كتابي عن (وثائق الجنيزة) الذي نشرته الأكاديمية البريطانية مؤخرًا، وأنا سعيد بنشره.

مصادر الهلالي في الكتاب

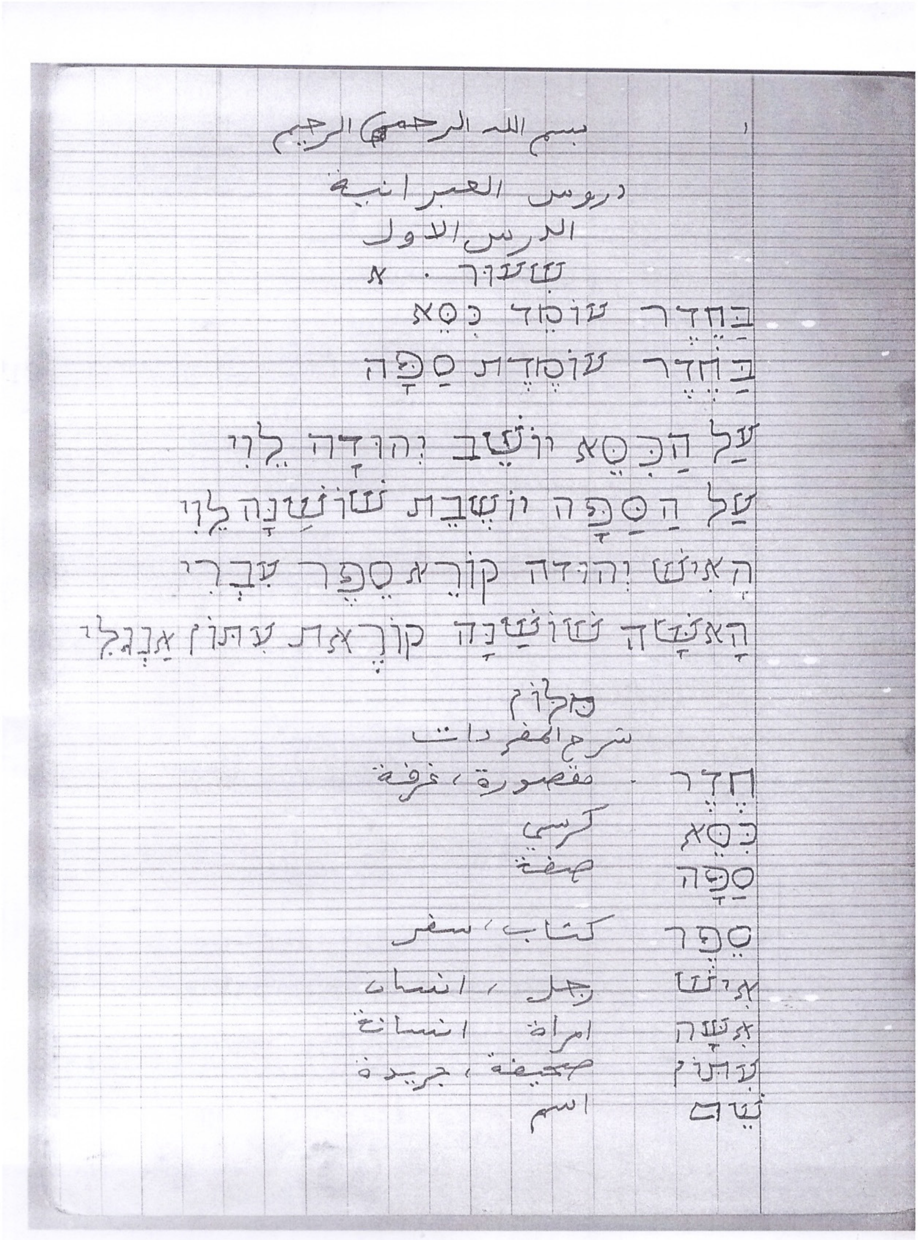
لعل في هذه الرسائل ما يفيد في أسماء المراجع التي استفاد منها الهلالي في كتابه هذا، وهي تفيد أن تعليمه للعبرية الحديثة كان عصاميًّا، واستفاد في ذلك من جولاته الميدانية في عدة بلدان، ومن هذه (المعاجم) التي أرسلت

له، وكان قد أتقن العبرية القديمة، ودرسها في ألمانيا على أستاذه كاله؛ فسهَّل عليه تعليم العبرانية الحديثة.

توصيف النسخة المعتمدة في التحقيق

ظفرتُ بنسخة وحيدة في (دفتر الهلالي الخاص)؛ وهي بخطِّه، وتقع في (٩٠) ورقة، وفيه (ستة عشر) درسًا، ولا يوجد لها تقديم، ولا تعريف بالكتاب.

وهذه نماذج منها:



١

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس العبرانية

الدرس الاول

שִׁעוּר . א

בַּחֶדֶר עוֹמֵד כִּסֵּא

בַּחֶדֶר עוֹמֶדֶת סַפָּה

עַל הַכִּסֵּא יוֹשֵׁב יְהוּדָה לֵוִי

עַל הַסַּפָּה יוֹשֶׁבֶת שׁוֹשַׁנָּה לֵוִי

הָאִישׁ יְהוּדָה קוֹרֵא סֵפֶר עִבְרִי

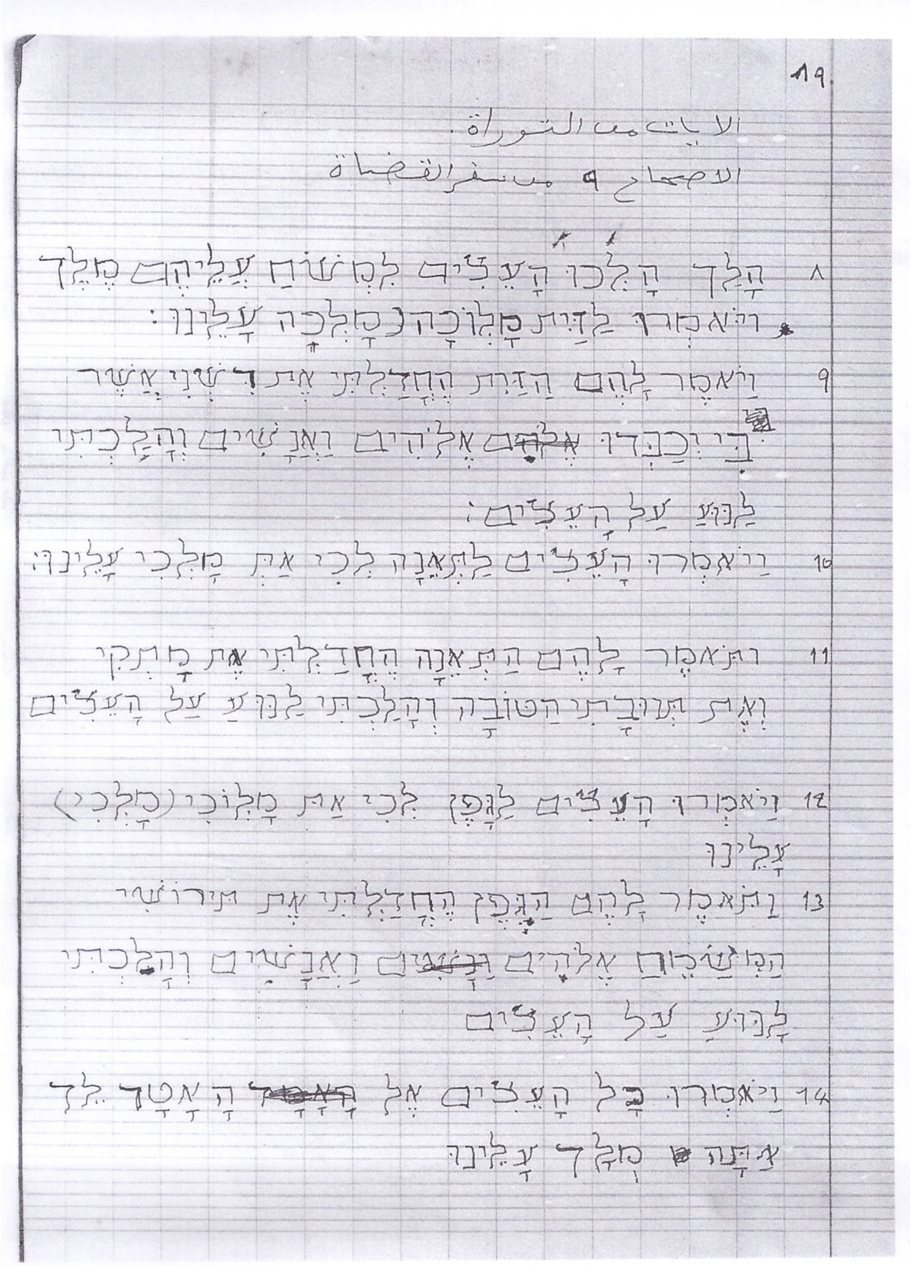
הָאִשָּׁה שׁוֹשַׁנָּה קוֹרֵאת עִתּוֹן אַנְגְּלִי

מִלּוֹן

شرح المفردات

חֶדֶר	. مقصورة ، غرفة
כִּסֵּא	كرسي
סַפָּה	صفة
סֵפֶר	كتاب ، سفر
אִישׁ	رجل ، انسان
אִשָּׁה	امراة انسانة
עִתּוֹן	صحيفة ، جريدة
שֵׁם	اسم

صورة الورقة الأولى



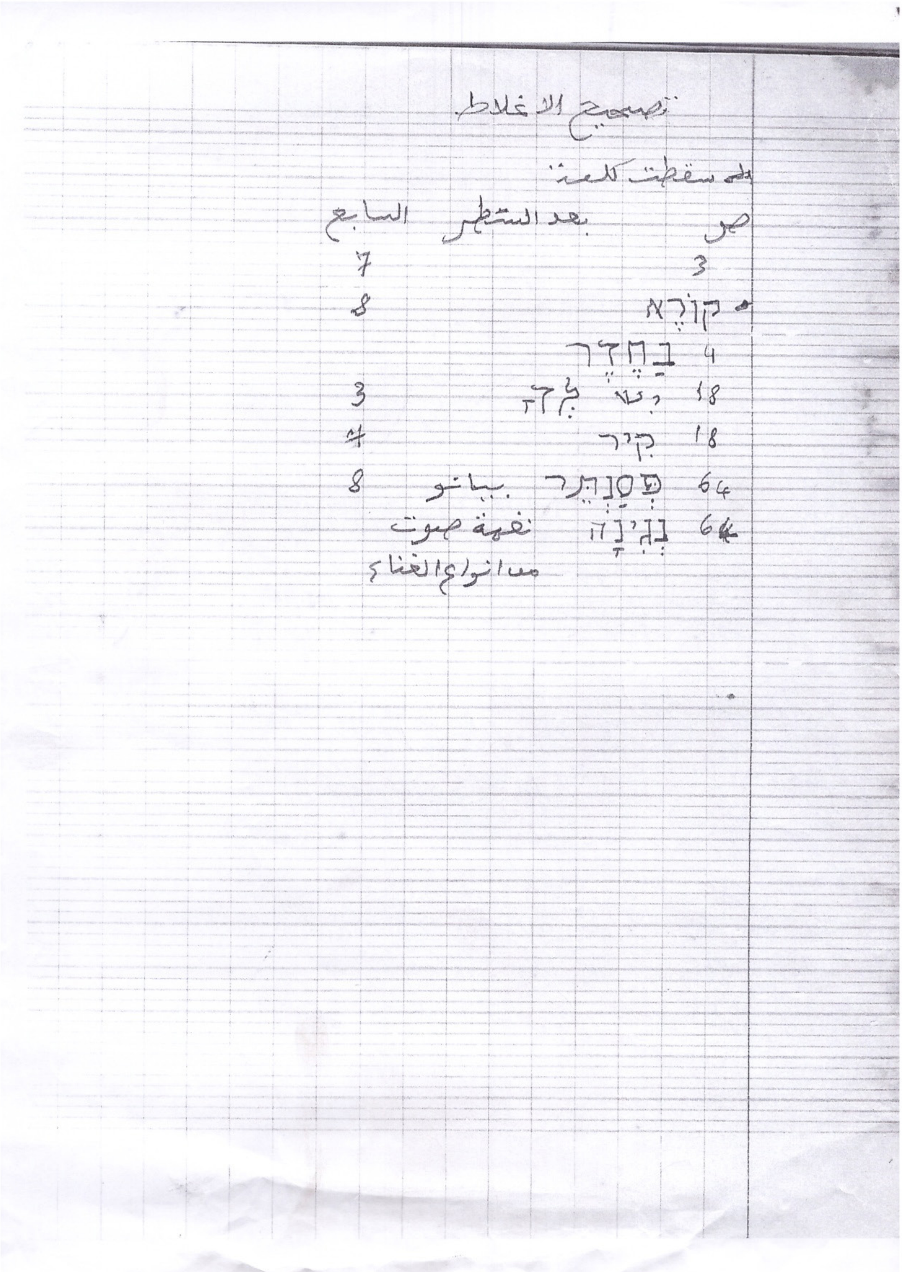
١٩.

الآيات من التوراة.

الإصحاح ٩ من سفر القضاة

٨ הָלוֹךְ הָלְכוּ הָעֵצִים לִמְשֹׁחַ עֲלֵיהֶם מֶלֶךְ
וַיֹּאמְרוּ לַזַּיִת מָלוֹכָה (מָלְכָה) עָלֵינוּ:
9 וַיֹּאמֶר לָהֶם הַזַּיִת הֶחֳדַלְתִּי אֶת דִּשְׁנִי אֲשֶׁר
בִּי יְכַבְּדוּ ~~[illegible]~~ אֱלֹהִים וַאֲנָשִׁים וְהָלַכְתִּי
לָנוּעַ עַל הָעֵצִים:
10 וַיֹּאמְרוּ הָעֵצִים לַתְּאֵנָה לְכִי אַתְּ מָלְכִי עָלֵינוּ:
11 וַתֹּאמֶר לָהֶם הַתְּאֵנָה הֶחֳדַלְתִּי אֶת מָתְקִי
וְאֶת תְּנוּבָתִי הַטּוֹבָה וְהָלַכְתִּי לָנוּעַ עַל הָעֵצִים
12 וַיֹּאמְרוּ הָעֵצִים לַגֶּפֶן לְכִי אַתְּ מָלוֹכִי (מָלְכִי)
עָלֵינוּ
13 וַתֹּאמֶר לָהֶם הַגֶּפֶן הֶחֳדַלְתִּי אֶת תִּירוֹשִׁי
הַמְשַׂמֵּחַ אֱלֹהִים ~~[illegible]~~ וַאֲנָשִׁים וְהָלַכְתִּי
לָנוּעַ עַל הָעֵצִים
14 וַיֹּאמְרוּ כָּל הָעֵצִים אֶל ~~[illegible]~~ הָאָטָד לֵךְ
אַתָּה ~~[illegible]~~ מְלָךְ עָלֵינוּ

صورة الورقة قبل الأخيرة



تصحيح الاغلاط

سقطت كلمة:

ص		بعد السطر	السابع
3			7
קוֹרֵא			8
4	בְּחֶדֶר		
18	בְּנֵי בְּרָכָה		3
18	קִיר		4
64	פְּסַנְתֵּר	بيانو	8
64	נְגִינָה	نغمة صوت من انواع الغناء	

صورة ورقة تصحيح الأغلاط

تمهيد[١]

أصل الحرف العبري[٢]

تتكون الأحرف العبرية من اثنين وعشرين حرفًا، كلها في أصولها أحرف عربية، بيد أن العبريين أجروا عليها بعض التعديلات كي لا تبدو كذلك، ولم تأت تلك التعديلات بصورة اعتباطية، بل تم وضع خمسة أسس للعمل بها في تحويل الحرف العربي إلى حرف عبري، **وهذه الأسس هي:**

أ- تغيير مكان جزء من الحرف.

ب- تغيير وضعية الحرف.

ج- تغيير وضعية النقطة.

د- قطع أنصاف الدوائر.

هـ- قطع الترداد في الحرف العربي.

والأحرف العبرية لها خمس خصائص رئيسة؛ **هي:**

(١) وضعنا هذا (التمهيد) ليكون مفتاحًا للدروس، ولتوضيح بعض المصطلحات المذكورة فيها، والدروس نظرية تحتاج لمعلِّم لتعليم النطق بالعبرانية.

(٢) ما تحته من كتاب «اكتب وتكلم العبرية بسهولة» للأستاذ بدر عقيلي، نشر دار الشمال، سنة ٢٠٠٤م.

١- تكتب كلها فوق السطر.

٢- تكتب كالأحرف العربية من اليمين إلى اليسار.

٣- تكتب بصورة منفردة؛ أي: لا يجري وصلها بعضها ببعض.

٤- تأتي على صورة: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت.

٥- تنطق خمسة وعشرين صوتًا؛ أي: أن هناك ثلاثة أحرف لكل منها صوتان.

الحرف العبري	طريقة النطق به	الحرف العربي
א	أليف	أ
ב	بيت	ب
ג	جيمل	ج
ד	داليت	د
ה	هيه	هـ
ו	فاف	و
ז	زاين	ز
ח	حيت	ح
ט	طيت	ط
י	يود	ي
כ	كاف	ك
ל	لاميد	ل
מ	ميم	م

الحرف العبري	طريقة النطق به	الحرف العربي
נ	نون	ن
ס	سامخ	س
ע	عين	ع
פ	بيه	ف
צ	تسادي	ص
ק	قوف	ق
ר	ريش	ر
שׁ - שׂ	شين وسين	ش – س
ת	تاف	ت

الحركات العبرية(١)

١- الحركات الصغرى

الحركة	تسميتها	اللام مشكولة بها	طريقة النطق بها
ַ	بتاح	לַ	لَ
ֶ	سيجول	לֶ	لِ (بالإمالة)
ִ	حيريق قطان	לִ	لِ
ֹ	حولام قطان	לֹ	لُ (بالضمة المفتوحة)
ֻ	قُبُّوص	לֻ	لُ

(١) ما تحته من كتاب «مدخل الى اللغة العبرية» للدكتور محمد عثمان القرعة، نشر مكتبة دار العلوم الهندسية.

٢- الحركات الكبرى

الحركة	تسميتها	اللام مشكولة بها	طريقة النطق بها
◌ָ	قماص	לָ	لا
◌ֵ	صيري	לֵ	لي (بالإمالة)
ִי	حيريق جدول	לִי	لي
וֹ	حولام جدول	לוֹ	لو (بالضمة المفتوحة)
וּ	شُروق	לוּ	لُو

دُرُوسُ العِبرَانِيَّةَ

تَصنِيفُ
العَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الدِّينِ الهِلَالِيِّ
رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس الأول

שִׁעוּר. א

בַּחֶדֶר עוֹמֵד כִּסֵּא

בַּחֶדֶר עוֹמֶדֶת סַפָּה

עַל הַכִּסֵּא יוֹשֵׁב יהודה לוי

עַל הַסַּפָּה יוֹשֶׁבֶת שׁוֹשַׁנָּה לֵוִי

הָאִישׁ יְהוּדה קוֹרֵא סֵפֶר עִבְרִי

הָיִשָּׁה שׁוֹשַׁנָּה קוֹרֶאת עִתּוֹן אַנְגְלִי

מִלּוֹן

شرح المفردات

חֶדֶר	مقصورة، غرفة
כִּסֵּא	كرسي
סַפָּה	صفة

סֵפֶר	كتاب، سِفر
אִישׁ	رجل، إنسان
אִשָּׁה	امرأة، إنسانة
עִתּוֹן	صحيفة، جريدة
שֵׁם	اسم
בְּ	في
בַּ	في الـ
בַּחֶדֶר	في المقصورة، في الغرفة
בַּסֵּפֶר	في الكتاب
בָּעִתּוֹן	في الجريدة
יוֹשֵׁב	يجلس، جالس
הַ	الـ
הַחֶדֶר	المقصورة، الغرفة
הַכִּסֵּא	الكرسي
הַסַּפָּה	الصفة
הַסֵּפֶר	الكتاب
הָאִישׁ	الرجل، الإنسان
הָאִשָּׁה	المرأة، الإنسانة
הָעִתּוֹן	الجريدة

הַשֵּׁם	الاسم
עַל	على
עַל הַכִּסֵּא	على الكرسي
עַל הַסַּפָּה	على الصفة
עַל הַסֵּפֶר	على الكتاب
עַל הָאִישׁ	على الرجل، على الإنسان
עַל הָאִשָּׁה	على المرأة، على الإنسانة
עַל הָעִתּוֹן	على الجريدة
יוֹשֶׁבֶת	جالسة (مؤنث)
עוֹמֵד	واقف (مذكر)
אַנְגְּלִי	إنكليزي (صفة)
סֵפֶר אַנְגְּלִי	كتاب إنكليزي
עִתּוֹן אַנְגְּלִי	جريدة إنكليزية
עוֹמֶדֶת	واقفة (مؤنث)
קוֹרֵא	قارئ
קוֹרֵאת	قارئة (مؤنث)
עִבְרִי	عبراني (صفة)
סֵפֶר עִבְרִי	كتاب عبراني
עִתּוֹן עִבְרִי	جريدة عبرانية

תַּרְגִּילִים וְדִקְדּוּק

تمارين ونحو

מִי	(مَن) الاستفهامية
אֵיזֶה	ماذا، أيُّ (مذكر)
אֵיזוֹ	ماذا، أيُّ (مؤنث)
מַה	(ما) الاستفهامية
אַיֵּה	أين

الأمثلة

מַה שֵּׁם הָאִישׁ?	ما اسم الرجل؟
	يهودا لاوي
מַה שֵּׁם הָאִשָּׁה?	ما اسم المرأة؟
שֵׁם הָאִשָּׁה שׁוֹשַׁנָּה לֵוִי	اسم المرأة سوسنة لاوي
מִי יוֹשֵׁב עַל הַכִּסֵּא?	من جالس على الكرسي؟
יְהוּדָה לֵוִי	يهودا لاوي
מִי יוֹשֵׁב עַל הַסַּפָּה?	من يجلس على الصفة؟
שׁוֹשַׁנָּה לֵוִי	سوسنة لاوي
אַיֵּה הַסַּפָּה?	أين الصفة؟
אַיֵּה הַכִּסֵּא?	أين الكرسي؟
בַּחֶדֶר	في الغرفة

אֵיזֶה סֵפֶר קוֹרֵא הָאִישׁ?	أي كتاب يقرأ الرجل؟
סֵפֶר עִבְרִי	كتاب عبراني
אֵיזֶה עִתּוֹן קוֹרֵאת הָאִשָּׁה?	أي جريدة تقرأ المرأة؟
עִתּוֹן אַנְגְּלִי	جريدة إنكليزية

٢

עוֹשֶׂה	فاعل (مذكر)
עוֹשָׂה	فاعلة (مؤنث)
מָה עוֹשֶׂה הָאִישׁ?	ما يصنع الرجل؟
מָה עוֹשָׂה הָאִשָּׁה?	ما تصنع المرأة؟

٣

ה הַיְדִיעָה

هاء التعريف

هاء التعريف كما رأيت إذا دخلت على لفظ تُشَكَّل بيتح ـַ פַּתַח نحو: הַכִּסֵּא، لكن إذا دخلت على لفظ أوله ألف א نحو הָאִישׁ، أو على لفظ أوله ע ع نحو הָעִתּוֹן فإنها تحرك بقامص ـָ קָמַץ، فـ בּ باء الجر ومعناها في (الـ) مختصرة من בְּהַ، فبدلًا من أن نقول: בְּהַחֶדֶר، نقول: בַּחֶדֶר.

والواقع أنهم استثقلوا الباء الساكنة في أول الكلام مع الهاء المتحركة، فحذفوا الهاء ونقلوا حركتها إلى الباء، ومثل ذلك يقال في בְּסֵפֶר، وבַּ باء עִתּוֹן.

وكذلك ما מַה إذا جاءت قبل א ألف أو ע ع تحرك بقامص ָ קָמַץ نحو: מָה אוֹמֵר، أو מָה עוֹשָׂה הָאִשָּׁה؟ ولكنك تقول: מַה שֵּׁם הָאִישׁ بلا مد.

٤

المذكر والمؤنث

علامة المؤنث بين الأسماء أن يكون مختومًا بتاء ת أو ה يعني: بتاء قبلها حرف محرك بسكول ֶ أو بهاء صامتة قبلها حرف محرك بقامص ָ קָמַץ

זכר	נקבה
المذكر	المؤنث
חֶדֶר	אִשָּׁה
כִּסֵּא	סַפָּה
סֵפֶר	דֶלֶת
עִתּוֹן	
מִלּוֹן	
אִישׁ	

זָכָר	נְקֵבָה
مذكر	مؤنث
יוֹשֵׁב	יוֹשֶׁבֶת
עוֹמֵד	עוֹמֶדֶת
קוֹרֵא	קוֹרֵאת
עוֹשֶׂה	עוֹשָׂה

الدرس الثاني

שִׁעוּר ב

אִישׁ וְאִשָּׁה יוֹשְׁבִים בְּחֶדר וְקוֹרְאִים. הָאִישׁ קוֹרֵא סֵפֶר וְהָאִשָּׁה קוֹרֵאת עִתּוֹן. עַל הַכִּסֵּא אֵצֶל הַחַלּוֹן יוֹשֵׁב נַעַר. שֵׁם הַנַּעַר יִשְׂרָאֵל. הַנַּעַר כּוֹתֵב בְּעֵט

מַה כּוֹתֵב אַתָּה? שׁוֹאֵל הָאָב. הַבֵּן עוֹנֶה (אֲנִי כּוֹתֵב סִפּוּר)

בְּאֵיזוֹ לָשׁוֹן כּוֹתֵב אַתָּה, עִבְרִית אוֹ אַנְגְּלִית?

אֲנִי כּוֹתֵב עִבְרִית. אֲנִי כּוֹתב סִפּוּר לַמּוֹרֶה הָעִבְרִי.

מִלּוֹן

אֲנִי	أنا
אַתָּה	أنت
נַעַר	صبي
בֵּן	ابن
אָב	أب
שֻׁלְחָן	مائدة

מוֹרֶה	معلم
מוֹרָה	معلمة
עֵט	قلم
כּוֹתֵב	كاتب
שׁוֹאֵל	سائل
עוֹנֶה	مجيب
אֲנִי שׁוֹאֵל	أنا سائل
אַתָּה עוֹנֶה	أنت مجيب
וְ	وَ
שׁוֹאֵל וְעוֹנֶה	سائل ومجيب
אִישׁ וְאִשָּׁה	رجل وامرأة
אֵצֶל	قرب
אֵצֶל הַכִּסֵּא	بقرب الكرسي
לְ לַ.. לָ	لِلْ
לַמּוֹרֶה	للمعلم
סִפּוּר	أسطورة
אֵיזֶה	ماذا (أي: للمذكر)
אֵיזוֹ	ماذا (أي: للمؤنث)
לָשׁוֹן	لسان لغة

עִבְרִית	عبرانية
אַנְגְּלִית	إنكليزية

תַּרְגִּלִים וְדִקְדּוּק

تمارين ونحو

١

יָחִיד		רַבִּים	
مفرد		جمع	
עֵט	قلم	עֵטִים	أقلام
עִתּוֹן	جريدة	עִתּוֹנִים	جرائد
סִפּוּר	أسطورة	סִפּוּרִים	أساطير
סֵפֶר	كتاب	סְפָרִים	كتب
נַעַר	صبي	נְעָרִים	صبيان

أكثر الأسماء المجموعة تنقل من المفرد إلى الجمع بزيادة في آخر المفرد وهي: .ים أي: حريق يود وميم، واذا انتقل الاسم من المفرد إلى الجمع فكثيرًا ما تتغير حركاته كما رأيت في الأمثلة أعلاه.

٢

זָכָר יָחִיד	זָכָר רַבִּים
مذكر مفرد	مذكر جمع

כּוֹתֵב	كاتب	כּוֹתְבִים	كاتبون
עוֹמֵד	قائم	עוֹמְדִים	قائمون
יוֹשֵׁב	جالس	יוֹשְׁבִים	جالسون
קוֹרֵא	قارئ	קוֹרְאִים	قارئون
שׁוֹאֵל	سائل	שׁוֹאֲלִים	سائلون
עוֹנֶה	مجيب	עוֹנִים	مجيبون
עוֹשֶׂה	فاعل	עוֹשִׂים	فاعلون

إن الصفات كأكثر الأسماء تنقل الواحدة منها من المفرد إلى الجمع بزيادة في آخرها، وهي: ִים أي: حريق يود وميم.

٣

انقل ما يلي من المفرد إلى الجمع، ودونك مثلًا تحتذيه:

הַבֵּן קוֹרֵא הַבָּנִים קוֹרְאִים

הַנַּעַר כּוֹתֵב

הַבֵּן עוֹמֵד

הַבֵּן שׁוֹאֵל

إذا كان آخر الكلمة هاء ה لا ينطق بها، فإنها تحذف في الجمع:

הַנַּעַר עוֹנֶה הַנְּעָרִים עוֹנִים

٤

זָכָר	יָחִיד	נְקֵבָה	יְחִידָה
مذكر	مفرد	مؤنث	مفرد
הָאִישׁ	עוֹמֵד	הָאִשָּׁה	עוֹמֶדֶת
הָאִישׁ	יוֹשֵׁב	הָאִשָּׁה	יוֹשֶׁבֶת
האִישׁ	כּוֹתֵב	הָאִשָּׁה	כּוֹתֶבֶת
הָאִישׁ	קוֹרֵא	הָאִשָּׁה	קוֹרֶאת
הָאִישׁ	שׁוֹאֵל	הָאִשָּׁה	שׁוֹאֶלֶת

قاعدة

أكثر الصفات المؤنثة تصاغ بزيادة في آخرها، وهي ת تاء على المذكر، وبدلًا من ת قد يجيء الحرف الأخير محركًا بقامص تتلوه هاء التأنيث هكذا: ָה، والصفات التي هي على هذا الشكل قليلة، فمتى كان الحرف الأخير من صفة المذكر المفرد محركا بسكول تتلوه هاء صامتة نحو: **עוֹנֶה**، فإن حذف ذلك السكول وإبداله بقامص يقلب الصفة للمؤنث نحو: **עוֹנָה**

٥

ترجم بالعربية ما يلي:

١- אֲנִי קוֹרֵא סִפּוּר

٢- אַתָּה קוֹרֵא סֵפֶר

٣- אֲנִי קוֹרֵא עִתּוֹן עִבְרִי

٤- אֲנִי כּוֹתֵב סִפּוּר אַנְגְלִי

٥- אַתָּה קוֹרֵא סִפּוּר עִבְרִי

٦- אֲנִי יוֹשֵׁב עַל סַפָּה

٧- אַתָּה יוֹשֵׁב עַל הַכִּסֵּא

٨- הַמּוֹרֶה קוֹרֵא עִתּוֹן

٩- הַבֵּן שׁוֹאֵל וְהָאָב עוֹנֶה

والآن ترجم ما يلي بالعبرية:

أنا قارئ أسطورة

أنت قارئ كتابًا

أنا قارئ جريدة عبرانية

أنا كاتب أسطورة إنكليزية

أنت قارئ أسطورة عبرانية

أنا جالس على الصفة

أنت جالس على الكرسي

المعلم قارئ جريدة

الابن يسأل والأب يجيب

٦

זֹאת	هذه
זֶה	هذا
מִי זֶּה?	من هذا؟
זֶה יְהוֹדָה	هذا يهودا
מִי זֹאת?	من هذه؟
זֹאת שׁוֹשַׁנָּה	هذه سوسنة
מַה זֶה?	ما هذا؟
זֶה סֵפֶר	هذا كتاب
מַה זֹאת?	ما هذه؟
זֹאת סַפָּה	هذه صفة

الدرس الثالث

שִׁעוּר ג

כָּל הַמִּשְׁפָּחָה יוֹשֶׁבֶת בַּחֶדֶר: הָאָב יְהוּדָה לֵוִי, הָאֵם שׁוֹשַׁנָּה לֵוִי, הַבֵּן יִשְׂרָאֵל, וְהַבַּת רָחֵל. רָחֵל יַלְדָּה קְטַנָּה הִיא. הִיא יוֹשֶׁבֶת עַל הָרִצְפָּה וּמַבִּיטָה בְּסֵפֶר.

מָה אַתְּ רוֹאָה בַּסֵּפֶר שׁוֹאֶלֶת הָאֵם, וְהַיַּלְדָּה עוֹנָה: אֲנִי רוֹאָה תְּמוּנוֹת יָפוֹת, תְּמוּנוֹת שֶׁל יְלָדִים וִילָדוֹת.

מִלּוֹן

מִשְׁפָּחָה	أهل بيت عائلة
כָּל	كل
כָּל הַמִּשְׁפָּחָה	كل أهل البيت، كل العائلة
בֵּן	ابن
בַּת	بنت
אֵם	أم
יֶלֶד	صبي
יַלְדָּה	صبية

קָטָן	صغير
קְטַנָּה	صغيرة
הוּא	هو
הִיא	هي
רִצְפָּה	أرض المقصورة
מַבִּיט	ناظر
מַבִּיטָה	ناظرة
אֶל	إلى
רוֹאֶה	راء
רוֹאָה	رائية
תְּמוּנָה	صورة
תְּמוּנוֹת	صور
יָפֶה	جميل
יָפָה	جميلة
יָפִים	جميلون
יָפוֹת	جميلات
שֶׁל	اديال، انتاع

תַּרְגִּלִים וְדִקְדּוּק

ו

ו

واو العطف إذا جاءت قبل واحد من أحرف أربعة يجمعها قول (دوبغم)، فإنها تصير شروقًا هكذا: וּ.

مثال ذلك: اللفظ المتقدم וּמַבִּיטָה

٢

שֵׁם الاسم

יָחִיד	مفرد المذكر	**רַבִּים**	جمع مذكر
יֶלֶד		יְלָדִים	
בֵּן		בָּנִים	
יְחִידָה	مؤنث مفرد	**רַבּוֹת**	جمع مؤنث
תְּמוּנָה		תְּמוּנוֹת	
סַפָּה		סַפּוֹת	

תֹּאַר الصفة

יָחִיד	רַבִּים
קָטָן	קְטַנִּים
יָפֶה	יָפִים

יְחִידָה	רַבּוֹת
קְטַנָּה	קְטַנּוֹת
יָפָה	יָפוֹת

يصاغ جمع المؤنث عادة بزيادة ألف مائلة إلى الضم وتاء على المفرد.

مثال ذلك: יָפָה تجمع على يفوت יָפוֹת و תְּמוּנָה تجمع على תְּמוּנוֹת

لعلك لاحظت أن الصفات تتبع الأسماء في عددها وجنسها، وذلك ما نعبر عنه بأن الصفة تتبع الموصوف في إفراده وجمعه وتذكيره وتأنيثه، فتقول: יְלָדִים יָפִים، יְלָדוֹת יָפוֹת

ترجم بالعربية ما يلي:

١- אֲנִי מַבִּיט אֶל הַסֵּפֶר

٢- אֲנִי מַבִּיט אֶל הָעִתּוֹן

٣- אַתָּה מַבִּיט אֶל הָעִתּוֹן

٤- אֲנִי רוֹאֶה אֶת הָאָב

٥- אֲנִי רוֹאֶה אֶת הָאֵם

٦- אַתָּה רוֹאֶה אֶת הַבֵּן

٧- אַתָּה רוֹאֶה אֶת הַבַּת

٨- שֵׁם הַבֵּן יִשְׂרָאֵל

٩- שֵׁם הַבַּת רָחֵל

١٠- שֵׁם הַיֶּלֶד אֶפְרַיִם

١١- אֲנִי רוֹאֵה תְּמוּנוֹת יָפוֹת

١٢- אֲנִי מַבִּיט אֶל הַתְּמוּנוֹת בַּסֵּפֶר

١٣- אֲנִי רוֹאָה אֶת הַתְּמוּנוֹת בַּסֵּפֶר

الدرس الرابع

שִׁעוּר ד

לִי הוּדָה לֵוִי יֵשׁ בַּיִת חָדָשׁ, בַּיִת גָּדוֹל. בַּבַּיִת שִׁבְעָה חֲדָרִים: מִטְבָּח מִטְבָּח, חֲדַר אֹכֶל, חֲדַר מִטּוֹת, שְׁנֵי חֲדָרִים לַיְלָדִים, אֶחָד לַנַּעַר וְאֶחָד לַיַּלְדָּה, טְרַקְלִין, וַחֲדַר רַחְצָה.

בַּטְרַקְלִין תְּלוּיוֹת תְּמוּנוֹת. עַל קִיר אֶחָד תְּלוּיָה תְּמוּנָה שֶׁל יְרוּשָׁלַיִם. עַל קִיר אַחֵד תְּלוּיָה תְּמוּנָה שֶׁל הֶרְצֵל. תַּחַת הַתְּמוּנָה שֶׁל הֶרְצֵל תְּלוּיָה קֻפְסָה שֶׁל הַקֶּרֶן הַקַּיֶּמֶת לְיִשְׂרָאֵל. בַּחֲדָרִים עוֹמְדִים רְהִיטִים: סַפּוֹת כִּסְאוֹת, שֻׁלְחָנוֹת וּמִטּוֹת בַּחֲדַר הָאֹכֶל אוֹכְלִים, בַּחֲדַר הַמִּטּוֹת יְשֵׁנִים, בַּטְרַקְלִין יוֹשְׁבִים הָאוֹרְחִים בַּמִּטְבָּח מְבַשֶּׁלֶת הָאִשָּׁה

מִלּוֹן

לְ	لـ
לִי	لي
לְךָ	لك
יֵשׁ	يوجد
יֵשׁ לִי	يوجد لي، في ملكي

יֵשׁ לָךְ	يوجد لكَ
קִיר	
יֵשׁ לִיהוּדָה أو לִיהוּדָה יֵשׁ	ليهودا، يملك يهودا
בַּיִת	بيت
חָדָשׁ	حديث جديد
חֲדָשָׁה	حديثة جديدة
גָּדוֹל	كبير
גְּדוֹלָה	كبيرة، واسعة
שִׁבְעָה	سبعة
מִטְבָּח	مطبخ
אֹכֶל	طعام
חֲדַר אֹכֶל	غرفة الطعام
מִטָּה	فراش
חֲדַר יְלָדִים	غرفة الأولاد
נַעַר	صبي
חֲדַר רַחְצָה	غرفة الاغتسال، حمام
טְרַקְלִין	غرفة الجلوس
תַּחַת	تحت
אַחֵר	آخر

תָּלוּי	مشجب
תְּלוּיָה	معلقة
יְרוּשָׁלַיִם	بيت المقدس
הֶרְצֶל	هرتسل (آخر المتبرعين من يهود النمسا)
קֻפְּסָה	صندوق النقود
קֶרֶן	رأس المال (وهو لفظ مؤنث)
קַיֶּמֶת	دائم (مؤنث تبعًا للموصوف)
יִשְׂרָאֵל	
קֶרֶן קַיֶּמֶת לְיִשְׂרָאֵל	رأس المال القومي اليهودي
אוֹכֵל	آكل
אוֹכֶלֶת	آكلة
אוֹכְלִים	آكلون
יָשֵׁן	نائم
יְשֵׁנָה	نائمة
יְשֵׁנִים	نائمون
רָהִיט	قطعة من أثاث البيت
רְהִיטִים	أثاث البيت
אוֹרֵחַ	ضيف
מְבַשֵּׁל	طابخ، طباخ

מְבַשֶּׁלֶת	طابخة، طباخة
רְהִיטִים	أثاث البيت

תַּרְגִּילִים וְדִקְדּוּק

١ (١)

הַמִּסְפָּרִים العدد

זָכָר	נְקֵבָה
אֶחָד	אַחַת
שְׁנַיִם	שְׁתַּיִם
שְׁנֵי	שְׁתֵּי
שְׁלֹשָׁה	שָׁלֹשׁ
רְבָעָה	אַרְבַּע
חֲמִשָּׁה	חָמֵשׁ
שִׁשָּׁה	שֵׁשׁ
שִׁבְעָה	שֶׁבַע
שְׁמוֹנָה	שְׁמוֹנֶה
תִּשְׁעָה	תֵּשַׁע
עֲשָׂרָה	עֶשֶׂר

(١) في الأصل: «٢».

٢

اكتب العمودين التاليين، واملأ كل فراغ فيهما بما يناسب من الأسماء:

יֶלֶד אֶחָד	יַלְדָּה אַחַת
שְׁנַיִם، שְׁנֵי יְלָדִים	שְׁתֵּי יְלָדוֹת שְׁתַּיִם
שְׁלֹשָׁה יְלָדִים	שָׁלֹשׁ
אַרְבָּעָה	אַרְבַּע
חֲמִשָּׁה	חָמֵשׁ
שִׁשָּׁה סְפָרִים	שֵׁשׁ
שִׁבְעָה	שֶׁבַע מִטּוֹת
שְׁמוֹנָה	שְׁמוֹנֶה
תִּשְׁעָה עֵטִים	תֵּשַׁע
עֲשָׂרָה	עֶשֶׂר

قاعدة

אֶחָד אַחַת يتبعان العدد المذكور قبلهما مع المطابقة بين العدد والمعدود في الجنس، كما تقدم في أول كل من العمودين، وأما بقية ألفاظ العدد فإن المعدود فيها يتأخر عن العدد كما رأيت في الأمثلة السابقة.

متى جاء لفظ (اثنين) وحده بلا معدود؛ فإنه يكون هكذا שְׁנַיִם في المذكر وשְׁתַּיִם في المؤنث، وأما إذا ذكرا مع المعدود فإن الميم فيهما تحذف ويغير شكل ما قبلها، فيقال في المذكر: שְׁנֵי وفي المؤنث שְׁתֵּי.

متى كان الجمع مشتملًا على مذكر ومؤنث يغلَّب التذكير على التأنيث، وإن كان المذكر واحدًا فقط نحو: **אִישׁ וְאִשָּׁה אוֹכְלִים**.

٣

اكتب الألفاظ الآتية وأبدل أرقام أعدادها بألفاظ مطابقة للمعدود:

٣ מִטּוֹת

٩ חֲדָרִים

١ אִשָּׁה

٥ כִּסְאוֹת (م)

٧ סְפָרִים

١٠ בָּתִּים بيوت (م)

٢ בָּתִּים

١ אִישׁ

٤

الإضافة

للإضافة في اللغة العبرانية طريقان:

أولهما: الإضافة بتوسط لفظ שֶׁל (اديال) بين المضاف والمضاف إليه نحو: הַשֵּׁם שֶׁל הַיֶּלֶד الاسم (اديال الولد).

والطريق الثاني يسمى: סְמִיכוּת وهو الإضافة بغير حرف يتوسط بين المتضايفين نحو: שֵׁם הַיֶּלֶד اسم الولد، סֵפֶר הַמּוֹרֶה كتاب المعلم.

متى كانت الإضافة بغير שֶׁל تغيرت حركات المضاف في مواضع كثيرة.

مثال ذلك: חֶדֶר تقول في إضافته: חֲדַר אֹכֶל غرفة الأكل، ومثله: חֲדַר מִטּוֹת

٥

تقدم ما يدل أن باء الجر בּ إذا دخلت على النكرة تكون ساكنة نحو: בְּבַיִת في بيت، وإذا دخلت على المعرفة تكون متحركة بالفتح هكذا: בַּ، نحو: בַּבַּיִת في البيت[١].

ومثل ذلك:

בְּחֶדֶר	في غرفة
בַּחֶדֶר	في الغرفة
בָּתִּים	بيوت
בְּבָתִּים	في بيوت
בַּבָּתִּים	في البيوت

إن الداغش -وهو نقطة التشديد والدلالة على شدة الحرف في الحروف الستة (بجد كفت)- لا يجيء أبدًا بعد السكون شوا في أول الكلمة، ولذلك نقول كما في الأمثلة السابقة أعلاه: בְּבַיִת ولا نقول: בְּבַּיִת

(١) في الأصل: «في الغرفة».

إذا تقدمت الباء وتلاها حرف محرك بشوا بتح فإن تلك الباء تحرك ببتح: חֲדָרִים إذا دخلت عليها باء الجر تصير בַּחֲדָרִים.

ومثل الباء في ذلك الواو، فتقول في חֲדָרִים عند دخول واو العطف عليها: וַחֲדָרִים

الدرس الخامس

שִׁעוּר ה

מָה עוֹשֶׂה יְהוּדָה לֵוִי? יְהוּדָה לֵוִי הוּא עוֹרֵךְ דִּין הוּא קָם בַּבֹּקֶר וְהוֹלֵךְ אֶל הַמִּשְׂרָד חֲמִשָּׁה יָמִים בְּשָׁבוּעַ הוּא עוֹבֵד בַּמִּשְׂרָד בְּיוֹם הַשַּׁבָּת הוּא בַּבַּיִת גַּם בַּיּוֹם הָרִאשׁוֹן הוּא בַּבַּיִת חֲמִשָּׁה יָמִים בַּשָּׁבוּעַ הוּא עוֹבֵד בַּיּוֹם הַשַּׁבָּת הוּא שׁוֹבֵת בְּיוֹם הַשַּׁבָּת הוּא קוֹרֵא סְפָרִים בְּיוֹם הַשַּׁבָּת הוּא מְקַבֵּל אוֹרְחִים בַּבַּיִת.

מִלּוֹן

עוֹשֶׂה	يعمل
עוֹשָׂה	تعمل
עוֹרֵךְ דִּין	محامي
קָם	يقوم
בֹּקֶר בַּבֹּקֶר	صباح، في الصباح
הוֹלֵךְ	يذهب
הוֹלֶכֶת	تذهب
מִשְׂרָד	مكتب

בַּמִשְׂרָד	في المكتب
יוֹם	يوم
יָמִים	أيام
ׁ ָבוּע	أسبوع
שָׁבוּעוֹת	أسابيع
בַּשָּׁבוּעַ	في الأسبوع
שַׁבָּת	السبت
יוֹם הַשַּׁבָּת	يوم السبت
גַּם	أيضًا
רִאשׁוֹן	الأول
יוֹם רִאשׁוֹן	يوم الأحد
עוֹבֵד	يعمل
עוֹבֶדֶת	تعمل
שׁוֹבֵת	يسبت
שׁוֹבֶתֶת	تسبت
מְקַבֵּל	يستقبل
מְקַבֶּלֶת	تستقبل
אוֹרֵחַ	ضيف
אוֹרְחִים	ضيوف

תַּרְגִּלִים וְדִקְדוּק

١

أسماء الأيام:

تسمى أيام الأسبوع بالأول والثاني والثالث إلا اليوم السابع –وهو يوم السبت– فإنه يسمى: שַׁבָּת، وهذه أسماؤها:

רִאשׁוֹן	أول	الأحد
שֵׁנִי	ثاني	الاثنين
שְׁלִישִׁי	ثالث	الثلاثاء
רְבִיעִי	رابع	الأربعاء
חֲמִישִׁי	خامس	الخميس
שִׁישִׁי	سادس	الجمعة
שְׁבִיעִי	سابع	
שְׁמִינִי	ثامن	
תְּשִׁיעִי	تاسع	
עֲשִׂירִי	عاشر	

ترجم المحادثة التالية:

שִׂיחָה

שָׁלוֹם

שָׁלוֹם לְאָן אַתָּה הוֹלֵךְ יְהוּדָה

אֲנִי הוֹלֵךְ אֶל הַמִּשְׂרָד

מַה הַשָּׁעָה

תֵּשַׁע

תֵּשַׁע? כֵּן

הַבִּיטִי אֶל הַשָּׁעוֹן וּרְאִי

רוֹאֶה אֲנִי עֲנָנִים בַּשָּׁמַיִם וְאֵין לִי מִטְרִיָּה

תְּנִי לִי אֶת הַמִּטְרִיָּה

הִנֵּה לְךָ הַמִּטְרִיָּה

תּוֹדָה הַיִּי שָׁלוֹם

לֵךְ לְשָׁלוֹם יְהוּדָה

מִלּוֹן

שִׂיחָה	محادثة (مؤنث)
שָׁלוֹם	سلام
לְאָן	إلى أين
שָׁעָה	ساعة
כַּמָּה	كم

מַה הַשָּׁעָה	ما الساعة، أي ساعة هذه
הַבֵּט	انظر
הַבִּיטִי	انظري
רְאֵה	رَ (فعل أمر من رأى للمذكر)
רְאִי	ري (فعل أمر من رأى للمؤنث)
לוֹקֵחַ	آخذ أو يأخذ
לוֹקַחַת	آخذة
קַח	خذ (فعل أمر للمذكر)
קְחִי	خذي (فعل أمر للمؤنث)
נוֹתֵן	معطي
נוֹתֶנֶת	معطية
תֵּן	اعط
תְּנִי	اعطني
הִנֵּה	ها هو، ها هي
שָׁעוֹן	ساعة الحيط
עָנָן	سحابة
עֲנָנִים	سحائب
שָׁמַיִם	سماء
אֵין	(إن) النافية، ليس

אֵין לִי	ليس لي
אֵין לְךָ	ليس لكَ
אֵין לָךְ	ليس لكِ
מִטְרִיָּה	مظلة
הֱיֵה	كن
הֲיִי	كوني
הֱיֵה שָׁלוֹם	كن بسلام، أستودعك الله
הֲיִי שָׁלוֹם	كوني بسلام
תּוֹדָה	شكرًا
לֵךְ	اذهب
לְכִי	اذهبي
לֵךְ לְשָׁלוֹם	اذهب بسلام
לְכִי לְשָׁלוֹם	اذهبي بسلام

٣

צִוּוּי יָחִיד فعل الاسم للمفرد

זָכָר	**נְקֵבָה**
קְרָא	קִרְאִי
כְּתֹב	כִּתְבִי
רְאֵה	רְאִי

אֱכֹל	אִכְלִי
עֲמֹד	עִמְדִי
לֵךְ	לְכִי
קַח	קְחִי
שֵׁב	שְׁבִי

٤

ترجم بالعربية ما يلي:

תַּרְגֵּם לַעֲרָבִית:

١ - לֵךְ אֶל הַבַּיִת ולֵךְ הַבַּיְתָה

قد رأيتَ في الصورة الثانية لهذا المثال أن الجار وهو אֶל قد حذف وعوض بفتح آخر الكلمة مع المد والهاء الصامتة، وهو استعمال قديم يقع في اسم المكان فقط، ويذكرنا الموجودة في اللغة العربية، وهي النصب تحذف الخافض، كقول الشاعر(١):

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم علي إذن حرام

٢ - לֵךְ אֶל הָאָב

(١) القائل هو جرير بن عطية بن الخطفي، والبيت في «ديوانه» (٥١٢ - ٥١٥).
وانظر: «الأمالي» (١/ ١٢٠)، «اللآلي» (٣٥٥)، «الكامل» (١/ ٥٠)، «طبقات الشعراء» (٣٥٣)، «أمالي المرتضى» (١/ ٥٤١) و (٢/ ٢٥٦)، «ابن عقيل» (١/ ٤٥٦) الشاهد رقم (١٥٩)، «الهمع» (١/ ٨٣)، «الخزانة» (٩/ ١١٨)، «الدرر» (١/ ١٠٧).

٣- לֵךְ אֶל הָאֵם

٤- לֵךְ אֶל הַמִשְׂרָד

٥- לְכִי אֶל הַמִטְבָּח

٦- רְאִי אֶת הַתְּמוּנָה

٧- רְאֵה הֵנֵה הַמִטְרִיָה

٨- קִרְאִי אֶת הָעִתּוֹן

٩- הִנֵה לְךָ כִּסֵא שֵׁב

١٠- הִנֵה לְךָ סֵפֶר קְרָא

١١- הִנֵה לָךְ עֵט כִּתְבִי

١٢- הִנֶּה לָךְ הַשָּׁעוֹן הַבִּיתִי וּרְאִי מַה הַשָּׁעָה

כְּתֹב סִפּוּר

الدرس السادس

שִׁעוּר ו

בְּעֶרֶב שַׁבָּת בֵּין הַשְּׁמָשׁוֹת מְכַסָּה הָאִשָּׁה אֶת הַשֻּׁלְחָן מַפָּה לְבָנָה

עַל הַשֻּׁלְחָן עוֹמֶדֶת מְנוֹרָה בַּמְנוֹרָה, שִׁבְעָה נֵרוֹת עַל הַשֻּׁלְחָן עוֹמֵד בַּקְבּוּק יַיִן עַל הַשֻּׁלְחָן עוֹמְדוֹת אַרְבַּע כּוֹסוֹת. עַל הַשֻּׁלְחָן שְׁתֵּי חַלּוֹת וְעַל הַחַלּוֹת מִפָּה קְטַנָּה לְבָנָה יָפָה. עַל הַמַּפָּה רְקוּמוֹת הַמִּלִּים שַׁבַּת קֹדֶשׁ

הָאִשָּׁה שָׂמָה מַטְבֵּעַ שֶׁל כֶּסֶף אֶל קֻפְסַת הַקֶּרֶן הַקַּיֶּמֶת לְיִשְׂרָאֵל הָאִשָּׁה לוֹקַחַת גַּפְרוּר מַדְלִיק אֶת הַנֵּירוֹת בַּגַּפְרוּר וּמְבָרֶכֶת לְהַדְלִיק נֵר שֶׁל שַׁבָּת

מִלּוֹן

עֶרֶב	مساء
עֶרֶב שַׁבָּת	مساء السبت
שֶׁמֶשׁ	الشمس (يذكر ويؤنث)
בֵּין	بين
שְׁמָשׁוֹת	أنوار

בֵּין הַשְּׁמָשׁוֹת	عشية
מְכַסֶּה	يغطي، يكسو
מְכַסָּה	تغطي، تكسو
מַפָּה	غطاء المائدة
לָבָן	أبيض
לְבָנָה	بيضاء
מְנוֹרָה	شمعدان حسكة
נֵר	شمعة (مذكر)
נֵרוֹת	شمعات
בַּקְבּוּק	قارورة (قرعة)
יַיִן	خمر
בַּקְבּוּק יַיִן	زجاجة خمر
כּוֹס	كأس (مؤنث)
כּוֹסוֹת	كاسات
חַלָּה	رقاقة
חַלּוֹת	رقاقات
רָקוּם	مرقوم، مكتوب بالتطريز
רְקוּמוֹת	مرقومات، مكتوبات بالتطريز
מִלָּה	كلمة، لفظ
קֹדֶשׁ	قدس

שַׁבָּת קֹדֶשׁ	سبت قدس، مبارك
שָׂם	يضع
שָׂמָה	تضع
מַטְבֵּעַ	نقد، دراهم
כֶּסֶף	فضة
לוֹקֵחַ	يأخذ
לוֹקַחַת	تأخذ
גַּפְרוּר	واقدة، عود كبريت
מַדְלִיק	يوقد
מְבָרֵךְ	مبارك
מְבָרֶכֶת	تبارك
לְהַדְלִיק	لا يقاد

תַּרְגִּילִים וְדִקְדּוּק

١

שִׂיחָה

רָחֵל תְּנִי לִי גַפְרוּר

תֵּכֶף אִמָּא אֲנִי הוֹלֶכֶת אֶל הַמִּטְבָּח וְלוֹקַחַת גַּפְרוּר הִנֵּה לָךְ הַגַּפְרוּר

תּוֹדָה בִּתִּי

לָמָּה לָךְ הַגַּפְרוּר אִמָּא

לְהַדְלִיק נֵר שֶׁל שַׁבָּת

٢

לִי لي לְךָ لكَ לָךְ لكِ

שֶׁלִּי اديلي שֶׁלְּךָ اديلك (للمذكر) שֶׁלָּךְ اديلكِ (للمؤنث)

اعلم أن ضمائر الإضافة تختصر وتتصل بآخر الاسم الذي يعود إليها.

مثال ذلك: בֵּן שֶׁלִּי ابن أديلي، كثيرًا ما يختصر هذا اللفظ فيصير: בְּנִי، בֵּן שֶׁלְּךָ، ابن أديلك يصير: בִּנְךָ، وبֵּן שֶׁלָּךְ يصير: בְּנֵךְ، עֵט עֵטִי עֵטְךָ עֵטֵךְ.

שֻׁלְחָן: שֻׁלְחָנִי שֻׁלְחָנְךָ שֻׁלְחָנֵךְ

בַּקְבּוּק: בַּקְבּוּקִי בַּקְבּוּקְךָ בַּקְבּוּקֵךְ

גַּפְרוּר: גַּפְרוּרִי גַּפְרוּרְךָ גַּפְרוּרֵךְ

בַּת: בִּתִּי בִּתְּךָ בִּתֵּךְ

٣

שִׂיחָה

מָה אַתָּה עוֹשֶׂה?

אֲנִי כּוֹתֵב מִכְתָּב

אֶל מִי אַתָּה כּוֹתֵב?

אֶל אַבָּא

מַה כּוֹתֵב אַתָּה בְּמִכְתָּבְךָ?

כִּי רוֹצֶה אֲנִי בֶּגֶד חָדָשׁ

يجوز أن يتقدم الضمير على اسم الفاعل، مثل الجملة التالية فتقول: רוֹצֶה אֲנִי.

ومثال ذلك: מָה אַתָּה כּוֹתֵב أو מָה כּוֹתֵב אַתָּה.

מִלּוֹן

מִכְתָּב	مكتوب
כִּי	لأجل
רוֹצֶה	أريد
בֶּגֶד	ثوب، بدلة
רוֹצָה	تريد هي
אַבָּא	أبي
אִמָּה	أمي

الدرس السابع

שִׁעוּר ז

בַּיּוֹם הַשִּׁשִּׁי קָם וְהוּדָה לֵוִי בַּבֹּקֶר רוֹחֵץ אֶת הַפָּנִים וְאֶת הַיָּדַיִם וְאוֹכֵל אֲרוּחַת הַבֹּקֶר הוּא אוֹכֵל לֶחֶם וְחֶמְאָה שׁוֹתֶה קָפֶה וְהוֹלֵד אֶל הַמִּשְׂרָד הוּא עוֹבֵד בַּמִּשְׂרָד שָׁלֹשׁ שעות

מִשָּׁעָה תִּשַׁע בַּבֹּקֶר עַד הַצָּהֳרַיִם הוֹלֵד אַחַד הַצָּהֳרַיִם אֶל מִסְעָדָה אוֹכֶל שָׁם אֲרוּחַת הַצָּהֳרַיִם וְשָׁב אֶל הַמִּשְׂרָד הוּא עוֹבֵד בַּמִּשְׂרָד עַד אַרְבַּע אַחַר הַצָּהֳרַיִם וְשָׁב אֶל בֵּיתוֹ הוּא מִתְרַחֵץ וְלוֹבֵשׁ בְּגָדִים יָפִים אִשְׁתּוֹ מַדְלִיקָה נֵרוֹת שֶׁל שַׁבָּת אַחֲרֵי כֵן הוֹלְכִים הָאִישׁ וְאִשָּׁה וְהַבֵּן אֶל בֵּית הַתְּפִלָּה הֵם מִתְפַּלְּלִים הַחַזָּן מְקַדֵּשׁ עַל הַיַּיִן וְכָל הַקָּהָל יוֹצֵא מִבֵּית הַתְּפִלָּה

יְהוּדָה וְהָאִשָּׁה וְהַבֵּן שָׁבִים הַבַּיְתָה הֵם אוֹכְלִים וְשָׁרִים שִׁירִים שֶׁל שַׁבָּת

מִלּוֹן

יוֹם	يوم
יוֹם רִאשׁוֹן	يوم الأحد

יוֹם שֵׁנִי	يوم الاثنين
יוֹם שְׁלִישִׁי	يوم الثلاثاء
יוֹם רְבִיעִי	يوم الأربعاء
יוֹם חֲמִישִׁי	يوم الخميس
יוֹם שִׁשִּׁי	يوم الجمعة
שַׁבָּת	يوم السبت
בְּיוֹם שִׁשִּׁי בַּיּוֹם הַשִּׁשִּׁי	في يوم الجمعة
קָם	يقوم
קָמָה	تقوم
רוֹחֵץ	يغتسل
רוֹחֶצֶת	تغتسل
יָד	يد
יָדַיִם	يدين
פָּנִים	وجه
אֲרוּחַת בֹּקֶר	وجبة الفطور
לֶחֶם	خبز
חֶמְאָה	زبدة
שׁוֹתֶה	يشرب
שׁוֹתָה	تشرب

קָפֶה	قهوة
שָׁעָה	ساعة
שָׁעוֹת	ساعات
מִ	من
מִשָּׁעָה	من الساعة
צָהֳרַיִם	الظهر
אַחַר	بعد
אַחֲרֵי כֵן אַחַר כֵּן	بعد ذلك
עַד	حتى
מִסְעָדָה	مطعم
שָׁם	ثم، هناك
שָׁב	يرجع
שָׁבָה	ترجع
בֵּיתוֹ	بيته
מִתְרַחֵץ	يغتسل
מִתְרַחֶצֶת	تغتسل
לוֹבֵשׁ	يلبس
לוֹבֶשֶׁת	تلبس
בֶּגֶד	ثوب

בְּגָדִים	ثياب
הוֹלְכִים	يذهبون
תְּפִלָּה	صلاة
בֵּית תְּפִלָּה	بيت الصلاة
הֵם	هم
הֵן	هن
מִתְפַּלֵּל	يصلي
מִתְפַּלְּלִים	يصلون
חַזָּן	إمام الصلاة، مرتل
מְקַדֵּשׁ	يقدس
עַל	علي
קָהָל	جمع
יוֹצֵא	يخرج
יוֹצֵאת	تخرج
שָׁר	يغني
שָׁרִים	يغنون
שִׁיר	نشيد، غناء
שִׁירִים	أناشيد، أغاني

תַּרְגִּילִים וְדִקְדּוּק

ضمير الإضافة (اديالو) שֶׁלּוֹ و(اديلها) שֶׁלָּהּ يختصران ويوضعان في آخر الكلمة التي تضاف إليها: בַּיִת بيت בֵּיתוֹ بيته בֵּיתָהּ بيتها، هذه النقطة التي في جوف الهاء تميزها عن هاء التأنيث التي تتصل بالأسماء فتجعلها مؤنثة، فتلك ليس فيها نقطة، وهذه ضمير المؤنث ينطق بها هاء ساكنة، بخلاف الأولى فهي صامتة.

עֵט: עֵטוֹ עֵטָהּ

בַּקְבּוּק: בַּקְבּוּקוֹ בַּקְבּוּקָהּ

בַּיִת: בֵּיתוֹ בֵּתָהּ

יַיִן: יֵינוֹ יֵינָהּ

בֶּגֶד: בִּגְדוֹ בִּגְדָהּ

סֵפֶר:סִפְרוֹ סִפְרָהּ

٢

שִׂיחָה

יְהוּדָה הָאֹכֶל עַל הַשֻּׁלְחָן.

אֲנִי בָּא הֲיֵשׁ לֶחֶם עַל הַשֻּׁלְחָן?

יֵשׁ

וְחֶמְאָה?

גַם חמאָה יֵש

וְקָפֵה

גַם הַקָפֵה עַל הַשֻלְחן

טַעַם הַקָפֶה טוב תְּנִי לִי עוֹד סֵפֶל אַחָד בְּעֹנֶג. הִנֵה לְךָ עוֹד סֵפֶל קָפֶה טוֹב תּוֹך אֲנִי הוֹלֵך אֶל הַמִּשְׂרָד הֱיֵי שָׁלוֹם.

לֵך לְשָׁלוֹם שׁוּב הַבַּיְתָה בְּאַרְבַּע. כֵּן، כֵּן בְּאַרְבַּע

מִלוֹן

בָּא	يجيء
בָּאָה	تجيء
בֹּא	تعال
בֹּאִי	تعالي
אֹכֶל	أكل، طعام
הֲיֵש	أيوجد
גַם	أيضًا
לוֹמֵד	يتعلم
לוֹמֶדֶת	تتعلم
טַעַם	مذاق

טוֹב	طيب
טוֹבָה	طيبة
סֵפֶל	كوب
עוֹנֶג	سرور
בְּעֹנֶג	بسرور

٣

ה- הַשְּׁאֵלָה

هاء الاستفهام

إذا أردت ان تستفهم فأدخل هاء الاستفهام على الفعل، فإن يكن في أول الجملة فعل أو ما فيه رائحة الفعل كاسم الفاعل -مثلًا-؛ فنغير تركيب الجملة، واجعل الفعل أو ما يشابهه في أول الجملة، ثم أدخل عليه هاء الاستفهام.

تقول:

הֲיֵשׁ לֶחֶם עַל הַשֻּׁלְחָן؟ أيوجد خبز على المائدة؟

הֲקוֹרֵא אַתָּה סֵפֶר؟ أقارئ أنت كتابًا؟

وإذا جاءتك جملة: הַיֶּלֶד גָּדוֹל الصبي كبير، فحول الوصف إلى أول الجملة، ثم أدخل عليها الاستفهام، وقل: הֲגָדוֹל הַיֶּלֶד أكبير الصبي؟ הֲקָטָן הַיֶּלֶד أصغير الصبي؟

٤

תַּרְגֵּם לָעֲרָבִית

١– הֲיֵשׁ סֵפֶר עַל הַשֻּׁלְחָן? לוֹא אֵין שָׁם סֵפֶר.

٢– הֲיֵשׁ שֻׁלְחָן בְּחֶדְרִי? כֵּן, יֵשׁ שָׁם שֻׁלְחָן.

٣– הֲיֵשׁ כִּסֵּא בְּחֶדְרוֹ? כֵּן, יֵשׁ.

٤– הֲיֵשׁ סַפָּה בְּחֶדְרָהּ? לוֹא יֵשׁ שָׁם מִטָּה וְלֹא סַפָּה.

٥– הֲיֵשׁ שְׁנֵי כִּסְאוֹת בְּחֶדַרְךְּ? כֵּן, יֵשׁ.

٦– הֲיֵשׁ לְךְּ בַּקְבּוּק? לֹא אֵין לִי בַּקְבּוּק.

٧– הֲיֵשׁ לְךְּ מְנוֹרָה? כֵּן יֵשׁ לִי.

٨– הֲיֵשׁ מַפָּה לְבָנָה עַל הַשֻּׁלְחָן? לֹא.

٩– הלוֹמֵד אַתָּה עִבְרִית? כֵּן, אֲנִי לוֹמֵד עִבְרִית.

١٠– הֲנוֹתֵן אַתָּה כֶּסֶף לַקֶּרֶן הַקַּיֶּמֶת? כֵּן، בְּכָל שָׁבוּעַ.

١١– מַה בְּיַדְךְּ מִכְתָּב? כֵּן.

الدرس الثامن

שִׁעוּר ח

שְׁנֵי שִׁירִים

א

בֹּקֶר בָּא לַעֲבוֹדָה

צָהֳרַיִם בָּא לַאֲרוּחָה

עֶרֶב בָּא לִמְנוּחָה

לַיְלָה בָּא לְשֵׁנָה

בּ

עַם יִשְׂרָאֵל חַי

עַם יִשְׂרָאל חַי

עַד בְּלִי דַי

עַד בְּלִי דַי

עַד בְּלִי דַי

עַם יִשְׂרָאֵל חַי

מִלּוֹן

עֲבוֹדָה	عمل
מְנוּחָה	راحة
לַיְלָה	ليلة
שֵׁנָה	سِنة، نوم
עַם	شعب
עם ישראל	شعب إسرائيل
חַי	حي، يعيش
בְּלִי	بِلا
דַי	نهاية
עַד בְּלִי דַי	إلى غير نهاية

תַּרְגִילִם

מַה מְבַקֵּשׁ אֲדוֹנִי؟

סֵפֶל קָפֶה

קָפֶה שָׁחוֹר؟

לֹא קָפֶה עִם חָלָב

הַמְבַקֵּשׁ אֲדוֹנִי גַּם עוּגָה

כֵּן תֵּן לִי גַּם עוּגָה

הֵנֵּה הַקָּפֶה וְהָעוּגָה

וְאַיֵּה הַסֻּכָּר?

פֹּה עַל הַשֻּׁלְחָן

כֵּן רוֹאֶה אֲנִי תּוֹדָה

מִלּוֹן

בַּקֵּשׁ	مصدر (أراد يريد)
אָדוֹן	سيد
אֲדוֹנִי	سيدي
שָׁחוֹר	أسود
שְׁחוֹרָה	سوداء
לֹא	لا
עִם	مع
מְבַקֵּשׁ	يريد[١]
חָלָב	لبن، حليب

(١) الكلمة العبرية ومعناها مكررتان في الأصل.

עוּגָה	كعك، بسكوت[1]
עוּגוֹת	جمع لما قبله (مؤنث)
כֵּן	نعم
סֻכָּר	سكر
פֹּה	هنا

(١) في الأصل: «بسكوط».

الدرس التاسع

שִׁעוּר ט

יְהוּדָה אָכַל אֲרוּחַת עֶרֶב: לֶחֶם בְּחֶמְאָה דָגִים, יְרָקוֹת פֵּרוֹת וְעוּגָה, וְשָׁתָה קָפֶה.

אַחֲרֵי כֵּן אָמַר אֶל אִשְׁתּוֹ: אֲנִי הוֹלֵיךְ אֶל אַסֵפָה, אֲסֵפָה צִיּוּנִית. מִנְיוּיוֹרְק בָּא נוֹאֵם אֲנִי רוֹצֶה לִשְׁמוֹעַ עֶת הַנְאוּם) (הַאמנוֹאֵם טוֹב הוּא).

(נוֹאֵם טוֹב מְאֹד הַהוֹלֶכֶת גַּם אַתְּ לִשְׁמוֹעַ אֶת הַנְאוֹם לֹא יְהוּדָה אֲנִי הוֹלֶכֶת אֶל הָאֲסֵפָה שֶׁל הֲדַסָּה).

יִשְׂרָאֵל - אָמְרָה הָאֵם אֶל בְּנָהּ - אַבָּא הוֹלֵךְ אְסֵפָה וַאֲנִי הוֹלֶכֶת אֶל אֲסֵפָה הָעֶרֶב. שְׁכַב לִישׁוֹן.(כַּמָּה הַשָּׁעָה)(תֵּשַׁע)(טוֹב אִמָּה)

הָאֵם נָשְׁקָה לַנַּעַר וְאָמְרָה לוֹ(שָׁלוֹם לְךָ, יַקִּרִי וְהַנַּעַר עָנָה: (שָׁלוֹם אִמָּא שָׁלוֹם אַבָּא) הוּא נָשַׁק לָאָב וְלָאֵם וְהָלַךְ לִישׁוֹן.

מִלּוֹן

אָכַל	أكل
שָׁתָה	شرب

אָמַר	قال
אָמְרָה	قالت
אֲרוּחַת עֶרֶב	العَشاء
דָגִים	حيتان
נְיוּיוֹרְק	نيويورك
שׁוֹמֵעַ	سامع
שׁוֹמַעַת	سامعة
שָׁמֹעַ לִשְׁמֹעַ	أن يسمع
נְאוּם	خطبة
הַאִם	هل
פְּרִי	فاكهة، ثمرة
פֵּרוֹת	فواكه
אַחֲרֵי	بعد
כֵּן	ذلك
אַחֲרֵי כֵן אַחַר כֵּן	بعد ذلك
אֲסֵפָה	اجتماع
עוּגָה	بسكوت (١)

(١) في الأصل: «بسكوط».

צִיּוֹנִי	صهيوني
צִיּוֹנִית	صهيونية
צִיּוֹנִים	صهيونيون
מְאֹד	جدًّا
אַתְּ	أنتِ (للمؤنث)
הֲדַסָּה	علم على جمعية نسائية صهيونية
הָעֶרֶב	هذا المساء
וֹכֵב	راقد
שָׁכַב	أرقد
נָשַׁק	قبَّل
נָשְׁקָה	قبَّلَت
יַקִּיר	عزيز
אִמָּה	أم
יַקִּירִי אִמָּא	أمي عزيزة
עָנָה	أجاب

תַּרְגִילִים וְדִקְדוּק

١

إذا أردت أن تضيف كلمة مختومة بهاء التأنيث إلى ضمير الغائب المذكر فاحذف حركة ما قبلها وأبدلها تاء، ثم حركها بحلم واو וֹ.

مثال ذلك: אִשָּׁה تقول في إضافتها إلى ضمير الغائب: אִשְׁתּוֹ امرأته، زوجته.

وقد يبدأ تاء اذا لم يحذف قامصها نحو: סַפָּה تقول في إضافتها: סַפָּתוֹ.

٢

עָבָר

الفعل الماضي

من الأمثلة التالية تنكشف لك صورة الفعل الماضي (עָבָר) مع ضمير المفرد.

אֲנִי יָשַׁבְתִּי	جلستُ
אַתָּה יָשַׁבְתָּ	أنتَ جلستَ
אַתְּ יָשַׁבְתְּ	أنتِ جلستِ
הוּא יָשַׁב	هو جلس
אֲנִי כָּתַבְתִּי	أنا كتبت

אַתָּה כָּתַבְת — أنتَ كتبت

אַתּ כָּתַבְת

הוּא כָּתַב

הִיא כָּתְבָה

אֲנִי אָמַרְתִּי

אַתָּה אָמַרְתּ

אַתּ אָמַרְתּ

הוּא אָמַר

הִיא אָמַרָה

אֲנִי נָשַׁקְתִּי

אַתָּה נָשַׁקְתָּ

אַתּ נָשַקְתּ

הוּא נָשַׁק

הִיא נָשַׁקָה

אֲנִי הָלַכְתִּי

אַתָּה הָלַכְתָּ

אַתּ הָלַכְת

הוּא הָלַךְ

הִיא הָלְךָ

٣

שֹׁרֶשׁ הַפֹּעַל

أصول الفعل

اعلم أن أصول الفعل في اللغة العبرانية ثلاثة أحرف، والمراد بالفعل الأصلي: (المصدر)، لا يستعمل عادة في تركيب الجمل.

مثال ذلك: مصدر (كتب): כָּתֹב، ولا يستعمل على هذه الصورة في تركيب الكلام، وإنما يستعمل هكذا: לִכְתֹּב او לִכְתּוֹב، وفي المعاجم العبرانية تُذكر المصادر مرتبة على حروف المعجم (ألف ب... إلخ) حسب أصوله.

الأصل	الاستعمال
קָרֹא	לִקְרֹא
שָׁאֹל	לִשְׁאֹל
כָּתֹב	לִכְתּוֹב
יָשֹׁן	לִישֹׁן
רָחֹץ	לִרְחֹץ

الأصل	الاستعمال
שׁוּב	לָשׁוּב
שִׂים	לָשִׂים
שִׁיר	לָשִׁיר
אָכַל	לֶאֱכֹל
עָבַד	לַעֲבֹד
בּוֹא	לָבוֹא

تنبيه

لا يعتبر في أصول الكلمات إلا الحروف، ولا تعتبر الحركات، إلا أن حروف العلة كحُلَم וֹ وشُروق וּ ويود י التي وقعت عينًا لبعض المصادر مثل: בּוֹא و קוּם تعتبر هناك حروفًا.

٤

المصدر العبراني يكون على ثلاثة أحرف، ويسمى: פֹּעַל أي: فعلًا، ويسمى **الحرف الأول منه:** פ-הַפֹּעַל يعني: فاء الفعل، **ويسمى الحرف الثاني:** ע-הַפֹּעַל يعني: عين الفعل، **ويسمى الحرف الثالث:** ל-הַפֹּעַל.

ويتغير الفعل في العبرانية حسب الصيغة والضمير، أما الصيغة فهي: الماضي والحاضر والمستقبل، وأما الضمير فهو: أنا وأنت وهو... إلخ، وكل

فعل اشمل على أصوله الثلاث في جميع الأحوال في الصيغ والضمائر يسمى: تامًّا سالمًا שָׁלֵם، وجمعه: שְׁלֵמִים، وكل فعل نقص منه حرف في بعض الصيغ فانه يسمى: ناقصًا חָסֵר، وجمعه: חֲסֵרִים.

مثال ذلك: כּוֹתֵב כָּתַבְתִּי כָּתַבְתָּ כָּתַב כָּתְבָה فهذا فعل تام.

ومثال الناقص: נָתַן، تقول إذا أسندته إلى تاء الفاعل: נָתַתִּי، ومعناه: أعطيتُ، وهذا من المصدر נָתֹן فقد لامه وهو النون التي أدغمت في التاء، والأصل هكذا: נָתַנְתִּי.

وإذا كان أحد الحروف الأصول صامتًا لا يُنطق به، فإن الفعل يسمى: صامتًا بالعبرانية נַח.

مثال ذلك: קָרֹא، فالألف صامتًا لا يُلفظ.

وإذا كان آخر الفعل أحد هذه الأحرف الأربعة א - ה - ו - י فالحرف الأول من الكلمة التي تليه إذا كانا معًا في فقرة واحدة؛ لا يكون له داغش، ومن أجل ذلك تقول: אַחֲרֵי כֵן، فالكلمة الثانية وهي: כֵּן حذف منها الداغش وصارت: כֵן لأن آخر الكلمة التي قبلها: (י)، إلا أن هذه القاعدة كثيرًا ما تهمل، ولا يحافظ عليها إلا الفصحاء، فستجد في هذا الكتاب מְחָאוּ כַּפַּיִם بدلًا من מְחָאוּ כַפַּיִם، وهو الفصيح.

الدرس العاشر
שִׁעוּר י

בְּאוּלָם גָּדוֹל עָמְדוּ כִּסְאוֹת רַבִּים, עַל הַכִּסְאוֹת יָשְׁבוּ אֲנָשִׁים וְנָשִׁים, עַל הַבִּימָה עָמְדוּ שְׁנֵי דְגָלִים דֶּגֶל אֶחָד אֲמֶרִיקָנִי וְדֶגֶל כָּחֹל לָבָן הוּא הַדֶּגֶל הָעִבְרִי. אִישׁ עָמַד עַל הַבִּימָה לִפְנֵי הַשֻּׁלְחָן. עַל הַשֻּׁלְחָן עָמְדָה כּוֹס מַיִם הָאִישׁ נָאַם עַל אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל הוּא תֵּאַר אֶת הַיֹּפִי שֶׁל הָאָרֶץ. הוּא נָאַם נְאוּם יָפֶה.

הַנּוֹאֵם גָּמַר אֶת נְאוּמוֹ. הַשּׁוֹמְעִים מָחֲאוּ כַּפַּיִם. אַחֲרֵי כֵן קָמוּ וְשָׁרוּ אֶת שִׁיר הַתִּקְוָה.

מִלּוֹן

אוּלָם	قاعة
כִּסְאוֹת	كراسي
שֻׁלְחָנוֹת	موائد
רַבִּים	كثير
רַבּוֹת	كثير (مؤنث)

אֲנָשִׁים	رجال (جمع)
אִישׁ	على غير قياس
נָשִׁים	نساء (جمع)
אִשָּׁה	على غير قياس
נָאַם	خطب
אֶרֶץ	أرض
יִשְׂרָאֵל	إسرائيل
תֵּאֵר	وَصَف
יֹפִי	جمال
יָפֶה	جميل
שׁוֹמֵעַ	سامع
שׁוֹמְעִים	سامعون
כַּף	كف، راحة اليد
כַּפַּיִם	كفين
מָחֹא כַּף، מָחֹא כַּפַּיִם	تصفيق بالأيدي
מָחֲאוּ כַּפַּיִם	صفَّقوا بأيديهم
בִּימָה	منصة

דֶּגֶל	راية
אֲמֶרִיקָנִי	أمريكي
כָּחֹל	أزرق
פָּנִים	وجه
פְּנֵי	واجهة
לִפְנֵי	في مواجهة
מַיִם	ماء
תִּקְוָה	أمل
גָּמַר	أنهى

תַּרְגִּילִים וְדִקְדּוּק

אֲנַחְנוּ שַׁרְנוּ	نحن غنينا
אַתֶּם שַׁרְתֶּם	أنتم غنيتم
אַתֶּן שַׁרְתֶּן	أنتن غنيتن
הֵם שָׁרוּ	هم غنوا
הֵן שָׁרוּ	هن غنين
אֲנַחְנוּ קַמְנוּ	نحن قمنا
אַתֶּם קַמְתֶּם	

אַתֶן קַמְתֶן

הֵם קָמוּ

הֵן קָמוּ

תַּרְגֵם לָעַרְבִית

שְׁנֵי אֲנָשִׁים עָמְדוּ לִפְנֵי הַבַּיִת

אֲנִי רוֹאֶה שְׁנֵי דְגָלִים

הָאֲנשִׁים שָׁמְעוּ אֶת הַנְאוּם

הָאֲנָשִׁים קָמוּ וְהָלְכוּ

הָאֲנָשִׁים שרוּ יָפֶה

הַתִּקְוָה הוּא שִׁיר הָעָם הָעַרְבִי

٣

تنبيه

يجوز حذف الضمائر قبل الفعل الماضي، لأن الضمائر التي يختم بها الفعل تغني عنها.

مثال ذلك: אֲנַחְנוּ יָשַׁבְנוּ בָּאוּלָם يجوز أن تحذف الضمير فتقول: יָשַׁבְנוּ בָּאוּלָם جلسنا في القاعة.

والآن ترجم ما يلي:

אַנַחְנוּ אָכַלְנוּ אֲרוּחַת הַצָּהֳרַיִם

אֲנַחְנוּ שַׁבְנוּ אֶל הַבַּיִת

שַׁרְנוּ שִׁירִים

שָׁמַעְנוּ נְאוּם

קַמְנוּ וְהָלַכְנוּ

الدرس الحادي عشر
שִׁעוּר יא

שִׂיחָה

מֵאַיִן אַתָּה בָּא?

מֵאֲסֵפָה צִיּוֹנִית

הֶהָיָה שָׁם נוֹאֵם?

כֵּן

מִי הָיָה הַנּוֹאֵם מַר קַדִּישׁ לֹא מַר גּרְשֵׁנִי

הוּא נוֹאֵם טוֹב? כֵּן

נוֹאֵם טוֹב בֶּאֱמֶת הַקָּהָל הִתְלַהֵב הַשּׁוֹמְעִים

תָּרְמוּ תְּרוּמוֹת גְּדוֹלוֹת לְאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל

מַדֻּעַ לֹא בָּאתָ אַתָּה?

אִשְׁתִּי הָיְתָה חוֹלָךְ

בֶּאֱמֶת?

כֵּן הָיָה לָהּ כְּאֵב רֹשׁ

וּמַה שְׁלוֹמָהּ עַתָּה

עַתָּה שָׁלוֹם לָהּ שָׂמֵחַ אֲנִי לִשְׁמֹעַ זֹאת

שָׁלוֹם

לְהִתְרָאוֹת?

לְהִתְרָאוֹת

מִלּוֹן

מֵאַיִן	من أين
צִיּוֹן	صهيون
צִיּוֹנִי	صهيوني
צִיּוֹנִית	صهيونية
הָיָה	كان
הָיְתָה	كانت
מַר	سيد
אֱמֶת	أمانة، ثقة
בֶּאֱמֶת	حقًّا
הִתְלַהֵב	تحمس، التهب حماسًا

תָּרֹם	تبرع
תָּרַם	تبرع
תָּרְמוּ	تبرعوا
תְּרוּמָה	تبرعة
תְּרוּמוֹת	تبرعات
מַדּוּעַ	لماذا
חוֹלֶה	مريض
חוֹלָה	مريضة
כְּאֵב	ألم، وجع
רֹאשׁ	رأس
כְּאֵב רֹאשׁ	وجع رأس
עַתָּה	الآن
מַה שְּׁלוֹמְךָ	كيف حالك (للمذكر)
מַה שְּׁלוֹמֵךְ	كيف حالك (للمخاطبة)
מַה שְּׁלוֹמוֹ	كيف حاله
מַה שְּׁלוֹמָהּ	كيف حالها
שָׁלוֹם לִי	أنا بخير

שָׁלוֹם לָהּ	هي بخير
לְהִתְרָאוֹת	إلى اللقاء

תַּרְגִּילִים וְדִקְדּוּק

ה-הַשְּׁאֵלָה هاء الاستفهام

اعلم أن هاء الاستفهام عادة تحرك بشوا بيتح שְׁוָה פַּתַּח.

مثال ذلك: הֲיֵשׁ לְךָ כּוֹס هل لك كأس؟

مثال آخر: הֲרוֹאֶה אַתָּה אֶת הַסֵּפֶר أراءٍ أنت الكتابة؟

لكن هاء الاستفهام إذا دخلت على הָ أو חָ أو ע أو א فإنها تحرك بسكول.

مثال ذلك: הֶהָיָה שָׁם נוֹאֵם؟

٢

تصريف הָיֹה ومعناه: كَوْن (مصدر كان)

הָיִיתִי	הָיִינוּ
הָיִיתָ	הֱיִיתֶם
הָיִית	הֱיִיתֶן
הָיָה	הָיוּ
הָיְתָה	הָיוּ

تصريف חָלֹה (مصدر مرض)

חָלִיתִי	مرضت
חָלִיתָ	مرضتَ
חָלִית	مرضت
חָלָה	مرض
חָלְתָה	مرضتْ
חָלִינוּ	مرضنا
חֲלִיתֶם	مرضتم
חֲלִיתֶן	مرضتن
חָלוּ	
חָלוּ	

تصريف שָׁתֹה معناه: شرب (مصدر شرب)

שָׁתִיתִי

שָׁתִיתָ

שָׁתִית

שָׁתָה

שָׁתְתָה

שָׁתִינוּ

שְׁתִיתֶם

שְׁתִיתֶן

שָׁתוּ

שָׁתוּ

تصريف בֹּא مجيء (مصدر جاء)

בָּאתִי جئت

בָּאתָ

בָּאת

בָּא

בָּאָה

בָּאנוּ

בָּאתֶם

בָּאתֶן

בָּאוּ

בָּאוּ

اعلم أن الفعل -أي: المصدر- בּוֹא هو من المصادر التي عينها واو؛ لأن الحرف الثاني من الأصول واو، وهو يشبه الحرف الثاني من קוּם، ولا ينطق

به مع أنه يكتب، فـ בוֹא و קוּם وما أشبههما من الأفعال تسمى: נָחֵי ע-ו أي: صامت، أي: الأفعال الصامتة العين واو، وإن كان الحرف الثاني من الفعل ياء י نحو: שִׂים فإنه يسمى: נָחֵי ע-י.

תַּרְגֵּם לָעֲרָבִית

אֲנִי בָּא מִבּוֹסְטוֹן

שְׁלֹשָׁה יָמִים הָיִיתִי שָׁם

הָיִיתִי חוֹלֶה

כָּל הַלַּיְלָה לֹא יָשַׁנְתִּי

לֹא אָכַלְתִּי אֲרוּחַת הָעֶרֶב

אִישׁ לֹא הָיָה בַּחֶדֶר

בַּחֶדֶר הָיָה חֹשֶׁךְ

לֹא הָיָה לִי גַּפְרוּר

الدرس الثاني عشر
שִׁעוּר יב

בַּגַּן

גַּן הָעִיר הָיָה קָרוֹב לְבֵית לֵוִי־עֵשֶׂב יָרוֹק כִּסָּה אֶת כָּל הָאֲדָמָה בַּגן הָיוּ עֵצִים וּפְרָחִים בַּגַּן עָמְדוּ סַפְסָלִים לָשֶׁבֶת עֲלֵיהֶם

בַּיּוֹם הָרִאשׁוֹן בַּבֹּקֶר אָמַר יְהוּדָה לֵוִי אֶל אִשְׁתּוֹ מַה יָּפֶה הַבֹּקֶר רְאִיא הַשֶּׁמֶשׁ נוֹתֶנֶת אוֹר וְהַשָּׁמַיִם כְּחֻלִּים וְאֵין עֲנָנִים עֲלֵיהֶם הֲרוֹצָה אַתְּ לְטַיֵּל בַּגַּן? בְּעֹנֶג יַקִּירִי יְהוּדָה לֵוִי וְאִשְׁתּוֹ יָצְאוּ מִן הַבַּיִת וְהָלְכוּ אֶל הַגַּן לְטַיֵּל הֵמ טַיְּלוּ שָׁעָה אָז אָמְרָה הַגְּבֶרֶת לֵוִי אֶל בַּעְלָהּ: עֲיֵפָה אֲנִי רוֹצָה אֲנִי לָנוּח הָאָדוֹן לֵוִי וְאִשְׁתּוֹ יָשְׁבוּ עַל הַסַּפְסָל לָנוּחַ וְהָיָה נָעִים לָהֶם מְאֹד עַל הָעֵצִים עָמְדוּ צִפֳּרִים וְשָׁרוּ שִׁירִים מַה-נָּעִים פֹּה אָמְרָה הַגְּבֶרֶת לֵוִי אֶל בַּעְלָהּ. כָּל הָאֲדָמָה יְרֻקָּה וְהַשֶּׁמֶשׁ נוֹתֶנֶת אוֹר וְהַצִּפֳּרִים מְצַפְצְפוֹת מַה-נָּעִים לִשְׁמֹעַ צִפְצוּף הַצִּפֳּרִים עוֹד הֵם מְדַבְּרִים וְנַעַר מוֹכֵר עִתּוֹנִים עָבַר בַּגַּן הַנַּעַר קָרָא

תֵּן לִי אֶת הַתַּיְימֵם אָמַר יְהוּדָה לַנַּעַר הַנַּעַר נתַן לוֹ אֶת הָעִתּוֹן וְהוּדָה לָקַח חֵלֶק מִן הָעִתּוֹן לוֹ וְחֵלֶק נָתַן לְאִשְׁתּוֹ הֵם יָשְׁבוּ וְקָרְאוּ אֶת הַעִתּוֹן

בָּא הַזְּמַן לֶאֱכוֹל, אֲנִי רָעֵב אָמַר יְהוּדָה גַּם אֲנִי רְעֵבָה

הֵם יָצְאוּ מִן הַגַּן וְשָׁבוּ הַבַּיְתָה לֶאֱכֹל אֲרוּחַת הַצָּהֳרַיִם

מִלּוֹן

גַּן	جنة، حديقة	בַּעַל	بعل
עִיר	مدينة	בַּעְלָהּ	بعلها
גַּן הָעִיר	بستان المدينة، الحديقة العامة	עָיֵף	تعب
קָרוֹב	قريب	לָנוּחַ	للاستراحة
עֵשֶׂב	عشب	צִפּוֹר	طائر
יָרוֹק	أخضر	צִפְצֵף	تغريد
כִּסָּה	كسى	צִפְצְפוּ	غردوا
אֲדָמָה	أرض	דִּבֵּר	كلام، تكليم
עֵץ	شجرة	מְדַבֵּר	متكلم، يتكلم
פֶּרַח	زهرة	מוֹכֵר	بائع
סַפְסָל	مقعد	עָבוֹר	عبور
יָשֹׁב	جلوس	עָבֹר	عبر
לֵישֵׁב לָשֶׁבֶת	أن يجلس	קָרֹא	نداء
עַל	على	קָרָא	نادى
עֲלֵיהֶם	عليهم	חֵלֶק	قسم

יָפָה	جميل	לוֹ	له
מַה יָּפֶה	ما أجمل	זְמַן	زمان
שֶׁמֶשׁ	شمس	אֹכֶל	أكل (مصدر أكل)
אוֹר	ضوء	לֶאֱכוֹל	أن يأكل
כָּחֹל	أزرق	רָעֵב	جوع، جائع
עָנָן	سحاب	שׁוּב	رجوع
טַיֵּל	تمش للنزهة	שָׁבוּ	رجعوا
לְטַיֵּל	للنزهة	מִן	من
יָצְאוּ	خرجوا	אֲרוּחַת הַצָּהֳרַיִם	غداء
שָׁעָה	ساعة	גְּבֶרֶת	سيدة
אָז	حينئذ	נוֹחַ	

١

תַּרְגִּילִם וְדִקְדוּק

סְמִיכוּת

تقدم الكلام على الإضافة المختصرة في الدرس الرابع.

كيف يعبر عن المضاف والمضاف إليه في اللغة العبرانية؟

اعلم أن الإضافة في اللغة العبرانية تعبر عن العلاقة بين المضاف والمضاف

إليه بتقدير حرف كما بُسط في قواعد اللغة العربية، وهناك نوع من الإضافة في اللغة العبرانية الحديثة يكون بواسطة שֶׁל شل، وهي في المعنى: كلام الجر، وفي الاستعمال تشبه الكلمات التي ولدها العرب في لغاتهم العامية[١]، نحو: (مال) في العراق، و(لَي) في نجد، و(حک)[٢] في الحجاز، و(ابتاع) في مصر، و(انتاع) في شرقي المغرب، و(اديال) في غربيه[٣].

فمثال النوع **الأول:** חֲדַר יְלָדִים غرفة الأولاد، فهنا نسبة بين الاسم الأول والاسم الثاني هي التي نسميها: الإضافة، والاسم الأول هو الذي يسمى: סְמִיכוּת، ويقابله في النحو العربي: المضاف، فإذا أردت أن تضيف اسما إلى اسم وهما نكرتان؛ فعرِّف المضاف إليه بأداة التعريف (ה) הַיְדִיעָה ثم ركبه مع المضاف.

مثال ذلك: סִפּוּר הַיֶּלֶד أسطورة الوليد.

مثال آخر: מוֹרֵה הַיְלָדִים معلم الولدان.

مثال ثالث: סֵפֶר הַמּוֹרֶה كتاب المعلم.

مثال رابع: חֲדַר הָאֹכֶל غرفة الأكل.

مثال خامس: חֲדַר הַיְלָדִים غرفة الولدان.

---

(١) في الأصل: «العمية».

(٢) انظر: بحثًا بعنوان (رسم صوت القيف) للدكتور عبد الرزاق الصاعدي، على موقع (مجمع اللغة العربية الافتراضي).

(٣) كلها كلمات مترادفة بمعنى (مِلك)، وفي الجزائر يستعملون بكثرة: حق، وانتاع، واديال، وكذا (ابتاع) نادرًا.

مثال سادس: חֲדַר הַמִּטּוֹת غرفة الأسرة، غرفة النوم.

فحركات المضاف -كما ترى- تتغير أحيانًا، وأحيانًا تبقى على حالها.

فدونك بعض القواعد التي تعرِّفك بحركات المضاف:

إذا كان في اللفظ المضاف سكولان ֶ لا يتغير ذلك اللفظ عادة.

مثال ذلك: יֶלֶד يبقى على حاله عند التركيب الإضافي، فنقول: יֶלֶד הַמּוֹרֶה، بخلاف חֶדֶר فإنه يتغير، فيصير عند الإضافة: חֲדַר.

وإذا كان في اللفظ المضاف بتحان نحو: נַעַר لم يتغير عند الإضافة.

وكذلك إذا كان أول المضاف صيرى يتلوها سكول نحو: סֵפֶר و עֵשֶׂב و חֵלֶק لا يتغير.

وإذا كان اللفظ المضاف مختومًا بهاء قبلها سكول ֶ ה فإن السكول يصير صيرى.

مثال ذلك: מוֹרֵה הַיְלָדִים

الألفاظ التي لا تزيد على مقطع واحد كثيرًا ما تبقى على حالها بلا تغير نحو: גַּן הָעִיר

إذا كانت الكلمات مختومة بهاء قبلها قامص نحو: אֲרוּחָה وجبة: فإن قامصها يصير في الإضافة بتحا نحو: אֲרוּחַת בֹּקֶר أي: فطور، وكما رأيت تقلب هاء التأنيث تاء كما في العربية.

ومثال ذلك: אֲרוּחַת הַצָּהֳרַיִם غداء وأֲרוּחַת עֶרֶב عشاء، وتقول في إضافة סַפָּה صفة: סַפַּת הַיֶּלֶד فراش الوليد، ومثله: סַפַּת הַנַּעַר سرير الغلام.

إذا كان الجمع مختومًا بياء وميم، وأردت إضافته فاحذف الميم وغيِّر حركاته هكذا:

סֵפֶר تقول في جمعه: סְפָרִים، وإذا أضفته تقول: סִפְרֵי הַיֶּלֶד كتب الوليد، وإذا استعملت שֶׁל فلا تتغير الحركات، تقول: הַסְּפָרִים שֶׁל הַיֶּלֶד.

وكذلك تقول: חַדְרֵי הַבַּיִת غرف الدار، ومع שֶׁל تقول: הַחֲדָרִים שֶׁל הַבַּיִת غرف البيت.

مثال آخر: הַצִּפֳּרִים שֶׁל הַגַּן طير الحديقة צִפֳּרֵי הַגַּן.

مثال آخر: הָעִתּוֹנִים שֶׁל הַנַּעַר صحف الغلام עִתּוֹנֵי הַנַּעַר.

اسم الجمع إذا كان مختومًا بـ אוֹת تبقى حروفه على حالها، أما الحركات فتتغير في بعض الأحيان.

فمثلًا: מוֹרוֹת معلمات تقول في إضافتها: מוֹרוֹת בֵּית הַסֵּפֶר.

مثال آخر: כִּסְאוֹת كراسي تقول في إضافتها: כִּסְאוֹת הַחֶדֶר.

مثال آخر: מִטּוֹת مضاجع، أَسِرَّة تقول في جمعها: מִטּוֹת הַחֶדֶר.

סַפּוֹת صفَّات، كُتَّاب تقول في إضافتها: סַפּוֹת הַחֶדֶר.

אֲסֵפוֹת اجتماعات تقول في إضافتها: אֲסֵפוֹת בֵּית הַסֵּפֶר اجتماعات المدرسة، אֲסֵפוֹת הַצִּיּוֹנִים اجتماعات الصهيونيين.

מַחְבָּרוֹת دفاتر تقول في إضافتها: מַחְבְּרוֹת הַיֶּלֶד.

٢

الألفاظ العبرانية التي هي مثل: חָלָב اللبن تستعمل بلفظ المفرد فقط.

والألفاظ التي مثل: שָׁמַיִם السماء أو מַיִם الماء تستعمل بلفظ الجمع فقط. وإذا وصف مثل هذه الألفاظ بصفة؛ وجب أن تكون الصفة مطابقة للموصوف، أي: بصيغة الجمع، نحو: שָׁמַיִם יָפִים سماء جميلة، שָׁמַיִם כְּחֻלִּים سماء زرقاء، מַיִם טוֹבִים ماء طيب.

٣

دخول حرف الجر עַל على الضمائر

עָלַי	عليَّ (للمذكر والمؤنث)	עָלֵינוּ	علينا
עָלֶיךָ	عليك (للمذكر)	עֲלֵיכֶם	عليكم
עָלַיִךְ	عليكِ (للمؤنث)	עֲלֵיכֶן	عليكن
עָלָיו	عليه	עֲלֵיהֶם	عليهم
עָלֶיהָ	عليها	עֲלֵהֶן	عليهن

٤

תַּרְגֵּם לָעֲרָבִית

הָאִישׁ וְאִשְׁתּוֹ הוֹלְכִים לְטַיֵּל

טִיַּלְתִּי שָׁעָה וַאֲנִי עָיֵף

לֹא אָכַלְתִּי הַבֹּקֶר וַאֲנִי רָעֵב

הַיַּלְדָּה הַזֹּאת רְעֵבָה הִי

הַיֶּלֶד עָיֵף מְאֹד

מַה יָּפֶה הַפֶּרַח הַזֶּה?

מַה נָּעִים לָשֶׁבֶת פֹּה

אֲנִי נוֹתֵן פֶּרַח לְאִשְׁתִּי

אֲנִי כּוֹתֵב מִכְתָּב לְאַבָּא

הָאִשָּׁה הַזֹּאת מוֹכֶרֶת פְּרָחִים

٥

ترجم بالعبرانية ما يلي:

أنا جائع

أنا تعب

أرى أزهارًا جميلة على المائدة

أعطني زهرة

أعطني جريدة

الدرس الثالث عشر

שִׁעוּר יג

בְּיוֹם רִאשׁוֹן אֶחָד אַחַר הַצָּהֳרַיִם יָשְׁבוּ יְהוּדָה לֵוִי וְאִשְׁתּוֹ בַּבַּיִת. הֵם יָשְׁבוּ אֵצֶל הָרַדְיוֹ וְשָׁמְעוּ לְשִׁירָה פִּתְאוֹת צִלְצֵל הַטֶּלֶפוֹן. יִשְׂרָאֵל אָמְרָה שָׂרָה, שְׁאַל מִי הוּא הַמְדַבֵּר. יִשְׂרָאֵל נִגַּשׁ אֶל הַטֶּלֶפוֹן וְשָׁאַל מִי הַמְדַבֵּר. אַחַר רֶגַע אָמַר:

אַבְרָהָם אַשְׁכְּנַזִי רוֹצֶה לְדַבֵּר אֵלֶיךָ אַבָּא יְהוּדָה קָם מִמְּקוֹמוֹ וְנִגַּשׁ אֶל הַטֶּלֶפוֹן וְלָקַח אֶת הַשְּׁפוֹפֶרֶת בְּיָדוֹ. מַר לֵוִי, שָׁמַע אֶת קוֹל חֲבֵרוֹ, אֲנִי וְאִשְׁתִּי רוֹצִים לָבוֹא הָעֶרֶב אֲלֵיכֶם.

בְּבַקָּשָׁה בּוֹאוּ אֲנִי שָׂמֵחַ עַל זֶה.

בָּעֶרֶב בָּאוּ הָאוֹרְחִים אֶל בֵּית לֵוִי. יְהוּדָה וְאִשְׁתּוֹ קִבְּלוּ אֶת הָאוֹרְחִים בְּשִׂמְחָה. כֻּלָּם יָשְׁבוּ בַּטְּרַקְלִין.

וְדִבְּרוּ

מַר לֵוִי אָמַר אַשְׁכְּנַזִי אֲנִי וְאִשְׁתִּי רוֹצִים לִרְאוֹת אֶת אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל. צִיּוֹנִים אֲנַחְנוּ זֶה שָׁנִים רַבּוֹת וְעוֹד לֹא רָאִינוּ אֶת הָאָרֶץ.

אֲנִי שָׂמֵחַ לִשְׁמוֹעַ זֹאת. גַּם אֲנִי וְאִשְׁתִּי רוֹצִים לִרְאוֹת אֶת הָאָרֶץ. טוֹב לִנְסוֹעַ יָחַד. מַה טּוֹב לַחֲבֵרִים לִנְסוֹעַ יַחַד. מָתַי אַתֶּם אוֹמְרִים לנסוע?

בקיץ.

בַּקַּיִץ מַדּוּעַ לֹא בָּאָבִיב? יָפָה אַרְצֵנוּ בָּאָבִיב, כָּל הָאָרֶץ מְכֻסָּה אָז פְּרָחִים וְהָאֲוִיר נָעִים מְאוֹד. אֵיךְ אֲנִי יָכֹל לִנְסוֹעַ בָּאָבִיב אֵין לִי אָז פְּנַאי. יֵשׁ לִי פְּנַאי בַּקַּיִץ אָז יוֹצְאִים הַשּׁוֹפְטִים מִן הָעִיר וּבָתֵּי הַמִּשְׁפָּט סְגוּרִים כִּמְעַט. אז אין לִי עֲבוֹדָה בַּמִּשְׂרָד. חֲבָל, אֲנַחְנוּ רוֹצִים לִנְסוֹעַ לְאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל בָּאָבִיב.

כֵּן דִּבְּרוּ הַחֲבֵרִים. שׁוֹשַׁנָּה קָמָה, הָלְכָה אֶל הַמִּטְבָּח וְהֵבִיאָה מִשָּׁם פֵּרוֹת וּמַמְתַּקִּים, עוּגוֹת וְקָפֶה. הָאוֹרְחִים אָכְלוּ וְשָׁתוּ וְהִתְעַנְּגוּ אַחֲרֵי כֵן יָשְׁבָה שָׂרָה אֵשֶׁת אַבְרָהָם אַשְׁכְּנַזִּי, אֶל הַפְּסַנְתֵּר וְנִגְּנָה שִׁיר חָדָשׁ מֵאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל הַמַּנְגִּינָה הָיְתָה יָפָה וְהַשּׁוֹמְעִים מָחֲאוּ כַּפַּיִם. בַּחֲצוֹת הַלַּיְלָה יָצְאוּ הָאוֹרְחִים מִן הַבַּיִת.

מִלּוֹן

רַדְיוֹ	راديو	שָׁנִים	سنين
שִׁירָה	موسيقى وغناء	זֶה שָׁנִים רַבּוֹת	منذ سنين

פִּתְאוֹם	فجأة	מָתַי	متى
צִלְצֵל	صلصل (مصدر أصلي)	אוֹמֵר לִנְסוֹעַ	يقصد السفر
תֶּלֶפוֹן	تلفون	אָמַר	قول (مصدر أصلي، ويستعمل بمعنى القصد)
דִּבֵּר	تكلم (مصدر أصلي)	קַיִץ	قيظ، صيف
מְדַבֵּר	متكلم	אָבִיב	ربيع
נִגַּשׁ	دنا، قرب	אֶרֶץ	أرض
רֶגַע	لحظة، دقيقة	אַרְצֵנוּ	أرضنا
מָקוֹם	مكان، مقام	מִכְסָה	
מְקוֹמוֹ	مكانه، مقامه	אֲוִיר	هواء
מִמְּקוֹמוֹ	من مكانه، من مقامه	פְּנַי	تفرغٌ، وقت
שְׁפוֹפֶרֶת	السمَّاعة	יָכֹל	استطاعة، قابلية
קוֹל	صوت	שׁוֹפֵט	حاكم، قاض
חָבֵר	صديق	שׁוֹפְטִים	حكام، قضاة
חֲבֵרִים	أصدقاء	בֵּית מִשְׁפָּט	محكمة
אֲלֵיכֶם	إليكم	בָּתֵּי מִשְׁפָּט	محاكم

בַּקָּשָׁה	طلب، رغبة	סָגוּר	مغلق
בְּבַקָּשָׁה	برغبة تفضل	סָגַר	إغلاق
אוֹרֵחַ	ضيف	כִּמְעַט	تقريبًا
אוֹרְחִים	ضيوف	חֲבַל	غير موافق
קַבֵּל	استقبال (مصدر أصلي)	בּוֹא	مجيء (مصدر أصلي)
שִׂמְחָה	سرور، ابتهاج	לָבוֹא	مصدر مستعمل
אֲנַחְנוּ	نحن	הָבֵא	إتيان بشيء، جلب
כָּל	كل	מְמֻתָּק	حلوى
כֻּלָּם	كلهم	קָפֶה	قهوة
רָאֹה	رؤية (مصدر أصلي)	הִתְעַנֵּג	استمتع
לִרְאוֹת	رؤية (مصدر مستعمل)	אִשָּׁה	زوجة، امرأة
נָסֹעַ	رحلة، سفر (مصدر أصلي)	אֵשֶׁת	زوجة
לִנְסוֹעַ	رحلة (مصدر مستعمل)	נַגֵּן	عزف
שָׁנָה	سَنة	חֲצִי	نصف
יַחַד	جميعًا	חֲצוֹת הַלַּיְלָה	نصف الليل

פְּסַנְתֵּר	بيانو	הֲבִיאָה	جاءت بكذا
נְגִינָה	نغمة صوت من أنواع الغناء		

תַּרְגִּילִים וְדִקְדּוּק

١

פֹּעַל

يتصرف الفعل العبراني في المعنى على قاعدة تسمى: בִּנְיָנִים أبنية، واحدها: בִּנְיָן

ثلاثة من هذة الأبنية فاعلية، وثلاثة مفعولية، أحد هذه الأبنية يشبه فعل المطاوعة.

وليس كل فعل يمكن تصريفه على جميع الأبنية.

وابتداء التصاريف من الفعل الماضي المسند للمفرد الغائب.

وتنسب الأفعال إلى لفظ الفعل بالعبرانية وهو: פֹּעַל.

مثال ذلك: הָלַךְ وכָּתַב، يقال: إنهما من باب פָּעַל.

والفعل الذي على هذه الصيغة يسمى: קַל أي: خفيف أو بسيط، وهو فاعلي، يقابله في العربية الفعل الثلاثي.

وإذا كان الفعل الماضي المسند إلى المفرد المذكر محرك الفاء بحرق،

ومضاعف العيب محركها بصيري؛ ينسب إلى פִּעֵל، واسمه بالعبرانية: בִּנְיָן כָּבוֹד، ومعناه: شديد، وهو فاعلي، والفرق بين هذين البنائين في المعنى مهمل في الغالب، غير أن بعض الأفعال يمكن أن يصاغ فقط على وزن פִּעֵל، وبعضها يصاغ فقط على صيغة קַל، وبعضها يأتي على الصيغتين جميعًا.

تصريف נְטִיַּת פִּעֵל

קַבֵּל مصدر أصلي لـ(استقبل)

עָבָר

קִבַּלְתִּי	استقبلتُ	קִבַּלְנוּ	استقبلنا
קִבַּלְתָּ	استقبلتَ	קִבַּלְתֶּם	استقبلتم
קִבַּלְתְּ		קִבַּלְתֶּן	
קִבֵּל		קִבְּלוּ	
קִבְּלָה		קִבְּלוּ	

דַּבֵּר المصدر الأصلي لـ(تكلم)

עָבָר

דִּבַּרְתִּי	דִּבַּרְנוּ
דִּבַּרְתָּ	דִּבַּרְתֶּם
דִּבַּרְתְּ	דִּבַּרְתֶּן

דִּבֵּר	דִּבְּרוּ
דִּבְּרָה	דִּבְּרוּ

٢

הֹוֶה الصفة

اسم الفاعل يجيء على أربع صيغ فقط: المذكر والمؤنث والمفرد والجمع.

فاسم الفاعل من الفعلين المتقدمين مثاله:

אֲנִי מְקַבֵּל מְדַבֵּר

אַתָּה מְקַבֵּל מְדַבֵּר

הוּא מְקַבֵּל מְדַבֵּר

* * *

אֲנִי מְקַבֶּלֶת מְדַבֶּרֶת

אַתְּ מְקַבֶּלֶת מְדַבֶּרֶת

הִיא מְקַבֶּלֶת מְדַבֶּרֶת

* * *

אֲנַחְנוּ מְקַבְּלִים מְדַבְּרִים

אַתֶּם מְקַבְּלִים מְדַבְּרִים

הֵם מְקַבְּלִים מדַבְּרִים

* * *

אֲנַחְנוּ מַקַבְּלוֹת מְדַבְּרוֹת

אַתֶן מְקַבְלוֹת מְדַּבְּרוֹת

הֵן מְקַבְלוֹת מְדַּבְּרוֹת

٣

دخول حرف الجر אֶל على الضمائر

אֵלַי	إلي	אֶלֵינוּ	إلينا
אֵלֶיךָ	إليكَ	אֲלֵיכֶם	إليكم
אֵלַיִךְ	إليكِ	אֲלֵיכֶן	إليكن
אֵלָיו	إليه	אֲלֵיהֶם	إليهم
אֵלֶיהָ	إليها	אֲלֵיהֶן	إليهن

٤

دخول لام الجر على الضمائر

לִי	لي	לָנוּ	لنا
לְךָ	لكَ	לָכֶם	لكم

לָךְ	لكِ	לָכֶן	لكن
לוֹ	له	לָהֶם	لهم
לָהּ	لها	לָהֶן	لهن

هناك أفعال تتعدى بأحد الجارين: إما إلى أو اللام؛ أي: يجوز تعديتها بواحد منهما.

وهناك أفعال أخرى لا تتعدى إلا بواحد منهما دون الآخر.

واستعمال ذلك على وجه الصواب يحصل بالممارسة والتمرين.

٥

תַּרְגֵּם לַעֲרָבִית

אֲנִי יוֹשֵׁב אֵצֶל הָרַדְיוֹ

אֲנִי שׁוֹמֵעַ אִישׁ נוֹאֵם נְאוּם

עַל מַה הוּא נוֹאֵם?עַל אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל הוּא נוֹאֵם

הוּא אוֹמֵר כִּי הָאָרֶץ יָפָה מְאוֹד בָּאָבִיב

כָּל הָעֵצִים יְרֻקִּים בָּאָבִיב

חֲבֵרִי נָסַע לְאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל

קִבַּלְתִּי מִכְתָּב מֵחֲבֵרִי

קָרָאתִי אֶת מִכְתָּבוֹ הַיָּפֶה בְּעֹנֶג גָּדוֹל

الدرس الرابع عشر

שִׁעוּר יד

בֵּקוֹר בְּבִבית הַסֵּפֶר הָעִבְרִי יִשְׂרָאֵל בֵּן יְהוּדָה לֵוִי לָמַד בָּשְׁנֵי בָּתֵּי סֵפֶר בְּבֵית הַסֵּפֶר הָעֲמָמִי וּבְבֵית הַסֵּפֶר הָעַרְבִי. בַּבֹּקֶר וְאַחַר הַצָּהֳרַיִם לָמַד בְּבֵית הַסֵּפֶר הָעֲמָמִי וּבְשָׁעָה חָמֵשׁ אַחַר הַצָּהֳרַיִם הָלַךְ אֶל בֵּית הַסֵּפֶר הָעִבְרִי לִלְמֹד עִבְרִית. שָׁם לָמַד שְׁתֵּי שָׁעוֹת לְיוֹם، מֵחָמֵשׁ עַד שֶׁבַע. פַּעַם אָמַר יִשְׂרָאֵל אֶל אָבִיו אַבָּא לְבַקֵּר בְּבֵית הַסֵּפֶר הָעִבְרִי. שֵׁב וּשְׁמַע מָה אֲנַחְנוּ לוֹמְדִים וְאֵיךְ אֲנַחְנוּ לוֹמְדִים מְנַהֵל בֵּית הַסֵּפֶר וְהַמּוֹרִים מְבַקְשִׁים מִכָּל הַהוֹרִים לָבוֹא וְלִשְׁמוֹעַ. טוֹב אָמַר יְהוּדָה יֵשׁ לִי פְּנַי אַחַר הַצָּהֳרַיִם הַיּוֹם אֲנִי בָּא.

יְהוּדָה בָּא אֶל בֵּית הַסֵּפֶר. הַמְנַהֵל קִבֵּל אֶת הָאוֹרֵחַ בְּשִׂמְחָה. הַמְנַהֵל הָלַךְ עִמּוֹ אֶל חֲדַר הַלִּמּוּד. יְהוּדָה יָשַׁב עַל כִּסֵּא וְשָׁמַע אֶת הַלִּמּוּד. הַמּוֹרֶה עָמַד לִפְנֵי שֻׁלְחָן הַתַּלְמִידִים יָשְׁבוּ עַל כִּסְאוֹת הַתַּלְמִידִים לָמְדוּ תּוֹרָה. הֵם לָמְדוּ אֶת הַסֵּפֶר הָרִאשׁוֹן שֶׁל הַתּוֹרָה אֶת הַסֵּפֶר בְּרֵאשִׁית.

הֵם קָרְאוּ יָפֶה אֶת הַסִּפּוּרִים הֵם יָדְעוּ אֶת כָּל הַמִּלִּים. הֵם יָדְעוּ לְסַפֵּר יָפֶה אֶת סִפּוּרֵי הַתּוֹרָה אַחֲרֵי כֵן פָּתְחוּ הַתַּלְמִידִים מַחְבָּרוֹת

וְכָתְבוּ בַּמַּחְבָּרוֹת אַחֲרֵי כֵן שָׁרוּ שִׁירִים מֵאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל.

עַם סוֹף הַשִּׁעוּר קָם יְהוּדָה וְאָמַר לַמּוֹרֶה:

תּוֹדָה לְךָ. הַשִּׁעוּר הָיָה יָפֶה וּמְעַנְיֵן. רוֹאֶה אֲנִי כִּי הַתַּלְמִידִים לוֹמְדִים בְּחֵשֶׁק גַּם בְּעֹנֶג. הֵם יוֹדְעִים לְדַבֵּר וְלִקְרוֹא עִבְרִית שָׂמַחְתִּי לִשְׁמוֹעַ זֹאת עָנָה. הַמּוֹרֶה

מִלּוֹן

בִּקּוּר	زيارة	**יָדִיעַ**	معرفة (مصدر أصلي)
לָמֹד	تعلم (مصدر أصلي)	**יָדַע**	عرف، علم
לִלְמֹד	مصدر مستعمل	**יָדְעוּ**	عرفوا، علموا
לָמַד	تعلم	**סַפֵּר**	قول، أخبار (مصدر أصلي)
חֲדַר לִמּוּד	غرفة الدرس	**לְסַפֵּר**	أخبار (مصدر مستعمل)
בֵּית סֵפֶר	مدرسة	**סִפּוּר**	حكاية
לִמּוּד	التعليم		
עֲמָמִי	عام		
עִבְרִי	عبراني		
בֵּית סֵפֶר עֲמָמִי	مدرسة عبرية عامة		

בֵּית סֵפֶר עִבְרִי	مدرسة عبرانية	סִפּוּרִים	حكايات أساطير
שָׁעָה חָמֵשׁ	الساعة الخامسة	הוֹרִים	الوالدين أو الولدون
מֵחָמֵשׁ עַד שֶׁבַע	من الخامسة إلى السابعة	סִפּוּרֵי הַתּוֹרָה	حكايات «التوراة»
פַּעַם	مرة (مؤنث)	פָּתֹחַ	فتح (مصدر أصلي)
אָבִיו	أبوه	לִפְתֹּחַ	فتح (مصدر مستعمل)
בַּקֵּר	زيارة (مصدر أصلي)	פָּתַח	فتح
לְבַקֵּר	زيارة (مصدر مستعمل)	פָּתְחוּ	فتحوا
אֵיךְ	كيف	מַחְבֶּרֶת	دفتر
מְנַהֵל	رئيس، مدير	מַחְבָּרוֹת	دفاتر
מְנַהֵל בֵּית סֵפֶר	مدير مدرسة	סוֹף	آخِر
בַּקֵּשׁ	طلب، رغبة	שִׁעוּר	درس
מְבַקְשִׁים	يسألون، يلتمسون	מְעַנְיֵן	مفيد
עִם	مع	חֵשֶׁק	رغبة

עִמּוֹ	معه	**בְּחֵשֶׁק**	برغبة
תּוֹרָה	«التوراة»، التعلم والإرشاد	**שָׂמֵחַ**	مسرور
רֵאשִׁית	ابتداء	**שָׂמַחְתִּי**	فرحت
בְּרֵאשִׁית	في الابتداء(١)	**תַּלְמִידִים**	تلاميذ

שִׂיחָה

אֵיפֹה לוֹמֵד אַתָּה עִבְרִית?

בְּבֵית הַסֵּפֶר הָעִבְרִי

מָה אַתָּה לוֹמֵד שָׁם? קְרִיאָה וּכְתִיבָה.

קְרִיאָה וּכְתִיבָה לוֹמְדִים יְלָדִים קְטַנִּים.

הֲלוֹמֵד אַתָּה תּוֹרָה?

בְּוַדַּי.

הֲלוֹמֵד אתה נְבִיאִים.

בְּכָל בֵּית סֵפֶר עִבְרִי לוֹמְדִים נְבִיאִים

וְהַסִּפְרוּת הָעִבְרִית הַחֲדָשָׁה? כֵּן גַּם אֶת

הַסִּפְרוּת הָעִבְרִית הַחֲדָשָׁה אֲנִי לוֹמֵד

(١) هو اسم السفر الأول، وهو كتاب بدء الخلق.(منه)

הֲזוֹכֵר אַתָּה שִׁיר מִשִּׁירֵי בְּיַאלִיק עַל פֶּה? כֵּן אֲנִי זוֹכֵר. לָמַדְתִּי שִׁירִים רַבִּים עַל פֶּה.

מִיָּד אֱמוֹר שִׁיר אֶחָד!

יָפֶה בֶּאֱמֶת יוֹדֵעַ אַתָּה אֶת שִׁירֵי בְּיַאלִיק. הוּא הָיָה מְשׁוֹרֵר גָּדוֹל וְאַתָּה בַּעַל זִכָּרוֹן טוֹב.

מִלּוֹן

אֵיפֹה أين، אַיֵּה أين (تنبيه).

اعلم أن الكلمة الأخيرة تستعمل مع الأسماء، أما الكلمة الأولى فإنها تستعمل قبل الفعل، أما في فلسطين فإن אֵיפֹה تستعمل في جميع الأحوال.

קְרִיאָה	قراءة
כְּתִיבָה	كتابة
תּוֹרָה	التوارة[1]
וַדַּי، בְּוַדַּי	يقينًا، بيقين
נָבִיא	نبي
נְבִיאִים	أنبياء
סִפְרוּת	أدب اللغة

(١) ومعناها في الأصل: الهداية والإرشاد وتطلق على شريعة موسى. (منه)

זָכֹר	مصدر أصلي (ذَكَرَ)
לִזְכֹּר	مصدر مستعمل، ومعناه: (ذكر)، ضد النسيان
זוֹכֵר	يذكر أو ذاكر
בְּיַלִיק	حيم نحمان سر بيليق(١)
עַל פֶּה	عن ظهر قلب
מִיָּד	حاضر، على الفور
מְשׁוֹרֵר	شاعر
בַּעַל	صاحب
בַּעַל זִכָּרוֹן	صاحب ذاكرة

תַּרְגִּילִים וְדִקְדּוּק

١

בִּקֵּשׁ طلب

עָבָר

(١) أكبر شاعر في عصره باللغة العبرانية، وبيته في تل أبيب، يحج إليه اليهود ويعظمونه؛ لأنه أحيا اللغة العبرانية بشعره، وله ديوان شعر وتآليف كثيرة، ولد سنة ١٨٧٣م وتوفي ١٩٣٤م بتل أبيب. (منه)

قلت: نشرت أعماله الكاملة بالعبرية، وترجمت معظم قصائده إلى الإنجليزية والفرنسية والعربية، وأنشئت جائزة أدبية تحمل اسمه.

انظر: «موسوعة اليهود واليهودية» (٣/ ٣١٢ – ٣١٣)، وسبقت ترجمته (ص٣٤٣).

בִּקַּשְׁתִּי	בִּקַּשְׁנוּ
בִּקַּשְׁתָּ	בִּקַּשְׁתֶּם
בִּקַּשְׁתְּ	בִּקַּשְׁתֶּן
בִּקֵּשׁ	בִּקְּשׁוּ
בִּקְּשָׁה	בִּקְּשׁוּ

הֹוֶה

מְבַקֵּשׁ	מְבַקְּשִׁים
מְבַקֶּשֶׁת	מְבַקְּשׁוֹת

צִוּוּי فعل الأمر

בַּקֵּשׁ	בַּקְּשׁוּ
בַּקְּשִׁי	בַּקֵּשְׁנָה

בִּקֵּר زيارة

עָבָר

בִּקַּרְתִּי	בִּקַּרְנוּ
בִּקַּרְתָּ	בִּקַּרְתֶּם
בִּקַּרְתְּ	בִּקַּרְתֶּן
בִּקֵּר	בִּקְּרוּ

בִּקְרָה	בִּקְרוּ
הֹוֶה	
מְבַקֵּר	מְבַקְּרִים
מְבַקֶּרֶת	מְבַקְּרוֹת

צִוּוּי:

בַּקֵּר	בַּקְּרוּ
בַּקְּרִי	בַּקֵּרְנָה

٢

دخول עִם على الضمائر

עִמִּי	معي	עִמָּנוּ	معنا
עִמְּךָ	معكَ	עִמָּכֶם	معكم
עִמָּךְ	معكِ	עִמָּכֶן	معكن
עִמּוֹ	معه	עִמָּהֶם	معهم
עִמָּהּ	معها	עִמָּהֶן	معهن

٣

ترجم بالعبرانية ما يلي:

عندي ذاكرة طيبة

أحب شعر أبيليق

أتعلم شعر أبيليق عن ظهر قلب

قرأت كتابًا من تأليف (מֵאֵת) أبيليق

عاش (יָשַׁב בְּבֵּיאלִיק) أبيليق في مدينة تل أبيب

صديقي يقرأ شعر أبيليق بالإنكليزية

صديقي له صوت (קוֹל) طيب

أنشد شعرًا لأبيليق

قرأت النشيد الشعبي (שִׁירֵי עָם) لأبيليق باستمتاع

الدرس الخامس عشر
שִׁעוּר יו

בְּחַג הַפֶּסַח בְּבֵית יְהוּדָה לֵוִי כָּל הַמִּשְׁפָּחָה בָּאָה אֶל הַסֵּדֶר. יְהוּדָה לֵוִי אִשְׁתּוֹ בְּנָם וּבִתָּם. אֲבִי יְהוּדָה הַסָּב בִּנְיָמִין אֵם יְהוּדָה הַסָּבָה לֵאָה גַם אָחִי יְהוּדָה וְגִיסָתוֹ יְהוֹשֻׁעַ לֵוִי וְאִשְׁתּוֹ, כֻּלָּם בָּאוּ. גַּם אֲחוֹת יְהוּדָה פְּנִינָה וּבַעְלָהּ, בָּאוּ כָּל הַמִּשְׁפָּחָה יָשְׁבָה אֶל הַשֻּׁלְחָן הַגָּדוֹל בַּחֲדַר הָאֹכֶל.

הַחֶדֶר הָיָה יָפֶה הַשֻּׁלְחָן הָיָה מְכֻסֶּה מַפָּה לְבָנָה וְיָפָה. עַל הַשֻּׁלְחָן עָמְדוּ בַּקְבּוּקִים מְלֵאִים יַיִן מֵאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל עַל הַשֻּׁלְחָן עָמְדוּ כּוֹסוֹת גְּדוֹלוֹת וּקְטַנּוֹת, וְכוֹס אַחַת גְּדוֹלָה מְאֹד, כּוֹס אֵלִיָּהוּ הַנָּבִא. עַל הַשֻּׁלְחָן הָיוּ מַצּוֹת וּקְעָרָה גְּדוֹלָה קַעֲרַת הַפֶּסַח. הַיַּלְדָּה רָחֵל שָׁאֲלָה אֶת אַרְבַּע (הַקֻּשְׁיוֹת). וְהַמְּסֻבִּים קָרְאוּ אֶת הַהַגָּדָה וְשָׁרוּ שִׁירִים. הֵם אָכְלוּ דָּגִים וּבָשָׂר, יְרָקוֹת וּפֵרוֹת בֵּרְכוּ בִּרְכַּת הַמָּזוֹן וְקָרְאוּ עוֹד הַפַּעַם אֶת הַהַגָּדָה. בְּסוֹף הַסֵּדֶר קָרְאוּ כֻּלָּם: לְשָׁנָה הַבָּאָה בִּירוּשָׁלַיִם וִיהוּדָה לֵוִי אָמַר אֶל הַמְּסֻבִּים. אֲנִי וְאִשְׁתִּי נוֹסְעִים הַשָּׁנָה אֶל אֲנִי וְאִשְׁתִּי נוֹסְעִים הַשָּׁנָה אֶל יְרוּשָׁלַיִם.

אֲנִי מְקַנֵּא בְּךָ, אָמַר אָחִיו וְכֵן הִרְגִּישׁוּ כָּל הַמְּסֻבִּים

מִלּוֹן

חַג	عيد	קֻשְׁיָה	مسألة
פֶּסַח	فصح (عيد لليهود والنصارى في الربيع)	מְסֻבִּים	رفقاء على المائدة
סֵדֶר	الاحتفال بهذا العيد	בָּשָׂר	لحم
אָב	أب	יֶרֶק יְרָקוֹת	مذكر الخضر
אֲבִי	أبو (في حالة الإضافة)	בֵּרַךְ	برَّك (من البَركة)
סָב	جد	בְּרָכָה	بَركة
סָבָה	جدة	מָזוֹן	طعام
אָח	أخ	בִּרְכַּת הַמָּזוֹן	البَركة بعد الطعام
אֲחִי	أخو(في حالة الإضافة)	הַגָּדָה	قصة تتلى في عيد الفصح معدودة من الصلوات
אָחוֹת	أخت		
גִּיס	أخو الزوج أو أخو الزوجة	עוֹד	باستمرار
גִּיסָה	أخت زوجة أو أخو الزوجة	פַּעַם	مرة
מָלֵא	ملآن	שָׁנָה הַבָּאָה	السنة الآتية

מְלֵיאִים	مملوؤون	הַשָּׁנָה	هذه السنة
אֵלִיָּהוּ	علَم	קִנֵּא	غبطة (مصدر أصلي)
מַצָּה	خبزة من نوع خاص	אֲנִי מְקַנֵּאבְּךָ	أنا أغبطك
קְעָרָה	كأس	הַרְגֵּשׁ	إحساس (مصدر أصلي)
		עוֹד הַפַּעַם	مرة أخرى
קְעָרַת פֶּסַח	كأس الفصح	הִרְגִּישׁוּ	أحسوا
בִּנְיָמִין	اسم علَم	יְהוֹשֻׁעַ	اسم علَم
לֵאָה	اسم علم للنساء	פְּנִינָה	اسم علَم

١

נָחֵי ל א

اعلم أن المصدر קַנֵּה من المصادر التي لامها أَلِف وتصريفه كما يلي:

עָבָר	
קִנֵּאתִי	קִנֵּאנוּ
קִנֵּאתָ	קִנֵּאתֶם
קִנֵּאת	קִנֵּאתֶן

קִנֵּא	קִנְּאוּ
קִנְּאָה	קִנְּאוּ
הֹוֶה	
מְקַנֵּא	מְקַנְּאִים
מְקַנֵּאת	מְקַנְּאוֹת

٢

حروف الحلق(١)

حروف الحلق في اللغة العبرانية خمسة: א.ה.ח.ע.ר.

اعلم أن هذه الأحرف تعتبر أحرف حلق، ولو أنها لا تكون كذلك إلا إذا لفظت بطريقة الشرقيين، والمراد بالشرقيين هنا: اليهود الذين يسكنون مع العرب أو البربر في أفريقيا وآسية، فمتى كانت عين الفعل أحد هذه الأحرف الثلاثة الحلقية اللينة -وهي الألف والعين والراء- عين الفعل كما في בֵּרַךְ برَّك، دعا بالبركة؛ فإن حركاته تكون كما يلي:

עָבָר

בֵּרַכְתִּי	בֵּרַכְנוּ
בֵּרַכְתָּ	בֵּרַכְתֶּם

(١) انظر عنها، ومقارنة بين مخارج الأصوات في العربية والعبرية والسريانية: «الإبدال في ضوء اللغات السامية» (ص١٢ - ٢٦)؛ فهو (مهم).

בֵּרַכְתְּ	בֵּרַכְתֶּן
בָּרֵךְ	בָּרְכוּ
בֵּרְךָ	בֵּרְכוּ

הֹוֶה

מְבָרֵךְ	מְבָרְכִים
מְבָרֶכֶת	מְבָרְכוֹת

٣

دخول باء الجر على الضمائر

בִּי	بي		
בְּךָ	بك أو فيك	בָּנוּ	بنا أو فينا
בָּךְ	بكِ أو فيكِ	בָּכֶם	بكم أو فيكم
בּוֹ	به أو فيه	בָּכֶן	بكن
בָּהּ	بها أو فيها	בָּהֶם	
		בָּהֶן	

٤

إضافة אָב و אָח إلى الضمائر

אָב	אָבִי

אָח אֲחִי

תֶּרַח אֲבִי אַבְרָהָם

עֵשָׂו אֲחִי יַעֲקֹב

٥

תַּרְגֵּם לָעֲבְרִית

יֵשׁ לִי אָח שֵׁם אֲחִי גִדְעוֹן.

יֵשׁ לִי אָחוֹת , שֵׁם אֲחוֹתִי דְבוֹרָה.

שֵׁם גִיסִי גָד.

שֵׁם גִיסָתִי מִרְיָם.

סָבִי אִישׁ זָקֵן הוּא.

סָבָתִי אַשָּׁה זְקֵנָה הִיא.

סָבִי יוֹשֵׁב בְּבַיִת גָדוֹל וְיָפֶה.

סָבִי אוֹהֵב אֶת הַבָּנִים.

הַבָּנִים אוֹהֲבִים אֶת הַסָּב וְאֶת הַסָּבָה.

الدرس السادس عشر
שִׁעוּר טז

לִפְנֵי הַנְסִיעָה — قبل السفر

הַצִיוֹנִים עָרְכוּ נֶשֶׁף פְּרִידָה לִיהוּדָה לֵוִי וּלְמִשְׁפַּחְתּוֹ. קָהָל גָדוֹל בָּא אֶל הַמָּלוֹן אֲשֶׁר בּוֹעָרְכוּ אֶת הַנֶּשֶׁף. הַקָּהָל בָּא אֵל אוּלָם גָדוֹל בָּאוּלָם עָמְדוּ שֻׁלְחָנוֹת וְכִסְאוֹת. בְּרֹאשׁ הָאוּלָם עָמַד שֻׁלְחָן גָּדוֹל וּמִסָבִיב לוֹ כִּסְאוֹת. הַשֻׁלְחָן הַגָּדוֹל הָיָה לַנוֹאֲמִים. שָׁם יָשְׁבוּ גַם יְהוּדָה לֵוִי וְאִשְׁתּוֹ הַסָּב בִּנְיָמִין לֵוִי וְסָבָה אִשְׁתּוֹ. שָׁם יָשַׁב גַם נְשִׂיא הַצִיוֹנִים בָּעִיר. רִאשׁוֹנָה אָכְלוּ אֲרוּחַת עֶרֶב. אַחַר הָאֲרוּחָה קָם הַנָּשִׂיא וְנָאַם נְאוּם הַנּוֹאֵם אָמַר: יְהוּדָה לֵוִי הוּא יְהוּדִי טוֹב וְצִיוֹנִי טוֹב. כָּל הַיָּמִים הוּא זוֹכֵר אֶת צִיוֹן וִירוּשָׁלַיִם. הוּא עוֹשֶׂה הַרְבֵּה גַם לְטוֹבַת בֵּית הַסֵפֶר הָעִבְרִי. עַתָּה הוּא נוֹסֵעַ לִרְאוֹת אֶת אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל. אֲנַחְנוּ מְבָרְכִים אוֹתוֹ. לִכְבוֹד מַר לֵוִי אֲנַחְנוּ תּוֹרְמִים לַקֶּרֶן הַקַּיֶּמֶת חֲמֵשׁ מֵאוֹת דוֹלָר לִנְטֹעַ עֵצִים בְּיַעַר בְּאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל וְהַנָּשִׂיא נָתַן לְלֵוִי תְּעוּדָה, תְּעוּדַת הַקֶּרֶן הַקַּיֶּמֶת.

הַיּוֹ שָׁבִים אֵצֶל הַשֻׁלְחָנוֹת שָׁמְעוּ וּמָחֲאוּ כַפַּיִם. עוֹד אֲנָשִׁים אֲחָדִים נָאֲמוּ. כֻּלָּם הִלְּלוּ אֶת מַר יְהוּדָה לֵוִי. כֻּלָּם בֵּרְכוּ אוֹתוֹ. הָאַחֲרוֹן אֲשֶׁר

דִּבֵּר הָיָה יְהוּדָה לֵוִי. הוּא קָם וְאָמַר: תּוֹדָה לָכֶם עַל כָּל הַדְּבָרִים הַטּוֹבִים אֲשֶׁר אֲמַרְתֶּם. תּוֹדָה לָכֶם עַל הַתְּרוּמָה אֲשֶׁר תְּרַמְתֶּם לַקֶּרֶן הַקַּיֶּמֶת. כָּל הַיָּמִים רָצִיתִי לִרְאוֹת אֶת אַרְצֵנוּ עַתָּה בָּאָה תִקְוָתִי. אֲנִי הוֹלֵךְ עִם אִשְׁתִּי וְעִם בָּנַי לִרְאוֹת אֶת הָאָרֶץ וַאֲנִי מְאֻשָּׁר. וְכָל הַקָּהָל קָם וְעָמַד עַל רַגְלָיו וּמָחָא כַּפַּיִם. אַחֲרֵי כֵן שָׁרוּ כֻּלָּם אֶת הַתִּקְוָה.

מִלּוֹן

נָסֹעַ, לִנְסֹעַ	مصدر (سافر)، أولهما أصلي، والثاني مستعمل
נוֹסֵעַ	يسافر أو مسافر
נְסִיעָה	سفر
לִפְנֵי הַנְּסִיעָה	قبل السفر
עָרֹךְ	مصدر أصلي لـ(رتب) أو (هيأ)
נֶשֶׁף	احتفال مساء
פְּרִידָה	مع رحيل
נֶשֶׁף פְּרִידָה	احتفال بوداع المسافر
מָלוֹן	فندق
אוּלָם	قاعة
רֹאשׁ	رأسَ (رئيس)
בְּרֹאשׁ הָאוּלָם	في صدر المجلس

סָבִיב	حول
מִסָּבִיב	من حول
נָשִׂיא	رئيسٌ
נְשִׂיא	رئيسُ
רִאשׁוֹנָה	أولًا
טוֹבָה	طيبة
לְטוֹבַת	لخير
יְהוּדִי	يهودي
מֵאָה	مئة
חֲמֵשׁ מֵאוֹת	خمس مئة
דוֹלַר	دولار
הַרְבֵּה	كثيرًا
עוֹשֶׂה הַרְבֵּה	يعمل كثيرًا
כָּבוֹד	تكريمٌ
כְּבוֹד	تكريمُ
לִכְבוֹד	لتكريم
נָטוֹעַ לִנְטוֹעַ	مصدران لـ(غرس)

יַעַר	غابة
תְּעוּדָה	جواز سفرٍ
תְּעוּדַת	جواز سفرِ
אֲנָשִׁים	رجال
אֲחָדִים	بضعة، عدد
אֲחָדוֹת	بضع، عدد (مؤنث)
הַלֵּל לְהַלֵּל	مصدر مستعمل: مدح، ثناء
אַחֲרוֹן	آخِر
אַחֲרוֹנָה	آخِرة
דָּבָר	لفظ، شيء
דְּבָרִים	كلمات، أشياء
כָּל הַיָּמִם	كل الأيام، والمراد: كل الوقت
מְאֻשָּׁר	مغتبط
רֶגֶל	رِجل (مؤنث)
רַגְלַיִם	رِجلان أو رِجلين
רַגְלָיו	رجلاه أو رجليه
אֲשֶׁר	الذي

תַּרְגִּילִים וְדִקְדּוּק

١

اتصال الضمائر - ات אֶת

تعلمتَ في درس سابق استعمال (אֶת)، والآن ينبغي أن تعلم أنها تستعمل -أيضًا- مع ضمائر النصب والجر المتصلة.

مثال ذلك:

أخذني: הוּא לָקַח אוֹתִי

وسألني سؤالًا: הוּא שָׁאַל אוֹתִי שְׁאֵלָה

אוֹתִי	ياء المتكلم	אוֹתָנוּ	نا
אוֹתְךָ	كَ	אֶתְכֶן	كُم
אוֹתָךְ	كِ	אֶתְכֶן	كن
אוֹתוֹ	ـه	אוֹתָם	هم
אוֹתָהּ	ها	אוֹתָן	هن

נָחֵי ע׳ ו معتل العين واوًا

متى كانت عين الفعل -أي: المصدر- (أي: الحرف الثاني من المصدر الأصلي) ו أو י يسمى الفعل: נָחֵי ע. ו أو נָחֵי ע. י .

مثل هذه الأفعال يصرف كما يلي:

קוּם قيام (مصدر قام)

עָבָר

קַמְתִּי	קַמְנוּ	שַׁבְתִּי	שַׁבְנוּ
קַמְתָּ	קַמְתֶּם	שַׁבְתָּ	שַׁבְתֶּם
קַמְתְּ	קַמְתֶּן	שַׁבְתְּ	שַׁבְתֶּן
קָם	קָמוּ	שָׁב	שָׁבוּ
קָמָה	קָמוּ	שָׁבָה	שָׁבוּ

הֹוֶה

קָם	קָמִים	שָׁב	שָׁבִים
קָמָה	קָמוֹת	שָׁבָה	שָׁבוֹת

שִׁיר غِناء (مصدر غنا)

עָבָר

שַׁרְתִּי	שַׁרְנוּ
שַׁרְתָּ	שַׁרְתֶּם
שָׁרְתְּ	שַׁרְתֶּן
שָׁר	שַׁרְתֶּן
שָׁרָה	שָׁרוּ

הֹוֶה	שׁרוּ
שָׁר	שָׁרִים
שָׁרָה	שָׁרוֹת

٢

שְׁלֵמִים مع حرف حلق

متى كان الفعل من قسم الصحيح שְׁלֵמִים (كل حروف المصدر الأصلي صحيحة وسالمة من الحذف في جميع التصاريف)، وكانت فاء الفعل -أي المصدر الأصلي- حرف حلق؛ فإن تصريف ذلك الفعل يكون هكذا:

עֲמֹד قيام

עָבָר	
עָמַדְתִּי	עָמַדְנוּ
עָמַדְתָּ	עֲמַדְתֶּם
עָמַדְתְּ	עֲמַדְתֶּן
עָמַד	עָמְדוּ
עָמְדָה	עָמְדוּ
הֹוֶה	
עוֹמֵד	עוֹמְדִים

עוֹמֶדֶת   עוֹמְדוֹת

אָמֹר قول (مصدر أصلي) لـ(قال)

עָבָר

אָמַרְתִּי   אָמַרְנוּ

אָמַרְתָּ   אֲמַרְתֶּם

אָמַרְתְּ   אֲמַרְתֶּן

אָמַר   אָמְרוּ

אָמְרָה   אָמְרוּ

הֹוֶה

אוֹמֵר   אוֹמְרִים

אוֹמֶרֶת   אוֹמְרוֹת

עָרֹךְ المصدر الأصلي لـ(رتب) و(هيأ)

עָבָר

עָרַכְתִּי   עָרַכְנוּ

עָרַכְתָּ   עֲרַכְתֶּם

עָרַכְתְּ   עֲרַכְתֶּן

עָרַךְ   עָרְכוּ

עָרְכָה	עָרְכוּ
הֹוֶה	
עוֹרֵךְ	עוֹרְכִים
עוֹרֶכֶת	עוֹרְכוֹת

٣

תַּרְגֵּם לָעַרְבִית

אַיֵּה הָאִישׁ אֲשֶׁר בָּא אֶתְמוֹל אֶל בֵּיתְךָ؟

רָאִיתִי אֶת הַסֵּפֶר אֲשֶׁר קָרָאתָה

הוּא סִפֵּר לִיאֶת כָּל הַדְּבָרִים אֲשֶׁר עָשָׂה

הַסֵּדֶר אֲשֶׁר נָתַן לִי חֲבֵרִי יָפֶה הוּא.

הַסִּפּוּר אֲשֶׁר קָרָאתִי מְעַנְיֵן

הָאִשָּׁה אֲשֶׁר בָּאָה הַיּוֹם טוֹבָה הִיא

תּוֹדָה לְךָ עָל הַדְּבָרִים הַטּוֹבִים אֲשֶׁר דִּבַּרְתָּ עָלַי

סַפֵּר לִיאֶת הַדְּבָרִים אֲשֶׁר שָׁמַעְתָּ מִפִּי אָבִיךָ

קַח אֶת בִּנְךָ אֲשֶׁר אָהַבְתָּ

١٠-הַצִּפּוּר אֲשֶׁר עַל הָעֵץ שָׁרָה.

١١-רָאִיתִי אֶת הָאִישׁ אֲשֶׁר בָּא מֵאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל

١٢-הָעֵץ אֲשֶׁר נָטַעְתִּי בַּגַּן גָּדַל.

الآيات من «التوراة»

الإصحاح ٩ من «سفر القضاة»(١)

٨-הָלַךְ הָלְכוּ הָעֵצִים לִמְשֹׁחַ עֲלֵיהֶם מֶלֶךְ וַיֹּאמְרוּ לַזַּיִת מָלְוֹכָה
מָלְכָה עָלֵינוּ:

٩-וַיֹּאמֶר לָהֶם הַזַּיִת הֶחֳדַלְתִּי אֶת דִּ שְׁנִי אֲשֶׁר בִּי יְכַבְּדוּ אֱלֹהִים
וַאֲנָשִׁים וְהָלַכְתִּי לָנוּעַ עַל הָעֵצִים:

١٠-וַיֹּאמְרוּ הָעֵצִים לַתְּאֵנָה לְכִי אַתְּ מָלְכִי עָלֵינוּ:

١١-וַתֹּאמֶר לָהֶם הַתְּאֵנָה הֶחֳדַלְתִּי אֶת מָתְקִי וְאֶת תְּנוּבָתִי הַטּוֹבָה
וְהָלַכְתִּי לָנוּעַ עַל הָעֵצִים

١٢-וַיֹּאמְרוּ הָעֵצִים לַגֶּפֶן לְכִי אַתְּ מָלְוֹכִי (מָלְכִי) עָלֵינוּ

١٣-וַתֹּאמֶר לָהֶם הַגֶּפֶן הֶחֳדַלְתִּי אֶת תִּירוֹשִׁי הַמְשַׂמֵּחַ אֱלֹהִים
וַאֲנָשִׁים וְהָלַכְתִּי לָנוּעַ עַל הָעֵצִים

(١) سقطت سبعة نصوص من الأصل، وسبق تعريف الهلالي بـ«سفر القضاة» في «الفوائد السامية» (ص٢٩٣).

١٤-וַיֹּאמְרוּ כָל הָעֵצִים אֶל הָאָטָד לֵךְ אַתָּה מְלָךְ עָלֵינוּ

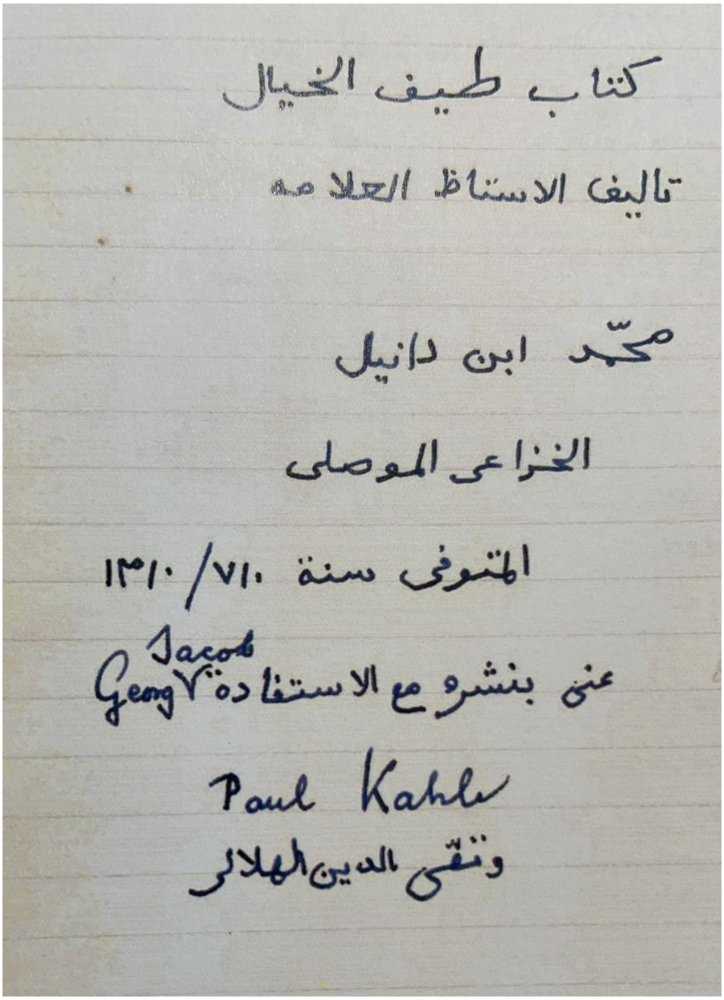
١٥-וַיֹּאמֶר הָאָטָד אֶל הָעֵצִים אִם בֶּאֱמֶת אַתֶּם מֹשְׁחִים אֹתִי לְמֶלֶךְ עֲלֵיכֶם בֹּאוּ חֲסוּ בְצִלִּי וְאִם אַיִן תֵּצֵא אֵשׁ מִן הָאָטָד וְתֹאכַל אֶת אַרְזֵי הַלְּבָנוֹן

[آخره، والحمد لله رب العالمين]

الموضوعات والمحتويات

ملحق الوثائق

نموذج رقم (١)



كتاب طيف الخيال

تاليف الاستاذ العلامه

محمّد ابن دانيل

الخزاعى الموصلى

المتوفى سنة ٧١٠ / ١٣١٠

عنى بنشره مع الاستاذ Georg Jacob

Paul Kahle

وتقى الدين الهلالى

صورة غلاف «خيال الظل» لابن دانيال
بخط تقي الدين الهلالي

نموذج رقم (٢)



שלחן ערוך

מטור אורח חיים הנקרא בית יוסף

ומרו הגאון מופת חדור החכם השלם מהורר יוסף קארו נרו בן מהורר אפרים קארו
זצל אשר אור תורתו זורחת כאור היום בעיר צפת תו'בב ומעיני תורתו נפוצות
ביהודה ובישראל נודע שמו ; וחבר הספר הזה קיצור מחיבורו הגדול
אשר עשה על הארבעה טורים אשר קראם בית יוסף אשר
בם כח מעשיו הגיד וכל יקר ראתה עינו, כדי שכל
מבקש ה' ימצא מבוקשו בנקל כל דין ודין על
מתכונתו באין אומר ואין דברים והכין
לכל מטה ושלחן וכסא ומנורה
אשר לאורו ילכו בטח ; כי כן משנת רבי יוסף קב ונקי

صورة غلاف «شلحان عاروخ» ليوسف قارو

الفهارس(١)

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الكتب والجرائد والصحف والمجلات.
- فهرس الأشعار.
- فهرس اللغات.
- فهرس المفردات.
- فهرس الأمم والشعوب.
- فهرس المباحث العلمية التي تخص اللغات.
- فهرس عناوين رسائل الكتاب وموضوعاتها وفهارسها.

(١) فهارس الآيات والأحاديث والآثار والمقالات لمتن الكتاب والتعليق عليه، وما كان في التعليق؛ وضعنا عند رقم الصفحة (ت)، وباقي الفهارس لمتن الكتاب -فقط-.

فهرس
الآيات القرآنيَّة الكريمة

فهرس
الأحاديث النبوية الشريفة
مرتبة على الحروف

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
تعلَّم السريانيَّة، فإنِّي لا آمن اليهود	زيد بن ثابت	٤٤٤
حرف الخاء		
خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا	أبو هريرة	٤٥٥ت
خمسةٌ من الأنبياء من العرب	-	٨٩ت
خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم	سلمة	٩٠
حرف الكاف		
كلام أهل الجنة بالعربية، وكلام أهل	عمر	٥٣٥ت
حرف اللام		
لو تعلَّق العلم بأكناف السماء	أبو هريرة	١٠٠
لو كان الدين عند الثريَّا؛ لناله رجال	أبو هريرة	١٠٠ت
لم يكن لهم -يومئذٍ- حَبٌّ، ولو كان	-	٤٦٠
لكل داءٍ دواء إلا الهرم	-	٢١٣
حرف النون		
نحن أمَّةٌ أمِّيَّةٌ لا نكتب ولا نحسب	عبدالله بن عمر	٦٥،٥٠٢
نم صالحًا قد علمنا إن كنت لموقنًا	عائشة	١٤٢
حرف الياء		
يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما	أبو بكر	١٩١

فهرس الآثار
مرتبة على القائلين

فهرس الأعلام[1]

(١) ما بين هلالين: هو موضع الترجمة للعَلَم.

العلم	الصفحة
حرف السين	
سابور	(٣٧٨)
سام بن نوح	٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ٢٣٩
السجستاني	١٧٩
السخاوي	١٧٣
السراج	١٠٤
سرجس	(٣٦٣)
سرجون، ملك آشور	(٢٧١)
سعديا الفيومي	(٢٨٣)، ٣١٧
سعية بن العريض	٦١
سلام بن مسكين	٩٥
سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ	٨١ ، ٢٠٧ ، (٢٧٠) ، ٢٧٢ ، ٢٩٤، ٢٩٨ ، ٢٩٩
السموءل بن عاديا	٦١ ، (٢٧٧)، ٢٧٩
سنان بن الفحل	(٢٦٣)
سنحاريب، ملك آشور	(٢٩٦)
سنوك هوب غرونجي	٢٩
سوفوكلس	(٣٤٧)
سيبويه	١٠٠ ، ١٠٤ ، (٣٧٢)
السيوطي	١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠، ٤٨٩
حرف الشين	
شاؤل تشرنيحوفسكي	(٣٤٥)، ٣٤٦

العلم	الصفحة
حرف القاف	
قارون	٢٠١
القاسمي	١٢٢
قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح	٩١
قحطان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن إسماعيل	٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٧٠، ٢٦٣
قدامة بن جعفر	١٠٣
قسطا بن لوقا	(٣٦٦)
قصير	(٣٨١)
قضاعة	٩٣
قهلت بن داود	٢٩٨
حرف الكاف	
كارل لوكوتش	١٠٨
كاله = باول كاله	
كراع	١٦٧
كرن، الدكتور	٥١
كرينكو	٤٧
كسرى أنوشروان	٣٦٢، ٣٧١
الكندي	١٧٩
كورش	(٢٤٧)، ٢٩٧
كيرت بروفر	٢٥
كيروس	٢٧٢
حرف الميم	
مارتن بوبو	٧٩
مارتين هارتمان	٥٤
مارجليوث	٧١

الأبناء

فهرس الكتب والجرائد والصحف والمجلات

فهرس الأشعار

فهرس اللغات

فهرس المفردات

فهرس المقالات

فهرس الأمم والشعوب

فهرس المباحث
العلمية التي تخص اللغات

فهرس عناوين رسائل الكتاب وموضوعاتها وفهارسها